

الجملة العربية

في ضوء الدراسات اللسانية

أطروحة تقدم بها الطالب

ظافر كاظم عبد الرزاق

الى

مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ الدكتور مجيد عبد الحليم الماشطة

الاستاذ المساعد الدكتور نوري حساني علوان

٢٠١١ م

١٤٣٢ هـ

المقدمة



قدمت الدراسات اللسانية عبر تاريخها الطويل نظريات متعددة ومناهج متنوعة، كان لكل واحد منها اهتماماته وأسس ومفاهيمه المختلفة التي ينطلق منها في بناء تصوراته حول اللغة، ومع اختلاف هذه النظريات والمناهج واختلاف درجة تركيزها على جوانب اللغة المختلفة، حاولت هذه النظريات بمجملها ان تقيم دراسة اللغة على اسس علمية موضوعية رصينة لا مكان فيها للذوق أو الانطباعات الشخصية، وذلك لأن هدف هذه المناهج والنظريات هو ان ترقى بدراسة اللغة الى مصاف الدراسات العلمية الخالصة، أو ان تقترب منها قدر الامكان ما استطاعت الى ذلك سبيلاً. وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه النظريات اللسانية وان اختلفت مناهجها وتنوعت اساليبها في دراسة اللغة وتحليلها.

وقد اخذت اللسانيات اهتماماً متزايداً من الدارسين العرب ولاسيما في سبعينيات القرن الماضي، إذ يمثل هذا التاريخ بداية الاهتمام الحقيقي باللسانيات وافكارها وان سبقت هذه المدة بدراسات عدة لباحثين عرب من بلدان مختلفة بنيت على اساس لساني، أو حاولت ان تعرف باللسانيات وتطبق مناهجها في دراسة اللغة العربية. فهذه الدراسات مع ما بذلته من جهد كبير، وما تكبدته من عناء البداية الشاق الذي لا بد منه في بياء غير بياتها الأولى، كانت بمثابة الاساس أو المنطلق للدراسات الأخرى التي ازدهرت فيما بعد، ولاسيما بعد انحسار نظرية الريبة والشك عن هذا النوع من الدراسات بعد ان اتضح للدارسين العرب اهداف الدراسة اللسانية وطبيعة اهتمامها باللغة المبني على محاولة فهم اللغة الإنسانية بصورة عامة من دون ان يكون هناك تمييز بين لغة وأخرى، أو تعصب لهذه اللغة أو تلك، أو أي افتراض مسبق فيما يخص دراسة اللغة على نحو عام. ومنذ ذلك الحين توالى البحوث والدراسات التي ترتبط باللسانيات فترجمت مؤلفات عدة لباحثين لسانيين غربيين، وظهرت دراسات عربية حاولت ان تفيد من هذه النظريات ومناهجها المختلفة في دراسة اللغة العربية. وبعض هذه الدراسات اقتصر على عرض المناهج الغربية، وتناولت دراسات أخرى بعض مسائل العربية من منظور منهج واحدٍ أو منهجين _ من أجل المقارنة بينهما على سبيل المثال _ واقتصرت دراسات أخرى على تطبيق هذه المناهج تطبيقاً حرفياً على اللغة العربية من دون ان تتعمق في تصورات هذا المنهج أو ذاك، وتحاول ان تقدم رؤى جديدة للغة العربية من خلاله. وربما أسهمت بعض هذه الدراسات والمؤلفات _ بقصد أو بدون قصد _ في ترسيخ فكرة القطيعة والتباين بين هذه النظريات اللسانية. وذلك لأنها نظرت من خلال نظرية واحدة أو تعاملت مع النظريات على نحو يشبه صرخات الأرياء أو (الموضة) التي يجري تغييرها وتبديلها باستمرار على مرور الوقت وتعاقب الزمن، من دون ان تركز على الاسس النظرية المختلفة لهذه النظريات وهدفها من دراسة اللغة، وتتعامل معها على انها مناهج يجري تعديلها

باستمرار وتطويرها، ويعاد تقييمها من خلال ما وجه إليها من نقد وتساؤلات وما أثير حولها من أفكار واعتراضات، من أجل بناء تصور أفضل للغة الإنسانية.

وكما هو الحال مع باحثين آخرين جذب انتباهي هذا النوع من الدراسات الذي لا تخلو منه في الوقت الحاضر كلية أو جامعة عربية تدرس اللغة سواء أكانت هذه اللغة عربية أم انكليزية أم لغات أخرى غيرها. وإن تباين مستوى اهتمامها ونوعه من مكان الى آخر لأسباب كثيرة ومتعددة. ولأنه ليس هناك دراسة عربية تتناول الجملة العربية من منظور هذه النظريات المختلفة عبر مراحل نشأتها المختلفة _ على حد علمي _ قررت ان اتناول هذا الموضوع بالدراسة لعلي أفيد مما قدمته هذه النظريات من مبادئ وأفكار تتعلق باللغة في إطارها العام والجملة على نحو خاص. مع علمي بسعة هذا الموضوع و إتساع آفاق البحث اللساني وتعدد موضوعاته وانفتاحه على العلوم الأخرى ولاسيما في مرحلة ما بعد سوسور.

ولم يكن هدف هذه الدراسة ان تحول النظر عن درسنا القديم وما فيه من جهود لغوية فذة لا يمكن لأحد ان يغض النظر عنها بأي شكل من الأشكال، ولم يكن قصد هذه الدراسة أيضاً ان تقلل من أهمية ما تضمنه تراثنا اللغوي العربي من افكار وآراء حول اللغة بأي صورة كانت. وإنما كان هدفها ان تنظر الى الجملة العربية من منظور مختلف وان تحاول ان تضيف شيئاً جديداً الى ما قدمه الاقدمون _ ان كان مثل هذا ممكناً _ وتطرح رؤية جديدة تغني دراسة الجملة العربية وتوجه الأنظار الى ما يخصها من مسائل لم ينتبه لها الأقدمون أو لم تلق من جانبهم الاهتمام الكافي بسبب عوامل ثقافية معينة.

ولم تخل هذه الدراسة من صعوبات ومعوقات كان من أبرزها تعدد النظريات اللسانية التي تتناول الجملة أو بنيت دراستها على اساس الجملة وكثرة التفاصيل التي تتضمنها فيما يخص هذا الموضوع وتوزعها على فترات زمنية طويلة وتأثرها بعوامل ثقافية مختلفة واتجاهات متباينة نفسية أو اجتماعية أو منطقية... الخ من العوامل الأخرى. وهو ما يتطلب من الباحث ان يلم بكل هذه التفاصيل ويحاول ان يفهم الظروف المحيطة بكل نظرية أو منهج وما يتعلق بظروف نشأته قبل ان يخوض في بناء تصوراته حول الجملة العربية من خلاله ولاسيما ان كل نظرية تضم في داخلها رؤى متعددة ووجهات نظر قد تختلف على بعض التفاصيل وان كانت تأتي ضمن اطار نظرية واحدة واساس عام واحد.

ومن الصعوبات الأخرى ان اغلب مصادر هذا الموضوع مترجمة عن لغات أجنبية وقد تعددت مصطلحات الباحثين وتنوعت واختلفت من مترجم الى آخر بعد ان اجتهد كل واحد برأيه وقدم مايراه صواباً، وربما لجأ بعضهم الى مصطلحات غريبة أو غير شائعة مفضلاً مصطلحاته الخاصة على مصطلحات غيره من الباحثين وان كانت الأخرى على ما يبدو أقرب الى المفهوم المراد والمعنى المقصود. ولا يخفى ما يسببه تعدد المصطلح من إرباك وتشويش للباحث وهو ما حاولنا تجنبه بالرجوع الى المصادر الأصلية قدر الامكان ولاسيما المصادر الاجنبية التي تيسر لنا الحصول عليها. وفضلاً عما سبق لم تتضمن مكنتات الجامعة من مصادر هذا الموضوع وما يتعلق به إلا القليل القليل وكان لابد من البحث عنها وتحصيلها بجهد شخصي وهو ما يتطلب وقتاً طويلاً

وجهداً كبيراً فضلاً عما ترتب عليه من اعباء مادية وبعض المصادر لم يتسنّ الحصول عليها حتى مرحلة متأخرة من مراحل البحث.

وقد انتظم هذا البحث في تمهيد وأربعة فصول سبقت بمقدمة وتلتها خاتمة. تضمن التمهيد تعريفاً عاماً باللسانيات وظروف نشأتها ومقوماتها واسسها وما يميزها عن غيرها من الدراسات التي سبقتها وكيف نمت الدراسة اللسانية وتطورت على مدى حقبة زمنية طويلة. وتناول التمهيد أيضاً العلاقة بين اللسانيات واللغة العربية وآراء بعض الباحثين العرب بهذا النوع من الدراسة والمحاولات الأولى التي جاءت في هذا الاطار وأثر اللسانيات في دراسة اللغة العربية والجملة العربية التي هي موضوع بحثنا الاساس.

أما الفصل الأول (الجملة العربية في ضوء الدراسات البنيوية وعلم العلامات) فقد تضمن مبحثين. تناول المبحث الأول تاريخ نشأة البنيوية ومدارسها وأهم ما يتعلق بنظرة باحثيها وآرائهم وافكارهم. وأوجه التشابه والاختلاف بينها ومدى امكانية الافادة من هذا المنهج في دراسة الجمل العربية. وتحدث المبحث الثاني عن نشأة علم العلامات وطبيعة العلاقة بينه وبين اللغة والتصور الذي يقيمه هذا العلم للجملة وطبيعة نظريته إليها وأثره في دراستها وتحديد مفهوم اللغة وتعريفها.

وجاء الفصل الثاني (الجملة العربية في ضوء النحو التوليدي التحويلي) في مبحثين. تناول المبحث الأول: اسس هذا النحو عند رائده تشومسكي وتفاصيل نظريته والتغييرات التي طرأت عليها وأوجه التشابه والاختلاف بين هذا النحو والدراسات البنيوية التي سبقتها. وتناول المبحث الثاني الجملة العربية ومسائلها المختلفة من وجهة نظر هذا النحو ولاسيما ما يتعلق ببعض المسائل المختلف عليها.

وتضمن الفصل الثالث (الجملة العربية في ضوء النحو الوظيفي وعلم لغة النص) مبحثين أيضاً تناول المبحث الأول نشأة النحو الوظيفي ومدارسه والافكار التي يقوم عليها وأوجه التشابه والاختلاف بين أصحاب هذا الإتجاه. مع دراسة بعض جوانب الجملة العربية من وجهة نظر هذا النحو وبيان ما يمكن ان يقدمه فيما يخص هذه الجمل من دون ان يهمل المقارنة ايضاً بين هذا المنهج والمناهج السابقة وما يترتب على ذلك من خلاف في النظر الى بعض قضايا الجملة العربية. أما المبحث الثاني (الجملة العربية وعلم لغة النص) فركز على ما يتعلق بالنص من مبادئ واسس تمثل بمجملها امتداداً وتطوراً لما قدمه النحو الوظيفي وان كان ذلك في اطار أوسع هو (النص) لهذا جاء هذا المبحث موجزاً الى حد ما لأنه مكمل للمبحث الذي سبقه. كما هو الحال في مبحث (علم العلامات) الذي يعد مكماً لما تضمنه مبحث (البنيوية).

وكما هو الحال مع الفصول السابقة ضم الفصل الرابع (الجملة العربية في ضوء علم الدلالة والحقل التداولي) مبحثين ايضاً. تناول المبحث الأول النظريات الدلالية التي كان لها صلة بالجملة وهذه النظريات هي: نظرية الإشارة ونظرية المرجعية ونظرية السياق ونظرية الفضاء الذهني. والأخيرة تعد من أحدث النظريات اللسانية. وركز المبحث الثاني على دراسة الجملة العربية في ضوء الحقل التداولي بعد ان تناول أهم ما يتعلق بهذا الحقل من أطر نظرية وما طرأ عليها من تطورات وتغييرات تتعلق بنظرية أحداث الكلام.

أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج وأبرزها التي توصل إليها هذا البحث.

وقد كان من أهم مصادر هذه الدراسة كتاب (علم اللغة العام) لفردينان دي سوسور، و(البنى النحوية)، و(جوانب من نظرية النحو) لتشومسكي، و(الاتجاهات الأساسية في علم اللغة)، و(اساسيات اللغة) لجاكوبسون، و(القضايا الأساسية في علم اللغة) لكلاوس هيشن، و(مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي) لبرجيت هارتشت. وكتب علم الدلالة مثل (علم الدلالة) ل(بالمير)، و(علم الدلالة) لأحمد مختار عمر، و(اللسانيات والدلالة) لمنذر عياشي، وكذلك (التداولية من أوستن الى غوفمان) لفيليب بلانشيه، و(نظرية الفعل الكلامي) لهشام عبد الله، و(التركيبات الوظيفية) و(الوظيفية بين الكلية والنمطية) لأحمد المتوكل. وغيرها من المصادر اللسانية. ولم يخل البحث من المصادر العربية القديمة التي لا يمكن ان يستغني عنها باحث يتناول موضوعاً من موضوعات العربية ولا سيما الكتب الأصول منها مثل (الكتاب) لسيبويه، و(المقتضب) للمبرد، و(الأصول) لابن السراج، و(شرح المفصل) لابن يعيش، و(مغني اللبيب) و(شرح شذور الذهب) لابن هشام، و(شرح ابن عقيل) لابن عقيل الهمداني و(المزهر) للسيوطي. فضلاً عن كتب المعاجم مثل (لسان العرب) لابن منظور، و(اساس البلاغة) للزمخشري. وكتب البلاغة مثل (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني، و(الطراز) للعلوي، و(الصناعتين) لأبي هلال العسكري. فضلاً عن كتب التفسير مثل (الكشاف) للزمخشري، و(إملاء ما من به الرحمن) للعكبري. وغير ذلك من المصادر العربية الأخرى.

وربما يسأل سائل عن الجديد في هذا البحث، وفيما أرى ان تناول (الجملة العربية) من منظور لساني يخرج عن النمط المألوف في دراستها المتمثل بدراسة أحوالها في التقديم والتأخير والذكر والحذف والأغراض البلاغية المرتبطة بها وما شابه ذلك من المسائل الأخرى يمثل بحد ذاته موضوعاً جديداً. فالنظرة اللسانية التي بني عليها هذا البحث هي نظرة شاملة. لا يمثل ما ذكر من الموضوعات السابقة إلا جزءاً يسيراً منها. وهي فضلاً عن ذلك لا تنطلق من اطار اللغة العربية لوحدها وإنما تتناول الجملة العربية في ضوء الإطار العام للغة الإنسانية. وتحاول ان تتحقق مما أثبتته النظريات اللسانية من خلال اللغة العربية التي يفترض ان تنطبق عليها هذه القواعد بوصفها قواعد عمومية تشمل جميع اللغات الإنسانية ومن ضمنها اللغة العربية. ومن جهة أخرى تحاول ان تفيد مما طرقت هذه النظريات من أبواب وما بحثته من مسائل جديدة تخص اللغة وما وصلت إليه من شواطئ بحث لم تصل إليها سفن الأقدمين التي ربما وجهت دفة بحثها نحو أراضٍ أخرى لأسباب مختلفة تتعلق بالهدف المقصود من هذه الدراسة أو تلك.

وإذا كانت بعض الموضوعات أو النظريات قد ألفت الحديث عنها في العقدين أو الثلاثة الأخيرة مثل البنيوية والتوليدية التحويلية والوظيفية فإن هذا البحث حاول ان يوازن بين هذه النظريات ويقارن بينها ويتلمس أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها ويبين أثر ذلك في دراسة الجملة العربية. وبعض فصول هذا البحث تتضمن موضوعات حديثة العهد مثل التداولية ونظرية الفضاء الذهني. والأخيرة لا نكاد نجد فيما يخصها مصدراً باللغة العربية يتناولها على نحو واضح مفصل ما عدا بعض الإشارات الموجزة إليها في بعض المصادر العربية الحديثة التي لم تتعرض لأسسها وكيفية تحليلها للجمال اللغوية وموقفها من المعنى الجملي. ومن هذه الدراسات (مدخل الى الدلالة الحديثة)،

و(نظريات لسانية عرفنية) التي لم تتضمن إلا صفتين أو ثلاثاً تحدثت عن نظرية الفضاء الذهني حديثاً عاماً لم يتجاوز الإطار الفلسفي لهذه النظرية من دون التطرق الى تفاصيل أخرى. لقد تتبع هذا البحث ما يخص الجملة من المنظور اللساني عبر نحو مئة وعشرين عاماً من البحث اللساني وهي مسألة تتطلب جهداً ومصادر متنوعة وفهماً دقيقاً لا يمكن ان يتحقق لباحث بسهولة. وحتى النظريات اللسانية التي تعود الى أبعد من ذلك التي لم يركز عليها هذا البحث بشكل مباشر مثل اللسانيات التاريخية والمقارنة لأن أغلب مباحثها تركزت حول الفونولوجيا والصرف لم تخل صفحات هذه الدراسة من التطرق إليها في مواضع كثيرة إذا وجد في مباحثها ما له صلة بالجملة ودراستها.

وكما قلت في البداية هدف الباحث هو ان يقدم رؤية جديدة للجملة العربية ويركز على جوانب جديدة في دراستها من خلال النظر من عيون لسانية متعددة _ان صح التعبير_ وليس من عين لسانية واحدة. ليتمكن رصد جوانب الاختلاف ومواطن النزاع بين هذه النظريات ومدى اختلاف كل واحدة منها عن الأخرى في نقطة البداية في الدرس اللغوي وطبيعة المنهج أو الطريقة المتبعة في التحليل ونوع التأثير الذي ارتبطت به أو سبب الاختلاف فيما بينها وما تشترك فيه هذه المناهج أيضاً فيما بينها من أسس وأطر عامة تمثل أرضية البحث اللساني. وتبقى خدمة اللغة وباحثيها ودعم الدرس العربي بما هو جديد ومفيد هي الغاية والقصد. وسواء اتفقنا مع هذه النظريات أو اختلفنا معها ان لم تُرنا مناهجها حقائق على صلة وثيقة باللغة العربية ومفيدة لدراستها فإنها تنفعنا بالتأكيد في التعرف على ما ليس له صلة باللغة العربية وان كان مثل ذلك مستبعداً من وجهة نظر الباحث لما سيأتي بيانه في صفحات هذه الدراسة.

وأخيراً اقول لم يدخر الباحث جهداً فيما يخص تدقيق الآراء وفهم تفاصيل النظريات وتحصيل مصادرها والعودة الى الكتب الاصلية ما امكن ذلك. لكن يبقى الكمال لله وحده ولعامل الزمن وضيق الوقت المحدد لهذه الدراسة فضلاً عن التزامات العمل والوظيفة ظلال القت بها على هذا البحث، ولو كان هناك متسع من الوقت لربما جاء على نحو افضل مما هو عليه وتضمن تفاصيل وموضوعات اضطررنا الى تجاوز بعضها أو الإشارة إليه إشارة موجزة، لكن كما قلت الكمال لله وحده وهو وحده الموفق والهادي الى سواء السبيل.

الباحث

التمهيد

**اللسانيات نشأتها وتطورها
وأثرها في دراسة الجملة العربية**

﴿ التمهيد ﴾

اللسانيات نشأتها وتطورها وأثرها في دراسة الجملة العربية

أولاً: تعريف اللسانيات

تعرف اللسانيات التي تسمى أيضاً (الألسنية) وأحياناً أخرى (علم اللغة) بأنها: "الدراسة العلمية للغة"^(١)، أو "الدراسة المنظمة للغة"^(٢) وقد تجمع بعض التعريفات بين الاثنين فتعرفها على أنها: "الدراسة العلمية أو المنظمة للغة"^(٣).

وليس هناك من فارق بين هذه التعريفات التي تجمع على أن الهدف الأساس من هذا العلم هو إقامة الدراسة اللغوية على أسس علمية موضوعية تنأى بها "عن الجهود الفردية والخواطر والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور"^(٤). واللسانيات أو الألسنية أو علم اللغة ما هي إلا ترجمة لمصطلح انكليزي واحد هو: (LINGUISTICS) وهو مؤلف من (LANGUAGE): لغة واللاحقة (ICS) التي تعني علماً أو دراسة.^(٥)

والتعريفات السابقة لهذا العلم الذي يعد علماً حديثاً نسبياً^(٦) هي مصداق للعبارة الانكليزية: "THE SYSTEMATIC STUDY OF LANGUAGE"^(٧).

والتعريفات المذكورة آنفاً التي أوردتها بعض المصادر العربية هي الأقرب والأدق، فهي انعكاس للتعريف الأجنبي الذي يمثل الببئة الحقيقية التي ولد في احضانها هذا العلم الغربي النشأة. الذي يحاول أن يصف اللغة من جوانبها جميعاً وأشكالها ويتناول النظريات التي تفسر كيفية عملها^(٨).

ومن الباحثين العرب من التمس تعريفاً آخر لهذا العلم كالدكتور رمضان عبد التواب الذي عرف هذا العلم بأنه: "العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة واساليبها المتعددة وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة"^(٩).

والمختار غازي طليمات الذي عرفه بأنه: "العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية غرضها الكشف عن خصائصها، وعن القوانين التي تسير عليها ظواهرها الصوتية

(١) مدخل الى اللسانيات ٩، وينظر اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٤٨ .

(٢) LINGUISTICS 11. وينظر: LINGUISTICS 37. LANGUAGE AND LINGUISTICS

(٣) شطايا لسانية ١٣٣ .

(٤) مدخل الى اللسانيات ٩ .

(٥) ينظر قاموس المورد ٥٣٢، وقاموس البيان ١٦٤ وتترجم هذه الكلمة أحياناً الى (علم اللغة) كما في المورد، وأحياناً أخرى إلى (اللسانيات) كما في البيان، وسياتي الحديث عن اسباب اختلاف ترجمة المصطلح.

(٦) ينظر شطايا لسانية ١٤٧ .

(٧) LINGUISTICS 11. وينظر: LINGUISTICS 37. LANGUAGE AND LINGUISTICS

(٨) ينظر: LINGUISTICS 11 .

(٩) المدخل الى علم اللغة (تواب) ٧ .

﴿ التمهيد ﴾

والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وتربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع وبالبيئة الجغرافية^(١).

وعرفه د. يحيى عبابنة ود. أمانة الزعبي بانه: "العلم الذي يدرس الظاهرة اللغوية في ابعادها الشكلية التركيبية وفي ابعادها الوظيفية"^(٢).

ود. نعمة رحيم العزاوي الذي عرفه انه: "العلم الذي يبحث في اللغة او يتخذها موضوعاً له ليصل من ذلك الى معرفة خصائصها والقوانين التي تنظم استعمالها، ومعرفة ما عرض لها من تطور عبر العصور في اصواتها ومفرداتها وتراكيبها ومعاني الفاظها، وبيان القوانين التي تقف وراء هذا التطور او تقود اليه"^(٣).

ومما يعيب هذه التعريفات _فضلاً عن الاطالة_ ان التعريفين الأولين يتدخلان على نحو لافت للنظر مع تعريف دراسة من نوع آخر هي (فقه اللغة)^(٤) التي عرفها د. رمضان عبد التواب نفسه بقوله: "العلم الذي يحاول الكشف عن اسرار اللغة والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة دراسة تاريخية من جانب، ووصفية من جانب آخر"^(٥). ولا يخفى ما بين التعريفين من تداخل كبير، كما يبدو تعريف د. رمضان ود. مختار مختار غازي وثقي الصلة بمظهر آخر من مظاهر اللغة هو (الكلام)، واذا كان كل من اللغة والكلام يعتمد على الآخر فان ذلك لا يمنع - كما يقول سوسور - "من كونهما شيئين متميزين تماماً"^(٦).

اما تعريف د. يحيى عبابنة ود. أمانة الزعبي فيتضمن بعضاً مما تعنى به اللسانيات، في حين يغلب على تعريف د. نعمة العزاوي الطابع التاريخي الذي يعد جزءاً مما تعنى به اللسانيات ايضاً؛ لهذا كان من الأولى الاكتفاء بتعريف هذا العلم بانه: (الدراسة العلمية للغة) وهو تعريف موجز يتضمن اهم اهدافه ولا يخص بالذكر بعضاً من جوانبه وموضوعاته على حساب الجوانب الأخرى، فضلاً عن مطابقته لما جاء في التعريفات الأجنبية التي تمثل البيأة الحقيقية التي ولد في احضانها هذا العلم^(٧).

(١) في علم اللغة (طليمات) ١٨.

(٢) علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ١١.

(٣) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٤.

(٤) سبقت دراسة (فقه اللغة) اللسانيات بقرون عديدة وفي تراثنا العربي يبدو ذلك واضحاً بمصنفات مثل (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، و(فقه اللغة وسر العربية) لابي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، وقد وجدت مدرسة لفقه اللغة في الاسكندرية منذ القدم، ويقصد بهذا المصطلح في اللغة الانكليزية التي يسمى فيها (PHILOLOGY) الدراسة التي بدأها (ولف) WOLF في عام ١٧٧٧ م وهو تاريخ يسبق ظهور اللسانيات ايضاً. ويذكر (سوسور) ان اصحاب هذه الدراسة كانوا ينظرون بارتياح كبير الى تقدم العلم الجديد (فقه اللغة المقارن) الذي بدأت به اللسانيات. ينظر علم اللغة العام ١٩ - ٢١.

(٥) فصول في فقه العربية ٩.

(٦) علم اللغة العام ٣٨.

(٧) LINGUISTICS 11.

﴿ التمهيد ﴾

ثانياً : نشأة اللسانيات وتطورها

قبل نشوء اللسانيات التي تعد المرحلة الثالثة من مراحل الدرس اللغوي في الغرب سبقت بمرحلتين:

الأولى: مرحلة الاهتمام بالقواعد وقوانين الصحة اللغوية التي بدأها الاغريق وهدفها وضع القواعد الصحيحة للغة ،وبداية هذه الدراسة هي القرن الخامس قبل الميلاد^(١).
الثانية: مرحلة فقه اللغة التي اطلقت على الحركة التي بدأها (ولف) WOLF في عام ١٧٧٧م واستمرت فيما بعد، وعنيت بتصحيح النصوص المكتوبة، وشرحها، والتعليق عليها، وشجعت اصحابها على الاهتمام بالتاريخ الأدبي وبالعبادات والتقاليد والنظم الاجتماعية وغيرها^(٢).

اما اللسانيات فقد بدأت بعد اكتشاف (وليام جونز) WILLIAM JONES (١٧٤٦_ ١٧٩٤م) القاضي الانكليزي في المحكمة العليا بالبنغال عام ١٧٨٦م التشابه بين اليونانية واللاتينية واللغة السنسكريتية واعلانه ان هذه اللغات تنتسب الى فصيلة واحدة هي فصيلة اللغات الهندوأوربية. وقد كان هذا الاكتشاف هو الأساس الذي انطلقت منه اللسانيات أو الدراسة الحديثة للغة، لتتسع بعد ذلك ميادين الدراسات اللغوية وتتعدد موضوعاتها^(٣).
ومنذ "مطلع القرن التاسع عشر الميلادي اخذت الدراسات اللغوية الغربية تخطو خطوات واسعة، فانجزت في سنين ما لم تنجزه في قرون. ولم يقتصر تقدم هذه الدراسات على شكل واحد من اشكال الثراء والعطاء، وهو غزارة الدراسات وتنوع الموضوعات، بل جاوز الغزارة في المدروس الى التعدد في المدارس، والكثرة في المقدار الى التجديد في المناهج"^(٤).
وكان اول الدراسات التي بدأتها اللسانيات هي تلك التي تعنى بـ"معرفة الصلة بين اللغات، وتطوراتها التاريخية"^(٥).

ويشير الدارسون "الى ان التصورات العلمية التي سادت في القرن التاسع عشر قد اثرت في مناهج اكثر لغويي ذلك العصر وفي نتائج دراستهم"^(٦) لذا عدوا هذا القرن "قرن النزعة التطورية والعلوم الطبيعية وهو فترة عظيمة من فترات (التاريخ للظواهر) المختلفة في الدراسات المختلفة.

(١) ينظر: علم اللغة العام ١٩، ومدخل إلى اللسانيات ٩. ويذكر د. محمد محمد يونس أنه " من الشائع في تاريخ البحث اللغوي أن الهنود والإغريق كانت لهم اهتمامات باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكثيراً ما يشير مؤرخو البحث اللغوي الغربيون إلى جهود الهنود والإغريق ولكنهم يغفلون جهود العرب والمسلمين في هذا المجال". مدخل إلى اللسانيات ٩.
(٢) ينظر: علم اللغة العام ١٩، ولا يغفل (سوسور) ذكر وجود مدرسة لفقه اللغة في الاسكندرية منذ القدم. لكنه يذكر ان مصطلح فقه اللغة أو الفيلولوجيا (PHILOLOGY) تطلق على الحركة التي أسسها (ولف) في العام المذكور كما تقدم.
(٣) ينظر: المدخل الى علم اللغة(تواب) ١٨١، ومناهج البحث اللغوي ٨٧، ومدخل الى اللسانيات ١٠، واللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٥٢، وفي علم اللغة(طليمات) ١٣٧ - ١٣٨، وشطابا لسانية ١٣٣. وقد سبق وليام جونز الى هذا الاكتشاف (توماس ستيفنسن) وهو انكليزي ايضا ، اذ لاحظ عام ١٦١٩م ان بنية اللغات الهندية الكثيرة ذات صلة باليونانية واللاتينية كما سبقه ايضا الأب الفرنسي (كوردو) الذي اعلن سنة ١٧٦٢م الصلة بين هذه اللغات لكن عمله لم ينشر الا بعد عشرين عاما. ينظر مناهج البحث اللغوي ٨٧.
(٤) في علم اللغة(طليمات) ١٠٧.

(٥) مدخل الى اللسانيات ١٠. ويرى (سوسور) ان ملاحظات (جونز) كانت يسيرة لم تدفع العلماء الى ادراك اهمية المقارنة الا ان البحث الذي نشره (بوب) بعد ذلك في عام ١٨١٦م واسماه (في النظام الصرفي للسنسكريتية) وقارن فيه اللغة السنسكريتية باللغة الالمانية والاغريقية واللاتينية جعل العلماء يدركون اهمية ذلك. ينظر علم اللغة العام ٢٠.
(٦) مناهج البحث اللغوي ١٤٩.

﴿ التمهيد ﴾

وكان لنظرية (دارون) وللعلم الطبيعي اثرهما في دراسة التغيرات اللغوية على وجه
وقد انعكست هذه الحركة اللغوية ايجابياً على اللغات الشرقية عموماً واللغة العربية على نحو
خاص بعد ان تكونت شيئاً فشيئاً "الحلقات الكثيرة لدراسة اللغات الشرقية، وساعدت كثيراً على
تنمية المقارنة بتلقيها العدد الكبير من لغات الشرق للطلبة".^(٢)

وبرز عدد من الباحثين الاجانب الذين كانوا على دراية واسعة باللغات الشرقية كاللغوي
الفرنسي سلفستر دي ساسي (١٧٤٦ - ١٧٩٤م) الذي كان ملماً باللغة العربية وقواعدها، وكان له
اثر كبير في عدد من الباحثين اللغويين من رواد المنهج المقارن امثال (بوب) الذي كان هو الآخر
على دراية جيدة باللغة العربية.^(٣)

وصدرت كتب على درجة عالية من الأهمية تناولت العربية الفصحى وتطورها ونظيراتها
السامية ولهجاتها العربية القديمة مثل كتاب (فيلولوجيا اللغات السامية) لبروكلمان، وكتاب (التطور
النحوي للغة العربية) لبرجستراسر الذي اتسم بالتحليل الدقيق لمظاهر التطور الحاصل في بنيتها
الصوتية والصرفية والاشتقاقية والتركييبية على نحو لم يوجد مثيله في المؤلفات العربية. ومن هذه
الكتب ايضاً (العربية الفصحى) لهنري فليش^(٤) ومؤلفات اخرى كان لها فضل كبير في جذب انتباه
الباحثين العرب لكثير من القضايا التي تخص العربية وأسهمت في تحفيز الدارسين على اعادة
النظر في كثير من قضاياها وموضوعاتها. وادت فيما بعد الى ظهور مؤلفات عربية رائدة كانت
على قدر كبير من الجدة والدقة وأسهمت على نحو فاعل في نهوض الدرس اللساني العربي وان
تأخر ذلك عن نظيره من الدراسات اللغوية الأجنبية.^(٥)

وقد مهدت تلك الدراسات التاريخية والمقارنة لظهور دراسة من نوع آخر جاءت على يد
اللغوي السويسري الاصل (فريدنان دي سوسور) الذي سجل نقطة تحول جديدة في الدراسة
اللغوية، فبدأ على يده عصر اللسانيات الوصفية البنوية ، وكان لكتابه (علم اللغة العام)^(٦) الذي
نشر مطلع القرن العشرين على يد تلامذته بعد وفاته اثر بالغ في تطور الدرس اللساني المعاصر
بعد ان انبثقت من افكاره وتصورات منهج لغوية جديدة^(٧)، وشهدت العقود الخمسة اللاحقة
التي تلت نشر هذا الكتاب "تقدماً نشطاً لم يسبق له مثيل وتنقيحاً اساسياً للعلم اللساني"^(٨)، لذا

(١) علم اللغة (السعران) ٢٧١ ، وينظر اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٩٤٥، ومناهج البحث اللغوي ١٥٠، وينظر:
ايضاً اصل الانواع ٥٧ وما بعدها.

(٢) اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ٩٢ - ٩٣.

(٣) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٩٢ - ٩٣.

(٤) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٩٢ - ٩٣.

(٥) بعد ان اصبحت هذه المؤلفات ومثيلاتها في متناول الدارسين العرب فضلاً عن كتاب سوسور (علم اللغة العام)
ظهرت بحوث ومؤلفات لسانية رائدة مثل: (في اللهجات العربية) و(من اسرار العربية) و(الأصوات اللغوية)
لابراهيم انيس، و(مناهج البحث في اللغة) و(اللغة العربية معناها ومبناها) لتمام حسان، ومؤلفات اخرى.

(٦) ما اثبتته هنا هو عنوان النسخة المترجمة التي اعتمدها، وحملت الترجمات الاخرى عناوين مغايرة بناءً على
اجتهاد مترجميها مثل (محاضرات في اللسانيات العامة) و(فصول في علم اللغة العام) و(فصل في اللسانيات العامة).

(٧) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٣٣.

(٨) الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٢٨.

﴿ التمهيد ﴾

عده كثير من الدارسين "رائد طرق البحث الحديثة في علم اللغة"^(١)، ويمثل تاريخ صدور كتاب سوسور في عام (١٩١٦م) نهاية المرحلة الاولى من الدراسات اللسانية وهي مرحلة اللسانيات التاريخية المقارنة، وبداية المرحلة الثانية: مرحلة الدراسات الوصفية البنوية التي امتدت الى عام ١٩٥٧م^(٢) وهو العام الذي اصدر فيه اللساني الامريكي المعاصر (نعوم تشومسكي) كتاب (البنى النحوية) ليبدأ به المرحلة الثالثة من مراحل الدراسة اللسانية وهي مرحلة اللسانيات التوليدية التحويلية.^(٣)

ولم تزل الدراسات اللسانية تتوالى وتتعدد فيها الآراء والمناهج والاتجاهات، وهي على اختلافها وتنوعها كان لها الفضل في تخليص الدراسات اللغوية "من الآراء الواهية والمواقف المتحيزة والخرافات"^(٤)، ولم يعد هناك مجال للحديث عن كثير من الاوهام، فلا لغة في العالم افضل لغوياً من لغة اخرى، ولغة كل مجتمع هي اللغة الامثل لتخاطبه. ولا مجال للحديث عن جمال لغة وقبح اخرى، او سهولة لغة وصعوبة اخرى، وانما يتحدد ذلك بمدى قربها او بعدها عن اللغة الأم. واصبح من الواضح اليوم ان كل لغة قادرة على تطوير نفسها والتكيف مع متطلبات مجتمعها على جميع المستويات والنواحي الحضارية والعلمية والتكنولوجية.^(٥)

^(١) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٠، وينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٣٢. ويذكر جاكيسون في كتابه (الاتجاهات الاساسية في علم اللغة) صفحة ٢٩ ان اغلب المفاهيم والمبادئ الرئيسة التي قدمها سوسور تعود الى معاصريه الأكبر سناً منه وهما: دي كورتتي، وكروسزفسكي بيد ان عدداً من المفاهيم قدمت في كتاب سوسور بطريقة واضحة جداً وموسعة، وثمة تشديد فعال على التكافل المتبادل بين النظام ومكوناته، وعلى الطبيعة النسبية التقابلية الخالصة لهذه المكونات، وعلى التناقضات الأساسية التي نواجهها عندما نتعامل مع اللغة. ويذكر ايضاً في صفحة ٣١ ان ثنائية سوسور الداخلية للغة والكلام تشبه التمييز الذي قدمه كورتيني في عام ١٨٧٠م، وفي صفحة ٣٣- ٣٤ يذكر ان سوسور قد تابع بوضوح (كروسزفسكي) في القول ان الاجراءات التوليدية للغة تتضمن نوعين من العلاقات: يعتمد الاول على الاختيار الذي وصفه بـ(الترابطي) او (البديهي) او (الاستبدالي) وينبني النوع الثاني على التأليف وسمي بـ(السياقي) او (الخطابي)، وقد دخل مصطلحا (الاستبدالي) و (السياقي) في التداول ولكن تفسيرهما خضع لتغييرات جوهرية.

^(٢) يعتقد بعض الدارسين ان تاريخ صدور كتاب سوسور ١٩١٦م يمثل البداية الحقيقية للسانيات. ينظر مثلاً: اللسانيات والبيداغوجيا ٣٢، والدلالة السياقية عند اللغويين ٣٣. وهذا مشابه لاعتقاد آخرين ان الحركة اللغوية الجديدة او ما نسميه اللسانيات بدأت في اوربا وامريكا منذ بداية القرن العشرين. ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ١٥٢. وما اثبتناه في المتن نجده الأقرب الى الصواب والدقة ولاسيما اذا اضفنا الى ما ذكرناه في الصفحات السابقة ان هناك جمعية لسانية تأسست في باريس منذ عام ١٨٦٦م كان من بنودها استبعاد كل ما لا يمت بصلة الى البحث العلمي الموضوعي الذي يمثل السمة الاساس للدراسات اللسانية، وهو تاريخ يسبق تاريخ صدور كتاب سوسور وبداية القرن العشرين بكثير. ينظر شطايا لسانية ١٠. ويبدو ان ما دفع هؤلاء الدارسين الى هذا الاعتقاد حرص سوسور في كتابه على تحديد الخطوط العريضة لعلم اللغة باكملة وبيان ما يدخل في هذا العلم وما يخرج عنه. ينظر: علم اللغة العام ٣٧.

^(٣) ينظر: شطايا لسانية ١٣٣.

^(٤) علم اللغة العام ٢٥، وينظر: المدخل الى علم اللغة (تواب) ١٨١.

^(٥) ينظر: شطايا لسانية ١٤٧- ١٤٨. ومن امثلة الانطباعات الذاتية التي رفضتها اللسانيات ما قرره ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه (الصاحبي) من افضلية اللغة العربية على ما سواها من اللغات، ينظر الصاحبي ١٦ وما بعده، وابن الاثير في كتابه (المثل السائر) ٢٠٦/١، وينظر فقه اللغة المقارن ١١.

﴿ التمهيد ﴾

كما رفضت اللسانيات "تقويم اللغات بموجب انظمتها الكتابية ووصفها صوتياً وصرفياً ونحوياً من خلال ادبياتها المكتوبة فقط".^(١) ف"الهدف الوحيد الذي يسوغ وجود الكتابة هو التعبير عن اللغة".^(٢) والكتابة ما هي "الا تمثيل للكلام، الكلام لحم اللغة ودمها، والكتابة رداء الترف الذي ترتديه اللغة لاستكمال متطلباتها الحضارية لا اللغوية".^(٣) وبهذا تخلص الدرس اللساني من وهم آخر وجد منذ اقدم الازمنة وانعكس على الآراء التي قيلت في موضوع اللغة.^(٤)

وتسعى اللسانيات اليوم الى ان تقترب "بعلم اللغة من العلوم التجريبية المتخصصة كعلم الحيوان وعلم النبات وعلم التشريح وعلم وظائف الاعضاء وعلم الفيزياء"^(٥)... الخ، لذا فانها تستعين بكل ما يمكن ان يساعدها على تحقيق هذه الغاية كالتناج التي توصلت اليها العلوم الأخرى والاكتشافات الحديثة على اختلافها وتنوعها وكذلك الأجهزة والمعدات التي أفرزتها عجلة التقدم العلمي والتكنولوجي.^(٦)

ومما يسعى اليه البحث اللغوي اللساني التوصل الى نتائج "يمكن التحقق منها تجريبياً، تقوم على نظرية لغوية عامة".^(٧) فالظاهرة اللغوية "تعرض في التخصص (علم اللغة) وفق مبادئ مؤسسة على نظرية العلم: نظرية علم اللغة".^(٨) وبهذا يتضح ان المراد بكلمة (علم) في مجال (علم اللغة) هو المفهوم العلمي الدقيق للكلمة وليس المفهوم العام الذي يعني الدراسة على نحو مطلق.^(٩) ومن هنا يتصل علم اللغة الحديث _ اللسانيات _ اتصالاً وثيقاً بالعلوم الأخرى فهو يأخذ منها في بعض الاحيان كما يقدم لها شيئاً من المعطيات، فالخطوط التي تحد هذه العلوم قد لا تكون دائماً واضحة متميزة".^(١٠) ومن ابرز هذه العلوم: الاجتماع والنفس وعلم الطبيعة وعلم وظائف الاعضاء والجغرافية، وعلوم أخرى أيضاً كالطب والحاسوب والرياضيات التي اصبحت تقاسم اللسانيات بعض مجالات الاهتمام وترفدها بما يساعدها على تحقيق الدقة العلمية.^(١١) ومع إفادة

(١) شظايا لسانية ١٤٨.

(٢) علم اللغة العام ٤٢.

(٣) شظايا لسانية ١٤٨.

(٤) ينظر علم اللغة العام ٤٢ - ٤٣.

(٥) ينظر: القضايا الأساسية منها في علم اللغة ١١٣-١٢٠، ومناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي ٣٧-٥٠، وفي علم اللغة (طليمات) ١٦-١٧.

(٦) ينظر: في علم اللغة ١٨-١٩.

(٧) المدخل الى علم اللغة (بونتنج) ١٤.

(٨) المدخل الى علم اللغة (بونتنج) ١٥.

(٩) ينظر في علم اللغة (طليمات) ١٦.

(١٠) علم اللغة العام ٢٤. وينظر علم اللغة المعاصر ١١، وقضايا ابيستمولوجية في اللسانيات ٢٩ - ٣٠. ويلاحظ على سبيل المثال ان تشديد تشومسكي على "دراسة الخصائص الشكلية والقدرة التوليدية لانواع متباينة من النحو هي فرع من فروع الرياضيات او المنطق بغض النظر عن علاقتها بوصف اللغات الطبيعية، وكانت الخطوة الثورية التي خطاها تشومسكي هي اعتماده على هذا الفرع من الرياضيات (نظرية العمليات الذاتية المحدودة ونظرية الدالة التكرارية) وتطبيقه على لغات طبيعية مثل اللغة الانكليزية، وليس على اللغات الاصطناعية التي وصفها المناطقة وعلماء الحاسوب". جومسكي ٨٢-٨٣. الا ان مقام به تشومسكي كما يقول جون لاينز "كان اكثر بكثير من مجرد اضطلاع وتبنيه نظاماً موجوداً لاضفاء المنهجية ومجموعة من النظريات التي اثبتها آخرون ليضعها تحت تصرف اللغويين، فقد اسهم اسهاماً مستقلاً واصيلاً في دراسة الانظمة الشكلية من وجهة نظر رياضية بحثة". جومسكي ٨٣.

(١١) ينظر اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٥٤ وما بعدها، وفي علم اللغة (طليمات) ٢١ - ٤٢، وشظايا لسانية ١٠٥ وما بعدها، ١١٣ وما بعدها.

﴿ التمهيد ﴾

البحث اللساني من معطيات العلوم الأخرى واستعانته بنتائجها فإنه علم مستقل بذاته، ينطلق من معطيات مادته، وليس من مبادئ لا تنسجم مع طبيعة اللغة، ولا يقيمها بناءً على مفاهيم لا تتفق معها.^(١)

وتستقي اللسانيات حقائقها من النظر في اللغات على اختلافها وتحاول ان تصل "الى فهم الحقائق والخصائص التي تلتقي عندها وتجتمع عليها اللغات الانسانية كلها"^(٢)، ولهذا اصبحت اليوم "هي الاكثر تقدمية من بين العلوم الاجتماعية، بسبب بنائها النظري، فضلاً عن دقة مهمتها، وعلاقتها المهمة بالفروع الأخرى".^(٣) ونسب لها بعض اللغويين المعروفين مثل بيرس_ "موقعاً" "موقعاً ممتازاً بين دراسات منجزات العقل ونتاجاته".^(٤)

ولأنه ليس بإمكان نظرية واحدة "ان تفسر جميع الظواهر اللغوية تفسيراً كاملاً، وتضع القواعد الكاملة، سواء تلك القواعد التي تتعلق بالتراكيب الصرفية والنحوية، او تلك التي تتعلق بالمفردات وبنظام المعاني او الدلالة"^(٥). ولأن الاغراض التي تدعو الى دراسة اللغات كثيرة ومتعددة ولكل غرض "منهج يكون الوسيلة المثلى لتحقيقه فلا يصلح غيره لان يحل محله او يكون بديلاً منه"^(٦). تعددت المناهج والاتجاهات وتعددت معها ايضاً وجوه النظر وطرق الدراسة، اذ كانت الظاهرة اللغوية تشبه في طبيعتها "المكعب لا يكفي لوصفه ان نسلط عليه الضوء من نور مصباح واحد يضيئ سطحاً واحداً من مساحاته وتختفي عندئذ اسطحه الأخرى"^(٧) وكان على الباحث اللغوي ان "لا يكتفي في دراسة لغة ما بان ينظر اليها في ضوء منهج معين، وانما يحسن به ان يحتاط لنفسه فيكون على ذكر من احكام المناهج والاتجاهات الأخرى"^(٨)، ولاسيما مع غزارة النتاج اللساني وتنوع موضوعاته والثورات التي شهدتها في النظر الى اللغة وطريقة دراستها.^(٩)

ومع كون "الوضع الابيستمولوجي لمختلف هذه النظريات اللسانية غير موجه نحو المتعلم"^(١٠) ولا يهدف اصاله الى خدمة اغراض تطبيقية كتعليم اللغات والترجمة، لم يكن يتوقع ان تعود اللسانيات بفائدة كبيرة في هذه المجالات ولاسيما مع تشكيك بعض اللسانيين أنفسهم بإمكانية الافادة من نظرياتهم في خدمة هذه الاغراض^(١١) الا ان الواقع يثبت العكس تماماً اذ

(١) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٧.

(٢) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ٢٠.

(٣) الاتجاهات الاساسية في علم اللغة ٤٥ - ٤٦.

(٤) الاتجاهات الاساسية في علم اللغة ٤٦.

(٥) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٦٣.

(٦) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ٧.

(٧) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٤٧.

(٨) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٤٧.

(٩) يكفي مثلاً على ذلك انه "بين شهر ابريل ونهاية عام ١٩٧٧م فقط عقد في العالم ثمانية وخمسون مؤتمراً لها علاقة باللغة، اي بمعدل يزيد عن سبعة مؤتمرات في الشهر الواحد، وامتدت رقعة الاماكن التي عقدت فيها بحيث شملت معظم انحاء العالم بدءاً من الولايات المتحدة وكندا ثم معظم اقطار اوربا غربها وشرقها، ومروراً ببعض بلدان الشرق الأوسط، حتى وصلت الى استراليا واليابان". اضواء على الدراسات اللغوية ٩.

(١٠) اللسانيات والبيداغوجيا ٢٠، وينظر: قضايا ابيستمولوجية في اللسانيات ٢٦ - ٣٠، و اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٥ وما بعدها.

(١١) من هؤلاء اللسانيين (تشومسكي) الذي شكك بإمكانية الافادة من النظرية التوليدية التحويلية في مجال تعليم اللغات. ينظر اللسانيات والبيداغوجيا ٣٨.

﴿ التمهيد ﴾

عادت هذه النظريات بفوائد جليلة استثمرت في مجال تعليم اللغات والترجمة^(١) وافادت كثير من الدول مما جاءت به هذه النظريات في مجال التعليم وسعت الى ادخالها في مناهجها الدراسية.^(٢)

ولا يمكن بحال من الاحوال حصر فوائد الدراسات اللسانية "فهناك فوائد تتعلق بدور علم اللغة في الدراسات الادبية، وفوائد تتعلق بصنع المعاجم ، واخرى تتعلق بتحسين النطق او الكلام وتقويم ما اعوج من اللفظ، كما ان هنالك ما يتعلق منها بالكلام المصطنع ARTIFICIAL SPEECH ومنها ما يتعلق بتحسين التفاهم بين البشر اجمالاً"^(٣)، الا ان الفائدة الكبرى للسانيات للسانيات تكمن في تجنبها كثيراً من الأخطاء المنهجية التي وقعت بها الدراسة التقليدية _مرحلة ما قبل اللسانيات_ ولاسيما الاهتمام ببعض جوانب اللغة دون غيرها، وقد اعادت اللسانيات النظر في كثير من مسائل اللغة ومباحثها من اجل تكوين نظرة لغوية اكثر دقة وانسجاماً مع الحقائق العلمية واهداف البحث العلمي.

ثالثاً : اللسانيات والدرس اللغوي العربي

لم تاخذ اللسانيات مكانها في الدرس اللغوي العربي بسهولة، ولم يبدأ الاهتمام بمناهجها ومباحثها ونظرياتها الا بعد ان قطعت شوطاً كبيراً في الغرب. اذ كان الاعتقاد السائد "ان مشكل المعطيات بالنسبة للغة العربية (القديمة والحديثة على حد سواء) قد حل في النحو التقليدي، وانه يكفي جرد امهات كتب النحو واللغة القديمة للاهتداء الى الضالة المنشودة".^(٤)

وادعى بعض اللغويين العرب ان اللغة العربية "لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات اخرى كثيرة ومن ثم لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات الغربية التي بنيت لوصف لغات اوروبية".^(٥)

وسجل اكثر من باحث عربي البداية المتعثرة للسانيات^(٦) قبل ان تتضافر عوامل عدة تساعد على انبعاثها وتطورها كارسال البعثات الى الجامعات الغربية، وكتابة الطلاب العرب اطروحات

(١) أتت البنوية ثماراً جيدة في مجال تعليم اللغات الأجنبية، الا ان فائدتها في مجال الترجمة الآلية جاءت مخيبة للآمال على العكس من نظرية القواعد التوليدية التحويلية التي تستطيع ان تعالج اللغات على نحو افضل بكثير من النظرية السابقة، فاخذ المهتمون بموضوع الكمبيوتر يعتمدون عليها لتغذية الكمبيوتر بقواعد اللغة ومفرداتها، والنتائج التي تم الحصول عليها من مراكز البحث والتجربة المختلفة مشجعة جداً. ينظر اضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٧، وفي علم اللغة التقابلي ٧ وما بعدها.

(٢) من الدول العربية القليلة التي كانت سباقة الى الاستفادة من نتائج اللسانيات ونظرياتها (المغرب) التي ادخلت مباحث هذا العلم الى مناهجها من التعليم الثانوي اذ خصصت حصة مستقلة للدرس اللغوي بمختلف ظواهره: الصوتية والتركيبية والبلاغية والعروضية والاسلوبية و التداولية. ويرى الدارسون المغاربة ان انفتاح مناهج اللغة العربية على المعرفة اللسانية سيساهم في اغناء وتطوير اللغة العربية عبر صياغة مبادئ وقواعد عديدة وتقريبها للتلميذ. ينظر اللسانيات والبيداغوجيا ٢٥ وكذلك ٩١ وما بعدها، وينظر ايضاً نظرية اللسانيات النسبية ٨١ - ٩٤.

(٣) اضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٦٩.

(٤) اللسانيات واللغة العربية ١ / ٥٣ - ٥٤ ، وينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٧.

(٥) اللسانيات واللغة العربية ١ / ٥٦.

﴿ التمهيد ﴾

ودراسات في جامعات غربية، وانشاء كراسي خاصة بهذا العلم في الجامعات العربية فضلاً عن تنامي حركة الترجمة العربية للمؤلفات الغربية المتعلقة بالألسنية العامة^(١) وبعد ان كشف الاطلاع على الجهود اللغوية الغربية آفاقاً جديدة في النظرة الى اللغة العربية وادرك كثير من الدارسين والباحثين العرب ان اللغة العربية "بصفتها (لغة) تنتمي الى مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركييبية والدلالية)، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات. وبصفتها (عربية) تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وانما توجد في بعض اللغات. وكونها (عربية) لا يعني انها تنفرد بخصائص لا توجد في اية لغة من اللغات، بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية الا ونجد لها مثيلاً في لغة او لغات اخرى، هندأوربية كانت او غير هندأوربية"^(٢) شهدت اقطار عربية عدة صحوة لغوية جديدة واصبحت بعض الدول العربية تحمل مشعل الريادة في هذا المجال مثل المغرب وتونس.^(٤)

ولم يبدأ الاهتمام فعلياً باللسانيات ومناهجها ونظرياتها المختلفة في الثقافة العربية الا في بداية السبعينيات من القرن العشرين بعد ان ضاعت ثلاث فرص كبرى للتعامل معها بايجابية هي: النهضة العربية الحديثة من القرن الثامن عشر الى مطلع القرن العشرين، وانشاء الجامعات العربية، واهتمام الباحثين المستشرقين المتزايد باللغة العربية ومنهم من استفادتهم الجامعات كالجامة المصرية لالقاء محاضرات في هذا العلم الحديث و بيان امكانية دراسة العربية بناء على سبله ومناهجه.^(٥)

فانحسرت نظرة الريبة عن هذا النوع من الدراسات بعد ان تاكد لكثير من الباحثين ان (اللسانيات) تحمل من السمات المميزة ما يجعلها "علماً متخصصاً او اقرب الى العلم المتخصص".^(٦) ولم تعد في نظر الكثيرين كما كانت في السابق "علماً كمالياً او ترفاً فكرياً".^(٧) الا انها بوصفها علماً حديثاً نسبياً في الوسط العربي كانت عرضة لكثير من الالخطاء فيما يتعلق

(١) من اهم المؤلفات التي تذكر في هذه المرحلة (الاصوات اللغوية) لإبراهيم انيس ١٩٤٧م، وكتابا تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) عام ١٩٥٥م، و(اللغة بين المعيارية والوصفية) عام ١٩٥٧م. اذ تعد هذه الكتب من المحاولات الرائدة في البحث اللساني. ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٤٣.

(٢) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٤٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ٥٦/١.

(٤) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٤٥، ونظرية اللسانيات النسبية ٨١ - ٩٤.

(٥) ينظر اللسانيات في الثقافة العربية ١٥٩ وما بعدها، ونظرية اللسانيات النسبية ٦٣ - ٩٤. وقد كانت هناك محاولات في عصر النهضة لم يكتب لها الاستمرار كما في دراسات الطهطاوي وجرجي زيدان. ينظر اللسانيات في الثقافة العربية ٢١ وما بعدها.

(٦) في علم اللغة (طليمات) ١٨، وينظر اهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ١ وما بعدها.

(٧) اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٤٤. ويبدو ان هذه النظرة الى اللسانيات كانت سبباً رئيساً في تأخر مواكبة الدراسات اللسانية وتتبع ما جد فيها في بعض الاقطار العربية كالعراق. فعلى سبيل المثال صدر كتاب د.نعمه رحيم الغزاوي (مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) في عام ٢٠٠١م، اي بعد ان تعددت وتشعبت النظريات والمناهج اللسانية الا ان هذا الكتاب على ما فيه من جهد واهمية ركز على مباحث لسانية عمر بعضها اكثر من قرن واكتفى باشارات موجزة لبعض النظريات الاحداث عهداً واهمل ذكر نظريات اخرى معروفة لها اهميتها الكبيرة في البحث اللساني المعاصر. ومثل هذا يقال في المناهج التعليمية للغة في الجامعات العراقية التي تكتفي بعرض اليسير والموجز من مباحث هذا العلم فيما يخص اللغتين العربية والانكليزية.

﴿ التمهيد ﴾

بمفهومها وكيفية تطبيق مناهجها. فقد استعمل كثير من الباحثين العرب مصطلح (اللسانيات) في سياق الدراسة اللغوية العامة من دون ان يفرق بين مرحلتين متميزتين: مرحلة النحو التقليدي : TRADITIONAL GRAMMAR، ومرحلة الدراسات اللسانية: LINGUISTICS التي تختلف جذرياً عن الدراسة الأولى في طبيعة اسسها ومناهجها وكيفية تناولها للغة. وجمع بعض الباحثين بين المفهومين خطأً كما في قولهم (اللسانيات التقليدية) التي تمثل عبارة متناقضة تماماً، وانطلاقاً من هذا المبدأ (التعميم) لم يجد بعض الباحثين العرب مشكلة في اطلاق لقب (اللساني) على اللغويين القدماء كقول بعضهم عن سيبويه مثلاً (امام اللسانيات العربية)، واستعمال التسمية نفسها في الإحالة على اعمال اللغويين العرب مثل ابي علي الفارسي وابن جني والجرجاني.^(١) ومن الباحثين من استعمل مصطلح (النظرية اللسانية) في دراسته للفكر اللغوي عند بعض علمائنا القدماء، مع كون مباحثه تمثل مجموعة من الافكار اللغوية المتفرقة التي لايمكن ان تجمع مع اهميتها تحت عنوان (نظرية).^(٢)

ولاشك في ان هذا يسبب الارباك ويبعدنا كثيراً عن تحري الدقة العلمية التي تمثل اهم اهداف اللسانيات والدراسة الحديثة للغة.

وعلى ما يبدو ان حادثة هذا العلم من جهة ، وعدم استعمال مصطلح (اللسانيات) بمفهومه الصحيح من جهة اخرى، هما سبب الخلط الذي وقع بين دراستين مختلفتين هما: اللسانيات (علم اللغة)، و(فقه اللغة). اذ اعتقد بعض الدارسين العرب ان المقصود بهذه المسميات هو علم واحد، ومنهم من رجح تسمية (فقه اللغة) على التسميات الاخرى لأنه الاسم الذي اطلقه العرب، ومنهم من ذهب الى ان كلا التسميتين تفي بالغرض والمقصود.^(٣)

والحق ان هذين العلمين يتميز احدهما عن الآخر وان وجدت بينهما نقاط مشتركة و"خدمات متبادلة" يقدمها كل منهما للآخر"^(٤)، ووجود بعض القواسم المشتركة بين الدراستين لا يعني بالضرورة التطابق المطلق بينهما "فمادة فقه اللغة وعلم اللسان واحدة هي الظاهرة اللغوية لكن المنهج بينهما مختلف بل متقابل، فكان لزاماً _وقد اتحدت المادة واقتربت المناهج_ ان تتباين المواضيع وتتخالف التصنيفات فيفترق المضمون المعرفي وتتنوع النتائج".^(٥) واهم الفروق بين الاثنتين ان فقه اللغة يخص بالدراسة لغة معينة من جوانب مختلفة ومستويات متعددة. في حين لا تعنى (اللسانيات) بخصوصية كل لغة، وهدفها هو اللغة في ذاتها ومن اجل

(١) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٥٣، ونظرية اللسانيات النسبية ٢٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: مثلاً كتاب (النظرية اللسانية عند ابن حزم الاندلسي): ٣٦ وما بعدها، ٤٧ وما بعدها، ٧٤ وما بعدها. ومن الكتب التي استعملت مصطلح اللسانيات ايضا ولم تخرج عن طابع الدراسة اللغوية القديمة كتاب (ابنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسات لسانية ولغوية) ينظر مثلاً: ١١١ وما بعدها، ١٢٦ وما بعدها، ٢٣٩ وما بعدها.

(٣) من هؤلاء الدارسين صبحي الصالح ومحمد المبارك، ينظر دراسات في فقه اللغة ١٩ - ٢٠، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ٣٤ وما بعدها. ويقابل مصطلح فقه اللغة في الانكليزية مصطلح (PHILOLOGY) الذي ظهر في القرن الثامن عشر، اما اللسانيات او علم اللغة فهي تقابل (LINGUISTICS) في الانكليزية وهي الدراسة التي ظهرت بعد اعلان وليام جونز عام ١٧٨٦م كما تقدم. ينظر: في علم اللغة ١٥.

(٤) ينظر: علم اللغة العام ٢٥.

(٥) الاسلوبية والاسلوب ٩. ومن الجدير بالذكر ان مصطلح (فقه اللغة) وان كان عربياً في الاصل وحملت هذا الاسم بعض المؤلفات العربية القديمة مثل (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس، و(فقه اللغة واسرار العربية) للثعالبي. الا انه لم يكن شاملاً لجميع الجوانب التي تدرس تحت هذا المسمى الآن بعد ان اصبح علماً واضحاً يدرس في الجامعات والمؤسسات العلمية. ينظر: فصول في فقه العربية ١٣.

﴿ التمهيد ﴾

ذاتها، لذا فهي تحاول ان تصل الى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع بين اللغات الانسانية كلها في اطار واحد.^(١) وثمة فرق كبير "بين دراسة لغات مفردة مثل الالمانية او الانكليزية او اليابانية أو العربية أو اللهجات في لغات مفردة أيضاً (علم اللهجات) وبين دراسة ظاهرة اللغة بوجه عام".^(٢)

وليس هذا الخلط بين هذين الدراستين المختلفتين وعدم اتضاح المقصود بالمصطلح بالامر الغريب مع دراسة جديدة تفرض نفسها في غير محيطها الاول، ولا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ان مثل هذا اللبس قد عانى منه الدرس اللغوي الغربي عندما شقت اللسانيات طريقها لأول مرة هناك في خضم الدراسات اللغوية السائدة، كما حدث في المانيا في القرن التاسع عشر، مما جعل اللغويين يحرصون على التفريق بينهما على نحو مما فعله ماريوباي و بونتنتج.^(٣)

وقد كان اللبس الذي وقع فيه غير واحد من الباحثين العرب، والخلط بين مفهومي (فقه اللغة) و(علم اللغة) سبباً في تفضيل كثير من الباحثين مصطلح (اللسانيات) على مصطلح (علم اللغة) وان كان الاول يبدو اقرب الى المصطلح الانكليزي LINGUISTICS^(٤) تجنباً لإشكال تداخل المفهومين لتقارب اسميهما. ومن هؤلاء الباحثين ريمون طحان وأنيس فريحة، وغيرهم في لبنان والجزائر وتونس والمغرب.^(٥) وقد اصبحت هذه التسمية اكثر تداولاً في السبعينيات ولا سيما بعد صدور (مجلة اللسانيات) في مدينة الجزائر، وتشبث كثير من الدارسين والمترجمين به، والإتفاق في الدورة الرابعة لللسانيات سنة ١٩٧٨م على استعمال مصطلح اللسانيات والتخلي عن غيره من المصطلحات التي قد تثير الغموض والالتباس.^(٦)

(١) ينظر: علم اللغة العام ٢٤-٢٥، المدخل الى علم اللغة (بونتنتج) ١٤، والمدخل الى علم اللغة (تواب) ٧ وما بعدها.

(٢) المدخل الى علم اللغة (بونتنتج) ١٤.

(٣) ينظر: اسس علم اللغة ٣٥، والمدخل الى علم اللغة (بونتنتج) ١٤.

(٤) لا يعني قولنا ان مصطلح (علم اللغة) يبدو اقرب الى المصطلح الانكليزي ان مصطلح (اللسانيات) اقل دقة، اذ تستعمل كلمة (اللسان) في العربية بمعنى اخرى غير (الجراحة) منها: اللغة، والرسالة، والثناء. واستعمال (اللسان) بمعنى (اللغة) في العربية كثير ومعروف في الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية. وقد وردت هذه الكلمة (اللسان) في القرآن الكريم (٢٤ مرة)، سبع مرات منها بمعنى اللغة هي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ - ابراهيم ٤/١٤، وقوله تعالى: ﴿وَاخْتَلَفُ الْأَلْسِنَةُ وَاللُّغَاتُ وَالْأَلْوَانُكُمْ﴾ - الروم ٢٢/٣٠، وقوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾ - النحل ١٦/١٠٣، وقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ - الشعراء ١٩٥/٢٦، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ - مريم ٩٧/١٩، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ - الدخان ٥٨/٤٤، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً﴾ - الأحقاف ١٢/٤٦. ومرتان بمعنى (الثناء) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾ - مريم ٥٠/١٩، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ - الشعراء ٨٤/٢٦، ووردت في الخمسة عشر موضعاً الباقية بمعنى (الجراحة) وذلك في الآيات: (آل عمران ٧٨/٣)، (النساء ٤٦/٤)، (المائدة ٧٨/٥)، (النحل ٦٢/١٦)، (النحل ١١٦/١٦)، (طه ٢٧/٢٠)، (النور ١٥/٢٤)، (النور ٢٤/٢٤)، (الشعراء ١٣/٢٦)، (القصص ٣٤/٢٨)، (الأحزاب ١٩/٣٣)، (الفتح ١١/٤٨)، (الممتحنة ٢/٦٠)، (القيامة ١٦/٧٥)، (البلد ٩/٩٠). و(اللسان) يذكر ويؤنث الا اذا استعمل بمعنى (اللغة) فإنه يكون مؤنثاً فقط. ينظر: ترتيب كتاب العين ١٦٣٥/٣، ولسان العرب ٤٠٢٩/٥ - ٤٠٣٠، وتفسير الكشاف ٥٤٥، ٥٨٤، ٦٤٩، ٧٧٠، ٨٢٨، ١٠٠٤، ١٠١٢، فضلاً عن مواضع تفسير الآيات الأخرى.

(٥) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٥٠ وما بعدها.

(٦) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٥١. وهذا ما اتبعناه في دراستنا هذه اذ أثّرنا مصطلح (اللسانيات) على (علم اللغة) والمصطلحات الأخرى للأسباب السابقة، الا اذا ورد المصطلح الآخر في نص ننقله عن احد الباحثين او نطلب السياق ذكره لمزيد من التوضيح والبيان.

﴿ التمهيد ﴾

الا ان هذا لم يمنع عددا غير قليل من الباحثين والدارسين من الاستمرار في اطلاق تسمية (علم اللغة)، وحتى (فقه اللغة) في بعض الاحيان على هذا العلم ولاسيما في مصر وسوريا والعراق دون مراعاة للعواقب النظرية والمنهجية المترتبة على ذلك.^(١)

وثمة مشكلة اخرى يواجهها الدرس اللساني العربي المعاصر تتمثل بتجاوز الهدف الذي من اجله بدأ الاهتمام باللسانيات وهو "معالجة قضايا اللغة وكنوز التراث بعقلية جديدة".^(٢) اذ حول بعض الدارسين العرب النظريات اللسانية الى تطبيقات آلية متناسياً "ان توظيف النماذج اللسانية القائمة في دراسة اللغة العربية حين ينظر اليها من زاوية العربية نفسها لايمكن ان يكون الا ذا طبيعة استكشافية، خلافاً لما ظهر في ادبيات كثيرة من تطبيقات تكاد تكون مدرسية او ميكانيكية، بل فاقدة الكفاية من وجهة النظر اللسانية".^(٣)

وان الفرق بين الدراسات القديمة وما يقابلها من دراسات حديثة هو فرق في المدخل، وفي اسلوب معالجة اللغة والغرض منها ليس مجرد معرفة امكان تطبيق هذه النظرية او تلك على اللغة العربية، بل ما يمكن ان تضيفه هذه النظريات والمناهج الى دراسة اللغة العربية وما يمكن ان تسهم به في فتح آفاق جديدة في الدراسة اللغوية وفي تجاوز الأخطاء والهناك التي وقعت بها الدراسة القديمة نتيجة تركيزها على جانب معين وعدم شمولها الجوانب الأخرى.^(٤)

ومهما يكن امر هذه الثغرات والأخطاء فان الفوائد التي حفلت بها اللغة العربية وجنت ثمارها من (اللسانيات) ودراساتها كثيرة ومتنوعة، أسهمت في تسليط الضوء على جوانبها المختلفة، وفي تعديل بعض المفاهيم الخاصة بها وتصحيح أخرى. فقد ادى تطبيق المناهج اللسانية على اللغة العربية الى الكشف عن حقائق ذات قيمة كبيرة كمعرفة اصول بعض الكلمات وكيفية انتقالها من لغة سامية الى أخرى وكيفية دخولها إلى العربية، ومدى الفائدة التي يمكن ان تعود بها مقارنة اللغات على دراسة اللغة^(٥) وادت الى اعادة النظر في كثير من الآراء والمعتقدات اللغوية السائدة، وأسهمت في الوصول الى آراء جديدة اكثر علمية ودقة من بعض الآراء القديمة.^(٦) وسعى الباحثون

(١) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ١٥١. ويرى المؤلف ان ثمة عوامل تؤثر في تعدد مصطلحات هذا العلم من اهمها: الاعتماد على التراث اللغوي القديم المليئ بالمصطلحات، ونقل الدرس اللساني العربي المعاصر عن مصادر غربية مختلفة. ينظر ١٥١ - ١٥٢.

(٢) في علم اللغة العام ١٣، وينظر مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٨.

(٣) تركيب الصفات في اللغة العربية ٩.

(٤) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٤٧، وفي علم اللغة (طلبيات) ١٧ - ١٨، وتركيب الصفات في اللغة العربية ٩.

(٥) من طبق الدراسات المقارنة على العربية هم في الغالب من الغربيين انفسهم امثال بروكلمان وبرجشتراسر وغيرهم من الذين قدموا دراسات في غاية الدقة والمنهجية لم يقدم الدارسون العرب نظيراً لها او قريباً منها الا بعد حقبة زمنية طويلة وهي مع تاخرها لم تصل الى مستوى بعض الدراسات التي قدمها الغربيون مثل كتاب برجشتراسر (التطور النحوي للغة العربية). ينظر اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ٩٢ - ٩٣، واهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ٣.

(٦) من هذه الامثلة انتقاد برجشتراسر لما اورده الزمخشري في باب ابدال بعض الحروف وذكر فيه ان همزة (ماء) و(أمواء) ابدلت من الهاء بدليل وجودها في (مياه) جمع (ماء). لان استعراض اللغات السامية الأخرى يثبت ان الصورة الاصلية لكلمة (ماء) كانت (mai) او قريبة منها وان الهاء في (مياه) وما مثلها من الجموع زائدة. كما انتقد راي الزمخشري المتعلق باصل بعض الحروف في الكلمات العربية مثل (الميم) في (فم) و(التاء) في (أخت) وغيرها وارجع خطأ الزمخشري وغيره من اللغويين الى عدم معرفتهم باللغات السامية الأخرى الشائعة في زمانهم. ينظر التطور النحوي ٣٢ - ٣٣. واللسانيات في الثقافة العربية ١٠١.

﴿ التمهيد ﴾

الباحثون العرب الى الافادة من النقد الذي وجهته اللسانيات للنحو التقليدي الغربي^(١) للكشف عن الاخطاء المماثلة لها في النحو العربي ومحاولة التخلص منها بعد ان اعترف الباحثون بوجود كثير من الاخطاء المنهجية وذهب بعضهم مثل د. عبدة الراجحي الى ان تسمية النحو التقليدي (TRADITIONAL GRAMMAR) تصدق على النحو العربي ايضاً لأنه "يتميز بما تتميز به الأنحاء التقليدية في كثير من اللغات".^(٢) وسعى الباحثون من خلال اللسانيات إلى تخليص الدرس اللغوي العربي مما علق به من سلبيات وإقامته على أسس علمية صحيحة من اهم سماتها عدم دراسة اللغة "بالارتباط مع امور اخرى، ومن وجهات نظر العلوم الاخرى".^(٣)

وماتزال اللسانيات وبحوثها المتشعبة الآخذة بالنمو والتطور على نحوٍ يثير الدهشة تمد الدرس اللغوي العربي بما يزيده غنىً ويعزز من امكاناته في دراسة اللغة وفحص جوانبها المتعددة على نحو اكثر شمولية ودقة. ولا غنى لاي باحث لغوي عربي في عصرنا الحاضر عن الإطلاع على اهم نظرياتها ومناهجها، ان لم يكن ذلك اعترافاً باهميتها، وتجنباً للقصور المترتب على إهمالها فلإستئناس بما قدمته من نتائج بالغة الأهمية في مجال دراسة اللغة البشرية ايأ كان نوعها او صنفها.

رابعاً : اللسانيات ودراسة الجملة العربية

بعد ظهور اللسانيات استحوذ على اهتمام اللغويين قضايا ومستجدات كثيرة تخص اللغة لم تحظ باهتمام السابقين، واختلفت وجهات نظر اللسانيين في بعض القضايا اللغوية عن وجهة نظر من سبقهم من الدارسين.

وقد انعكس ما جاءت به اللسانيات من نظريات ومناهج على الدرس اللغوي العربي بشكل عام، وعلى دراسة الجملة العربية على نحوٍ خاص، بعد ان اخذ الدارسون العرب بالمقارنة بين ما جاءت به اللسانيات وما هو موجود في كتب التراث ومؤلفات القدماء ولاسيما مع وجود جذور وملاحم لكثير مما جاءت به اللسانيات في تراثنا اللغوي القديم ومؤلفات بعض كبار اللغويين العرب مثل ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٤٧ هـ) وغيرهم من علماء التراث، وان لم ترق دراستهم الى مستوى النظرية اللغوية الشاملة على غرار النظريات اللسانية.^(٤)

(١) من هذه الانتقادات التي وجهت الى النحو التقليدي الغربي انه بني على قواعد ارسطو المنطقية والاعتقاد الخاطئ بعموميته وصدقها على جميع اللغات، وانه يهتم بما يجب ان تكون عليه اللغة وليس بما هي عليه فعلياً، كما انه نحو قواعد معياري هدفه الاول وضع قواعد تميز الصواب من الخطأ وهو مجال محدود ضيق يبتعد عن الملاحظة الصحيحة للحقائق. ينظر علم اللغة العام ١٩، واضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٩٧، والنحو العربي والدرس الحديث ٤٥.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث ١٦٠.

(٣) علم اللغة العام ٣٥.

(٤) لا يعني قولنا هذا اي انتقاص من اللغويين العرب القدماء فمن الطبيعي ان تختلف وجهات نظرهم عن آراء اللسانيين لاختلاف البيئة الحضارية واختلاف دوافع كل دراسة واهدافها وفي هذا الاختلاف غنى للدراسة اللغوية عموماً على اختلاف منطلقاتها واهدافها.

﴿ التمهيد ﴾

وكان من اهم ثمار اللسانيات ومناهجها في الدرس اللغوي العربي ما حظيت به الجملة العربية من عناية وتركيز لم تعهده سابقاً، لما غلب على النحو العربي من العناية بالابواب النحوية على حساب الجملة، فيما عدا دراسة ابن هشام (ت ٧٦١هـ) للجملة في كتابه (مغني اللبيب) التي لم تشفع بدراسة اخرى تقترب منها بالأهمية او تتناولها بنقدٍ او إضافة.^(١) وظلت الحال على ما هي عليه في العصور اللاحقة ولاسيما في عصر النهضة العربية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، اذ لم تخرج أعمال الكتاب والمؤلفين في العربية عما هو مألوف الا نادراً. وبقيت الجملة تتال قسطاً ضئيلاً من البحوث بعد ان اصبح الاهتمام بالحواسي وشرحها والتعليق عليها هو محور الدراسات، واصبحت مباحثها ذات منزلة اقل من مباحث المعجم والتعريب.^(٢)

اما اللسانيات فقد ركزت في دراستها للغات على عنصر (النظام)، الذي لولاه لم يكن بالإمكان الإفادة من ملكة اللسان وعرفت اللغة على انها "نظام من الإشارات SYSTEM OF SIGNS التي تعبر عن الأفكار"^(٣) ولما كان التعبير عن الأفكار يتم عن طريق (الجملة) وليس عن طريق (الكلمات) عدت اللسانيات الجملة (وحدة اللغة الأساس) واولت اهتماماً كبيراً لجزء القواعد الذي يعنى بضبطها بشكلٍ خاص وهو النحو.^(٤)

ولان القوانين القواعدية في اية لغة قابلة للعد والحصر شأنها شأن مفردات اللغة على العكس من الجمل التي لا يمكن ان يضمها رقم^(٥) اصبح (النظام النحوي) الذي تقوم عليه الجملة يعد "قلب الأنظمة اللغوية جميعاً وواسطة العقد بينها"^(٦)، فالنظام النحوي هو الذي يصل بين الأصوات والمعاني، و(النظام الصرفي) الذي يبحث في أمور اخرى مثل كيفية انتظام الأصوات المفردة للتعبير عن المعاني المفردة يعد احدى الوسائل التي يستعملها النظام النحوي.^(٧) ويتم عن طريقها تكوين عدد لا متناه من الجمل تمتلئ بها الكتب وتخرج من افواه المتكلمين.^(٨)

هذه العناية المميزة للسانيات بالجملة جذبت انتباه الدارسين العرب فدعا غير واحد من اللغويين العرب البارزين الى زيادة الاهتمام بالجملة وجعلها نقطة البداية في الدرس اللغوي، ليكون النحو العربي نحو جملة بدلاً من كونه نحواً قائماً على الابواب النحوية.^(٩) كما افاد الدارسون العرب من النقد الذي وجهته اللسانيات الى الدراسة التقليدية للجملة في اوربا لكونها بنيت على اسس منطقية

(١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦، والعلامة الإعرابية ١٧ وما بعدها .

(٢) ينظر اللسانيات في الثقافة العربية ١٨ .

(٣) علم اللغة العام ٣٤ .

(٤) ينظر شظايا لسانية ٥١ .

(٥) ينظر: شظايا لسانية ٥١ .

(٦) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٨٥ .

(٧) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٨٥ .

(٨) ينظر وصف اللغة العربية دلاليات ٤٠ .

(٩) من ابرز هؤلاء الدارسين د.تمام حسان ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦ - ١٩ . فضلا عن غيره من الدارسين مثل محمد يونس، ومحمد حماسة وآخرين .

﴿ التمهيد ﴾

معيارية وليس على اسس لغوية، فنبهوا الى كثير من العيوب المماثلة في النظرة اللغوية للجملة العربية.^(١) ولأول مرة منذ قرون طويلة لم يكتف الدرس العربي بالشرح والتعليق على المتون، وتجاوز ذلك الى اعادة النظر ومحاولة طرح اسس جديدة في التفكير اللغوي عموماً والجملة على وجه الخصوص. فلم يقتنع كثير من اللغويين العرب ممن تأثروا باللسانيات ومناهجها بكثير مما ذكره القدماء حول مفهوم الجملة وانماطها والموضوعات الاخرى المتعلقة بها، فضلاً عن مناقشتهم لمسائل جديدة متعلقة بها لم تكن تشغل بال اللغويين السابقين او تحظى باهتمامهم.

الا ان اولى المحاولات المجددة فيما يتعلق بالجملة العربية قد جاءت على يد اللسانيين الغربيين ايضاً، متمثلة بما كتبه لغويون بارزون عرفوا باطلاعهم على اللغة العربية واخواتها السامية مثل فندريس وبرجشتراسر الذين حاولوا قبل نظرائهم العرب الإفادة من مستجدات البحث اللغوي في تحديد مفهوم الجملة واقسامها على نحو اكثر اقناعاً - من وجهة نظرهم - مما قام به القدماء واقرب الى ظاهر اللغة.^(٢) وقد سبقت محاولات هؤلاء اللسانيين الغربيين الرامية الى اعادة النظر في دراسة الجملة العربية محاولة كثير من الدارسين العرب مثل د. مهدي المخزومي، ود. عبد الرحمن ايوب، و د. محمد حماسة وغيرهم، وكانت مقدمة لظهور دراسات عربية جيدة على قدر كبير من الاهمية ولاسيما فيما يخص الجملة.^(٣)

وايا يكن الامر فقد كان للسانيات الفضل في اطلاع الباحثين اللغويين العرب على اللغات الاخرى ونتائج دارسيها، وساعدتهم على التعرف على بنية تلك اللغات وانظمتها، والإفادة من ذلك في دراسة العربية. كما وجهت انظار اللغويين العرب الى قضايا لم تكن تنال القسط الذي تستحق من العناية مثل (الجملة)، كما أسهمت في الكشف عن قضايا جديدة، وسلطت الضوء على مسائل لم تكن تشغل بال اللغويين من قبل. كما كان للسانيات الفضل الكبير في اعادة كثير من الموضوعات اللغوية التي عدت من قبيل المسلمات والمفروغ منه الى طاولة البحث والمناقشة من جديد. فاعيد النظر بكثير من القضايا المتعلقة بالنحو العربي والجملة واللغة العربية بشكل عام. وتعددت فيها آراء الباحثين والدارسين على اختلاف اصنافهم وتوجهاتهم^(٤)، ورأى غير واحد من الباحثين ان اللسانيات خير معين في اصلاح النحو العربي وتيسيره، اذ لم تخرج محاولات اللغويين من غير اللسانيين عن طابع (الابواب) واتسمت بعدم الشمول الذي يعد شرطاً لا بد منه من اجل الحصول على نتائج مثمرة.^(٥)

(١) في النحو العربي بنيت مسائل كثيرة على علل منطقية وهذا يجعل النقد الذي وجهته اللسانيات للنحو التقليدي الأوربي يصدق على العربية ايضاً كما تقدم، الا انه من الجدير بالذكر ان بداية النحو العربي متمثلة باعمال الخليل وسيبويه وغيرهم من النحاة المبنية على السفر الى البوادي ومشاهدة الاعراب كانت اقرب الى المنهج الوصفي، قبل ان يطغى على النحو العربي العناية بالعلل على نحو مما نجده في (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي (ت ٣٣٩هـ)، و(العلل في النحو) لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ)، ينظر اللغة بين المعيارية والوصفية ٣٧، والنحو العربي والدرس الحديث ٤٥، واهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر: اللغة ١٦٣- ١٨١، والتطور النحوي للغة العربية ٨١ وما بعدها.

(٣) ينظر: العلامة الاعرابية ٥٢ وما بعدها، واهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ٥.

(٤) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ١٨، ٣٠.

(٥) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ١٢٧.

﴿ التمهيد ﴾

وبعد ان ركزت اللسانيات على نحو الجملة في اغلب دراساتها ونظرياتها ، تحاول اليوم ان تولي اهتماماً مماثلاً لقضايا اخرى على صلة بالجملة مثل "معنى الجملة وكيفية الوصول اليه، وعلاقة المعنى العام للجملة بمعاني مفرداتها ، وتحليل معنى الجملة عبر معياري الصحة المنطقية والتقبل الاجتماعي وغيرهما".^(١)

وايا كان ما تقوم به اللسانيات وما تقدمه من فائدة للدرس اللغوي العربي على جميع مستوياته لا يمكننا ان نعد "اللسانيات بديلاً للنحو، واصالة النحو العربي ليست رهينة باللسانيات"^(٢) وان اهمية اللسانيات تكمن في كونها "تفتح آفاقاً جديدة للغة العربية ولنحوها من خلال وسائل نظرية ومنهجية افضل وتقنيات ادق ذات مردودية".^(٣) وهذا هو السبب الرئيس الذي يكمن وراء اهتمام الباحثين بنظرياتها ومناهجها وما ادت اليه من نتائج على صعيد الدراسة اللغوية.

(١) شظايا لسانية ٢٧.

(٢) اللسانيات في الثقافة العربية ١٧٠.

(٣) اللسانيات في الثقافة العربية ١٧٠، وينظر أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ١، ونظريات البحث اللغوي الحديث ١ وما بعدها.

الفصل الأول

الجملة العربية في ضوء الدراسات البنيوية وعلم العلامات

❖ المبحث الأول : الجملة العربية والدراسات البنيوية

(STRUCTURALISM)

❖ المبحث الثاني : الجملة العربية وعلم العلامات (الإشارات)

(SEMIOTICS OR SEMIOLOGY)

الفصل الأول

الجملة العربية في ضوء الدراسات البنيوية وعلم العلامات

تعددت النظريات اللسانية وتباينت واختلفت وسائلها وأهدافها وتوجهاتها بسبب اختلاف "إتجاهات العلماء ورؤيتهم التحليلية للغة، فالباحث يختار المنهج الذي يراه ملائماً لتحقيق أهدافه من تحليل اللغة"^(١). وهذا بدوره إنعكاس لطبيعة اللغة نفسها التي تحتوي "على جوانب شديدة التعقيد تتطلب أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك شفراتها وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ولا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة وصفاتها أو يفسر ظواهرها تفسيراً واضحاً"^(٢).

وتعدد المدارس اللسانية وإختلاف إتجاهاتها لا ترسمه خلافات اللسانيين في القضايا اللغوية بقدر ما تحكمه "أصول فلسفية ذات طبيعة انطولوجية إبستمولوجية. ومن ذلك إختيار اللساني حدود نطاق علمية اللسانيات، ونظرته إلى طبيعة العلم، وتحديد نوع المادة اللغوية، والوسائل والطرائق التي تجمع بها المادة، والمناهج التي تحلل بها وتحديد القدر الكافي في دراسته الظاهرة اللغوية"^(٣).

فهل على الباحث اللساني أن يقف "عند الوصف، أم يتعداه ليغوص في أعماق التفسير، وإلى أي مدى يحق له أن يتسع في تجريده لتوصيفاته وتفسيراته؟ وما المحظورات التي ينبغي أن يتجنبها في عملية التجريد؟"^(٤).

ويمكن القول "ان الإجابة عن هذه الأسئلة ونحوها، وظهور عوامل تاريخية معينة هي التي رسمت أهم ملامح المدارس اللسانية في القرن العشرين، وقد أدى إختلاف الإجابات عنها إلى وجود ما لا يقل عن خمسة مدارس متميزة أصولياً"^(٥).

ومع وجود هذه الاختلافات والتباينات يبقى "تحليل البنى اللسانية هو القاسم المشترك بين التيارات العلمية المعاصرة كلها"^(٦). ويجمعها أيضاً البحث عن القوانين اللغوية العامة. والمراد بتلك القوانين القوانين العامة التي تكون فعالة ليس في لحظة واحدة منفردة في تطور لغة من اللغات بل على العكس تكون كذلك على مر الزمان كله، فهي لا تقتصر على لغة معينة، وإنما تنطبق على

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٣.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٢.

(٣) مدخل إلى اللسانيات ١٠٤، وينظر قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ٢١-٣٠. واللسانيات في الثقافة العربية ١٤٢. وستبدو هذه المسألة واضحة من خلال ما سنتناوله في هذا الفصل من هذه المدارس والنظريات.

(٤) مدخل إلى اللسانيات ١٠٤-١٠٥، وينظر اللسانيات في الثقافة العربية ١٤٢.

(٥) مدخل إلى اللسانيات ١٠٥، وهذه المدارس هي: التاريخية، البنيوية، الوظيفية، التوليدية، التخاطبية (التداولية). ينظر ١٠٥.

(٦) الإتجاهات الأساسية في علم اللغة ٢٧، وينظر أيضاً ١٦-١٧. ويذكر جاكبسون الذي ألف هذا الكتاب في سبعينيات القرن الماضي أن سمة المثابرة هذه أصبحت تميز البحث اللساني خلال العقود الأربعة أو الخمسة الأخيرة عن الطرائق والأهداف الأساسية للحقبة المبكرة. ينظر ٢٧.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اللغات كلها بشكل متساوٍ. ومن الواضح أن هذه القوانين لن تكون قوانين فلسفية ولا قوانين نفسية بل قوانين لسانية^(١).

وقد قدمت هذه المدارس أفكاراً جديدة ومناهج موضوعية فيما يخص دراسة اللغة بشكل عام، لم تقتصر على أصحابها ومؤسسيها الأوائل وإنما طورها وأضاف لها من جاء بعدهم من الباحثين والدارسين. وكان لمعظمها موقف واضح من الجملة وطريقة دراستها وأهميتها في التحليل اللغوي. وقد انعكس كل ذلك على الباحثين العرب فيما يخص دراسة اللغة بشكل عام والجملة على وجه الخصوص وبدا أثرها واضحاً في مؤلفاتهم وطريقة تناولهم لموضوعاتهم. وسنعنى في هذا الفصل والفصول اللاحقة بعرض هذه النظريات مركزين على ما يخص الجملة بالذات وموقف الدارسين العرب منه ومدى تأثيرهم به.

المبحث الأول : الجملة العربية والدراسات البنوية (STRUCTURALISM)

أولاً: سوسور والبنوية الأوروبية:

البنوية (STRUCTURALISM) هي نسبة إلى كلمة (بنية) التي هي ترجمة للكلمة الانكليزية (STRUCTURE) المأخوذة من الكلمة اللاتينية: STRUERE التي تعني بناء^(٢). والمفهوم الأساس في (البنوية) الذي هو (البنية) ولد مع تعريف فردينان دي سوسور للسان، في محاضراته بجامعة جنيف (١٩٠٦-١٩١١م) التي جمعها طلابه بعد وفاته سنة ١٩١٣ في كتابه المشهور (محاضرات في علم اللغة) وأصدره عام ١٩١٦ بالفرنسية. ثم ترجم بعد ذلك إلى الانكليزية في عام ١٩٥٩^(٣).

و(سوسور) هو رائد المنهج الوصفي البنوي ويرتبط اسمه بها ارتباطاً فرع بالأصل. بعد ان نشأت البنوية من دعوته المشهورة إلى التمييز بين الدراسات التعاقبية والدراسات التزامنية، وتشديده على مفهوم البنية والنظام في اللغة^(٤). وتأكيده "ان كل لسان ينبغي ان يتم تصويره ووصفه على انه نظام من العناصر المترابطة، على المستويات الدلالية والنحوية والصوتية، لا على أنه تراكم من كيانات قائمة بذاتها"^(٥).

والعلاقة بين الظواهر من وجهة نظر البنوية "أهم من الظواهر نفسها، والأنظمة التي تكونها هذه العلاقات هي مادة الدراسة"^(٦). والمبدأ الأول لها هو "أن طبيعة كل عنصر في أية حالة لا

(١) ينظر، الإتجاهات الأساسية في علم اللغة ٤٠.

(٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٦٥.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٢٠، ومناهج علم اللغة من هرمان بول حتى ناعوم تشومسكي ٩٥ وما بعدها، والشعرية البنوية ٢٣. ومدخل إلى اللسانيات ٦٥، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٥.

(٤) ينظر: علم اللغة العام ٩، ومدخل إلى اللسانيات ٦٥، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٥.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٨٤. وينظر علم اللغة العام ٢٦-٢٧.

(٦) شطايا لسانية ٧٧. وينظر الشعرية البنوية ٢٣.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

أهمية لها بحد ذاتها، بل إنها تحدد علائقها بالعناصر الأخرى الموجودة في تلك الحالة. لهذا فالأهمية الكلية لأي كيان أو أية خبرة لا يمكن ادراكها ما لم يتكامل هذا الكيان ضمن البنية التي يكون جزءاً منها"^(١).

وهدف البنيوية هو البنية اللغوية وتحليلها^(٢). وعلى هذا المدخل البنيوي الذي اختطه (سوسور) "يقوم صرح علم اللغة المعاصر بأسره"^(٣).

وقد عدت البنيوية "ردة فعل لجميع الدراسات السابقة التي تسمى بالدراسات التقليدية"^(٤). ويقوم تحليلها اللغوي على عد الوحدة الصوتية "أصغر وحدة لغوية، ومنها انطلقت إلى الكلمات التي تتألف من تلك الأصوات، ومن ثم وصلت إلى الوحدة الأكبر التي تتألف من هذه الكلمات وهي الجملة وتوقفت في بحثها عندها"^(٥) وهي في تحليلها لكل مستوى من هذه المستويات تستعين بعلاقة بعلاقة كل عنصر لغوي بالعناصر اللغوية الأخرى التي تشتمل عليها تلك اللغة^(٦).

وقد كان (سوسور) رائد البنيوية الأول بالنسبة لمعاصريه مؤلف (المبحث الصغير) وكان قد تربى في ليبزج بين أحضان علم اللغة التاريخي – المقارن مما جعله خبيراً بمضامين مدرسة النحاة الجدد ومناهجها. وقد إنحرفت بحوثه الصغيرة بشكل واضح عن نموذج التفكير لدى النحاة الجدد فيما بعد. وقد كان عارفاً أيضاً بعلماء الدراسات الهندوجرمانية الأوائل. ويعد بحثه (نظام الحركة الأصلي للغات الهند وأوربية) مثلاً عظيماً للدراسات التاريخية المقارنة في مدرسة النحاة الجدد^(٧). ويبدو تأثيره واضحاً بآراء (بودوان دي كورتيني) و(وايتني) وأوجه التطابق المضمونية واضحة لاسيما في

(١) شطايا لسانية ٧٨. وينظر الشعرية البنيوية ٢٣.

(٢) ينظر أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٦.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٨٤. يلاحظ مثلاً ان المدارس اللسانية الأخرى مثل الوظيفة والتوليدية التحويلية وغيرها تعد امتداداً للبنيوية. ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٥١.

(٤) أضواء على الدراسات اللغوية ٢٨٩.

(٥) أضواء على الدراسات اللغوية ١٢٠، وينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٢٠-١٢١. ولا يشمل هذا (هاريس) الذي تجاوز تحليله الجملة إلى النص كما سيأتي.

(٦) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٣٦-٣٧، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٠٠ وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٥.

(٧) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٨٦، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٢٠. ويرتبط اسم النحاة الجدد بالتنفيذ الصارم للمعايير العلمية المحكمة، بعد أن تأثروا بالعلوم الطبيعية ولاسيما دارون، ومن هنا عدوا اللغة كالكائن الحي ينمو ويزدهر ويتدهور. وتعد جامعة ليبزج التي ترعرع فيها (سوسور) قلب النحاة الجدد وهم جماعة من اللغويين الشبان الذين كونوا حلقة لغوية بهذا الاسم وشرعوا منذ السبعينيات من القرن التاسع عشر ببث آرائهم الجديدة التي كانت آنذاك ثورية بشكل مطلق. حاول النحاة الجدد قف كل طرائق التفسير الميتافيزيقية المثالية الممكنة لوقائع لغوية. ومن هنا جاء تركيزهم على دراسة الأصوات لامكانية وضع قوانين واضحة لها على غرار القوانين الطبيعية. وتأثرهم بالاعتبارات العلمية لم يجعلهم يعدون علم اللغة مستقلاً عن علم النفس بل عدوا اللغة نشاطاً نفسياً دائماً. اكتسبت بحوث النحاة الجدد عالمية واضحة ولا يستطيع أحد ان يجادل كما تقول بارتشت في الخدمة المتفردة لهؤلاء الباحثين في تأسيس فهم علمي لعلمي الأصوات والصيغ (الصرف) ومؤلفاتهم في ذلك لا نظير لها. وقد ركزوا فيها على القضايا التاريخية ومقارنة اللغات. مع ذلك وصفت نظرياتهم بأنها موجزة من ناحية الكم وغريبة وانهم فصلوا بين تاريخ اللغة والشعوب (حامل اللغة). ومن أشهر رجال هذه المدرسة: بروجمان وهرمان بول ولسكين وكورتيني وسوسور الذي تغيرت آرائه عنهم فيما بعد. وتأثر هذه الجماعة بالفلسفة الوضعية كان واضحاً أيضاً. و(النحاة الجدد) لقب تهكمي أطلقه عميد الكلية (تسارنكة) على هذه الجماعة من الباحثين الشباب وتلقاه افراد الجماعة مع ذلك بصدر رحب. ينظر مناهج علم اللغة من هرمان بول ٣١-٩٢. والقضايا الأساسية في علم اللغة ٧-٤٨.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

فهم اللغة على انها نظام من العلامات _ كما سيأتي _ والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين اللغة والفكر^(١). ويبدو تأثيره كذلك بعالم الاجتماع (دوركايم) وثنائية اللغة والكلام تعكس هذا التأثير^(٢). وفي عمل يرجع إلى سنة ١٨٧٩ أعلن سوسور عن نهج خاص يتخطى نحو النحاة الجدد^(٣). وفي السنوات: ١٩٠٦-١٩١١ القى في جامعة جنيف محاضرات في علم اللغة العام. جمعها فيما بعد طلابه ونشرت بعد وفاته بوقت قصير. وبعد الطبعة الثانية (١٩٢٢) لقي الكتاب انتشاراً عظيماً وترجم إلى أغلب اللغات الأوروبية^(٤).

وفي هذا الكتاب انكر (سوسور) على الدراسات التعاقبية (التاريخية) أنها تمثل حالات خاصة لا تؤسس فيما بينها نظاماً. وطالب بالفصل بين الدراسة (التزامنية) التي تصف اللغة في مرحلة معينة والدراسة (التعاقبية) التاريخية التي تصف مراحل تغيير اللغة وتتبع تاريخها^(٥). وعد (سوسور) ايضاً اللغة ذات طبيعة اجتماعية وفي هذا الاطار ميز بين ما هو اجتماعي (اللغة) وما هو فردي الكلام. مبيناً ان مجال علم اللغة هو الأول أي (اللغة) التي تمثل كياناً متجانساً على العكس من الكلام الذي يمثل خليطاً غير متجانس^(٦).

واللغة من وجهة نظره نظام من العلامات، وهي جزء من (علم العلامات) الذي طالب بتطويره مقترحاً له هذا الاسم. وهو ما تحقق لاحقاً بعد رحيله^(٧). ولا يرى سوسور "نظام العلامات العلامات إلا في اللغة المعينة لوحدها، إذ ينكر على الكلام النظامية"^(٨).

أما اللغة فهي عنده "نظام علامات، نظام (كل عناصر متماسكة) أي فيه يقتضي كل شيء الآخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات. وأكثر من ذلك تحصل كل علامة مفردة على (قيمتها) من خلال هذه الشبكة، من خلال حقيقة اختلافها عن كل العلامات الأخرى للنظام ذاته"^(٩). وهذا هو لب نظرية سوسور اللغوية. وأكد (سوسور) على مسألتين لغويتين:

الأولى: هي البنية اللغوية أي التركيب الداخلي (من صرفي ونحوي) أي النظام الداخلي. الذي يعد التوصل إلى القواعد التي تتحكم فيه أهم بمراحل من أية دراسة لغوية أخرى.

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٨٦.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٨٨، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٤٤-٤٧.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٢٠.

(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٢٠. وقد أدى البراغيون (مدرسة براغ) دوراً كبيراً في ذبوع كتاب سوسور عام ١٩٢٨، ١٩٢٩ من خلال تقديمهم له معتقدين أنهم يهاجمون نصاً مقدساً لجهلهم بأنه لم يكن أحد يقرأ هذا الكتاب المنسي، ولولا ذلك كما يقول (دومورو) لما قرأناه اليوم كما لم نقرأ نوريين أو مارتي أو كروسزويسكي الذين اتبعوا بكل دقة طرائق (سوسور) نفسها. ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول (الهامش) ١٠٩.

(٥) ينظر علم اللغة العام ١٩-٢٣، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٩٨-٩٩.

(٦) ينظر: علم اللغة العام ٣٢-٣٤، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٢٤-٢٥.

(٧) ينظر علم اللغة العام ٣٤-٣٦، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ١٠٢-١٠٣. وستحدث عن تفاصيل هذا الموضوع بمبحث (علم العلامات).

(٨) مناهج علم اللغة من هرمان باول ١٠٢، وينظر علم اللغة العام ٣٥.

(٩) مناهج علم اللغة من هرمان باول ١١٠، وينظر علم اللغة العام ٢٨ و ٤٠-٤١. ولا يخفى على دارسي اللغة مذهب سوسور في اعتبارية العلامة.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

والثانية: أهمية اللغة المنطوقة التي تمثل المظهر الاساس للغة وليس الكتابة^(١). لهذا يرى "أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو ان نحاول وصفها كما هي في فترة زمنية محددة وان نصل من هذا الوصف إلى القواعد أو القوانين العامة التي تحكمها أو نتوصل على الأقل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها"^(٢). وهكذا ميز أيضاً بين النطاق الداخلي الذي يعني النظام اللغوي الداخلي للغة ويجب ان يعني علم اللغة به وحده ليكون هذا العلم مستقلاً، والنطاق الخارجي الذي يشمل كل العلاقات بالعلوم الأخرى ومجالات الحياة^(٣).

وعلى أساس مفهوم البنية ورؤيته للنظام قرر (سوسور) ان اللغة شكل وليس مادة. فالأصوات التي تمثل الجانب المادي قد تتشابه في بعض اللغات وهي لا تزيد عادة عن ملء سطرين أو أكثر بقليل. أما النصيب الأكبر فهو للنظام الذي يمكن من خلاله ان نكون من الأصوات القليلة _ في اللغة المعينة _ عدداً غير متناه من الكلمات المفردة والجمل المركبة^(٤). ومن هنا كان علينا أن نولي اهتمامنا لعلاقة العنصر اللغوي الذي يستعمله المتكلم أو يصفه اللغوي بالعناصر اللغوية الأخرى ذات الصلة بالعنصر المستعمل أو الموصوف^(٥). ويمكن توضيح هذه المسألة بمثال من اللغة العربية فاللون الأزرق مثلاً "يتحدد بعلاقته بغيره من الألوان في اللغة الموصوفة، وهكذا فان الأزرق في العربية يعني ما ليس أخضر وليس أحمر وليس أبيض... الخ، وهذا تعريف يختلف عن تعريفه في اليابانية لأن الأزرق وهو ما يعبر عنه اليابانيون بكلمة (أوي AOI) يطلق على ما نصفه بالعربية بالأزرق والأخضر معاً، ولذا لا يمكننا القول أن الأزرق في العربية يقابل (أوي AOI) في اليابانية"^(٦). وبمصطلحات (سوسور) يكون للعنصر اللغوي (أزرق) في العربية قيمة مختلفة عن العنصر أزرق (أوي AOI) في اليابانية. ويعني هذا أيضاً "أننا نتعامل مع بنية متميزة محددة ليس للتاريخ فيها دور، كما ان العوامل الخارجية بما في ذلك ما تشير إليه الألوان في العالم الخارجي ليس له صلة مباشرة بتحديد ما يعنيه اللون الأزرق في اليابانية أو العربية بل المحدد هو علاقة الجزء بغيره من الأجزاء"^(٧).

^(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٧، وينظر علم اللغة العام ٤٢-٤٣.

^(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٦، وينظر علم اللغة العام ١٢٠ وما بعدها. وهكذا ابتعد (سوسور) عن محاولة اخضاع اللغات الحديثة لقوانين اللغتين اليونانية واللاتينية، كما ابتعد عن وجهة النظر التاريخية المقارنة و(النحاة الجدد) الذين لم تكن مسألة ربط الحقائق اللغوية بأنظمة تمثل مسألة أساسية لهم. والفرد وحده هو الذي ظهر واقعاً في أعمالهم وليس جماعة لغوية ذات حياة خاصة لا يمكن تحديدها. ينظر أضواء على الدراسات اللغوية ١٠٦، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٥٠-٥٣.

^(٣) ينظر علم اللغة العام ٣٩-٤١، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٩٩-١٠٠.

^(٤) ينظر علم اللغة العام ١٣٩، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٧٧-١٧٩، ووصف اللغة العربية دلاليًا ٤٠. والمراد بالشكل: النظام اللساني المجرد (كمية مجردة) الذي يعين جميع التوليف الممكنة لعلامة لغوية بعينها. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول: هامش المترجم ١٧٩.

^(٥) ينظر مدخل إلى اللسانيات ٦٦، وينظر أيضاً علم اللغة العام ٤٠-٤١.

^(٦) مدخل إلى اللسانيات ٦٦، وينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ٣٥.

^(٧) مدخل إلى اللسانيات ٦٦، وينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ٣٦.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

والأمر نفسه ينطبق على الضمائر^(١)، ويمكن أن نلاحظ على سبيل المثال أن قيمة الضمير أو العنصر اللغوي (أنت) في العربية تختلف عن قيمة العنصر (you) في الانكليزية، لأن الأخير يراد به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجماعة، أي انه يقابل في العربية (أنت، أنتِ، انتم، انتن) جميعاً.

ولا يختلف الأمر مع العدد، فالمفرد في العربية له قيمة مختلفة عن المفرد في الانكليزية لأنه في العربية يقابل المثنى والجمع، وفي الانكليزية يقابل (الجمع) فقط^(٢).

والأمثلة السابقة تعطي مثلاً لنوع واحدٍ من العلاقتين اللتين تحدث عنهما (سوسور) وهي التي تسمى بالعلاقة الاستبدالية أو العمودية أو الجدولية أو (الصرفية) أما النوع الآخر فهو ما يسمى بالعلاقة الأفقية أو التركيبية أو التأليفية أو (النحوية). وهاتان العلاقتان هما اللتان تحددان البناء الداخلي للغة "وتختص العلاقات الجدولية بعلاقة العناصر اللغوية بعضها ببعض داخل النظام اللغوي، والعلاقات التركيبية نتيجة الأفقية الحتمية للغة تحدد تأليف العناصر في أشكال وجمل معقدة"^(٣).

وترتكز علاقة التركيب (التأليف) على عنصرين متجاورين أو أكثر في سلسلة (علاقة حضورية) وعلى النقيض من ذلك تربط العلاقة الجدولية العناصر غيابياً في تسلسل محتمل من الذاكرة^(٤).

ويمكن التمثيل للعلاقة الأفقية في العربية بمثال الألوان نفسه إذ لا ينحصر نظام (أو بنية) الألوان في العربية بـ"العلاقات الاستبدالية القائمة بين الألوان المختلفة بل يتحدد أيضاً بعلاقة اللون بما يأتي قبله أو بعده من كلمات، إذ يمكن وصف اللون الأحمر بأنه قان، ولكن لا يجوز ان نقول ابيض قان مثلاً. وهكذا فإن تحديد المعنى المعجمي أو القواعدي لعنصر لغوي معين إنما يكون بالنظر في علاقاته الاستبدالية والانتلافية معاً، وهي التي تؤلف البنية"^(٥).

ومثال ذلك أيضاً أن (قد) يمكن ان تؤلف تركيباً مع فعل ماضٍ أو مضارع، أما (أن) المصدرية فتألف مع فعل مضارع فقط. وكذلك هو الحال مع (لم) الجازمة.

والفعل (جاء) مثلاً يفترض بعده فاعلاً مذكراً مثل: (جاء الرجل) أو (جاء القطار)، ولا يمكن ان يقال: (جاء المرأة) أو (جاء الطائرة). أما علاقة الغياب أو الجدولية أي كان ما تسمى به، فتتضح من علاقة الفعل (جاء) بكلمات أخرى مثل (أقبل) أو (أتى)... الخ. ومثل ذلك القطار والرجل^(٦).

وكذلك "لو اتخذ شخص ما من طفل موضوع رسالة ينقلها، لاختار اسماً من عدة اسماء مشابهة مثل: طفل صبي، ولد... الخ. وكل هذه الاسماء متكافئة من ناحية ما. ولكي يعلق على هذا

(١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٦٦-٦٧.

(٢) ينظر المنهج الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٨-٨٩، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٠٥.

(٣) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٠٠، وينظر علم اللغة العام ١٤٢-١٤٦.

(٤) ينظر: علم اللغة العام ١٤٢-١٤٣، ومناهج علم اللغة من هرمان ١٠٠، واساسيات اللغة ١١٥-١١٦، والعلامة اللغوية تحليل المفهوم وتاريخه ١١٩-١٢٠، وشظايا لسانية ٨١.

(٥) مدخل إلى اللسانيات ٦٧.

(٦) ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه (الهامش) ١٨١. ولا يتعارض هذا مع وجود بعض الاستثناءات في اللغة العربية كما في قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة ...) _ يوسف ٣٠/١٢.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الموضوع فقد ينتقي واحداً من الأفعال المتماثلة دلاليًا مثل: ينام، يغفو، يهجع، يرقد... الخ. ثم تنتظم كلتا الكلمتين اللتين تم اختيارهما في السلسلة الكلامية^(١).

وتبدو العلاقة العمودية والأفقية أكثر وضوحاً من خلال الجملة التي تكون فيها متنوعة ومتعددة على العكس من الكلمة الواحدة التي تبدو فيها هذه العلاقة على نحو محدود^(٢).

وما ينطوي عليه الكلام هو في الحقيقة "انتقاء لبعض الكيانات اللغوية والتأليف بينها في وحدات لغوية ذات درجة أعلى من التعقيد. وهذا ظاهر للعيان أصلاً على المستوى المعجمي: إذ ينتقي المتكلم الكلمات ويؤلف بينها في جمل على وفق النظام التركيبي للغة التي يستعملها، وتتألف الجمل بدورها من منطوقات"^(٣).

وهذا يعطي أهمية كبيرة للتمييز بين العلاقة الاستبدالية/العمودية، والتركيبية/الأفقية في دراسة اللغة ووصف جملها، إذ يعتمد وصف الجمل في أية لغة "على التصنيف التلازمي لجملها ومكونات جملها بشكل أفقي. كما ان اختيار عنصر لغوي بدل عنصر آخر يعتمد الأساس الاستبدالي للمفردات والعبارات. لذلك فان العلاقة الاستبدالية في اللغة تحدد خواص الترادف والتضاد بين مفرداتها"^(٤).

هذا هو مفهوم البنية عند (سوسور) الذي يقوم على التقابل بين العناصر والنظر إليها في ضوء علاقتها ببعضها. ولا يمكن ان ننظر إلى الوحدة اللغوية بمعزل عن هذا النظام الذي تتشكل من خلاله، فهو الذي يجمعها في التشكيل مع الوحدات الأخرى. والسمة الأكثر تحديداً لكل وحدة لغوية هي انها شيء مختلف عن (أشياء) الوحدات الأخرى^(٥).

والمثال الذي يستعيره (سوسور) لتوضيح مسألة النظام التي تمثل النطاق الداخلي للغة والفرق بينه وبين النطاق الخارجي الذي سبق الحديث عنه هو (لعبة الشطرنج). فعدد القطع وامكان اختلاف بعضها عن بعض وقواعد اللعبة تمثل المحور الداخلي. أما نوع المادة التي صنعت منها القطع والمكان الذي جاءت منه اللعبة فيتبع المجال الخارجي. والأول يمثل الأساس أو المحور الذي يجب ان يعنى به وكذلك هو حال اللغة^(٦).

هذا التصور الذي اقامه (سوسور) للبنية (النظام) وضع الأساس لعملية تحليل الجملة إلى مستوياتها المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. ومقولة (التقابل) بين العناصر التي بنيت عليها نظريته طبقت على انساق أخرى غير اللغة^(٧) كما يشير (إيكو) الذي يتحدث عن ذلك

(١) أساسيات اللغة ٢١.

(٢) ينظر: شطايا لسانية ٨١.

(٣) أساسيات اللغة ١١١. وينظر أيضاً ١١٥-١١٦.

(٤) شطايا لسانية ٨١. وينظر أساسيات اللغة ٢١.

(٥) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٣٤-٣٥.

(٦) ينظر: علم اللغة العام ٤١ و ١٠٦-١٠٨، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٣٤، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٠٠.

(٧) وتم توسيع النموذج البنيوي ليدرس انساقاً من نمط مختلف مثل مقارنة العلاقات الداخلية للسان بتلك التي تحكم نسق القرابة ومقارنة الأخير بالنسق الذي يحكم بنية اكواخ القرية... الخ مما قامت به بنجاح الانثروبولوجيا البنيوية. ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٣٤، وشطايا لسانية ٧٧-٧٨ و ١٦٣-١٧٢، و SEMIOTICS THE

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

بقوله: "ان كل تواصل (وتبعاً لذلك كل دلالة) يستند إلى تقابلات منظمة في أنساق. فإذا قررت أن أبلغ إلى ملاحظ خارجي وجود شخص في منزلي من خلال وضع مصباح في نافذتي. فإن (مصباح مضيء) سيصبح عنصراً دالاً. لأنه يتقابل مع (غياب مصباح). وإذا قررت أن أبعث (بإرساليتين) (مثلاً: شخص مقبل، وشخص يغادر) بواسطة إشارتين يمكن أن تكونا مصباحاً أحمر وآخر أخضر فإن التقابل يصبح بين الأحمر والأخضر. وعليه فإن كل سيرورة إبلاغية وفي كل لحظة، حتى في حالات الاستبدالية الأكثر تعقيداً سنختار حضور وغياب، وبين نعم أو لا..."^(١).

ومما يعطي آراء (سوسور) وجهة وقيمة كبيرة أيضاً أن بعض ما تحدث عنه كانت له فائدة واضحة ومباشرة في دراسة اضطراب الكلام أو مرض (الحبسة اللغوية)، وتكشف حالة المرضى الذين يعانون هذا المرض عن علاقة واضحة بالمحورين السابقين أي: العلاقات الاستبدالية والتركيبية^(٢). فبعض المصابين بالحبسة يشكو من اضطرابات على مستوى العلاقات الاستبدالية (الاختيار) وهو ما يسمى أيضاً باضطراب المماثلة ويفشل المصاب بهذا النوع من الحبسة في عزل الألفاظ الصحيحة لخطاب ما، فإذا وضعنا أمامه سكيناً فإنه لا يجد الاسم. ولكنه يستطيع استعمال المركب البديل (يستعمل للأكل). وإذا وضع أمامه (قلم) يقول (يستعمل لكتابه) أي انه يعجز عن تسمية الأشياء والإفادة من الشبكة الاستبدالية. بعد أن تضررت قدرته على الانتقاء الحر^(٣).

ويواجه أيضاً صعوبة في بدء الحوار لكنه قادر على الرد على أي مرسل حقيقي أو خيالي حين يكون متلقياً للرسالة أو يتخيل نفسه كذلك^(٤). ويشعر هذا النوع من المرضى "أنه غير قادر على نطق جملة لا تستجيب للإشارة لدور المتحاور معه ولا للسياق الفعلي. لا يمكن انتاج جملة مثل (انها تمطر) ما لم ير المتكلم أنها تمطر فعلاً في الخارج. وكلما تعمق إكتناف المنطوق في السياق اللفظي أو غير اللفظي ازدادت الفرص في الاداء اللغوي الناجح لدى هذا الصنف من المرضى"^(٥).

أي ان هؤلاء المرضى يخفقون "في نقطة البداية على وجه التحديد، أي حجر الزاوية في بناء الجملة. في هذا النمط من الاضطراب اللغوي تفهم الجمل بوصفها تنمات قائمة على الحذف ينبغي توفيرها من الجمل السابقة التي نطقها، ان لم يتخيلها المحتبس في نفسه، أو تلقاها من شريكه الآخر في المناقشة سواء اكان حقيقياً أم متخيلاً"^(٦).

ويعجز هذا المريض أيضاً عن الانتقال "من الكلمة إلى مرادفها أو لفظة قريبة منها ولا إلى بدائلها HETERONYMS أي تعبيرات مكافئة لها في لغات أخرى. وفقدان القدرة على تعدد

(١) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٢٢-١٢٣. وسنبين بوضوح في مبحث علم العلامات أثر البنيوية الواضح في هذا العلم وبالأخص تصورات (سوسور) وأفكاره.

(٢) ينظر اساسيات اللغة ١١٧-١٣١، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١١٩-١٢١.

(٣) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١١٩. واساسيات اللغة ١٢١.

(٤) ينظر اساسيات اللغة ١١٨، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١١٩. والاختلاج اللساني ١٣٤ وما بعدها.

(٥) اساسيات اللغة ١١٨. وهنا تبدو أهمية السياق الذي يقع خارج نطاق اللغة في ضوء تصور سوسور وقد عني بهذه المسألة من جاء بعده كما سيأتي.

(٦) اساسيات اللغة ١١٩.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اللغات والاقتصاد على تنوع لهجي واحد في لغة مفردة هو المظهر الواضح على اعراض هذا الإضطراب^(١).

وعلى العكس من ذلك يشكو المصاب باضطراب التأليف أو التركيب أو ما يسمى أيضاً باضطراب المجاورة من فقدان القدرة على الربط بين الكلمات داخل جملة تتمتع بمعنى كامل. ويقلص هذا من مدى الجمل وتنوعها. إذ تضع القوانين التركيبية المنظمة للكلمات. لذا يسمى هذا الاضطراب أيضاً بغياب القواعدية^(٢).

وفي هذا النوع من الحبسة "يصبح نسق ترتيب الكلمات عشوائياً، فتتلاشى روابط التنسيق والإتباع القواعدية، سواء اكانت توافقية أم عاملية. وكما هو متوقع تختفي أولاً الكلمات التي اضيفت عليها وظائف نحوية خاصة مثل ضمائر الوصل وحروف الجر والضمائر وأدوات التعريف والتكثير، مفسحة المجال لظهور ما يسمى بـ(الاسلوب البرقي) بينما هي أكثر الكلمات صموداً في حالة اضطراب المماثلة"^(٣).

ومما يخص هذا النوع من الاضطراب ان "الملح النموذجي لغياب القواعدية هو الغاء التصريف: إذ تظهر هناك أصناف غير مؤشرة كما هو الحال حين يحل المصدر محل الاشكال الفعلية المحددة المتشعبة، أو في اللغات التصريفية حين تحل الصيغة الاسمية محل الحالات الغامضة جميعاً. يعود هذا الضرر إلى حد ما إلى فقدان القدرة على تدوير الكلمات في جذر أو نهاية"^(٤).

وتميل منطوقات المصابين بهذا الإضطراب المرتبط بالنسج "إلى المنطوقات الطفلية ذات الجملة الواحدة، والجملة ذات الكلمات الواحدة، ولا يلبث باقياً سوى عدد ضئيل من الجمل (الجاهزة) النمطية الطويلة، وفي الحالات المتقدمة من هذا المرض يتم اختزال كل منطوق إلى جملة مفردة ذات كلمة واحدة. وفي حين يتفكك النسج تستمر العملية الانتقائية"^(٥).

وفي احد صنوف الحبسة التي تدعى بـ(الاختلاجية) تكون الكلمة هي الوحدة اللغوية التي يحتفظ بها. ويعجز المتكلم عن تجزئة الكلمة إلى مكوناتها الفونيمية، وتضعف سيطرته على بنائها. وتنهار المدركات في الفونيمات ومن السهولة أن تتبعها تأليفاتها. ويكون آخر ما تبقى من الكلمات هو المنطوقات ذات الفونيم وذات الكلمة الواحدة وذات الجملة الواحدة. وهنا ينزلق المريض إلى الأطوار الأولى من التطور اللغوي الطفلي أو حتى إلى المرحلة ما قبل اللغوية وحينئذ يواجه الحبسة الكلية أي فقدان الشامل للقدرة على استخدام الكلام أو فهمه^(٦).

وصنوف الحبسة متعددة ومتشعبة لكنها مع اختلافها تتراوح بين هذين النمطين وتصيب احدى الملكتين الإستبدال أو التأليف^(٧).

(١) اساسيات اللغة ١٢٤. وينظر: الاختلاج اللساني ١٣٢ وما بعدها و ١٣٦ وما بعدها.

(٢) ينظر اساسيات اللغة ١٣٠، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١١٩-١٢٠.

(٣) اساسيات اللغة ١٣٠. وينظر الاختلاج اللساني ١٤١ وما بعدها.

(٤) اساسيات اللغة ١٣١.

(٥) اساسيات اللغة ١٣٠-١٣١. وينظر الاختلاج اللساني ١٤١ وما بعدها.

(٦) ينظر اساسيات اللغة ١٣٤ وما بعدها. وينظر الاختلاج اللساني ١٣٢-١٤٥.

(٧) ينظر: اساسيات اللغة ١٣٧. والاختلاج اللساني ١٣٢-١٥٨.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويرى كلاوس هيشن أنه "يمكن على أساس علاقات الاختلاف اللفظية (النحوية) والجدولية (الصرفية) الأساسية أن تجرى تصنيفات، وأخيراً يمكن أن يقام تدرج كامل من الأقسام التي لا تتعلق جذورها بوصفها فواصل وصفية إلا بواقع اللغة ذاته. ويمكن بذلك أن تحل محل فواصل الإدراك القديمة ذات الجذور الفلسفية مثل الاسم والفعل... الخ، ولم ينجز دي سوسور ذاته التعمق في النظام اللغوي الجديد للفاصل، إذ لا يرجع علم اللغة الفضل إليه إلا في البرنامج العام لنظرية لغوية بنيوية باطنية مستقلة"^(١).

في حين يذكر (امبرتويكو) أن مقولتي الاستبدال والمركب يمكن توسيع مجالهما لكي تشكلا كيانات من أحجام كبيرة، وهو يقصد بذلك _ على سبيل المثال _ خطاباً تتخلله جمل مسكوكة من نوع:

- إذا كان هناك شيء لا يستطيع تحمله فهو الجمل المسكوكة.
- انتظرك منذ زمن طويل.
- أن الأذواق والألوان لا تتناقص.

فكل واحدة من هذه الجمل كما يرى (إيكو) يمكن عدها وحدة تم استخراجها من سجل معروف وبإمكانها الإنضواء تحت تأليفات أكثر اتساعاً^(٢).

وهذه الآراء _ بغض النظر عما إذا كانت تتفق مع سوسور أو تختلف معه _ تمثل دليلاً واضحاً على أثر منهج (سوسور) ورؤيته في علم اللغة بشكل عام بدءاً بالجملة ونزولاً إلى مكوناتها الأصغر. وانطلاقاً منها صعوداً باتجاه النص. وهي تؤكد أيضاً أن مقولاته قد أصبحت بمثابة الحجر الأساس في الدراسات اللغوية. ويبقى مفهوم (البنية) المتمثل بالنظام والعلاقة القائمة بين العناصر المبنية على أوجه التشابه والاختلاف التي ينتج عنها قيمة كل عنصر هي نقطة القوة في نظرية سوسور اللغوية التي دلت بموجبها على أن اللغة (شكل) وليست (مادة)^(٣).

❖ مدرسة (فايسجربر) و(الجلوسماتية):

ظهرت بعد ذبوع كتاب (سوسور) مجموعة من الدراسات والاتجاهات اللغوية التي تأثرت به بشكل أو بآخر وأطلق عليها أيضاً وصف (بنيوية) مع وجود بعض الاعتراضات على هذه التسمية ومن هذه الاتجاهات أو التيارات ما سمي بمدرسة (فايسجربر) و(الجلوسماتية)^(٤).

^(١) القضايا الأساسية في علم اللغة ٣٦. ولا ينكر (هيشن) الانجازات الأخرى لسوسور التي قدمها في إطار ثنائيات عدة، بعد أن تعمق في الأكوام المضطربة للكلمات وساهم في إبراز وجهة النظر العليا للغة. ينظر: ٣٧-٣٨.

^(٢) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٢٠. وهذا ينسجم مع عد الجملة (علامة مركبة) كما سيأتي في مبحث (علم العلامات).

^(٣) جاء كل هذا من خلال دعوة (سوسور) إلى دراسة اللغة دراسة وصفية (تزامنية) لأن متكلمي اللغة _ كما يرى _ عندما يستخدمون كلمة ما، أو جملة لا يخطر ببالهم كيف كانت تستخدم تلك الكلمة أو تلك الجملة. ولذا فإن الاستخدامات السابقة التي تنتمي إلى مرحلة تاريخية منقطعة عن المرحلة الحالية ليس لها تأثير في وضع اللغة الحالي". مدخل إلى اللسانيات ٦٦. وينظر: علم اللغة العام ١٠٠-١٠١.

^(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٥١، ٧٠-٨٩، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٦٧-١٩٨. والاعتراض على إطلاق تسمية البنيوية مطلقاً دون تحديد المدرسة.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

سميت (فايسجربر) بهذا الاسم نسبة إلى الالماني (فايسجربر) الذي حاول ان يعالج مجموعة من الإشكالات التي تخص اللغة من وجهة نظر فلسفية. ومع ذلك لم يقدم لنا نحواً جديداً ولا كتاباً تعليمياً في علم اللغة. _ كما يقول كلاوس هيشن _ لكنه قدم حالات نموذجية تبين كيف نقدم عرضاً مناسباً للالمانية، لكنها في ذاتها ليست كثيرة جداً^(١).

حاول (فايسجربر) تصوير ما هو مجال الكلمة أو مجال صفات الألوان أو مجال اسماء القراية التي حاول ان يبين بالتفصيل موقعها النظري وقيمتها. وأرجع مسائل علم اللغة إلى مشكلات الفلسفة. معتقداً في الوقت نفسه ان اللغة بوجه عام شرط لكل معرفة^(٢).

ومن المسائل التي وجدت عنده اهتماماً خاصاً مسألة العلاقة بين اللغة والتفكير. والعلاقة بين اللغة والشعب، ورأى أن اللغة صورة اجتماعية للمعرفة وأنها مثل أوجه التراث الثقافية الأخرى تكويناً موضوعياً، مشيراً إلى صلة هذا التعريف بالواقعة الاجتماعية لسوسور ودوركايم. ومتابعاً لهما بأن ما نسمعه ونعيشه لحظة الكلام ليس ما هو جوهري بل ظاهرة عابرة لإرث لغوي^(٣).

وعلى نحو لا نجده عند سوسور يتجاوز فايسجربر الموضوع إلى علاقة اللغة بالعالم ذاكرة أن الشعوب قد قسمت العالم بشكل مختلف كما قسمت النجوم على نحو مختلف تبعاً لصور النجوم وزودت باسماء ونقلت إلى اللغة. وبهذا يفصل بين التصور الذي يقيمه العقل وتنقله اللغة والواقع. وبهذا تتبدل الحقيقة لغوياً وتحوّل ذاتياً. ولا يمكن ان يتصور ذلك العالم البيئي العقلي بين الموجود (الكائن) والموجود المدرك بدون لغة^(٤). وترغم فكرته عن هذا الموضوع "تطابقاً غامضاً بين اللغة والتفكير"^(٥).

نقد فايسجربر أيضاً علم الدلالة التقليدي ووضع بنقده هذا افكاراً منهجية^(٦). ودعا إلى فصل اللغة عن (علم اللغة النفسي). وتبعاً لذلك دعا إلى فصلها عن المتكلم والسامع ومن عالم الاشياء، ليصبح البحث اللغوي رؤية للجوهر مؤكداً على ضرورة ان يكون بحث المضمون اللغوي تأملياً ولهذا وصفت نظريته بالمثالية^(٧).

حاول فايسجربر ان يعالج بعض المشكلات النحوية للجملة في ضوء نظريته اللغوية. وكان يرى ان الجملة تشترك "بوصفها ظاهرة اساسية لغوية بشكل حاسم في التشكيل العقلي للعالم. فكل خطة بناء للجملة مفردة تتشكل معاً في هذا العالم اللغوي بوصفها ضبطاً عقلياً في الجماعة اللغوية على ما هو كائن (الواقع)..."^(٨).

وتتبع معالجته للجملة المتعلقة بالأصوات قضايا تنعيم الجملة وترتيب المفردات وتحديد انواع المفردات وأجزاء (اركان) الجملة. وما يحثه ابتداءً ما يتعلق بمضمون البنية العقلية للجملة. التي

(١) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ٧٠.

(٢) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٧١-٧٢.

(٣) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ٧٢-٧٣.

(٤) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ٧٣. وسنتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل في فصل الجملة وعلم الدلالة في اطار نظرية الفضاء الذهني.

(٥) القضايا الاساسية في علم اللغة ٧٧.

(٦) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٧٩-٨٢. وسيبدو بعض هذه الافكار في مبحث الفضاء الذهني.

(٧) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٨٢.

(٨) القضايا الاساسية في علم اللغة ٨٦. والمفعول به غير المباشر هو المفعول به الأول.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تتضمن الأفعال وتسأل عن الجوهرية المادية بالنسبة للمسند إليه والمفعول غير المباشر. وينتهي من دراسته هذه إلى نتيجة مفادها ان الجملة تبين عقلية من نوع خاص^(١).

ومن الواضح جداً ان نظرية فايسجربر تبالغ في التجريد وأن طرحه يختلف في قضايا كثيرة عن طرح سوسور. وانه ينزع إلى التجريد حتى في نظريته إلى العلاقة التي تربط بين عناصر الجملة على نحو يتفق مع نظريته الخاصة للغة. ولعل هذا احد أسباب الاعتراض على اطلاق تسمية البنيوية مطلقاً على هذه المدرسة.

أما (الجلوسماتية) وهي تسمية اطلقها روادها (هيلمسليف) و(أولدال) وارادا من خلال استعمالهما لهذا الجذر اليوناني تأكيد أصالة نظريتهما ورسم حدود بينها وبين الاتجاهات الأخرى فقد مثلت امتداداً مستمراً ومتشدداً في الوقت نفسه أيضاً لنظرية دي سوسور اللغوية. ويطلق على أصحاب هذا الاتجاه ايضاً (حلقة لغويي كوبنهاغن) وهي حلقة تأسست في ١٩٣١ وترأسها هيلمسليف حتى وفاته ما عدا وقت قصير. ومن خلالها أصدر بالتعاون مع (بروندال) البنيوي المعروف مجلة (المجلة الدولية لعلم اللغة البنيوي). وتعد السنوات بين ١٩٣٥-١٩٤٣ هي سنوات وضع النظرية الجلوسماتية على يد (هيلمسليف) و(أولدال)^(٢).

ويعد كتاب (هيلمسليف): (مداخل إلى نظرية لغوية) أولى المحاولات لتأسيس نظرية علمية لوصف اللغات قائمة على مقدمات منهجية^(٣).

ويذكر كلاوس هيشن: "ان البنيويين الأوروبيين تحفزهم باستمرار حتى اليوم تصورات الجلوسماتية ويجادلونها جداً مكثفاً. ويمكن ان تكمن أهميتها بالنسبة للبنيوية الأوروبية في أنها تؤصل نهج دي سوسير في حدة ودقة لا يمكن التوصل إليها ثانية. ووضعت لذلك معايير لعلم اللغة الأوروبي لا يمكنه ان يتجاهلها طالما انها ينظر إليها بوصفها بنيوية من خلال إرث دي سوسير، إذ يعد التأثير المحدد لجوانب معينة في المحاضرات في الجلوسماتية تأثيراً كبيراً إلى حد ان المرء يشير إلى الجلوسماتيين في الغالب باسم السوسيريون الجدد"^(٤).

ويعتقد (هيشن) ان هذا مضلل بقدر ما أخفى آثار الوضعيين المنطقيين في حلقة فيينا ولاسيما (كارناب ١٩٢٨-١٩٣٤) التي نقلت إلى لغويي كوبنهاغن عبر المنطقيين الدنماركيين: يورجنسن وراسموسن^(٥).

وبشكل عام أيدت (الجلوسماتية) أفكار (سوسور) وثنائياته اللغوية. فعدت اللغة نظاماً من العلامات. وانطلاقاً من مفهوم (القيمة) عدت الصلة (العلاقة) بين الوحدات اللغوية أهم من الوحدات ذاتها. وعلى غرار (سوسور) أيضاً فرق (هيلمسليف) بين التعبير والمضمون _ الدال والمدلول _ وكذلك بين الشكل والمادة. مؤكداً ان موضوع علم اللغة هو (الشكل) وليس المادة. إذ تتشكل المادة

(١) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٨٦-٨٧.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٦٧-١٧٠، والقضايا الاساسية في علم اللغة ٨٩-٩٠. وقد ركزت اغلب دراسات (هيلمسليف) و(أولدال) على الوحدات الصوتية. و(الجلوسماتية) مشتقة من glossa = اللغة وتعني دراسة اللغة. واختيار التسمية للدلالة على البداية الجزرية الجديدة للمحاولة. ينظر القضايا الاساسية ٩١.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٧٥.

(٤) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٩٠.

(٥) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٩١. ويؤكد اعتقاد (هيشن) موقفهم من المعنى كما سيأتي. وتوافقه الرأي (برجيتيه بارتشت) ينظر: علم اللغة من هرمان ١٧٢-١٧٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

في كل لغة على نحوٍ مختلف^(١) ويكون الشكل على مستوى التعبير (الفونيمات) وعلى مستوى المضمون (وحدات بنية المعنى). أما المادة فهي المتلازم (المتعلق) غير اللغوي للشكل وتكون على مستوى التعبير (الدال) كل الأصوات التي يمكن نطقها. أو وسائل ثانوية مثل تسجيل الأصوات. وعلى مستوى المضمون كل التصورات الممكنة^(٢). فالمادة بلا قاعدة وغير مورفية _ بلا صورة _ وتفتقر إلى التشكيل ويعنى بمستوى المادة علماء آخرون أيضاً. أما الشكل فهو وحده موضوع علم اللغة. ويجب ان يبقى موضوعه الوحيد. هذه الافكار اطلق عليها في بحث متأخر _ الطبقات (المستويات) الأربعة للغة:

شكل التعبير – مادة التعبير

شكل المحتوى – مادة المحتوى.

وبهذا تتكون العلامة اللغوية بالنسبة لهيلمسليف من شكل التعبير وشكل المضمون المحتوى^(٣). وقد جادل (هيلمسليف) و(أولدال) أيضاً في مسألة ارتباط اللغة بالعلوم الأخرى وعدوا اللغة بنية مستقلة بذاتها. متفقين أيضاً مع ما قرره (سوسور) من قبل^(٤). وتكمن نقطة الخلاف في ان (هيلمسليف) حاول ان يحدد (الجلوسماتية) بوصفها "نظرية لغوية تحديداً شكلياً صارماً، ويقع في قلبها التجريب"^(٥).

ويفهم (التجريب) على نحو خاص عنده فهو ينتج من المطالب الثلاثة _ كما في حلقة فيينا _ اللاتناقض والشمولية والبساطة. أي ان الوصف ينبغي أن يكون خالياً من التناقض ومستوفياً وبسيطاً بقدر الإمكان. وهي مطالب لم تتج من النقد والاعتراض^(٦).

(١) كما في العدد على سبيل المثال إذ شكلت مادته على نحو مختلف باختلاف اللغات: مفرد وجمع، أو مفرد، مثنى، جمع... الخ. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٧٩-١٨٠.

(٢) كمثال على اختلاف تشكّل مادة المضمون باختلاف اللغات ان كلمة (uncle) في الانكليزية تقابل (عم وخال وزوج العمة وزوج الخالة) في العربية. ينظر مناهج علم اللغة من هرمان ١٧٩. وهو ما عُيّيت به فيما بعد نظرية الحقول الدلالية. ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٧٨-٨٧.

(٣) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٧٧-١٨٥. ويمكن ان نلاحظ أيضاً ان هذه الافكار اكثر نضجاً مما قدمه سوسور، ينظر (الهامش) ١٨٥.

(٤) ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ٩١-٩٢. هذا فضلاً عن إقرارهم بالثنائيات اللغة _ الكلام، النظام _ العملية، التعااقبية _ التزامنية. ينظر ٩٣ و ٩٥-١٠٧.

(٥) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٨٢. وترى برجيته بارتشت ان مفتاح فهم نقاط الخلاف بين هيلمسليف وسوسور توجد في الشروط الفلسفية التي جعلها اساس بحثه اللغوي لتأثره بالوضعية الجديدة، وهو ما أقر به بوضوح مراراً. ينظر: ١٧٢.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٨٣-١٨٤. وذلك لأنه لا يمكن توسيع نظرية لغوية تامة دون تناقض. فاللغة يجب ان تجيز توسعات في انظمتها الفرعية المنفتحة أساساً. وهذا يتناقض مع مبدأي (اللاتناقض) و(الشمولية). كذلك البساطة ليست مناسبة حين تحجب علامات لغوية لصالح عرض أكثر بساطة. وترى (برجيته بارتشت): ان هذا النقد يجب ان يخفف لان الجلوماسية ليست نظرية لغوية عادية بل هي بالأحرى نظرية للعلامات ذات إمكان تطبيق عالمي. كذلك يجب ان تقاس امكانية اختبارها وتطبيقها بمقاييس أخرى. ينظر: ١٨٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويبقى الهدف الاساس من التحليل الجلوسماتي " هو اقامة حساب تحليلي جبري... يمكن ان تقدر بناء عليه كل امكانات التأليف في اللغة المعنية وهي في الحقيقة ايضاً تلك التي لم تتحقق بعد في النصوص الموجودة ولكن تحددها النظرية بانها ممكنة أي تقدرها وتتوقعها"^(١).

وفي ضوء المفاهيم السابقة يأتي موقف (الجلوسماتية) من بعض القضايا التي تخص الجملة _أي أثر سوسور والمنطق الوضعي_ فقد تحدث هيلمسليف في اطار العلاقة بين العناصر عن الجمل الرئيسية والجمل الفرعية وذكر ان "الجمل الرئيسية ممكنة بدون الجمل الفرعية، اما العكس فلا يصح. ومع ذلك فلا يعني ذلك بدهاءة ان كل جملة فرعية مفردة تشترط كل جملة رئيسية مفردة: فلا تشترط الجملة الفرعية وجود جملة رئيسية معينة. بل وجود أية جملة رئيسية فقط"^(٢).

وعني (هيلمسليف) بمشكلة التتابعات في الجملة. والصلة بين جمل اللغة وقواعد تغيير التشكيل لتعبيرات لغوية"^(٣).

وفيما يخص (معنى الجملة) يرى الجلوسماتيون "ان التحقق من المعنى ينبغي ان يكون دائماً دائراً بين الذوات أو موضوعياً: أي انه ينبغي ان يتم من حيث المبدأ بواسطة شخصين ملاحظين على الأقل. فان لم يكن الأمر كذلك فإن صدق الجملة لا يكون قد برهن عليه. ولا تكون الجملة عند ذلك عملية"^(٤).

واذا كان "كل تحقق موضوعي ينبغي ان يكون متحققاً بالحواس فإنه ينتج انه لا يمكن التحقق الا من الجمل التي تخص الاجسام وحركتها، اما كل الجمل المتصلة بالامور النفسية الداخلية أو جمل الفلسفة التقليدية (مثل الروح خالدة، الإله موجود، الحرية حقيقة... الخ) فنحن لا يمكن التحقق منه، أو بعبارة أخرى: انها فارغة من المعنى. وبالتالي فإن اللغة الوحيدة التي يمكن ان تكون ذات معنى هي لغة علم الطبيعة. وينبغي توحيد كل العلوم تحت هذا اللواء"^(٥).

وترى (بارتشت) ان الجلوسماتية: "لم تكن نظرية لغوية بقدر ما كانت نظرية عامة للعلامات على الأرجح"^(٦).

وثمة مسألة مهمة أخرى يمكن ان تضاف إلى انتقادات الجلوسماتية وهي أنه "لم توصف بالمناهج الجلوسماتية أية لغات مفردة، ولا يمكن ان تعد المحاولات الضئيلة موفقة، ويفتقر بالإضافة إلى ذلك إلى أية صلة باستعمالات لغوية إجتماعية وموقفية، إذ ظلت المادة مستبعدة"^(٧).

(١) القضايا الاساسية في علم اللغة ١٠٢. ويعني هذا ان اللغة توجد مسبقاً قبل تحققاتها وهي المسألة التي ركز عليها تشومسكي على نحو خاص فيما بعد. ينظر: ١٠٣.

(٢) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٨٢.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٧٢-١٧٤، ١٩٠، وهذا له صلة بحديث سوسور عن العلاقات العمودية والافقية.

(٤) القضايا الاساسية في علم اللغة (الهامش) ٩٤. وهذا نتيجة ايمانهم بـ(التجريب) كما سبق.

(٥) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة (الهامش) ٩٤. وهذا أحد آثار ايمانهم بالتجريب أيضاً. ولهذا فرق هيلمسليف بين لغة الموضوع (الموصوفة)، واللغة الواصفة. الأولى هي لغة النص المدروس وهي لغة طبيعية وهي التي يختارها عالم اللغة لدراسة اللغة الطبيعية. والثانية لغة العلم وهي منطقية رمزية. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٧٢-١٧٤.

(٦) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٧٥.

(٧) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٩٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وربما كان هذا سبباً في اتهامها بأنها تمثل طريقة ضيقة وفقيرة، وانها خلقت في فراغ من الناحية التاريخية إلى حد ما بمواضعة تحكيمية غير مقيدة. وانها حددت عقدياً لمرة واحدة وإخيرة^(١). ولم تكن نظرية (سوسور) بمنأى عن النقد أيضاً فقد أخذ عليها كما أخذ على الجلوسماتية انها لم تجر أي تحليل لنظام لغوي محدد، وانها نظرت في النظام اللغوي منعزلاً عن كل الصلات بحامل اللغة. وانها لم تجر أي مقارنة بأنظمة لغوية أخرى^(٢). ومما انتقد فيه (سوسور) ايضاً ان منهجه ظل عاماً وان التعارضات التي تظهر في النص وأوجه الغموض في القول اتاحت لمدارس لغوية عدة لا يمكن حتى التوحيد بينها ان تستند إلى سوسور. لأن كلاً منها انتقى من النص ما يطابق تصوراته الخاصة^(٣). وكل ما قيل لا يلغي أثر (سوسور) فيمن خلفه، ودوره في توجيه النظر إلى اللغة على نحو يتجاوز مجموع كل الجمل التي نتجت عرضاً عن مجموعة معينة من البشر، ويعدها نظاماً بنيوياً بين عناصر متماسكة^(٤).

ثانياً: البنيوية الأمريكية أو (علم اللغة الوصفي):

تميز النصف الأول من القرن المنصرم بالمنهج الوصفي البنيوي الشكلي^(٥). وقد نشأت البنيوية البنيوية الأمريكية وتطورت في الولايات المتحدة على نحو مستقل نسبياً عن المدارس الأوروبية وغير متصل بفردينان دي سوسور اتصالاً مباشراً. وكان اهتمامها منصباً على ابتكار طريقة لوصف اللغات الهندية _ الأمريكية الآخذة بالانقراض _ وان كان هناك من يرى خلاف ذلك ويرى ان ابرز رجال البنيوية الأوائل كانوا متأثرين بأفكار (سوسور) بشكل أو بآخر^(٦). وترجع (برجيتيه بارتشت) الرأي الأول وان كانت هناك بعض وجوه التطابق بين الجانبين حول بعض المفاهيم الاساسية مثل البنية والنظام. فهي ترى "أن معرفة تأثير دي سوسير في علم اللغة الوصفي ليس بالأمر الواضح كما هو الحال في علم اللغة الأوربي في القرن العشرين. غير انه تتلاقى آراؤه حول البنية اللغوية مع آراء (فرانزبواز) وقد تضمنت مدرسة (بلومفيلد) في علم اللغة الوصفي معرفة كليهما، واسست هنا ايضاً تفكيراً عن النظام والبنية، وان كان في سياق آخر عما في أوربا. فاللغة بالنسبة لبومفيلد ايضاً نظام من انظمة فرعية، ويتحدد كل عنصر مفرد ببنية من خلال موقعه في هذا النظام"^(٧). ويرجع رأي (بارتشت) التأثير المستقل للبنيوية الأمريكية بالسلوكية (BEHAVIORISM) التي دخلت علم اللغة الامريكي من علم مجاور هو (علم النفس)

(١) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ١٠٣-١٠٥.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٢.

(٣) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ٥٣. ومناهج علم اللغة من هرمان ٩٤. وتذكر (بارتشت) ان بعض فصول (كتاب سوسور) أصعب من الأخرى وليست كلها تتصف بالثورية وهو مانسي في النشوة الأولى حول ذلك الكتاب. ينظر: ٩٤.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٢.

(٥) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٩.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٩٩، وفي علم اللغة (طليمات) ١١٠.

(٧) مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٠٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ولاسيما من خلال آراء (واطسون) و(وايس)^(١). هذا فضلاً عن الخلاف حول قضايا أخرى سيأتي بيانها.

أما (كلوس هيشن) فيرى "ان الفضل يرجع إلى دي سوسير في ادخال وجهة النظر البنيوية في علم اللغة وحتى إذا كانت البنيوية الأمريكية لم تحفل بدي سوسير الا بشكل محدود فإنه قد وقف أقرب ما يكون إلى أضعاف اضعافها"^(٢).

ويبدو جلياً ان اهتمام البنيوية الأمريكية باللغات الهندية لشمال أمريكا كان له أثر واضح فيها فقد كانت الموضوع الرئيس "لدراسة علماء اللغة الأمريكية بعد مرحلة تلقي موضوعات ومناهج هندوأوربية. وقد جعل هذا المطلب العملي علم اللغة يسلك منهجاً خاصاً. فاللغات الهندية الأمريكية لم يكن لها تراث، فلم يعرف المرء تاريخها السابق ولذلك لا يستطيع ان يبحثها بالمناهج المألوفة في علم اللغة إلى الآن. ومن ثم طورت مناهج جديدة ذات عناية خاصة ببحث لغات لم تستثمر بعد"^(٣).

وقد كان الرائدان الكبيران: فرانزبواز (F.Boas) وادوارد ساپير (E.sapir) هما المحفزان الأساسيان للبنيوية الأمريكية الكلاسيكية التي عرفت فيما بعد بـ(التوزيعية)^(٤).

أما بواز (١٨٥٨-١٩٤٢) فقد كان عالماً انثروبولوجياً غني منذ بداية القرن بالثقافات الأمريكية الهندية. وظهر مرجعه في لغات الهندود الأمريكيين بالانكليزية من ١٩١١-١٩٢٢. ويتخلل هذا المرجع فكرتان: الاولى قصور المناهج التقليدية التي طورت في اوربا (التاريخية) للغات الهندوأوربية عن دراسة لغات غريبة للغاية مثل اللغات الهندية الأمريكية. والثانية فرضيته الانسانية بعدم وجود لغات متخلفة. ونادى ايضاً بوصف كل لغة على حدة وهو ما اوجح احدى المعتقدات الاساسية للدراسات الوصفية في امريكا^(٥). أما ساپير فيرجع إليه الفضل في ادخال الجانب النظامي _ البنيوي _ إلى علم اللغة الأمريكي. وهو وبلومفيلد تلميذان لـ(بواز) وهما لغويان يختلفان في اهتماماتهما العلمية اختلافاً كبيراً^(٦).

(١) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان ٢٠٤-٢٠٥. واضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٩-١١٠. وفي علم اللغة (طليمات) ١١٠-١١١.

(٢) القضايا الاساسية في علم اللغة ٣-٤.

(٣) مناهج علم اللغة من هرمان باول ١٩٩. ونظراً لتسارع موت هذه اللغات التي تفقر أصلاً الى أنظمة كتابية توثقها نذر كثير من علماء اللغة الأمريكيين جهودهم لتوثيقها قبل اختفائها، وطور بعضهم وسائل لوصفها مثل (بلومفيلد) الذي طور ما سمي بـ(DISCOVERY PROSEDURES) أي (عمليات الاستكشافية). وذلك بأن نستمع لناطق بإحدى تلك اللغات، بعد ان نضع أمامه أشياء ونطلب منه تسميتها بلغته ونسجل كل ما نقوله، ثم نطرح عليه بعد ذلك عدداً من الأسئلة ويجيب عليها بجمل نقوم بتحليلها. ينظر: ١٩٩-٢٠١.

(٤) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١١. ومناهج علم اللغة من هرمان ٢٠٠-٢٠١.

(٥) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١١. ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٠-٢٠١. والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث (تواب) ١٨٥.

(٦) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ١١١. ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠١. ومن ملاحظات (بواز) ان التشابه قد يعالج بغير القرابة اللغوية كالتجاور الاقليمي مثلاً وقد بحث كل الاسر اللغوية الكبرى وكان عالماً بالأدب وبالغ التنوع للموسيقى.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وقد وضع (بلومفيلد) لعلم اللغة الأمريكي اطاراً لغوياً نظرياً اعتد بالاحتمية الآلية الميكانيكية وكان متأثراً بمذهبه هذا بالوضعية الصارمة لعلماء النفس السلوكيين الذين كان تأثيرهم فيه قوياً^(١).

ويعد (بلومفيلد) ايضاً اللغوي الأكثر تأثيراً في تعميق ادوات الوصف النحوي من بين اللغويين الذين خلفوا بواز. وقد اسس مدرسة حقيقية أطلق عليها مدرسة ييل Yale نسبة إلى مكان عمله جامعة ييل في نيوهافن/كون. واطلق اتباعهم على انفسهم اسم (علماء) علم اللغة الوصفي لأن وصف اللغة مركز بحثها^(٢).

ولبومفيلد صلة بعلم اللغة الاوربي من خلال توقعه للدراسة في (لييزج) (وجوتنجن) ١٩١٤/١٩١٣ وفي (لييزج) حضر محاضرات (بروجمان) و(لسكين) وعالم النفس (فوفت). قبل ان يتأثر بعد عودته إلى الولايات المتحدة بفرائزبواز لغوياً. وواطسن الذي كان عالماً نفسياً^(٣). مع ذلك لم يفقد صلته بعلم اللغة الأوربي _ كما يبدو _ من خلال بعض الأعمال التي قدمها للغويين في الولايات المتحدة مثل (كتاب سوسور) وكتابه المجلد الثامن من سلسلة مدرسة براغ (أعمال حلقة لغوي براغ)، ومقالته حول تربتسكوي^(٤).

وأشهر عمل قدمه (بلومفيلد) هو كتابه اللغة (LANGUAGE) الذي هيمن على معظم الدراسات اللغوية ثلاثين عاماً منذ تاريخ صدوره عام ١٩٣٣. وجعله هذا في نظر الدارسين المؤسس الحقيقي للمدرسة البنوية^(٥).

وقد بدا أثر المدرسة السلوكية النفسية التي ظهرت في الولايات المتحدة على يد واطسون (١٨٧٨-١٩٥٨) واضحاً على (بلومفيلد)، فقد ركزت هذه المدرسة اهتمامها بالأساس على (السلوك) لأنه يخضع للملاحظة والتجربة العلميين وأخرجت كل الأمور المتعلقة بالحياة الداخلية للإنسان. أي ان دراستها اقتصرت على ما يمكن ملاحظته بالحواس وهو ما تأثر به بلومفيلد وتبناه ومن أهم صور تأثره به رفضه الاستبطان ودعوته إلى الاقتصار على المنطوقات التي يمكن ملاحظتها واعادة انتاجها وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي انتجت فيه^(٦).

ويعني هذا أن (اللغة) هي الكلام المنطوق فعلياً ولا وجود لأي تمييز بين اللغة والكلام على غرار ما فعله (سوسور) من قبل في ضوء مقاييس (بلومفيلد) الذي أصر "على ضرورة الوصف

(١) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٢. ومدخل إلى اللسانيات ٦٨، ويعتقد (كلوس هيشن) ان طموح اللغويين الأمريكيين لمناهج آلية يجب ان يفهم في ضوء اخفاق المناهج التقليدية الاوربية التي وقفت عاجزة امام عالم لغوي وثقافي غريب، فقد كانت تلك المناهج التقليدية الاوربية تشترط معرفة مسبقة حدسية محددة عن اللغة الموصوفة. ينظر ١١١.

(٢) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٢.

(٣) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٢. مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٣، ومدخل إلى اللسانيات ٦٨.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٠٣.

(٥) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٧، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٧، والمدخل إلى علم اللغة ١٨٥ ومدخل إلى اللسانيات ٦٨.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٤-٢٠٦، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٣-٣٤. وفي علم اللغة (طليمات) ١١١. وقد رأت هذه المدرسة ان اللغة تكتسب عن طريق الممارسة شأنها شأن السباحة والسياسة وعلى هذا الأساس بنت تفسيرها اللغة في ضوء المثير والاستجابة. ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٣٣-٣٤. وشظايا لسانية ٨٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اللغوي على عينات حية تجنباً للتكلف^(١) وعد المنطوق الكلامي SPEECH UTTERANCE موضوعاً لعلم اللغة^(٢).

وايمانه بأن "ما يمكن قياسه بمناهج علوم الطبيعة فقط، وما يمكن ملاحظته ملاحظة موضوعية فحسب، يمكن ان يكون موضوع بحوث علمية"^(٣) جعله يسلم بما يقوله السلوكيون عن اللغة وتفسيرهم لها على انها "تتألف من ردود فعل أو استجابات لمؤثرات خارجية يصبح الشكل المقبول اجتماعياً منها عادة لدى الفرد عن طريق الثواب الذي يقدمه له المجتمع سواء إقتصر هذا المجتمع على الوالدين في بادئ الأمر أو امتد إلى أبعد من ذلك فيما بعد. فعندما يتعلم الطفل اللغة بهذه الطريقة يتوصل في النهاية إلى حفظ واختزال عدد محدود من نماذج الجمل^(٤) التي يمكن مدها مدّها وتوسيعها أفقياً بطرق مختلفة مع الإبقاء على اساس كل نموذج منها على ما هو عليه. وعندما يتأثر الفرد بمؤثر خارجي يستجيب بأحد هذه النماذج المخزونة عنده"^(٥).

فما يمكن ان يكون قابلاً للملاحظة المباشرة هو في النهاية سلوك الانسان. أما القدرات العقلية والأفكار والخبرات الشخصية فهي تخص الفرد الإنساني وحده^(٦). وانطلاقاً من هذا المبدأ قرر (بلومفيلد) ان دراسة المعنى هي (أضعف نقطة في دراسة اللغة) ودعا إلى استبعادها من الوصف اللغوي لصعوبة البحث فيها بحثاً موضوعياً. والاقتصار على دراسة اللغات من الناحية الشكلية الظاهرة فقط^(٧).

وكان الهدف الذي يسعى إليه (بلومفيلد) هو "استبعاد الحدس الذي ربط بالمعنى وعمليات الوعي التي تشترك في استيعابه، ووصف اللغة وصفاً شكلياً وآلياً ما أمكن ذلك"^(٨). لأننا لا يمكن ان نقدم تعريفاً دقيقاً من الناحية العملية لمعنى كل شكل في لغة ما، ما لم نمتلك معرفة دقيقة من الناحية العلمية لكل شيء في عالم المتكلم. والمدى الحقيقي للمعرفة الإنسانية ضئيل جداً مقارنة بذلك^(٩). فنحن نستطيع ان نسمي المعادن أو الملح بكلوريد الصوديوم لكننا لا نمتلك طريقة محددة لتحديد كلمات مثل LOVE الحب أو HATE الكراهية. وهذا هو سبب عد (المعنى) النقطة الضعيفة في دراسة اللغة. وسوف تبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدماً بعيداً للغاية يتجاوز مرحلتها الحالية^(١٠).

(١) شطايا لسانية ٨٥، وينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٦ وما بعدها وكذلك ٢٥١. وفي علم اللغة (طليمات) ١١٠ وما بعدها، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٣-٣٤.

(٢) القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٨.

(٣) مناهج علم اللغة من هرمان ٢٠٦.

(٤) الأفضل ان يقال: حفظ عدد محدود من نماذج الجمل واختزانه... الخ بدون الفصل بين المتضامين.

(٥) أضواء على الدراسات اللغوية ١٣٨-١٣٩. وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١١.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٦.

(٧) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٠، وعلم اللغة (السعران) ١١-١٥، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ١٨٦ واضواء على الدراسات اللغوية ٢٧٥. ومدخل إلى اللسانيات ٦٩.

(٨) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٩.

(٩) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٩. وينظر: علم اللغة (السعران) ١١-١٥.

(١٠) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٠١، واضواء على الدراسات اللغوية ٢٧٥، ومدخل إلى اللسانيات ٦٨-٦٩، وشطايا لسانية ٨٥-٨٦، وتأثر بلومفيلد بالعلوم الطبيعية، ودعوته إلى تحقيق العلمية في دراسة اللغة واستبعاد

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وفي اطار مفهوم المثير والاستجابة عرف (بلومفيلد) المعنى بأنه "الموقف الذي ينطق فيه المتكلم هذا الشكل ورد الفعل الذي يستثيره في السامع"^(١). ويبدو فيه بوضوح ايضاً اثر (واطسون) الذي كان يرى ان الكلمات تظهر "عند استئثار ردود أفعال بوظيفة الأشياء تماماً. فالكلمات بدیل عن الأشياء"^(٢). ويمكن توضيح معنى المنطوق والعملية اللغوية في ضوء مبدأ (المثير والاستجابة) من خلال المثال الطريف الذي يسوقه (بلومفيلد) (جاك وجيل): "افترض ان جاك وجيل كانا يسيران في طريق ما. كانت جيل جائعة، ورأت تفاحة على الشجرة، فأصدرت صوتاً من حنجرتها ولسانها وشفتيها. فقفز جاك من فوق السور وتسلق الشجرة وأخذ التفاحة واحضرها إلى جيل ووضعها بين يديها. اكلت جيل التفاحة"^(٣). أي ان اللغة تمكن شخصاً من ان يقوم برد فعل حين يكون المثير لدى شخص آخر^(٤).

وعلى نحو عام يتوجب علينا إذا اردنا توضيح منطوق ما أو أي سلوك آخر تقديم المثير الذي أعقبه هذا السلوك بوصفه (رد فعل). وجميع المفاهيم التي تستند إلى الحال الداخلية، ولا يمكن ان ترجع إلى معطيات فيزيائية تستبعد لكونها عديمة الجدوى وميتافيزيقية، ويتبعها هنا خاصة: الوعي، الإرادة، المقصد... الخ، وبإيجاز كل المفاهيم العقلية. فان تقول ان الانسان يتصرف على هذا الوجه وعلى ذلك الوجه لان لديه الإرادة لذلك. كأنك لم تقل شيئاً على الاطلاق^(٥).

ولم ينصرف (بلومفيلد) في الحقيقة عن دراسة المعنى كلياً ولم يكن يحاول في آرائه هذه ان يقلل من شأن دراسة المعنى أو التشجيع على استبعادها. وإنما كان قصده التنبيه على صعوبة اخضاع دراسة المعنى إلى المعايير العلمية في الوقت الحاضر. وفهم هذا القصد خطأ من اتباعه الذين اعرضوا عن دراسة المعنى. بل أدت مقولاته حول هذا الموضوع إلى اعراض جيل كامل من اللسانيين عن الخوض في دراسة المعنى في الربع الثاني من القرن العشرين^(٦).

وتقوم نظرية (بلومفيلد) على محاور أربعة تميز العلم عن النشاطات الإنسانية الأخرى وهي: السلوكية، والآلية، والتجريبية العلمية، والفيزيائية^(٧). ويعني ذلك: "ان المنطوق لا يكون علمياً الا

دراسة المعنى تبعاً لذلك. يدل على ان نهج بلومفيلد ذا قرابة بقواعد النحاة الجدد اكثر بكثير من قرابته لبنائية (سوسور). وهؤلاء ايضاً كان لهم موقف مماثل من المعنى كما تقدم بيانه مع ذلك يمكن القول ان البنائية الأمريكية متمثلة ببلومفيلد قد طورت نفسها بشكل مستقل. ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ٧، ١٣، ١١٣.

(١) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٧، وينظر أضواء على الدراسات اللغوية ٣٢١. وفي ضوء مفاهيم بلومفيلد يمكن ان يقول اللغوي ان (سمكة) تستدعي ردة فعل من الجماعة اللغوية تختلف عن (منضدة) ولا يمكن اكثر من ذلك. ينظر القضايا الأساسية ١٢٠.

(٢) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٧.

(٣) القضايا الأساسية في علم اللغة ١١٥، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٠-٢١١، وعلم الدلالة (بالمر) ٦٦-٦٧.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢١١.

(٥) ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ١١٤-١١٥. وينظر: LANGUAGE AND LINGUISTICS 8-11.

(٦) ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ١١٩، ومدخل إلى اللسانيات ٦٩، وشطايا لسانية ٨٥-٨٦، وفي علم اللغة (طليمات) ١١١.

(٧) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١١٣.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

حين يمكن ان يرجع وفق قانون ثابت من قواعد محددة إلى منطوقات عبر وقائع يمكن ملاحظتها مباشرة، ويعد أي منطوق آخر ميتافيزيقياً^(١).

أما الوصف اللغوي عند (بلومفيلد) فيمكن "في ادراك المواقع التي يمكن ان يرد فيها شكل ما، وفي فصل الاشكال أو المواقع عن بعضها البعض. وتبعاً لذلك فان أهم منهج للعثور على وحدات لغوية هو تحليل أوجه الإطراد لتوزيع الوحدات في المنطوق (التوزيعات).." ^(٢).

وقد استعمل في الفصل العاشر من كتابه (اللغة) مفهوم (المكون المباشر) في وصفه اللغوي، ويستكمل التحليل في ضوء هذا المفهوم انطلاقاً من النحو حتى المورفولوجيا. ويشتمل على كل الوحدات الحاملة للمعنى القابلة للتجزئة. وهو النهج الذي وسعه اتباع (بلومفيلد) فيما بعد وعرف باسم (التوزيعية)^(٣).

فكل شكل مركب في ضوء تصور (بلومفيلد) مبني من مورفيمات (مكونات اساسية نهائية) _ كما في جملة POOR JOHN RUNAWY (جون المسكين يفر) التي تتكون من خمسة مورفيمات هي: POOR, JOHN, RAN, A, WAY لكن تحليل الجملة السابقة بهذه الطريقة من خلال تحديد (مكوناتها الأساسية) يعني فقدان (البنية) وهو ما يتجنبه (بلومفيلد) بعملية تدريجية هي التحليل إلى (المكونات المباشرة) ويتم بموجبها تحليل الجملة السابقة إلى:

POOR JOHN + RUN AWAY

وبعد ذلك يتم تحليل (POOR JOHN) إلى: POOR + JOHN

و (RUN AWAY) إلى RAN + AWAY

وبعد ذلك (AWAY) إلى: A + WAY

وبذلك نصل إلى المكونات الاساسية (النهائية) لكن ذلك يكون في نهاية التحليل وليس بدايته^(٤).
بدايته^(٤).

ومن خلال تحليل جمل لغة ما يمكن ان نتوصل إلى توزيع كل عنصر من عناصرها أي: التوصل إلى كم أو (مقدار) كل المحيطات (السياقية) الممكنة. التي يمكن أن يظهر فيها هذا العنصر^(٥).

وعلى ما يبدو ان عملية التحليل عند التوزيعيين تتجه من أسفل إلى أعلى تارة، ومن أعلى إلى أسفل تارة أخرى. فبعد بناء فئات المورفيمات يمكن للمرء ان يستمر في بناء أقسام من فئات

^(١) القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٤. وبالتأكيد لم يمر تفسير بلومفيلد للغة في ضوء المثير والاستجابة بدون ان ينقد بشدة لوجود ثغرات عدة فيه كما سيأتي.

^(٢) مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢١٨.

^(٣) مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢١٩.

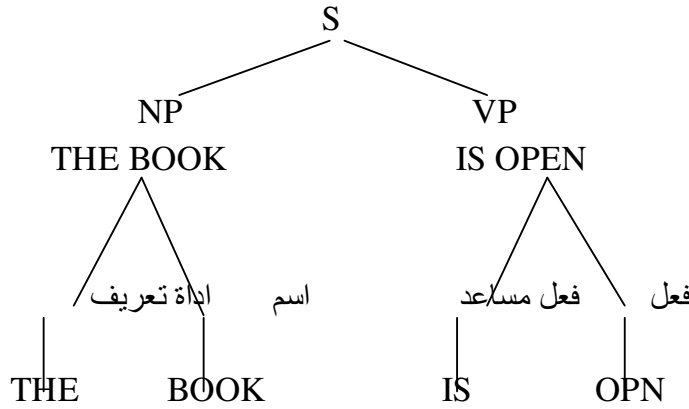
^(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢١٩، وينظر: linguistics 65-70.

^(٥) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٤٤. وقد فرق علم اللغة الوصفي الأمريكي بين ثلاثة انواع من التوزيع: تكاملي، تقابلي، ائتلاف حر. ينظر: ٢٤٤ ومابعداها. وينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

المورفيمات. وعلى سبيل المثال يمكن ان تجمع كل الفئات التي ترد في المحيط بعد فئة أداة (تعريف/تتكير) في قسم اعلى من جهة التدرج _ من خلال مراعاة العلاقات التوزيعية _ إذ تشترك الأسماء في محيطات مهمة كثيرة مع تتابع أداة (تعريف/تتكير) + اسماء. ويمكن ان يستكمل هذا البناء الضخم (المكون من وحدات مستقلة) المتدرج حتى أعلى وحدة إلى الجملة. حيث تتكون الجملة من عبارة إسمية وعبارة فعلية، وتتألف العبارة الإسمية من أداة تعريف واسم، والعبارة الفعلية من فعل وفعل مساعد كما في هذا المثال من الانكليزية:

The book is open



وتجرى العملية من أسفل إلى أعلى^(١).

ويمكن ان يتجه التحليل على العكس من ذلك من الوحدة الأعلى (الجملة) إلى أكبر قدر ممكن من الوحدات الأصغر. ثم تجزأ هذه الأخيرة مرة أخرى إلى أكبر قدر ممكن من الوحدات الأصغر... الخ. وأكبر قدر ممكن من الوحدات التي يمكن ان تجزأ إليها الوحدة المعطاة هي ما يسمى بـ(المكونات المباشرة) _ كما سبق _ ومن خلال هذه العملية نتوصل إلى إقامة صياغات تركيبية (نماذج) PATTERNS لبناء المنطوقات التي تعد مميزة للغة معينة. مبنية على أساس تحليل توزيعي للمادة اللغوية^(٢).

والإتجاه الاول هو نهج (بلومفيلد) والثاني طوره اتباعه ممن جاء بعده من التوزيعيين^(٣).

ومن خلال ملاحظة العلاقات التوزيعية للغة الالمانية _ على سبيل المثال _ يمكن ان يتكون في هذه اللغة مركب اسمي (عبارة اسمية) من (أداة تعريف/تتكير+صفة+اسم). على نحو ما هو ممكن أيضاً في الرومانية وكذلك العربية^(٤).

^(١) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٣٢-١٣٤، وينظر: كذلك 65-70 linguistics ، و(s) اختصار

(sentence) و(n) (Noun) و(v) (Verb) و(p) (phrase) .

^(٢) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٣٤، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٨-٢١٩. ويعد: هاريس وهوكيت وجيلسون وفريز من أشهر التوزيعيين. وللأخير فضل كبير في ابراز هذا النهج عملياً. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٩ وما بعدها، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٨.

^(٣) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٣٤، والنحو في القديم والحديث ١٩، وشظايا لسانية ٨٥.

^(٤) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة (الهامش) ١٣٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وباختصار بني (الاتجاه التوزيعي) على أساس ان الجمل مبنية من لبنات أو وحدات مترافقة يمكن ادراكها وتمييز بعضها من بعض بالتوزيع والتفريع^(١). وعلى الباحث اللغوي ان يقف على العناصر المكونة للتراكيب. وإذا اراد أن يحاكي تركيباً منها لجأ إلى طريقة التعويض فاستبدل بعض المكونات التي يشتمل عليها بمكونات أخرى وبهذا يتحصل تركيب جديد الفكر نمطي الشكل^(٢).

كما في إرجاع الجمل الانكليزية إلى ستة أصناف أو صيغ يمكن ان تبني عليها هذه الجمل:

1. S + v —————> JONE CAME.
2. S + v + c —————> JONE BECAME ATEACHER.
3. S + link.v + c —————> JONE IS A TEACHER.
4. S + v + o —————> JONE WROTE A LETTER.
5. S + v + o₁ + o₂ —————> JONE WROTE MARY A LETTER.
6. S + v + o + c. —————> JONE ELECTED MARY SECRETARY.

هذه هي الصيغ الأساسية التي يمكن ان ترتبط بموجبها الوحدات أو العناصر لتكون جملة في اللغة الانكليزية. ويمكن ان نحاكي أي تركيب من خلال استبدال (رموز العناصر) بـ(عناصر أو وحدات لغوية) اذ يمكن _ كما في الصيغة الأولى _ ان نؤلف جملاً من قبيل:

- THE BABY CRIES.
- THE PRESIDENT SPOKE.
- THEY SING.

وفي كل مرة نكون تركيباً لفكرة جديدة وعناصر جديدة ويبقى النمط واحداً^(٣).

والمكونات المباشرة لكل واحدة من هذه الجمل هي (عبارة اسمية) + (عبارة فعلية) يمكن ان نجزأها إلى وحدات أصغر فأصغر وصولاً إلى مكوناتها الأساسية، إذا كان اتجاه التحليل من المكونات الأعلى إلى الأسفل. أو ان ننطلق من مكوناتها الأساسية وصولاً إلى المكون الأكبر إذا كان اتجاه التحليل من الأسفل إلى الأعلى^(٤).

و(الصيغ) السابقة تعطي مثلاً مصغراً للعلاقة التي يمكن ان تنشأ بين الكلمات وتأتلف بموجبها العناصر (الوحدات) لتكوين جمل لغوية^(٥).

^(١) ينظر: في علم اللغة (طليمات) ١٩٢. وقد تجاوز مفهوم (التوزيع) فيما بعد الجملة إلى (النص) على يد (هاريس) الذي كان يعتقد في البداية بعدم وجود حاجة لتجاوز اطار الجملة في التحليل اللغوي. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٣٣. وكذلك ٢٢٧، ٢٤٢.

^(٢) ينظر: في علم اللغة (طليمات) ١٩٣.

^(٣) ينظر: AN INTRODUCTORY ENGLISH GRAMMER 197-218. IDENTIFICATION OF SENTENCE BOUNDARIES 15-21

وقد توسع هذه النماذج الى تسعة أو عشرة ينظر المصادر السابقة.

^(٤) ينظر: Linguistics 65-70.

^(٥) وسنأتي إلى عرض أمثلة تبين تأثر بعض الباحثين العرب بوجهة النظر البنوية هذه.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويبدو واضحاً ان العلاقات العمودية (الاستبدالية)، والأفقية (التأليفية أو النحوية) تمثل جانباً أساسياً في العمل التوزيعي يوازي أهميتها اللغوية عند (سوسور) وان كان هناك بعض الاختلاف في مدى العناية التي حظيت بها كل واحدة من هاتين العلاقتين. وأياً يكن أمر الاختلاف فقد أصبحت هاتان العلاقتان جزءاً أساسياً من علم لغة القرن العشرين بأكمله^(١).

وقد تبدو النظرة التوزيعية التي تعد الجملة وحدات أو لبنات مترافقة وطريقتهما في التحليل مثيرة للغاية في أول وهلة. ولاسيما ما يتعلق بالجانب العلمي الموضوعي واستبعاد الحدس أو التخمين من العمل اللغوي وامكانية تطبيقها على جميع اللغات. الا أن الأمر على خلاف ذلك. فتمة ملاحظة مهمة جداً يذكرها (كلاوس هيشن) هي وجوب التسليم "بأن أعمالاً توزيعية في هذا الإتجاه _ النمطي_ جدٌ نادرة، وان كمّاً كبيراً من البحوث يظل مقتصرراً على انظمة فونولوجية للغات مفردة"^(٢).

فضلاً عن ذلك أدت إساءة تفسير أتباع (بلومفيلد) لكلامه حول المعنى ودعوته إلى ان يبدأ الوصف بالفونولوجيا إلى ازاحتهم المعنى بشكل نهائي وكلي عن النظر اللغوي. ولم يسمحو بالاستناد إلى المعنى الا بوصفه (SHORT CUT) طريقة مختصرة، أو بوصفه صلة استكشافية، ولم يجز عندهم ان تؤسس أية خطوة تحليلية ونتيجة تحليلية بمعنى نظامي على اعتبارات تتعلق بالمعنى. وما يوجد في المواد الملاحظة وخواصها التي يمكن ان تدرك لغوياً هو ان يقال انها (ترد أو تقع) قبل هذا العنصر أو بعده في التدقيق الكلامي^(٣).

بل تطرف بعضهم في ذلك إلى درجة تجنب استعمال تعابير مثل: اسم، فعل، صفة،... الخ، لكي لا يقود ذلك إلى اللبس، واستبدلوها بالأرقام فسموها الجزء الأول (أو المجموعة الأولى) والجزء الثاني (المجموعة الثانية) وهلم جرأً. ويعد (فريز) من جامعة مشيغان أشهر من قام بهذا العمل. وقد احتفظ بدراسته باجزاء الكلام الرئيسة: الاسم، والفعل، والصفة، والظرف وقسم بقية الاجزاء إلى خمس عشرة مجموعة بموجب معيارين: الشكل الخارجي وقبوله حركات أو زوائد... الخ، وموقع الكلمة بالنسبة إلى الكلمات الأخرى. وهذان المعياران طبقا في وصف اللغات الهندية الامريكية^(٤).

وقد أطلقوا على حدث (واقعة) كلامي مقام بشكل محدد (المنطوق) UTTERANCE الذي يعرف بأنه: (مطل) الكلام بين وقفيتين. ويمثل كم (المنطوقات) المدونة مادة البحث اللغوي^(٥). والمشكلة التي تواجهها (التوزيعية) هي صعوبة تجزئة السلسلة الكلامية. ففي (البنوية الأوربية) لم يكن من الممكن تجزئة هذه السلسلة المتصلة أو تقطيعها الا بالنظر إلى (النظام اللغوي)

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٤٥. والقضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٤-١٢٥.

(٢) القضايا الاساسية في علم اللغة ١٤٣. وكذلك ينظر ١٣٥.

(٣) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٢-١٢٤، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (تواب) ١٨٦.

(٤) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٨٢، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٨.

(٥) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٤. وقد استعمل مصطلح structuralism البنوية و structuralist البنوي ليشيرا إلى التحليل اللغوي الذي يحتذي تفكير (بلومفيلد). ينظر: ١٢٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الذي لا تنجم وحداته بدورها الا عن بنية علائقية مكونة من الصوت والمعنى. وهو ما يراه (السلوكيون) الأمريكيون غير مقبول كلية^(١).

وليتجاوزوا المشكلة حاولوا تطوير طرائق مختلفة لتجزئة المنطوقات، فسلك بعضهم مسلكاً فيزيائياً مثل (بلوخ) Bloch ١٩٤٨ الذي حاول بناء التجزئة على معطيات نطقية. وسلك بعضهم مسلكاً سلوكياً مثل (بايك) pike (١٩٥٤-١٩٦٤) الذي اعتمد على اختيار ردود فعل المتكلمين التي يكشف عنها تجريبياً أساساً للتجزئة اللغوية. في حين اقترح (هاريس) تجزئة أولية بشكل تحكيمي في البداية ثم تختبر إمكانية ان تؤدي إلى مقولات ممكنة. فاذا لم يحصل ذلك يجب ان تغير أو تصوب^(٢).

كذلك يعد التحليل التوزيعي صعباً لأن على اللغوي أن يختبر كل أوجه ورود عنصر ما وكل المواقع التي يمكن ان يشغلها في السلسلة الكلامية. وهو ما أجبر أصحاب هذا المنهج والمختبرين له على إجراءات تقريبية - كما هو الحال مع هاريس - وحاولوا تخطي بعض الصعوبات عبر استشارة مساعدي البحث أو المتكلم أو صاحب اللغة بدلاً من الاعتماد على المعاني. وقد عدّ (هاريس) ذلك عودة إلى أخذ المعنى بعين الاعتبار^(٣).

وإذا اردنا أن نأخذ مثلاً من العربية للمنهج التوزيعي يمكن ان نقول أن احدى الصيغ التي ترد عليها (الجملة) في العربية هي:

فعل لازم + فاعل. ويمكن ان يتبع الفاعل شبه جملة: فعل لازم + فاعل + شبه جملة كما في: ذهب الرجل إلى السوق.

وتحت هذا النموذج تندرج جميع الجمل المتشابهة مثل:

- سعى الرجل إلى رزقه.

- سعى الرجل إلى هلاكه^(٤).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ملاحظة (هاريس) وهي: "ان احتمال الوقوع المشترك لوحدين لغويتين تحدده درجة تشابه معناه" ^(٥). سنعد الجملتين السابقتين متشابهتين تماماً، لأنهما تتبعان انموذجاً واحداً على الرغم من ان الجملة الأولى تفيد ان الرجل هو الذي حصل الرزق. والثانية تفيد ان الرجل هو الذي سيقع عليه الهلاك أو يصيبه الموت. وكذلك هو الحال مع الجمل الانكليزية المشابهة^(٦).

(١) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٢٥. والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٣٥. واضواء على الدراسات اللغوية ١٣٩-١٤٠.

(٢) ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ١٢٥-١٢٩. ومنهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٦٣-٢٦٤. ومن الفوارق بين البنويين ان (الفونيم) حدد في (الأوربية) على أساس الوظيفة الفارقة دلاليًا. وحدد في (الأمريكية) بوصفه فئة من الوقائع دون أدنى صلة بالمعنى. ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٢٩.

(٣) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣١-٢٣٢. وقد ادخل (هاريس) المعنى فيما بعد في تحليله التحويلي للجملة.

(٤) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٣٩. ويمكن ان يمثل لذلك أيضاً بهاتين الجملتين على نحو أكثر وضوحاً: - جاء الرجل على حصان.

- جاء الرجل على مضض.

(٥) مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣١.

(٦) ينظر اضواء على الدراسات اللغوية ١٣٩-١٤٠.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومثل هذا سنجده مع الانموذج الآخر من النماذج التي يمكن أن تتألف الجملة العربية منها:

فعل متعد + فاعل + مفعول به

كما في: فتح الرجل الباب.

فتح المفتاح الباب.

فتح الزلزال الباب.

فهذه الجمل متشابهة لأنها تتبع انموذجاً واحداً أيضاً، وإن كان المعنى مختلفاً لأن (الرجل) فاعل حقيقي في الأولى، أما في الثانية فهو الأداة (المفتاح) التي فتح بها الباب، وفي الثالثة ليس شخصاً (الزلزال). وهذا ما سنواجهه حينما نقصر التحليل اللغوي أو (الوصف) على الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية فقط ونقوم بتقسيم الجملة إلى نماذج من حيث شكلها الخارجي والترتيب الأفقي التتابعي للمفردات بغض النظر عن المعنى النهائي الذي ينتج عن ذلك^(١).

مثل هذه المشكلات أجبرت بعض التوزيعيين أيضاً على مراجعة نهجهم ومحاولة تقويمه باستمرار على نحو مما فعل (هاريس) الذي سبق تشومسكي في التنبيه إلى مسألة (التحويلات). وهذا بدوره يؤكد أن المنهج التوزيعي ليس المنهج الوحيد الصالح للوصف اللغوي، وإن لهذا المنهج حدوداً تجعل اكماله بمناهج أخرى أمراً ضرورياً^(٢).

ويبدو واضحاً من التفاصيل السابقة أن أهمية بلومفيلد للبنىوية الأمريكية تتمثل بتحديد إطار صارم للنشاط اللغوي، أما فيما يخص منهج تحليله فقد توسع اتباعه فيه وانجزوا أكثر مما انجزه هو نفسه^(٣).

وقد عدت البنىوية الأمريكية الجملة (أكبر شكل منطوق) قبل أن يتجاوزها (هاريس) فيما بعد إلى حدود النص^(٤).

ثالثاً: أوجه التشابه والاختلاف بين البنىوية الأمريكية والأوروبية

من خلال تتبع تاريخ المدرستين البنىويتين الأوروبية والأمريكية يبدو جلياً أن كلا منهما نشأت نشأة مستقلة عن الأخرى إلى حد كبير. وأن العوامل المتعددة التي أسهمت في بلورة اتجاه كل منهما كانت مختلفة إلى حد كبير أيضاً. لكن هذا الاختلاف لم يمنع وجود نقاط مشتركة ومسائل اتفقت

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١٣٩-١٤٠.

(٢) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٣١-٢٣٢، والقضايا الأساسية في علم اللغة ١٣٧، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٣٩-١٤٠.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٢١. وكذلك ١٣٥.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٥. وكذلك ٢٣١-٢٣٢. وللبنىوية الأمريكية فضل كبير فيما يتعلق بالدراسة الصرفية ولاسيما في محاولة تحديد مفهوم (المورفيم) الحر والمقيد ومفهوم (الكلمة). و(المورفيم) هو اصغر شكل لغوي أما (الكلمة) فهي اصغر شكل حر. والمورفيم (الحر) يمكن أن ينطق لوحده على عكس (المقيد). ينظر: على سبيل المثال ٢١٥. ووصف اللغة العربية دلاليًا ٤٧-٤٩.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

عليها كلتا المدرستين وسوغت اطلاق تسمية البنيوية عليهما معاً. ويمكن ان نلخص وجوه الاتفاق فيما يأتي:

- ١ - اعتماد (الوصف) وسيلة في التحليل اللغوي، ودراسة اللغة، انطلاقاً من اللغة نفسها وليس مما يجب ان تكون عليه اللغة كما هو الحال مع النحو التقليدي (المعياري)^(١).
 - ٢ - اللغة شكل لا مادة والاهتمام يجب ان يتركز على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرية للغة^(٢).
 - ٣ - اللغة نظام بنيوي تترابط فيه الأجزاء على نحو غير مستقل ترتبط فيه كل وحدة لغوية بالوحدات الأخرى داخل النظام. وتتحدد أهمية كل وحدة من خلال معرفة علاقتها بغيرها من الوحدات وهذه العلاقة أهم من الوحدات نفسها. وهي مبنية بمجملها على التشابه والاختلاف^(٣).
 - ٤ - تأكيد أهمية العلاقتين الاستبدالية (العمودية) والتأليفية (الأفقية) اللتين ترتبط بموجبهما الوحدات اللغوية داخل النظام وان غلب على البنيوية الأوروبية الاهتمام بالعلاقة (الاستبدالية) والبنيوية الامريكية الاهتمام بالعلاقة (التأليفية)^(٤).
 - ٥ - تحليل اللغة إلى مجموعة من المستويات اللغوية: صوتية، وصرفية، ونحوية ودراستها في ضوء العلاقتين السابقتين، وقد اصبحت هذه المسألة من المسائل الراسخة في علم اللغة (اللسانيات)^(٥).
- وفي حقيقة الأمر لا يقتصر الاتفاق على هذه المسائل على البنيويتين الأوروبية والأمريكية بل تتفق عليها أيضاً المدارس والاتجاهات الأخرى التي تعد بنيوية ايضاً في اطارها العام مثل الوظيفية والتوليدية التحويلية^(٦).
- لهذا قيل "ان البنيوية هي الإطار العام الذي يشمل معظم _ ان لم يكن كل _ الاتجاهات التي ظهرت في القرن العشرين"^(٧).
- أما أوجه الاختلاف فيمكن اجمالها بالآتي:

- ١ - حرص (سوسور) ومن تبعه من الأوروبيين على استقلال (علم اللغة) وعدم تبعيته للعلوم الأخرى. اذ ركز على النظرة الداخلية للغة. ودعا إلى دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. أما البنيويون الأمريكيون فقد غلب عليهم التأثير بعلم النفس السلوكي الذي حدد طبيعة نظرته إلى اللغة التي عدوها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى. ولهذا بنوا تفسيرهم اللغوي على مبدأ (الفعل ورد الفعل). وركزوا

(١) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية ٥٥-٥٦. ومدخل إلى اللسانيات ٦٧.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٤٩، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٠٩، وفي علم اللغة (طليعات) ١١٠.

(٣) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٠، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٤٩، وشطايا لسانية ٧٧-٧٨.

(٤) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٢٠ و ١٢٤، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١١١ و ٢٤٥ ومدخل إلى اللسانيات ٦٨.

(٥) ينظر: اسس علم اللغة ٧٧ - ١٣١، مناهج علم اللغة من هرمان بول ١١١ و ٢٥٦، ومدخل إلى اللسانيات ٦٨، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٣.

(٦) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ٥١، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١٠٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ومدخل إلى اللسانيات ٦٩-٧٠، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٦٤.

(٧) مدخل إلى اللسانيات ٧٠.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

على العلاقة بين واقعة (حدث) خارجية (مثير)، ورد فعل صوتي (غير عملي) بديل يقوم بوظيفة مثير صوتي غير عملي بديل، وفي ضوء هذا التصور تكون العمليات المتشكلة هنا بعضها لغوي والآخر غير لغوي عملي. أي انهم لم يدرسوا اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها كما اراد (سوسور) واتباعه. وإنما درسوا اللغة مرتبطة بعلاقات خارجية^(١).

٢ - فصلت البنيوية الأوربية بين اللغة والكلام واعتبرت ان الأول فقط هو موضوع علم اللغة على العكس من الثاني الذي يعد خليطاً غير متجانس من وجهة نظر (سوسور) ومن سار على نهجه. أما البنيوية الأمريكية فلم تفرق بين اللغة وعلم الكلام واللغة عندهم هي الكلام المنطوق فعلاً. وهو المظهر الأول والأساس للغة^(٢).

٣ - تختلف البنيوية الأمريكية عن نظيرتها الأوربية باتباعها أسلوب تحليل الجملة إلى المكونات المباشرة. على أساس ان الجملة مكونة من طبقات بعضها أكبر من بعض يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من الكلمات والمورفيمات... الخ^(٣).

٤ - على خلاف البنيوية الأوربية أهملت البنيوية الأمريكية دراسة المعنى واستبعدته من التحليل اللغوي لأنه ليس مظهراً يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم التطبيقية. وجعل هذا بحثهم يجري بشكل تقريبي^(٤).

وتعد مسألة استبعاد المعنى الثغرة الأساس التي وجه المنتقدون من خلالها نقدهم إلى المنهج البنيوي الأمريكي. وشبه صنيعهم هذا بمن يصف طريقة صنع السفن من غير اشارة إلى البحر^(٥).

كذلك الاقتصار على الشكل الخارجي الظاهر جعلهم يلاحظون الفرق بين اللغات أكثر من ملاحظتهم لأوجه الشبه. وجعلهم هذا أيضاً غير قادرين على شرح العلاقة بين الجمل التي تحمل المعنى نفسه على الرغم من اختلافها في تراكيبها الخارجية. كما في الجمل المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول مثل:

قتلت الحرب آلاف البشر.

وقتل آلاف البشر في الحرب.

وجعلهم هذا ايضاً عاجزين عن تحليل بعض الجمل الغامضة مثل:

هذه احدى نكات مطاعم لندن القديمة.

إذ لا يعرف هل (القديمة) صفة لاحدى النكات أو للمطاعم.

وكذلك جعلهم يعدون الجملتين:

أخذت الكتاب منه.

أخذت الكتاب إليه.

(١) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٦، ١٣٦، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٠٩-١١٠.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ١١٢، وأضواء على الدراسات اللغوية ١١١، ومدخل إلى اللسانيات ٦٧، وفي علم اللغة (طليمات) ١١٠. واللسانيات والبيداغوجيا ٣٣-٣٤، وشظايا لسانية ٨٥.

(٣) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٣٤، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٨-٢١٩، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٩٠ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (تواب) ١٨٦. وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٨.

(٤) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١١٤، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٠ و ٢٤٤. وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١١١. وفي علم اللغة (طليمات) ١١٢، وشظايا لسانية ٨٥-٨٦.

(٥) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ٢٩٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

متشابهتين لأنهما يتكونان من فعل + فاعل + مفعول به + جار ومجرور^(١). ومن الواضح ان نظرية (سوسور) اللغوية لم تُعن بمثل هذه المسائل أيضاً ولا يقتصر الأمر على البنيوية الأمريكية. فقد عُنِي (سوسور) بوضع أسس لعلم اللغة أكثر من أي شيء آخر. كما ان أغلب ما ذكره يندرج في اطار الكلام العام_ كما تقدم_ ولا يخوض في أي تفاصيل لغوية دقيقة. ومثل هذه الأمور جعلت اللغويين يبحثون عن علاج لهذا القصور ويحاولون وضع نظرية لغوية بإمكانها ان تجيب عن المسائل التي عجزت (البنيوية) عن الإجابة عنها. كما في النحو التوليدي التحويلي فيما بعد. الذي رفض هذه النظرة السطحية للغة وعدها نظرة ساذجة وقاصرة^(٢).

وما تقدم من نقد لا يمكن ان يلغي بأي حال من الأحوال الحسنات الكثيرة التي جاءت بها البنيوية، ولم تجد المدارس الأخرى ومن ضمنها من انتقد البنيوية بدأ من الاستعانة بها أو الانطلاق مما وصلت إليه. كما حققت البنيوية نجاحاً ملحوظاً فيما يتعلق ببعض الجوانب اللغوية لم تصل إليه أية نظرية أخرى فقد كان لها فضل كبير فيما يتعلق بتعليم اللغات ولاسيما للأجانب من خلال التركيز على أوجه التشابه والاختلاف بينها، سعياً منها إلى التوصل إلى أفضل الطرق في تعليم اللغات الأجنبية. فأخذوا يفتنون اللغة إلى أصغر أجزائها ويضعون تلك الأجزاء في نماذج متشابهة بقصد تدريب الدارسين على اتقان كل جزء على حدة إلى ان يتدرب عليها جميعاً وبذلك يكون قد امتلك زمام اللغة بأكملها. وهو ما أدى فيما بعد إلى نشوء (علم اللغة التقابلي) ولم تنجح نظرية أخرى في هذا الشأن على نحو مما نجحت فيه البنيوية. كما أثبتت جدارتها في الكشف عن قواعد بعض اللغات التي لم تكن مكتوبة وليس لها قواعد معروفة كلغات الهنود الحمر في أمريكا. لكنها بالرغم من هذه النجاحات لا يمكن ان تعد في ضوء الانتقادات السابقة نظرية لغوية متكاملة^(٣) وهو ما ادركه بعض اصحابها كما تقدم وحاولوا تقويمه بشكل أو بآخر. كما فعل (هاريس) الذي كان لأرائه أهمية كبيرة فيما بعد.

رابعاً: البنيوية ودراسة الجملة العربية

غيرت التصورات البنيوية مجرى الدراسة اللغوية بشكل عام. وحولت اتجاهها نحو نمط جديد من الدراسة تحمل طابعاً (وصفياً) بعيداً عن الأسس المعيارية للنحو التقليدي، والتغيرات اللغوية التي حفلت بها الدراسات التاريخية والمقارنة. ولم يقتصر الأثر البنيوي وامتداده الفكري على الدارسين الأجانب بل بسط سلطانه على الدراسات اللغوية بشكل عام. وتأثر به على نحو واضح

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ٥٤، ٢٧٣، ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١٣٩، ٢٧٣، ٢٩٦. وسيأتي تفصيل هذه المسألة عند الحديث عن (النحو التوليدي التحويلي) وكذلك (الغموض الجملي).

(٣) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١١١، ٢٩٦، وفي علم اللغة التقابلي دراسات نظرية ٩ وما بعدها، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٠٨-١١١. ويتضح مما سبق سبب تسمية المدرستين الأوربية والأمريكية بالبنيوية، وذلك لتركيزهما على دراسة الكل لا الجزء أي انهما نظرتا الى اللغة بوصفها كياناً متكاملاً أي بنية تربط مفصلها بعلاق أهم من المفصل نفسها على عكس النحو التقليدي الذي ركز على دراسة الأجزاء. والبنيوية الأمريكية تركز على الشكل أي (البنية) مستبعدة الفكر أو المعنى الذي تعبر عنه اللغة لذلك ميزت عن الأوربية بوصف (الأمريكية). ينظر: THE STUDY OF

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وملموس الدارسون العرب، واتخذ تأثرهم هذا صوراً عدة. فتمثلت حيناً بالنقد الذي وجه إلى النحو العربي لاسيما ما يتعلق بالتأثر الأرسطي، والمعيارية والعناية بالعلل. والدعوة إلى إعادة النظر في بعض القضايا النحوية بناءً على أسس وصفية^(١). وتمثلت حيناً آخر بجهود المقارنة بين الدراسة الوصفية البنيوية والدراسة التراثية العربية بحثاً عن نقاط التقارب والاتفاق تارة وأوجه الاختلاف والتنافر تارة أخرى. وربما تعصب لها بعض الدارسين تعصباً شديداً، في حين نظر لها آخرون نظرة المتفكر المتأمل الذي يسعى إلى الإفادة من الجديد من خلال ادراك حسناته ومشكلاته معاً... الخ من صور التأثير الأخرى التي القت بظلالها من قريب أو بعيد على دراسة اللغة العربية وأدت إلى طرح جديد ونمط تفكير جديد يختلف عما ألف وشاع سابقاً. وإن كانت سفينة الرؤى الجديدة قد شقت طريقها بصعوبة بين أمواج المؤيدين والرافضين وتيارات المتقبلين والمعارضين^(٢). وبغض النظر عن نجاح هذا وإخفاق ذاك أصبحت الرؤية اللسانية الجديدة أمراً واقعاً لا يمكن تجاهله. كما نجده في كثرة ما ترجم وكتب ونقل من افكار لسانية فيما يخص البنيوية وغيرها. والدراسات العربية التي نظرت من منظار هذه النظريات وما أكثرها في الوقت الحاضر. وهكذا اختلفت آراء الباحثين وتصوراتهم تجاه بعض القضايا اللغوية التي تخص العربية ومنها على سبيل المثال ما يخص التغيرات الحاصلة في اللغة المعاصرة. فمنهم -وأغلبهم من اصحاب الدراسة التقليدية القديمة- من عدها اخطاء وانحرافاً تجب مقاومته. ومنهم من عدها محاولات من اللغة للدخول في مرحلة جديدة. كما هو الحال مع من تبني وجهة النظر البنيوية (الوصفية)^(٣).

وذكر بعض الباحثين ان النظر في (النحو العربي القديم) في ضوء المنهج البنيوي الوصفي يبرز جوانب نقص كثيرة فيه يتمثل أهمها باهتمام النحو التقليدي بمعرفة (العلة) الذي يعكس اعتماده على النحو الأرسطي، وان التحديد الزماني والمكاني للدراسة كان واسعاً جداً مما يسمح بحصول تغيرات لغوية كثيرة. وان اغلب الوصف قد اقتصر على (اللغة الأدبية) وحيثاً أخرى أختلط بالوصف اللغوي للكلام اليومي العادي. وان هذا الوصف يمثل نصوصاً مختارة وليس كل اللغة. مما يعني انه لايمثل كل اللغة العربية وانما يمثل في الحقيقة جانباً منها^(٤).

لكنهم يذكرون أيضاً أن هناك جوانب وصفية عدة في النحو العربي لا يمكن انكارها تتمثل باتصالهم المباشر مع أصحاب الاستعمال اللغوي. ورحلتهم إلى البوادي والصحاري لجمع اللغة ونقلها كما سمعوها من أصحابها. وان كثيراً من الأحكام التي قررها النحاة الأوائل لم تكن مبنية على التقدير أو التعليل وإنما كانت وصفاً تقريرياً محضاً مبنياً على الاستعمال اللغوي. ومن شواهدهم على هذه المسألة صنيع أبي الأسود الدؤلي في ضبط النص القرآني وطلبه من كاتبه ان يراقب

(١) وهذه الانتقادات بمجملها شبيهة بالنقد الذي وجه إلى النحو التقليدي الغربي ومنها الاعتماد على اللغة المكتوبة وليس المنطوقة وخط المستويات اللغوية مع بعضها. ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٤٥-٤٨، والنحو في القديم والحديث ٧٠-٨١.

(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٤٥-٦٠، واللغة بين المعيارية والوصفية ٣٩-٥٧، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٢٩-١٤٢.

(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ٦١-٧٢. وينظر ايضا مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٠٧.

(٤) ينظر مثلاً ما ذكره د. عبدة الراجحي في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث) ٤٥-٥١. ود. نعمة رحيم العزاوي في كتابه (مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) ٩٧-١٠١ و ١٢٩-٣٠ و ١٣٧-١٤٢. ود. محمد عيد في (الرواية والاستشهاد باللغة) ١٤٨-١٨٣.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

طريقة نطقه بالحرف وهو ما يعد عملاً وصفيًا محضاً. وعبارات سيبويه التي دأب على تكرارها في الكتاب عن متابعة كلام العرب كما في قوله: "هذا أكثر في كلامهم وهو القياس"^(١) وقوله أيضاً في تحليل قبج قولهم (قد اعطاهوك وأعطاهوني): "فإنما هو شيء فاسوه لم يتكلم به العرب، ووضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تكلم به كان هيناً"^(٢) وقول الكسائي حينما سئل في مجلس يونس عن قولهم (لأضربن أيهم يقوم) برفع (أي) لم لا يقال (لأضربن أيهم) بنصب أي: (أي هكذا خلقت)^(٣). وكذلك ما رده ابن جني وابن فارس كقولهم: (من سنن العرب كذا وكذا) ... الخ^(٤).

كما تناول النحاة الأوائل ظواهر كثيرة على أساس (شكلي) وليس على أساس (المعاني) كالتركيب والتأنيث والتعريف والتذكير والافراد والتنثنية والجمع والعلاقة بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر^(٥).

ومن ذلك تصنيفهم للفاعل والمفعول من جملة (ضارب زيد عمراً) إذ عدوا الاسم الأول (زيد) فاعلاً، والثاني (عمرو) مفعولاً به. بالرغم من كونهما مشتركين في إحداث الفعل، ولكن تحليلهم المبني على (الشكل) هو الذي جعلهم يطرحون (المعنى) عند فهم التراكييب^(٦).

وقد اجاب ابن جني من اعترض على قول النحاة ان الفاعل رفعٌ والمفعول به نصبٌ مع أن الأمر يكون بضد ذلك فنرفع زيدا في (ضرب زيد) وهو مفعول به، وننصبه في (ان زيدا قام) وان كان فاعلاً، ونجره في (عجبت من قيام زيد)... الخ على اساس شكلي عندما ذكر ان هذا الاعتراض سيسقط "لو عرف ان الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلاً في المعنى، وان الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم. وان الفعل الواجب في ذلك سواء"^(٧).

ولا يعني ما تقدم ان النحاة الأوائل لم يكونوا معللين مطلقاً فقد عرف عن ابن ابي اسحاق انه (أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل)^(٨). وكتاب سيبويه فيه علل كثيرة. لكن هذه العلل لم تكن تتخطى التفسير المباشر ولم تكن تتجاوز تحليل الظواهر التركيبية بالرجوع إلى المعنى أو

(١) الكتاب ٢٥٨/١ وينظر النحو العربي والدرس الحديث ٥٧، ومناهج البحث بين التراث والمعاصرة ١٣٢.

(٢) الكتاب ٢٥٨/١ وينظر النحو العربي والدرس الحديث ٥٧.

(٣) ينظر: الخصائص ٢٩٢/٢، والنحو العربي والدرس الحديث ٥٩.

(٤) ينظر: الخصائص ٢٩٢/٢، والصاحبي في فقه اللغة ٢٠٥، واللغة بين المعيارية والوصفية ٤٤. والنحو العربي والدرس الحديث ٥٩، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٣١-١٣٣، والرواية والاستشهاد باللغة ١٨-٢٩.

(٥) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٥٩، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٢٧، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٣٣. ويلاحظ أيضاً أن ابن مالك فرق بين الاسم والفعل والحرف بمعايير شكلية (بالجر والتنوين... الخ)، وكذلك فعل ابن هشام في كتبه لكن نحويين آخرين اتخذوا المعنى معياراً لتعريفهم كما في تعريف الاسم بأنه ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن. ينظر: شرح قطر الندى ٣٢-٥٦، وأوضح المسالك ١٤/١-٢٦، وشرح شروح الذهب ١٤، وشرح ابن عقيل ١٦/١-٢٧.

(٦) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٥٩، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٢٧، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٣٣.

(٧) الخصائص ١٨٤/١، وينظر: المقتضب ٩-٨/١، والنحو العربي والدرس الحديث ٦٠.

(٨) ينظر انباه الرواة ١٠٥/٢.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

بتفسير الشكل التركيبي نفسه أو بكثرة الاستعمال. لهذا امكنا ان نجد في الدرس العربي جوانب وصفية واضحة وهو ما لم يجده اللغويون الاوربيون في أعمال النحاة اليونانيين والرومانيين^(١). لكن هذا النهج لم يبق على ما هو عليه إذ تطور شيئاً فشيئاً متصلاً بالتعليل الأرسطي من ناحية وبالتعليل الكلامي والفقهي من ناحية أخرى حتى أصبح التعليل غاية من غايات الدرس النحوي وألفت فيه الكتب المتخصصة كما في كتاب (الأصول) لابن السراج (ت ٣١٦هـ) و(الإيضاح في علل النحو) للزجاجي (ت ٣٣٧هـ) و(العلل في النحو) لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ). وبهذا أخذت العلة طابعاً راسخاً في النظر النحوي في القرن الرابع الهجري^(٢). وهي مسألة لا تتناقض مع مع الاصول البنيوية والوصفية فحسب بل كان هناك من النحاة القدماء من رفضها ووقف ضدها ودعا إلى اسقاطها واستبعادها من النحو كما فعل ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) الذي يقول: "ومما يجب ان يسقط من النحو: العلل الثواني والثالث. وذلك مثل سؤال السائل عن زيد من قولنا: (قام زيد) لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع. فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب ان يقال له: كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالإستقراء من الكلام"^(٣).

وجواب ابن مضاء السائل بقوله هذا (هكذا نطقت به العرب... الخ) يتطابق بوضوح مع النظرة البنيوية الوصفية التي ترفض أن تنتظر خارج البنية اللغوية وتقوم بتفسيرها بناء على ما هو غير لغوي. وبهذا لا يمكن ان نعد وجهة نظر بعض اللغويين العرب المحدثين مسألة تأثر بالمنهج البنيوي بقدر ما نعدّها ضرورة ملحة يتطلبها الدرس اللغوي العربي لتخليصه مما ليس له صلة باللغة والبنية اللغوية.

ومن الواضح جداً من خلال النظر في تراثنا اللغوي ونشأته الأولى ان اللغويين العرب لم يدرسوا اللغة (لذاتها ومن اجل ذاتها) ولم يكن غرضهم من دراسة اللغة هو اللغة نفسها بقدر ما ارتبط بأغراض تعليمية واغراض تخص القرآن الكريم وفهم معانيه وتدبره. مما جعل دراسة اللغة تختلط بدراسات أخرى مثل: القراءات القرآنية والتفسير وعلم الكلام وأصول الفقه. وبهذا أصبح جزء من الدرس اللغوي ذا طبيعة نقالية قريبة من طبيعة اللغة. وجزء منه عقلي محض أقرب إلى المنطق منه إلى دراسة اللغة^(٤).

(١) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٨٠-٨٣، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٣١. ويختلف الحال مع (الهنود) إذ يعد كتاب (بانيني) في قواعد السنسكريتية الذي ألفه في القرن الرابع قبل الميلاد بهدف ديني واضح أعظم وصف لغوي في العالم القديم. ينظر: مناهج البحث بين التراث والمعاصرة ٨٤. والنحو في القديم والحديث ٨٢-٩٣.

(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ٨٣-٨٨، وفي اصول النحو ٧٨-١٢٨، وينظر مثلاً الأصول في النحو ٣٥/١-٣٦. والإيضاح في علل النحو ٦٤-٦٦، والعلل في النحو العربي ٢٣ وما بعدها، ولمع الدلالة ١٠٥-١١٧، والاقتراح ١١٢-١٢١، والنزعة المنطقية في النحو العربي ٣٥ وما بعدها، واللسانيات واللغة العربية ٥٢/١.

(٣) الرد على النحاة ٦٨، وينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ٥٥-٥٧، والنظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٣٦-٣٨.

(٤) ينظر: الاغراب في جدل الاعراب ٤٥-٦٨، ولمع الادلة ١٠٥-١١٧، والاقتراح ١١٢-١٢١، والنحو العربي والدرس الحديث ٩-١٩، وينظر أيضاً: الرواية والاستشهاد باللغة ١١٨-١٤٧، واصول النحو العربي ٣٢-٥٥، والنزعة المنطقية والنحو العربي ١٧-٣٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وغرضنا من ذكر كل ما تقدم هو ان نقول: ان الأسس التي بني عليها المنهج البنيوي المتمثلة باعتماد الوصف ومراعاة الجانب الشكلي من اللغة والعلاقة بين عناصر النظام اللغوي ليس غريبة كلياً عن درسنا اللغوي العربي. وان هناك وجوه تقارب كثيرة بقدر ما هو موجود من وجوه الخلاف. وان المطالبة بعدم تخطي ما له صلة بالنظام اللغوي إلى التفسيرات والتأويلات والتقديرية التي ليس لها صلة مباشرة به ليست مسألة جديدة أيضاً، وليس من الغريب بعد ذلك ان يوجد من الباحثين العرب من يتحمس لهذا المنهج وينطلق من اسسه النظرية في دراسة اللغة العربية وجملها. وإذا كان الدرس اللغوي العربي قد بدأ (وسيلة) كما تقدم، فانه قد انتهى اليوم علماً مستقلاً بذاته وهدفاً قائماً بنفسه. ومن الطبيعي مع هذا الحال ان تولد رؤى جديدة وتطفو على السطح تصورات جديدة، تحاول ان تنظر إلى القديم في ضوء ما جد من البحوث والدراسات وان تفيد من عجلة التقدم المستمرة شأنها شأن أي علم آخر.

ويعد التفريق بين مظهري اللغة والكلام الذي قدمه (سوسور) واحداً من أكثر القضايا تأثيراً في النحو العربي الحديث، ولاسيما ما يخص (الجملة) ودراستها وتحديد معناها. لهذا وجدنا كثيراً من الباحثين العرب المهتمين بالدراسات الحديثة يقدمون لدراساتهم حول اللغة العربية بالتفريق بين هذين المظهرين، وفي كتاب (مناهج البحث في اللغة) وحده ما يقرب من ثلاثين صفحة تتحدث عن هذا الموضوع^(١).

وينطبق الأمر نفسه على مفهومي (الشكل) و(النظام) اللذين وجدا طريقهما سريعاً إلى الدرس اللغوي العربي وقدمت بهما كثير من الدراسات العربية أيضاً على نحو متصل بالتفريق بين اللغة والكلام^(٢). وقد انبنت دراسات عدة للغة العربية على مفهومي العلاقات العمودية والأفقية^(٣). وشرحت كيفية تأليف الجمل العربية بناءً على هاتين العلاقتين. كما في بيان عملية تأليف جملة: (استقبلت في بيتي خمسة اصدقاء):

فالفاعل (استقبل) تم اختياره من مجموعة من الخيارات المتاحة مثل: اكرم، ضرب، قتل... الخ. وكذلك الضمير (الناء المضمومة) تم اختيارها دون سواها من زمرة الضمائر مثل: (نا)، (تما)، (تم)... الخ.

وباختيار (في بيتي) استبعد: (في مكتبي)، (في مجلسي)... الخ
وباختيار (خمس) استبعد (ثلاثة) و(اربعة) و(سنة)... الخ
وكذلك استبعد باختيار (اصدقاء) كلمات أخرى مثل: زملاء، جيران، اقارب.
والعلاقة التي تربط بين الوحدات اللغوية المختارة والمستبعدة هي علاقة (استبدال) وهي علاقة قائمة على الاختلاف بين هذه الوحدات (القيم الخلاقية).

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة ٣٨-٦٤. ومن هذه الدراسات أيضاً: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٢-٤٣. ووصف اللغة العربية دلاليًا ٥٦-٥٩، والنحو العربي والدرس الحديث ٢٧-٢٨، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٠٩، ومناهج البحث اللغوي بين التراث المعاصر ٤٠-٤٨ وغيرها كثير.

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة ٣٨-٦٤، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٢-٤٣، ووصف اللغة العربية دلاليًا ٤٠-٤٥.

(٣) تقوم نظرية د. تمام حسان للنظام اللغوي العربي بمجملها على هاتين العلاقتين، ينظر مثلاً اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤-٤١، ومناهج البحث في اللغة ٢٢٣ وما بعدها والأمر نفسه ينطبق على كتب أخرى مثل وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٠-٤٥، ومدخل إلى اللسانيات ٢٩-٣٢.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

أما العلاقة الثانية التي تحكم هذا التأليف فهي العلاقة الأفقية (التركيبية) أو (الترابطية) كما تسمى أحياناً، التي تقوم على الملازمة بين الوحدات. ويمكن ان نمثل لها بعلاقة (خمس) بالمضاف إليه (اصدقاء) والعناصر الأخرى وهو ما يمنع استبدال (خمس) أو (خمساً) أو (خمس) أو (خمساً) لأن هذا الائتلاف لا يسمح بغير صيغة (خمس) _ بالتاء والنصب _ وكذلك هو الحال في جملة (جاء الرجل) التي يمنع ائتلافها استبدال (جاء) بـ(جاءت)... الخ. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فقد حاول الدارسون تحليل الجمل العربية على طريقة (المكونات المباشرة) IMMEDIATE CONSTITUENTS متبعين الخطوات ذاتها التي اتبعت في تحليل الجمل الانكليزية منتقلين "من المركب إلى البسيط ومن البسيط إلى الأيسر. أي من الجملة كما تسمع من أفواه الناس إلى الكلمات التي تتألف منها هذه الجملة، ومن الكلمات إلى العناصر الصوتية التي تتألف منها كل كلمة"^(١). كما في تحليل جملة: (محمد الفاتح فتح القسطنطينية):



وقد جرى هذا التحليل على نحو مشابه لتحليل الجمل الانكليزية التي يتم تجزأتها إلى عبارة اسمية وعبرة فعلية ثم تجزأ بعد ذلك إلى مكوناتها البسيطة وصولاً إلى مكوناتها الأساسية، على أساس ان الجملة مؤلفة من طبقات بعضها أكبر من بعض وليس مجرد كلمات مرصوفة كما في: محمد/ الفاتح/ فتح/ القسطنطينية^(٢).

وثمة مشكلة في التحليل السابق وهو تحليل قام به د. نايف خرما. تتمثل باستعماله لمصطلحي (المبتدأ) و(الخبر) وهي مصطلحات لا تفضلها البنيوية الأمريكية التي نشأ في أحضانها هذا النوع من التحليل _ من منطلق استبعاد المعنى كما تقدم _ فهي تفضل استعمال مصطلح (عبارة اسمية) و(عبارة فعلية) على مصطلحات من قبيل فعل، صفة... الخ.

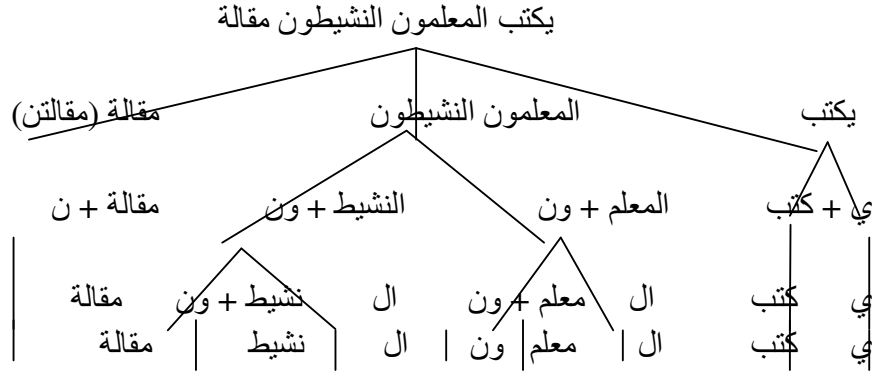
لكن ما قام به باحثون آخرون كان أكثر ابتعاداً عن الاسس البنيوية التوزيعية التي يفترض انهم ينطلقون في تحليلهم منها. إذ غلب عليهم التأثير بالتحليل الاعرابي التقليدي للجملة فاتخذ تحليلهم صورة: فعل/ فاعل/ مفعول بدلاً من تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة عبارة اسمية + عبارة فعلية ومن ثم تجزئة كل عبارة على حدة كما هو معروف في هذا النوع من التحليل. وممن وقع في

^(١) في علم اللغة (طليمات) ١١١، وينظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٦٠-٢٦٤.

^(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغة ٢٩٠-٢٩١، ومنهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٦٠-٢٦٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

هذا الخطأ ريمون طحان ورمضان عبد التواب وغازي مختار طليمات. الذين قاموا بتحليل جمل عربية من قبيل (يكتب المعلمون النشيطون مقالة) على النحو الآتي:



وربما فصل بعضهم نحو (المعلمون النشيطون) منذ البداية واعطاه تقرأ مستقلاً منذ المرحلة الاولى للتجزئة لتتكون المرحلة الأولى من: يكتب+ المعلمون+ النشيطون+ مقالة. على نحو مما فعله د. غازي مختار طليمات^(١). وهذا النوع من التحليل هو تحليل إلى المكونات الأساسية منذ البداية وليس إلى المكونات المباشرة. وهو أيضاً ما رفضه (بلومفيلد) لأنه يؤدي إلى فقدان البنية ولا يتعامل مع الجملة على اساس انها مكونة من طبقات بعضها فوق بعض كما تقدم. وهو أقرب إلى طريقة التحليل الاعرابي (الاعراب) المتبعة في النحو العربي التقليدي منه إلى الاسس البنوية وطريقة المكونات المباشرة. والطريقة الأولى هي الأقرب للنظرة البنوية التطبيقية للجملة. إذ لا تخرج عنها الا في بعض المصطلحات المستعملة كما تقدم.

ولان طريقة التحليل إلى المكونات المباشرة تمكن من الاهتداء إلى علاقة بعض الكلمات ببعضها الآخر ومعرفة أي جزء من اجزاء الكلام يتبع غيره بموجب سلوكه اللغوي داخل الجملة. فقد افاد منها عدد من الباحثين العرب المعاصرين فيما يخص دراسة الصيغ الصرفية فضلاً عن التراكيب النحوية. وحاولوا أن يعيدوا النظر في قضايا كثيرة على قدر كبير من الأهمية مثل اقسام الكلام وانواع الجمل إذ حاولت بعض هذه الدراسات ان تقدم تقسيماً جديداً للكلام العربي انطلاقاً من الاسس البنوية ومفهومها للكلمة والمورفيم والشكل. وكثيراً ما ترددت هذه المصطلحات وغيرها مثل التضام والتوزيع الصرفي والجدول التصريفي والالصاق والزيادة.... الخ من المصطلحات التي عرفت البنوية في مثل هذه الدراسات^(٢).

(١) ينظر: الالسنية العربية ٥٣/٢، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٨٦، ومنهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٦٠-٢٦٤، وفي علم اللغة (طليمات) ١١٢.

(٢) ينظر مثلاً من اسرار اللغة ٢٣٨-٢٥٠، ومنهج البحث في اللغة ٢٢٣ وما بعدها، واللغة العربية معناها ومبناها ٨٢-١٦٢، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ٢١-٦٢، والعلامة الاعرابية في الجملة ٦٤-٧٨، واقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٨٣-١٣١، ووصف اللغة العربية دلاليّاً ٤٥-٤٩، وتركيب اللغة العربية ٤٩ وما بعدها ٧٩ وما بعدها ١٤٢ وما بعدها، وفي علم اللغة (طليمات) ١٧١-١٧٤، وينظر فيما يخص المصطلحات البنوية مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢١٥ وما بعدها، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه (الهامش)، ١٨١، واضواء على الدراسات اللغوية ٢٧٢ وما بعدها.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وحاول بعضهم ان يهتدي من خلال تقطيع الجمل العربية وتحليلها إلى النماذج الأساسية التي تتألف منها الجمل العربية. على غرار ما حصل مع الإنكليزية كما في النماذج الآتية التي ساقها د. نايف خرما وهي تخص الجملة الاسمية كما يذكر:

- ١ - اسم معرفة + اسم نكرة : علي طبيب.
 - ٢ - اسم معرفة + صفة نكرة : زيد مريض.
 - ٣ - اسم معرفة + ظرف (أو شبه جملة بمعنى الظرف): محمد هناك/ تحت الشجرة/ في البيت.
 - ٤ - اسم معرفة + فعل لازم : علي سافر.
 - ٥ - ظرف (أو شبه جملة بمعناه) + اسم نكرة : في البيت رجل.
 - ٦ - اسم معرفة + فعل متعد لمفعول : أحمد غادر البلدة.
 - ٧ - اسم معرفة + فعل متعد لمفعولين : محمد أعطاني كتاباً.
- هذه بعض النماذج التي يمكن ان ترد عليها الجمل الاسمية كما يقول د. نايف خرما الذي اكتفى بالقول اننا يمكن ان نفعل الشيء نفسه مع الجمل الفعلية كما في:
- ٨ - فعل + اسم (معرفة) أو (نكرة) : سافر علي/ رجل... الخ
- من النماذج الفعلية الأخرى. حتى نتوصل إلى جميع (النماذج الاسمية) للجملة في اللغة العربية أي: الجملة المجردة من الزوائد كالصفات وما في حكمها والظروف التي تتبع الفعل وما في حكمها لأن باستطاعتنا ان نطيل كل نموذج من تلك النماذج من طرفيه: المبتدأ والخبر اطالة كبيرة (نظرياً) إلى ما لا نهاية^(١).
- كما هو الحال مع الجمل الانكليزية التي تدرج تحت نماذج ستة أو تسعة أو عشرة أساسية. تتنبثق منها اضافات وتعديلات كثيرة تصل إلى مئات الاشكال إلى تسعمائة أو تزيد قليلاً^(٢).
- وفي هذا الإطار تأتي محاولة د. علي أبو المكارم لتحديد نماذج (أنماط) الجملتين الاسمية والفعلية على نحو اكثر دقة فقد حددها كما يأتي:

أ- الجملة الاسمية:

أولاً- جملة مكونة من مبتدأ أو خبر:

- ١ - مبتدأ + خبر مفرد^(٣).
- ٢ - مبتدأ + خبر مفرد مشتق.
- ٣ - مبتدأ + خبر (جملة) اي تركيب إسنادي.
- ٤ - مبتدأ + خبر (شبه جملة) أي ظرف أو جار ومجرور.
- ٥ - خبر مفرد جامد + مبتدأ.
- ٦ - خبر مفرد مشتق + مبتدأ.

^(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٩١-٢٩٣. وهذه الأمثلة كما هو واضح تقتصر على الجمل البسيطة فقط ولا تشمل المعقدة المركبة.

^(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٩٣، وينظر أيضاً: An Introductory English grammar 197-218.

^(٣) يقصد بالمفرد هنا ما ليس جملة ولا شبه جملة.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

- ٧- خبر (جملة) + مبتدأ.
- ٨- خبر (شبه جملة) + مبتدأ

ثانياً- جملة مكونة من مبتدأ أو مرفوع سد مسد الخبر:

- ١- أداة نفي أو شبهه + وصف مشتق مفرد + فاعل مثنى أو جمع.
- ٢- أداة نفي أو شبهه + وصف شبيهه بالمشتق بالمفرد (يقصد المنسوب) + فاعل مثنى أو جمع.
- ٣- أداة نفي أو شبهه + وصف مشتق مفرد + نائب فاعل مثنى أو جمع.

ثالثاً- جملة مكونة مما كان أصله المبتدأ أو الخبر:

- ١- أداة نسخ + ما كان أصله المبتدأ + ما كان أصله الخبر.
- ٢- أداة نسخ + ما كان أصله الخبر + ما كان أصله المبتدأ.
- ٣- ما كان أصله الخبر + أداة نسخ + ما كان أصله المبتدأ.
- ٤- ما كان أصله المبتدأ + أداة نسخ + ما كان أصله الخبر.

رابعاً- جملة متعددة الاحتمالات: يجوز اعتبارها مكونة من مبتدأ أو خبر أو من مبتدأ أو مرفوع سد مسد الخبر.

- ١- أداة نفي أو شبهه + وصف مشتق مفرد + فاعل (أو مبتدأ) مفرد.
- ٢- أداة نفي أو شبهه + وصف شبيهه بالمشتق مفرد + فاعل (أو مبتدأ) مفرد.
- ٣- أداة نفي أو شبهه + وصف مشتق مفرد + نائب فاعل (أو مبتدأ) مفرد.^(١)

ب- **الجملة الفعلية:** وهي عنده التي يكون المسند فيها فعلاً سواء تقدم هذا الفعل أو تأخر وعرض نماذجها (أنماطها) في مجموعتين:

المجموعة الاولى: صور تقدم الفعل على المرفوع.

- ١- الفعل + الفاعل .
 - ٢- الفعل + الفاعل + المكملات .
 - ٣- الفعل + المكملات + الفاعل .
 - ٤- المكملات + الفعل + الفاعل .
 - ٥- الفعل + النائب .
 - ٦- الفعل + النائب + المكملات .
 - ٧- الفعل + المكملات + النائب .
 - ٨- المكملات + الفعل + النائب .
- وينكر د. علي أو المكارم ان هذه الصور أو النماذج يمكن ان تجمع في أربعة هي:
- ١- الفعل + المرفوع .
 - ٢- الفعل + المرفوع + المكملات .

^(١) ينظر الجملة الاسمية ١٨-١٩.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

٣- الفعل + المكملات + المرفوع .

٤- المكملات + الفعل + المرفوع .

المجموعة الثانية: صور تأخر الفعل عن المرفوع

١- الفاعل + الفعل .

٢- الفاعل + الفعل + المكملات .

٣- الفاعل + المكملات + الفعل .

٤- المكملات + الفاعل + الفعل .

٥- النائب + الفعل .

٦- النائب + الفعل + المكملات .

٧- النائب + المكملات + الفعل .

٨- المكملات + النائب + الفعل .

وهذه الصور أو النماذج يمكن ان تجمع بدورها في أربعة :

١- المرفوع + الفعل .

٢- المرفوع + الفعل + المكملات .

٣- المرفوع + المكملات + الفعل .

٤- المكملات + المرفوع + الفعل .

والعناصر المشتركة بين هذه الصور الست عشرة ثلاث هي: الفعل والمرفوع والمكمل^(١).

ومثل هذه المحاولات لحصر انماط الجملة العربية أو نماذجها على هذا النحو المفصل الدقيق لا نجد لها نظيراً في النحو العربي القديم^(٢) والأثر اللساني البنيوي فيها بادٍ بوضوح ولا سيما إذا قارناها بالدراسات الاجنبية كالتي ذكرنا تفاصيلها سابقاً فيما يخص الجملة الانكليزية. ولعل امكانية اطالة الجملة من كلا طرفيها كانت السبب في اكتفاء النحاة القدماء بذكر الصورة الأبسط التي يمكن ان تتألف منها الجملة انطلاقاً من فكرة (الإسناد) التي جعلوها شرطاً أساسياً لها. وهي اسمان اسند أحدهما للآخر مثل (زيد أخوك) أو فعل واسم مثل (قام بكر) من دون الذهاب إلى ابعد من ذلك كما فعل المحدثون الذين ختصروا صور الاطالة باسم (المكملات).

ولم تكن عيوب هذا المنهج غائبة عن اذهان اللغويين العرب المحدثين وما يترتب عليها من قصور في معالجة بعض المشكلات كشرح العلاقة القائمة بين الجمل المختلفة التراكيب المتماثلة المعنى. وعجز المنهج الشكلي عن تحليل بعض الجمل الغامضة... الخ مما ذكرناه سابقاً.

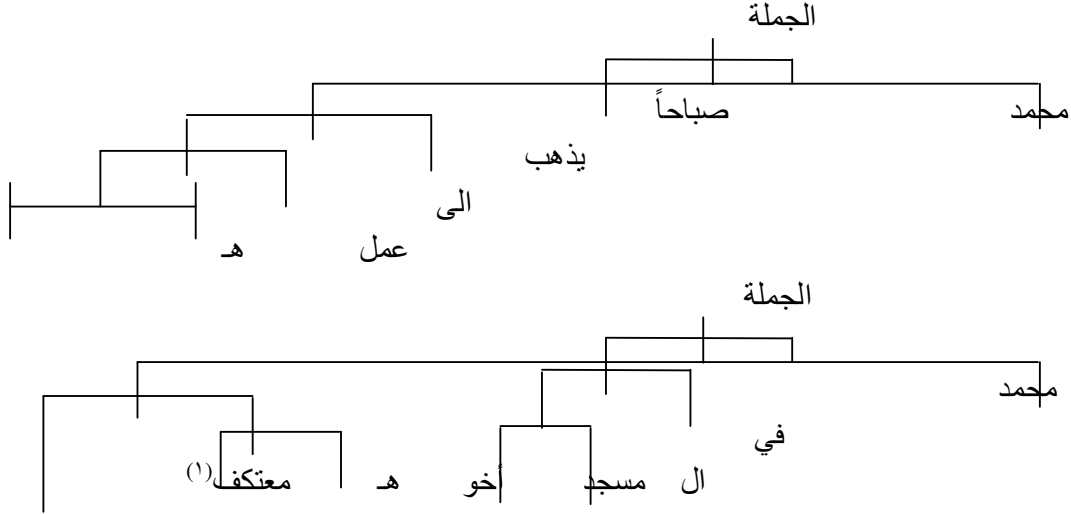
وقد نبه بعض الباحثين مثل د. محمد ابراهيم عبادة إلى عدم امكانية تحليل جمل عربية وفق طريقة المكونات المباشرة، لأنّ العناصر المجتمعة في تركيب قد ترد متفرقة في تركيب آخر. (بسبب حرية الرتبة في الجمل العربية). أي عدم تتابع العناصر المترابطة كما في الفصل بين

(١) ينظر: الجملة الفعلية ٣٧-٣٩. وقد سبق ان ذكرنا أن البنيويين يفضلون مصطلحات عبارة اسمية، عبارة فعلية على المصطلحات: مبتدأ، خبر... الخ.

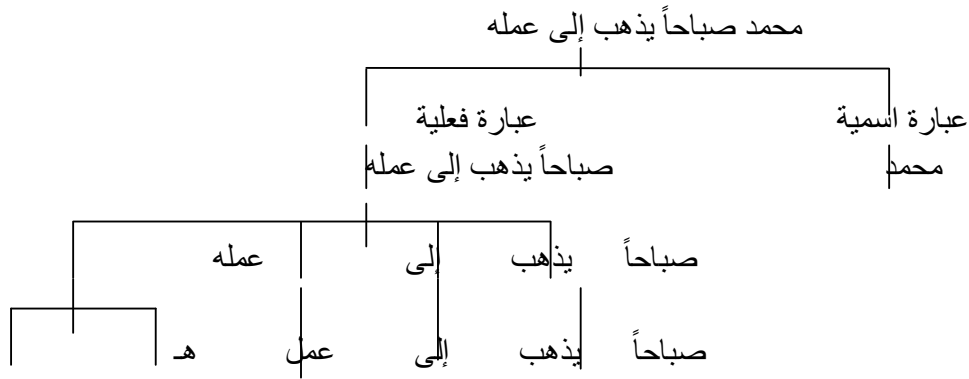
(٢) ينظر: المقتصد في شرح رسالة الإيضاح ٤٣/١-٤٤، وشرح المفصل ٧٢/١-٧٣، وشرح الرضي ٢٤/١-٢٥، وحاشية الصبان على شرح الاشموني ٢٩/١-٣٠.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

المتلازمين بالظرف أو الجار المجرور مثل: (محمد صباحاً يذهب إلى عمله). (محمد في المسجد أخوه معتكف) فمثل هذه الجمل لا يمكن تجزئتها بالاقواس مثلاً ولا بطريقة المشجرات ما لم نسمح بتقاطع الفروع وهو ما شرحه بالمخططين:



ولا نتفق م د. محمد إبراهيم عبادة في طريقة تحليل الجمل السابقة إلى مكوناتها المباشرة. والسبب هو ان (صباحاً) تقع في حيز (العبرة الفعلية) وليس الاسمية إذ الاصل (يذهب إلى عمله صباحاً) ثم تقدم الظرف. وهذا يعني عدم الحاجة إلى تقاطع الفروع التي لجأ إليها د. عبادة. وهو ما يمكن ان نضطر إليه في جمل أخرى لكن ليس في مثل هذه الجمل التي ذكرها. وكان الأولى ان يتم تحليلها على الطريقة الآتية التي يتضح من خلالها ايضاً ما جرى في الجملة من تقديم وتأخير:

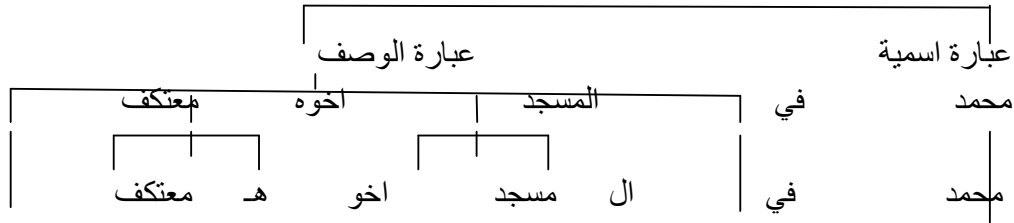


وكذلك نفعل مع الجمل الأخرى التي تقع فيها (في المسجد) في حيز عبارة (الوصف) وان تقدمت عليها لفظاً:

محمد في المسجد أخوه معتكف

(^١) ينظر: الجملة العربية مكوناتها، أنواعها، تحليلها ١٧٣-١٧٤.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾



غير ان هذا الامر لا يمكن ان يهتدي إليه ببسر الا من كان من اصحاب اللغة نفسها أو العارفين بمعناها معرفة لا بأس بها. والا كانت النتيجة عدداً من المحاولات الخاطئة الكثيرة. ولا يمكن التوصل إلى التجزئة الصحيحة من دون اعتبار المعنى أو استشارة صاحب اللغة الذي يمكنه ان يقدم ما يفيد في هذا الشأن وهو بالتأكيد سيعتمد في ذلك على ما يفهمه من معنى. والاعتماد على الحدس وحده أو التخمين على نحو مما فعل التوزيعيون سيعنى مزيداً من الجهد والعناء قد لا ينتهي مع ذلك بتجزئة صحيحة في لغة إعرابية مثل اللغة العربية. فضلاً عن كونه ليس أمراً يسيراً ايضاً يمكن ان يتحقق من دون مساعدة في لغة تحليلية مثل اللغة الانكليزية لمن هو ليس من أهلها. وأهمال المعنى في تجزأة لغة اعرابية مثل (العربية) لا يمكن ان يقود إلى تجزئة خاطئة أو تحليل خاطئ على مستوى الشكل الاكبر المنطوق الذي هو الجملة فقط. وإنما يمكن ان يقود إلى نتائج خاطئة في اجزائها الأصغر. فمن لم يكن عارفاً بالعربية ملماً بمعانيها قد يلجأ _ على سبيل المثال _ إلى تجزأة كلمة مثل (القسطنطينية) إلى مكونين: (ال) + (قسطنطينية). وقد يفعل ذلك ايضاً مع كلمات أخرى مثل (القاهرة) و(المدينة) _ إذا اردنا بها المدينة المنورة _ و(البصرة)... الخ من الأمثلة التي يمكن ان نتحرى كثيراً منها في العربية. وكل هذا يشير إلى حقيقة واضحة هي عدم امكانية الغاء المعنى في التحليل المكوناتي للغة العربية وما يشابهها ايضاً من لغات وهذا بدوره يؤكد ما ذهب إليه بعض البنيويين مثل (هاريس) من خلال ما واجهوه من مشاكل في منظورهم البنيوي الشكلي وهو ان لا مناص من اعتبار المعنى والاعتراف بأهميته كركن اساس من أية نظرية لغوية.

ويمكن ان تبدو المسألة أكثر صعوبة مع جمل تتطوي على تأويل وتقدير عناصر محذوفة من الكلام المنطوق مثل تقدير فاعل مستتر وجوباً بعد فعل الأمر للمفرد المذكر وتقدير (ان) بعد (حتى) إذا دخلت على المضارع، وتقدير فعل محذوف بعد اداة الشرط إذا دخلت على اسم مثل ﴿إذا السَّماء انشَقَّتْ﴾. الانشقاق ١/٨٤ وتقدير جازم محذوف للمضارع في جملة مثل (ادرس تنجح)... الخ من الأمثلة الأخرى^(١). إذ كيف يتم تحليلها وفق طريقة المكونات المباشرة التي تصف المنطوق كما هو ولا تتجاوزهُ إلى ما وراء ذلك من التأويلات والتقديرات التي بنيت اساساً على علل تتناقض مع مبدأ الوصف. وربما يشير هذا ايضاً إلى ضرورة اعادة النظر في بعض هذه التقديرات وتجنب الافراط فيها وهو ما فعله عدد من الدارسين المحدثين الذين شجعوا على اعادة النظر في كثير من هذه التقديرات والتأويلات التي لا حاجة لها في واقع الأمر وحقيقتها فهي ترتبط أكثر ما ترتبط بعلم النحويين منها إلى طبيعة اللغة وبنيتها^(٢).

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة بين التراث والمعاصرة ١٢١-١٢٩.

(٢) ينظر: القاعدة النحوية ١٧٢ وما بعدها، ومناهج البحث بين التراث والمعاصرة ١٢١-١٢٩. وسنعود إلى تفصيل هذا الموضوع لاحقاً.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

❖ الجملة العربية والغموض البنيوي

لا تقتصر مشكلة الجمل العربية مع المنهج الشكلي البنيوي على عد جملتين من قبيل:

- أخذت الكتاب منه .

_ أخذت الكتاب إليه .

جملتين متشابهتين لأنهما تردان على النمط نفسه. ولا على عدم القدرة على شرح العلاقة بين الجمل التي تحمل المعنى نفسه مع اختلافها في تراكيبها الخارجية. وإنما تشمل أيضاً عدم القدرة على تحليل بعض الجمل الغامضة بسبب استبعاد المعنى كما هو الحال مع جمل مثل:

_ النساء والرجال المسنون غير قادرين على الأعمال الشاقة.

إذا لا ندري هل (المسنون) نعت للرجال والنساء معاً. أم انها مقصورة على الرجال فقط^(١). وكذلك في جملة:

_ شهادة الزور أضرت بك .

ليس واضحاً من ادلى بشهادة الزور المخاطب أم شخص آخر^(٢).

ومثل ذلك نجده في جمل كثيرة نستعملها في حياتنا اليومية باستمرار كما في:

_ الطالب الفائز أخوه ناجح .

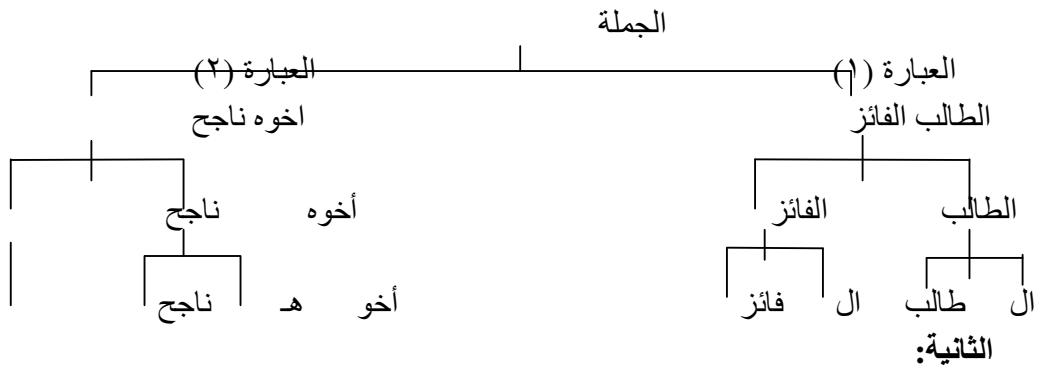
_ انتظرت عند باب المسجد الجديد .

_ حكمت المحكمة بان يطلق سراح المتهم اليوم .

ففي الأولى لا ندري هل (الفائز) نعتٌ حقيقي أم سببي. وفي الثانية لا يمكننا ان نتبين هل (الجديد) نعت للباب أم المسجد. وفي الثالثة لا ندري هل نعد (اليوم) ظرفاً متعلقاً بالفعل الأول (حكمت) أم الثاني (يطلق)^(٣).

هذه الاحتمالات تحتم علينا ان نقطع كل جملة من هذه الجمل بطريقتين مختلفتين بناءً على هذه الاحتمالات كما هو الحال مع الجملة الاولى التي سنقوم بتحليلها الى هاتين الطريقتين:

الاولى:



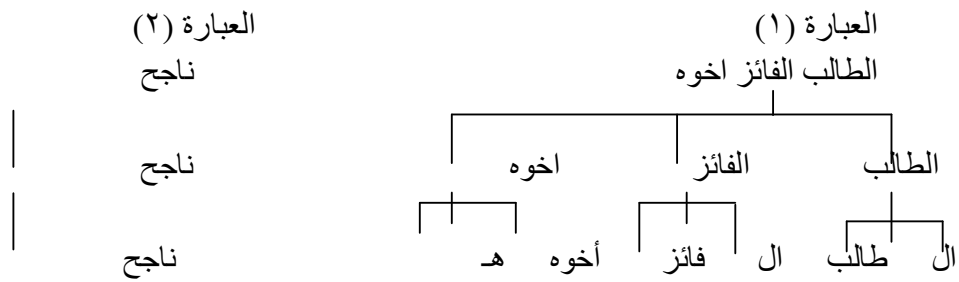
الجملة

^(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٩٦، ومنهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٦٣-٢٦٤.

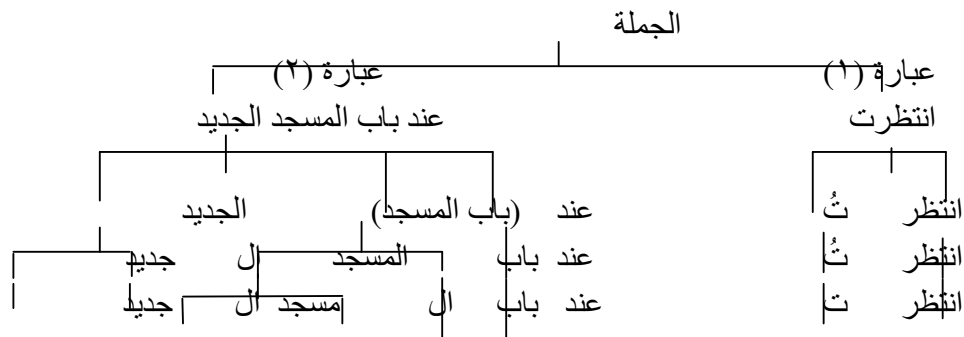
^(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٩٦.

^(٣) ينظر: الجملة العربية: مكوناتها _ أنواعها _ تحليلها ١٧٥-١٧٦.

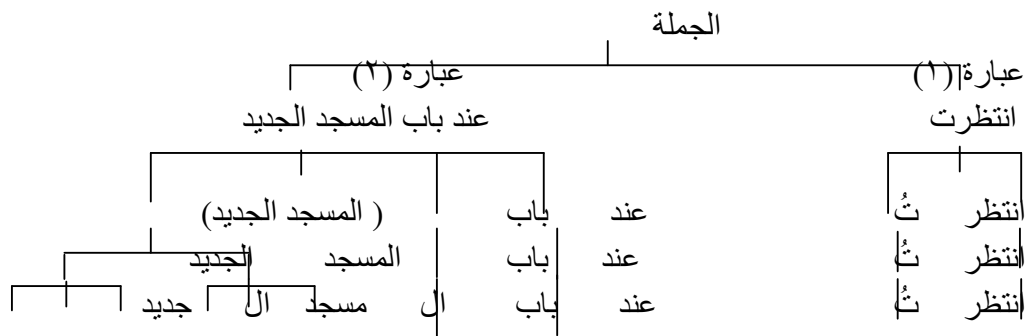
﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾



أما جملة (انتظرت عند باب المسجد الجديد) فسيكون تحليلها كالآتي:
اولاً:

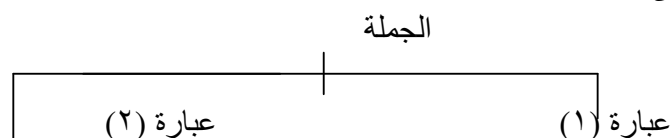


ثانياً:

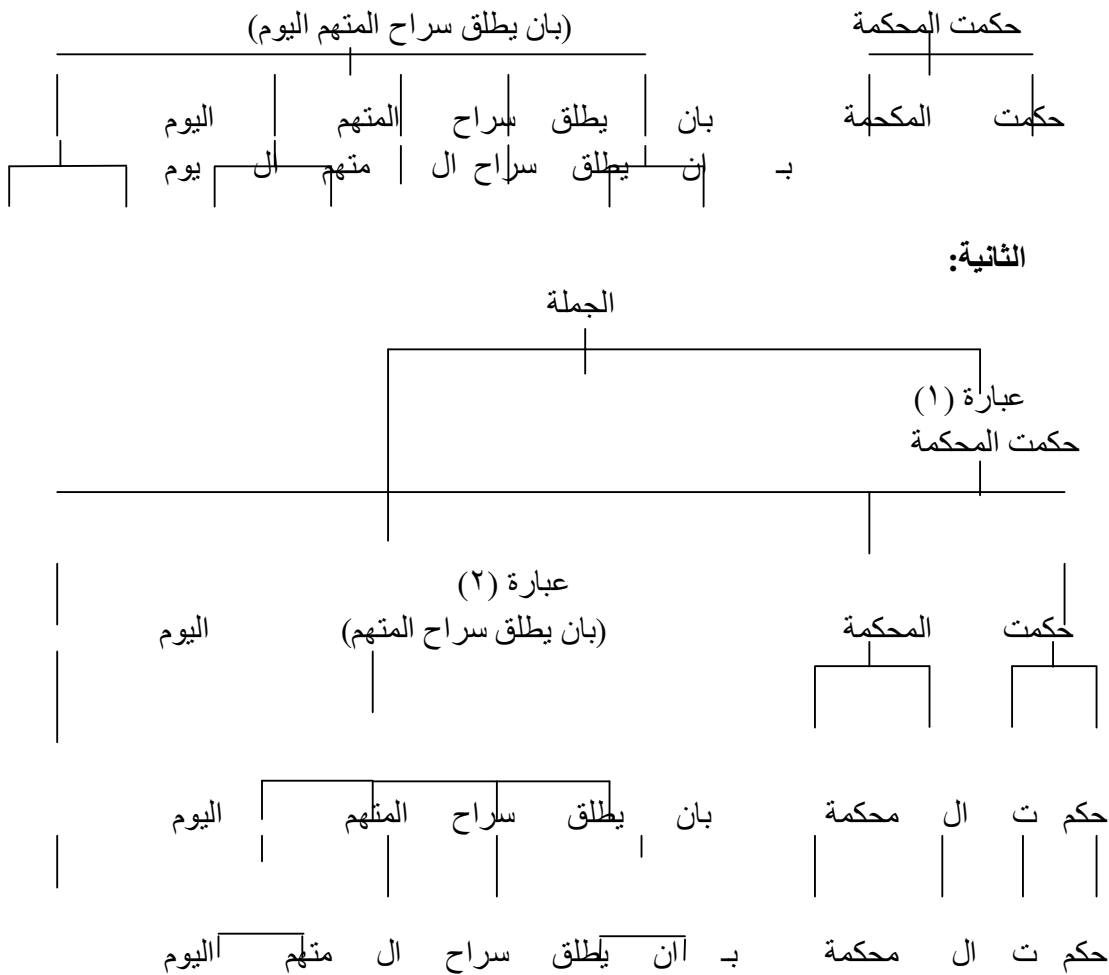


وسنفعل ذلك ايضاً مع جملة (حكمت المحكمة بأن يطلق سراح المتهم اليوم) وهنا سيكون علينا ان نسمح بتقاطع العناصر في احدى الطريقتين:

الاولى:



﴿الفصل الأول﴾.....﴿المبحث الأول﴾



وسيكون علينا ان نسمح بتقاطع العناصر أو الوحدات اللغوية في احد الاحتمالين مع كل جملة تتشابه بنوياً مع الجملة السابقة كما في الجمل:

__ رأينا القمر مع انحسار المد اليوم .

حضرت العروس الحفل مع حضور الضيوف اليوم .

وسيأتي الفرج إذا هطلت الامطار غداً ... الخ.

وقد تكون مسألة تحليل الجمل إلى مكوناتها المباشرة أمراً هيناً نوعاً ما مع جمل بسيطة كالتي حللناها هنا. لكن المسألة ستزداد تعقيداً مع الجمل المركبة التي تتضمن بنيتها أكثر من مركب اسنادي واحد ولاسيما إذا تصرف بهذه الجمل فيما يخص التقديم والتأخير الذي تسمح به اللغة العربية مما يحتم علينا تحليلها إلى مكونات أو عناصر متقاطعة. وربما كانت بعض هذه الجمل طويلة وهنا ستكون الصعوبة أكبر. وحتى لو تجاوزنا الصعوبة لن يكون ما نقوم به أكثر من "وصف وتصنيف أنماط مختلفة من التراكيب"⁽¹⁾.

(^١) الجملة العربية: مكوناتها_انواعها_تحليلها ١٧٦. ومن أمثلة هذه الجمل الطويلة المستعملة في العربية قول عمرو بن كلثوم:

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ولا تقتصر الاحتمالات التي يمكن ان تتضمنها الجملة على احتمالين فقد تكون الاحتمالات أكثر من ذلك. والكلام هنا لا يخص العربية فقد ذكر الدارسون الأجانب جملة انكليزية لها اربعة احتمالات:

THE POLICE WERE ORDERED TO STOP DRINKING AFTER
MIDNIGHT.

وهذه الاحتمالات هي:

أولاً: (الشرطة) أمروا ان يتوقفوا عن الشرب بعد منتصف الليل (أي يسمح لهم بالشرب قبل ذلك).

ثانياً: (الشرطة) أمروا ان يتوقفوا عن الشرب نهائياً وجاء الأمر بعد منتصف الليل.

ثالثاً: (الشرطة) أمروا ان يمنعوا الناس من الشرب بعد منتصف الليل (ويسمح لهم بالشرب قبل ذلك).

رابعاً: (الشرطة) أمروا ان يمنعوا الناس من الشرب نهائياً وجاء هذا الأمر بعد منتصف الليل. ولم تذكر جملة تتضمن احتمالات أكثر في الانكليزية^(١).

وهذه الاحتمالات الأربعة التي تتضمنها الجملة الإنكليزية السابقة سنجدها نفسها في مقابلتها العربية:

(أمرت الشرطة بإيقاف الشرب بعد منتصف الليل).

وبجمل عربية أخرى مشابهة.

_ أمرت الشرطة بإيقاف سير المركبات بعد منتصف الليل.

_ أمر الحراس بإيقاف التجمعات أمام الجامعة بعد الظهر.

_ أمر رئيس الجامعة رؤساء الأقسام بإلغاء المحاضرات الاضافية في الجامعة بعد الثانية ظهراً. الخ.

فكل واحدة من هذه الجمل تحتمل أربعة معاني بنيوياً وبدون إشراك المعنى سيكون هناك لبس كبير وسيكون علينا ايضاً ان نحلل الجملة بطرق اربع مختلفة.

إذ تحتمل الأولى ان الشرطة أمروا بإيقاف سير مركباتهم بعد منتصف الليل أي يسمح لمركباتهم بالسير قبل ذلك.

والثانية انهم أمروا بإيقاف سير مركباتهم نهائياً وجاء الأمر بعد منتصف الليل.

والثالثة: الشرطة أمروا بإيقاف سير مركبات (الناس) بعد منتصف الليل (أي يسمح لهم بالسير قبل هذا الوقت).

قفي قبل التفرق يا طعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

بيوم كريمة ضرباً وطعناً أقر به مواليك العيونا

إذ يمكن ان يكون قوله (بيوم) متعلقاً بقفي أو بـ(نخبرك) وكلاهما محتمل. ينظر: شرح القصائد العشر ٣٢٤-٣٢٥. وتحليل مثل هذه الجملة عن طريق التشجير إلى مكوناتها المباشرة أمر معقد لذا غالباً ما يكتفى بجمل أقل طولاً تتمثل بالجمل الاساسية غير الطويلة.

^(١) اخبرني د. مجيد الماشطة ان النحوي الإنكليزي (راند ولف كويرك) ذكر هذه الجملة في محاضرة القاها في قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب جامعة البصرة عندما زارها في عام (١٩٧٥) ود. مجيد الماشطة كان يعمل تدريسياً في القسم المذكور آنذاك. وقد رافق الاستاذ الإنكليزي في جولاته داخل محافظة البصرة وخارجها.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

والرابعة: الشرطة أمروا بايقاف سير مركبات الناس نهائياً وجاء هذا الأمر بعد منتصف الليل.
وعلى هذا المنوال تقاس الاحتمالات الأربعة للجملة الثانية. وفي الثالثة ايضاً احتمالات اربعة:
إذ تحتل ان يكون الأمر لرؤساء الاقسام فقط الذين يسمح لهم بالمحاضرات الإضافية قبل هذا الوقت. أو يكون الأمر لهم أيضاً لكنه نهائي وجاء بعد الثانية. ويحتل ان يكونوا أمروا بايقاف المحاضرات الإضافية للاساتذة الآخرين بعد الثانية (والسماح لهم بها قبل هذا الوقت). أو انهم أمروا بمنع غيرهم من الاساتذة عن المحاضرات الإضافية نهائياً وصدر هذا الأمر بعد الثانية ظهراً.

والأمر المثير للانتباه فيما يخص الجمل العربية أن هناك جملاً كثيرة جداً وشائعة ومألوفة ايضاً ذات بنية بسيطة جداً تحتل مثل هذا العدد من المعاني. ومن هذه الجمل:

- _ حضر محمد واصدقاؤه المدرسون الحفل .
 - _ نجح زيد ورفاقه المتميزون في الامتحان .
 - _ تزوجت هند وصديقاتها الجميلات أمس الخ.
- إذ تحتل الجملة الأولى ان يكون (محمد) مدرساً وأصدقائه مدرسون. وتحتل ان يكون (محمد) مدرساً. ولكن (بعض) أصدقائه مدرسون وهم من حضروا معه الحفل.
وتحتل ان يكون (محمد) غير مدرس وان له مهنة أخرى واصدقاؤه (كلهم) مدرسون. أو أنه غير مدرس و(بعض) اصدقائه فقط مدرسون وهم الذين حضروا معه الحفل.
وفي الجملة الثانية قد يكون (زيد) متميزاً ايضاً واصدقاؤه كلهم/ بعضهم متميزون. أو انه غير متميز واصدقاؤه كلهم/ بعضهم متميزون،
وفي الثالثة قد تكون (هند) جميلة، وصديقاتها المتزوجات كلهن جميلات أو بعضهن فقط جميلات (هن اللاتي تزوجن أمس).
وقد تكون (هند) ليست جميلة، ولكن صديقاتها كلهن جميلات. أو بعضهن فقط جميلات (هن اللاتي تزوجن أمس).

وتبدو المسألة أوضح في المخطط:

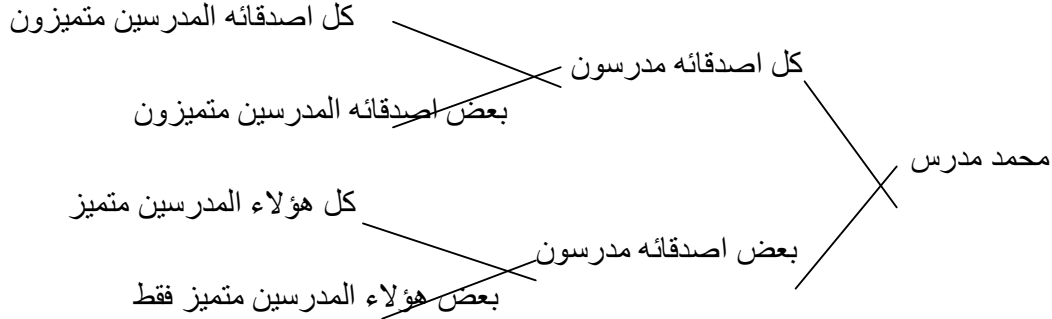
- كل صديقاتها جميلات .
- هند جميلة
- بعض صديقاتها جميلات .
- كل صديقاتها جميلات .
- هند ليست جميلة
- بعض صديقاتها جميلات .

ومن اللطيف أن نذكر ان هناك جملاً عربية شبيهة بالجمل السابقة فيها من الاحتمالات ضعف العدد السابق (أي ثمانية احتمالات) وهي لا تختلف عن الجمل التي سبق ذكرها الا بزيادة كلمة واحدة كما في جملة:

حضر محمد وأصدقائه المدرسون المتميزون الحفل.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وهو ما سنختصر شرحه بالمخطط الآتي:



وقد يكون (محمد) غير مدرس، وتتبقى الاحتمالات الأخرى موجودة أيضاً. وبهذا يكون المجموع ثمانية احتمالات. ومثل هذا يقال في جملة: نجح قادة الجيش ورفاقهم الجنود المعارضون بالانقلاب. وجملة: فاز رئيس الفريق واءضاء الفريق المدربون المثابرون بالجائزة. وغيرها من الجمل المتشابهة بنيوياً التي تتضمن بنيتها اللغوية من حيث هي هذه الاحتمالات الثمانية. وهي جمل شائعة ومتداولة في الاحاديث اليومية ونشرات الأخبار وجلسات الاصدقاء.

ومثل هذه الجمل جمل عربية لا تختلف عن الجمل الأخيرة الا بزيادة كلمة أخرى أصبحت بموجبها تتضمن (١٦) احتمالاً كما في جملة:

حضر محمد واصداقؤه المدرسون المتميزون المنتخبون الحفل.

وفاز خالد واصداقؤه اللاعبين المثابرون المتميزون في المباراة.

إذ تحتل هذه الجمل وشببيهاتها بنيوياً (١٦) احتمالاً. وتتخذ الإحتمالات في تضاعفها شكل (متوالية هندسية رياضية زوجية) أي إذا كان للجملة احتمالان وادخل إليها عنصر جديد له احتمالان أيضاً سيكون عدد الاحتمالات أربعة. وإذا كانت أربعة واضيف إليها عنصر آخر له احتمالان أيضاً سيصبح عدد الاحتمالات ثمانية. وستصبح الثمانية (١٦) إذا كان هناك عنصر آخر له احتمالان يضاف إليها كما توضحه الجمل السابقة.

وبإمكاننا أن نجد جملاً عربية أخرى تتضمن بالاضافة إلى غموض بنيتها كلمة واحدة على الأقل (غامضة مفردياً) أي تستعمل في معنيين أو أكثر كما في الأضداد على سبيل المثال أو أي كلمة أخرى تستعمل في أكثر من معنى ولا ننظر لها في ضوء الملابس أو القرائن وإنما نكتفي بالنظر إليها لغوياً وهنا سنتضاعف الاحتمالات بعدد الاحتمالات التي تتضمنها هذه الكلمة الغامضة مفردياً. إذ سينسحب غموضها على الجملة كلها. وسيكون عدد الاحتمالات الضعف (أي العدد ٢x) إذا كان لهذه الكلمة معنيان.

فجملة: حضر محمد واصداقؤه المدرسون المتميزون المنتخبون الحفل عدد احتمالاتها هو (١٦)

لكن جملة: أسر محمد واصداقؤه المدرسون المتميزون المنتخبون سراً. لها (٣٢) اثنان وثلاثون احتمالاً. لأن (أسر) قد يراد بها (الإخفاء) أحياناً. و(الظهار) أحياناً أخرى. كما في قوله

﴿ الفصل الأول ﴾

امرى القيس:

عَلَىٰ حِرَاصًا لَّو يَسْرُونَ مَقْتَلِي^(٢).

إذ يقال: أسررت الشيء إذا أخفيت. وأسررت الثوب إذا شررته وأظهرته^(٣).

النموذجية المطلوبة. ويمكن ان نوضح الاحتمالات التي تتضمنها بالمخطط الآتي:



(^١) ينظر: معاني القرآن (الفراء) ١٩٨/٢، ومجاز القرآن ٣٤/٢، ومعاني القرآن (الأخفش) ٤٤٧/٢.

(٢) ينظر: ديوان امرئ القيس ٣٤، وشرح القصائد السبع ٤٩.

(٣) ينظر: أساس البلاغة ٣٤٧، ولسان العرب (سرر) ١٩٨٩/٣، وشرح القصائد السبع ٤٩.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الخ

ويمثل عدد الفروع النهائية التي في آخر المخطط عدد احتمالات الجملة ومجموعها هنا (٣٢)^(١) أي (١٦) في الجزء العلوي من المخطط و(١٦) في الجزء السفلي. ولكي نحدد كل احتمال على حدة علينا ان نسير باتجاه أحد الفروع العلوية ثم ننزل شيئاً فشيئاً إلى الذي يليه وهكذا. وكل هذه الاحتمالات تحتلها البنية السابقة غير ان بعضها فقط يكون حاضراً اثناء الحوار في حين تغيب عن الذهن الاحتمالات الأخرى وكأنها غير موجودة. ولا سبيل للتوصل إلى جميع الاحتمالات بالاعتماد على التخمين. ولا يكون هذا ممكناً الا بوسيلة رياضية كالتالي لجأنا إليها هاهنا^(٢).

فمثل هذه الجملة وغيرها من الجمل السابقة التي تتضمن هذا العدد المدهش من الاحتمالات لا تؤكد لنا قصور طريقة (المكونات المباشرة) وعدم تمكنها من تحليل جميع الجمل العربية التي يمكن انتاجها. وإنما تبين لنا من دون شك خطورة مسألة استبعاد المعنى وما يمكن ان تقود إليه من غموض والتباس قد يفوق في حقيقته ما هو متوقع فعلاً. وهنا ايضاً سنعود إلى القول ان مسألة (استبعاد المعنى) من التحليل اللغوي إذا كانت تسبب مشكلة في لغة تحليلية مثل الانكليزية قد يكون اقصى ما تصل إليه غموضاً بنيوياً يتضمن أربعة احتمالات مختلفة. فان هذه المسألة نفسها ستجعل من امكانية تحليل جمل لغة (اعرابية) مثل اللغة العربية أمراً مستحيلاً بسبب الإحتمالات المضاعفة التي تمتلكها جمل هذه اللغة على شيعوها وبساطتها كما رأينا في الأمثلة السابقة.

وربما لم يكن من الممكن بمكان التوصل إلى جميع الاحتمالات السابقة للجمل التي ذكرناها بمعزل عن المعنى الذي لو استبعدناه من تحليلنا اللغوي لأصبح تحليل كثير من الجمل العربية المشابهة على بساطة تركيبها وشيعوها أمراً مستحيلاً. وهذا يعني بدوره ان أي منهج أو نظرية لغوية لا تأخذ بحسبانها (المعنى) كركن اساس فيها لن تكون صالحة لدراسة لغة مثل اللغة العربية الا على نطاق محدود جداً وقاصر.

ولنا ان نتساءل هنا كيف يستعمل الناس يومياً مراراً وتكراراً جملاً شبيهة بما ذكرنا من دون ان يخطر بذهنهم الا بعض هذه الاحتمالات أو واحد منها فقط. ولا يكون لبقيتها وجود في اذهانهم. والجواب كما يشير إليه الظاهر ان استعمال مثل هذه الجمل في ظل ظروف الكلام وملابساته الفعلية يختصر أغلب هذه الاحتمالات ويجعل واحداً أو اثنين منها هو ما ينتبه إليه السامع دون غيره. مع ذلك لا يعدم الاستعمال اليومي للجمل التباساً أو غموضاً أو احتمالاً أياً كان التعبير الذي نختاره وهو ما يجعلنا نستعلم ممن يحدثنا عما كان يقصده بالتحديد من نطق هذه الجملة أو تلك.

ولنا أن نتساءل هنا ايضاً عن مقدار المعنى الذي يمكن ان تحمله البنية اللغوية للجملة. وإلى أي حد يعتمد عليها في فهم معاني الجمل المختلفة وامكانية ان يتحقق فهم المعنى الحقيقي المراد من دون ان يكون للسياق وملابسات الحال دور في ذلك. وهي مسألة لن نتوقف لعرض تفاصيلها الآن.

(١) أشار تشومسكي في كتابه (جوانب من نظرية النحو) إلى جمل تتضمن احتمالين أو ثلاثة احتمالات، وعلق على هذا بقوله: ((في سياق ذي تركيب مناسب سوف يؤولها السامع فوراً، وبشكل فريد، ولن يكتشف الغموض فيها. وفي الحقيقة فإنه قد يرفض التأويل الثاني، حين يذكر له هذا، كتأويل غير طبيعي ومفسور (بغض النظر عن أي من التأويلين كان هو قد اختاره تحت وطأة السياق). ومع ذلك، فإن معرفته الفطرية للغة هي الشكل الذي يجعل القواعد التي نوتها بشكل من الأشكال تعطي تأويلين اثنين)) ص ٤٤.

(٢) يلاحظ اننا هنا اعتمدنا على المفهوم العام (كل/ بعض) ولم نعتمد على احتمالات (ال) التعريف الثلاثة: الجنسية والعهدية والاستغرافية ولو فعلنا لكان عدد الاحتمالات اكبر.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

إذ سنعود إليها في إطار حديثنا عن المنهج الوظيفي ونظرية السياق وكذلك عند حديثنا عن (التداولية).

ومما يجدر ذكره في ختام هذا المبحث ان بعض العرب المعاصرين قد ذهبوا إلى سبق العرب للغربيين فيما يتعلق بكثير من الاسس البنيوية مثل د. نصر ابو زيد ود. سمير ستيتية ود. محمد يونس ود. حسام البهنساوي وآخرون^(١).

وقد سبق القول ان النحو العربي لم يخلُ من جوانب وصفية لاسيما في مراحلہ الأولى كما في كتاب سيبويه. ويمكننا ان نجد جوانب أخرى غير ذلك فيما يتعلق بالنظام أو التعليق الذي تحدث عنه عبد القاهر. ويمكننا ان نرى ايضاً ان حديثه عن الاختيار والتأليف في إطار نظرية النظم فيه قرب شديد من العلاقات العمودية والافقية التي تتحدث عنها البنية، وليس مثل هذا الأمر غريباً في درس عرف بالسعة والتنوع كما هو حال درس اللغوي العربي القديم. وهذا بدوره لا يلغي الاختلافات الموجودة ايضاً بين المنهجين وهي خلافاً تتحكم بها ايضاً ظروف نشأة كل درس والغاية المقصودة من المنهج المتبع. وقد بدا بعض الدارسين العرب المعاصرين أكثر حماسة فيما يتعلق بموضوع التطابق الذي يكاد يكون كاملاً عندهم مثل د. حسام البهنساوي الذي يقول في ذلك: "ان الفكر البنيوي الذي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة، فيعنى بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الاسنادية والاضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة، وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع: ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام كل هذه الأمور: والمسائل المختلفة حفلت بها كتب النحو العربي وتأليفه. ولم تكن خافية على اذهان النحاة العرب، بل انهم ادركوها وعالجوها باقتدار يحسب لهم"^(٢). ومثل هذا ما لا نختلف فيه مع د. البهنساوي لكنه ذهب إلى ابعد من ذلك حينما ربط التوزيعية البنيوية بتعريف اقسام الكلام في العربية ذاكراً انها الأساس الذي اتبعه العلماء العرب ولاسيما فيما يتعلق بابواب الاضافة والتوابع والجواب وغيرها. ذاكراً في الوقت نفسه ان فكرة التحليل إلى المكونات تعد من قبيل تحصيل الحاصل لدى المشتغلين بالعربية ومعلميها^(٣).

ونرى بناء على ما عرضناه سابقاً مما يتعلق بالمنهج البنيوي ان المنهجين مختلفان وان تطابقت بعض الافكار العامة عندهما. فالمنهج البنيوي بني على أسس وصفية واضحة وحاول ان يضع آلياته وطرقه التحليلية في خدمة هذه الغاية والحديث عن التشابه يجب ان لا ينسينا الفوارق ايضاً. وإذا وجدنا في كلام عبد القاهر في إطار حديثه عن التعليق جوانب مشتركة مع التصور البنيوي فيجب ان لا ينسينا ذلك أنه قد بنى تحليله على أساس نظرية العامل ولم يخرج في تحليله عنها وهو ايضاً ممن عنى بالعلة النحوية والتعليل^(٤). كما ان التحليل الاعرابي يختلف كثيراً عن

(١) ينظر على التوالي: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ١١ و ١٥ و ١٧-١٨، ومنهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ٢٥٢ وما بعدها. ووصف اللغة العربية دلاليًا ٤٣ وما بعدها. وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٥-٢٩.

(٢) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٧.

(٣) ينظر: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٢٨. وينظر: ٢٦-٢٩.

(٤) ينظر على سبيل المثال المقتصد في شرح رسالة الايضاح ٦٧/١ وما بعدها و ٧٧/١ وما بعدها وغير ذلك من الأمثلة الأخرى.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

التحليل إلى المكونات وهو ما نراه واضحاً فيما قدمناه وعرضناه وليس الحال كما تصوره د. البهنساوي وربما كان هذا التصور الذي أقامه هو نفسه ما جعل الدارسين الآخرين يحللون بعض الجمل العربية إلى مكوناتها بطريقة اقرب إلى التحليل الاعرابي وليس إلى المكونات المباشرة _ كما نبهنا إليه في موضعه _ وان الأساس الذي بني عليه تحليل المكونات هو نظرية المورفيم والتحليل اللغوي المبني على هذا الأساس يختلف بالتأكيد عن التحليل الاعرابي. والتصور الجديد الذي قدمه المنهج البنيوي كان له أثر كبير في دعوة كثير من الباحثين إلى إعادة النظر بقضايا كثيرة كان بعضاً منها (اقسام الكلام العربي) وما يتعلق ببعض العلل. ومسائل التأويل والتقدير... الخ من الأمور الأخرى. ومن هنا كان الحديث عن عناصر مشتركة هو الأقرب إلى الدقة والواقع على خلاف من يرى غير ذلك.

ويمكن القول في ختام هذا المبحث أيضاً ان المنهج البنيوي وان اشتمل في بعض جوانبه على قصور أو مشاكل فيما يخص امكانية التعامل مع الجمل المختلفة وتحليلها. فإنه قد اشتمل ايضاً على جوانب نظرية كثيرة يمكن ان تعود بفوائد كبيرة على دراسة العربية ولاسيما (الجملة) ولعل الوصف والنظام والتركيز على العلاقة بين العناصر. والتعامل مع اللغة على انها شكل وليس مادة هي بعض مما يمدح عليه هذا المنهج وهي بمجملها تصورات لا تزال ماثلة في المدارس اللاحقة بالرغم من الانتقادات التي وجهت للقضايا الأخرى ولهذا السبب عدت تلك المدارس بنيوية ايضاً _ كما سيأتي بيانه _ ولعل بعضاً من حسنات هذا المنهج أيضاً ان الباحثين العرب لم يعد كثير منهم يتعامل مع الدرس اللغوي القديم بوصفه قائماً على مسلمات لا يمكن مناقشتها مرة أخرى. وفيما يخص دراستنا هذه فقد أفدنا حتى من الانتقادات التي وجهت إلى هذا المنهج وكان لها أثر كبير في تركيزنا على مسألة الغموض البنيوي فيما يخص الجمل العربية ومدى التعقيد الذي يمكن ان تتضمنه تراكيبها التي قد تبدو بسيطة وموجزة للوهلة الأولى.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

المبحث الثاني : الجملة العربية وعلم العلامات (الإشارات) (SEMIOTICS OR SEMIOLOGY)

علم العلامات: هو العلم الذي يهتم بدراسة "جميع أنواع الرموز (الدوال) بما فيها الرموز اللغوية".^(١) أو هو الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية باعتبارها أدوات اتصال".^(٢) أو العلم الذي يوضح "ماهية مقومات الإشارات وماهية القواعد التي تتحكم فيها".^(٣) وأول من تنبأ بظهور هذا العلم ودعا إلى استقلاليته هو اللغوي السويسري (فرديناندي سوسور) الذي تصور علماً موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام وأطلق عليه اسم علم الإشارات SEMIOLOGY.^(٤)

وبعد أن تحدث سوسور عن حق هذا العلم بالظهور إلى الوجود صرح بأن "علم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام: والقواعد التي يكتنفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة".^(٥) وهذا يعني أننا إذا "أردنا أن نكتشف الطبيعة الدقيقة للأنظمة اللغوية علينا أولاً أن نحدد ما هو مشترك بينها وبين الأنظمة الأخرى من النوع نفسه. بهذه الطريقة لن نلقي الضوء على المسألة اللغوية فقط. باعتبار الشعائر والعادات... الخ علامات سيكون ممكناً أن نراها بمنظور وسنحتاج إلى عدها ظاهرة سيميائية وسوف نشرحها بموجب قوانين السيميائية".^(٦) وألقى سوسور على عاتق "علماء النفس مسؤولية تحديد الموضع الدقيق لعلم الإشارات أما واجب اللغوي فهو البحث عما يجعل من اللغة نظاماً خاصاً متميزاً بين كتلة معطيات علم الإشارة".^(٧)

(١) علم الدلالة (عمر) ١٤، وينظر علم الدلالة (عوض) ٢٠.

(٢) علم الدلالة (عمر) ١٤.

(٣) علم اللغة العام ٣٤. وينظر: SEMIOTICS THE BASICS 11, THE FASHION SYSTEM 11.

(٤) ينظر علم اللغة العام ٣٤، وما هي السيمولوجيا ٩٩، وعلم اللغة من هرمان باول ١٥٤، ويلاحظ أن بعض المترجمين يفضل ترجمة الكلمة الانكليزية sing إلى الإشارة، ويفضل آخرون ترجمتها إلى (علامة)، فالمقصود بها واحد إلا أن المصطلح الأخير (العلامة) أصبح أكثر شيوعاً في الترجمات العربية على ما يبدو، إذ شاع في الكتب المترجمة المتأخرة مثل ترجمة كتاب أمبرتو إيكو (العلامة تحليل المفهوم وتاريخه) على سبيل المثال. وبعض المترجمين فضل استعمال (الرمز) لهذا المفهوم وهو ما انتقده الدارسون لما فيه من إحياء يتناقض مع مبدأ الاعتباطية. ينظر وصف اللغة دلاليًا ٢.

(٥) علم اللغة العام ٣٤، وينظر علم الدلالة (عمر) ١٤، وعلم الدلالة (عوض) ٢٠، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ١٥٤-١٥٦. والسيميائية العربية ٨٧-٩١. وهناك من يختلف في هذا مع (سوسور) مثل البنيوي الفرنسي (رونالد بائرس) الذي يرى أن (السيميائية) فرع من اللسانيات على عكس (سوسور). أما ليفي شتراوس فيتفق مع (سوسور) في نظريته ويرى أن اللغة هي النظام السيميائي النموذجي. ينظر: THE FASHION SYSTEM 9. وينظر: الإتجاهات الأساسية في علم اللغة ٤٨-٥٠ و ٥٨-٦٤.

(٦) ينظر: SEMIOTICS THE BASICS 11. ويلاحظ أن السيميائية الاجتماعية المعاصرة قد انتقلت من التركيز إلى محاولة اكتشاف كيفية استخدام العلامات في مواقف اجتماعية محددة. ينظر: ١٢. وسيأتي بعض ما يتعلق بهذا الموضوع في مبحث التداولية.

(٧) علم اللغة العام ٣٤-٣٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

مع ذلك فقد ذهب سوسور الى "أن الصفة التي تميز نظام الإشارات عن الأنظمة الأخرى لا تظهر بوضوح الا في اللغة".^(١) معتقداً "أن مسألة اللغة هي في جوهرها مسألة علم الإشارات: وجميع تطورات المسألة تستقي أهميتها من هذه الحقيقة الأساسية".^(٢)

وقد بنى سوسور تصوره للغة على هذا الأساس عندما عرف اللغة بأنها "نظام من الإشارات System Of Signs التي تعبر عن الأفكار".^(٣)

بعد ذلك بحث جارس موريس مجال هذا العلم بحثاً تفصيلياً في كتابه الإشارات واللغة والسلوك الذي نشر بنيويورك عام ١٩٤٦ وإليه يرجع التمييز الثلاثي المشهور لحقول هذا العلم (علم العلامات) التي حددها (موريس) بـ (النحو) Syntax، والدلالة Semantics، والتداولية Pragmatics.^(٤)

ونذكر أن النحو يدرس العلاقات اللغوية. في حين يدرس علم الدلالة علاقة العلامات بالأشياء، أما التخاطب فيدرس علاقة العلامات بمفسمريها.^(٥)

ويرى الباحثون اللغويون الأجانب أن هذا التقسيم الثلاثي يعود "أساساً إلى بيرس، ولكن موريس هو أول من وسمه بوضوح وجعله أكثر الفة وأيده كارناب".^(٦)

وقد صنف (بيرس) أيضاً العلامات في مجموعات ثلاث هي:

- ١- الرمز (العلامة): وترتبط بالمرجع عن طريق العرف الثقافي وسوسور يؤكد اعتبارية هذا الصنف.
- ٢- الإشارة: وتشغل هذه العلامة في الورد أي ارتباطها بعلاقة مع كلمات أخرى يتبع استعمالها سياقاً ما مثل الدخان والنار.
- ٣- الايقونة: وتشارك هذه العلامة المرجع في عدد من الخصائص التي يتوفر عليها مثل الرسم التصويري.^(٧)

ويرى اللغوي الإيطالي أمبرتو إيكو أن اقتراح (موريس) السابق عام (١٩٤٦) كان له صدئ كبير في الأوساط العلمية مؤيداً (موريس) في الأبعاد الثلاثة التي اقترح النظر الى العلامة من خلالها وهي:

- البعد الدلالي: الذي ينظر فيه الى العلامة باعتبار علاقتها بما تدل عليه.
- البعد التركيبي: الذي ينظر فيه الى العلامة باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية بعينها.
- البعد التداولي: الذي ينظر فيه الى العلامة باعتبار وظيفتها الأصلية والآثار التي تحدثها عند المتلقين، أي الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة.^(٨)

(١) علم اللغة العام ٣٥. وينظر ما هي السيمولوجيا ١٠.

(٢) علم اللغة العام ٣٥.

(٣) علم اللغة العام ٣٤.

(٤) ينظر وصف اللغة العربية دلالي ٧٥، ومدخل الى اللسانيات ١٨-١٩، وهامش علم اللغة العام ٣٤، والسيمانيات الواسفة ١٦٣، وعلم الدلالة (عوض) ١٥.

(٥) ينظر مدخل الى اللسانيات ١٨-١٩.

(٦) وصف اللغة العربية دلالي ٧٥، وينظر الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٧٦، ومدخل الى اللسانيات ١٩، والسيمانيات الواسفة ١٥٣ و 6. SEMIOTICS THE BASICS

(٧) ينظر التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٢، ويلاحظ من خلال الانتقال الى تحليل اللغة "العلامة (الإشارة) توافق الواصل أو العنصر الإشاري من قبيل ضمير المتكلم (أنا) وتوافق العلامة الإيقونية أصوات محاكاة الطبيعة". التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٣.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ومنذ القدم كان هناك تمييز "يفصل العلامات الاصطناعية عن العلامات الطبيعية. الأولى التي ينتجها كائن ما (إنسان أو حيوان) بشكل واعٍ استناداً إلى أعرافٍ بعينها من أجل تبليغ شيء ما إلى شخص ما (وهو ما يصدق على الكلمات والرموز الطباعية والرسوم ونوتات الموسيقى...الخ). ولهذا فإن هذه العلامات مرتبطة دائماً بمصدر ما. في حين أن العلامات الثانية ليست من إنتاج أحد، وهي غير قصدية ومصدرها الطبيعة. ونحن من يقوم بتأويلها كأعراض أو قرائن (مثل البراقع على جسم الانسان التي تمكن الطبيب من تشخيص بعض الاضطرابات الكبدية، أو صوت أقدام منذرة بقدم شخص ما، والغيوم التي تعلن عن قرب هطول الأمطار)...الخ".^(١)

وبعد أن أصبح (علم العلامات) علماً مستقلاً "حاولت التيارات الحديثة في السيميائيات أن تدرج ضمن موضوع دراستها كل أنواع الإشارات التواصلية التي يستقبلها الإنسان من الكائنات الأخرى، بل من المواد اللاعضوية أيضاً، وهكذا سنصنف ضمن العلامات كل شيء، بما في ذلك المعلومات التي تمنح للشفرة الجينية والتواصلات المحتملة بين الخلايا وضمن هذا النشاط تدخل سيميائية التواصل الحيواني... والسيميائيات الداخلية التي تدرس التواصل داخل الجسم الإنساني أو الحيواني".^(٢)

إلا أن ما يعنينا هنا على وجه الخصوص هو العلامة اللغوية التي وصفها سوسور بأنها: كيان سايكولوجي له جانبان هما الفكرة والصورة الصوتية. وأطلق على الصورة الصوتية (الدال) والفكرة (المدلول).^(٣)

وهذا التصور الذي قدمه سوسور للعلامة اللغوية جعل بعض الباحثين اللغويين الأجانب مثل جاكبسون يعتقدون بأن سوسور قد تبنى "التصور الرواقي للعلامة اللفظية الثنائية المؤلفة من الدال المدرك حسياً والمدلول المدرك عقلياً".^(٤)

فقبل سوسور بقرون طويلة ميزت الفلسفة الرواقية بين ثلاثة مفاهيم:

- الدال أو التعبير بصفته كياناً مادياً.
 - وما يتم التعبير عنه أو المدلول أو المضمون وهو ليس من طبيعة مادية.
 - والموضوع الذي تحيل عليه العلامة وهو من طبيعة مادية أو هو حدث أو فعل.^(٥)
- وعرفوا (العلامة) على أنها: "كل شيء أو حدث يحيل على شيء ما أو حدث ما".^(٦) ومع أن هذا التعريف قد تبنته الفلسفات القديمة والحديثة على حدٍ سواء فقد انتقده (أيكو) لأنه بالغ العمومية.^(٧)

^(١) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٥-٥٦. ويشار إلى الفيلسوف واللغوي الإيطالي (أمبرتو أيكو) على أنه تلميذ جاكبسون. والأخير كان متأثراً بدوره بدعوة (سوسور) إلى توجيه عناية خاصة بعلم العلامات، وقد تعاون جاكبسون بعد ذهابه إلى الولايات المتحدة في هذا المجال مع عالم الأنثروبولوجيا (شتراوس) والتقى كذلك (بيرس) وتأثر به. ينظر منهج علم اللغة من هرمان باول ١٥٦.

^(٢) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٤.

^(٣) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٣. وينظر: SEMIOTICS THE BASICS 11.

^(٤) ينظر علم اللغة العام ٨٤-٨٥.

^(٥) الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٢٩-٣٠.

^(٦) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥١-٥٢، والتداولية من أوستن إلى غوفمان ٤٠-٤١، وما معنى نظرية المعنى ٦٥.

^(٧) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٧.

^(٨) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٧.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وأياً كان الشبه بين نظرية سوسور والنظرة الرواقية للعلامة. فإن مسألة العلاقة بين الدال والمدلول في لسانيات ما بعد سوسور لم تعد محصورة في نطاق الكلمات المعجمية وقد امتدت "لتطول الجانب الفونولوجي للغة، وحظيت بالاهتمام اللساني القضايا المتشابكة للتفاعل بين المستويات الفونولوجية والمستويات القواعدية زيادة على حدودها المتبادلة. ولقد فهم الاختلاف الأساس بين المتقابلات الفونولوجية المتجنزة في الدال والمتقابلات القواعدية المتأسسة في المدلول".^(١) ونتيجة للطبيعة المعقدة المتشابكة التي تنسم بها العلامة واجه الدارسون صعوبة في إقرار تعريف جامع مانع لها. واختار أمبرتو أيكو تعريفها بأنها: "كل كيان يملك مدلولاً".^(٢) مفيداً من تعريفات سابقه من القدماء والمحدثين، من دون أي يزعم ان هذا التعريف تعريف نهائي. وبناءً على نظرية موريس (للعلامة) فإن "الشيء لن يكون علامة إلا إذا تم تأويله باعتباره علامة على شيء من لدن مؤول".^(٣)

ومهما يكن أمر الخلاف مع سوسور حول مفهوم العلامة وطبيعتها، فإن الدارسين يتفقون على أن سوسور قد أسدى خدمة جليلة الى اللغة من خلال كثير من القضايا التي نبه اليها كصلة علم اللغة بعلم الإشارات وعدّها جزءاً لا يتجزأ منه، ولفت الأنظار الى عنصر النظام في اللغة وتأكيده على أن اللغة شكل وليست جوهرًا.^(٤)

ولم يخرج الدارسون الذين جاءوا بعد سوسور عن قضايا أساسية تتعلق بنظرته للعلامة كما في حديثهم عن الغاية من استعمال العلامات وهي "من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة الى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة".^(٥) وأن المتلقي لكي يدرك معنى العلامة "يجب أن يتوفر الباث والمتلقي على سنن مشترك، والسنن في هذه الحالة هو مجموعة من القواعد التي تمكننا من إعطاء معنى للعلامة".^(٦)

والمسألة التي تعنينا من كل ما تقدم هي أن الآراء التي انبثقت من مفهوم سوسور للعلامة كما في (نظرية الإشارة) -التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد- والأخرى التي قامت بتعديل هذا المفهوم أو تطويره كما في الدراسات اللاحقة التي تندرج تحت (علم العلامات) كان لها أثر كبير وأهمية بالغة في تغيير النظرة الى (اللغة) وطبيعتها بشكل عام و (الجملة) على نحو خاص.

وما يتعقل بالنظرة الى اللغة يتجلى في الدراسات التي تمخضت عنها دراسة (العلامة) وأدت الى إعادة النظر في التعريفات السابقة (للغة) التي تركز على فهم اللغة بوصفها مجموعة من الكلمات أو العلامات المعجمية، وبناء النظرة الى اللغة على أساس كونها نظاماً علامائياً.^(٧)

(١) الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٣٠، وينظر أيضاً أسس علم اللغة العربية ٥٥، وعلم الدلالة (بالمر) ٤٠-٤١.

(٢) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٩، وينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٤ وما بعدها.

(٣) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٥، وينظر الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٧٦.

(٤) ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٣.

(٥) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٤٧، ويرى أيكو ان "الفكرة القائلة ان الانسان (حيوان رمزي)، وبصفته تلك فهو تواق الى التواصل، هي فكرة من طبيعة فلسفية وبالمقابل فان وصف الطريقة التي يتم بها هذا التواصل والآليات التي تحكم الروابط الدلالية ليس من الفلسفة في شيء بل هو أمر يعود الى اللسانيات أو الى شيء آخر". العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٤٠.

(٦) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٤٨.

(٧) ينظر وصف اللغة دلاليًا ٢٤ وما بعدها.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

أما ما يتعلق بالجملة فيتمثل بمسألتين:

الأولى: ذات صلة بشكل الجملة وإمكانية الاعتراف بكونها علامة مركبة من عدمه.

الثانية: ما يترتب على ذلك فيما يخص طبيعة النظرة الى معنى الجملة.

وتبدو أهمية هذا الموضوع أكثر وضوحاً إذا أخذنا بعين الاعتبار محاولات اللغويين العرب الافادة مما حققته الدراسات الأجنبية من نتائج تخص هذا الموضوع في دراسة الجملة العربية وفهم طبيعتها فيما يخص المستويين، الشكل والمبنى أو المحتوى أو المعنى.^(١)

وسنعرض فيما يأتي قضيتين مهمتين بسطنا ظلالهما على هذا الموضوع وكان لهما أثر كبير في نظرة بعض الدارسين العرب الى الجملة العربية، الأولى تخص مفهوم العلامة البسيطة والمركبة، والثانية تتمثل بما تمخض من أفكار عن نظرية الإشارة.^(٢)

أولاً: العلامة البسيطة والعلامة المركبة:

منذ القدم ميز أرسطو بين مفهومين ONOMA و REMA، والأول هو العلامة التي تدل عريقاً على شيء ما مثل (فيلون) أو (باخرة). والثاني هو علامة تستدعي مرجعية زمنية مثل (هو/أو يكون) في صحة جيدة.^(٣)

كما أشار أرسطو الى ما يسمى بـ(اللوغوس) أو العلامة المركبة التي تتخذ حجم خطاب بأكمله، كما أشار الى وجود ما يسميه بالروابط التي تتطابق تقريباً مع الحروف والجملة ومجموعة من الأدوات والظروف. وكل علامة يكون فيها المدلول غير مستقل ويتم الكشف عنه من خلال السياق.^(٤) وهذه الملاحظات أشار لها الرواقيون أيضاً، وأشار لها من بعدهم نحو القرون الوسطى الوسطى بشكل جلي.^(٥)

كما حدد النحويون اليونانيون علامات دالة على الإعراب إذ تضيف هذه العلامات دائماً معنىً جديداً.^(٦)

وهذه النظرة الى العلامة تختلف عن نظرة سوسور التي "تقتصر في إدراكها على مفهومها القريب الى الذهن وهو أنها اللفظ الذي يشير الى شيء في الخارج كما تشير كلمة تفاحة الى تلك الفاكهة المعروفة".^(٧)

الا أن هذه التقسيمات الفرعية التي قدمها نحو اليونان كانت موجودة في التصنيفات التي قدمها موريس، وقد خلص القدماء الى النتائج نفسها حينما تحدثوا عن وضع (الوحدة السيميائية

^(١) من هذه الدراسات على سبيل المثال وصف اللغة العربية دلاليّاً لمحمد محمد يونس ، وعلم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية لفريد عوض حيدر. والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة لمحمود عكاشة.

^(٢) استعمل المصطلح الانكليزي (REFERENCE) الذي يترجم الى الإشارة أحياناً أو الإحالة أحياناً أخرى للدلالة على معان مختلفة كما سيأتي في فصل (علم الدلالة). ينظر ما معنى نظرية المعنى ٦٥.

^(٣) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٧. و(هو/أو يكون) هنا هي المقابل لأفعال الكينونة في الانكليزية، التي تخلو منها العربية.

^(٤) مثال ذلك في العربية (الحرف) الذي نراه في مثل (في البيت)، (في المدرسة) ولا معنى له في خارج السياق.

^(٥) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٧-٥٨.

^(٦) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٨. وينظر أيضاً أسس علم اللغة ٥٥. وعلم الدلالة (بالمر) ٤٠-٤١.

^(٧) وصف اللغة العربية دلاليّاً ٢.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الدنيا) معتبرين كل هذه العناصر علامات بشكل من الأشكال^(١) وهذه النظرة تتفق مع ما أقره (علم العلامات) حول المفهوم العام للعلامة المتمثل بوصفها على أنها (كل كيان يحمل مدلولاً). فالعلامة لم تعد مقصورة على الكلمات المعجمية، والموقف السليم كما يعتقد (إيكو) يكمن "في الاعتراف بوجود علامات بسيطة وأخرى مركبة. فالعلامات المركبة هي التي تتكون من مجموعة من العلامات البسيطة إلا أن القضية ستظل مفتوحة حول ما إذا كان مدلول علامة مركبة هو مجرد تجميع لمدلولات العلامات التي تكونه"^(٢).

ولم يخرج عن هذا المفهوم (أندرييه مارتيني) حينما ذهب إلى أن "جملة (أحس بألم في رأسي) تعد علامة لغوية وكذلك كل جزء منها"^(٣) وكل علامة من هذه العلامات اللغوية "تحتوي مدلولاً أي أي معناها أو قيمتها كما تحوي دالاً وهو الذي تظهر العلامة بواسطته"^(٤). فالعلامة اللغوية قد تكون كلمة أو أصغر من كلمة أو أكبر من كلمة "ومثلما تطلق العلامة على المفردات تطلق أيضاً على التراكيب، فالمركب الإضافي نحو كتاب سعيد، والمركب الوصفي نحو سيارة حمراء، والمركب البدلي نحو الكتاب نفسه، والمركب الاسنادي نحو الجو لطيف، وقام خالد وغير ذلك من التراكيب التي تدخل في حكم العلامة التركيبية. وأكبر ما تكون عليه العلامة في التحليل القواعدي هو الجملة"^(٥) وقد تكون (العلامة المركبة الجملة) نواة لجملة كبرى تتألف من جملتين أو أكثر^(٦).

والعلامات التركيبية المتمثلة بالجملة تحظى بأهمية خاصة في الدرس اللساني بشكل عام لكونها تحمل إحدى أهم الخصائص التي تميز اللغة البشرية عن غيرها من اللغات كلغات الحيوان وهي ما يعرف بالإنتاجية PRODUCTIVITY التي تعطي المتكلمين حرية إحداث جمل لم يسبق أن سمعوها. والتركيز على هذه المسألة من مسائل اللغة هو الذي أدى "إلى تحديد معالم المدرسة التوليدية عندما أشار تشومسكي سنة ١٩٥٧ إلى أنه منذ الآن ساعد اللغة طائفة من الجمل (المتناهية أو غير المتناهية)، كل جملة متناهية في طولها ومركبة من مجموعة متناهية من العناصر"^(٧). إلا أن (بيرس) قد ذكر وهو يعرف العلامة اللسانية من النوع الاعتباطي (التي يطلق عليها الرمز): أن الرمز (يمكن أن يكون كلمة أو كتاباً بأكمله). وقد عدَّ (امبرتو إيكو) اعتقاد (بيرس) هذا أمراً غير ممكنٍ إلا تجاوزاً لأن "كتاباً يحتوي على إثباتات لا حصر لها لا يمكن اعتباره رمزاً (كما

(١) ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٨.

(٢) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٨، وينظر علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية ١٤-١٥.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٧.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٧.

(٥) مدخل إلى اللسانيات ٢٧-٢٨ والمركبات الإضافية والوصفية والبدلية في العربية تقابل في الانكليزية ما يسمى بـ(العبرة الاسمية).

(٦) يطلق على الجملة التي تكون جزءاً من تركيب أوسع (جملة كبرى) تسمية CLUSE (تركيب) وسنعود إلى هذه النقطة في الفصل الثاني.

(٧) مدخل إلى اللسانيات ٥٨.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

اعتقد ذلك (بيرس) الا تجاوزاً: إنه يتشكل من تسلسل كبير من العلامات المؤتلفة فيما بينها بطرق متعددة^(١).

وعلى خلاف (بيرس) ميز إيكو بين ثلاثة أنواع من العلامات هي: (العلامة البسيطة، والعلامة المركبة، والملفوظات) وشرح ذلك بقوله: "إن الكلمة (فنجان) علامة بسيطة، أما الجملة (فنجان قهوة) فانها علامة مركبة. ويقول المناطقة ان العلامة الأولى هي اسم، أما الثانية فهي وصف، ولا يشكلان معاً إثباتات لوقائع يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة ولكنهما يعنيان فقط شيئاً ما. وبالمقابل فإن الجملة (هذا الفنجان مكسور) تشكل ملفوظاً يتكون من عدة علامات، إنه ملفوظ يشير الى شيء صحيح أو خاطئ"^(٢).

ومن الواضح أن (إيكو) يعد الجملة (هذا الفنجان مكسور) علامة مركبة، لأنها كما هو الحال في (فنجان قهوة) تتألف من علامات عدة. الا أنه اختار لها اسماً آخر يميزها عن العبارة الأولى التي لا تتضمن إثباتات.

والسؤال هو هل يجدي هذا التمييز في جمل إنشائية مثل: (أكتب واجبك) و(راجع دروسك) و(اذهب الى العمل). فهذه الجمل تتألف من علامات عدة ومع ذلك لا يمكن عدها (علامات مركبة) لأنها ليست أوصافاً، كما لا يمكن عدها (ملفوظات) لأنها لا تحمل اثباتات. فربما كان الأجدر الاكتفاء بتقسيمها الى: بسيطة ومركبة وإدراج العبارة الوصفية والجملتين الخبرية والانشائية في الثانية وبهذا نكون بمنأى عن أي إشكال أو تناقض.

وأياً كان الأمر فإن مسألة الاعتراف بالجملة على أنها علامة مركبة أصبح اليوم بمثابة الأمر الواقع في الدرس اللغوي المعاصر، بعد أن بات واضحاً أن العلاقة بين الدوال ومدلولاتها "أكثر تشابكاً وتداخلاً وتعقيداً مما أوضحه سوسير، ولاسيما إذا أخذنا في الاعتبار المفهوم العام للعلامة الذي يشمل العلامة الوظيفية بالإضافة الى العلامة المعجمية التي ركز عليها دي سوسير، ذلك لأن المدلول الذي هو أحد الطرفين اللذين تتركب منهما العلامة يختلف من حيث النوع في العلامة المعجمية عما هو عليه في العلامة الوظيفية"^(٣).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كل هذه المستجدات والمفهوم العام للعلامة الذي يحفل به واقع الدرس اللغوي اليوم وجدنا انه لم يعد بالإمكان استعمال عبارة (العلامة الاعتبارية) بصورة مطلقة كما كان عليه الحال في كتاب سوسور فثمة علامات اعتبارية كما هو الحال في العلامات المعجمية لا وجود لصلة بين ما تدل عليه ونوع أصواتها وطريقة ترتيبها وثمة علامات أخرى مركبة مثل الجملة يجري ترتيبها وفق نسق مقصود تحقيقاً لأغراض معينة. ولعل ما كان يقصده ياكبسون في قوله: "إن الروابط الداخلية والايقونية للدال بمدلوله -لاسيما الترابطات الصميمية بين المفاهيم القواعدية

(١) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٠، وينظر أسس علم اللغة ٥٥، وعلم الدلالة (بالمر) ٤٠-٤١. ويلاحظ ان المراد بـ(الرمز) وفق استعمال (بيرس) هذا هو (العلامة).

(٢) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٦٠، ولا أدري لم أطلق المترجم أو المؤلف تسمية جملة على (فنجان قهوة) والتسمية الأقرب والأصح فيما يبدو لي هي (عبارة اسمية) كما هو متعارف عليه في الانكليزية. أما الجملة فهي التسمية الأصح لقوله (هذا الفنجان مكسور).

(٣) وصف اللغة العربية دلاليا ٢٧. وقد استخدم نحاة العربية كلمة (علامة) في مفهوم أضيق مما ذكره هنا كما في (علامة التأنيث) و(علامة الجمع). ينظر: وصف اللغة العربية دلاليا ٢.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وتعبيرها الفونولوجي- أثارت الشك في الاعتقاد التقليدي ب(الطبيعة الاعتبارية للعلامة اللسانية) المذكورة في المحاضرات".^(١)

ويمكن أن تتضح الصلة أكثر بين الدال المركب المتمثل بالجملة ومدلولها المتمثل بالعلاقة بين المجاميع المؤتلفة باستماعنا الى لغة أجنبية فإذا لم نكن نعرف هذه اللغة فإن ما تدركه الأذن لن يكون سوى مجاميع من الأصوات على شيء من الطول يقل أو يكثر ويفصل بينها فترات من الصمت. أما اذا كنا نعرف هذه اللغة فإن هذه المجاميع من الأصوات ستوقظ في الذهن مجاميع تصويرية مرتبطة كل منها بالأخرى وتكون ما يسمى جملة بالاصطلاح النحوي.^(٢)

فجملة مثل جملة (سأتي حالاً) علامة وبعبارة أدق (علامة مركبة) لا يمكن أن يفهمها صديق الا إذا كان يتكلم العربية (أي أن يكون ملماً بقوانينها) ليدرك لها معنى. والا كان ما يدركه منها مجرد كيان صوتي لا شكل له ولن يستوعب دلالتها.^(٣)

من جهة أخرى يمكن أن نلاحظ أن بعض العلامات المركبة المتمثلة بالجمال المسكوكة قد يكون لها بعض الشبه مع العلامات البسيطة أو المفردة من جهة لزومها بناءً معيناً كالجمال الآتية:

- إذا كان هناك شيء لا أستطيع تحمله فهو الجمال المسكوكة.
- أنتظرك منذ زمن طويل.
- إن الأنواق والألوان لا تتناقش.

إذ يمكن عد "كل جملة من هذه الجمال وحدة تم استخراجها من سجل معروف. وبإمكانها الانضواء داخل تأليفات أكثر اتساعاً".^(٤)

والسبب في وجود العلامة المركبة هو الطبيعة المعقدة للغة التي من مظاهرها "أننا نعبر دائماً عن أفكارنا بجمال وليس بكلمات".^(٥)

وتحتم الخاصية العلاماتية للغة "أن يكون ركنها الأساسي: الصوت والمعنى، وتكتفي الأنظمة الاتصالية عادة بركنين فقط".^(٦)

ولا بد للعلامة أياً كان نوعها بسيطة أو مركبة من ركنين هما الدال (SIGNIFIER) والمدلول (SIGNIFIED) يتمثل الدال بالصوت والمدلول بالمعنى أو المضمون وهما الركنان اللذان تحدث عنهما سوسور.^(٧) لكن خلافاً له "يمكن للصوت في هذا المفهوم أن يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو حتى جزء من كلمة. فالصوت (كتاب) يرتبط أو يتعلق بـ، أو يشير الى ذلك المكون من عدد من الصفحات والمعد للقراءة. ويشير الصوت (ذهب الطفل الى المدرسة) الى معنى معين أو فكرة معينة يريد المتكلم ايصالها الى السامع، اعتماداً على الخلفية الاصطلاحية التي يفترض وجودها مسبقاً أي قبل التفوه بهذا الصوت عند كليهما".^(٨)

(١) الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٣٠، وهو يعني بالمحاضرات: محاضرات سوسور التي نشرت بعد وفاته.

(٢) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٧-٢٨، وينظر أيضاً: (اللغة) ٩٢.

(٣) ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٤٨.

(٤) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ١٢٠.

(٥) شطايا لسانية ٥١.

(٦) شطايا لسانية ٥٠.

(٧) ينظر: علم اللغة العام ٨٤-٨٥، وينظر أيضاً شطايا لسانية ٤٩.

(٨) شطايا لسانية ٥٠.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وقد أدت هذه النظرة الحديثة لمفهوم العلامة الى انتقاد عدد من التعريفات التي حاولت ان تعرف اللغة تعريفاً دقيقاً. واتفق على نقدها الدارسون العرب والأجانب على حدٍ سواء. ومن هذه التعريفات تعريف (سابير) للغة بأنها: "منهج بشري صرف غير غريزي لإبلاغ الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة نظام من الرموز المحدثه اختياراً".^(١)

وتعريف (بلوك وتراجر) الذي نص على أنها "نظام من الرموز اللفظية الاعتبارية التي يتم عن طريقها التعاون بين أفراد الجماعة الاجتماعية".^(٢) وتعريف (هول): "هي المؤسسة الاجتماعية الاجتماعية التي بواسطتها يبلغ الناس بعضهم بعضاً ويتفاعلون عن طريق الرموز الاعتبارية الشفهية – السمعية المستخدمة بحكم العادة".^(٣) فضلاً عن تعريفات أخرى كان سبب نقدها أنها اقتصرت في تعريفها على العلامات المعجمية أو على وظيفة واحدة أو بعض وظائف اللغة.^(٤) ولعل التعريف الأوفر حظاً من الدقة هو تعريف تشومسكي الذي عدّ اللغة: "مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، قد انشئت من مجموعة من العناصر".^(٥)

وهو تعريف بني على (الجملة) وهي العلامة المركبة التي تمثل الوحدة اللغوية الأساس التي نتفاهم عن طريقها وهي تتألف بدورها من مجموعة من العلامات الاعتبارية البسيطة، إلا أن هذا التعريف يخلو من أي إشارة الى وظيفة اللغة.

ثانياً: العلامة المركبة والجملة العربية:

في تراثنا العربي القديم نبه الكيا الهراسي الى تناهي الكلمات فقال: "وكان الأصل أن يكون بازاء كل معنى عبارة تدل عليه، غير أنه لا يمكن ذلك، لأن هذه الكلمات متناهية فدعت الحاجة الى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة... ثم وضعوا بازاء هذا على نقيضه كلمات لمعنى واحد... والطباع مجبولة على معاداة العادات، فخالفوا بين الألفاظ والمعنى واحد".^(٦) وهذا التناهي في الكلمات جعله الهراسي سبباً في المشترك اللفظي. وجعل النفرة من العادات سبباً في المترادف. الا أن هذا لم يقده الى إدراك الطبيعة الخالقة التي تتصف بها الجمل. ولم يفهمها على أنها نوع من العلامات ذو طبيعة مركبة.

واقترح ابن مالك أكثر من ادراك هذه الحقيقة حينما ذكر: "ان الدال بالوضع لا بد من إحصائه ومنع الاستئناف فيه، كما كان ذلك في المفردات، والمركبات القائمة مقامها، فلو كان الكلام دالاً

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٩، وعلم اللغة المعاصر ٩.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٠، وعلم اللغة المعاصر ٩.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٠، وعلم اللغة المعاصر ١٠.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٩ وما بعدها، ومدخل الى اللسانيات ٣٣-٣٤، وعلم اللغة المعاصر ٩ وما بعدها.

وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ١٣ وما بعدها.

(٥) علم اللغة المعاصر ١٠.

(٦) المزمهر ٣٦/١-٣٧، وينظر أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ٩-

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

بالوضع وجب ذلك فيه، ولم يكن ان نتكلم بكلام لم نسبق إليه، كما لم نستعمل في المفردات، الا ما سبق إستعماله وفي ذلك برهان على أن الكلام ليس دالاً بالوضع".^(١)

وما يقصده ابن مالك من كلامه هذا "ان المتكلمين غير مقيدین في كلامهم بما قيل سابقاً، أي ليس عليهم أن يحفظوا كل الجمل التي قيلت قبلهم كي يصدق عليهم أنهم يتكلمون العربية، بل عليهم ان يتقيدوا بما وضعته العرب في المفردات والمركبات الجزئية فقط. أما الجمل فبإمكانهم أن يقولوا منها ما يشاؤون، وهو ما يعرف في اللسانيات بالإنتاجية PRODUCTIVITY أي إمكان إحداث (أو فهم) جمل جديدة لم تنطق من قبل".^(٢)

ومع إشارة ابن مالك هذه اللافتة للنظر الا أنه لم يصرح على نحو واضح وصريح بالطبيعة الخلاقة للجمل، ولم يشير بأي إشارة من قريب أو بعيد حول إمكانية التعامل مع الجملة على أنها (علامة مركبة).

وظل التفكير اللغوي العربي محصوراً في إطار المفردات المعجمية حينما يتعلق الأمر بالعلامة، ويبدو هذا واضحاً من خلال تعريفاتهم للغة التي بنيت على هذا الأساس كما في تعريف ابن الحاجب: "حدّ اللغة كل لفظ وضع لمعنى".^(٣) وتعريف الأسنوي: "اللغة عبارة عن الألفاظ الموضوعات للمعاني".^(٤)

ولم يخرج عن هذا الإطار الا ابن جني الذي عرف اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".^(٥) الا ان تعريفه أقرب الى الكلام منه الى اللغة.^(٦)

وابن خلدون الذي أشار في تعريفه للغة الى العبارة والملكة المتقررة في اللسان بقوله: "عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها".^(٧)

فمفهوم (العلامة المركبة) مفهوم حديث أفرزته لسانيات ما بعد سوسور الا أنه لقي صدىً وترحيباً في صفوف الدارسين على اختلاف مناهجهم واهتماماتهم،^(٨) ومنهم دون شك الدارسون العرب المحدثون ولاسيما المطلعون على الدراسات الأجنبية منهم .

ومن أبرز من تأثر بهذه الفكرة من الدارسين العرب الدكتور محمد محمد يونس الذي اعتمد هذا المبدأ في دراسته للجملة العربية وتحليله لمكوناتها، من خلال تأكيده "توسيع مفهوم العلامة بحيث يشمل كل مركب ناشئ عن ارتباط الدال بالمدلول".^(٩)

(١) المزهر ٤٣/١، وينظر: مدخل الى اللسانيات ٣٤.

(٢) مدخل الى اللسانيات ٣٤.

(٣) المزهر ٨/١، وينظر أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٩.

(٤) المزهر ٨/١، وينظر: شرح الرضي ١٤/١-١٩، وينظر أيضاً: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٩.

(٥) الخصائص ٣٣/١.

(٦) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٢.

(٧) المقدمة ١٢٦٤/٣، وينظر أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ١١. ولمعرفة وجهة نظر الباحث في هذه

التعريفات ورايه فيها أيضاً ينظر ٧ وما بعدها.

(٨) ينظر اللسانيات الواسفة ١٥٣.

(٩) وصف اللغة العربية دلاليًا ٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ومن هذا المنطلق يقول د. محمد يونس ان العلامة "لا تقتصر على ما يمكن أن يسمى بالعلامة المعجمية، بل تشمل العلامة المعجمية، ونوعاً آخر يمكن تسميته بالعلامة الوظيفية، كما أنها ليست مقتصرة على ما يمكن ان يسمى بالعلامة الجزئية، بل تشمل أيضاً ما أدعوه بالعلامة التركيبية".^(١) وهو المبدأ الذي صرح به أيضاً الدكتور فريد عوض في كتابه (علم الدلالة)، ولم يخرج عن إطاره العام الدكتور محمود عكاشة في كتابه التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة.^(٢)

الا ان للدكتور محمد يونس رأياً خاصاً في العلامات اللغوية وتسمياتها فهو يرى أن "أصغر ما تكون عليه العلامة هو (المصرف)، الذي قد يكون كلمة أو جزء كلمة. أما العلامة التركيبية فالجملة هي نواتها الأساسية (سواء أكانت هذه الجملة صغرى أم كبرى)، وقد تكون العلامة التركيبية أصغر من جملة كما في المركب الإضافي، وربما كانت أكبر من جملة، وإن كان هذا (أي ما هو أكبر من جملة) لا يدخل في التحليل اللغوي عادة حيث يكتفي بالجملة باعتبارها أصغر علامة لغوية تشتمل على معنى تركيبى مفيد".^(٣)

ويذكر يونس أن "جميع أنواع هذه العلامات يندرج في العلامات الوظيفية ماعدا الوحدة المعجمية، فهي قسم يقابل العلامة الوظيفية".^(٤)

ولم يكتف الدكتور محمد يونس بالحديث عن مفهوم العلامة المركبة وحاول ان يلتمس من التراث ما يؤيد مثل هذه النظرة، فصرح بعد أن نقل كلام عبد القاهر في اعتباطية الدال وقوله في ترتيب الكلم ونظمهما: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس".^(٥) بأن في كلام عبد القاهر إشارة "الى مظهر التركيب في العلامة، لأن ذلك التركيب هو المقتضي لتركيب الكلم".^(٦) وهو يرى ان عبد القاهر قد ذكر ذلك صراحة في قوله: "وأي مساع للشك في أن الألفاظ لا تستحق من حيث هي الفاظ ان تنظم على وجه دون وجه ولو فرضنا أن تخلع هذه الألفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ولا نظم".^(٧)

وفيما أظن أن ما استنتجه الدكتور يونس من كلام عبد القاهر لا يخلو من تكلف وانه ليس في كلام عبد القاهر السابق ما يمكن أن يشير إشارة صريحة الى وجود ما يسمى بـ(العلامة المركبة). ولأن العربية شأنها شأن الأنظمة العلامية الأخرى تتسم بقبولها التجزئة،^(٨) فقد ميز د. محمد يونس بين مرحلتين من التجزئة فيما يخص العربية مفيداً من معطيات علم العلامات والمنهج البنيوي.

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٥،

(٢) ينظر: علم الدلالة (عوض) ٤٠٢٩، وما بعدها، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٢.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٥، وينظر: علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية ١٤.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٥.

(٥) دلائل الإعجاز ٤٢.

(٦) وصف اللغة العربية دلاليًا ٣١.

(٧) دلائل الإعجاز ٤٣.

(٨) تختلف الأنظمة العلامية في مدى تعقيدها، وبناءً على هذا يتناسب تعقيد التجزئة مع تعقيد النظام تناسباً طردياً، ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٥.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

المرحلة الأولى: يتم فيها تجزئة الجمل الى نوعين من الوحدات اللغوية هما: الكلمة وما أطلق عليه اسم (المصرف).^(١)

والمرحلة الثانية: يتم فيها تجزئة الكلمات والمصرفات الى (صيتات) مثل (وهب) تجزء الى ستة صيتات ثلاث منها صوامت وهي (و، هـ، ب)، وثلاث منها صوائت هي الفتحات الثلاثة، وكل استبدال أو حذف يقع على أحد هذه الصيتات يؤدي الى تغيير دلالة الكلمة أما الى كلمة أخرى مستعملة أو الى كلمة أخرى غير مستعملة (مهملة).^(٢)

ويشير الدكتور محمد يونس الى أن "بعض الدراسات اللغوية الحديثة تميل عادة الى الاهتمام بالكلمة على اعتباران (المصرف) هو البديل الأدق في التحليل اللغوي وهو ما لا يمكن تطبيقه على العربية بوصفها لغة اشتقاقية إعرابية".^(٣)

ويؤكد أيضاً أن نقطة الخلاف بين العربية وسائر اللغات غير الإعرابية ليست في قبولها لنوعي التجزئة، وإنما تكمن في التمييز في التجزئة الأولى بين الكلمة والمصرف.^(٤)

وأن خصوصية اللغة العربية تجعل من تجزئة الجملة الى كلمات مسألة ضرورية وإن لم تكن كذلك في بعض اللغات، لأن العربية لا يتأتى تحليلها تحليلاً سليماً الا بمراعاة هذه التجزئة، ففي العربية الكلمات هي موضوع الإعراب وهي التي ترد الى أصناف نحوية كالفاعل والمفعول والحال والنعت... الخ.^(٥)

ولأن اللغة البشرية (ومنها العربية) عبارة عن مجموعة لا متناهية من الجمل التي هي في الحقيقة (علامة مركبة) تتكون من مجموعة من العلامات الجزئية التي تتميز بقابليتها على الاستبدال جعل ذلك اللغة البشرية متماز من غيرها من أنظمة الرموز بالاقتصاد البالغ "فلو لم تكن اللغة قابلة للتبديل المترتب على التجزئة الأولى لاحتجنا الى كلمات جديدة لكل معنى قابل

^(١) يقابل مصطلح (المصرف) عند ديونس مصطلح (المورفيم) في الانكليزية. والمراد به (أصغر وحدة دلالية) مثل (ال) التعريف في الرجل وصيغة (فاعل) في ضارب.

^(٢) ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٥-٤٩.

^(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٦، ويختلف الدارسون فيما بينهم (لاسيما الأجانب) في نقطة الاهتمام في التحليل اللغوي، ففي الوقت الذي يركز فيه بعض الدارسين على الكلمة كما أشار ديونس، يركز الآخرون على الجملة، ويفضل غيرهم التعامل مع التركيب (CLUSE) وسنعود الى هذه النقطة لاحقاً ينظر: COHESION IN ENGLISH 244, AND: IDENTIFICATION OF SENTENCE BOUNDARIES 10 .

^(٤) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٦، ويعتقد د.محمد يونس أن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية تدعو الى التفريق في التجزئة الأولى بين الكلمة والمصرف. وبناء على مراعاة خصوصية العربية فهو يعرف الكلمة بأنها: (الوحدة اللغوية الصغرى القابلة للتصنيف الإعرابي المكونة من مصرف قواعدي مستقل إعرابياً أو من مصرف معجمي واحد مفرد، أو مقترن بمصرف قواعدي أو أكثر). ومن هذا المنطلق فإن (لا) و(إن) و(باء الجر) و(واو العطف) ونحوها يعد كلمة لأنها مصرفات (مورفيمات) مستقلة إعرابياً، بمعنى أنها لا تصنف مع غيرها في الاعراب . بخلاف (ال) في (الرجل) التي تعد جزءاً من كلمة لأنها لا تفرد في الإعراب. أما (المصرف) الذي هو (أصغر وحدة دلالية) فهو في العربية نوعان: (معجمي) مثل رجل وكمثرى. و(قواعدي) مثل حركة الإعراب والصيغة الصرفية والسوابق واللاحق مثل (ال) التعريف و(تاء) التانيث. وهذه المصرفات (المورفيمات) منها مصرفات حرة غير مقيدة مثل (لا) و(سوف)، ومصرفات مقيدة مثل (ال) التعريف و(تاء) التانيث. ويمكن ان نلاحظ ان كلمة (الضارب) تتألف من مصرف معجمي واحد (ضارب) وأكثر مصرف قواعدي: علامة الاعراب وصيغة فاعل و(ال) التعريف. ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٥-٤٩.

^(٥) ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٨.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

للتصديق (التصديق إدراك نسبة) ولو لم تكن اللغة قابلة للتبديل المترتب على التجزئة الثانية لاحتجنا الى صيغ جديدة لكل معنى قابل للتصور (التصور إدراك المفرد)...^(١).
لقد حاول د.محمد محمد يونس أن يقدم تصوراً جديداً للغة العربية مبنياً على نظر واسع وأفق رحب من خلال الإفادة من معطيات (علم اللغة العام) وإدراك القواسم المشتركة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى التي تشترك مع العربية في كونها جميعاً أنظمة رمزية (علاماتية). وهذه المحاولة -على حد علمي- هي المحاولة الأولى التي يقوم بها باحث عربي في اللغة العربية. منطلقاً من مبدأ كونها -شأنها شأن اللغات الأخرى- جزءاً من نظام أكبر وأكثر شمولاً هو نظام العلامات الذي أصبح اليوم يمثل علماً مستقلاً يعد من أحدث العلوم هو (علم العلامات) أو ما يعرف بـ(السيمولوجيا).

إن التعامل مع اللغة العربية على أنها نظام علاماتي، والنظر الى (الجملة) على أنها (علامة مركبة) تنطوي على مجموعة من العلامات الجزئية التي تعمل مع بعضها وفق نسق معين يمثلها النظام اللغوي الذي يعتمد بمجمله على العلاقات الاستبدالية والتأليفية. جعل د.محمد محمد يونس ينطلق في تحليله للغة العربية ودراستها من الجملة باتجاه المكونات الأخرى على خلاف ما كان شائعاً في الدرس النحوي العربي وهي المسألة التي حرص على تطبيقها أكثر من باحث عربي اطلع على نتائج اللسانيات ودراساتها.

كما اسهم ذلك في تسليط الضوء على اللغة العربية بشكل عام والجملة العربية بشكل خاص من زاوية جديدة هي زاوية (علم العلامات) وما يترتب على ذلك من الكيفية التي يتم من خلالها تحليل الجملة وتجزئتها الى مكوناتها الأولية. وبيان الآلية التي تتضافر فيها هذه المكونات وتعمل فيها مع بعضها وصولاً الى فهم طبيعة البنية الجمالية والمعنى الجملي.

وقد ادرك د.محمد محمد يونس أن النظر الى اللغة من هذه الزاوية يترتب عليه إعادة النظر في كثير من المفاهيم التي كانت سائدة حولها ولاسيما ما يتعلق بـ(مفهوم اللغة) وتعريفها. وهو ما جعله يحاول تعريفها تعريفاً جديداً ينسجم مع المعطيات الحديثة في مجال الدراسات اللغوية. فعرف اللغة بأنها:

"نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباراً، التي تتسم بقبولها للتجزئة ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه، ولتحقيق الاتصال بالآخرين وذلك عن طريق الكلام والكتابة".^(٢)
وهذا التعريف من -وجهة نظره- يشتمل على أهم خصائص اللغة ووظائفها فضلاً عن كونه يشير بدقة الى حقيقتها وطبيعتها وهو ما لا نجده في التعريفات الأخرى.^(٣)

وفيما أعتقد أن هذا التعريف يركز على العلامات الاعتبارية متمثلة بالمفردات وهو ما تؤكد الأمثلة التي ذكرها الدكتور يونس في شرح التعريف، وليس في التعريف إشارة واضحة أو ذكر للعلامات المركبة المتمثلة بالجملة التي تتجلى فيها واحدة من أهم خصائص اللغة الإنسانية وهي الإنتاجية (PRODUCTIVITY) أو ما يسمى أيضاً بالإبداع (CREATIVITY).^(٤) وهي قابلية المتكلمين على

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٩.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٢٤.

(٣) ينظر : مدخل الى اللسانيات ٢٦.

(٤) ينظر: LINGUISTICS.

﴿ الفصل الأول ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

"ان ينطقوا بتركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل ويعود هذا جزئياً الى الوضع السابق للغة وجزئياً الى استعمال المتكلم، أي ان ما تعارف عليه أهل اللغة يقتصر فقط على وضع المفردات والأنماط أو المناويل التركيبية دون القولات التي يستخدمها المتكلمون".^(١)

وقد تدارك الدكتور يونس هذا الخطأ بعد عشرين عاماً في كتابه: (مدخل الى اللسانيات) بعد أن أضاف هذه السمة الى السمات اللغوية الأخرى. وعندما أشار في حديثه عن (النقل الثقافي) الى قضايا ذات صلة كبيرة بالجمل، لكنه لم يحاول أن يعيد تعريفه للغة أو يعدله بما يتناسب مع هذا الموضوع، وبقي متمسكاً بتعريفه السابق.

ونرى أيضاً أن تعريف الدكتور يونس يمتاز بالإطالة على نحو واضح وهي مسألة ينبغي تجنبها والاعتماد على الدقة والإيجاز بدلاً منها وترك التفاصيل الثانوية الى شرح التعريف وليس الى مثله.

و التعريف الذي اتخذ الجملة أساساً له هو تعريف تشومسكي -كما تقدم- الذي عد اللغة "طائفة من الجمل (المتناهية أو غير المتناهية)، كل جملة متناهية في طولها، ومركبة من مجموعة متناهية من العناصر".^(٢)

وقد ذكرنا ان هذا التعريف يخلو من أي إشارة الى وظائف اللغة، لذا حاول بعض الدارسين تداركه مفيدتين مما ذكره تشومسكي ليعرفوا اللغة بأنها: "واسطة تفاهم تتألف من عددٍ لا متناه من الجمل".^(٣)

وبناءً على هذا التعديل يكون للغة وجهان: وجه شكلي، ووجه وظيفي، فعلى الصعيد الشكلي تتألف الجملة من مجموعة كلمات وهذه تتألف بدورها من مجموعة أصوات، ويمثل الصوت الوحدة اللغوية الصغرى وهي لا تعني شيئاً بحد ذاتها مالم تتحد مع وحدات أخرى في مستواها في مجاميع لتكوين الكلمات التي تتحد لتكوين الجمل ضمن ضوابط تتحكم بعملية الاتحاد ضمن قوانين تصف طبيعة كل من هذه المستويات الثلاثة وهي: الجملة والكلمة والصوت.^(٤)

واللغة على الصعيد الوظيفي "وسيلة اتصال أو مهارة اجتماعية معينة لإرضاء حاجات الفرد والمجتمع. انها ضرورة حياتية تفوق في أهميتها وفائدتها وتعقيدها كل الأنظمة الاتصالية الأخرى في الحياة مجتمعة من رسم وموسيقى ورقص وإشارات مرور وتعابير وجه وغيرها".^(٥)

الا أن التعريف الأخير يقتصر على وظيفة واحدة هي (التفاهم) ووظيفة اللغة أهم من ذلك بكثير وربما كان الأولى من وجهة نظرنا أن نعرف اللغة بانها: (وسيلة للتفاهم والتعبير عن الأغراض المختلفة، تتألف من عددٍ لا متناه من الجمل). وبهذا نتجاوز الاشكالات والتناقضات التي تثار حول هذا الموضوع ونحافظ على الوجهين: الشكلي والوظيفي في تعريف اللغة.

(١) مدخل الى اللسانيات ٣٣-٣٤، وينظر: LINGUISTICS

(٢) مدخل الى اللسانيات ٥٨، وينظر: اللسانيات والدلالة ٧٨.

(٣) شطايا لسانية ٧.

(٤) ينظر: شطايا لسانية ٧.

(٥) شطايا لسانية ٧. وينظر: LUNGUAGE AND LINGUIS 3-8.

الفصل الثاني

الجملة العربية في ضوء النحو

التوليدي التحويلي

TRANSFORMATINAL
GENERATIVE LINGUISTICS

❖ المبحث الأول : نشأة النحو التوليدي التحويلي وتطوره

وأهم الأسس التي يقوم عليها

❖ المبحث الثاني : الجملة العربية والدراسات

التوليدية التحويلية

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الفصل الثاني

الجملة العربية في ضوء النحو التوليدي التحويلي

TRANSFORMATIONAL GENERATIVE LINGUISTICS

المبحث الأول : نشأة النحو التوليدي التحويلي وتطوره وأهم الأسس التي يقوم عليها

أولاً: نشأة النحو التوليدي التحويلي وتطوره

يقصد بهذا المصطلح (النحو التوليدي التحويلي) المدرسة اللغوية التي تطورت في البداية عن البنيوية الأمريكية الكلاسيكية. ونشأت نتيجة تساؤلات ومراجعات وجهت إلى تصورات توزيعية أدت إلى رفض شديد وموقف مضادٍ منها. ولاسيما ما يخص الأسس السلوكية (التجريبية) التي بنيت عليها. ورائد هذه المدرسة هو نعوم تشومسكي (N.CHOMSY)^(١) تلميذ (هاريس) الذي يعد من أبرز منظري البنيوية الأمريكية كما تقدم. وبظهور مدرسته شهد الدرس اللغوي في العالم الغربي ثورة كبرى وصلت أصدائها إلى الشرق وامتد تأثيرها ليشمل مجالات أخرى فضلاً عن اللسانيات كالفلسفة وعلم النفس^(٢).

سعى تشومسكي إلى بناء نموذج شكلي يأخذ بعين الاعتبار المبادئ والسيرورات التي تبنى الجمل تبعاً لها في لغات خاصة. مؤكداً في الوقت نفسه أن الوقت قد حان ليتبنى اللسانيون وعلماء النفس على حدٍ سواء أسلوباً كلياً في اللغة بصفة خاصة والذهن بصفة أعم. وهو ما عد تحولاً في اهتمام العلم من العناية بتغطية المواد والمعطيات إلى العناية بعمق التفسير وبناء دراسة اللغة على أساس عقلي تجريدي، من أبرز سماته الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلم بدلاً من الاهتمام بسلوكه الخارجي^(٣).

وتذكر برجيته بارتشت أن النماذج الأولى للنحو التوليدي كان لها علاقة مباشرة ببحوث الوصفيين ومنها طورت على هذا النحو المميز، لذا لا يمكن توضيح نشوء النحو التوليدي بدون الإشارة إلى البنيوية الأمريكية^(٤).

(١) ولد افرام ناعوم تشومسكي في ١٩٢٨/١٢/٧ في فيلادلفيا. وكان والده عالماً في الدراسات العبرية في كلية جراث وقد ساهم تشومسكي منذ وقت مبكر جداً في تصحيح تجارب طبع أعماله النحوية. أما دراسته الجامعية فكانت في جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا ومن أشهر أساتذته فيها زيلج هاريس. حصل على الماجستير سنة ١٩٥١ في رسالة (دراسة مورفونيمية للعبرية الحديثة) ولم ينشر عمله هذا إلا في عام ١٩٧٩. ومن عام ١٩٥١-١٩٥٥ كان زميلاً شاباً في جامعة هارفرد وهناك بدأت صلاته بـ(جاكسون) و (موريس) ومنذ ١٩٥٥ يدرس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وهو من سنة ١٩٥٨-١٩٦١ (استاذ مساعد) ومن عام (١٩٦١) استاذ. من أعماله المبكرة: (البنية المنطقية للنظرية اللغوية) و(تحليل تحويلي) و(تركيب المركب الفعلي الألماني) و(النحو المنطقي وعلم الدلالة وثيقة صلتها اللغوية). ومعظمها مصور على ميكرو فيلم. وهو معروف أيضاً بمواقفه السياسية المناهضة لسياسة الولايات المتحدة ولاسيما ما يتعلق بحرب فيتنام وحرب الخليج وكذلك بمهاجمته الأفكار الصهيونية هجوماً صريحاً وواضحاً. ينظر: جومسكي: ١٥٩-١٦٥. والقضايا الأساسية في علم اللغة ٢٦٥-٢٦٧.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٤١-١٤٢. وجومسكي ٤٥، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٤-٣٥ ومدخل إلى اللسانيات ٨٢، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ١.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٤٢-٢٤٣. ومناهج علم اللغة من هرمان ٢٦٤ و٢٧١-٢٧٢. واللسانيات والبيداغوجيا ٣٤-٣٥. ومدخل إلى اللسانيات ٨٢-٨٣.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٤٢، ٢٦٣. وينظر أيضاً جومسكي ٤٣.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

فقد تركزت اهتمامات تشومسكي الأولى حول موضوعات وثيقة الصلة بالبنائية مثل:

- ما الذي يدخل في علم اللغة ؟
- وهل يمكن عند البحث ان يفصل الشكل عن المادة أي هل يمكن ان تدرس البنية الشكلية للغة ذاتها؟
- وهل يمكن ان توصف البنية الشكلية دون تمسك بالمعنى مؤقتاً على الأقل؟

ووجد في (علم اللغة الوصفي) مناهج متطورة يمكن ان يفيد منها على أنها نقطة انطلاق لبحثه الخاص، من ذلك مفهوم بنية المكونات والتوزيع كما تمسك في بداية حياته بفكرة (بلومفيلد) و(هاريس) في امكان وصف النحو دون اللجوء إلى المعنى. بل أكثر من ذلك رفض التساؤل: (كيف يمكن ان يبنى نحو دون الرجوع إلى المعنى؟) باعتباره غير مناسب.^(١) ومن ابرز ما يذكر في هذا السياق اشارة (هاريس) في مقدمة كتابه (مناهج في علم اللغة البنيوي) الذي صدر عام ١٩٥١ ويحتل مكانة خاصة في علم اللغة الوصفي الأمريكي، إلى تعاون تلميذه تشومسكي في انجاز أصوله.^(٢)

وتمثل سنة ١٩٥٧ نقطة التحول الأولى لتشومسكي وهي السنة التي صدر فيها كتابه (البنى النحوية) SYNTACTIC STRUCTURES. لكن بعض اللسانيين مثل (جون لاينز) يرون أن أعمال تشومسكي العامة في النظرية اللغوية التي قدمها في هذا الكتاب تشبه آراء الآخرين في المدرسة البلومفيلدية ولاسيما (هاريس) ولا توجد أية اشارة في هذا الكتاب للمذهب العقلاني الذي شكل السمة المميزة لكتابات تشومسكي اللاحقة.^(٣)

وفي هذا الكتاب عرض تشومسكي ثلاثة أنواع من النحو مستعرضا جوانب الضعف فيها التي جعلته ينتقل من كل واحد منها إلى الذي بعده، وأبسط أنواع النحو التي ناقشتها هو ما يسمى بـ(نحو الاختيار المحدود) (FINITE CHOICE GRAMMAR) وهو يستند "إلى الرأي القائل ان الجمل تولد بواسطة سلسلة من الاختيارات التي تتم من اليسار إلى اليمين، أي بعد أن يتم اختيار العنصر الأول أو الذي يستقر في أقصى اليسار فان كل اختيار بعد ذلك يحدده العنصر الذي يأتي بعده مباشرة".^(٤)

(١) ينظر: علم اللغة من هرمان باول ٢٧٠، ٢٧٦.

(٢) ينظر: علم اللغة من هرمان باول ٢٦٥.

(٣) ينظر: جومسكي ٤٥-٤٦، ومدخل الى اللسانيات ٨٢-٨٣، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١١٣.

(٤) جومسكي ٦٤ وينظر: البنى النحوية ٣٣-٢٦.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وبناء على الفهم السابق يتم توليد جملة

-THIS MAN HAS BROUGHT SOME BREAD.

كما يأتي:

أولاً: يتم اختيار كلمة (THIS) للموقع الأول من قائمة تضم كل الكلمات التي تصلح أن تكون في بداية الجمل الانكليزية. بعد ذلك يتم اختيار كلمة (MAN) التي هي واحدة من الكلمات التي يمكن ان تأتي بعد (THIS) وبعدها (HAS) التي هي أيضاً واحدة من الكلمات التي يمكن ان تقع بعد (THIS) و (MAN) وهكذا. ويمكن أن نلاحظ اننا لو اخذنا (THAT) للموقع الأول بدلاً من (THIS) لما تأثرت الاختيارات اللاحقة :

-THAT MAN HAS BROUGHT SOME BREAD.

لكننا لو اخترنا (THOSE) أو (THESE) للموقع الأول لكان علينا ان نختار كلمات مثل (MEN) للموقع الثاني تتبعها كلمات مثل (HAVE) للموقع الثالث مع بقاء احتمالات المواقع اللاحقة كما هي. ولو اخترنا (THE) في البداية لاستطعنا ان نكمل بـ (MAN) و (HAS) أو (MEN) و (HAVE)^(١).

ومن عيوب هذا النحو انه لا يستطيع معالجة الجمل الانكليزية ولا سيما المعقدة منها وفي بعض الجمل التي تفصلها جمل اعتراضية يكون هناك توافق بين الكلمتين المتباعدتين وليس مع الكلمة الأولى وبداية الجملة الاعتراضية. وهو ما نجده في العربية أيضاً في جمل من قبيل (زيد- اعتقد- أمين) و(زيد- باركه الله- مؤدب). لهذا رأى تشومسكي انه ليس في هذا النحو ما يشجع عليه سوى بساطته الشكلية^(٢).

وبما أن (نحو الاختيار المحدود) غير قادر على توليد جمل معينة في الانكليزية انتقل تشومسكي إلى نموذج آخر هو (نحو تركيب العبارة PHRASE STRUCTURE GRAMMAER) ويستطيع هذا النحو توليد أية مجموعة من الجمل يولدها نحو الاختيار المحدود لكن العكس غير صحيح. وهذه المسألة هي إحدى النظريات التي اثبتتها تشومسكي في اعماله التي سبقت نشر (تراكيب نحوية)^(٣).

وقد أفاد تشومسكي في هذا من (نحو المكونات المباشرة) الذي سبق الحديث عنها عند التوزيعيين وهو يقوم على تحليل تتابع محدود من السلاسل (جمل) التي تبدأ بسلسلة S (= جملة) يجري تحليلها إلى وحداتها اللغوية الأصغر التي تتكون منها من خلال استعمال قوانين اعادة الكتابة التي سبق ذكرها في تحليل المكونات المباشرة التي تتخذ الشكل الآتي :

١- جملة ← ع س + ع ف .

٢- ع س ← أ ت + اسم .

(١) ينظر: البنى النحوية ٢٧-٢٦، وجومسكي ٦٤-٦٥ والقضايا الأساسية في علم اللغة ١٤٨-١٥٢.

(٢) ينظر: البنى النحوية ٣١-٣٠، وجومسكي ٦٨-٦٩، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٧٢-٢٧٣، وفي علم اللغة (طليمات) ١٩٣.

(٣) ينظر: البنى النحوية ٤٧-٣٧، وجومسكي ٧١، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٧٣-٢٧٤. وفي علم اللغة (طليمات) ١٩٣-١٩٤.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

٣- ع ف _____ ف + ع س .

٤- أ ت _____ THE

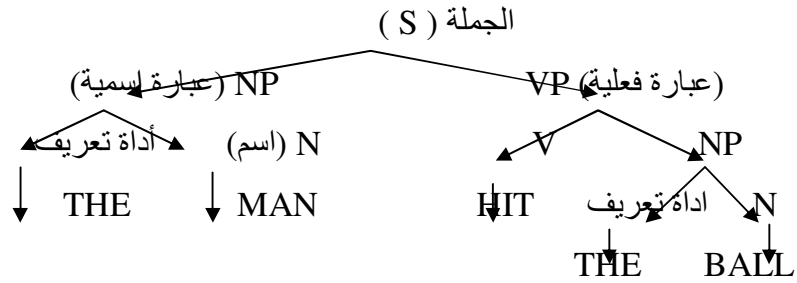
٥- س _____ MAN و BALL

٦- ف _____ HIT و TOOK ...^(١)

تسمى الفقرات السابقة (٦-١) بقواعد التركيب ويرمز السهم فيها إلى عملية استبدال العنصر الموجود إلى اليمين بسلسلة العناصر الموجودة في اليسار. وقد تعاد كتابة الجمل عن طريق المشجرات كما في تحليل جملة :

THE MAN HIT THE BALL

كما يأتي :



ومن عيوب طريقة التشجير هذه التي يذكرها تشومسكي مسألة الغموض البنيوية السابقة (احتمال الجملة أكثر من معنى) التي يصعب عرضها بهذه الطريقة.^(٢) ولا نجد في هذه الطريقة أية إشارة لمصطلحات وظيفية مثل (مبتدأ) و (خبر) ... الخ. كما هو مألوف عند التوزيعيين مثل (ولس) و (هاريس) فالاساس المتبع في هذا التصنيف هو اساس شكلي بحث ليس له صلة بـ(المعنى) والوظائف المرتبطة به.^(٣)

وهذا النحو لا يختلف بمجمله عن نحو (المكونات المباشرة) الا من جهة كونه أكثر دقة وتنظيماً فهو يحاول أن يولد (يصف) انتاج الجمل عن طريق مجموعة محددة من القواعد على نحو مما وجدناه في النقاط (٦-١) التي ذكرناها في تحليل الجملة السابقة.^(٤) ويمكن أن نولد من القواعد السابقة (المحدودة) عددا أكبر جدا من الجمل فبتطبيق بعض القواعد السابقة على العربية مثل:

الجملة ← عبرة اسمية + عبرة فعلية
 العبرة الاسمية ← اسم + أداة تعريف
 العبرة الفعلية ← فعل

^(١) يتم التعبير بالرموز للاختصار و (ع س) هي بدلاً (NP) الانكليزية = عبرة اسمية و(ع ف) بدل من (NV) = عبرة فعلية وهكذا (س) بدل من (N) = اسم و(ف) بدلاً من (V) = فعل و(أ ت) التي يراد بها هنا أداة تعريف.

^(٢) ينظر: البنى النحوية ٤٠-٣٧، وجومسكي ٧٤، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٧٣-٢٧٤

^(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٢٠-٢٣١، وجومسكي ٧٨-٧٩ وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٣٠٣-٣٠٤.

^(٤) ينظر: جومسكي ٧١-٧٩، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٣٠٣-٣٠٤

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

يمكن ان ننتج من هذه القواعد البسيطة للغاية عدداً كبيراً جداً من الجمل العربية. وعلى سبيل المثال لو طبقنا هذه القاعدة على الف (اسم) من العربية والف (فعل) فان ما يمكن انتاجه من هذه القاعدة البسيطة للغاية هو (بليون) من الجمل العربية الصحيحة.^(١)

ويذكر جون لاينز ان تشومسكي لم يستطع ان يثبت وجود جمل في الانكليزية لا يستطيع نحو تركيب العبارة توليدها لكنه يذكر أيضاً انه ظهر الآن وجود تراكيب معينة في لغات اخرى _ اذا لم يكن في الانكليزية _ لا يمكن وصفها الا وصفاً غامضاً ضمن اطار هذا النحو أي بطريقة معقدة لا تكشف عن شيء.^(٢) ومن خلال ما تقدم في مبحث البنيوية يمكننا ان نقول ان اللغة العربية بالتأكيد هي إحدى هذه اللغات بسبب نظامها الذي يوفر حرية اكبر في طريقة صياغة الجمل وكثرة الاحتمالات التي يمكن ان تتضمنها جملها اذا اتبعنا في وصفها طريقة كطريقة المكونات المباشرة.

والمشكلة الحقيقية في هذا النحو هو انه مبني على التجزأة والتصنيف مما يجعله (نحو قوائم) للأصناف التي يمكن ان تتضمنها هذه اللغة أو تلك. وقد أدرك التوزيعيون أنفسهم ان تحليل أي مادة لغوية لمنطوقات واردة يجب ان يوفر اساساً لتحديد المنطوقات الممكنة في اللغة المعينة وبيان ما يعد صحيحاً منها وما هو غير صحيح. أي ان يعرف مفهوم (نحوي) في لغة ما. وان ينجز أفكاراً محورية حول شكل نحو ما. وهو ما لم ينجزه التوزيعيون. لأن النحو القائم على التجزئة والتصنيف لا يمكنه ان يقوم في النهاية بأكثر من اعداد قائمة تحتوي وحدات المستويات المختلفة الفونولوجية والمورفولوجية ... الخ.^(٣)

وقد تنبه تشومسكي إلى ان كم الجمل التي تعد (نحوية) في لغة ما من المحتمل ان لا تكون نهائية. كما في بناء جملة على نحو يؤسسه العطف. فاذا كان لنا تركيب (أ) وتركيب (ب) و... الخ. فان بإمكاننا ان نبني جملة تتكون من أ و ب و ... الخ. ولنحدد كما لا نهائياً نحتاج إلى جهاز قاعدي إرجاعي لا يمكن ان يكون إلا نهائياً دائماً. لهذا حاول تشومسكي أن يطور نموذج (المكونات المباشرة) كما في القواعد المحددة التي يمثلها نحو (تركيب العبارة) التي يمكن توسيعها لتصف أكبر قدر ممكن من الجمل وفي الحقيقة ان هذه القواعد يمكنها أن تولد (تصف) جملاً كثيرة أكثر مما سجله أي لغوي ما بالملاحظة في أي وقت في مادة لغوية. لكن على الرغم من هذه التوسيعات تبقى هناك حدود اساسية لنحو بنية المركبات. ففي كل لغة طبيعية يجب ان توجد جمل من بنية لا يمكن ان تولد بوجه عام للغاية من نظام اعادة الكتابة.^(٤)

ومن العيوب التي سجلها تشومسكي على هذا النحو في (البنى النحوية) أنه قد يوجد التباس في جملة ولا يكون مرد هذا الالتباس عائداً إلى غياب مؤشرات شكلية كما في قولنا :

- THE SHOOTING OF THE HUNTER

قتل الصياد

- THE RAISING OF THE FLOWERS.

تنمية الأزهار

التمثالان من حيث الشكل. لكننا في الواقع نجد التباساً في القول الأول لا نجده الثاني، فعندما نقول:

قتل الصياد جريمة.

فان هذا قد يعني:- ان الصياد قتل حيواناً أو انساناً.

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٣٠٣-٣٠٤، واللسانيات واللغة العربية ٤٢/١-٤٣.

(٢) ينظر: جومسكي ٧٩، واللسانيات واللغة العربية ٤٤/١-٤٦.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ١٤١-١٤٢، واللسانيات واللغة العربية ٤٨/١-٤٩ و٥٧.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ١٤٢-١٤٦، وينظر محاضرات ودن ٢١، والكلمات والمعاني من فرويد حتى جومسكي ٦-٧.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وهذا الالتباس ليس سببه شكلياً. لأن تركيباً آخر مشابهاً له هو (تنمية الأزهار) لا يتضمن مثل هذا الالتباس وهو لا يحتوي على مؤشرات شكلية غير موجودة في الأول. وهذا النوع من تعدد المعنى وإن لم يكن موجوداً في كل لغات العالم منتشر على كل حال انتشاراً كبيراً للغاية وله بالنسبة للنحو أهمية كبيرة ويعني وجوده تحديداً أنه يجب على النحوي أن يدرج في مادته اللغوية للبحث ما هو أكثر من المورفيمات وتتابعاتها. لأنه يدل بوضوح على أن النظام اللغوي هو أكثر من التتابع المحض.^(١)

وفي مثل هذه الحالات لا بد من الاستعانة بالمعنى لكن في هذه المرحلة لم يكن يمثل ذلك عند تشومسكي إلا في صورة المعنى المميز (الفارق) أي: حالتان واردتان (مصوغتان) في تتابع واحد (هو نفسه) لهما معانٍ متعارضة.^(٢)

وفي مقابل ذلك يمكن أن نجد جملتين مختلفتين في شكلهما الخارجي (أي المؤشرات الشكلية الخارجية) مع ذلك لهما المعنى نفسه مثل:

THE DETECTIVE SAW THE ACCIDENT شاهد المخبّر الحادث.

THE ACCIDENT WAS SEEN BY THE DETECTIVE . الحادث شوهد من قبل المخبّر.

ويستطيع ابن اللغة أن يلاحظ في الحال أن لهاتين الجملتين معنى واحداً. ويستطيع أن يدرك أيضاً أن بين هاتين الجملتين علاقة تركيبية وأن كانت هاتان الجملتان مختلفتين من الناحية الخارجية. وهذا يعني أن الوصف المبني على الملاحظة الخارجية لا يصف لنا معرفة أبناء اللغة للغتهم. وهي المعرفة المختزنة في أذهانهم في اللاوعي. وهذا يعني أيضاً أن هذا النوع من النحو لا يمكن أن يفسر لنا الظاهرة اللغوية تفسيراً كاملاً شاملاً صحيحاً.^(٣)

وللأسباب السابقة انتقل تشومسكي إلى نموذج ثالث هو (النحو التحويلي). TRANSFORMATIONAL GRAMMAR . ويضم هذا النحو قواعد تحويلية فضلاً عن قواعد تركيب العبارة و"تعتمد القواعد التحويلية على التطبيق السابق لقواعد تراكيب العبارة ولا يقتصر تأثيرها على تحويل سلسلة من العناصر إلى سلسلة أخرى، بل يمتد ليشمل من حيث المبدأ تغيير محدد العبارة المرافق، وإلى هذا فإنها من الناحية الشكلية أكثر تنافراً وتعقيداً من قواعد تركيب العبارة".^(٤)

فقد جرى توسيع بعض قواعد (تركيب العبارة) لتنتسج إلى عدد أكبر من الجمل. كما في قاعدة العبارة الاسمية :

ع س ← ع س مفردة ، ع س جمع

(١) ينظر: البنى النحوية ١١٧-١١٦، وعلم اللغة المعاصر ٥٧-٥٨. وقد تنبه التوزيعيون إلى هذه المسألة مثل (ولسن) و(هايس) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٢٦-٢٣٩، ٢٢٧. وقد ذكرنا في مبحث البنيوية تفاصيل كثيرة وأمثلة عدة على هذه المسألة.

(٢) ينظر: البنى النحوية ١١٨-١١٧، وعلم اللغة المعاصر ٢٢٦-٢٢٧. والإنسان ولغته ١٠١.

(٣) ينظر: البنى النحوية ٦١-٦٠، وجومسكي ٨٢-٨٣، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٤٧، ١، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٥، ١٤٧، وعلم اللغة المعاصر ٥٨.

(٤) جومسكي ٨٥-٨٧، وينظر بعض هذه القواعد التحويلية التي سبقت بقواعد تركيب العبارة في البنى النحوية، وجومسكي ٨٦.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وبهذا أصبحت تشمل العبارة الاسمية المفردة والعبارة الاسمية الجمع. وكذلك أصبحت قاعدة الفعل المساعد (فم) تتضمن عدداً من أزمنة الفعل وصيغه بدلاً من مجرد الماضي البسيط لجملة (

(^(١) THE MAN HIT THE BALL)

وتشرح التحويلات امكانية تحويل جملة معينة إلى جمل أخرى من خلال تطبيق قواعد معينة هي قواعد التحويل. كما في:

ع س ١ + فم + ف + ع س ٢ ————— ع س ٢ + فم + BE + EN + ف + ع س ١
إذ تشرح هذه القاعدة عملية تبادل المواقع والزيادات التي يتم اضافتها عند تحويل جملة مبنية للمعلوم مثل جملة : يجب ان يفتح الرجل الباب.

-THE MAN MAY HAVE OPEN THE DOOR
إلى جملة مبنية للمجهول هي: الباب يجب فتحه من قبل الرجل.^(٢)
-THE DOOR MAY HAVE BEEN OPENED BY THE MAN.

وقد ميز تشومسكي بين نوعين من التحويلات هي التحويلات الاجبارية والتحويلات الاختيارية. بتطبيق التحويلات الأولى ننشئ جملاً بسيطة جاهزة هي الجمل التي اطلق عليها اسم الجمل النواة (kernel)^(٣) ومن خلال تطبيق التحويلات الاختيارية مثل تحويل البناء للمجهول والاستفهام والنفي يمكن ان نشق جملاً من جمل أخرى . كما هو الحال في المثال السابق.^(٤)

وتشرح برجيته بارتشت هذه المسألة بقولها : "التحويلات في هذا النموذج ليست علاقات متناسقة بين جمل جاهزة بل هي قواعد تحول سلاسل إلى سلاسل أخرى. وإذا طبقت (تحويلات اجبارية) فقط فانه تنشأ جمل بسيطة جاهزة تسمى جمل النواة... هذه جمل نحوية في اللغة L. وإذا اجريت كذلك (تحويلات اختيارية) فانه تنشأ جمل _نحوية أيضاً_ ذات فروق في البنية محددة بدقة مع الجمل النواة، مثل البناء للمجهول والاستفهام والنفي. وحتى يمكن ان توصف تلك الجمل وصفاً صحيحاً يحتاج إلى معلومات حول مجرى الاشتقاق أي حول (تسلسل التحويل). فالتحويلات في هذا الانموذج اذن غير متناسقة غير معكوسة".^(٥)

وبهذا يتكون وصف نحو (G) لغة ما (L) من مكونات ثلاثة هي : بنية المركبات (قواعد تركيب العبارة)، وبنية التحويل وبنية مورفينيمية (صرفية صوتية)^(٦)

(^(١) ينظر: البنى النحوية ٦٦-٦٤، وجومسكي ٨٧-٨٨ .

(^(٢) ينظر: البنى النحوية ١٠٤-١٠٠، وجومسكي ٨٨، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٥، واللسانيات واللغة العربية ٦٧-٦٦/١.

(^(٣) التحويلات الاجبارية هي تطبيق لقواعد النحو التي تعبر عنها هنا قواعد تركيب العبارة . وفيما بعد سيكون لها مفهوم أكثر تجريداً في كتاب الجوانب من خلال ارتباطها بالمكون الأساس الذي هو النحو ينظر: البنى النحوية ٦٣، وجوانب من نظرية النحو ٨٩ وما بعدها ٩٣.

(^(٤) ينظر: البنى النحوية ٦٦-٦٣ و ٨٣-١١٠، وتشومسكي ٨٨ وما بعدها، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٥، وفي علم اللغة (تعليمات) ١٩٤.

(^(٥) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٥. وقد أهمل (تشومسكي) عام ١٩٦٥م الفرق بين الجملة النواة KERNEL والجملة المشتقة منها TRANSFORM كما سيأتي في الصفحات القادمة.

(^(٦) ينظر: البنى النحوية ٦٦-٦٥، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٥.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وفي اطار النحو التحويلي يمكن تفسير غموض الجمل التي سبق الحديث عنها مثل جمل (قتل الصياد جريمة) و(لا يعجبني اكل التفاح) ... الخ من الجمل الاخرى. اذ يرجع ذلك النحو التحويلي إلى اجراء مجموعة من التحويلات الاختيارية المختلفة على جملتين مختلفتين أدت إلى انتاج الجمل الأخيرة.^(١) وبهذا يكون لهذا الانموذج مزايا لم يتضمنها الأول (تركيب العبارة) فهو يعكس سليقة المتكلم على نحو أفضل من النموذج السابق. كذلك هو أقدر على توضيح علاقة الجمل المتشابهة ببعضها كذلك كثير من العلاقات السليقية والدلالية يمكن تفسيرها على نحو تحويلي.^(٢) والانحاء الثلاثة السابقة التي قدمها تشومسكي مبنية على أساس شكلي واضح دون علاقة بمستعمل اللغة أو بمعنى المنطوق. اذ لم يُعن بالمعنى بهذه المرحلة الا بقدر علاقته بالاختيار ولانه يشكل فارقاً بين تعبير وآخر.^(٣)

ومما يجدر ذكره ان (هاريس) سبق تشومسكي في التمييز بين الجمل النواة KERNEL SENTENCES مثل (حفظ الطالب النص) والجمل غير النواة NONKERNAL SENTENCES مثل (حُفظ النص) المبنية للمجهول التي هي مشتقة من الأولى عن طريق التحويلات. وقد ذكر تشومسكي نفسه في حديثه عن هذه المرحلة من بحثه فيما بعد " انه بصياغة بنية المركبات لم يفعل شيئاً أكثر من تعديل اجراءات هاريس وبيان كيف يمكن ان تنتج هذه الأفكار نحواً توليدياً.^(٤)

وبشكل عام لم يخرج تشومسكي في كتابه (البنى النحوية) عن الأسس البنوية التي وضعها سابقوه فقد استمر في المناداة "بوجوب وصف علم الصوت وقواعد بناء الجملة لأية لغة على انها نظام شكلي بحث دون الإشارة إلى الاعتبارات الدلالية".^(٥)

وليس هناك ما يميز اعمال تشومسكي المبكرة تمييزاً حاداً عن أعمال هاريس والبلومفيلديين الآخرين الا نقطتان _ كما يقول جون لاينز _ الأولى تشديده بشكل كبير على الخلق والنهاية المفتوحة وعلى ضرورة ان تعكس النظرية النحوية قدرة المتكلمين على توليد جمل لم يسمعوها من قبل. والثانية هي الدور الذي يسنده إلى سليقة المتكلم والطريقة التي يميز بها جملاً معينة على انها متشابهة أو غامضة واعتقاده ان السليقة جزء مما على النظرية النحوية ان تقسره.^(٦)

مع هذا يبقى كتاب (البنى النحوية) الذي صدر عام ١٩٥٧ واحداً من أهم الكتب التي ألفها تشومسكي وأثارت انتباه علماء الاختصاص – كما تقول برجيته بارتشت – وتبرز اهميته في محاولة تشومسكي تأسيس نظرية للبنية اللغوية من دون صلة بلغات مفردة.^(٧)

وتمثل سنة ١٩٥٩ أهمية كبيرة فيما يخص آراء تشومسكي اللغوية، اذ رفض في مراجعة لاذعة النهج السلوكي في استخدام اللغة بوصفه نتاجاً غير مقبول للتجريبية الصادرة في المدرسة السلوكية البلومفيلدية.^(٨)

(١) ينظر: البنى النحوية ١١٩-١١٦، وجومسكي ١٠٥-١١٢. وعلم اللغة المعاصر ٦٤.

(٢) البنى النحوية ٦٦-٦٢، وجومسكي ٨١. ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٣٩.

(٣) ينظر: جومسكي ١٠٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٦ وكذلك ٢٤٠-٢٤٢. وفي علم اللغة (طليمات) ١١٣.

(٥) جومسكي ٤٢.

(٦) ينظر: جومسكي ٤٦، ٤٩، ٥٠، وشظايا لسانية ٥٩-٦١، ومحاضرات وذن ٢١.

(٧) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٧١. وفي الحقيقة تمثل هذه المسألة واحدة من أهم الفوارق مع البنيويين وهي ما لم يذكره جون لاينز من ضمن نقاط الاختلاف السابقة.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وتنتسح المساحة بين تشومسكي والبنويين في عام ١٩٦٥ مع صدور كتابه (جوانب من نظرية النحو) ASPECTS OF THE THEORY OF SYNTAX اذ اتى في هذا الكتاب "بنظريات عن طبيعة اللغة ومنهج دراستها وطريقة اكتساب الطفل لها مازالت حتى يومنا هذا مدار الدراسة والبحث والجدل والتجريب لدى معظم علماء اللغة في العالم الغربي بوجه خاص، وفي العالم بأسره بوجه عام".^(٢) وعد تشومسكي اللغة في هذا الكتاب عملية عقلية معقدة للغاية. وفيه أيضاً أصر على دراسة المعنى الذي أصبح يمثل عنده مكوناً أساسياً من مكونات القواعد. ودرس كل الجمل المحتملة والممكنة. مبتدأً بالجملة وليس بالصوت كما فعل البنويون. داعياً إلى تحري المراحل التي يمر بها تكوين الجملة من قبل وصولها إلى شكلها النهائي القابل للاستعمال اليومي.^(٣) وفيما يخص تفسير علم اللغة الوصفي لاكتساب اللغة يقول تشومسكي ان "علم اللغة التصنيفي هو تجريبي في افتراضه ان النظرية اللغوية العامة تتألف من مجموعة من الإجراءات لتقرير قواعد لغة ما من متن مادة لغوية حين لا يتحدد شكل اللغة الا بقدر ما تقرر هذه الإجراءات من قيود على القواعد الممكنة".^(٤) ويرى تشومسكي ان القواعد التي تنتج من تطبيق هذه الإجراءات ستكون ذات كفاءة وصفية ويمكن أن تؤلف فرضية حول نظام اكتساب اللغة الداخلي لكنه يتساءل هل بإمكان الإجراءات التجريبية أو التراكيبي الآلية أن توضح لنا مقدرة المتكلم الفطرية وتضع لنا قواعد منتظمة لكل الجمل التي يمكن أن ينطقها ابن اللغة توضح كيفية فهمه جملاً جديدة لم يسمعها من قبل؟ ومن وجهة نظره "ان طرائق من النوع الذي درس ضمن علم اللغة التصنيفي هي جوهريا غير قادرة على ان تعطينا أنظمة المعرفة القواعدية التي يجب ان ننسبها إلى متكلم لغة ما".^(٥) ويرى أيضاً ان الطفل لا يكتسب لغته من خلال تكرار الأداءات فقط لكنه يقوم بتحليل ما يسمعه في دماغه من خلال مقدرة الفطرية على هذا التحليل اللغوي. ويستخلص مما يسمع عناصر وقوانين النظام اللغوي العام الذي ولد هذه العينات ويخترنه في دماغه وعن طريقه يمكن له ان يولد جملاً جديدة خاصة به وأن يفهم جملاً أخرى يسمعها لأول مرة من دون ان يعطي احكاماً صحيحة ازاء ما يسمعه من جمل لغوية. وهذه المعرفة التي هي (الملكة) أو (القدرة اللغوية) ما هي الا مكون واحد فقط من ملكات العقل.^(٦)

فالطفل لا يولد ودماغه صفحة بيضاء فيما يخص مقدرة اللغوية، وهو يمتلك في دماغه مقدرة لغوية فطرية كامنة _وراثية_ وهذه القدرة على معرفة اللغة وتعلمها لا تعكس كيفية تعلم اللغة فحسب وإنما تعكس المقدرة اللغوية الانسانية على وجه العموم. وهذا ما يفسر أيضاً المدة الزمنية

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١٤٠، ومدخل الى اللسانيات ٨٣. وشظايا لسانية ٨٦.

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١١٣. وينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بلول ٢٢٧. وقد عرف النموذج الذي قدمه تشومسكي في الجوانب بنموذج (المعيار)

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩ وما بعدها ٤٧، وما بعدها ٦٧ وما بعدها. وينظر: أيضاً أضواء على الدراسات ١٤٠ و ١٦٠ وشظايا لسانية ٥٩ وما بعدها ومحاضرات وذن ١٩-٢٠.

(٤) جوانب من نظرية النحو ٧١-٧٢.

(٥) جوانب من نظرية النحو ٧٢-٧٣، وينظر محاضرات وذن ٢٠-٣٠ واللسانيات واللغة العربية ٤٥/١-٤٩، والإنسان واكتساب اللغة ١٠٠-١٠٧.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٧٥-٧٧. واللسانيات واللغة العربية ٤٢/١-٤٥ وكذلك ٤٦/١-٤٩. وينظر أيضاً علم اللغة المعاصر ٥٩-٦١، والإنسان واكتساب اللغة ١٠٠-١٠٧.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

القصيرة التي يكتسب بها الطفل اللغة ويتقنها على نحو يمكنه من استعمالها استعمالاً خلاقاً في هذه المدة التي لا تتجاوز خمس سنوات. وفي هذا الشأن يقول ان ليس هناك من مبرر اليوم "يدعو إلى التمسك بموقف ينسب الإنجاز الانساني المعقد كلياً إلى أشهر أو سنوات - على أقصى احتمال - من التجربة بدلاً من ملايين من سني النشوء والارتقاء، أو إلى مبادئ للنظام العصبي يمكن أن تكون ذات اساس عميق جداً في القوانين الفيزيائية" (١).

ولأن تشومسكي انطلق من اساس عقلي فطري في نظريته إلى اكتساب اللغة على نحو عام يشمل المقدرة اللغوية الانسانية بغض النظر عن هذه اللغة أو تلك فهو يرى "ان بنية اللغات يمكن ان تقرر إلى حد كبير من قبل عوامل ليس للفرد سيطرة عليها، وما للمجتمع فيها من اختيار أو حرية قليل. واعتماداً على اساس من أفضل المعلومات المثيرة لنا الآن. يبدو معقولاً ان نفترض أنَّ الطفل لا يملك الا أن يبني نوعاً من القواعد التحويلية لتعليل المادة اللغوية التي تعطى له، كما هو الحال في ادراكه الحسي للمواد الصلبة أو انتباهه للخطوط والزوايا. وهكذا فقد يكون صحيحاً ان السمات العامة لبنية اللغة تعكس ليس من خلال (تجربة الشخص) ولكن الصفة العامة (لقدرة الانسان) لاكتساب المعرفة - بالمعنى التقليدي - تعكس الأفكار والمبادئ الفطرية" (٢).

وبهذا يكون (تشومسكي) قد قدم مسألة اكتساب اللغة واتقان الطفل لها على نحو مبدع خلاق في مرحلة تكون فيها قدراته العقلية وذكاؤه قاصرين جداً، على انها إشكال هام لا مندوحة لأي نظرية لسانية من تناوله ومحاولة الإسهام في حله (٣).

ومن جهة أخرى قد يكون عمل على إحياء نظرية القواعد العامة أو الواحدة لجميع اللغات التي نادى بها الاغريق من قبل كما نادى بها أيضاً (سوسور) الا انه لم يترك هذه المسألة مجرد نظرية هائمة ولم يلجأ إلى المنطق كما فعل القدماء بل حاول أن يتوصل إلى تلك القواعد اللغوية العامة التي تحكم اللغات جميعاً، وقد اهتدى بالفعل إلى بعضها (٤).

(١) جوانب من نظرية النحو ٧٧ وكذلك ٧١، وينظر أيضاً القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٦-١٧١ وجومسكي ١٥١ والانسان ولغته ١٦-٣٦. وأضواء على الدراسات اللغوية ١١٣-١١٤، ١٩٠-١١٤، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٦-٣٧، وشظايا لسانية ٥٧-٦١.

(٢) جوانب من نظرية النحو ٧٧ ويبدو هنا تأثير تشومسكي بالنظرة العقلية لديكارت وهمبولت ينظر القضايا الأساسية ١٦٦-١٧١. وينظر أيضاً مقدمة المترجم. وكذلك أضواء على الدراسات اللغوية ١١٣. والانسان واكتساب اللغة ١٠٦-١٠٧.

(٣) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٣٦-٣٧، واللسانيات واللغة العربية ٤٦/١-٤٩.

(٤) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١١٩-١٢٠.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ثانياً: تفريق تشومسكي بين الكفاءة والاداء :

أخذ تشومسكي بتفريق (سوسور) بين مظهرين من مظاهر اللغة هما اللغة والكلام. لكنه أطلق على الأول مصطلح القدرة أو الكفاءة اللغوية COMPETENCE (أي معرفة المتكلم-السامع بلغته). وعلى الثاني مصطلح الأداء PERFORMANCE (أي استعمال اللغة في مواقف حقيقية).^(١)

وسبب أخذه بهذا التفريق هو أنه يرى أننا لا نستطيع القول ان (الأداء) هو انعكاس مباشر للقابلية فهذا لا يتحقق الا بشروط مثالية فلو قرأنا تسجيلاً لكلام طبيعي لوجدنا انه يبتدأ ببدايات خاطئة عديدة فقد ينحرف عن القوانين أو قد تتغير طبيعة الجملة في منتصف الطريق. والمشكلة التي يواجهها اللغوي كما يواجهها الطفل الذي يتعلم تلك اللغة هي أن يقرر من مادة الأداء اللغوي ماهية الأنظمة التحتية UNDERLYING التي يجيدها المتكلم -السامع ويستخدمها في أدائه اللغوي.^(٢)

ولهذا يرى أيضاً ان النظرية اللغوية تخص (المتكلم-السامع) المثالي الذي ينتمي إلى جماعة بشرية ذات تماثل كلامي تام، ويكون عارفاً بلغة تلك الجماعة معرفة تامة ولا يكون متأثراً بحدود لا صلة لها بالقواعد كالذاكرة المحدودة أو تحول الانتباه أو عدم المتابعة أو الأخطاء الكلامية العشوائية أو المتواترة حين يطبق معرفته اللغوية في مجال الأداء الفعلي.^(٣)

لهذا فإن غاية الوصف اللغوي يجب أن تكون (الكفاءة) أو القدرة للمتكلم/السامع المثالي _وليس الأداء كما فعل التركيبون_ وإذا كانت القواعد تنتم بالكفاءة الكاملة فهذا يعني وجوب أن تعطي كل جملة من المدى اللانهائي من الجمل وصفاً بنوياً يشير إلى كيفية فهمها من قبل المتكلم/السامع المثالي. وهو ما لم يكن ليقدمه (علم اللغة الوصفي) وكذلك (النحو التقليدي) الذي ظل وصفه ناقصاً لكثير من الانتظامات الأساسية للغات التي درسها. وهذان النوعان من القواعد حتى اذا تضمنتا قوائم كاملة ومفصلة بالاستثناءات والحالات الشاذة فانها لا تعطينا الا أمثلة عن العمليات النحوية المنتظمة المطردة.^(٤)

والقدرة اللغوية أو (الكفاءة) هي أمر كامن في اللاوعي وعلى القواعد التوليدية ان تبحث في العمليات العقلية التي تقع بعيداً عن مستوى الوعي الواقعي. وتصف بأكثر الطرق حيادية (المعرفة اللغوية) التي تكون الأساس للاستخدام الفعلي للغة _الذي يتصف بأنه خلاق_ ولا يمكن أن تضع

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٨. وتذكر برجيتة بارثشت ان اللغة كانت عند سوسور بمثابة مخزن للعلامات التي تترايط مع بعضها بموجب علاقات عمودية وأفقية، وان مصطلحي لغة وكلام متأثران بهذه النظرة فهو لم يقر بأن بناء الجملة أو عملية ضم وحداتها النحوية هي عملية توجهها قواعد تكرارية. فالنحو عنده جزء من النطاق الداخلي وبالتالي يتبع علم اللغة وهذا أحد الأسباب التي أدت الى إعادة النظر بهذين المصطلحين كما فعل تشومسكي هنا. ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ١٠٨، وينظر القضايا الأساسية ١٥٧-٥٨ وأضواء على الدراسات اللغوية ١١٥-١١٦.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٨ ومحاضرات ودن ٣١-٣٧ وينظر: القضايا الأساسية ١٥٤-١٥٥ واللسانيات والبيداغوجيا ٣٥. وعلم اللغة المعاصر ٦١.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٧، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٨٧، واللسانيات واللغة العربية ٤٦/١-٤٩ واللسانيات والبيداغوجيا ٣٥.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٨-٢٩. وينظر أيضاً القضايا الأساسية ١٥٤-١٥٥. ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٨٨، وعلم اللغة المعاصر ٦٢-٦٣. ومحاضرات ودن ٤١-٥٣.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

انموذجاً مناسباً للاستعمال اللغوي ما لم يتضمن هذا الانموذج قواعد (توليدية) تصف المقدرة اللغوية للمتكلم/السامع تأخذ مقوماته الأساسية.^(١)

وما يعنيه بالقواعد التوليدية هو "نظام من القوانين التي تعطي بشكل واضح ومحدد وصفاً بنيوياً للجمل".^(٢) بما في ذلك تلك الجمل التي لم نسمعها من قبل.

ويعتمد (تشومسكي) في الحصول على معلومات عن القابلية اللغوية على الحدس أو الاستبطان اذ لا يمكن استخلاصها من المادة اللغوية عن طريق الاستقراء بأي شكل. لكنه يرى أيضاً ان (الأداء) يمكن أن يزودنا بدلائل كثيرة لتقرير صحة الفرضيات إلى جانب الأحكام الاستبطانية.^(٣)

مع هذا تبقى الاسبقية للكفاءة على الأداء لعدم إمكان بناء انموذج للأداء من دون أن يكون أحد مقوماته الأساسية قواعد توليدية تشرح المقدرة اللغوية للمتكلم من وجهة نظر تشومسكي.^(٤)

وباختصار يمكن أن نقول ان السمة الانتاجية الابداعية التي تتصف بها اللغة البشرية ويمكن للانسان بمقتضاها أن يؤلف ويفهم جملاً جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها. وتجعل الأطفال قادرين على نطق جمل جديدة يعدها الكبار سليمة في صوغها WELL FORMED تعني من وجهة نظر تشومسكي ان الانسان يولد وله (قدرة لغوية) تمكنه من ذلك. وهذه السمة (الابداعية) التي تميز الانسان عن الآلات والحيوانات تحتم علينا ان نوجه انظارنا إلى تلك القدرة (الخلاقة) وأن نحاول وصفها.^(٥) ولهذا السبب أيضاً ركز تشومسكي في دراسته على (الجملة) لأنها وحدها من يحمل صفة (اللاتناهي) التي تعبر عن الجانب الخلاق في اللغة. واختار لنحوه مصطلحاً هو (توليدي) فهذا النحو يجب ان يصف (يولد) كل الجمل المحتملة والممكنة في لغة ما. ويعطيها صفة (نحوي). وهذه القواعد التي يتضمنها هذا النحو هي قواعد (خلاقة) أيضاً على نحو مما نجده في المعادلات الرياضية التي بإمكانها ان تولد عدداً من القيم التي لا نهاية لها من خلال استبدال الرموز بارقام صحيحة كالتالي في المعادلة: ٣س + ٤ص - ع = ؟

وإذا قام انسان ما بحل المعادلة المذكورة خطأ وحصل على جواب خاطئ فذلك مثل من أمثلة التصرف الفردي الذي يمكن ان يحصل بالكلام الفعلي. وهو لا يعني خطأ القاعدة كما لا يعني حل المعادلة خطأ انها ليست صحيحة. و(اللغة) عند تشومسكي هي (مجموع هذه الجمل المحتملة والممكنة) التي على هذا النحو (التوليدي) أن يصفها. مما يعني ان هذا النحو هو (نحو جملة) بالمقام الأول.^(٦)

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٢، وينظر: أيضاً مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٩٤-٢٩٦. وأضواء على الدراسات اللغوية ١١٦.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣١، وينظر أيضاً مدخل الى اللسانيات ٨٤، وعلم اللغة المعاصر ٦٣.

(٣) ينظر جوانب من نظرية النحو ٤١، وينظر القضايا الأساسية ١٥٣-١٥٤. ومدخل الى اللسانيات ٨٦.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤١، القضايا الأساسية في علم اللغة ١٧٢ وما بعدها. وقد أبدت الاكتشافات العلمية اللاحقة كثيراً مما ذهب اليه تشومسكي كما سيأتي. وأكدت أيضاً كثيراً مما افترضه من مسائل عقلية ادراكية.

(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣١ وما بعدها، ومدخل الى اللسانيات ٨٣، وفي ص ٢٤٢ من كتاب جوانب ينتقد تشومسكي أهمل علم اللغة البنيوي للجانب اللغوي الخلاق. وفي ص ٢٤٣ يستغرب عد هذه المدرسة ذات فلسفة علمية مع انها مبنية على افتراضات مسبقة لا نجدها عند مثيلها العقلاني.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣١ وما بعدها، وينظر أيضاً جومسكي ٥٤-٦٠، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٣٠١، ومدخل الى اللسانيات ٨٤، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٦.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويمكن ان نقول أيضاً ان (النحو التوليدي) هو وسيلة لتوليد (وصف) جميع الجمل الصحيحة في لغة معينة ولا جمل غير تلك الجمل الصحيحة. وهو ما قد يبدو لأول وهلة طموحاً مستحيلاً لكن المفاضلة بين أنظمة النحو ستكون بمدى اقترابها من هذا الوصف اذا تساوت في الأمور الأخرى. وبقدر ما ننجح في اكتشاف القواعد التي يعتمد عليها المتكلمون في صوغ جملهم ننجح أيضاً في تقديم تفسير مرضٍ علمياً لحقيقة الانتاجية في اللغة.^(١)

وفيما يخص الجمل المنطوقة أو المستعملة (الأداء) يشير تشومسكي إلى انها ليست على درجة واحدة من (القبول) بل درجات و"الجمل الأكثر قبولاً هي تلك الجمل التي يكون انتاجها أكثر احتمالاً من انتاج غيرها وفهمها أكثر سهولة، ووصفها أكثر اتقاناً وأكثر طبيعية بشكل من الأشكال. أما الجمل الأقل قبولاً فانها تلك التي يغلب ان يتجنبها المتكلمون ويستبدلونها بأخرى أكثر قبولاً بقدر ما يستطيعون في حديثهم الفعلي".^(٢)

وفي هذا الصدد يرى وجوب عدم الخلط بين فكرة المقبول والصحيح قواعدياً GRAMMATICAL. لأن مفهوم (القبول) ACCEPTABLE يعود إلى الأداء في حين تعود الصحة القواعدية إلى دراسة القابلية (الكفاءة).^(٣)

وكذلك يرى عدم ربط مفهوم الصحة القواعدية بقابلية التأويل أي إعطاء تفسير للجمل لأن في اللغة جملاً كثيرة يمكن إعطاء تأويل مباشر لها لكنها غير صحيحة قواعدياً كالجملة الانكليزية :

-THE BOOK WHO YOU ARE READ WAS A BEST SELLER.

- (الكتاب الذي قرأته كان من أفضل الكتب مبيعاً)

فالقصد واضح لكن الجملة غير صحيحة لأن (BOOK) غير عاقل والضمير المناسب هو (WHICH) وليس (WHO).^(٤)

وفي العربية يمكن أن نشبه ذلك بالجملة :

- اشتريت (مَنْ) تحب من الكتب .

وهي جملة خاطئة لأن ما يناسب (الكتب) هو (ما) لأنها غير عاقل. لكن المقصود منها واضح جداً ومفهوم.^(٥)

وفي المقابل يذكر (تشومسكي) أيضاً جملاً صحيحة الصياغة تماماً نجد صعوبة كبيرة في تأويلها وربما نقيم لها تأويلات عديدة متناقضة. وجملة (قتل الصياد جريمة) من أوضح الأمثلة على هذا في العربية والانكليزية.

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣١ وما بعدها. وينظر أيضاً جومسكي ٥٦ - ٦١، وأضواء على الدراسات اللغوية ٣٠٠، ومدخل الى اللسانيات ٨٤.

(٢) جوانب من نظرية النحو ٣٤.

(٣) ينظر جوانب من نظرية النحو ٣٤.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٨٧. وينظر ما بعدها، وينظر: محاضرات ودن ٨٢، واللسانيات واللغة العربية ٧١/٢ و ٨٠/٢.

(٥) هذا هو الأكثر في العربية وهناك استثناءات ايضاً كما ورد في قوله تعالى: (ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ...) - النور ٤٥/٢٤ .

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكرناه في مبحث البنيوية من جمل عربية صحيحة قواعدياً لكنها تتضمن احتمالات كثيرة جداً. وقد ذكر تشومسكي جملاً انكليزية تتضمن ثلاثة احتمالات،^(١) لكن ما وجدناه في العربية أكثر من ذلك بكثير كما بينا في موضعه.

ويذكر تشومسكي أيضاً النقد الذي وجه إلى النحو التوليدي لأنه يركز على دراسة القابلية الكامنة. ويرد على هذا النقد بأن الحقائق تبين أن دراسات الأداء الوحيدة خارج نطاق الصوتيات هي تلك التي تنفذ بوصفها نتاجاً جانبياً لدراسة القواعد التوليدية، وأن دراسة حدود الذاكرة والانحراف عن القوانين ... الخ قد تطورت عن هذا الطريق. وأن ما يعيق تطور نظرية الأداء الحقيقي هو الحدود الجوهرية في الدراسة الوصفية المبنية على تصنيف وتنظيم المادة اللغوية واستخلاص انماط من متن CORPUS ووصف عادات الكلام أو بنى العادات طالما وجدت.^(٢)

ثالثاً: القواعد التوليدية التحويلية :

يلح تشومسكي في كتابه (جوانب من نظرية النحو) على تأكيد مسألة أساسية وهي "أن معرفة أي لغة تتضمن القابلية الضمنية على استيعاب عدد غير محدود من الجمل. ومن ثم على القواعد التوليدية أن تكون نظام قوانين يمكن أن يعاد استعمالها باستمرار للحصول على عدد غير محدد من البنى".^(٣)

وهو يقسم نظام القوانين هذا إلى ثلاثة مكونات رئيسة هي :

- المكون النحوي SYNTACTIC COMPONENT .
- المكون الفونولوجي PHONOLOGICAL COMPONENT .
- المكون الدلالي SEMANTIC COMPONENT^(٤) .

يُعنى المكون النحوي "بتحديد مجموعة لا متناهية من العناصر الصوغية المجردة تتضمن كل منها المعلومات ذات الصلة بتأويل واحد لجملة معينة".^(٥)

ويُعنى المكون الفونولوجي بتحديد "الصيغة الصوتية PHONETIC لجملة مولدة بواسطة القوانين النحوية. وبمعنى آخر فإنه يعمل على الوصل بين تركيب ولده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل (أو صورة) صوتية".^(٦)

ويُعنى المكون الدلالي بتحديد "التأويل الدلالي لجملة معينة وبمعنى آخر فإنه يصل تركيباً ولده المكون النحوي بتمثيل أو صورة دلالية معينة".^(٧)

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٤ وينظر: ما يتعلق بالجملة العربية في فصل البنيوية السابق.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٨. وينظر محاضرات ودن ١٥-٣٧، واللسانيات واللغة العربية ٤٤-٤٥.

(٣) جوانب من نظرية النحو ٣٩.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩، وينظر أيضاً القضايا الأساسية في علم اللغة ١٥٨-١٦٠، وأضواء على الدراسات اللغوية ٣٠٧، واللسانيات واللغة العربية ٦٦/١-٦٧.

(٥) جوانب من نظرية النحو ٣٩، ويلاحظ أن القواعد قد قسمت بعد بلومفيلد إلى صرف ونحو. ثم أصبحت كلمة (نحو) عند تشومسكي تعني الاثنين معاً. وأصبحت كلمة (قواعد) تشمل عنده النحو والصرف والنظام الصوتي والنظام الدلالي أيضاً أي أصبحت القواعد اصطلاحاً شاملاً له علاقة بجميع وجوه اللغة المختلفة. ينظر أضواء على الدراسات اللغوية ٢٩٩، ومدخل إلى اللسانيات ٩٠. وقد وضع لسانيون عدة الصرف ضمن النحو ومن هؤلاء أشسن AITCHISON ينظر: LINGUISTICS

7.

(٦) جوانب من نظرية النحو ٣٩.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وعلى هذا فان المكونين الفونولوجي والدلالي كما يقول تشومسكي هما مؤولان فقط، ويستخدم كل منهما المعلومات التي يزودهما بها المكون النحوي التي تخص الوحدات المؤلفة وخواصها الأصلية وعلاقتها ببعضها في جملة معينة. وعلى هذا المكون تبعاً لذلك ان يخصص لكل جملة بنية عميقة DEEP STRUCTURE تحدد تأويلها الدلالي، وبنية سطحية SURFACE STRUCTURE تحدد تأويلها الصوتي. وتؤول الأولى عن طريق المكون الدلالي فيما تؤول الثانية عن طريق المكون الفونولوجي.^(١)

وهو يذكر ان الدراسات التصنيفية تفترض أن البنيتين العميقة والسطحية هما شيء واحد في حقيقة الأمر لكن الفكرة المركزية التي تقوم عليها القواعد التحويلية تكمن في أن الاثنين مختلفان بصورة عامة وان البنية السطحية تتحدد عن طريق تطبيق مجموعة من العمليات الصوغية يطلق عليها اسم التحويلات القواعدية GRAMMATICAL TRANSFORMATIONS على أشياء ذات طبيعة أولية (البنية العميقة).^(٢)

وتبدأ عملية تكوين الجملة بالمكون النحوي الذي يعد المكون (الخلاق) وهو يتألف من مجموعة من القوانين تسمى (الأساس) تقوم بتوليد سلاسل محدودة مصحوبة بوصف بنيوي تسمى (الدليل النظامي الأساسي) base phrase marker وهي عبارة عن وحدات أولية تتألف منها البنى العميقة.^(٣) مثل: اسم انسان ذكر بالغ حي (الرجل) وفعل (صيغته ماض) مثلاً لا يأتي بعده الا اسم حي وما شابه ذلك من السمات العامة التي تخص التذكير والتأنيث والتعريف والتذكير والوظائف النحوية: اسم ، فعل ، فاعل ، ظرف ، أداة ... الخ ويمثل نحو المركبات أو (تركيب العبارة) وقواعد اعادة الكتابة جزءاً من هذا المكون. والفارق هنا مع هذا النحو ان تشومسكي أصبح يستعمل مصطلحات وظيفية كالمصطلحات السابقة بوصفها جزءاً مهماً من الأدلة النظامية للبنية العميقة التي تتألف منها الجملة. لكنه يرى عدم وجود ضرورة في ان يشار اليها في قوانين إعادة الكتابة كالحاصرات والتشجيرات فهنا يكفي بالقواعد التصنيفية لتجنب الصعوبة الناجمة من كثرة التفاصيل عند اعادة كتابتها. وهذه (القوانين الأساس) هي عبارة أيضاً عن قوانين تقريع واختيار تولف (الأدلة النظامية الأساسية). تحدد الأولى (التقريع) الفصائل المعجمية مثل الاسم، والفعل والأداة في فئات فرعية مثل: أسماء حية، أسماء مجردة وتحدد الثانية (الاختيار) قيود التوارد مع العناصر أو الفصائل الأخرى، مثل وجوب ان يكون للفعل مات (اسماً حياً مسنداً اليه)، وان يكون للفعل أكل (اسماً محسوساً مفعولاً به) ... الخ، ودور قواعد التقريع والاختيار هذه هو ان لا توضع في السلسلة النهائية الشجرية الا العناصر المعجمية المناسبة لبعضها. فهي على سبيل المثال تمنع

(١) جوانب من نظرية النحو ٣٩.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩، وينظر أيضاً مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٨، ومحاضرات وذن ٧٤ وما بعدها .

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩-٤٠ ، وقد عرف هذا النموذج باسم (المعيار) ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة ١٥٣ وما بعدها.

(٤) الدليل النظامي الأساسي هو الترجمة التي اختارها د.مرتضى جواد باقر وقد اجتهد باحثون آخرون بترجمات أخرى مثل د.حبي عابنة ود.أمنة الزعبي إذ أطلقوا عليها (قوانين دلالية وصفية) وأظن ان ترجمة د.مرتضى أقرب الى مراد تشومسكي الذي يعدها جزءاً من المكون النحوي . وان اعترض عليه بان ما تحدث عنه هو سمات دلالية في الحقيقية . ينظر علم اللغة المعاصر ٦٧ وينظر أيضاً القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٢ .

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تأليف الفعل أكل مع مفعول مجرد مثل (العدل) إذ يوصف مثل هذا التأليف _ على الأقل _ بأنه خارج عن القواعد وكذلك لا نقول (جاء الحجر) للسبب نفسه أيضاً.^(١) ويشرح ذلك تشومسكي بقوله ان "قوانين التفرع في الأساس (أي مكونه الصنفي) تعرف الوظائف القواعدية والعلاقات القواعدية وتحدد نسقاً تحتياً مجرداً. أما المعجم فيصف الخواص الفردية للمفردات المعجمية المعينة التي تدرج في مواضع مخصصة من الأدلة النظامية الأساسية."^(٢) وهكذا فحين نعرف (البنى العميقة) كـ(بنى يولدها المكون الأساسي) نكون في الواقع مفترضين ان التأويل الدلالي للجملة يعتمد فقط على مفرداتها المعجمية والوظائف والعلاقات القواعدية الممثلة في البنى التحتية التي تظهر فيها".^(٣)

ويمكن أن نتصور الدليل النظمي لجملة (الأولاد يلعبون الكرة) على سبيل المثال كالآتي:
(ال+اسم+مذكر+عاقل+جمع) + (فعل+مضارع+مذكر+جمع+غائب) + (ال+اسم+مفرد+غير عاقل).^(٤)

وبعد ان يسبغ المكون الدلالي (المعجم) تفسيره الدلالي على هذا التركيب الخام أي بعد أن يحدد المكون الدلالي طبيعة العلاقات الدلالية بين أجزائه يكون الناتج عندئذ (بنية عميقة).^(٥) وهنا يأتي دور المكون الآخر من مكونات النحو وهو (قواعد التحويل) التي كانت في الانموذج الأول تعبر عن علاقات الجمل ببعضها. وأصبحت في انموذج (الجوانب) تحول بنية عميقة لجملة ما إلى بنيتها السطحية. إذ بعد ان تطبق هذه التحويلات التي يعد بعضها (اجبارياً) والآخر اختيارياً)^(٦) على البنية العميقة يكون الناتج بنية سطحية لهذه الجملة. وهذه التحويلات أو (القواعد التحويلية) تعمل عمل مرشح (فلتر) يسمح لبعض الأدلة النظامية المعجمية فقط بالمرور أي الأدلة النظامية المؤهلة لأن تكون بنية عميقة وبعبارة أخرى (القواعد التحويلية) هي التي تختبر ما اذا كان دليلاً نظامياً ما صالحاً لأن يكون (بنية عميقة) أم لا.^(٧)

وبعد أن تقوم التحويلات بتحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية، يأتي دور (المكون الفونولوجي) الذي يحدد السمات الصوتية للتركيب السطحي وبذلك يحوله إلى جملة جاهزة للاستعمال.^(٨) ويجب التنبيه هنا إلى مسألة مهمة هي عدم تطابق البنية العميقة مع البنية السطحية مطلقاً فمهما كانت الجملة بسيطة. فالبنية العميقة هي بنية نظرية اساسية موضحة. وإذا قيل ذلك في بعض الأحيان

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٢-١٧٣، ومحاضرات ودن ٨٨، والقضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٢، وأضواء على الدراسات اللغوية ٣٠٥، وعلم اللغة المعاصر ٦٦-٦٧.

(٢) يلاحظ ان الحديث هنا مبني على نوعين من العلاقات عمودية وأفقية على نحو يمثل نوعاً من التوافق مع (سوسور) وعلم اللغة الوصفي لكن المسألة هنا أكثر تجريداً وتحاول ان تصف ما يجري في الذهن قبل نطق جملة ما.

(٣) جوانب من نظرية النحو ١٧٢-١٧٣. وينظر اللسانيات واللغة العربية ٧٨/١ و ٨٠-٨٨/١.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٢-١٧٣، وأضواء على الدراسات اللغوية ٣٠٦.

(٥) يرى كلاوس هيشن ان العمليات التي تجري هنا يمكن أن تعد أيضاً قواعد تحويل وبهذا المعنى لا يكون الأساس خالياً من التحويل. ينظر القضايا الأساسية ١٦٢.

(٦) سيأتي بيان هذين النوعين في الامثلة القادمة.

(٧) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٠-٤١ وكذلك ١٦٥، ١٧٥. والقضايا الأساسية ١٦١-١٦٢.

(٨) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٠-٤١ وكذلك ١٧٢ ومن أمثلة هذه السمات في العربية الادغام، والاختفاء، والتفخيم، ينظر القضايا الأساسية ١٥٨-١٦٠.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

(للاختصار) فإنه يعني اجراء أقل قدر من التحويلات على البنية العميقة.^(١) ومن الواضح أيضاً أن (البنية السطحية) لا تعني الجملة المنطوقة فهي كما هو الحال مع العميقة لازالت بنية ذهنية ينفصها المكون الصوتي لتصبح جملة جاهزة للاستعمال.

وينبغي التأكيد أيضاً على أن المكون الدلالي في القواعد التوليدية هو مكون تأويلي (تفسيري) بحت. ومعنى هذا أن كل المعلومات المستخدمة في التأويل الدلالي يجب أن تكون موجودة في المكون النحوي من القواعد. وكذلك يعد المكون الصوتي الذي يضيف تفسيره على البنية السطحية. وبعبارة أخرى يقوم المكون النحوي بتخصيص بنية عميقة يقوم بتأويلها (المكون الدلالي وبنية سطحية يؤولها المكون الصوتي).^(٢)

وتشومسكي في كلامه السابق يؤكد ما ذهب اليه قبله كاتز وفودر _ ١٩٦٤ _ وهو أن معنى الجملة يستند على معنى أجزائها الأولية وكيفية ارتباط هذه الأجزاء بعضها ببعض لكن على نحو أكثر تفصيلاً ووضوحاً. فالارتباط الذي نجده في البنية السطحية (الأجزاء المباشرة) ليست ذات صلة بالتأويل الدلالي على وجه العموم - عند تشومسكي - على العكس تماماً من العلاقات القواعدية المستجدة في البنية العميقة المجردة التي تقرر وحدها معنى الجملة.^(٣)

ومهمة (التحويلات) هي أن تتلقى نتائج البنية العميقة وتحوله إلى بنية سطحية بعد أن تجري عليه تعديلات مختلفة قد تكون حذفاً. أو اعادة ترتيب أو ادخال عناصر جديدة. فضلاً عن وظيفتها الأخرى في فرض قيود على توزيع المفردات المعجمية أي وظيفة (المرشح) الذي لا يسمح إلا بتكوين انتلافات محددة تسمح بها اللغة.^(٤)

والجمل التي ينتجها الأساس قد تكون جملاً بسيطة وهي التي تسمى بالجمال الأولية أو النواة KERNEL SENTENCES كما أشرنا سابقاً وهذه الجمل من نوع بسيط تتضمن أدنى حد من العدة التحويلية عند توليدها. وهذا النوع هو الذي قد يقال فيه خطأ أن بنيته السطحية تماثل العميقة.

وقد تكون جملاً مؤلفة من جملتين أو أكثر وذلك حين تولد قوانين الأساس دليلاً نظمياً مكتفياً في دليل نظمي آخر كالجمال التي تتضمن صلة أو شرطاً وغيرها مثل جملة:

فصل الرجل الذي اقنع جون بأن يفحص من قبل اختصاصي.

التي تتولد من السلسلة:

Δ فصل الرجل (# الرجل اقنع جون بأن يفحص من قبل اختصاصي#) من قبل مجهول.^(٥)

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٠-٤١ والقضايا الأساسية ١٦٣، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٦.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩، وكذلك ١٠٢، ومحاضرات ودن ٧٣-٩١، واللسانيات واللغة العربية ٧١/١-٨٠.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٩٧-١٩٨، وينظر ١٧٠-١٧١، واللسانيات واللغة العربية ٦٩/١ ويذكر تشومسكي في كتاب الجوانب أيضاً أن "في البنية النحوية والدلالية للغات الطبيعية في الواقع الغازأ وأسراً كثيرة حول حقيقتها ومبادئها وأن أي محاولة لتحديد حدود هذه المحولات يجب أن تكون مؤقتة وغير نهائية" ١٩٩.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٣ و٢٥٩، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٨-٢٨٢، ومحاضرات ودن ٧٤ وما بعدها، وينظر أيضاً علم اللغة المعاصر ٦٥.

(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٤ وتعني علامة المثلث (أحداً ما قام بالفعل) وما بين العلامة (#) الجملة المكتتفة.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وذلك بعد ان تجرى عليها بعض التحويلات بعضها إجباري وهو حذف (الرجل) وابداله بالصلة (الذي) وبعضها اختياري مثل تحويل البناء للمجهول.^(١) وهنا تظهر الوظيفة الأولى للتحويلات.^(٢)

أما الوظيفة الثانية (الترشيح) فتتمثل بكونها تمنع توليد الجملة السابقة من السلسلة التحتية: Δ فصل الرجل (# الولد اقنع جون بأن يفحص من قبل أختصاصي#) من قبل مجهول.

لأنها تمنع اجراء تحويل الحذف وابداله بالصلة. وهو ما يعبر عنه تشومسكي بعدم امكان استخلاص الحذف وهو تحويل لا بد منه وسبب ذلك ان الرجل هو غير الولد وهذا ما يمنع حذفه واستبداله. وبعبارة أخرى فان الجملة المعينة لا يمكن ان تتولد أبداً من هذه السلسلة ويمكن أن تتولد من السلسلة السابقة (الأولى) لأنها لا تعيق أي اجراء تحويلي.^(٣)

ويذكر (تشومسكي) ان للمكون الدلالي (المعجم) أهمية في التحويلات التي يتم إجراؤها إذ " تعتبر هذه السمات السياقية محددة لبعض تحويلات التعويض. وهكذا فالقيود الانتقائية والتصنيفية الجزئية الدقيقة للمفردات المعجمية تعرف بواسطة قوانين تحويلية ترتبط بهذه المفردات".^(٤) وهذا ما يعنيه تشومسكي بقوله القوانين التحويلية تحمل أيضاً " عبء تحديد القيود التوزيعية على الأدلة النظامية".^(٥)

وبناءً على ما سبق تحدد صحة البنية العميقة أو صلاحيتها لأن تكون بنية عميقة لبنية سطحية ما من خلال المحافظة على قوانين الأساس وقوانين التحويلات. فإن كانت النتيجة (بنية سطحية) صحيحة الصياغة. يكون ما اعتبرناه بنية عميقة صالحاً لأن يكون بنية عميقة لهذه الجملة. وبغير ذلك لا يمكن ان تعد أبداً بنية عميقة.^(٦)

والقواعد هي أيضاً من يحدد البنية العميقة والسطحية وتوضح مفاهيم عدة كأن تكون جملة ما صحيحة الصياغة أو غامضة بنيوياً. أو جملة منحرفة خرقت قانوناً ما، أو ان جملتين هما صيغتان لجملة واحدة.^(٧)

وفي الوقت ذاته يرى تشومسكي "أن القواعد نفسها لا تزودنا بأي إجراء معقول لايجاد البنية العميقة لجملة من الجمل، أو لانتاج جملة من الجمل. ان ما تعمله القواعد هو تحديد الواجبات بشكل دقيق، فنموذج الأداء يتضمن قواعد ولكن يجب أن لا يؤخذ خطأً على أساس انه هو القواعد. وحينما

(١) ومن أمثلة التحويلات الاختيارية أيضاً النفي والاستفهام... الخ مما له علاقة بالأساليب وخيارات المتكلم ولا تفرضه اللغة. وبهذا يمكن ان نقول ان تقديم الخبر في (الشاعر زيد) تحويل اختياري لكنه في (في البيت رجل) تحويل إجباري. ويذكر (تشومسكي) ان اللغات الاعرابية تحمل إعادة ترتيب اسلوبية أكثر من تلك التي تنقصها الحركات الاعرابية ١٥٢. ينظر جوانب من نظرية النحو ١٥٢ و ١٧٤-١٧٥ و ١٨٠ وما بعدها، وينظر أيضاً القضايا الأساسية ١٦٢، وعلم اللغة المعاصر ٦٥، ومدخل الى اللسانيات ٨٦.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٤ و ١٥٢ ويعتقد تشومسكي ان الجملة المكتنفة يتم توليدها أولاً أي قبل توليد الجملة التي تكتنفها. ينظر ٣٥ وما بعدها. وكذلك ١٧٤.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٤-١٧٥ وينظر ١٦٦-١٦٧ وينظر أيضاً علم اللغة المعاصر ٦٥.

(٤) جوانب من نظرية النحو ١٧٥-١٧٦، وينظر محاضرات وذن ٧٥، واللسانيات واللغة العربية ٦٨/١-٧٢.

(٥) جوانب من نظرية النحو ١٧٦.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٦-١٧٧، ومحاضرات وذن ٧٤-٧٧.

(٧) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٧، وينظر أيضاً علم اللغة المعاصر ٥٩.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تتضح هذه النقطة فان حقيقة ان التحويلات تعمل كمرشح سوف لن تجلب أي نوع من الدهشة أو عدم الراحة".^(١)

وما عرضه تشومسكي وما اقترحه من قواعد يلخصها هو على النحو الآتي
"تحتوي القواعد على مكون نحوي، ومكون دلالي، ومكون فنولوجي. وهذان الأخيران تأويليان ولا يلعبان أي دور في التوليد المتسلسل للبنى الجمالية. يتكون المكون النحوي من مكون أساس ومكون تحويلي. ويحتوي الأساس على مكون جزئي صنفى ومعجم. يولد الأساس بنى عميقة وتتدخل البنية العميقة المكون الدلالي وتتلقى تأويلاً دلاليًا ثم توصل إلى بنية سطحية بواسطة القوانين التحويلية وهذه البنية تتلقى تأويلاً صوتياً بواسطة المكون الفونولوجي. وهكذا فالقواعد تعين تأويلاً دلاليًا للإشارات ويتوسط في هذا الربط بين الإشارات وتأويلها الدلالي القوانين المتكررة في المكون النحوي".^(٢)
مع ملاحظة ان المكون الجزئي الصنفى من الأساس يتكون من تتابع من قوانين إعادة كتابة متحررة من السياق. وظيفتها الأساس تحديد نظام معين من العلاقات النحوية التي تحدد التأويل الدلالي.^(٣)

وانطلاقاً من القواعد التوليدية فسّر تشومسكي مسائل عجزت النظرة البنيوية السطحية عن تفسيرها. أو اكتفت بنسبتها إلى سليقة المتكلم من دون ان تقدم مزيد ايضاح أو تبين ماهية هذه السليقة ولاسيما ما يتعلق منها بـ(الغموض) البنيوي أو احتمال الجملة لأكثر من معنى واحد. ومن أمثلة تشومسكي الجملة:

- طيران الطائرات قد يكون خطراً.

-FIYING PLANES CAN BE DANGEROUS

التي تحتل أن يكون المعنى:

-تطير الطائرات قد يكون خطراً. -FLYING PLANES IS DANGEROUS .

أو :

-الطائرات التي تطير قد تكون خطيرة.^(٤)

-FLYING PLANS ARE DANGEROUS .

^(١) ينظر جوانب من نظرية النحو ١٧٧.

^(٢) ينظر جوانب من نظرية النحو ١٧٧.

^(٣) ينظر جوانب من نظرية النحو ١٧٧.

^(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٤، وترجمة د. مرتضى جواد للجملة السابقة هي (تطير الطائرات قد يكون خطيراً) وأظن هذه الترجمة غير موفقة لان (تطير الطائرات قد...) تتضمن معنى واحداً وليس معنيين فهي من باب إضافة المصدر (تطير) الى مفعوله (الطائرات) ومن ثم الذي قد يكون خطراً هو (التطير) ولا تحتل ان تكون الاضافة هنا اضافة مصدر الى فاعله. لانها ستكون حينئذ من قبيل اضافة الشيء الى نفسه أي ان الطائرات هي التي تطير نفسها. وهذا لا تجيزه العربية لانه ينتج معنى خاطئاً. وارى ان الجملة التي ذكرتها هي الاقرب للجملة الانكليزية. بدليل ان د. مرتضى شرح الجملة بالجملة نفسها في توضيحه لأحد الاحتمالين اللذين تتضمنهما الجملة (تطير الطائرات...) بناء على ترجمته. التي ذكر انها تحتل معنيين (تطير الطائرات قد يكون خطراً) و(الطائرات التي تطير قد تكون خطيرة). وقد اكتفى د. سعيد بحيري بشرح الاحتمالين اللذين تتضمنهما هذه الجملة _ التي استدل بها هاريس من قبل تشومسكي على قصور تحليل المكونات المباشرة _ بجملتين مختلفتين من دون أن يذكر لها مقابلاً عربياً (جملة عربية) تتضمن الاحتمالين معاً. ينظر جوانب من نظرية النحو ٨٣ و٤٤. ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٣٩. ويمكن ان يشبه المثل السابق في قولنا (سرعة السيارة خطيرة) في احتماله المعنيين. (السيارة المسرعة خطيرة) أو (قيادتها بسرعة) وربما يكون أوضح من ذلك الجملة (تحدثنا عن محبة الأم) التي قد تعني محبة الأم لابنها أو محبة الابن لأمه.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن أمثلته أيضاً الجملة:

- لي كتاب مسروق. - I HAD A BOOK STOLEN .

التي تحتمل ثلاثة معان :

الأول: لي كتاب سرقه أحدهم مني (من سيارتي مثلاً عندما تركت النوافذ مفتوحة)

الثاني: لي كتاب سرقه أحدهم من أجلي (لمصلحتي).

الثالث: لي كتاب أنا سرقته (من المكتبة التي كان موجوداً فيها مثلاً).^(١)

ورأي تشومسكي فيما سبق ان هذه الاحتمالات نشأت من بنى عميقة مختلفة أجريت عليها تحويلات مختلفة أدت إلى إنتاج بنى سطحية متشابهة وبعبارة أخرى قد تتشابه البنية السطحية لعدد من الجمل وتختلف بناها العميقة. وقد يكون لعدد من الجمل ذات البنى السطحية المختلفة بنية عميقة واحدة أجريت عليها تحويلات مختلفة في كل مرة فانتجت بنى سطحية متباينة.^(٢)

والأمثلة الكثيرة التي يذكرها تشومسكي من قبيل الجملة (زيارة العمات مملّة) وغيرها من الجمل الأخرى نجد لها أمثلة كثيرة في العربية بل ان المقابل العربي للجمل الانكليزية التي يذكرها يبين بوضوح ان ما في العربية لا يختلف في شيء عما هو في الانكليزية.^(٣)

واذا كان هناك اختلاف فقد يكون في الاحتمالات الكثيرة والواسعة التي تتضمنها الجمل العربية_ كما بينا في مبحث البنيوية_ وفي خيارات التحويل الاختيارية الأسلوبية الكثيرة التي تنتجها لغة إعرابية مثل (اللغة العربية) وهي ملاحظة اُشار اليها تشومسكي أيضاً ولم يكن غافلاً عنها.^(٤)

وثمة ملاحظة مهمة يذكرها تشومسكي فيما يخص (الغموض) فهو يذكر ان هذه الجمل التي تحتمل اكثر من معنى "في سياق ذي تركيب مناسب سوف يؤولها السامع فوراً، وبشكل فريد، ولن يكتشف الغموض فيها. وفي الحقيقة فإنه قد يرفض التأويل الثاني، حين يذكر له هذا، كتأويل غير طبيعي ومقصور (بغض النظر عن أي من التأويلين كان هو قد اختاره تحت وطأة السياق). ومع ذلك فإن معرفته الفطرية للغة هي بالشكل الذي يجعل القواعد التي ذوّتها بشكل من الأشكال تعطي تأويلين اثنين".^(٥) وأحياناً أخرى أكثر من تأويلين كما تقدم في الجملة (لي كتاب مسروق) التي تحتمل ثلاثة معان ومع هذا فإننا_ كما يقول تشومسكي_ حين نوعي السامع بالغموض الثلاثي

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٢-٤٥ ترجمة مرتضى جواد لجملة تشومسكي (I HAD ABOOK STOLEN) هي:(سرق لي كتاب) وهذه الترجمة التي اختارها لا تتضمن الا احتمالين فقط هما الاول والثاني ولا يمكن ان ننطق هذه الجملة في العربية ونريد بها (أنا سرقته الكتاب) وأظن ان الترجمة الاقرب للجملة السابقة هي (لي كتاب مسروق) فهي تتضمن الاحتمالات الثلاثة: عندي كتاب سرقه أحدهم مني. وعندي كتاب سرقه احدهم من أجلي. وعندي كتاب أنا سرقته.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٧، وينظر أيضاً القضايا الأساسية ١٦٠-١٦١، وعلم اللغة المعاصر ٦٣.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٤-٤٧، وينظر أيضاً ٨٣ وما بعدها .

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٥٢. وينظر حديثنا عن وظيفة التحويلات في الصفحات القليلة السابقة.

(٥) جوانب من نظرية النحو ٤٤. وقد يكون الاستغراب أكبر والرفض أكثر قوة مع جمل كالجملة العربية ذات الاحتمالات الكثيرة التي ذكرناها في مبحث البنيوية ومع ذلك فان تركيباتها القواعدية تتضمن جميع هذه الاحتمالات وان كان السامع في سياق معين لا يرى لها الا تأويلاً واحداً.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الأطراف للجملة لا نضيف له معلومات جديدة " ولا نعلمه شيئاً جديداً عن لغته بل إننا نرتب الأمور بشكل يجعل فطرته اللغوية جلية واضحة بعدما كانت مبهمة" ^(١).

وقد ترى النظرية البنيوية السطحية أيضاً أن الجملتين :

١ - اقنعت جون ان يغادر -I PERSUADED JONE TO LEAVE.

٢ - توقعت جون ان يغادر -I EXPECTED JONE TO LEAVE .

تتلقيان التحليل البنيوي نفسه، وهو الانطباع الأول الذي قد يكونه السامع أيضاً. ^(٢)

ويذكر تشومسكي انه على حد علمه لم تشر أي قواعد انكليزية إلى التمييز الجوهري بين هذين التركيبين بل فشلت القواعد الإنكليزية في ملاحظة اي فرق بينهما. وقد يفشل التفكير الدقيق في ملاحظة أي فرق أيضاً. ^(٣)

لكن هذا لا يغير من حقيقة أختلاف الوصف البنيوي للجملتين وان كان هذا الاختلاف غير واضح للوهلة الأولى. ويرى تشومسكي ان هذا الاختلاف أو الفرق يمكن أن يتضح بتدبر هذه الجمل.

٣ - أ- اقنعت اختصاصياً ان يفحص جون.

-I PERSUADED ASPECIAILIST TO EXAMINE JONE.

ب- أقنعت جون ان يفحص من قبل اختصاصي.

-I PERSUADED JONE TO BE EXAMINE BY ASPECIAILIST.

٤ - أ- توقعت ان يفحص اختصاصي جون.

- I EXDECTED ASPECIAILIST TO EXAMINE JONE.

ب- توقعت ان يفحص جون من قبل اختصاصي.

-I EXDECTED JONE TO BY EXAMINED BY A SPECIALIST.

إذ يمكن ان نرى ان الجملتين (٤أ) و (٤ب) مترادفتان معرفياً أي الواحدة منهما صادقة اذا فقط اذا كانت الثانية كذلك. والفرق بينهما هو إعادة الصياغة. من خلال اجراء تحويل المبني للمجهول في الجملة (٤ب) أي ان موضوع الكلام ومجال التأكيد مختلف. لكنهما متفقان في بنيتهما العميقة. ففي الجملة (٤أ) الاختصاصي هو فاعل الفعل (يفحص) في الجملة المكتتفة (ان يفحص...) و(جون) هو المفعول به.

وفي الجملة (٤ب) أجري تحويل المبني للمجهول على الجملة المكتتفة فحذف الفاعل وأصبح (جون) فاعلاً قواعدياً للفعل يفحص بمعنى انه (مفعول به في الأصل) واضيفت عبارة (من قبل اختصاصي). التي تتضمن الفاعل الحقيقي. ومثل هذا التغيير لا يؤثر على المعنى العام.

أما فيما يخص الجملتين (٣أ) و (٣ب) فلا يوجد أي شكل من أشكال إعادة الصياغة والفرق ليس في موضوع الكلام أو التأكيد وبهذا يمكن ان تكون (٣أ) صادقة أو زائفة بشكل مستقل عن صدق أو زيف (٣ب). ^(٤)

^(١) جوانب من نظرية النحو ٤٥. وينظر الانسان ولغته ١٠١.

^(٢) ربما كان الأفضل ترجمة الجملتين الانكليزيتين السابقتين الى: أقنعت جون بالمغادرة. أو أقنعت جون ان يغادر. وتوقعت مغادرة جون أو توقعت ان يغادر جون. لأن الترجمة السابقة ان لم تكن خاطئة نحوياً فهي على الأقل ركيكة وضعيفة اسلوبياً.

^(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٥.

^(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٥-٤٦، ومحاضرات ودن ٧٧-٨٣.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وهذا يعني ان البنية العميقة التحتية للجملة :

١- أقنعت جون ان يغادر.

٣-ب- أقنعت جون ان يفحص من قبل اختصاصصي.

يجب ان ترينا ان (جون) هو المفعول به المباشر للعبارة الفعلية فضلاً عن كونه الفاعل القواعدي للجملة المكتنفة. وزيادة على ذلك في (٣ب) هو المفعول به المباشر المنطقي للجملة المكتنفة. في حين في الجملة (١٣أ) تكون عبارة (اختصاصصي) هي المفعول به المباشر للعبارة الفعلية وفاعل الجملة المكتنفة.

أما في الجملة :

٢- توقعت جون ان يغادر.

٤-أ- توقعت ان يفحص اختصاصصي جون.

٤-ب- توقعت ان يفحص جون من قبل اختصاصصي.

فان العبارة الاسمية (جون) و (اختصاصصي) لا وظيفة قواعدية لها غير تلك التي في داخل الجملة المكتنفة. وعلى الأخص نجد ان (جون) هو المفعول به المباشر المنطقي و (اختصاصصي) هو الفاعل المنطقي في هذه الجملة المكتنفة.^(١)

وهكذا يرى تشومسكي ان الجملتين: (١) اقنعت جون ان يغادر.

(٢) توقعت جون ان يغادر.

توضحان لنا نقطتين مهمتين :

الأولى: ان البنية السطحية تحجب البنية التحتية العميقة. فهاتان الجملتان متماثلتان في البنية السطحية ولكنهما مختلفتان تماماً في البنية العميقة التي تقع تحتها وهي التي تحدد تأويلهما الدلالي.

الثانية: عدم ثبات معرفة المتكلم الضمنية. إذ ما لم تورد أمثلة كالتالي في الجملة (٣) و (٤) لن يكون واضحاً لمتكلم الانكليزية – وبالتأكيد لمتكلم العربية أيضاً – ان القواعد المختلفة التي تضمنتها هذه الجمل تعطي فعلاً تحليلات نحوية مختلفة لهذه الجمل المتماثلة سطحياً.^(٢)

وباختصار يرى تشومسكي ان علينا " ان نكون حذرين من الوقوع في خطأ عدم ملاحظة ان حقيقة التشابه السطحي قد يخفي فروقاً تحتية ذات طبيعة أساسية، وانه من الضروري أن نقود فطرة المتكلم ونظهرها بأشكال وطرق دقيقة قبل ان نستطيع ان نقرر الصفة الفعلية لمعرفته اللغة أو لأي شيء آخر".^(٣)

وفيما يخص النقطتين الأنفتي الذكر يرى (تشومسكي) أنهما قديمتان فالأولى معروفة في النظرية اللغوية التقليدية وفي الفلسفة التحليلية، والثانية قديمة قدم (مينون) ومع هذا كثيراً ما اهملتا.^(٤)

وكذلك حاول تشومسكي ان يبحث في الأسباب التي تجعل جملة ما غير مقبولة وان يبين أيضاً ما يتعلق بدرجات الصحة والقبول من دون ان يكتفي بإطلاق أقوال مجملة لا تنتظر في التفاصيل

^(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٦.

^(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٧، وينظر محاضرات ودن ٨٢-٨٥.

^(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٧، وينظر محاضرات ودن ٧٦-٧٧.

^(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٧، و(مينون) أحد الرجال الذين كان أفلاطون يناقشهم ويبني حوارهم معهم. ينظر ٨٥.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن الأسباب التي ذكرها مما يجعل جملة ما غير مقبولة أسباب تتعلق بالقواعد وأخرى بحدود الذاكرة أو بعوامل اسلوبية أو تنغيمية أو بحدود الطول أو كثرة التقرعات وتعددتها والتداخل المتكرر للجمل المكتنفة.^(١)

و غرض تشومسكي من كل ذلك ان يقدم قواعد واضحة جلية لا تترك جوانب مبهمة وأسئلة من دون إجابة ولا تكتفي بنسبة المعرفة اللغوية إلى سليقة المتكلم من دون ان تفسر هذه السليقة، أو تشرح مقدرة المتكلم الخلاقة على انتاج الجمل وقدرة الطفل على اكتساب هذه اللغة المعقدة في نظامها في سنوات قليلة.^(٢)

ومن أهم السمات التي يتميز بها النموذج (العيار) الذي قدمه تشومسكي في كتاب (الجوانب) هو "تكامل النظرية في جهاز واحد مترابط على الرغم من انه يشتمل على مستويات أو عناصر مختلفة من التركيب اللغوي. أي ان المدرسة التحويلية تربط ما بين النحو والمعجم والفونولوجيا والفونوتيكيا والمعنى من خلال علاقة نظامية محددة وواضحة في حين كانت المدرسة التركيبية تركز على كل مستوى من هذه المستويات على حدة".^(٣)

وقد عكس تشومسكي في قواعده التوليدية التحويلية صورة تضافر المستويات اللغوية ووضح كيف يعتمد كل مستوى منها على الآخر في عمله "فمستوى التحويلات يعتمد على نتائج القاعدة النحوية والمعجمية الأساسية، والمستوى الفونولوجي يعتمد على نتائج التحويلات، والمستوى الفونوتيكي المادي الصوتي المسموع يعتمد على نتائج المستوى الفونولوجي، ومن هنا تتكامل النظرية في وصفها للظاهرة اللغوية، إذ لا تعمل قوانين مستوى معين الا على نتائج قوانين المستوى السابق لها".^(٤)

وقد حاول تشومسكي فيما سبق ان يضع نظرية لغوية تعكس القابلية الإنسانية على أساس من الكفاءة الوصفية والكفاءة التفسيرية. وتحقق الكفاءة الوصفية من وجهة نظره اذا اتاحت النظرية اللغوية قواعد يمكن ان تصف أي لغة طبيعية. أما الكفاءة التفسيرية فتتحقق اذا نجحت هذه النظرية بوضع قواعد تقدم تفسيراً لفطرة المتكلم الأصيل اعتماداً على فرضية تجريبية مبنية على أساس من المادة اللغوية الأولية.^(٥) ويعني هذا ان على النظرية اللغوية ان لا تكتفي بمجرد الوصف على نحو مما فعلت البنيوية بل عليها أيضاً ان تقدم تفسيراً واضحاً في كل ما يتعلق بالملكة اللغوية ومقدرة المتكلم. وذلك لا يتحقق الا اذا كانت النظرية اللغوية هي نظرية للقابلية وليس للاداء لأن العينات اللغوية مهما كثرت فانها لا تمثل الا جانباً من اللغة كما تقدم.

ومهمة اللغوي بالدرجة الأولى من وجهة نظر تشومسكي هو ان يضع نظرية تتضمن قواعد تعكس المقدرة اللغوية الإنسانية الذهنية وان كان ذلك على نحو تقريبي لأن اللغة تتضمن كثيراً من الأسرار لاسيما ما يتعلق بالعلاقة بين النحو والدلالة مما يمنع إصدار أي أحكام قطعية نهائية.

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٤-٣٨. وينظر ١٠٢-١٠٣، وينظر القضايا الأساسية ١٥٥-١٥٦، ومناهج علم اللغة من هرمان ٢٨٧ ومحاضرات وदन ٧٣-٩١.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٦٧ وما بعدها و٧٣-٧٧.

(٣) علم اللغة المعاصر ٦٥.

(٤) ينظر: علم اللغة المعاصر ٦٥، وينظر أيضاً مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٨٩-٢٩٠.

(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٨-٤٩ وينظر ٧-٥٤، وينظر أيضاً جومسكي ١٤٢، ومناهج علم اللغة من هرمان ٢٨٤-٢٨٥، وعلم اللغة المعاصر ٦٧-٦٨، واللسانيات واللغة العربية ٤٦/١-٤٩، مع هذا اشار جومسكي الى انه من غير المتوقع الوصول الى الكفاءة التفسيرية على نطاق واسع في الواقع الحاضر لعلم اللغة. لكنه يرى أيضاً انه يمكن اعطاء تغطية اجمالية لمجموعة ضخمة من المادة اللغوية عن طريق نظريات متعارضة. ينظر ٤٩.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وانموذج (المعيار) على الرغم من كل تحدياته المعقدة "ليس انموذجاً لفهم اللغة الانكليزية مثلاً، بل هو نموذج عالمي يحدد بوجه عام شكل نحو ما وبناءه. وكما تحدد الألفبائية الفونولوجية العالمية مفهوم (الصوت اللغوي الممكن) فان نموذج المعيار يحدد بشكل اجمالي مفهوم (النحو الممكن). ولما كان النحو الخاص للغة (ل) بوصفه نظرية لـ(ل) يحدد مفهوم الجملة في (ل) فانه من الممكن ان يعد النموذج العام للنحو آلية ... لتعريف الجملة ومن ثم اللغة بوجه عام".^(١)

ويرى كلاوس هيشن ان "هذه المبادئ الكلية العامة لبناء نحو ما شيء مختلف تماماً عن الإجراءات العامة تقريباً للتوزيعية القائمة على منهج التصنيف، وشيء مختلف أيضاً عن المخطط العام للتحديد في الجلوسماتية".^(٢)

اذ تتميز نظرية تشومسكي في تقديمها أقوالاً مسبقة "عن الشكل المحدد للجمل التي يمكن أن ترد في لغات طبيعية، وهي تحكم مسبقاً من جهة أخرى بشكل محدد للغاية أيضاً بعدم إمكانية جمل معينة في تلك اللغات باستمرار أيضاً".^(٣)

والنظرة العقلية التي تبناها تشومسكي التي تنظر إلى اللغة بوصفها مكوناً من مكونات العقل البشري فتحت الباب على مصراعيه امام نظرة جديدة للدراسات اللغوية تركز على (العموميات) اللغوية و (التشابه) بين اللغات بعد ان كانت سابقاً تركز على أوجه الاختلاف بينها.^(٤)

وكان رأي تشومسكي ان الاختلافات المتنوعة بين اللغات هي اختلافات سطحية وان اللغات متشابهة في بنيتها العميقة التي تمثل خصائصها العامة و"لأجل اكتساب لغة ما، يجب على الطفل ان يستنبط فرضية منسجمة مع المادة المقدمة له، عليه ان ينتقي من خزين القواعد الممكنة قواعد معينة تكون مناسبة للمادة المتيسرة له".^(٥) وهذه المسألة ظل تشومسكي يؤكد لها في كتبه التي صدرت بعد كتاب الجوانب.^(٦)

فقد نظر إلى الكفاءة اللغوية على انها أيضاً للمقدرة الإنسانية بوجه عام ومن قبله كانت هذه المقدرة تعلل تعليلاً اجتماعياً كما هو الحال مع سوسور.^(٧)

ويرى تشومسكي: "ان الافتراضات العامة حول طبيعة اللغة يجب ان تصاغ حيثما كان ذلك ممكناً بحيث يمكن ان نستنتج منها سمات معينة لقواعد هذه اللغة أو تلك. وبهذا الشكل فان النظرية اللغوية يمكن ان تسير نحو الكفاءة التفسيرية وان تسهم في دراسة العمليات العقلية والقدرة الفكرية الإنسانية".^(٨)

(١) القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٤ ، وينظر علم اللغة المعاصر ٦٥، وفي علم اللغة (طليمات) ١٩٤.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٥، وينظر اللغة والفكر والعالم ٢-١.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٥.

(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٧، ١٥٣، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٨٥-٢٨٧، واللغة والفكر والعالم ٢٢-٧، والانسان ولغته ١٧ و ٣٦ و ٥٣.

(٥) جوانب من نظرية النحو ٥٧ وينظر ١٤٤، وينظر: اللغة والعقل ٢٤-٢٧، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٨، تشير بعض الحفريات لانسان نياردلتال انه لم يكن بإمكانه الكلام وذلك بسبب ضعف التروية الدماغية في مستوى مناطق الكلام من جهة وشكل حفرة الفموية على عكس الانسان العارف الكروماينون، ينظر الانسان ولغته ٥٣.

(٦) ينظر: اللغة والعقل ٢٥-٢٧ والانسان ولغته ١٧.

(٧) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٦٧.

(٨) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٦٦.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويرى أيضاً أن الافتراضات الخاصة حول العموميات اللغوية يمكن أن تكون متعلقة بمكونات القواعد الثلاث: المكون النحوي والمكون الدلالي والمكون الفونولوجي. وهذا يعني بدوره أن الطفل يعالج المادة اللغوية مفترضاً أن تلك المادة مستقاة من لغة من نوع واضح المعالم مسبقاً وأن مشكلته تكمن في تحديد أي من اللغات الإنسانية الممكنة هي لغة المجتمع الذي يتواجد فيه. وبدون هذا سيكون تعلم اللغة مستحيلاً كما يرى تشومسكي.^(١)

إذ يفترض أن كل لغة تنتج عدداً غير محدود من الجمل. وأن هذه الجمل يمكن إطلالتها وتوسيعها من طرفيها إلى الطول المرغوب به بإدخال تراكيب وكلمات ملائمة. وأنها تستعمل أصواتاً ذات خصائص فيزيائية لفظية، وتتضمن قواعد عامة نحوية ودلالية مثل وجود اسم وفعل واحتواء كل لغة على مصطلحات تدل على الأشخاص ومفردات معجمية تشير إلى أنواع معينة ومحددة من أشياء وأحاسيس وسلوك... الخ فضلاً عن العموميات الصوغية مثل احتواء المكون النحوي للقواعد على قوانين تحويلية.^(٢)

ويلاحظ تشومسكي أن قوانين (الأساس) عمومية إلى حد كبير لذا فإنها ليست جزءاً من قواعد خاصة بلغة معينة. وأن اختيار هذه القواعد قد يكون حراً جزئياً إلا أنه محدد بشرط عمومي على الوظائف القواعدية التي يجري تعريفها.

ومثل ذلك رموز الأصناف التي تظهر في قوانين الأساس يجري اختيارها من ألف باء عمومية.^(٣) أي أن هناك مجموعة من الأصناف والقواعد العامة التي تختار كل لغة من اللغات الإنسانية بعضاً منها، كما أن جميع اللغات تستعمل الجهاز الوظيفي (الفسولوجي) والنفسي ذاته وقد تكون طريقة عمل هذا الجهاز مسؤولة عن بعض الخصائص الشكلية للغة وهذا يدعم أيضاً فكرة أن البشر يمنحون ملكة لغوية وراثية شديدة التعقيد.^(٤)

ويقلل تشومسكي من أهمية وجود بعض الاستثناءات والشذوذ التي يندر عدم وجودها في نظام معقد مثل اللغة الطبيعية ويرى أنها لا يمكن أن تفقد القوانين العامة. فكما لا تلغي قانون صياغة الزمن الماضي للأفعال من القواعد على أساس وجود كثير من الأفعال الشاذة كذلك يكون الحال مع القواعد العمومية.^(٥)

ولا يعني كون القواعد العمومية قواعد فطرية كما يرى تشومسكي أن هذه القواعد لا يمكن نقلها أو التثبت منها عن طريق التجربة فـ"حقائق الأرقام كأمثلة فينا ولكن لا يمكن إدراكها إلا بأخذها من منابعها عندما نتعلمها بطريق عقلي توضيحي".^(٦)

والنزعة العقلية التي تبناها تشومسكي ومحاولته أن يؤسس علم لغة يعد جزءاً من علم النفس الإدراكي^(١) يمهّد لإسهام مهم في دراسة العقل البشري. ومع هذا لم يكن (تشومسكي) متطرفاً في

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٥٠، ومحاضرات ودن ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٥١-٥٢، وينظر: جومسكي ٦٠-٦١، والإنسان ولغته ١٠١-١٠٤.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٧.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٨٤، وينظر جومسكي ١٤٣، وقد أشار تشومسكي أيضاً إلى عدد من الخصائص الرياضية للغة، ينظر الجوانب ٨٠ وجومسكي ٧٣ وما بعدها.

(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٥٣. وينظر: أيضاً البنى النحوية ٢٥ و٧٩.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٤٢.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

نظرته ولم يكن يعتقد ان المنهج العقلي هو المنهج الوحيد الصالح لدراسة اللغة. فقد ذكر ان اللغة يمكن ان تدرس من وجهة نظر بايولوجية ومن وجهات نظر أخرى كثيرة. بناءً على الهدف الذي يحدده كل منهج ولا بد لكل واحدٍ من هذه المناهج ان يحاول ان يعرف ما يمكن تعلمه من المناهج الأخرى. فالمرء لا يمتلك يقيناً بأن المنهج ككل هو على جادة الصواب.^(١)

وينبغي ان نشير هنا إلى ان تشومسكي أجرى تغيرات عدة على انموذج المعيار منذ ١٩٧٠ وتضمنت بعض هذه التعديلات مراجعة الموضوع الصحيح لعلم الدلالة. لكن هذه التغيرات لم تؤثر على هدفه الأساس وهو انشاء علم لغة يعد جزءاً من علم النفس الإدراكي. وبعض الدارسين الأجانب المتابعين مثل (كلاوس هيشن) يرون أن تطور النحو التوليدي التحويلي لقي في كتاب الجوانب نهاية معينة "لأن هذا الكتاب ظل إلى اليوم هو التمثيل المتكامل الأخير لنظرية بأكملها داخل الإطار التوليدي التحويلي".^(٢)

رابعاً: نقاط الاختلاف والتشابه بين البنيوية والنحو التوليدي التحويلي وأهم الانتقادات

إذا أردنا أن نجمل أهم جوانب الاختلاف بين البنيوية والنحو التوليدي التحويلي فانها ستكون في النقاط الآتية:

١ - تُعنى البنيوية بوضع نظرية تصف (الأداء) الذي يساوي عندها (اللغة)، وعلى العكس من ذلك يُعنى النحو التوليدي التحويلي بوضع نظرية تصف القابلية الذهنية أو القدرة اللغوية (الكفاءة)، التي تمثل حقيقة اللغة عند هذه المدرسة أما (الأداء) فيمثل عندها مجرد عينات ناقصة ومهما بلغت سعة الاستقراء اللغوي فإنه يبقى يمثل جانباً معيناً من اللغة جميعها إذ على النظرية اللغوية كما يرى تشومسكي ان تكون قادرة على إعطاء وصف لجميع الجمل النحوية المنطوقة وتلك التي لم تستعمل بعد أي ان تصف جميع الجمل الصحيحة في لغة ما وبالعكس ذلك لا يمكن أن نقول ان هذه النظرية تحمل شروط الكفاءة الوصفية.

٢ - تكتفي البنيوية بوصف الجمل اللغوية كما هي من دون ان تضيف إلى ذلك شيئاً آخر. أما النحو التوليدي التحويلي فلا يكتفي بالوصف ويحاول ان يقدم تفسيراً مناسباً للحقائق اللغوية من خلال قواعد جلية واضحة لا تكتفي بنسبة المسائل اللغوية إلى فطرة المتكلم من دون ان تحاول توضيح

(١) في ضوء النظرية العقلية لتشومسكي وعده اللغة أحد مكونات الدماغ يسقط التساؤل عن اسبقية التفكير على اللغة أو العكس. ويكون كل منهما معتمد على الآخر. ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة (مقدمة المترجم) ٥. ووصف اللغة العربية دلاليًا ٥٢ وما بعدها .

(٢) ينظر: اللغة والعقل ٢١ و٢٨ وجومسكي ١٣١، ومناهج علم اللغة من هرمان ٢٦٣، والقضايا الأساسية ١٦٩، وعلم اللغة المعاصر ٥٦-٥٧ واللسانيات واللغة العربية ٧٤/١.

(٣) القضايا الأساسية في علم اللغة ١٨٢، وينظر ١٨٢-٢٠٢، وينظر: أيضاً مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٩٠، وما بعدها والكلمات والمعاني من فرويد حتى تشومسكي ٨-١٠. ومن هذه التغيرات ان تشومسكي ذهب عام ١٩٦٥ الى ان المكون الدلالي يضيف المعنى على البنية العميقة أي قبل اجراء التحويلات، وفي عام ١٩٧٠ ذكر ان المعنى يتحدد احياناً بعد اجراء التحويلات أي البنية السطحية، وفي عام ١٩٧٥ ذكر ان المعنى يتحدد دائماً في البنية السطحية أي بعد اجراء التحويلات. وفي عام ١٩٩٥ اهل تشومسكي التميز بين البنية العميقة والسطحية في صيغة النحو التحويلي التي اطلق عليها اسم النحو الأدنى MINIMALIST SYNTAX. ينظر: شطايا لسانية ٦١-٦٠.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

حقيقة هذه الفطرة أو السليقة، أي ان هذا النحو يسعى أيضاً إلى تحقيق الكفاءة التفسيرية وان كان مثل هذا الأمر صعب التحقيق على الوجه الأكمل في الوقت الحاضر بسبب الوسائل المتيسرة.

٣- بنيت البنيوية على أساس تجريبي يعتمد في استخلاص الحقائق على التجربة أما النحو التوليدي التحويلي فبني على أساس عقلي يعتمد في استخلاص الحقائق على معرفة القابليات العقلية التي تمثل اللغة جانباً واحداً منها. ولهذا عدّ تشومسكي علم اللغة جزءاً من علم النفس الإدراكي. وكانت اللغة من وجهة نظره قابلية فطرية كامنة (موروثة) وليست سلوكاً مكتسباً كما كانت البنيوية التوزيعية ترى ذلك من قبل.

٤- عدت كل من البنيوية والنحو التوليدي التحويلي الجملة التي هي (أصغر شكل لغوي مستقل) الوحدة اللغوية الأساس. لكن البنيوية بدأت بوصف الصوت وانتهت بالجملة أي انها انطلقت من الجزء إلى الكل. أما النحو التوليدي التحويلي فبدأ بالجملة التي تمثل نقطة البداية للوصف اللغوي في هذا النحو.

٥- عني النحو التوليدي التحويلي على نحو بارز بالجانب الإبداعي الخلاق من اللغة. والكيفية التي تجعل اللغات ذات القواعد المحدودة النهائية قادرة على توليد عدد هائل غير محدود من الجمل الصحيحة قواعدياً. أما البنيوية فلم تلتفت إلى مثل هذه المسألة بأي شكل من الأشكال.

٦- عُنيت البنيوية بوضع قوانين وقواعد خاصة بكل لغة على حدة مركزة على جوانب الاختلاف والفوارق بين اللغات. أما النحو التوليدي فكان معنياً بوضع قوانين عامة تنطبق على جميع اللغات إذ كان هدف تشومسكي بناء (نحو عمومي) كلي يمثل القدرة المثالية لكل ذات متكلمة في جميع اللغات بشكل منطقي رياضي.

٧- حللت البنيوية (الجملة) بصفاتها كياناً كاملاً بشكله النهائي ولهذا افترضت للجملة بنية واحدة. أما التحويليون فتابعوا مراحل تكون الجملة في الذهن وبينوا كيف تتكون الصيغة الأولى لها (العميقة) وكيف تتحول إلى (سطحية) ومن ثم إلى جملة في صيغتها النهائية القابلة للمداولة ومن هنا افترضوا أكثر من بنية للجملة: عميقة وسطحية^(١).

ومع وجود هذه الاختلافات الأساسية في نظرة كل مدرسة وتوجهاتها. يمكن ان نلاحظ أيضاً ان كلا المدرستين تتفق في بعض وجهات النظر التي تعد بدورها أساسية أيضاً. وأهمها تأكيد كلا المدرستين على أهمية النظام اللغوي وان اللغة (شكل) وليس مادة. ويمكن ان نلاحظ أيضاً ان العلاقات العمودية و الأفقية التي تعد من أهم ما تتميز به النظرة البنيوية تمثل جزءاً جوهرياً من مكونات القواعد الثلاث في نظرية تشومسكي: المكون النحوي والمكون الدلالي والمكون الفونولوجي فهذه العلاقات تجري وفقاً لها عملية تكوين الأدلة النظامية والبنى العميقة وعمليات التحويل التي تنتج بنى سطحية للجمل المختلفة وكل هذا واضح من خلال نظرية تشومسكي التي تحاول ان تصف كيف تجري هذه العمليات في الذهن وكيف تسبق نطق الجمل المختلفة. ومن هذا الباب عدّ النحو التوليدي التحويلي بنيوياً أيضاً_ كما تقدم_ الا ان ما يميز هذا النحو هو عدم توقفه عند حدود الظاهر من اللغة والاكتفاء بمجرد الوصف. فهو يسعى إلى البحث وراء العمليات الذهنية

(١) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٧٢- ١٨٢، ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٧٧-٢٩٠، والاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٢٠-٢١، وجومسكي ٤٧، ١٣٥-١٣٧، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١١٧-١٢٠، والمدخل إلى علم اللغة (تواب) ١٨٩، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٨ وفي علم اللغة (طليمات) ١١٤، وشظايا لسانية ٥٧-٧٤.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الخفية التي تسبق نطق الجمل وتفسير حقيقة السليقة اللغوية والمقدرة اللغوية الخلاقة التي تعد من أهم مميزات اللغة الإنسانية.^(١)

ولهذا السبب تقول برجيته بارتشت: "ربما كان تطور النحو التوليدي بدون البحث الممهد للوصفين غير ممكن، أو ربما سار في مسارات أخرى كلية".^(٢) وقد أشاد (تشومسكي) نفسه بتقديم بعض الدراسات اللغوية على أيدي البنيويين مثل دراسة الأصوات التي يرى أنها "تقدمت كثيراً بفضل علم اللغة البنيوي للقرن العشرين".^(٣)

ومثلما وجهت إلى البنيوية انتقادات كثيرة لم يخلُ النحو التوليدي التحولي من انتقادات وجهت إليه كان من أبرزها :

١- فكرة المتحدث _ السامع المثالي IDEAL SPEAKER/HEARER التي تمثل مظهراً من مظاهر التجريد التي عرفت بها هذه المدرسة التي تحاول ان تصف القدرة اللغوية لهذا المتحدث/السامع المثالي الذي لا يتأثر بمشاكل النسيان وحدود الذاكرة وعيوب النطق ... الخ من الصفات الأخرى التي أوضحناها سابقاً، ومثل هذا المتحدث لا وجود له في الواقع اللغوي بل يفترضه اللساني اعتماداً على حدسه وكفايته اللغوية أي معرفته بقواعد لغته ومعجمها. مع ملاحظة ان التوليديين لا يصفون جملاً من المادة اللغوية المستعملة وانما يصوغون جملاً مفترضة باتباع منهج التوليد ثم ينظرون في سلامة صياغتها اللغوية وهذا مما لا يوافق عليه كثير من اللسانيين أيضاً.^(٤) وكان رد تشومسكي حول هذه المسألة هو "ان اللغويين الذين يتكلمون عن الدراسة الموضوعية الواقعية لاستعمال الجمل في الأحوال الحقيقية يصفون تلك الأحوال دائماً وفقاً لمفاهيم عقلية تماماً حين يستشهدون بالأمثلة فعلاً".^(٥)

٢- يرى بعض اللغويين أيضاً مثل كلاوس هيشن أنه من الصعب أن يقرر إلى أي مدى تعد السمات التي استخدمها تشومسكي مثل: حي، مجرد... الخ سمات نحوية محضة وليست سمات دلالية، ويرى أيضاً أن تشومسكي لا يقيم وزناً كبيراً لهذا السؤال.^(٦)

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٤٦، وجومسكي ٣٥، واللسانيات واللغة العربية ٤٤/١-٤٩.

(٢) مناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٤٦، وقد تقدم أيضاً ان نحو (تركيب العبارة) الذي يميز علم اللغة الوصفي بقي جزءاً من قواعد تشومسكي، وكذلك قواعد اعادة الكتابة عن طريق الحاصرات والتشجيرات.

(٣) اللغة والعقل ٢٣، ومن الجدير بالذكر أيضاً ان هناك اتفاقاً بين وجهة نظر بلومفيلد وتشومسكي في مسألة ارتباط المنطق باللغة، اذ يرى بلومفيلد ان المنطق فرع مرتبط باللسانيات بشكل محكم وهذا ما بنيت عليه أيضاً دراسة تشومسكي، وسبب هذا الارتباط ان كثيراً من استعمالات اللغة الطبيعية يستخدم الاستدلال بوجه ما. ينظر: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٥١، وينظر ٥٤، وينظر أيضاً اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٩.

(٤) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٨٥-٨٦، وينظر: أيضاً ٥٠-٤٩، وينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٥٦.

(٥) جوانب من نظرية النحو ٢٣٤. وينظر جومسكي ١٥١-١٥٧، ومحاضرات ودن ٨٧. والواقع ان (المتحدث المثالي) ليس عيباً على التحويلية التي تدرس الكفاءة وليس الأداء مع علمها مسبقاً ان (الحد الأعلى) لا يتحقق عند أي ناطق باللغة. مقابلته ضرب عدد بعدد آخر تتباين بتباين الأشخاص. وإذا أخذنا عينة عشوائية (عشرين شخصاً) وطلبنا منهم ضرب (١٢×٦) شفويّاً لوصل جميعهم الى الناتج الصحيح. ولو طلبنا منهم ضرب (١٢×١٦) قللت نسبة الصواب. ولو طلبنا ضرب (٣١٢×٧١٦) شفويّاً لاندعمت نسبة الصواب. مع ذلك عندما نصمم آلة حاسبة فاننا نصممها لتحاكي قدرة الشخص الذي يستطيع شفويّاً ان يضرب أي عدد بأي عدد آخر مع الاقدار بعدم وجود هذا الشخص المثالي على حد تسمية تشومسكي.

(٦) ينظر: القضايا الأساسية ١٦٢. وربما كان تشومسكي محقاً هنا أيضاً مادامت هذه المسألة (السمات الدلالية) تلقي بضلالها على النحو.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

٣- أكد تشومسكي ان النظرية اللغوية يجب الا تكون فضفاضة أو عامة أكثر مما يلزم لكيلا يندرج ضمن وصفها أنظمة اتصالية أخرى وقد تنبه هو نفسه إلى بعض الجوانب التي تعد عامة أكثر مما يجب ولا سيما فيما يخص قدرة قوانين التحويلات وقوتها. لكنه ذكر أيضاً انه لا يمكن اضافة بعض المحددات للحد من قدرة القواعد التحويلية وعموميتها.^(١)

٤- إهمال النحو التوليدي للتحويلي للجانب الاجتماعي من اللغة وهو ما حاولت ان تتداركه دراسات أخرى مثل (الوظيفية) والدراسات التداولية التي ركزت على علاقة اللغة بمستخدميها.^(٢)

٥- خلط النحو التوليدي التحويلي بين الوصفية والمعيارية وهو الأمر الذي كان شائعاً جداً في النحو التقليدي. لكن جون لاينز يرى ان عملية جعل المعلومات مثالية التي كان تشومسكي ينادي بها تميل إلى طرح بعض الاعتبارات المعيارية التي شوهت من قبل جزءاً كبيراً من النحو التقليدي.^(٣)

٦- ان النحو التوليدي شهد تطورات كثيرة وهو يغير ثوبه من آونة إلى أخرى مما يجعل مناقشة تشومسكي في آرائه أمراً صعباً للغاية ويجعل من عرض كل ما يتعلق بالنحو التوليدي التحويلي أمراً غير يسير وبالتالي يكون ما يمكن عرضه هو فكرة عامة عن الأسس التي تقوم عليها النظرية الأساسية وأوجه الاختلاف الرئيسة بينها.^(٤)

٧- وُصف تشومسكي أيضاً بأنه لا يعتني بكتابته وانه يخطئ أحياناً في التعبير -كما يرى موان- وانه غامض يقدم القليل من التعاريف وكذلك يوصف تشومسكي بانه متقلب يبدل رأيه من مكان إلى آخر وان لديه دائماً جملة مستترة تقول عكس ما استنبط من نظريته بشكل عام. مما يجعل فهمه يتطلب عبقرية حقيقية.^(٥)

وكل هذه الانتقادات لا تلغي شيئاً من حسنات هذه المدرسة الكثيرة وما قدمته من خدمات في دراسة اللغة ونظرات عميقة للنظام اللغوي فاق كل ما قدم قبل ظهورها. ولم تزل ابحاث هذه المدرسة مستمرة حتى اليوم ولم تزل تحتل المركز المطلق لكونها بدأت نظرية مكتملة وناضجة وأثارت تساؤلات اجبرت العلماء على الاهتمام بها حول الصلة بعلوم ونظريات أخرى لم تكن تتال الا اهتماماً ضئيلاً من قبل.^(٦) إذ تعد هذه المدرسة على سبيل المثال من أكثر المدارس احتقاراً بالرياضيات وأشدّها كلفاً باستعمال الرموز والمعادلات والأشكال الرياضية والرسوم البيانية في دراسة اللغة وكان لها دور كبير في ابراز كثير من الجوانب الرياضية التي تتضمنها اللغة.^(٧)

وما خرج به تشومسكي من نتائج تفصيلية عن بنية اللغة وتعقيدها لم يستطع أحد تفنيدها حتى الآن كلياً ولم تزل بحوث المختصين بعلم النفس اللغوي تدور أبحاثهم في فلك تشومسكي وما قدمه من نظريات ولم يزل الباحثون بين من يحاول اثبات ما جاء به وتطويره ومن يحاول رده ودحضه من ناحية أخرى. وما من لغوي يستطيع بشكل من الأشكال تجاهل آراء تشومسكي والبقاء بعيداً عن

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٥٢-٥٨ و ٢٥٩ وينظر: أيضاً جومسكي ١٤٢-١٤٣.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٩٨-٢٠٢.

(٣) ينظر: جومسكي ٤٨-٤٩.

(٤) ينظر: أعضاء على الدراسات اللغوية ٢٩٨ و ٣٠٨ وما بعدها، وينظر أيضاً شطايا لسانية ٦٠-٦١. وسبب هذه التطورات هو تعامل النحو التحويلي مع مسائل مجردة لا يمكن فحصها بسهولة على عكس البنويين الذين تعاملوا مع مسائل ملموسة سهلة الفحص لهذا لم يقدموا جديداً منذ ستينيات القرن الماضي.

(٥) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول (هامش المترجم) ٢٦٤.

(٦) ينظر: القضايا الأساسية ١٩٧، وأعضاء على الدراسات اللغوية ١٣٤-١٣٥.

(٧) ينظر: جومسكي ٥٥-٥٦، وأعضاء على الدراسات اللغوية ٩١-٩٢، وفي علم اللغة (طليمات) ٤٢.

﴿ الفصل الثاني ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تطوراتها. وكل هذا جعل تشومسكي يحتل مكاناً فريداً بين دارسي اللغة في العالم وجعل مدرسته تبقى على الرغم من استمرار تعدد المدارس أكثر من كونها مجرد مدرسة، وبقيت نظريته صائبة كانت أم خاطئة من أكثر النظريات فعالية وتأثيراً.^(١)

وقد كان تشومسكي محقاً حينما وجد ان تنوع تراكيب لغات العالم أقل ادهاشاً مما تتشابه فيه اللغات. ولم تزل تساؤلات كثيرة تلقى أجوبة من خلال نظرية تشومسكي التي يمكنها على سبيل المثال أيضاً ان تفسر عن طريق (العموميات اللغوية) لماذا يخطئ الطفل في استعمال صيغة قياسية بدلاً من صيغة سماعية شائعة فضلاً عن قضايا أخرى تخص اللغة واكتسابها.

واثبتت التجارب يوماً بعد يوم صحة كثير من افتراضات تشومسكي حول الادراك الفطري والقابلية الموروثة وتعقيد اللغة وصلتها بالدماغ وما يجري فيه من عمليات بعد أن أصبح ثابتاً اليوم ومعروفاً وجود مناطق معينة من الدماغ تسيطر على النشاط اللغوي وتتحكم بنقل الایعازات اللغوية بين جانبي الدماغ ووجود ملايين الخلايا العصبية التي تقوم بهذه الوظيفة.

وبينت التجارب أيضاً صحة ما افترضه تشومسكي عن دور الطفل الايجابي في عملية الاكتساب بدلاً من الدور السلبي الذي افترضته البنيوية سابقاً، ولم تزل أبحاث التشريح ودراسة الدماغ البشري ترفدنا بمعلومات جديدة حول هذا الموضوع وهي بدورها تمنح آراء تشومسكي وجهة كبيرة وقيمة حقيقية لما كان سابقاً مجرد افتراضات أو تكهنات كان هناك من يرى عدم إمكانية إثباتها _ على الأقل _ في الوقت القريب.^(٢)

(١) ينظر جومسكي ٩-١٠، وأضواء على الدراسات اللغوية ١١٥-١٢٠.

(٢) ينظر جومسكي ١٤٩-١٥٤، وأضواء على الدراسات اللغوية ١٦٢ و ١٩٢-١٩٧، وشظايا لسانية ١١٣ وما بعدها، وعلم اللغة المعاصر ٦١-٦٦.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

المبحث الثاني : الجملة العربية والدراسات التوليدية التحويلية

أ- الجملة العربية والأسس التوليدية التحويلية

إذا ما دققنا النظر في الجملة العربية وطريقة بنائها وتأليفها وما ينتابها من أحوال وتغيرات ومدى التشابه الكبير الذي يمكن رؤيته بوضوح بين جمل عربية كثيرة وكل ما له علاقة بقواعد بناء الجملة. سندرك بالتأكيد ان كثيراً مما أثبتته (تشومسكي) من ملاحظات عامة وتفاصيل دقيقة تخص النحو التوليدي التحويلي يكاد ينطبق تماماً على العربية، وانه ليس هناك أي اختلاف فيما يخص ملاحظاته وتطبيقاته على الجملة الانكليزية يمكن ان نجده في الجملة العربية. سوى ان بعض المسائل التي أثبتتها وقصور الأنحاء الأخرى يبدو في العربية أكثر عمقاً ووضوحاً وهي مسألة كان تشومسكي يتوقعها _ كما ذكرنا سابقاً _ للغة إعرابية مثل (العربية) تمنح متكلميها حرية في التعبير واختيار الأساليب.

فاللغة العربية _ كما هو مفترض في أي لغة إنسانية أخرى _ لغة خلاقة تولد عدداً لا حصر له من الجمل التي يمكن ان ينطقها المتكلمون ويفهموها. وتتم هذه العملية في الظروف الطبيعية من دون وعي أو تفكير ملي. ولا يدرك المتكلم انه من خلال تطبيقه قواعد لغته يمكنه ان ينتج جملاً غير مسموعة أو لم يصادفها من قبل ومع ذلك فان هذه القواعد نفسها تمكن سامعيه من فهم جملة وتقبلها بوصفها جملاً نحوية صحيحة.^(١)

ونحن من دون شك مدينون لـ(تشومسكي) في إبرازه الجانب الخلاق من اللغة على نحو لا يقبل الشك وعده واحداً من أهم السمات التي تتميز بها اللغات البشرية ان لم يكن أهمها. ولا أدري ان كان من الممكن ان نتصور _ في يوم ما _ هذا العدد الهائل من الجمل العربية التي يمكن ان ننتجها على نحو لا يتوقف عند حد أو عدد لو لم يتوقف (تشومسكي) عند هذه المسألة طويلاً مفيداً من ملاحظات سابقه مثل همبوات وهردر وديكارت^(٢) وفي تراثنا اللغوي العربي لم تكن هذه المسألة واضحة على النحو الذي نراه في الدرس اللغوي المعاصر بما لا يحمل أي نوع من أنواع الشك أو التردد في قطعته. فقد اختلف القدماء _ كما أشرنا في مبحث علم العلامات _ في الإجابة عن السؤال: (هل وضعت العرب المفردات فقط؟ أم انها وضعت المركبات الإسنادية (الجمل) أيضاً)، فرأى بعضهم مثل القرافي والسبكي "ان العرب حجرت في التراكيب كما حجرت في المفردات".^(٣) ورأى غيرهم مثل الرازي وابن الحاجب وابن مالك أن واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات بل ترك الجمل الى اختيار المتكلم لأنها لو كانت موضوعة لكان استعمالها وفهم معانيها متوقفاً على نقلها عن العرب وكان على أهل اللغة ان يتتبعوا الجمل ويودعوها كتبهم كما فعلوا مع المفردات.^(٤)

(١) ينظر: جومسكي ٢٩-٣٠ وينظر ايضا مدخل الى اللسانيات ٨٣ ، و 14-15 linguistics

(٢) ينظر: القضايا الاساسية في علم اللغة ١٦٦-١٧١ وينظر ايضا مقدمة المترجم.

(٣) المزهري ٤٣/١.

(٤) ينظر: المزهري ٤٣/١-٤٤.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ويمكن ان نتصور اليوم الى أي درجة يتناقض الرأي الأول مع طبيعة اللغة الإنسانية ومدى قسوة هذا التناقض حينما نتأمل العبارة التي استعملوها للتعبير عن رأيهم وهي عبارة (حجرت). ولا أدري ان كان يتصور أصحاب الرأي الآخر _ على صوابه _ الى أي مدى سيكون مستحيلاً حصر جمل اللغة العربية بأكملها وأية لغة أخرى حتى لو أردنا ذلك وأننا مهما بلغنا بالمحاولة فان هذا الاستقراء سيبقى دائماً ناقصاً لأن القواعد التي نملكها ستمكنا من إنتاج جمل أخرى لم ننتقها بعد ولم نصادفها من قبل.

وجمل اللغة العربية كذلك مفتوحة من طرفيها أي يمكن إطالتها من بدايتها ونهايتها من دون ان نتوقف عند حد أيضاً. اذ يمكن أن نطيلها من بدايتها عن طريق الإضافة مثل: سائق سيارة إسعاف المستشفى صديقي. وهو ما يسمى بـ(التفرع الى اليمين) الذي يقابل التفرع الى اليسار في اللغة الانكليزية ويوضح من خلال مكان تعدد الأقواس (الحاصرات):

(((((سائق(سيارة(إسعاف(المستشفى(صديقي

كذلك عن طريق النعت:

(((((الكاتب(المبدع(المثابر(الفائز بالمسابقة(صديقي)).^(١)

ويمكن ان نطيلها من نهايتها عن طريق الصلة كما في جملة:

رأيت الرجل الذي أعطى محمداً الكتاب الذي ألفه صديقي الذي يعمل في الوزارة.

وهو ما يصطلح عليه بـ(التفرع الى اليسار) الذي يقابل التفرع الى اليمين في الانكليزية وتوضحه الحاصرات: ^(٢)

(رأيت(الرجل الذي أعطى محمداً(الكتاب الذي ألفه(صديقي الذي يعمل في الوزارة)).^(٣)

ويمكن ان نلاحظ ان هذا النوع من التفرع (الى اليسار) له درجة قبول عالية _ كما هو الحال مع التفرع الى اليمين في الانكليزية _ على عكس التفرع الأول (الى اليمين) الذي يحظى بدرجة قبول أقل _ ومثله التفرع الى اليسار في الانكليزية _ والسبب يتعلق بحدود الذاكرة، فالتفرع الثاني يضع أقل جهد على الذاكرة لأنه يشغل مساحة أقل منها على العكس من التفرع الأول. والنوع الثاني قد يوحي أيضاً باضمحلال الذاكرة وقد ذكر تشومسكي في الجوانب انه يثير مشاكل لا يمكن حلها في الوقت الحاضر. ^(٤)

وقد تتضمن جمل عربية كلا التفرعين _ كما هو الحال مع الانكليزية أيضاً _ ويصطلح على هذا النوع من الجمل بالجمل المتعددة التفرع. ^(٥) وكلا التفرعين (اليمين واليسار) يصبح غير مقبول عند نقطة معينة لسبب عده تشومسكي في كتاب الجوانب مبهماً. ^(١)

^(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٨٢ و٣٦.

^(٢) يمكن ان نلاحظ ان قولنا هنا (وهو ما يصطلح عليه...الخ) يعطي مثلاً لجملة عربية متنوعة الى اليسار.

^(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٨٢ و٣٦، وينظر ايضاً أضواء على الدراسات اللغوية ١٦٣. واللسانيات واللغة العربية ١٦٨-١٦٧/٢.

^(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٧-٣٨ وينظر ايضاً جومسكي ١٢٣ وما بعدها وقد صاغ أحد علماء الحاسوب وهو (انكف) فرضية حول هذا الموضوع عرفت بفرضية (العمق) لم تلق قبولاً لمعالجتها الدماغ البشري وفق ذاكرة الحاسوب تماماً ينظر جومسكي ١٢٥.

^(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٥ وما بعدها. وسبب اختلاف مسميات (يسار_يمين) بين العربية والانكليزية اختلاف اتجاه الكتابة كما يبدو واضحاً ينظر ٨٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ومما يؤكد ان التفرع الأول يتصف بدرجة قبول أقل اعتقاد البلاغيين العرب أن تتابع الإضافات (التفرع الى اليمين) يتناقض مع البلاغة ولهذا السبب انتقدوا قول الشاعر:

حمامة جرعاً دومة الجندل اسجعي

فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

لأن تداخل الإضافات يسبب التعقيد لهذا لا يحسن عندهم.^(٢) وهذا ليس تعليلاً بعيداً عما ذهب اليه تشومسكي الذي عبر عن هذه المسألة بطريقة أخرى مفيداً مما قدمه الطب والتشريح من معلومات لم تكن متيسرة من قبل، لذلك جاء تعليله أكثر دقة وتحديداً. وقد يكون (التعقيد) أو (ضعف درجة القبول) سبباً في ان النوع الأول من التفرع أقل شيوعاً من النوع الثاني في العربية الذي نجد له أمثلة كثيرة متعددة ويتكرر في كلامنا دائماً على نحو لا نجده في الأول.

والتفرع الثاني (الى اليسار) يعطي مثلاً واضحاً للجمل المكتنفة أيضاً أي للجمل التي تتضمن داخلها تراكيب محتواه فيها مثل التركيب (الكتاب الذي أخبرتني عن الرجل الذي كتبه) المتداخل مع التركيب (طرحت الكتاب الذي أخبرتني عن الرجل الذي كتبه جانباً) وهذه مسألة سنعود لها لاحقاً لأهميتها.^(٣)

وتتصف الجملة العربية أيضاً بصفة (ازدواجية التركيب) التي يفترض أنها تنطبق على جميع اللغات الموصوفة أو التي سيلتفت إليها لاحقاً وتعني هذه الصفة ان للجملة مستويين من مستويات التركيب:

الأول: هو مستوى التحليل الأساس أو قواعد بناء الجملة الذي تتمثل الجملة فيه على شكل مجاميع مؤتلفة من وحدات ذات معنى تسمى كلمات.

الثاني: هو المستوى الذي تتمثل الجمل فيه على شكل مجاميع مؤتلفة من وحدات لا معنى لها بذاتها ولكنها تحدد هوية الوحدات الأساسية والثانوية في اللغة وهي الأصوات أو الوحدات الصوتية (PHONEMS).^(٤)

ولهذا يتم تجزئة اللغة العربية الى مستويين أيضاً: الأول تجزأ فيه الجمل الى كلمات وصيغ صرفية. والثاني تجزأ فيه هذه الكلمات والصيغ الى وحدات صوتية.^(٥)

ويمكن لابن اللغة العربية (المتكلم/السامع) ان يدرك من خلال قابليته اللغوية ومعرفته بقواعد لغته المختزنة بذهنه ان يتعرف على الجمل العربية الصحيحة والخاطئة والجمل المقبولة وتلك التي لها درجة قبول أقل. وهو ما أطلق عليه تشومسكي (الحدس اللغوي) لمتكلم/سامع اللغة المثالي.^(٦)

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٨ وبناء الجملة العربية ٥٧-٨٤.

(٢) ينظر: شروح التلخيص ١١٣/١-١١٤، وينظر: البلاغة والتطبيق ٦٩.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٥-٨٢.

(٤) ينظر: جومسكي ٢٧ ووصف اللغة العربية دلاليًا ٤٥-٤٦.

(٥) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٤٥-٤٩.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٢ و٤٨-٥٠. وينظر: النحو والدلالة ١٠-١٢ و٥٦-٥٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وربما كان سيبويه يريد ايضاح هذا (الحدس) حينما قسم الكلام (وهو يريد به الجملة)^(١) الى خمسة أقسام:^(٢)

الأول مستقيم حسن كقولنا: اتيتك أمس وسأتيتك غداً.

والثاني محال (ينقض فيه أول الكلام بآخره) كقولنا: آتيتك غداً وسأتيتك أمس .

والثالث مستقيم كذب كقولنا: حملت الجبل وشربت ماء البحر.

والرابع مستقيم قبيح كقولنا: قد زيدا رأيت وكي زيد يأتيتك (أي وضع اللفظ في غير موضعه).

والخامس محال كذب كقولنا: سوف أشرب ماء البحر أمس.

ويعتقد د. حسام البهنساوي أنّ مصطلح (المستقيم الكذب) يبين مدى اعتماد سيبويه على المكون الدلالي.

لكنه عاد لينتقده لأنه لم يذكر هذا الصنف مرةً أخرى في كتابه ولم يتعرض له في تحليله. مستشفاً من ذلك أن سيبويه قد أقام في تحليله اللغوي فاصلاً واضحاً بين النحو والدلالة. وفي هذا الرأي تناقض واضح للدكتور البهنساوي إذ كيف يعتمد سيبويه على المكون الدلالي ثم يقيم فاصلاً بين النحو والدلالة.^(٣) وربما كان السبب في هذا حرصه الشديد على ايجاد نوع من التشابه بين ما قدمه تشومسكي وما ذهب اليه اللغويون العرب. لذلك عاد مرة أخرى ليقول أن القواعد التوليدية عند سيبويه تعتمد على القواعد النحوية والمكونات التركيبية على عكس عبد القاهر الذي جعل القدرة التوليدية للقواعد النحوية معتمدة على القواعد الدلالية في المقام الأول.^(٤)

وهذا الرأي ايضاً لا يخلو من تعسف يبدو واضحاً في استعارة عبارة (القواعد التوليدية) لما ذكره سيبويه والجرجاني. اذ لم يكن احدهما معنياً بوصف القدرة اللغوية وابرار الجانب اللغوي الخلاق وعدم وجود نهاية لعدد الجمل الممكن انتاجها في العربية فهذه سيبويه هو وضع قواعد مستخلصة من عينة لغوية يمكن الاحتكام اليها في اثبات صحة جملة ما من عدمها وهذا هو هدف الجرجاني ايضاً الذي كان معنياً بالاضافة الى ذلك في بيان ماهية الاعجاز القرآني وانه يكمن في طريقة نظم الكلام وتأليفه وليس في شيء آخر أي ما يتعلق بـ(الابداع الفردي) وليس القواعد العمومية.^(٥)

وإذا أعدنا النظر في أقسام سيبويه الخمسة في ضوء نظرية تشومسكي (التوليدية التحويلية). نجد ان القسم الأول (المستقيم الحسن) يقابل الجملة الصحيحة ذات درجة القبول العالية عند تشومسكي. والقسم الرابع (المستقيم القبيح) يقابل عند تشومسكي الجملة التي تتصف بدرجة قبول منخفضة.

(١) وهذا مثال على ازدواجية المصطلح التي يمكن ان نلمحها في التراث العربي فقد استعمل مصطلح الجملة والكلام والمراد واحد. وسيبويه كان يستعمل مصطلح (الكلام) بهذا المعنى (الجملة) واول من استعمل مصطلح (الجملة) هو المبرد في المقتضب. ولم يفرق الزمخشري بين الاثنين وعدهما واحداً في حين ميز ابن هشام والرضي الجملة بطرفي الاسناد. ينظر: الكتاب ٢٦/١، والمقتضب ٨/١ ٣٤٨/٤، وشرح الرضي ٢٥/١، ومغني اللبيب ٤٩٠/٢، ومفهوم الجملة عند سيبويه ٣١-٢٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٦/١.

(٣) ينظر: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٥١، وينظر مفهوم الجملة عند سيبويه ٣٣ وما بعدها.

(٤) ينظر: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ٥١، واللسانيات واللغة العربية ٧١/١-٨٠.

(٥) ينظر: مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي ٢٨-٣٣.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

أما الأقسام: الثاني (المحال) والثالث (المستقيم الكذب) والخامس (المحال الكذب) فتمثل عند تشومسكي جملاً خاطئة.

وسبب خطأ الجملة التي يعدها سيبويه من (المستقيم الكذب) مثل شربت ماء البحر وحملت الجبل. هو اخلاها بقواعد الاسقاط الدلالية والسمات الانتقائية. فقواعد اللغة العربية لا تجيز ان يكون ماء البحر مفعولاً لـ(شرب) على العكس من (ماء الكاس) مثلاً و(العسل) وغير ذلك. لأن على هذا المفعول ان يكون صالحاً للشرب وهذا غير متحقق في (ماء البحر) الذي يمكن ان يكون مفعولاً للفعل (ركب) مثلاً كما في (ركبت البحر). وكذلك لا تجيز قواعد العربية ان يكون (الجبل) مفعولاً للفعل (حمل) لأن من شروط هذا الفعل ان يكون المفعول مما يمكن حمله وهذه السمة غير موجودة في (الجبل).^(١)

أما الجملة التي يعدها من (المحال) فانها تتضمن تناقضاً منطقياً يجعلها مرفوضة لأنها تمثل طريقة تفكير خاطئة والجمال التي تولدها اللغة يجب ان تتمثل صورة منطقية تجعلها صالحة لان يشتق غيرها منها. فجملة (جميع أبناء عمرو شعروهم أسود) على سبيل المثال يمكن أن نشق منها عن طريق الاقتضاء ان عمرو متزوج، وأنه أو امرأته أو كليهما أو أحد أجدادهما على الأقل شعره أسود. ولهذا يرى تشومسكي ومن قبله بلومفيلد ايضاً ان المنطق فرع مرتبط باللسانيات.^(٢)

أما الجملة (المحال الكذب) فإنها خاطئة للسببين السابقين معاً.

وبهذا يتضح الفرق بين وجهة نظر سيبويه وتشومسكي. ففي الوقت الذي يعد فيه سيبويه ثلاثة أقسام من الأقسام السابقة جملاً صحيحة. فإن نظرية تشومسكي تثبت صحة اثنين منهما فقط. وسبب هذا الاختلاف ان السمات الدلالية تمثل جزءاً من قواعد الأساس التي تعد جزءاً من المكون النحوي وان المكون الدلالي يمثل هو الآخر أحد مكونات القواعد التي تكتمل حلقتها مع المكون الثالث وهو المكون الفونولوجي. والمكون الدلالي هو الذي يحدد العلاقة بين الكلمات وإمكانية دخولها في علاقة انتلافية من عدمها. وليس لهذا الجانب دور أساس في تحليل سيبويه الذي يركز على البنية الخارجية للعينات اللغوية المنطوقة من أجل استخلاص قواعد الصحة منها.

ولنتضح الصورة اكثر يجب ان ننبه الى ان المنطق الذي بنيت عليه الدراسة النحوية القديمة هو ما يجب ان يكون عليه الكلام أما المنطق اللغوي الذي تعترف به اللسانيات فهو مرتبط بطريقة التفكير والقدرات العقلية لصاحب اللغة.^(٣)

وفيما يخص العلاقة بين الجمل يمكننا ان نجد في العربية جملاً كثيرة ندرك ترابطها بوضوح كما في :

حرث الفلاح الأرض

الأرض حرث الفلاح

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٨٥، ومفهوم البنية العميقة ٩، والجملة في الشعر العربي ٦-٨، وتركيب اللغة العربية ٢٤-٢٥ و ٣٣-٣٦. ولايجز ذلك ايضاً المنطق العقلي السليم فاللغة والتفكير مترابطان.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٤٥-٤٧ و ٨٥ وما بعدها، واللغة والعقل ٢٣، والقضايا الأساسية ٥١ و ٥٤ واللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٧.

(٣) ينظر: اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٦-٧، وينظر: ايضاً ٩-١٢، ومحاضرات ودن ٧٤ وما بعدها، والجملة في الشعر العربي ٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

هل حرث الفلاح الأرض
لم يحرث الفلاح الأرض
حُرثت الأرض
وكذلك: محمد شاعر
الشاعر محمد
محمد هو الشاعر
ما شاعر الا محمد
ما محمد إلا شاعرٌ
وغير ذلك من الجمل ايضاً

وقد أرجع النحاة هذه الجمل الى أصل واحدٍ وعدوا الجمل الأخرى فرعاً عن هذا الأصل. فهم يرون ان هناك صورتين للجمل العربية هما الجملة الفعلية والجملة الاسمية. وذكروا ان الأصل في الفعلية ان يتقدم الفعل على المسند اليه والأصل في الاسمية ان يتقدم المسند اليه على المسند أي المبتدأ على الخبر. وأي تغيير يطرأ على هذا الأصل من تقديم أو تأخير أو حذف... الخ هو لسبب يقتضيه المقام أو طبيعة الكلام. وبمعنى آخر فان الجمل التي تخرج عن هذا الأصل انما انتجت من تغييرات أجريت على الأصل. أي ان هناك مستويين للبنية الجمالية.

وذكروا ايضاً ان أقل ما يتألف منه الكلم هو مسندٌ ومسندٌ اليه وهذا يعني أن ما زيد على هذا الأصل فهو لغرض يقتضيه المقام. وجاء في كلامهم ايضاً ان الأصل الذكر والحذف فرع وان التذكير أصل والتعريف فرع والمبني للمعلوم أصل والمبني للمجهول فرع والأصل المحافظة على الرتبة والتقديم والتأخير فرع. وكل هذا يؤكد إدراكهم لصورة أصل تعد الصورة الأخرى مشتقة منها. لكن البلاغيين كانوا أكثر اهتماماً بهذا الجانب من النحويين بسبب عنايتهم بالأغراض السياقية التي تعبر عنها الجمل. ولهذا فصلوا الحديث في كتب البلاغة عن الخبر والإنشاء وما يتعلق بأحوال المسند والمسند اليه والأساليب المختلفة من استفهام وشرط ونفي ... الخ. على عكس النحويين الذين يعينهم بالمقام الأول صحة الصياغة.^(١)

وهذا الموضوع وثيق الصلة جداً بالحديث عن (التحويلات) عند تشومسكي، والحديث عن حذف جائز وحذف ممنوع وتقديم جائز وتقديم ممنوع وأصل وزيادة يؤدي بالنتيجة الى تقرير تغييرات اجبارية (تحويلات اجبارية) تفرضها القواعد وتغييرات اختيارية (تحويلات اختيارية) لها صلة بالأساليب متروكة للمتكلم وأغراضه ومقتضيات السياق. ولنكون أكثر دقة في كلامنا يجب ان نقول ان البلاغيين وجهوا انظارهم في تلك الدراسة نحو الأداء وكان هدفهم الأساس بيان العلاقة بين التغييرات التي تطرأ على الجملة والسياق الذي ترد فيه والأغراض التي تخدمها. ولم يكونوا معنيين بوصف قابلية المتكلم أو كفاءته اللغوية أي العمليات التي تجري في الذهن قبل نطق هذه الجملة أو تلك والقواعد التي تؤهلها لإجراء هذه التغييرات واشتقاق تراكيب أخرى.^(٢)

(١) ينظر: شرح المفصل ٧٢/١-٧٣، وشرح الرضي ٢٤/١-٢٦ ودلائل الاعجاز ١٠٦ وما بعدها ، و٤٦ وما بعدها، والطرار ١٠/٢ و٩-١٠ و٣٣-٤٣ و٤٩-٦٤، ومعاني النحو ١٠/١-١٦، والخلاصة النحوية ١٥-٢١.

(٢) ينظر: مفهوم البنية العميقة ١٦ و٢٩-٣٠.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وأوجه الاتفاق السابقة حول وجود قواعد إجبارية وأخرى اختيارية لا يمكن ان تتولد الجملة بدون مراعاتها. يبين ان افتراض تشومسكي في نحوه التوليدي التحويلي وجود نماذج مختلفة للتحويل في كل لغة من اللغات وان هذه النماذج تستند الى أصل راسخ في طبيعة اللغة والناطقين بها هو افتراض له ما يؤكده في اللغات ومنها اللغة العربية. وهذا ما يراه ايضاً عدد من الباحثين العرب المعاصرين.^(١)

وثمة تشابه بين العربية والانكليزية فيما يخص وجود جمل تحتل أكثر من معنى وأمثلة هذا النوع في العربية كثيرة جداً وقد تتضمن هذه الاحتمالات جملأ بسيطة قد تبدو لأول وهلة ذات دلالة واحدة قطعية وقد ذكرنا أمثلة كثيرة لهذه المسألة في مبحث البنيوية وذكرنا ايضاً إلى أي حد يمكن ان تصل هذه الاحتمالات.

وحتى لو كنا أمام جمل ذات احتمالات قليلة مثل جملة:

قتل الصياد جريمة

التي تتضمن احتمالين : الصياد قتل أحداً ما أو أن أحداً ما قتل الصياد.
أو جملة: كان عقاب علي صارماً. التي لها الاحتمالان السابقان ايضاً.
وكذلك جملة:

اشتريت قدح ماء

التي تحتل انك اشتريت ماءً مقدار قدح أو اشتريت القدح أو الإناء.
وجملة:

الذي يدخل الدار له جائزة.

التي تحتل ان الشخص الذي دخل الدار استحق الجائزة لدخوله الدار، وتحتل انه مستحق لها قبل ان يدخل الدار.^(٢)

فإن هذين الاحتمالين كافيان ليصبح الوصف البنيوي للجملة المبني على ملاحظة التركيب الظاهري وصفاً قاصراً، وبعبارة أخرى خداعاً.

فنحن نعرب جملة: قتل الصياد جريمة. تماماً مثلما نعرب جملة: زراعة الازهار مفيدة. (مبتدأ مرفوع مضاف وما بعده مضاف اليه) الا ان هذا الاعراب لا يقول لنا لم يكون للجملة الثانية معنى واحد فقط (اضافة المصدر لمفعوله) ويكون للجملة الاولى معنيان: (اضافة المصدر لفاعله أو لمفعوله).

ولا يذكر لنا الاعراب ايضاً فرقاً بين الجملتين:

صراخ المجرم لم يؤثر في الناس.

عقاب المجرم لم يؤثر في الناس.

وهاتان الجملتان متطابقتان من جهة الاعراب والشكل أو البنية السطحية تماماً، لكنهما مع ذلك مختلفتان في معنيهما: فالمجرم في الاولى (فاعل) وفي الثانية (مفعول).^(١)

^(١) ينظر: مثلاً الألسنية التوليديّة والتحويلية وقواعد اللغة العربية ١٤-١٥، واللسانيات واللغة العربية ٧١/١-٧٤، والأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ٣٢ وما بعدها، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٩٤، وما بعدها وفي علم اللغة (طليمات) ١١٥.

^(٢) ينظر: معاني النحو ٧١/١، والجملة العربية والمعنى ١٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ولا تقتصر الاحتمالات المعنوية على جمل الحوار العادي اذ يمكن ان نجد جملاً قرآنية كثيرة تحتل أكثر من معنى كجملة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ _ الرعد ٢/١٣ . فهي تحتل ان الله سبحانه خلق السموت بلا عمد. وتحتل ان الله خلقها بأعمدة غير مرئية. وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ _ البقرة ٧/٢ . اذ يحتل ان الختم على القلوب والسمع والغشاوة على الابصار أو ان الختم على القلوب والسمع والابصار منتظم بحكم واحد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ _ البقرة ٨٨/٢ الذي يمثل جملة بسيطة جداً. لكنها مع ذلك تحتل معنيين: الاول ان قليلاً من هؤلاء الناس يؤمن ويستجيب للحق. والثاني ان ما يؤمنون به مما نزل قليل و انهم يكفرون بأكثره لانه ليس على هواهم ومرادهم.^(٢)

وبإمكاننا ان نرجع هذه الاحتمالات لأسباب عدة بعضها يتعلق بالكلمات المفردة التي تتضمنها الجملة وبعضها يتعلق بالجملة بأكملها مثل وجود كلمة أو صيغة تحتل أكثر من معنى أو الحذف أو احتمال أكثر من إعراب... الخ من الأسباب الأخرى.^(٣) لكن هذا لن يغير من حقيقة ان الإعراب لن يقول لنا شيئاً كثيراً فيما يخص هذه الجمل. فقد تتشابه الجمل بإعرابها ويكون لها معان مختلفة. وقد يكون للجملة الواحدة إعراب واحد وأكثر من معنى. فجملة (جاء محمد واصدقؤه المدرسون الشباب) تعرب إعراباً واحداً لكنها تحتل ثمانية معانٍ _ كما بينا في موضعه _ وليس لهذه المعاني المحتملة أي علاقة بالإعراب.

وقد نقول في جملة (جاء أطباء ومهندسون شباب) ان الاحتمالات التي تتضمنها هذه الجملة مرتبطة بإعراب (شباب) نعتاً للمهندسين أو الأطباء أو لهما معاً. وهذا لا يغير من حقيقة ان هذه المعاني الثلاثة يحتملها تركيب واحد هو التركيب السابق. لكن هذا (الإعراب) لن يكون له أي دور أو علاقة في الاحتمالات التي تتضمنها الجملة الأولى. التي قد نفهم منها ان محمداً مدرس أيضاً وان جميع أصدقائه مدرسون. أو انه مدرس وبعض أصدقائه مدرسون هم الذين جاءوا أو انه ليس مدرساً وجميع أصدقائه/ أو بعضهم مدرسون.

وإذا أضفنا الاحتمالين اللذين تتضمنهما كلمة الشباب سيكون مجموع احتمالات هذه الجملة ثمانية _ كما شرحنا سابقاً _ وكل هذه الاحتمالات لا تتوقف على الإعراب الذي يبقى إعراباً واحداً حتى في الجمل التي ذكرناها سابقاً وأشرنا الى انها ايضاً قد تحتل اثنين وثلاثين معنى. بل حتى في الجمل التي تحتل أربعة وستين معنى.^(٤)

(١) ينظر: المدخل الى علم اللغة (تواب) ١٩٠، وأضواء على الدراسات اللغوية ١١٧. وتركيب اللغة العربية ٣٤-٣٦ واللسانيات واللغة العربية ١٠٢-١٠٦. ويبدو لي ان الجملة الثانية يمكن ان تحتل معنيين ايضاً (الإضافة الى الفاعل أو المفعول)، وسبب اختلاف المعنى من وجهة نظر النحو التوليدي التحولي هو اختلاف البنية العميقة لكل منهما:

يصرخ المجرم + يؤثر الصراخ في الناس.

يعاقب القانون المجرم + يؤثر العقاب في الناس.

(٢) ينظر: الجملة العربية والمعنى ١٨-١٩.

(٣) ينظر: الجملة العربية والمعنى ١٢-٢٠.

(٤) ينظر: تحليلنا للجملة العربية في مبحث البنية وينطبق هذا على كل الجمل الأخرى المشابهة.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وهذا يعني ان الاعراب قد يكون خير معين لنا إذا أردنا ان نتعلم كيف ننشئ وننطق جملاً صحيحة قواعدياً. لكنه لن يعيننا كثيراً في التعرف على الطريقة التي ننقل بها المعاني ونفهمها والكيفية التي تجعل هذه الجمل تحتمل هذا العدد من المعاني. لأن هذه المسألة ببساطة ذات صلة وثيقة بالقدرة اللغوية الكامنة في الدماغ البشري وتتحكم بالفعاليات اللغوية جميعها الى جانب القدرات الأخرى الاجتماعية والرياضية والنفسية. وهذا يعني ان اللغة لا تكمن في الجمل المنطوقة والعينات المعتمدة بل هي قدرة عقلية محلها الدماغ الانساني وملكة ذهنية غير ظاهرة. وهذا بدوره يقدم نقطة لصالح تشومسكي فيما يخص التفريق بين اللغة والكلام أي بين ما هو ذهني وما هو مادي. ويعطي مبرراً قوياً للنظر العقلي من خلال تأمل جمل اللغة العربية.

وعلىنا أن نقر أيضاً أن قولنا (ان الإعراب قد يكون خير معين إذا أردنا تعلم اللغة العربية) شيء من التجوز أيضاً. لأن الاعتماد عليه وحده سيجعلنا نعد جملة مثل (شربت ماء البحر) و(حملت الجبل) جملة صحيحة قواعدياً على نحو مما فعله سيويه مع ان الحقيقة خلاف ذلك.^(١)

ويجب أن لا يفهم من كلامنا أننا نقلل من شأن الإعراب وأهميته في الدرس النحوي ولا سيما مع لغة إعرابية مثل اللغة العربية. إذ يبقى للإعراب دور كبير في فهم المعنى وإزالة كثير من جوانب الغموض والالتباس وهذا مما يجب ان لا يختلف عليه أحد. وكل ما نقصده ان النظر في الاعراب وحده وعد النحو (إعراباً) فقط سيجعلنا نركز على ظاهر التراكيب وعلى عينات الكلام المنطوق ونغفل الجوانب العقلية والقدرات اللغوية الكامنة خلف هذه العينات. وسيجعلنا هذا نرى بعضاً مما تتضمنه اللغة ولن يجعلنا قادرين على بناء تصور شامل لها. وربما كان ما سبق سبباً في ان علماء العربية القدماء لم يتنبهوا لأكثر من احتماليين لمعاني بعض الجمل وان كان هذا أيضاً جاء عرضاً في بحثهم ولم يكن مدار اهتمامهم المباشر. وفيما نظن ان نافذة تشومسكي (العقلية) التي فتحتها على اللغة يمكن ان تبرز لنا كثيراً من الجوانب المنطقية و الرياضية للغة العربية التي لم تكن قد التفتنا اليها سابقاً ولم يلتفت اليها علماؤنا السابقون على جلالة قدرهم ومكانتهم.

وعلىنا ايضاً من خلال النظر في الحقائق السابقة ان نقر باهمية المكون الدلالي بوصفه مكوناً رئيسياً من مكونات القواعد لا يمكن الاستغناء عنه والا كان ما اليه من الحقائق التي تخص الجملة العربية ناقصاً وربما غامضاً ايضاً.

ومن الواضح اننا نستعمل في لغتنا جملاً كثيرة لها احتمالات كثيرة ايضاً. لكننا في ضوء محددات سياقية ملائمة لا نفهم منها الا معنى واحداً ولا نلتفت الى المعاني الأخرى بل نعدّها قسرية و مستبعدة لكن هذا لا يلغي حقيقة ان البنية الجمالية تحتملها. واذا حولنا انظارنا بعيداً عنها بقصد او من دون قصد فان هذا لا يعني ان هذه الاحتمالات غير موجودة. و هكذا يصبح التفريق بين مظهري اللغة: الكفاءة و الاداء ضرورة ملحة اذا اردنا ان نميز في دراستنا للغة العربية بين ما هو خلاق و متجدد وما هو ثابت ومحدد.

ولا شك في ان كل واحدٍ من الاحتمالات السابقة له سياق معين يرد فيه لكننا في ضوء النحو التوليدي التحويلي لن نكون معنيين بتتبع هذه السياقات التي يقع الاهتمام بها على كاهل نظريات أخرى. وما يعيننا هنا ابراز الجانب الخلاق من اللغة وما تستوعبه الجمل من معان كثيرة متعددة

(١) ينظر: تركيب اللغة العربية ٣٣-٣٦.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وعلاقة كل ذلك بالدماغ البشري أو الملكة اللغوية الموروثة لأن هذا ما تعنى به النظرية اللغوية التي تدرس الكفاءة اللغوية وليس الأداء.^(١)

وفيما يخص الكيفية التي يتم من خلالها توليد الجملة والعمليات الذهنية التي تسبقها لا يختلف كثيراً وصف عملية توليد جملة عربية عن جملة انكليزية _ بغض النظر عن قبولنا بهذه الفرضية أو عدمه _ وقد حاول بعض الباحثين العرب مثل د. نايف خرما و د. محمد يونس وغيرهم أن يقدم وصفاً لعملية انتاج جمل عربية بسيطة في ضوء تصور تشومسكي المبني على افتراض بنيتين الاولى عميقة والثانية سطحية. فجملة (الأولاد يلعبون الكرة) على سبيل المثال تتكون من وجهة نظر النحو التوليدي كما يأتي:

ينتج الأساس أدلة نظامية تحتية (أداة تعريف اسم مذكر عاقل حي) و(صيغة فعل مضارع مذكر فاعله عاقل حي)+(اسم غير عاقل مفرد). بعدها يقوم المكون الدلالي بإضفاء عناصره على الدليل النظامي السابق وهو يتألف من المعنى المعجمي (ول د) و(ل ع ب) و(ك رة) بعد هذا يكون الناتج بنية عميقة تجري عليها بعض التحويلات بعضها إجباري وبعضها اختياري فتكون النتيجة بنية سطحية. وهنا يأتي دور المكون الصوتي الفونولوجي الذي يفسر العناصر على الشكل الآتي:

ولد+ عاقل+ جمع+ حي ← الأولاد
: صيغة المضارع+ فاعل جمع عاقل حي ← يلعبون ... الخ

بعدها تصبح الجملة جاهزة للاستعمال.^(٢)

ومثل هذه العملية ستتكرر مع الجمل الأخرى مثل (فاز المثابرون) ولانتاج هذه الجملة ستطبق قواعد قد تختلف عن تلك التي استعملت في انتاج الجملة السابقة مثل تحويل حذف الواو من صيغة (فعل) لـ(فَ وَ زَ) واستبدالها بالآلف وهو تحويل إجباري في العربية للتخلص من الثقل ومن هذه التحويلات عدم الحاق ضمير الجماعة (و) بالفعل فاز في مثل هذا التركيب الذي يتقدم فيه الفعل وليس الاسم واستخدام اللاحقة (ون) للدلالة على الجمع العاقل والإبقاء على (النون) لعدم احتواء الدليل النظامي التحتي على مضاف الى صيغة (مثار). أي ان الجملة السابقة نتجت من تطبيق مجموعة من القواعد النحوية (الأساس/التحويلات) والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية على صيغة (فعل) والوحدة المعجمية (ف و ز) وصيغة فاعل والوحدة المعجمية (ث ب ر) واللاحقة (ون).^(٣)

^(١) ما يعيننا في النحو التوليدي التحويلي القواعد التي تجيز على سبيل المثال تقديم عنصر او حذفه... الخ وتمنع مثل ذلك في حالات أخرى لانه يؤدي الى جمل خاطئة. لكن الدلالات المختلفة والمعاني المترتبة على ذلك وربطها بمقاصد المتكلم واغراض السياق يقع في صلب نظريات الأداء اي ضمن حقل (التداوليات) التي تأخذ (السياق) بحسبانها في دراسة اللغة وقد يجمع بعض الدارسين العرب بين الاثنين كما فعل د. فاضل السامرائي ود. نعمة العزاوي. ينظر: معاني النحو ٥/١ وما بعدها، والجملة العربية والمعنى ٢٠، وما بعدها، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٧ وما بعدها.

^(٢) ينظر: أضواء على الدراسات ٣٠٦، وينظر: الانماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ٣٥، والجملة في الشعر العربي ٧.

^(٣) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٨٤-٨٥، وينظر: الانماط التحويلية ٣٥، وما بعدها. ومن الصعب أن نعثر على وصف متكامل لا يحتاج الى شرح أو مطابقة مع الجوانب في المصادر العربية التي تعرض هذا الموضوع بشكل تقريبي مختصر وهذا ما يلجؤنا الى تعديل الشرح أو ان نزيد عليه ما يزيده ايضاحاً.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ويمكن ان نرى في الجملة السابقة (الأولاد يلعبون الكرة) مثلاً على تحويل إجباري تجريه العربية. فان الدليل النظمي لهذه الجملة يفترض ان يتضمن الاسم وفعل فاعله ذلك الاسم نفسه بعد ان يدخل المكون الدلالي عناصره وهنا سيتم اجراء تحويل إجباري يستبدل فيه الفاعل باللاحقة (ون) وستبقى القواعد التحويلية على (النون) لأن الدليل النظمي لم يتضمن أداة نفي جازمة أو ناصبة تسبق الفعل. ويمكن إدخال هذه الأداة كتحويل اختياري يقوم به المتكلم بما يتفق مع أغراضه. لكن هذا سيتطلب عندئذ إجراء تعديل على البنية العميقة تحذف فيه النون.

وقد يبدو هناك بعض التطابق بين البنيتين العميقة والسطحية في وصف عملية توليد الجملتين السابقتين لكن هذا يجب ان لا يخدعنا فمثل هذا التطابق لا وجود له كما نبه تشومسكي إذ يفترض بالبنية العميقة ان تمثل بنية نظرية مجردة تؤدي الى السطحية وان إحساس التطابق سببه ان أقل قدر ممكن من التحويلات تم إجراؤه على البنية العميقة. ويجب أن لا ننسى أيضاً أن كلاً من البنيتين العميقة والسطحية (ذهني) أي انه يسبق عملية تكوين الجملة. وبعد ان يتم نطق هذه البنية بعد ان يضيفي المكون الصوتي تفسيره عليها تصبح عندئذ (سلسلة مادية) متحققة في الخارج.

وما سبق هو وصف للجملة العربية في ضوء نظرية تشومسكي في كتاب الجوانب أردنا من خلاله ان نبين ان العربية شأنها شأن أي لغة أخرى لا تختلف عن الانكليزية مبدئياً فيما يخص تطبيق هذا المنهج عليها في دراسة جملها. وقد نختلف معه أو نتفق أما فيما يخص (تشومسكي) فقد اختار ان يجري تعديلات متعددة على نموذج هذا كما أشرنا سابقاً. لكن نموذج في الجوانب ظل النموذج المثالي المتكامل نظرياً ولا سيما فيما يخص تضافر عمل القواعد المختلفة: النحوية والدلالية والصوتية. وهذا ما أشار اليه أكثر من باحث أجنبي وهذه المسألة قد ذكرناها أيضاً فيما سبق.

ب - نظرة في الجملة العربية في ضوء النحو التوليدي التحويلي :

إذا أمعنا النظر في النحويين التوليدي التحويلي والنحو العربي فاننا سنلمح بوضوح قواسم عامة مشتركة بينهما فضلاً عما يمكن أن يضيفه هذا النحو لدراسة الجملة العربية وهذا ما تشير اليه التفاصيل التي تحدثنا عنها في الصفحات القليلة الماضية. وأهم ما يشترك فيه المنهجان العربي والتوليدي التحويلي يتمثل "في سمتين أساسيتين للبناء النحوي. فكلاهما يفترض مستويين للبنية النحوية للجملة وكلاهما يؤسس هذا الافتراض على حجج مستمدة من الحدود البنيوية على التركيب الجملي وعلى الافتراضات النظرية التي وضعت لتفسير الظاهرة النحوية".^(١)

فافترض ركنين لابد منهما للجملة العربية والحديث عن إمكان تقديم بعض العناصر وتأخير الأخرى من دون أن يغير ذلك الصلات النحوية بينها. واعتمادهم أساساً شكلياً في تحديد نوع الجملة (أسمية أو فعلية) هو صدر الجملة. واعتمادهم على هذا الأساس أيضاً في تقدير العناصر المحذوفة من خلال النظر في الصورة المثالية للجملة جعلتهم يعالجون مسائل كثيرة تخص الجملة على نحو مشابه للنحو التوليدي التحويلي.

فكل التقديرات والمحذوفات والتقديرية نظر اليها النحويون على أساس شكلي وليس أدل على ذلك من قول ابن هشام: "ان الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة وذلك بأن

^(١) مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي ٣٢ والنحو والدلالة ٥٦-٥٧ ولا يعني هذا ان النحويين متشابهون في افتراض بنية عميقة وسطحية فهذان مفهومان مختلفان يختص بهما تشومسكي وهما وليدا حضارة مختلفة وزمان ومكان مختلفين ينظر: ١٦ وما بعدها و ٣٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس أو معطوفاً بدون معطوف عليه أو معمولاً بدون عامل...^(١) وما خرج عن هذا الاطار عدّه من الفضول في النحو كما في تقدير بعض المفسرين (والبرد) في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾-النحل ٨٠/٦١. لأن هذا التقدير لا توجهه الانتظامات النحوية ومن هنا تركه ابن هشام للمفسر. وهذه هي طريقة سيبويه وابن جني وغيرهم من النحويين قبل ابن هشام في التعامل مع الجملة.^(٢)

ويمكن أن نوضح الأساس الشكلي المشترك بين النحويين من خلال النظر في الجمل الآتية:

١- من قابل محمد؟

٢- * قابل محمد.

٣- قابل محمد زيدا.

إذ يفسر كلا النحويين خلل الجملة (٢) بعدم وجود مفعول يلي الفاعل قياساً على الجملة (٣) الصحيحة. أما كيف تفسر صحة الجملة (١) مع كونها بلا مفعول يلي الفاعل فلا خلاف بين النحويين بوجود سبيلين لتفسير هذا التناقض الظاهري، الأول: أن نفترض اننا أمام فعلين لهما لفظ واحد أحدهما لازم والآخر متعد وهو ما يتناقض مع حكم متكلم العربية الأصيل وسليقته. الثاني: أن عنصر الاستفهام فيها بمثابة المفعول وان مكانه الأصلي هو فيما يلي الفاعل وأنه قدم بعدن.^(٣) وهذا دليل آخر تقدمه العربية فضلاً عن غيرها من اللغات على وجود مستويين مختلفين لبنية الجملة.^(٤)

ويمكن أن نلاحظ أيضاً ان العلاقات الدلالية في النحو العربي لم تتخذ أساساً في تحديد العلاقات النحوية بين عناصر الجملة ففي الجملتين :

- انكسرت القارورة.

- وكسر الطفل القارورة.

لم يستلزم اختلاف العلاقة الدلالية في الجملة الأولى بين الفعل (انكسر) و (القارورة) عن العلاقة الدلالية بين الفعل (كسر) و(الطفل) في الجملة الثانية اختلاف الإعراب. لأن مثل هذا لا تقتضيه الصناعة النحوية.^(٥) وهذا فصل واضح بين النحو والدلالة على غرار ما التزمه تشومسكي في الجوانب وظل ملتزماً به فيما بعد أيضاً.^(٦) ونظائر هذا المثال كثيرة في النحو العربي ومنها ان استعمال الجملة نفسها للاستفهام

(١) مغني اللبيب ٨٥٣/٢.

(٢) ينظر مثلاً: الكتاب ٢١٨/١ ، والخصائص ٥٥١ ، ومغني اللبيب ٢٥٣/٢ ، ويستثنى من هذا دراسات علم المعاني التي ركزت على المعاني الفردية السياقية وليس على القواعد العامة كما فعل عبد القاهر في دلائل الإعجاز. ينظر مفهوم البنية العميقة ٢١-٢٤.

(٣) ينظر: مفهوم البنية العميقة ١٢ ، وينظر أيضاً تركيب اللغة العربية ٣٣-٦٦ ، الانماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ٣٤.

(٤) ينظر: مفهوم البنية العميقة ١٢ والنحو والدلالة ٨.

(٥) يسمى (القارورة) في الجملة الأولى في النحو التوليدي التحويلي فاعلاً قواعدياً وهي مفعول منطقي للفعل (كسر). أما (الطفل) في الجملة الثانية فهو فاعل منطقي و(قارورة) مفعول منطقي للفعل. ينظر: الجوانب ٤٦-٨٣.

(٦) ينظر: مفهوم البنية العميقة ٩ ، وعلم الدلالة (بالمر) ١٤٢. ويرى د.مرتضى جواد باقر ان بعض التؤيلات والتقديرية التي بنيت على أسس دلالية عند العرب هي نتيجة لتطورات لاحقة في الدرس النحوي العربي. كما هو

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

مرة والإخبار مرة والتعجب أخرى واختلاف التنغيم في كل واحد منها لم يكن سبباً لإعراب الجملة بشكل مختلف في كل واحدة منها.^(١)

ويبدو أن د. البهناوي كان يعتقد خطأ أن تشومسكي كان يعتقد بوجود صلة مباشرة بين النحو والدلالة لهذا انتقد سبويه لأنه لم يجعل الدلالة من مكونات قواعده. وقد فاتته أن هذا المكون تفسيري عند تشومسكي أي أنه يضيف تفسيراً على الأدلة النظامية التي ينتجها المكون (الأساس) أي النحو. شأنه في ذلك شأن المكون الفونولوجي الذي يضيف تفسيره على البنية السطحية.^(٢)

ولا يمكننا أن نقول في التقديرات التي بنيت على أسس شكلية نحوية محضة في النحويين العربي والتوليدي أنها بنيت على أحكام معيارية تستند إلى نماذج يحتكم إليها في صحة هذه الجملة أو تلك. فمثل هذه السمة يفترض وجودها في كل لغة وكل وصف لنظام لغوي يجب أن يفرق بين ما ينتمي لهذا النظام وما لا ينتمي إليه. وإذا كانت بعض تقريرات وتأويلات النحويين متعسفة فإن هذا لا يعني أنها تتسحب على كل ما يتعلق بالنحو بالضرورة. وإن يتخذ من هذا ذريعة لرفض جميع ما قدره وتأولوه.^(٣) وكثيراً مما قدر تحت إطار (نظرية العامل) ينسجم مع اطراد النظام لكن هذا لا يعني أيضاً قبول مبدأ (العامل والمعمول) كما لا يعني أن جميع التقديرات مسوغة ومقبولة. فالأحكام التي نطلقها على الجملة والقواعد التي يتم الرجوع إليها يجب أن تتبني على ملاحظة العلاقة بين الجمل المختلفة وهذه العلاقة قد يكون لها أثر حاسم في كل ما يتعلق بالنظام اللغوي والجملة.

ولسنا هنا بصدد إثبات شكلية النحو العربي إذ تكاد أن تكون هذه المسألة غنية عن الإثبات على الرغم من وجود بعض الاستثناءات ولاسيما في المراحل المتأخرة. وما نرمي إليه أن النحويين بينهما قواسم مشتركة على الرغم من الاختلافات الواضحة التي انتجتها فوارق الحضارة والزمان والمكان. وإن هذا المنهج المبني على نظرة عقلية عمومية قد يسهم في حل كثير من مشكلات الجملة العربية وتسلط الضوء على قضايا جديدة لم تكن تلقى اهتماماً في السابق وإن النظر في أسس هذا النحو يبين لنا أن كثيراً من أسسه تتفق مع اللغة العربية وإن هذه اللغة شأنها شأن لغات أخرى تثبت صحة كثير من آراء تشومسكي وافتراضاته حول عمومية بعض المسائل اللغوية أو وجود قواسم مشتركة بين اللغات. وهو ما لم يكن ليذهب إليه لولا ربط دراسته اللغوية بالقدرة العقلية للإنسان على خلاف المنهج العربي الذي بنى دراسته على ضبط قوانين الأداء.

وسنحاول هنا أن نمعن النظر في بعض مسائل الجملة في إطار هذا النحو والأسس التي انطلق منها وإن نشير إلى ما يمكن أن نعترف بصحته من آراء السابقين في ضوء أصول هذا المنهج وإن نبين ما يمكن أن يضيفه لدراسة الجملة العربية. ومن هذه المسائل:

الحال مع بعض تقديرات المفسرين. ينظر مفهوم البنية العميقة ٢٢، وينظر أيضاً دلائل الإعجاز ١٤٦، وما بعدها ومغني اللبيب ٧٨٩/٢، وما بعدها ٧٩٩/٢، والنحو والدلالة ١٢.

(١) ينظر: مفهوم البنية العميقة ٢٤، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٢٢، وما بعدها والنحو والدلالة ٥٥-٥٧.

(٢) ينظر: أهمية الربط ٥١.

(٣) ينظر: مفهوم البنية العميقة ٨، وينظر أيضاً جومسكي ٤٨-٤٩.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

أولاً: أقسام الجملة العربية:

ذكر ابن هشام أربعة أقسام للجملة العربية في المغني وهي:

- ١ - الاسمية : التي صدرها اسم مثل زيد قائم.
- ٢ - الفعلية : التي صدرها فعل مثل قام زيد.
- ٣ - الظرفية : المصدرة بظرف أو مجرور مثل: أعندك زيد؟ أفي الدار زيد؟.
- ٤ - الشرطية : وهذه زادها الزمخشري وغيره.^(١)

أما القسمان الأولان فمتفق عليهما بين النحاة لكن بعض المحدثين مثل د. مهدي المخزومي ود. محمد حماسة يرون أن بعض أمثلة ابن هشام لهذين النوعين غير موفقة. كتمثيله للاسمية بـ (هيهات العقيق) و (قائم الزيدان) وعده النداء في نحو (يا عبد الله) فعلية.^(٢)

أما الظرفية المصدرة بظرف مثل (أعندك زيد) فيمكن أن يعرب (زيد) فيها مبتدأ مؤخرًا والظرف خبراً مقدماً. وبهذا تكون جملة اسمية وسيكون عدها قسماً مستقلاً مجرد تكثير للأقسام لا داعي له. وهذا ما يذهب إليه كثير من المحدثين.^(٣)

أما ما ذهب إليه الزمخشري في عده الجملة الشرطية قسماً مستقلاً فقد رفضه ابن هشام ورد عليه في المغني وكذلك فعل ابن يعيش في مفصله والسيوطي في (همع الهوامع) وهي عندهم من قبيل الفعلية. وبهذا تكون الجملة الاسمية والجملة الفعلية هما القسمان المتفق عليهما عند القدماء. أما المحدثون فمنهم من يعترف بهذين القسمين فقط ويرى أن الواقع اللغوي يدل عليهما ومنهم د. مهدي المخزومي ود. عبد العال سالم مكرم. ومنهم من يزيد عليها أقساماً أخرى مثل د. محمد حماسة.^(٤) ويرى المحدثون في تقديم ابن هشام لـ (الجملة الاسمية) على بقية الأقسام أن هذه الجملة تمثل الأساس للجملة العربية عنده ولهذا السبب قدم ذكرها دون غيرها. ويرى د. المخزومي أن هذا مبني على رأي البصريين الذي يرى أن الاسم أصل المشتقات جميعاً وأن الاسم أصل والفعل فرع.^(٥)

ويعتقد د. المخزومي أن الاعتقاد بأن الجملة الاسمية هي الأصل وأن الاسم أصل المشتقات غير صحيح لأن.^(١) "الفعل في اللغات السامية ومنها العربية هو كل شيء. فهو أساس التعبير،

^(١) ينظر: مغني اللبيب ٤٩٢/٢-٤٩٣.

^(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٤. والعلامة الاعرابية ٣٧، والجملة العربية دراسة في مفهومها ٥١-٥٩ والجملة العربية مكوناتها وأنواعها ٤٣ وما بعدها. والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١١ وما بعدها. والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٥٩-١٦٠.

^(٣) يرى د. مهدي المخزومي ويؤيده د. نعمة العزاوي أن الظرف إذا كان معتمداً على نفي أو استفهام فالجملة من قبيل الفعلية وإذا لم يكن معتمداً فهي من قبيل الاسمية ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ٥٦، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١٣. ويرى د. محمد حماسة أن هذه الجملة من قبيل الاسمية وهذا ما يراه عبد الستار الجوازي وفخر الدين قباوة ومنصور الشيخ وغيرهم. ينظر: العلامة الاعرابية ٣٧، والجملة العربية دراسة في مفهومها ٥٢-٥٣. وينظر أيضاً الانصاف مسألة (٦) ٤٤/١-٤٧، ابن الأنباري في كتابه الانصاف ٢١١-٢١٣. وفي هذا الكتاب ينفي المؤلف صحة نسبة هذا الرأي للكوفيين.

^(٤) ينظر: النحو العربي نقد وتوجيه ٤٣-٥٥، والجملة الاسمية ١٧ وما بعدها، والجملة الفعلية ٢٦-٢٩، والعلامة الاعرابية ٧٨-١١٠، والوحدة الاسنادية الوظيفية ٣٧-٤٢.

^(٥) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٣. وينظر أيضاً الانصاف في مسائل الخلاف مسألة (٢٨) ١٩٠/١-١٩٦.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وإعتبار المصدر أصلاً للمشتقات أو للاشتقاق مخالف لأصله".^(٢) ويرى د. المخزومي في الرأي البصري مظهراً من مظاهر التأثير الآري في العربية لأن المصدر في الآرية أو في اللغات الهندية الأوروبية هو أصل المشتقات جميعاً. والتسليم بهذا الرأي الذي يجعل (المصدر) أصل المشتقات سيجعل أصل الاشتقاق في العربية مخالفاً لأصله في الساميات.^(٣) ولا يوضح د. المخزومي كيف وقع هذا التأثير (الآري) وكيف وجد سبيله إلى الرأي البصري. وربما كان قصده أن النحو البصري كان متأثراً بالنحو الأرسطي على نحو لا نجده في نظيره الكوفي وبنى على هذا الأساس استنتاجه السابق.

ويؤيد د. غازي مختار طلبات رأي د. المخزومي في أصالة الجملة الفعلية لكنه يبيّن رأيه على دليل مختلف هو أن الجملة الفعلية أكثر شيوعاً وأجل شأناً وأحفل بالمعاني. وأننا على سبيل المثال لو أحصينا جمل الأبيات الثلاثة الأولى من معلقة إمرئ القيس (قفا نيك...) لوجدنا فيها خمساً فعلية وجملة إسمية واحدة، وهذا عنده دليل على أصالتها.^(٤)

ومن الواضح أن الكثرة وحدها لا يمكن أن تكون دليلاً قاطعاً أو قوياً على أصلية الجملة الفعلية فإن ذلك قد يكون لأغراض معنوية أو أسلوبية تبعاً لقصد المتكلم ومراده من ذكرها. ويؤيد الفاسي الفهري هذا الرأي أيضاً مستنداً إلى دليل المطابقة والتزام الرتبة في حال اللبس كما في ضرب موسى عيسى.^(٥) ويشير (برجشتراسر) وهو العالم باللغات السامية إلى حقائق تتناقض تماماً مع ما ذهب إليه د. المخزومي والفهري ود. غازي طلبات فهو يذكر أن "الجملة الاسمية كثيرة الاستعمال في اللغات السامية، بخلاف اللغات الهندية والإيرانية والغربية، فالجملة الاسمية تكاد لا توجد فيها أصلاً، وقام مقامها نوع من الجمل الفعلية، فعله (كان). ويوجد مثله في اللغات السامية أيضاً، فكلها تحوي فعلاً كان يستخدم معناه كالرابط بين المبتدأ وخبره، غير أن اللغات السامية كلها، حافظت على الجملة الاسمية في حيز أوسع".^(٦)

وما يذكره (برجشتراسر) لا يدع مجالاً لأي حديث عن أثر آري أو خارجي لأن الجملة الاسمية موجودة في جميع اللغات السامية دون استثناء.

ويذكر (برجشتراسر) أيضاً أن الجملة الاسمية المحضة أي التي خبرها اسم مبهمة في اللغات السامية من جهة الأوقات وما شاكلها وهي مبهمة أيضاً من جهة طبيعة العلاقة بين المبتدأ وخبره. فقد تكون هذه العلاقة وصفية أحياناً نحو (بتي كبير) كـ(بيت كبير). وبديلية في أحيان أخرى

(١) لا يبدو لي أن هناك علاقة مباشرة بين القول بأن الاسم أصل المشتقات وأن الجملة الاسمية هي الأصل. وهذا على الأرجح مجرد استنتاج من د. المخزومي رحمه الله. والظاهر أن النحويين مثل ابن هشام يعدونها أصلاً لدلالاتها على الثبوت على العكس من الفعلية التي تصف حدثاً متجدداً والساكن (الثابت) قبل المتحرك منطقياً. ولا يخفى أيضاً أن هذا المنطق لا يجب أن ينطبق على اللغة بالضرورة وأن القول به يستوجب أن تكون له أدلة ملموسة من اللغة نفسها. ينظر: اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٩-١٢ وشظايا لسانية ٣١-٣٨.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيهه ٤٤.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيهه ٤٥.

(٤) ينظر: في علم اللغة (طلبات) ١٨٩. الشيوع فب هذا المثال معيار غير مقبول لأن النتيجة ستتغير بتغيير العينة.

(٥) ينظر: اللسانيات واللغة العربية ١٠٥/١-١٠٩ ولا يمكن أن يكون هذا دليلاً لصالح أصلية الفعل كما سيأتي.

(٦) التطور النحوي للغة العربية ١٣٤-١٣٥.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

والبدل نفسه مبهم كما يشير برجشتراسر نحو (لباسهم حرير) أي: لباس من حرير. وهناك أيضاً علاقات أخرى غير هاتين العلاقتين.^(١) ويرى برجشتراسر أن الإبهام يدل على القدم. لهذا "كانت الجملة الاسمية المحضة. من أقدم تركيبات اللغات. والعربية مع احتوائها على وسائط التخصيص والتعيين، قد حافظت على هذا التركيب الأولي المبهم أيضاً".^(٢)

وما يذكره (برجشتراسر) لا يمكن أن يتخذ دليلاً على أن الجملة الاسمية هي الأصل، وغاية ما يمكن أن نقرره من خلال النظر فيما سبق هو أن الجملتين الاسمية والفعلية كلاهما موجود في اللغات السامية، وليس فيما تقدم ما يمكن أن يعد دليلاً كافياً على أن أحدهما أصل للآخرى أو أن إحداهما مشتقة من الأخرى.

وإذا تجاوزنا اللغات السامية إلى لغات أخرى فإن مسألة أيهما هو الأصل قد تزداد تعقيداً. فالدراسات اللسانية تؤكد أنه ليس في عالم الحقيقة تقسيم موافق لـ(الاسم والفعل) الذي نجده في العربية والانكليزية ولغات أخرى. وفي الوقت الذي تستعمل العربية_ وكذلك الانكليزية_ الكلمات الآتية: برق، شرارة، موجة، دوامة، نبض، شعلة، عاصفة، دورة، تشنج، ضوضاء، عاطفة... الخ من الأحداث ذات الديمومة القصيرة بصيغة أسماء، فإن تلك الأحداث تتمثل في أفعال في لغة (الهوبي) وهي إحدى لغات الهنود الحمر في أمريكا، ولا تميز لغة هندية أخرى بين الاسم والفعل أبداً وبدلاً من صيغة (يوجد بيت) تكون الترجمة (بيت يحدث).^(٣)

وكل هذه الحقائق لا تترك مجالاً للحديث عن أيهما هو الأصل الاسم أم الفعل فكيف بالحديث عن أيهما الأصل الاسمية أم الفعلية فليس في الواقع الخارجي ما يمكن أن يكون موافقاً لهما وكل لغة لها طريقتها الخاصة في الحديث عن العالم والأشياء فبعض اللغات تستعمل جملاً اسمية وتستعمل غيرها جملاً فعلية وبعضها مثل العربية واللغات السامية يستعمل الاثنين في حين لا تميز لغات أخرى بينهما. وبما أن كلا القسمين : الاسمية والفعلية له وجود واضح في جميع اللغات السامية فضلاً عن اللغة العربية. سيكون كل ما نقوله عن كون أحدهما أصلاً للآخرى ضرباً من التخمين ورجماً بالغيب لا يمكن التحقق منه ولا يعود بأي فائدة. ولا بد من الاعتراف بأن كل واحدة منهما تمثل قسماً مستقلاً بنفسه في العربية وكذلك في اللغات السامية إذ ليس هناك دليل واحد على الأقل يمكن أن نستند إليه في كون أحدهما مشتقة من الأخرى بموجب قوانين تحويلية.^(٤)

ومن المحدثين من يتحدث عن قسم ثالث غير الاسمية والفعلية هو الجملة الوصفية مثل د. تمام حسان ود. محمد حماسة. وتتألف هذه الجملة "من وصف (اسم فاعل، أو صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة، أو اسم مفعول) + اسم مرفوع أو ضمير شخصي منفصل للرفع، مثل: أناجح أخوك، ما حاضر أنتم، ما محبوب الخائنون... الخ".^(٥) وهذا الرأي مبني على أمرين:

(١) ينظر: التطور النحوي ١٣٥.

(٢) التطور: النحوي ١٣٥.

(٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٥٤، وينظر ٥٧-٥٥، وينظر أيضاً نظرية اللسانيات النسبية ١٩٥-٢٠٠ وأضواء على الدراسات اللغوية ٢١٨-٢٢٣.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو (هوامش المترجم) ٨٥.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٣، والعلامة الاعرابية ٨٤.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

الأول: أن (الصفة) قسم مستقل يختلف عن أقسام الكلام الأخرى.^(١)

الثاني: أن الأساس في تحديد نوع الجملة هو صدرها أو ما كان صدرها في الأصل على نحو مما ذهب إليه النحاة العرب القدماء.^(٢)

وكون الصفات قسماً مستقلاً من أقسام الكلام يؤيده الواقع اللغوي، إذ يسلك هذا القسم سلوكاً يشبه الأسماء من جهة ويشبه الأفعال من جهة أخرى. إذ تقبل (الصفات) علامات الاسم المعروفة (الجر والتنوين... الخ).

ومن جهة التعليق تقبل (الصفات) أن تكون مسنداً إليه فتكون فاعلاً أو نائب فاعل أو مبتدأ كقولنا: خير منك يفعل هذا، وجاء الحسن وجهه وحُمد المصون شرفه.

وقد تكون (الصفات) مسنداً وهنا تشبه الفعل في كونها تطلب مسنداً إليه أو منصوباً أو تكون خبراً لمبتدأ. وهنا تكون (الصفات) كالأفعال أيضاً في كونها لا تطابق الفاعل إفراداً وتثنية وجمعاً.^(٣)

وكل هذا يدل على أن الصفات لها شبه بالأفعال والأسماء معاً وليس بالأسماء فقط "وإذا كانت الأسماء من حيث التخصيص تخصص الاسناد بواسطة التعدية أو السببية أو المعية الخ. ولا يخصصها غيرها. وكانت الأفعال باعتبارها أحداثاً مسندة إلى غيرها تقبل التخصيص ولا تخصص هي شيئاً، فإن الصفات تخصص غيرها كالأسماء ويخصصها غيرها كالأفعال فتكون الصفة مثلاً مفعولاً به ويكون لها مفعول به".^(٤)

ولهذه الأسباب أصبح من المقبول عند د. تمام حسان وكذلك د. محمد حماسة "أن نتكلم عن (جملة وصفية) تقابل الجملتين الاسمية والفعلية وتكون هذه الجملة أصلية كما في (أقائم المؤمنون للصلاة) وتكون فرعية نحو (رأيت إماماً قائماً تابعوه للصلاة)..."^(٥).

وما يعنيه د. تمام حسان بالأصلية والفرعية هو أن الجملة الوصفية قد تكون جملة مستقلة بنفسها وقد تكون مكتنفة في جملة أخرى كما هو الحال مع الاسمية والفعلية.

ويمكن أن نوضح سلوك (الصفات) اللغوي. أو طريقة توزيعها بالمصطلح البنيوي وانتظامها مع غيرها من أقسام الكلام من خلال النظر بعلاقة الجمل الآتية مع بعضها وهي مسألة يركز عليها النحو التوليدي التحويلي:

(ج)	(ب)	(أ)
-أقام زيد	-أقائم زيد	-أزيد قائم

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٩٨-١٠٣، وأقسام الكلام العربي ١٧٠-١٧٥ والعلامة الاعرابية ٦٤-٧٨ وتعد الصفة قسماً مستقلاً في الانكليزية ينظر علم الدلالة (بالمر) ١٥٠.

(٢) ينظر: العلامة الاعرابية ٦٠-٦٤ وينظر ٨٥.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٣، وينظر: أقسام الكلام العربي ١٧٠-١٧٥، واللسانيات واللغة العربية ٥١-٥٠/٢.

(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٣.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٣، وينظر: العلامة الاعرابية ٨٤ وما بعدها.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

أهـند قائمة	أقائمة هـند	أقامت هـند
هل الزيدان قائمان	أقائم الزيدان	أقام الزيدان
هل الهندان قائمتان	أقائمة الهندان	أقامت الهندان
هل الزيدون قائمون	أقائم الزيدون	أقام الزيدون
هل الهندات قائمات	أقائمة الهندات	أقامت الهندات

وهنا نلاحظ في المجموعة (أ) التي تقدم فيها (الاسم) على (الوصف) أن الوصف يطابق الاسم في (التذكير والتأنيث) وكذلك في (العدد).

أما في المجموعة (ب) التي تقدم فيها (الوصف) على (الاسم) فقد إقتصرت المطابقة على (التذكير والتأنيث) وليس هناك أي مطابقة في العدد تماماً كما هو الحال مع تقدم الفعل في المجموعة (ج) الذي يلزم صيغة المفرد المذكر مع الفاعل المذكر المفرد والمثنى والجمع. ويلزم صيغة المؤنث المفرد مع الفاعل المؤنث المفرد والمثنى والجمع.

وإذا نظرنا في حالة المطابقة التي تمثل المجموعة (أ) واضفنا إليها النظر في الجمل الآتية:

(د)	(هـ)
أكاتب محمد درسه	هل زيد كاتب درسه
أكاتب الزيدان درسيهما	هل الزيدان كاتبان درسيهما
أكاتب الزيدون دروسهم	هل الزيدون كاتبون دروسهم
أكاتبة هـند درسها	هل هـند كاتبة درسها
أكاتبة الهندان درسيهنّ	هل الهندان كاتبتان درسيهنّ
أكاتبة الهندات دروسهنّ	هل الهندات كاتبات دروسهنّ ^(١)

لوجدنا أن تقدير (فاعل/ أو فاعل ومفعول) للوصف بناء على كونه لازماً أو متعدياً في حالة وقوعه حالاً أو خبراً. هي مسألة يستدعيها النظام وتتبع طريقة توزيع العناصر وكيفية ارتباطها ببعضها وائتلافها معاً. وان هذه التقديرات لا يمكن ان تكون وليدة نظرية العامل فقط. وانما يدل عليها واقع اللغة. وإذا كنا نرفض مبدأ (العامل) فإن هذا لا يلغي طبيعة العلاقة اللغوية القائمة بين العناصر والنظام الذي تألفت بموجبه، وإذا نظرنا في الجمل :

- زيد شاعر.
- زيد كاتب درسه.
- جاء زيد حاملاً كتبه.
- ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾_الكهف ١٨ / ١٨.

(١) من النحويين من يجيز تقديم الوصف وان لم يعتمد على نفي أو استفهام . كالأخفش والكوفيين ينظر مغني اللبيب ٤٩٢/٢ . وعدم المطابقة كما هو الحال مع الأفعال يرجح اعراب ما بعد الوصف فاعلاً والمنصوب مفعولاً ولا داعي لـ(سد مسد الخبر) ويرى بعض المحدثين ان مثل هذا التحليل والقول بالاستتار لا يعقد النحو ويؤذي سلامته دلائل عدة منها امكان تحقق الفاعل مكان الاستتار في ظروف محددة. ينظر اللسانيات واللغة العربية ٢٩-٢٦/ ٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

لنؤكد لنا ان الوصف يسلك سلوك الاسماء حيناً والافعال حيناً آخر. ف(شاعر) و(حاضر) قد يكون المراد بها مجرد الاخبار عن اتصاف أحدٍ ما بهذه الصفة وهنا تشبه الاسماء كما في (لباسهم حرير).^(١) وكذلك يكون الحال إذا اضيف الوصف كما في:

حضر معلم الصف.

وجاء مدير المدرسة.

ولهذا يعتبر (الحدث) الذي يدل عليه الوصف بحكم الثابت والواقع.

أما في الجمل الأخرى فإنه يسلك سلوك الأفعال وهنا يكون له فاعل أو فاعل ومفعول به إذا كان متعدياً. وما يقدر هنا تبرره مقارنة الجمل مع بعضها والصلاة القائمة بينها. وفي هذه الحالة يكون (الوصف) دالاً على الحال والاستقبال لكن هذه الدلالة ليست صرفية كما هو الحال مع الفعل وإنما تُشرب صيغة الوصف معنى الزمن النحوي في السياق.^(٢) ولهذا عدّ النحويون جملة (أنا صائم يوم الخميس) إخبار عما ستفعله إذا جاء هذا اليوم. وليس فعلاً قد قمت به وانتهى. وقد يكون الوصف إخباراً عن الحال المقترنة (الحاضرة) كما هو الحال في الآية الكريمة: ﴿وَكُلُّهُمْ بِاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾_ الكهف ١٨/١٨. التي تحكي الحال المشاهدة في ذلك الوقت.^(٣) وكون الوصف يدل على الحال والاستقبال لا يؤيد مذهب الكوفيين الذين يعدونه فعلاً دائماً.^(٤)

وبما أن جملة الوصف قد تقع مستقلة أو مكتنفة في جملة أخرى كما تدل عليه الأمثلة السابقة، وإن الأساس في تحديد نوع الجملة هو صدرها. فإن الحديث عن كون الجملة الوصفية محولة عن الاسمية أو الفعل بموجب قوانين التحويل لن يكون له ما يؤيده في العربية ولا سيما إذا أخذنا بالاعتبار أصالة الوصف فيها.

فلا يمكن ان نعد جملة (أقائم زيد) محولة عن جملة (أزيد قائم) وكذلك جملة (قائم زيد) و(زيد قائم) عند من يجوز عدم اعتماد الوصف على نفي واستفهام. لان هذا يوجب ان نعترف بجواز تقديم الفاعل على الفعل كما هو مذهب الكوفيين.^(٥) ولن يمكننا عندئذ الاعتماد على صدر الجملة في تحديد نوعها. وهنا سيكون علينا ان نجد حلاً لتناقضات كثيرة تنجم عن ذلك كما في جملة:

زيد جاء صديقه.

التي لا يرتبط فيها (زيد) مع الفعل بعلاقة الفاعلية.

وكذلك جملة: الأولاد حضروا.

التي سنلجأ الى تأويل (الواو) فيها على انها علامة على الجمع وليس فاعلاً. وإذا امكن ذلك في هذه الجملة فكيف سنؤول جملة:

أكرمت من حضروا.

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية ١٣٥، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١٤.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٢.

(٣) ينظر: قطر الندى وبل الصدى ٣٠١، وشرح شذور الذهب ٣٧٨، وشرح ابن عقيل ١٠٦/٢.

(٤) ينظر: على سبيل المثال شرح القصائد السبع الطوال ٣٥٢.

(٥) ينظر: شرح المفصل ٢٠٠/١-٢٠١.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

فهل نعد الموصول مفعولاً للفعل أكرمت أم فاعلاً للفعل حضروا... الخ وكل ما يصدق قوله على الجملة الفعلية والاسمية سيصدق على الوصفية.

فقولنا ان جملة: أكتب زيدٌ درسه.

محولة عن جملة: أزيد كاتب درسه.

يفرض علينا ان نفسر لماذا نقبل تقديم الفاعل على الوصف ولا نقبل ان يتقدم على الفعل. وهنا سيكون الحل واحداً من اثنين.

الأول: ان نقول برأي الكوفيين وسيكون علينا ان نجد تفسيراً مقبولاً لجميع التناقضات الأخرى كالتي ذكرناها هنا وأخرى سيأتي ذكرها. وهو ليس بالأمر اليسير إذا لم يكن مستحيلاً كما سنبينه في موضعه.

الثاني: ان نعترف بجملة وصفية مستقلة. مبنية على الاعتراف بالوصف قسماً مستقلاً من أقسام الكلام، وعلى أن صدر الجملة هو الأساس في تحديد نوعها.^(١)

وبما أن الدلائل التي سنذكرها في النقطة اللاحقة، تشير الى صعوبة القبول بالحل الأول لما يواجهه من تناقضات يصعب إرجاعها الى نظام واحد متناسق. فاننا نؤيد الرأي القائل بان الجملة الوصفية تمثل قسماً مستقلاً من أقسام الجملة العربية الى جانب الفعلية والاسمية.

وكما عدَّ بعض المحدثين (الوصف) قسماً مستقلاً بنفسه من أقسام الكلام _أي من مباني التقسيم_ عدوا الضمير قسماً مستقلاً بنفسه أيضاً، لما له من خصائص تميزه عن الاسماء، فالضمائر من المبنيات ولا تظهر عليها حركات الاعراب. ولا تقبل التنوين ولا تقع موقع المضاف اليه، وهي جميعاً مفتقرة الى القرائن التي تعد شرطاً أساسياً لدلالاتها على معين. وما تدل عليه الضمائر هو الحضور والغيبة، التي عدوا منها (ضمائر الاشارة) و(ضمائر الموصول) وهي أسماء عند القدماء. وضمائر المتكلم والمخاطب والاشارة قرينتها الحضور. أما ضمائر الغياب ومنها الموصول فقرينتها (المرجع) المتقدم أما لفظاً أو رتبة أو هما معاً. وهذا (المرجع) هو القرينة التي تدل على المقصود بضمير الغائب. اما الموصول فقرينته (جملة الصلة) التي تشرح المقصود به وترتبط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه. وافتقار الضمائر على هذه الصورة الى الحضور مرة والمرجع مرة أخرى والموصول مرة ثالثة يبرر إفراد الضمير بقسم خاص من أقسام الكلام كما يرى د. تمام حسان ومن سار على نهجه. وعلى هذا الأساس عد (الضمير) هو ما دل على حضور بالتكلم أو الخطاب أو الاشارة أو على غيبة شخصية أو موصولية.^(٢)

وهذا الرأي ينسجم تماماً مع ما يقرره اللسانيون الذين يميزون بين نوعين من الكلمات الأولى: لها قاموس (معجمي) مثل شجرة ومنزل... الخ مما تمثله الاسماء التي لها علاقة بما هو خارج دائرة اللغة. وان كانت هذه العلاقة غير مباشرة كما أسلفنا. والثانية: ما يسمى بالكلمات الشكلية FORM WORDS أو القواعدية، وهذه الكلمات لها معنى قواعدي فقط لا يمكن وصفه بمفرده كما هو الحال مع شجرة ومنزل ورجل وامرأة ... الخ، وانما يوصف فمن علاقته بالكلمات الأخرى وأحياناً

^(١) يوافق د.فاضل السامرائي بعض النحاة في أن الوصف وما اسند اليه ليس بكلام ولا جملة وأن نحو أقائم الزيدان نزل منزلة الفعل. ويتعارض هذا مع ما ذكرناه سابقاً لاسيما عد الوصف قسماً مستقلاً من أقسام الكلمة. ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٢٥-٣٠.

^(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١١٠-١١١ ومن اسرار اللغة ٢٤٧-٢٤٩ وأقسام الكلام العربي ١٨٦-١٩٠، والعلامة الاعرابية ٧٤. ويعد د. ابراهيم انيس ود. تمام حسان ود. فاضل الساقى ود. محمد حماسة من ابرز من ذهب الى هذا الرأي، ينظر العلامة الاعرابية ٦٤-٧٨.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

بالجملة.^(١) ومن الواضح ان هو، هي، انت، انتم، هذا، الذي... الخ مما ادرجه المحدثون تحت مسمى الضمائر ليس لها دلالة معجمية. وإنما تدل على مطلق الحضور أو الغيبة ويتحدد المقصود بها من خلال القرائن وهي الخطاب في حالة الحضور والمرجع في حالة الغيبة أو جملة الموصول في حالة ضمير الصلة.^(٢)

وقد ذكر د. ابراهيم أنيس في كتابه من (أسرار اللغة) ان الضمائر "الفاظ صغيرة البنية تستعيز بها اللغات عن تكرار الاسماء الظاهرة".^(٣) وكان محققاً عندما انتقد رأي القدماء الذين يعدون الضمائر (أعرف المعارف) وذلك لأنها "الفاظ مبهمه توقع في اللبس وتحتاج الى البيان، ولا يمكن استعمالها بغير ما تشير اليه من اسماء ظاهرة".^(٤) وهو ما يؤكد أن الضمائر مثل أدوات العطف والتأكيد والاستفهام والشرط والتعريف والجر في كونها تؤدي معاني صرفية عامة، وليس لها دلالة خاصة ومن هنا لم يمكن ان توصف الضمائر بالتعريف أو التذكير في النظام. ويمكن ذلك فقط عند الاستعانة بقرائن السياق.^(٥)

ولا يستثني د. ابراهيم أنيس من ذلك ضمائر المتكلم التي ظن النحاة انها من الوضوح والجلاء بحيث لا تحتاج الى بيان أو تعريف، في حين تبرهن استعمالات اللغة على خلاف ذلك وليس ما يسمى بالتخصيص مثل (نحن العرب) و(نحن الفرس) الا بياناً للضمير _ كما يرى أنيس _ وتوضيحاً له عن طريق اسم ظاهر.^(٦)

وكذلك ألفاظ الإشارة التي يستعاض بها عن اسماء ظاهرة في كثير من الأحيان. غير انها قد توضع جنباً الى جنب مع ما تشير اليه من تلك الاسماء. ويرى د. أنيس ان ربط هذه الألفاظ بالإشارة ربطاً ظاهرياً تبرره حركات الناس في أثناء الكلام. أما الغرض الحقيقي منها فهو الاستعاضة عن تكرار الاسماء الظاهرة كما في غيرها من الضمائر. وهو ما يوضحه (أنيس) بقوله تعالى: الذي يصف به ما يتمتع به المتقون في الدار الآخرة: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ { ٥٠ } مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ { ٥١ } وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ { ٥٢ } هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ص ٥٠/٣٨.

إذ استعيز بـ(هذا) عن تكرار ما سبقها من عبارات.^(٧)

(١) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٠، وينظر أيضاً علم الدلالة (عمر) ٣٢-٣٤.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١١١، وينظر ١٠٨-١١٣.

(٣) من أسرار اللغة ٢٤٧.

(٤) من أسرار اللغة ٢٤٧.

(٥) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٠، ومن أسرار اللغة ٢٤٧، واللغة العربية معناها ومبناها ١١٠. وأقسام الكلام العربي ١٨٨، ويلاحظ ان الضمائر لا تدخل عليها (ال) التعريف باستثناء (الذي) الملازمة لذلك. ومع هذا فان (ال) فيها لا تفيد أي تعريفا فهي كما يشير النحاة القدماء انفسهم متوغلة في الابهام. ينظر أقسام الكلام العربي ١٨٨ ومن أسرار اللغة ٢٤٨.

(٦) ينظر: من أسرار اللغة ٢٤٧-٢٤٨. وتتبقى هناك خصوصية لضمائر (الإشارة) و(الموصولية) تميزها عن غيرها من الضمائر. مثل الربط الذي تؤديه الموصولية في الجملة. ينظر ٢٤٨.

(٧) يرى د. محمد حماسة ان قسم (الظرف) يمكن ان يندرج تحت قسم (الأداة) ولا سيما ان د. تمام حسان لم يجعل لهذا القسم الا بعض الكلمات لم تتجاوز تسع كلمات هي (إنواذاوإذاً ولما وأيان ومتى وأين واني وحيث). ود. حسان نفسه _ كما يقول حماسة _ كان يرى انها تتصل باقرب الوشائج بالضمائر والأدوات. ولهذا عد حماسة أقسام الكلام ستة مدرجا (الظرف) ضمن قسم الأداة. ومن أهم ما يؤيد د. حسان خصوصية الظرف من جهة دلالاته على الزمان والمكان وبالمطابقة وانها قد تسبقها الادوات (الحروف) مثل من أين؟ والى أين وان لها افتقار الى مدخول يعين

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وعد (الضمائر) قسماً مستقلاً من أقسام الكلام العربي، ومن ضمنه الفاظ الإشارة والموصول له مبرراته القوية التي نتفق معها. ونجد في تقسيم د. تمام حسان للكلام العربي الى سبعة أقسام: الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف، الاداة، تقسيماً دقيقاً مبنياً على ملاحظة دقيقة وشاملة للنظام اللغوي للغة العربية لكن الغريب ان هذه الألفاظ (الضمائر) كثيراً ما ترد في صدر الجملة نحو: (أنت مجتهد) و(هذا زيد) و(ذلك صديقي) و((هذا ربي)) - الانعام ٧٦/٦، ٧٧، ٧٨.

و(هن مجتهدات) و(أنا سعيد بحضورك) و(نحن ممتنون لمساعدتك)... الخ من الجمل الأخرى. وكان حرياً بمن عدّ الضمائر قسماً مستقلاً واعتمد على صدر الجملة في تحديد نوعها أن يعد هذه الجمل قسماً مستقلاً أيضاً لأنه يشتمل على الأسس نفسها التي استند إليها في عد الجملة الوصفية قسماً مستقلاً بنفسه الى جانب الاسمية والفعلية وهذا ما لم يحصل.

ولم يشر د. تمام حسان وهو الذي تحدث عن امكانية الإقرار بقسم مستقل هو الجملة الوصفية في حديثه عن قسم (الوصف) من أقسام الكلام. الى إمكانية الحديث عن جملة (ضميرية) أو (كنائية) _ على أساس كون الضمائر كناية عن الاسماء الظاهرة _ لا من قريب ولا من بعيد. وكذلك الحال مع د. فاضل مصطفى الساقى الذي تابع د. حسان فيما ذهب اليه من تقسيم جديد للكلم.^(١)

أما د. محمد حماسة فقد تناقض في هذا الشأن على نحو لافت للنظر بعد ان أقر بقسم (الضمائر) قسماً مستقلاً من أقسام الكلام العربي ايضاً.^(٢) فقد عدّ الجملة التي يتصدرها (ضمير) جملة اسمية وتحدث عنها تحت هذا القسم. وذلك في قوله: "تتألف الجملة الاسمية من (مسند إليه ومسند) أو مبتدأ وخبر والمبتدأ لا بد أن يكون اسماً أو ضميراً، وأما المسند أو الخبر فلا بد ان يكون وصفاً أو ما ينقل إليه من الاسم أو الجملة أو الجار والمجرور والظرف".^(٣)

لكنه بعد صفحات قليلة استعمل مصطلح (جملة ضميرية) في حديثه عما يعترى الجملة الاسمية من حذف. وذلك في قوله: "وفي ضوء التضام بين المسند والمسند إليه في الجمل الاسنادية نوافقهم _ وهو يعني النحاة القدماء _ على جواز حذف أحد الجزأين اذا دلّ عليه دليل. ففي الجملة الاسمية قد يحذف المبتدأ أو الخبر. وفي الجملة الضميرية كذلك، وفي الجملة الفعلية قد يحذف الفعل، أو يستتر استتاراً جائزاً، أما الجملة الوصفية فلا يجوز حذف أحد ركنيها".^(٤)

ومع استعماله مصطلح (الجملة الضميرية) هنا بقي د. حماسة على رأيه في ان الضميرية جملة اسمية. وبقي معترفاً بثلاث جمل اسنادية فقط هي:

الاسمية، والفعلية، والوصفية.

ولا أدري لِم لم يفرّد للضميرية قسماً مستقلاً اذا كانت خاضعة للشروط التي وضعها لذلك وهي الاعتماد على صدر الجملة والعنصر الصرفي المستقل الذي يتصدرها.

معناها قد يكون مفرداً أو جملة. ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ١١٩-١٢٢ والعلامة الاعرابية ٧٦-٧٧. ويمكن ان نضيف الى ما تقدم ان الظرف لا يمكن ان يقع خبراً على خلاف الاداة. مثل (زيد عندك).

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٨-١١٣، وينظر ١٠٣، وينظر: أقسام الكلام العربي ١٨٦-١٩٠.

(٢) ينظر: العلامة الاعرابية ٧٧.

(٣) العلامة الاعرابية ٧٩.

(٤) العلامة الاعرابية ٨٧. وهنا يبدو شبه الوصف بالفعل مرة أخرى. اذ يذكر الحديث بعدم جواز حذف أحد ركني الجملة الوصفية بحديث النحاة عن عدم جواز حذف الفاعل لوحده بدون ان يحذف الفعل. ينظر مغني اللبيب ٨٠٦-٨٠٨ و ٨٢٧/٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وفيما أظن ان عدم اعترافه بهذه الجملة قسماً مستقلاً للجملة الثلاث السابقة سيؤدي الى ازدواجية المعايير من جهة، والى التناقض مع الواقع اللغوي من جهة أخرى. وكل الأدلة والقرائن السابقة تشير الى اربع جمل اسنادية تامة في العربية هي الاسمية والفعلية والوصفية والضميرية (الكنائية).

وربما كانت طبيعة هذه الجمل وصلتها الوثيقة بالجملة الأخرى السابقة لها التي يتضمنها النص أو الحوار بأكمله سبباً في إهمال هذا القسم الذي يشير الظاهر الى صلته الوثيقة بالنص بأكمله وما ترد فيه من جمل لكن هذا أيضاً لا يعد مسوغاً ولا مبرراً كافياً لإهماله مع كونه ينطوي على معايير عدت شرطاً لغيره.

وهنا لا بد ان نشير الى مسألة تخص الضمائر الموصولة دون غيرها. وذلك لأن (جملة الصلة) التي تتبع هذه الضمائر لا تكون جملة مستقلة وانما تصبح بسبب الموصول جملة مكتنفة في الجملة (ج) التي تهيمن على هذا التركيب بأكمله. كما في قولنا: مررت بالرجل الذي كان عندنا أمس.

ف(الذي) وغيره من ضمائر الصلة يقوم بوظيفة الوصل (الربط) بين الجملة المكتنفة (جملة الصلة) والجملة (ج) التي تقع فيها جملة الصلة. ولهذا السبب لا يقع الموصول مبتدأ. وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أن (الذي) تصل الكلام بجملة قد سبق من السامع علم بها. ولا يكون الحال معها الا كذلك كأن ترى شخصاً عنده رجل ينشده شعراً فنقول له من غدٍ (ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر؟).^(١)

وإذا نظرنا في وظيفة الربط التي تؤديها الضمائر الموصولة قد تبدو لنا شديدة الشبه بالأدوات. لكننا إذا امعنا النظر سنجد انها تختلف عنها في صفة أساسية وهي ان للضمائر الأخرى محلاً من الإعراب فقد ترد خبراً أو مفعولاً أو مضافة أو مجرورة... الخ ومثل هذا لا يكون في الأدوات. وقد ميز تشومسكي بين العطف واستعمال (الموصول) في ان جملة الموصول تمثل تداخلاً مع جملة أخرى تكتنفها وليس هذا موجوداً في العطف الذي يمثل مجرد تتابع لعناصر لا يوجد أي اكتناف بينها أو تداخل كما في جملة:

محمد وعلي وأحمد وكثير من أصدقائهم ذهبوا الى هناك.

إذ ليس بين محمد وعلي... الخ أكثر من هذا العطف. وهنا يبدو الفرق بين الربط بأداة العطف مثل (الواو) والربط الذي يكون بضمير الموصول. فالأخير يتضمن اكتنافاً لجملة (تركيب) في جملة أخرى. أما الأدوات فتتمثل تتابعاً لعناصر متماثلة.^(٢)

ويمكننا أن نلاحظ الى أي مدى يتداخل الصرف مع النحو. وكيف يكون له أثر مباشر في تحديد نوع الجملة من خلال الطريقة التي تنتظم الوحدات اللغوية بموجبها. وهذا يذكرنا أيضاً بـ(المكونات المباشرة) ومدى أهميتها في نظرية تشومسكي النحوية بوصفها جزءاً من قواعد الأساس التي تتم عملية توليد الجملة انطلاقاً منها.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى تفريق اللسانيين بين مصطلحين مهمين هما: SENTENCE , CLUSE (الجملة/التركيب). فالجملة هي أصغر شكل نحوي مستقل لا يكون

^(١) ينظر: دلائل الاعجاز ٢٠٠، وينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق ٥٢.

^(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٣-٣٨ وينظر: هوامش المترجم ٨١-٨٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

جزءاً _متضمناً_ من شكل نحوي آخر أكبر منه. أما (التركيب) فهو جملة تكون جزءاً من جملة أخرى أكبر منها. و(التركيب) بهذا المفهوم هو وحدة قواعدية تكون أصغر من الجملة وأكبر من (العبرة) PHRASE التي هي كلمة أو أكثر لا يمكن أن تكون شكلاً مستقلاً بنفسه ويمكن أن تكون جزءاً من تركيب آخر أكبر منها.^(١)

وهذا مبني على أن كلا من الجملة والتركيب يتضمنان اسناداً أي تتكون من مسند اليه (SUBJECT) ومسند/خبر (PREDICATE) والفرق بينهما أن التركيب يكون متضمناً (مكتنفاً) بجملة أخرى أوسع منه. على العكس من الجملة التي لا يتضمنها (يحتويها) تركيب آخر أوسع منها. مع ملاحظة أن التركيب قد يرد أحياناً مستقلاً _غير محتوٍ بتركيب آخر_ وعندئذ يسمى جملة أيضاً.^(٢)

ويمكن أن نمثل للجملة بـ(جاء صديقي) و(جاء صديقي الذي أخبرتك عنه أمس)، وجملة الشرط. أما مثال التركيب فهو جملة الصلة (أخبرتكم عنه أمس) المكتنفة في جملة (جاء صديقي الذي أخبرتك عنه أمس). وجملة الشرط وجملة الجواب في الجملة (إذا جاء زيد أكرمته) التي تعد كل واحدة منهما مكتنفة في الجملة الشرطية بأكملها. ويمكن أن نقول في جملة الحال وجملة الصفة وجملة الخبر وجملة المفعول، أنها تعد تراكييب وليس جملة. فهي لا تمثل جملة مستقلة بنفسها وإنما هي محتواة في جملة أخرى أكبر منها. ويمكن أن يرد كل تركيب منها مستقلاً في سياق مختلف وعندئذ يعد جملة وليس تركيباً.^(٣)

ويبدو واضحاً أن تمييز اللسانيين بين مصطلحي الجملة والتركيب يشبه تماماً تمييز النحاة العرب بين الكلام والجملة. إلا أن الجملة عند اللسانيين تقابل الكلام عند العرب، ويقابل التركيب الجملة. وذلك لأن العرب تعد الكلام ما أفاد فائدة تامة، والجملة ما تضمن الاسناد.^(٤) لكن تعريف اللسانيين للجملة (الكلام عند العرب) وللتركيب (الجملة عند العرب) تعريف شكلي بحث. أما العرب فجمعوا بين الشكل والمعنى حينما اشترطوا في الأول الإسناد والافادة. وإذا تحقق الاسناد من دون الافادة فهو عندهم جملة.

والأفضل أن يكون التعريف مبنياً على أسس شكلية فقط أو دلالية. وبناء على نظرة تشومسكي التي تفصل بين النحو والدلالة فإن تعريف اللسانيين هو الأقرب من تعريف النحاة العرب للجملة.

(١) ينظر: LUNGUAGE 70, AN INTRODUCTION TO THEORETICAL LINGUISTICS 173, THE OXFORD DICTIONARY 1914, WEBSTER S DICTIONARY 417, A UNIVERSITY GRAMMAR OF ENGLISH 10-14, IDENTIFICATION OF SENTENCE 6-14.

(٢) ينظر: الهامش السابق وسيأتي الحديث في فصل لاحق عن الفرق بين معنى الجملة والقولة Utterance على نحو مفصل. والأخير هو ما يسمى بالمعنى السياقي للجملة. والأول هو المعنى الحرفي المستفاد من تركيبها القواعدية والاعرابية.

(٣) ينظر: اللسانيات واللغة العربية ٨٣/٢ وبناء على تشومسكي وجميع النحاة الانكليز الآخرين أيضاً فإن عطف جملة على أخرى لا يعد اكتنفاً وإنما هو تتابع لعناصر متماثلة كما يبدو من ظاهر كلامه. ينظر جوانب من نظرية النحو ٣٣-٣٨ وينظر أيضاً ٨١-٨٢.

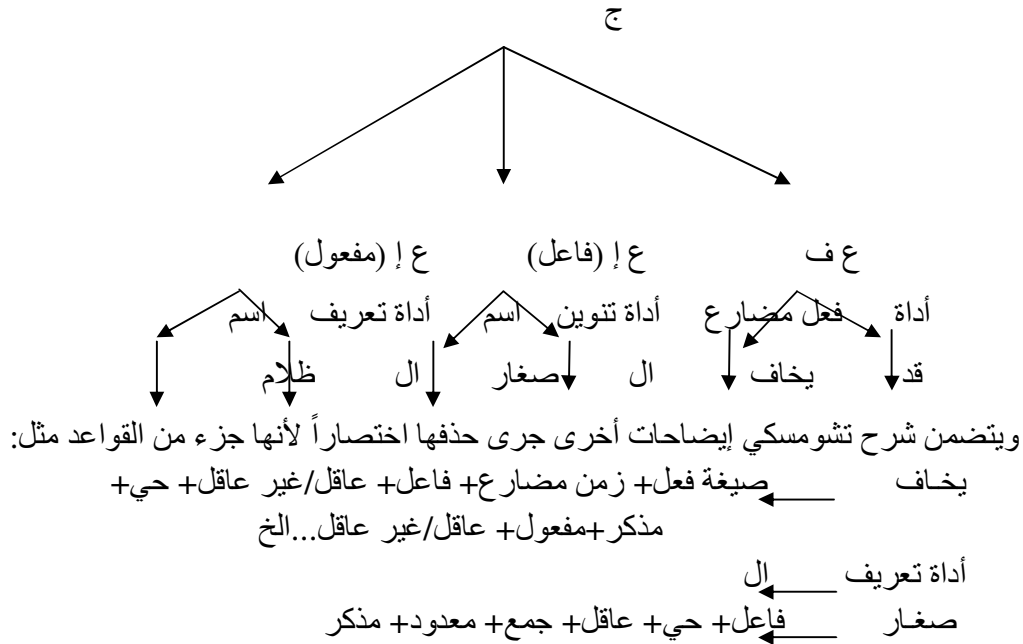
(٤) ينظر: مغني اللبيب ٤٩٠/٢، والعلامة الاعرابية ٢٣، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٠ والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٣-٤٠ وبناء الجملة العربية ٢٢-٢٨.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وبعض المحدثين مثل د. إبراهيم أنيس اختار تعريفاً مبنياً على الدلالة وحدها عندما عد الجملة "أقل قدر من الكلام يفيد معنىً مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا الكلام من كلمة واحدة أو أكثر".^(١) ومثل هذا التعريف يثير مشكلة رئيسة لا يمكن تجاهلها كما هو الحال مع النحو التقليدي الغربي الذي يعرف الجملة بأنها (تعبير عن فكرة تامة) وتتمثل هذه المشكلة بان على التعريف ان يخصص أو يحدد كيف تكون فكرة ما تامة ومن المعروف ان هذه المسألة تعتمد على الشخص فهو الذي يستطيع ان يقول ان هذا التعبير يمثل فكرة تامة أو لا. ومن ثم لا يمكن ان يكون هذا التفسير مطرداً بل سيختلف من شخص الى آخر. وهذا يعطي أفضلية لتعريف بلومفيلد وما شابهه ولمن عرف الجملة بأنها ما تكون من مسند ومسند اليه.^(٢)

ثانياً: تركيب جملة واحدة من جملتين بسيطتين:

ان عملية توليد الجمل كما عرضها تشومسكي قد يتم من دليل نظمي واحد وبهذا يكون للجملة بنية عميقة واحدة كما هو الحال مع الجمل البسيطة مثل جملة:
قد يخاف الصغار الظلام.
التي تم توليدها من البنية العميقة.



(١) من أسرار العربية ٢٣٦، وينظر: الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١١، والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٣-٣٠، والنحو والدلالة ٥٩.

(٢) ينظر: GRAMMER 71-72، وينظر: أيضاً 7 IDENTIFICATION OF SENTENCE

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

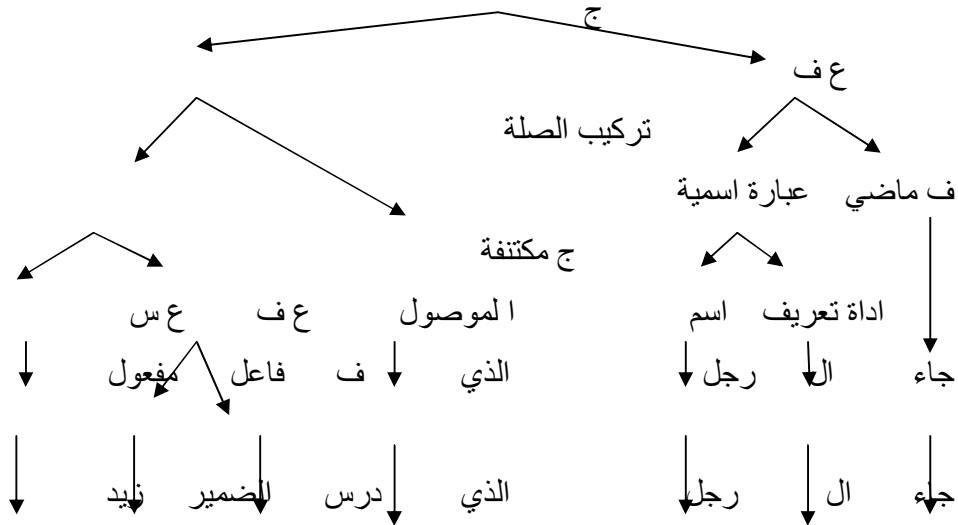
ظلام ← مفعول + اسم مجرد + غير عاقل + غير حي... الخ من السمات النحوية التي تعد جزءاً من الأساس.^(١)

وقد تتولد بعض الجمل من سلسلتين منفصلتين وبعبارة أدق من دليلين نظميين مختلفين كما هو الحال مع الجمل المركبة مثل جملة:

جاء الرجل الذي درّس زيدا.

الذي يمكن إرجاعها الى سلسلتين منفصلتين:

جاء الرجل (≠ درس الرجل زيد).^(٢) ويتم جعل الجملتين جملة واحدة من خلال إجراء تحويل الصلة. وفيه ندخل الاسم الموصول على الجملة الثانية وهو ما يؤدي الى حذف رمز الحد (≠) الفاصل بين السلسلتين بعد ان نجري تحويلاً إجبارياً يتطلبه تحويل الصلة وهو تحويل الحذف. فاتحاد الفاعل في الجملتين (جاء الرجل) و(درّس الرجل زيدا) يعني ان لدينا حذفاً يمكن استخلاصه وهو (الرجل) الذي سيحذف ويستعاض عنه بالضمير. ويوضح المخطط الآتي البنية العميقة التي تتولد منها هذه الجملة:



﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

رجل ← فاعل + حي + عاقل + معدود + ... الخ. ^(١)

أما فيما يخص الكيفية التي يمكن ان نتأكد من خلالها ان هذه الأدلة النظامية المعممة المولدة بواسطة الأساس تصلح لأن تكون بنية عميقة للجملة السابقة أم لا. فالجواب بسيط جداً كما يرى تشومسكي فالقوانين التحويلية تزودنا بإمكانية اجراء هذا الاختبار ويمكن ان نتأكد ان الأدلة النظامية مؤهلة لتكون بنية عميقة اذا ولدت القوانين التحويلية بنية سطحية صحيحة وبعبارة أخرى، إن البنية العميقة التي تقع تحت البنية السطحية هي البنية العميقة لتلك البنية السطحية إذا لم تحتو (ج) أي الجملة على أي رموز تدل على عدم السماح بعمل أي تحويل إجباري. وذلك كما في جاء الرجل (≠) الولد درس زيدا (≠) فهنا لا تصلح هذه السلسلة لتكون بنية عميقة للجملة (ج) السابقة. لأنها تحتوي على رمز يمنع إجراء تحويل إجباري هو تحويل الحذف. إذ الفاعل في هذه السلسلة مختلف (الرجل) و(الولد) وهذا يعني ان دليلها النظامي يمنع إجراء تحويل حذف (الولد) لعدم تطابق الفاعلين. أي ان هناك حذفاً لا يمكن استخلاصه من الدليل النظامي لهذه السلسلة، لهذا يكون الدليل النظامي لها غير صالح لأن يكون بنية عميقة للبنية السطحية للجملة السابقة وهذا هو معنى قول تشومسكي ان القوانين التحويلية تعمل كمرشح (FILTER) يسمح ببعض الأدلة النظامية المعممة فقط لأن تكون مؤهلة لتصبح بنية عميقة. ^(٢)

ويمكن ان نقيس على الجملة السابقة بقية الجمل التي يتم تركيبها من دليلين نظاميين بسيطين مثل جملة (الحديقة أزهارها يانعة) التي يتم توليدها من سلسلتين بسيطتين: للحديقة أزهار... الأزهار يانعة... الخ من الأمثلة المشابهة.

وليست فكرة تأليف جملة من جملتين بسيطتين غريبة عن النحاة العرب فقد تحدث ابن هشام عن انقسام الجملة الى صغرى وكبرى. ^(٣) وذكر أنَّ الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو (زيد قام أبوه) و(زيد أبوه قائم).

ومثل للصغرى بالجملتين السابقتين المبنيتين على المبتدأ. (قام أبوه) و(أبوه قائم). ^(٤) وتحدث أيضاً عن كون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين كما في جملة (زيد أبوه غلامه منطلق). فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير و(غلامه منطلق) صغرى لا غير لأنها خبر. و(أبوه غلامه منطلق) كبرى باعتبار (غلامه منطلق) وصغرى باعتبار جملة الكلام. ^(٥)

وبمصطلح اللسانيين (الكبرى) هي (المركبة). و(غلامه منطلق) تركيب بوصفها جزءاً من (أبوه غلامه منطلق) وهذه الأخيرة تركيب قياساً بجملة الكلام. أي أن (أبوه غلامه منطلق) جملة مقارنة بـ(غلامه منطلق) و(تركيب) مقارنة بجملة الكلام.

ونبه ابن هشام ايضاً الى جملة (كبرى) مصدرة بالفعل مثل جملة: (ظننت زيدا يقوم أبوه). و(يقوم أبوه) هي الجملة الصغرى (تركيب) مقارنة بالكبرى (الجملة). ^(١)

^(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٤-١٧٥، ومحاضرات ودن ٧٨-٨٣ و٨٨-٩١، وينظر: علم اللغة المعاصر ٦٤، وهذه العلاقة لم تكن تلاحظها المدرسة البنوية بين التركيبين قبل تشومسكي.

^(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٧٤-١٧٥. وينظر: أيضاً ٩٥، ١٥٤، ١٦٦.

^(٣) الصواب ان تستعمل (فعلى) مثل صغرى وكبرى بالاضافة أوب(ال) كما نبه ابن هشام نفسه ينظر: ٩٧/٢.

^(٤) ينظر: مغني اللبيب ٩٧/٢، وينظر: الوحدة الاسنادية الوظيفية ٢٦-٢٧.

^(٥) ينظر: مغني اللبيب ٩٧/٢، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٦٨-١٦٩.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وتقابل الجملة التي يسميها ابن هشام (الكبرى) الجملة المعقدة في الانكليزية التي تختلف عن البسيطة في انها تتضمن أكثر من تركيب اسنادي. وهي تختلف أيضاً عن الجملة المركبة التي تتضمن تراكيب متعاطفة بادوات العطف مثل:

(جاء زيد ثم ذهب الى المدرسة) والتركيبان المتعاطفان هنا لا محل لهما من الإعراب على العكس من الجمل المعقدة التي تحتوي على عبارة رئيسية لا محل لها من الإعراب تضم عبارة ثانوية لا محل لها من الاعراب . وقد تجمع بعض الجمل بين الميزتين فيطلق عليها حينئذٍ (المركبة المعقدة) كما في جملة:

جاء الرجل الذي قابلته أمس ثم غادر.^(١)

وكل ما يقال في هذا الشأن عن الجملة الانكليزية فيما يخص صيغتها البسيطة والمركبة المعقدة والمركبة المعقدة ينطبق تماماً على العربية ولا يبدو أيضاً خلاف بين الاثنين فيما يتعلق بالتصور العام للجملة المبني على مسند ومسند إليه والمكونات الأساسية للجملة وهي المسند والمسند اليه والمفعول به والظروف والمكملات التي تقابل ما أطلق عليه النحاة العرب (الفضلة).^(٢)

ونقطة الاختلاف الرئيسية بين الجملتين العربية والانكليزية هو أن الأخيرة لها صورة واحدة ثابتة تبدأ بالاسم ولا وجود لحرية الحركة بين عناصرها على العكس من الجملة العربية التي يمنح نظامها حرية الحركة لعناصرها ويمكن ان يأتي الاسم في صدرها وكذلك الفعل... الخ من التفاصيل الأخرى التي عرضناها في الصفحات السابقة. ولهذا السبب لا تصلح البنية العميقة التي تقع تحت البنية السطحية لجملة انكليزية أن تكون بنية عميقة للجملة العربية التي تقابلها وذلك لاختلاف النظامين.^(٤)

والقصد مما سبق اننا لكي نعطي أحكاماً صحيحة عن الجملة العربية في ضوء القواعد التوليدية التحويلية فاننا يجب ان نكون عارفين تماماً بالنظام اللغوي العربي وطبيعته الخاصة التي تختلف عن غيرها من الأنظمة اللغوية كما هو الحال مع الانكليزية مثلاً.

ثالثاً: مسألة الرتبة بين الفعل والفاعل:

قد يسهم التسليم بمبدأ الجمل المعقدة التي يتم تأليفها من تركيبين منفصلين وفهم العملية التي يتم ذلك من خلالها في وضع حدٍ للخلاف حول بعض المسائل التي لا يزال الخلاف قائماً فيها لحد الآن مثل مسألة (جواز تقديم الفاعل على الفعل أو عدم جوازه) وهي مسألة الخلاف المعروفة بين البصريين والكوفيين التي امتد الخلاف فيها الى النحاة العرب المعاصرين وترتب عليها خلاف

(١) ينظر: مغني اللبيب ٤٩٧/٢. وينظر: بناء الجملة العربية ٢٩، ٣٢.

(٢) ينظر: AUNIVERSITY OF GRAMMER OF ENGLISH 166-167 & 284,309-313.

(٣) ينظر: AUNIVERSITY OF GRAMMER OF ENGLISH . الوحدة الاسنادية الوظيفية ٢٦-٢٧ وكذلك ١٤٣-١٥٢.

(٤) ولهذا السبب حرص د. مرتضى جواد باقر على ان ينبه مرات عدة على ان الترجمة العربية للجملة الانكليزية التي تشرح عملية تحليل هذه الجمل لا تنطبق بالضرورة على الجمل العربية وان المقصود من ذكر الجمل العربية بدلاً من الانكليزية هو توضيح الفكرة وشرح ما يقصد تشومسكي. وسيكون الأمر مختلفاً عندما نحلل جملة عربية انطلاقاً من القواعد النحوية العربية (النظام اللغوي العربي) وهذا لا يلغي بالتأكيد التشابهات الكثيرة بين الجملتين العربية والانكليزية . ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٥٣-١٦٤.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

جديد حول ايهما الأصل في الجملة العربية الاسمية أم الفعلية؟ وفهم العلاقة القائمة بين الجمل العربية المختلفة وأمثلتها المتعددة قد يكون له دور حاسم في انهاء هذا الخلاف أو على الأقل في الوصول الى حقائق تسهم في حله. وذلك لأن الجمل التي دار حولها الخلاف تبدو ذات صلة وثيقة بجمل أخرى تم معالجة هذه المسألة بمعزل عنها.

وقد ذهب الكوفيون الى جواز تقديم الفاعل كما في (زيد قائم)، وهو ما لم يقبله البصريون الذين أضمروا فاعلاً مستتراً للفعل يعود على زيد.^(١) وبهذا تكون الجملة الفعلية (فعلية بسيطة) عند الكوفيين، و(اسمية معقدة) عند البصريين لأنها تتضمن عبارة رئيسة وجملة مكتنفة (تركيب).

وقد يبدو رأي الكوفيين مقبولاً أكثر في الوهلة الأولى لبساطته، لهذا تحمس له بعض المحدثين ومن أبرزهم د. مهدي المخزومي الذي رأى في اعتماد صدر الجملة أساساً لتحديد نوعها قولاً ساذجاً يقوم على اساس من التفريق اللفظي المحض. وخلافاً لذلك حاول ان يميز بينهما على أساس معنى (المسند) فرأى أن الجملة الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد أي يكون المسند فيها (فعلاً)، والاسمية هي التي يدل فيها (المسند) على الثبوت والدوام، أي يكون المسند فيها اسماً. وبناءً على هذا الأساس عدّ جملتي (طلع البدر) و(البدر طلع) جملة فعلية _ كما هو الحال عند الكوفيين _ ورأى في هذا تخلصاً من المنهج الفلسفي للنحاة ولأن "القول بانها اسمية _ أي جملة البدر طلع _ يحملنا على اعتبار الاسم المتقدم مبتدأ لا فاعلاً وإذا أصبح مبتدأ خلا الفعل من الفاعل، واضطر الدارس الى تقدير الفاعل، وقد قدره ضميراً يعود على المبتدأ، ويحملنا على اعتبار هذه الجملة البسيطة جملة مركبة فقد أصبحت بعد ذلك الاعتبار وهذا التقدير مكونة من جملتين".^(٢)

ومما يترتب على مذهب الكوفيين والمخزومي ان الأصل هو الجملة الفعلية وان الاسمية مشتقة منها، وهذا ما يشير اليه ظاهر كلام د. المخزومي ولاسيما في حديثه _ منتقداً البصريين _ عن كون الفعل أصل المشتقات في اللغات السامية _ وقد تقدم _ رافضاً ما يراه البصريون في ان الاسمية هي الأصل.^(٣)

وليس هذا الرأي مقتصر على د. المخزومي فقد رجحه د. غازي مختار طليمات معتمداً على الكثرة _ وان كان مثاله يخص بيتين شعريين فقط _ ومال اليه د. مرتضى جواد باقر _ مؤقناً في هوامشه على كتاب الجوانب وكذلك الفاسي الفهري.^(٤) وعلى العكس من هذا رأي (برجشتراسر) الذي يرى ان الاسمية هي الاصل كما تقدم ويوافقه الرأي بعض الباحثين العرب المعاصرين مثل د. محمد حماسة.^(٥) وفي كلا الحالتين ستكون احدى الصيغتين هي البنية العميقة للأخرى التي تحولت اليها بموجب قوانين تحويلية.

(١) ينظر: شرح المفصل ٢٠٠/١-٢٠١، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٥٨-١٥٩، وبناء الجملة العربية ١٢٨-١٣٤.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٦، وينظر: ٤٣-٤٧، وينظر: تجديد النحو ١٥٣، و نحو التيسير ١٢٣-١٢٥، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١٢-١١٣.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٣-٤٥.

(٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو (هوامش المترجم) ١٥٣-١٥٤، وفي علم اللغة (طليمات) ١٨٩، واللسانيات واللغة العربية ١٠٧/٢.

(٥) ينظر: التطور النحوي ١٣٤-١٣٥، والعلامة الاعرابية ٤٩.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وقد وصف (المبرد) رأي الكوفيين قديماً بالفساد وكانت حجته عليهم تستند الى الامثلة الجمالية الاتية:

- رأيت عبدالله قام.

- عبدالله هل قام.

- ذهب أخواك وأخواك ذهباً.

ففي الأولى يدخل على الابتداء ما يزيل حكم الرفع ويبقى الضمير على حاله. وفي الثانية يفصل الاستفهام بين الفعل والاسم وما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله.

وفي الجملتين الأخيرتين تختلف حالة المطابقة بين الفعل والاسم في حالة تقدمه على الاسم عن تأخره ولو كان الفعل عاملاً كعمله مقدماً لكان موحداً.^(١)

ورد المبرد مبني كما هو واضح على نظرية العامل و الأمثلة التي رد بها على الكوفيين قليلة ومع ذلك لم يتطرق لها المخزومي ولم يكلف نفسه عناء مناقشتها.

اما د.محمد حماسة الذي رفض رأي الكوفيين وتحمس المخزومي له فلم يصف شيئاً الى اعتراض المبرد سوى تساؤله عن جملة:

- محمد قائم.

هل يعدها المخزومي فعلية أم اسمية. لان (قائم) بناء على رأي النحاة القدماء يدل على الحدوث والتجدد كما هو الحال مع الفعل و د.المخزومي يحدد نوع الجملة بناء على دلالة (المسند).^(٢)

وربما كان الأجدر بالدكتور حماسة وهو الذي يؤكد مبدأ تضافر القرائن بوصفه بديلاً لنظرية العامل ان لا يكتفي بالوقوف عند هذه الامثلة الجمالية القليلة. وان يمعن النظر في امثلة جمالية مختلفة استناداً الى العلاقة التي تربط بين عناصر هذه الجمل ومقارنتها مع بعضها.

وقد يكون رأي المخزومي في فعلية جملة (البدر طلع) وما شابهها واعتماده على دلالة المسند في تحديد نوع الجملة التي اتفق مع القدماء في كونها لا تخرج عن قسمين اسمية وفعلية^(٣) رأياً سائغاً لو كنا بصدد جمل عربية تقتصر على ما ذكره فقط من امثلة. ففي اللغة العربية جمل كثيرة اخرى كان على د.المخزومي والكوفيين من قبل ان يقدموا أجوبة مقنعة بشأنها ليستقيم مذهبهم. وسنبداً هنا ببعض ما ذكره المخزومي نفسه وهو الجمل:

- سافر زيد.

- انكسر الإبريق.

- كسر الإبريق.

اذ يرى المخزومي ان النحاة العرب قد فرقوا بين الفاعل الذي له ارادة مثل (زيد) في الجملة الأولى. والفاعل الذي ليس له ارادة حرة وإنما يتلبسه الفعل قسرياً مثل (الإبريق) في الجملة الثانية.

(١) ينظر: المقتضب ١٢٨/٤، وينظر تجديد النحو ١٥٣-١٥٤، وينظر: العلامة الاعرابية ٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: العلامة الاعرابية ٥٧.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٣. وهذا رأي د.فاضل السامرائي أيضاً . ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٥٧-١٥٩.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وامتدح النحاة لأنهم عدوا الاثنين فاعلاً^(١) مع ان هذه النظرة (شكلية محضة) تختلف عن الاساس الدلالي الذي بنى عليه رأيه في تقسيم الجملة. لكنه انتقد النحاة لتفريقهم بين الفاعل ونائب الفاعل لانهما باب واحد مستندا الى ما نقله الرضي في شرحه "ان ما يسمى بالنائب عن الفاعل عند عبدالقاهر والزمخشري فاعل اصطلاحاً".^(٢) ولان صيغة (انفعل) التي يعرب الاسم بعدها فاعلاً لا تختلف عن صيغة الفعل المبني للمجهول (فَعَلَ) لهذا كان علينا ان نعرب الاسم في الحالتين فاعلاً ولا حاجة للحديث عن نائب الفاعل وبهذا نجنب الدارسين متاعب هم في غنى عنها.^(٣)

ولو سلمنا _فرضياً_ بما ذهب اليه المخزومي ونظرنا الى مسند اليه واحد في الحالتين تغيرت صورة الفعل (صيغته) او لم تتغير، واعتبرنا ان الفعلية هي التي مسندها (فعل) تقدم هذا الفعل ام تأخر. كيف سننظر الى الجمل الآتية:

- كسر زيدٌ ساقه.

- كسرت ساق زيد.

- زيدٌ كسرت ساقه.

- زيدٌ احترق بيته.

- زيدٌ مررت بمنزله.

بامكاننا ان نقول ان (زيد) و(ساق) في الجملتين الأولى والثانية (فاعل) بغض النظر عن صيغة الفعل. لكن كيف سنعرب (زيد) في الجملتين الثالثة والرابعة والخامسة. إذ لا يمكن ان نقول هنا ان (زيد) فاعل للفعل لسببين:

الأول: ان الأفعال في الجمل الثلاثة لها فاعل مذكور مرفوع بعدها.

الثاني: ان (زيداً) لا يمكن ان يحل محل هذه الأفعال -وان كان تقديرأ- ويبقى المعنى نفسه كما في (زيد جاء/ جاء زيد). فالذي انكسر في الجملة الثالثة ليس زيداً بل (ساقه). والذي احترق في (الرابعة) هو بيته. والذي وقع المرور به في (الخامسة) هو منزله.

هذا فضلاً عن عدم إمكانية قبول اقتراح توحيد الفاعل ونائب الفاعل تحت مسمى واحد هو الفاعل وجعل البابين باباً واحداً. لأن مقتضى هذا الاقتراح ان نعد الجملتين الآتيتين مترادفتين:

- كسر زيدٌ ساقه.

- كسرت ساقُ زيد.

وهذا خلاف الواقع. وهنا علينا أيضاً ان نفسر للدارس على نحو مقبول لم يكتفي الفعل نفسه (كسر) بفعل فقط مرة، ويتعدى الى مفعول مرة أخرى. وإذا أخذنا بالاقتراح السابق فاننا سنغض الطرف عن واحدة من أهم العلاقات النحوية في النظام وهي (اللزوم والتعدي)، وسنلغي العلاقة القائمة بين الجمل المختلفة ونعدها غير موجودة. وقد تقدم ان ثغرات أقل من هذه بكثير فتحت الباب على مصراعيه أمام النحو التحولي لينتقد النظرية البنوية ويصفها بالسطحية والقصور. وعلى عكس ما كان يعتقد د. المخزومي لا يوفر رأيه جهداً في دمج (الفاعل ونائب فاعل) وإنما يخلق متاعب

(١) يمكن ان نقول بالمصطلح التوليدي التحولي ان الفاعل (زيد) فاعل منطقي للفعل أما الفاعل في الجملة الثانية (الابريق) فهو فاعل قواعدي لكنه مفعول به منطقي لهذا الفعل.

(٢) شرح الرضي ٧١/١.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٩-٥٤.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ومشاكل كثيرة للدارسين نحن في غنى عنها. وليس هناك من سبيل مع الجمل السابقة الا بالنظر اليها بوصفها جملاً اسمية معقدة.

وإذا نظرنا في الجمل:

(أ)	(ب)
محمد جاء	الطالبة جاءت
المحمدان جاءا	الطالبان جاءتا
المحمدون جاؤا	الطالبات جنن

فسنجد تقدير الفاعل المستتر في الجملة الأولى من (أ) و(ب) كان نتيجة مقابلة هذه الجمل بالجمل الأخرى التي يظهر فيها الفاعل كما في حالة التثنية والجمع. وإنما استخلص النحاة الفاعل المحذوف من هذه المقارنة أو المقابلة بين هذه الجمل وهذه طريقة صحيحة لاستخلاص النظام. وقد تؤول الضمائر السابقة (الألف) و(الواو) بأنها علامات تدل على التثنية والجمع كما فعل بعض المحدثين مثل عبد القادر المهيري.^(١) ولكن كيف تؤول الجمل الآتية في حالة المخاطب:

انتَ جئتَ

وانتَ جئتِ

وانتمَ جئتم

وانتنَ جئتن

والمتكلم:

أنا درستُ

انتَ درستَ

انتمَ درستُم

انتنَ درستن

فهل نقول ان (تاء) الفاعل في هذه الجمل هي علامات للمطابقة أيضاً وإين المطابقة في جملة: الزيدون أكرمتهم.

وإذا اعتبرنا كل الضمائر لواحق وان الفاعل هو الاسم المتقدم على الفاعل فكيف نفسر علاقة هذا الاسم بالفعل الذي بعده في الجمل:

- محمد جاء.

- محمد جاء ضيفه.

- محمد مررتُ به.

- محمد حملت حقييته.

(١) ينظر: مساهمة في تحديد الجملة الاسمية ١٥. ويرى د. عبد القادر الفهري ان هذا التحليل لا يعقد بنية النحو العربي _ كما يرى عدد من المهتمين باللغة _ وان هناك دلائل عدة تزكي سلامته منها تحقق الفاعل في مواقع الاستتار في ظروف محددة ينظر للسانيات واللغة العربية ٢٧/٢-٢٩ و ٥٢-٥٠/٢ و ١٦٣/٢-١٧٠. وقد لا تكون هناك أدلة مقنعة فيما يخص كون (الواو) و(الألف)...الخ ضمائر أم علامات. لكن من الواضح من خلال النظر في جميع الأمثلة السابقة انها اذا لم تكن ضمائر فهي تدل عليها ولا بد ان يكون هناك فاعل في الحالتين.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

من الممكن القول ان علاقة الاسم (محمد) بالفعل في الجملة الأولى هي علاقة فاعلية. لكن الأمر مختلف مع الجمل الأخرى. ففي الجملة الثانية تكون العلاقة بينهما علاقة مفعولية. وفي الثالثة علاقة تعدية وفي الرابعة إضافة. ومع هذا يبقى الاسم المتقدم مرفوعاً في جميع هذه الحالات. وهذا دليل على ان الاسم مستقل عما بعده وأن التركيب الذي بعده بني عليه أي ان الجمل السابقة هي جمل (معقدة) بمصطلح اللسانيين أو (كبرى) بمصطلح ابن هشام.

وقد اقترح عبد القادر المهيري ان تحلل عناصر الجملة على أساس دورها المعنوي أي من ناحية الربط بين هذه العناصر. مع عد الضمائر لواحق. لأننا "بهذه الطريقة نستطيع ان نعتبر الجملة المستهله باسم متبوع بفعل جملة فعلية وأن نحللها على أساس أنها لا تتضمن من الوظائف الا ما يجئ عادة في الجملة الفعلية".^(١) مستشهداً برأي د. ابراهيم أنيس الذي أنكر فيه أن تكون علامات الاعراب دالة على المعنى وانها مجرد وسيلة لوصل الكلام ببعضه ببعض.^(٢) وعلى هذا اعرب جملة (الزائر وصل) بهذه الطريقة: (الزائر) فاعل بدأ به مرفوع (وصل) فعل مطابق لفعله.

وجملة (الزائر حبيته): (الزائر) مفعول به مرفوع. (حبيته) فعل مسند الى المتكلم و(الهاء) ضمير ربط بين الفعل والمفعول به المقدم.^(٣)

ولا أدري ما هو المسوغ لهدم الشكل النحوي للغة العربية من اركانها ليصبح لدينا فاعل منصوب ومفعول به مرفوع من دون الانتباه الى ما يثيره هذا الرأي من اشكالات كثيرة.^(٤) وعجباً كل العجب لمن يرتضي ان يسير بعكس تيار آلاف الشواهد المطردة في نظامها ونسقها، ولا يقبل تفسيراً لأمثلة قليلة لا يتناقض بأي شكل من الاشكال مع بنائها النحوي (المطرود) وينسجم تمام الانسجام مع الجمل النحوية الأخرى.

وكيف تصل المسألة الى حد الغاء الإعراب وهو من أهم ما تتميز به اللغة العربية وأخواتها الساميات لا لشيء سوى عدم الرغبة بالإعتراف بجملة معقدة تشير كل الدلائل المبنية على المقابلة مع الجمل الأخرى وعلاقتها ببعضها الى تحقق ذلك فيها. ولمجرد ان صورتها تبدو قصيرة، وهي مسألة تجاوزتها القواعد الانكليزية على سبيل المثال التي نظرت الى التداخل وليس الى طول الجملة. فقد تكون لدينا جملة طويلة ومع ذلك تبقى هذه الجملة بسيطة كما في:

جاء محمد الى المدرسة عصر هذا اليوم بعد دعوته من مدير المدرسة الى حضور اجتماع أولياء الأمور. حول الطرق الصحيحة لتوزيع الكتب المقررة بشكل عادل على عموم الطلبة. في الوقت الذي تكون فيه جملة: الحديقة منظرها جميل، وجملة: صديقي الذي يحفظ عهدي. جملة (معقدة) للاكتشاف الذي فيها.

أي فيها عبارتان الأولى رئيسية لا محل لها من الاعراب والثانية عبارة مبنية عليها لها محل من الاعراب. والجملة ذات التراكيب المتعاطفة مهما بلغت من طول لا ينتهي مثل جاء محمد وجاء سعيد وجاءت هند... الخ تعد ابسط صيغة من المعقدة لهذا سميت بـ(المركبة).^(١)

(١) ينظر: مساهمة في تحديد الجملة الاسمية ١٥.

(٢) ينظر: مساهمة في تحديد الجملة الاسمية ١٤، ومن أسرار اللغة ٢٠٢-٢١١.

(٣) ينظر: مساهمة في تحديد الجملة الاسمية ١٥-١٦.

(٤) ينظر: مساهمة في تحديد الجملة الاسمية ١٢، وينظر: اللسانيات واللغة العربية ٩٩/٢-١٠٦.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وكيف يكون الاعراب لا معنى له في الوقت الذي تصبح فيه الرتبة ملتزمة عند غيابه كما في (ضرب موسى عيسى)^(١) وكيف سيميز (المهيري) الفاعل من المفعول في جملة (أكرم علياً محمد) بدون الاعراب في لغة تجيز تقديم المفعول على الفاعل مثل العربية. وهل أدل على ذلك من اختلاف المعنى باختلاف الحركة كما في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾-التوبة ٣/٩، برفع رسوله مرة وجره مرة أخرى.^(٢) ولم ينكر حتى د. المخزومي وهو من المتحمسين للكوفيين أن الاعراب فرع المعنى فوافق النحاة القدماء في أن الرفع علامة الاسناد والنصب علامة الفضلة والخفض علامة الإضافة.^(٣) ولم يختلف على هذا البصريون والكوفيون والدراسات الحديثة نفسها تؤكد على أن الاعراب (مورفيم) له وظيفة خاصة في النظام النحوي للغة العربية.^(٤)

ولهذا يمكن أن نعبر عن ضرب خالد سعيداً بطرق مختلفة تجيزها العربية عند ظهور الاعراب: خالد ضرب سعيداً، ضرب خالد سعيداً، ضرب سعيداً خالد، سعيداً ضرب خالد، سعيداً خالد ضرب، ويمنع فقط وجه واحد: خالد سعيداً ضرب. أما في حالة عدم ظهور الاعراب كما في: ضرب موسى عيسى يجوز هذا الوجه فقط وتصبح الوجوه الأخرى كلها غير ممكنة بسبب وقوع اللبس.^(٥)

وكل ما سبق يؤيد سلامة رأي البصريين فعد هذه الجملة (جملة معقدة) بناء على عدم جواز تقدم الفاعل تجنبنا الوقوع في مشكلات كثيرة لعدم وروده على نسق ثابت يمكن ضبطه ويبدو رأي البصريين منسجماً تمام الانسجام مع الأمثلة المختلفة للجملة العربية وهو يعكس علاقة الجمل الواضحة مع بعضها المبنية على قيم التقابل والاختلاف. وهو رأي يغني عن تأويلات لا حصر لها فيما لو قبل العكس.

ويعني ما تقدم أن التقديرات النحوية ليست مرفوضة كلها فقد تكون نتيجة تحويل اجباري أو اختياري. وهو ما يمكن أن نستشفه من علاقة الجمل ببعضها. وحتى لو لم نتفق مع تشومسكي في فكرة البنية العميقة والسطحية ونظرنا فقط الى علاقة الجمل ببعضها كما فعلنا في الصفحات القليلة الماضية فإننا سننتهي الى النتيجة نفسها وهي أن رأي البصريين هو الرأي الأكثر دقة والأكثر تعبيراً عن النظام.

وهذا يعني أن نعيد النظر فيما قيل حول مبدأ (التقدير) وأن لا نتسرع برفض كل التقديرات تحت ذريعة بنائها على نظرية العامل. فقد تدل عليها علاقة الجمل ببعضها وصورها المختلفة. ولو ركز النحاة العرب على هذه العلاقة منطلقين من الجملة لا من الأبواب النحوية لربما لم تكن بهم

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٥-٣٨ وكذلك ٨٢، وبناء الجملة العربية ٢٩-٣٢ وينظر: AUNIVERSITY OF GRAMMER OF ENGLISH 309.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٤٨٦/١ - ٤٨٨.

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ١١/٢.

(٤) ينظر: شرح ابن الناطم ١٦-١٧، وينظر أيضاً: في النحو العربي نقد وتوجيه ٧٢ وينظر: نحو التيسير ٦٦-٧٠.

(٥) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٥ و ٢٩-٣٣، ودراسات في علم أصوات العربية ٣٣-٣٩، ودروس في علم أصوات العربية ١٨٩-١٩٠.

(٦) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٨٧-٨٨، والعلامة الاعرابية ٢٥٧ وما بعدها، وشرح ابن عقيل ٤٨٦/١ - ٤٨٨.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

حاجة الى نظرية العامل من الأساس. وقاعدة (العامل لا يسبق المعمول) ليست المبرر الوحيد للقول بان الجملة معقدة.^(١)

وبناء على القول بعدم جواز تقديم الفاعل على الفعل لا يمكن ان نعد الاسمية محولة عن الفعلية. ولا يمكننا اثبات العكس أيضاً كما أسلفنا وبهذا تكون الاسمية والفعلية قسماً مستقلاً. فضلاً عن الوصفية والضميرية. وأي حديث عن اشتقاق أحد الأنواع من نوع آخر سيكون ضرباً من التخمين لا يمكن اثباته.

وما هو ممكن الحديث عنه هو العلاقة العامة بين الجمل مثل المثبتة والمنفية والخبرية والاستفهامية والمبنية للمعلوم والمبنية للمجهول... الخ. وكذلك تأليف جمل معقدة من جمل بسيطة.

وفيما يخص بساطة الجمل وتعقيدها تتضمن العربية جملاً بسيطة ومركبة ومعقدة ومركبة معقدة.

وفيما يخص المركبة قد تنشأ من عطف اسمية على اسمية أو فعلية أو العكس أو خبرية على انشائية أو العكس أيضاً كما يشير ابن هشام.^(٢) وينطبق هذا على الاقسام الأخرى أيضاً.

وفيما يخص (المعقدة) فقد تنشأ من اسمية واسمية أو اسمية وفعلية أو فعلية واسمية أو اسمية ووصفية... الخ أيضاً وقد يضاف الى هذا التركيب كما في العطف فتكون الجملة حينئذ مركبة معقدة واللغة العربية متشابهة مع الانكليزية في هذا الشأن. ولعل في هذا أيضاً ما يؤكد نظرة تشومسكي حول العموميات اللغوية.

رابعاً: الجملة الشرطية واشتراط الفعلية:

من المزايا التي جعلت رأي الكوفيين في جواز تقديم الفاعل على الفعل سائغاً عند د. المخزومي، هو الخروج من تقديرات البصريين المتكلفة فيما لو دخل على هذه الجملة أداة شرط يقول د. المخزومي رافضاً كون هذه الجملة جملة معقدة كما يدل عليه قول البصريين: "فقد أصبحت _أي الجملة_ بعد ذلك الاعتبار وهذا التقدير مكونة من جملتين. المسند اليه في الأولى هو البدر والمسند اليه في الثانية هو الضمير العائد على المبتدأ، ويحملنا على ان نرجع ثانية فنحوه من كونه مبتدأ الى كونه فاعلاً إذا دخلت عليه إحدى ادوات الشرط كان يقال: (إذا البدر طلع كان كذا أو كذا، وذلك لأن اذا في الشرط لا يليها الا جملة فعلية. ويكون (البدر) حينئذ فاعلاً ولكن لا للفعل الملفوظ به، ولكنه فاعل للفعل الذي يدل عليه الفعل الملفوظ به، ويكون هذا الفعل واجب الحذف لا يذكر في حال ولو ذكر فقل: اذا طلع البدرُ طلع كان كذا وكذا لكان من سخيفه ومردولة. واللغة العربية في غنى عن هذه العمليات الذهنية المعقدة التي لم توضح معنى ولا فسرت أسلوباً".^(٣)

(١) ينظر: شرح المفصل ٧٤/١، والنحو العربي نقد وتوجيه ٤٨، والجملة العربية تأليفها وأقسامها ٨٤-٩٣، وبناء الجملة العربية ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٦٢٧/٢-٦٣٢.

(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ويلحق المخزومي على رأي ابن هشام في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾- التوبة ٦/٩. الذي ذهب فيه الى ان جملة (أحد من المشركين ...) جملة فعلية بقوله: "وهو على حق في ذلك، الا أنه كان على خطأ في اجتهاده، كما اخطأ شيوخه واصحابه يحذوهم ويحدوه الى مثله نهج عقيم لا يلئم مثل هذه الدراسة. ومذهب البصريين في مثل هذه الآية قائم على تخريجات متكلفة وتأويلات لا يحتملها النص".^(١)

ويوافق د. غازي مختار طليمات المخزومي في الرأي ويرى ان عوار الرأي البصري يظهر "في تحليل الجملة المبدوءة باسم سبقتة أداة شرط كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾- الانشقاق ١/٨٤. فهم لا يعدون السماء مبتدأ، وخبره جملة انشقت على طريقتهم في تحليل الحق ظهر، ولا فاعلاً مقدماً لفعل (انشقت) المتأخر على طريقة الكوفيين في التحليل. بل يقدرون فعلاً للسماء وفاعلاً لانشقت فيجعلون الجملة الواحدة نصفي جملتين، ويذهبون الى ان التقدير: انشقت السماء انشقت هي، وفي ذلك ما فيه من تكلف لا مسوغ له".^(٢)

وليس هناك شك في أن رأي البصريين فيما يخص دخول الشرط على هذه الجمل متكلف للغاية لأنه مبني على افتراض جملتين بدلاً من جملة واحدة. وفضلاً عن ذلك الصورة التي أول الكلام عليها ركيكة وغير منطقية. لكن هذا قد يكون مبرراً لنقد البصريين في تعاملهم مع هذه الجمل التي دخل عليها الشرط، لكنه ليس مبرراً كافياً لقول الكوفيين الذي يؤدي التسليم به الى مشاكل كثيرة وارتباك في التعامل مع النظام اللغوي بأكمله كما أشرنا سابقاً.

ولا أدري مالذي يدفع البصريين الى تأويل جملة بجملتين لمجرد ان صدرها (اسم) ومن هنا تعد اسمية وهذا يتناقض مع الشرط الذي يجب ان يدخل على جملة فعلية.

والحق أن هذا الكلام قد يكون مقبولاً لو كانت الجملة التي دخلت عليها أداة الشرط جملة اسمية محضة. لكن الحال على خلاف ذلك والجمل المذكورة في هذه الأمثلة (جمل معقدة) أي تكتنف تركيباً آخر مبني على هذا الاسم. وهذا التركيب المكتنف هو (جملة فعلية) لها دلالة على الحدث والزمان وان كانت مبنية على الاسم وكانت تسمى اسمية تمييزاً لها عن غيرها. فان هذا لا يلغي انها جملة اسمية معقدة يمثل الحدث والزمان جزءاً لا يتجزأ من دلالتها الكامنة ولهذا السبب ليس غريباً ان تدخل عليها أداة الشرط. وكلا الرأيين البصري والكوفي لا يقدم وصفاً حقيقياً لطبيعة تركيب هذه الجملة. فالكوفيون يعدونها جملة بسيطة والبصريون يؤولونها بجملتين بسيطتين على خلاف طريقتهم في عدها جملة معقدة في غير الشرط. والنظرية اللغوية السليمة تحتم علينا ان لا نعد الصورة البسيطة للجملة والصورة المعقدة حالة واحدة فقد تتضمن الاسمية المعقدة جملة اسمية مكتنفة أو جملة فعلية وهنا سيكون لها معنى مختلف في كل مرة وسيكون خطأ كبيراً ان نتجاهل هذه الحقيقة. والفعلية بدورها قد تكتنف اسمية وهنا أيضاً يكون لها معنى مختلف في كل مرة.

والخلاصة ان النظر الى الجملة الاسمية المعقدة كنظرتنا الى الجملة البسيطة وعد الاسمية المعقدة التي تكتنف جملة فعلية كالتى تكتنف جملة اسمية أمر غير صائب لأن هذه الجمل غير مترادفة كما يدل على ذلك رأي البصريين والكوفيين أيضاً.

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه ٥٩.

(٢) في علم اللغة (طليمات) ١٨٨-١٨٩.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

وغض النظر عن (التعقيد) الذي تتصف به الجملة هو سبب المشكلة لأنه يؤدي الى اصدار احكام سطحية. نحتاج الى تبريرها في مواقف أخرى. ولم تلق الجملة العربية اهتماماً كافياً فيما يخص هذا الجانب فيما عدا ما اشار اليه ابن هشام على العكس من الجملة الانكليزية التي حظيت باهتمام واضح بهذا الجانب.^(١)

ولو تعامل النحاة مع الاسمية التي تكتنف جملة فعلية على انها جملة معقدة يمثل الحدث والزمان جزءاً من معناها العام ولم يقفوا عند حدود التسمية التي تطلق على الجملة لما كان هناك أي داعٍ لافتراضات الكوفيين وتأويلات البصريين، ولقيت جملة الشرط تلك كما هي من دون اي تعقيدات بعيدة عن ظاهرها.

وقد رفض د. مهدي المخزومي تقسيم جملة الشرط الى جملتين كما هو مذهب النحاة القدماء وذهب الى ان جملة الشرط بجزئها وحدة كلامية يعبر بها عن وحدة من الأفكار استحدثت بها وان النظر اللغوي يرينا جملتي الشرط جملة واحدة لا تقبل الانشطار ولو اقتصرنا على أحدهما لأصبح الكلام قاصراً ولم يمكن ان تصل الفكرة الى ذهن السامع لهذا رأى أيضاً ان إطالة الكلام في بيان ماله محل منهما وما ليس له محل من فضول القول.^(٢)

ورأى المخزومي هذا يتفق تماماً مع النظرة اللسانية لهذه الجملة التي ترى في الجملتين (فعل الشرط) و(جواب الشرط) تراكيب مكتنفة (CLUSE) وليست جملة بالمعنى المستقل. وكان يفترض به انطلاقاً من هذا المبدأ ان يتعامل معها على انها جملة معقدة لكن هذا ما لم يفعله د. المخزومي.

خامساً: الجمل الموجزة :

ربط النحاة قديماً بين الجملة والاسناد فاشتراطوا فيها ركنين هما المسند والمسند إليه. وليس هذا الشرط مقتصرأ على النحاة العرب، ويشمل الدارسين الأجانب أيضاً كما تقدم وقد رأى (بالمر) ان الجملة الانكليزية تتألف في حدها الأدنى من العبارة الاسمية (المبتدأ) والعبارة الفعلية (الخبر والتكملة). أي من مسند إليه و مسند.^(٣)

وينسب بالمر تعريف الجملة على انها (تعبير عن فكرة تامة) الى النحو التقليدي. ومشكلة هذا التعريف كما تبين سابقاً انه لا يمتلك مقياساً واضحاً ومحددأ لما يمكن ان يمثل (فكرة تامة) فهذه المسألة نسبية وتعتمد على الأشخاص انفسهم في تحديدها.^(٤)

^(١) ينظر: الجملة العربية دراسة في مفهومها ١٠٤ وما بعدها وينظر: AUNIVERSITY GRAMMAR OF ENGLISH 309-312.

^(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٦٢-٦٣. وينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق ٤١ والحذف والتقدير في النحو العربي ٢١٧.

^(٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٦، وينظر: GRAMMAR 72& IDENTIFICATION OF SENTENCE 7.

^(٤) ينظر: OXFORD DICTIONARY 1941 & WEBSTER S DICTIONARY 2018 & GRAMMAR 7& IDENTIFICATION OF SENTENCE .

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

مع ذلك يشير (بالمر) الى اننا "لا ننتج دائماً جملاً كاملة في حدها الأدنى ويكفي ان نتخيل حالة يقول فيها الشخص كلمة (جياذ) فقط. سيكون هذا جواباً لسؤال مثل: ما تلك الحيوانات في ذلك الحقل؟".^(١)

ويذكر (بالمر) ان بعض الباحثين تحدثوا عن الجملة ذات الكلمة الواحدة في وصفهم لتعابير مثل التعابير السابقة _جياذ_ لكنه يرى ان الانفع معاملتها على انها جزء من جملة، وصيغة ناقصة من (إنها جياذ)، وهذا يعني بالتأكيد اننا سنحتاج الى إعادة بناء الجملة التامة بهذه الطريقة لكي نتحدث عن معناها.^(٢) وهذا المبدأ هو الذي سار عليه (تشومسكي) في كتاب الجوانب إذ لم يشر ولو مرة واحدة الى جملة من كلمة واحدة. وكل الأمثلة والتفاصيل التي تعرض لها مبنية على أساس وجود ركنين: مسند ومسند إليه. وهذان الركنان هما الأساس في تعريف الجملة وهو تعريف (شكلي) بالتأكيد وهو يشبه أيضاً ما قاله النحاة العرب. أما تعريف الجملة على انها (تعبير عن فكرة تامة) فقد نسبته المصادر الاجنبية _كما تقدم_ الى النحو التقليدي، وهذا النحو ينتابه القصور في نواح عدة، وقد رفضت اللسانيات أغلب ما جاء به هذا النحو وخالفته في أسسه ومنهجه. ومما يثير الدهشة ان عدداً من الباحثين العرب ممن عرفوا بنقدهم لجوانب عدة في التراث العربي مستأسيين بما جاءت به اللسانيات من مناهج وآراء تمثل من وجهة نظرهم تقويماً لكثير من الآراء التي جاء بها النحاة لأنها بنيت على أسس عقلية منطقية. قد مالوا الى التعريف الآخر للجملة الذي كان شائعاً في النحو التقليدي وانتقدوا تعريف الجملة على انها عبارة عن مسند ومسند إليه. كما هو الحال مع د. ابراهيم أنيس ود. محمد حماسة. فقد عرفها د. أنيس _أي الجملة_ بقوله: "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر".^(٣) وشرح هذا التعريف بقوله: "اذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً: (من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟) فأجاب: (زيد). فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة".^(٤)

أما الجملة عند حماسة فهي: (كل كلام مستقل بنفسه ويؤدي معنىً متكاملًا) ولو كان كلمة واحدة.^(٥) ولا يكاد يختلف هذا التعريف مع ما ذكره د. أنيس فما يجمع بينهما هو ربط مفهوم الجملة بالفكرة التامة وعدم اشتراط الاسناد وهذا خلاف لما عليه اللسانيون والنحاة العرب الذين جعلوا الاسناد شرطاً أساساً في الجملة، كما هو الحال مع ابن جني الذي يقول: في تعريف الكلام انه "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل".^(٦) ويقول أيضاً انه "في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها. المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أصحاب هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبيها".^(٧) والجمل لا تكون كلمة واحدة عند ابن جني فالكلمة لا

(١) علم الدلالة (بالمر) ٤٦. وينظر: بناء الجملة العربية ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٦. وينظر: بناء الجملة العربية ٢٥٩-٢٦٩.

(٣) من أسرار اللغة ٢٣٦.

(٤) من أسرار اللغة ٢٣٦ وينظر: النحو والدلالة ٥٩.

(٥) ينظر: العلامة الاعرابية ٥٧. والنحو والدلالة ٥٩. وبناء الجملة العربية ٣٣-٥٦.

(٦) الخصائص ٥٧ وكما هو واضح من التعريف يساوي ابن جني بين الكلام والجملة.

(٧) الخصائص ٦٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

تشجي ولا تحزن والأمر عنده قائم على التركيب وتوضح أمثله وكلامه في التعليق عليها أن الجملة عنده عبارة عن الاسناد وأن أقل قدر من الكلام يجب ان يتضمن (مسنداً ومسنداً إليه).^(١) ومع ان د. حماسة قد استوحى تعريفه من ابن جني، وأمثله منه أيضاً إلا انه خالفه في عدم اشتراط الاسناد. الذي يجمع النحاة العرب على انه شرط الجملة منذ سيبويه مروراً بمن جاء بعده من النحويين على اختلاف أزمانهم ومراتبهم.^(٢)

ورأي د. حماسة في تعريف ابن جني انه غاية في الدقة والفهم وكذلك يرى أمثله التي ساقها لتوضيح تعريفه وذلك "لانه بهذا التعريف يتيح الفرصة لدراسة انماط التركيب المختلفة واعتبار كل تركيب مستقل بنفسه مفيد لمعناه جملة في صورتها التي قيلت بها".^(٣) وهذا المدح الذي يوجهه د. حماسة الى تعريف ابن جني لا يلغي حقيقة واضحة يدركها بوضوح من يتتبع رأي الاثنين وهو ان مفهومهما لـ (الاستقلال) و (تمام المعنى) مفهوم مختلف.

ويبقى الاسناد قاسماً شكلياً مشتركاً بين اللسانيين الغربيين والنحاة العرب القدماء الذين يرون ان التفاهم يتم عن طريق الجمل وهذه الأخيرة لتكون تامة لابد ان تتضمن (موضوعاً) يمكن ان يتحدث عنه. وشيئاً ما يمكن ان يقال حول هذا الموضوع.^(٤)

وانطلاقاً من عدم اشتراط الاسناد في الجملة تحدث د. حماسة عن نوع من الجمل اطلق عليه اسم (الجمل الموجزة) وهو يعني بالايجاز هنا (الحذف) فهو يقول: "أن هذه الجمل كانت تستعمل مطبئة ثم اختصرت وأوجزت فالنحويون يقصدون بالاختصار الحذف لدليل، وانما أعني ان هذه الجمل لا تتألف الا من طرف واحد، وبدلاً من ان نقول (الجمل ذات الطرف الواحد) نقول (الجمل الموجزة) لأن هذا مصطلح، وينبغي في المصطلحات ان تكون مختصرة، ولذلك فضلت هذه التسمية شريطة ان يكون هذا المعنى مراعى فيها".^(٥)

وذكر انه لم يدرج هذا النوع في قسم الجمل الاسنادية "لأن البحث لا يرتضي الاعتراف بما يسمى الحذف الواجب أو الاستتار الواجب أو الاضمار الواجب لذلك يمكن القول اجمالاً بأن كثيراً من الجمل التي حذف فيها أحد طرفيها وجوباً لدى نحائنا يعد من هذا النوع".^(٦) وأنه لم يدرج هذه الجمل في قسم الجمل غير الاسنادية التي ذكر منها: جملة الخالفة والجملة التعجبية وجملة المدح والذم وجملة خالفة الصوت والجملة الندائية والجملة القسمية والجملة التحذيرية الاغرائية، لأن هذا النوع من الجمل "تكون أجزاؤها أو بعضها على صورة مخصوصة لا يمكن التصرف فيها، ويغلب عليها ان تكون انشائية وهذا النوع ليس كذلك".^(٧) وقسم د. حماسة (الجمل الموجزة الى ثلاثة أقسام):

(١) ينظر: الخصائص ٥٧-٦٧.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٣/١، والمقتضب ٨/١، ومغني اللبيب ٤٩١/٢ وينظر: العلامة الاعرابية ١٧-٣٩ والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٣-٣٠ والنحو والدلالة ٥٩ وبناء الجملة العربية ٣٣-٥٦.

(٣) العلامة الاعرابية ٢١.

(٤) ينظر: الخصائص ٥٧-٦٧، والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٥٧-١٥٩. وينظر: GRAMMAR 72 ،

وينظر: 7-8 IDENTIFICATION OF SENTENCE

(٥) العلامة الاعرابية ٨٧.

(٦) العلامة الاعرابية ٨٨، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٨٨-٩٣.

(٧) العلامة الاعرابية ٨٨، وينظر ٩٧-١١٠. وسنعود الى الحديث عن هذه الجمل في مبحث آخر.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

أولاً: الجملة الفعلية الموجزة: وهي عنده كل فعل استتر فاعله وجوباً عند النحاة مثل المضارع المبدوء بالهمزة (أتكلم) والمضارع المبدوء بالنون (نتكلم) والمضارع المبدوء بتاء المخاطب (تتكلم) وفعل الأمر للمخاطب الواحد (استقم). التي اقترح ان نقول في اعرابها (فعل مضارع للمتكلم) وفعل مضارع للمتكلمين وفعل مضارع للمخاطب. وفعل أمر للمخاطب الواحد.^(١)

ثانياً: الجملة الاسمية الموجزة: وهي عنده "كل اسم أفاد معنى مستقلاً يحسن السكوت عليه عند ذكره".^(٢) وهذه الجمل هي:

- الاسم المرفوع بعد لولا الامتناعية بشرط ان تفيد مع هذا الاسم معنى مستقلاً مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾-النور ١٠/٢٤-٢٠.

ويعرب على أنه اسم مرفوع بعد لولا.

- الاسم المرفوع المعطوف عليه اسم آخر بواو المعية مثل (كل رجل وضيعته) التي يقدر لها النحاة خبراً محذوفاً هو (مقترنان) ويرى حماسة اعرابها كالاتي: (كل) اسم مرفوع مصاحب (رجل) مضاف إليه. (الواو) عاطفة بمعنى مع، (ضيعته) معطوف عليه.

- المصدر المضاف الواقع بعده حال لا يصلح للاخبار مثل (ضربي زيداً قائماً) و(أتم تبيني الحق منوطاً بالحكم). ويرى حماسة انه (مصدر محول من الفعل للتكرار وليس مبتدأ لأن هذا يؤدي الى تقدير خبر كما فعل النحاة القدماء.

- المصدر الذي يجاء به بدلاً من اللفظ بفعله سواء أكان يقصد به الخبر أم الانشاء. وسواء أكان مرفوعاً أم منصوباً مثل (سمع وطاعة) و(صبرٌ جميل) والمصادر التي يدعى بها مثل: تراباً وجندلاً وكذلك: مرحباً وأهلاً... الخ. ويكفي ان نقول في اعرابها كما يرى د.حماسة مصدر مرفوع ومصدر منصوب.^(٣)

ثالثاً: الجملة الجوابية الموجزة: ويعني بها: كل ما كان إجابة لسؤال وكان مكتفياً بنفسه مغنياً في موقفه عما سواه مفهوماً للمراد كقولنا (نعم) جواباً عن سؤال ما.^(٤)

ولا يبدو أن د. محمد حماسة قد ابتعد كثيراً عما ذهب اليه نحائنا القدماء فيما سبق. وأن رأيه في مجمل ما ذهب اليه ليس أكثر من ابدال مصطلحات بمصطلحات أخرى دون ان يؤدي ذلك الى حل مشكلة بل على العكس قد يثير رأيه مشكلات أخرى. فضلاً عن ذلك يخلط د. حماسة بين دراستين مختلفتين: دراسة الجمل بمعزل عن السياق (أي وصف القدرة اللغوية) ودراسة الجمل في ضوء السياق (أي دراسة الأداء) وما يتضمنه من ظواهر سياقية مختلفة.^(٥)

ومجال الدراستين مختلف تماماً. والجمل التي ذكرها في أمثلته هي جمل وثيقة الصلة بالسياق لا تكاد تنفك عنه، شأنها شأن أي جمل أخرى تتضمن حذفاً.^(٦) و(الحذف الواجب) الذي قال به

(١) ينظر: العلامة الاعرابية ٩٠-٩١ وبناء الجملة العربية ٢٦٩ وما بعدها وينظر: تيسيرات لغوية ٢٩-٣٠، ونحو التيسير ١٢٥-١٢٦.

(٢) العلامة الاعرابية ٩١. وهذا التعريف كما هو واضح استوحاه حماسة من تعريف النحاة العرب لمصطلح (الكلام).

(٣) ينظر: العلامة الاعرابية ٩٤-٩٥، وينظر: تجديد النحو ٢٣٥-٢٣٧.

(٤) ينظر: العلامة الاعرابية ٩٥-٩٦.

(٥) ينظر: القاعدة النحوية ١٣٧ وما بعدها و ١٤٠ وما بعدها.

(٦) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

النحاة العرب لا يصلح ان يكون دليلاً كافياً ضدهم. ويمكن ان ينظر إليه بوصفه قرينة سلبية (علاقة غياب) تُشكل مع ظهور العناصر الأخرى ذات العلاقة الموجبة (علاقة الحضور) النسق اللغوي القائم في حقيقته على الفوارق التي يمثلها ظهور عناصر في تعبير لغوي ما وغياب أخرى. وهذا هو معنى (النظام) الذي يعني العلاقة اللغوية بين العناصر.

فكما نميز بين الاسم والفعل بامكان وجود التثوين في الأول وعدم وجوده في الثاني وبامكان خفض الأول وعدم امكانه في الثاني. ونميز بين الفعل المتعدي واللازم بوجود الهمزة في الأول وعدم وجودها في الثاني كما في كرم زيد وأكرم زيد خالداً. وكذلك نميز بين الفعل المضارع الذي للغائب والفعل المضارع الذي للمتكلم أو المتكلمين أو للمخاطب بامكان ظهور الفاعل الأول (اسم صريح) أو استتاره (مضمر جوازاً). وعدم جواز غير الاستتار في باقي الأمثلة.

وقد تكون وسيلة القدماء للوصول الى هذه القاعدة خاطئة لكونها مبنية على أساس نظرية العامل وان العامل لا بد له من معمول. لكن فهم العلاقات اللغوية بين عناصر الجملة العربية يؤكد صحة هذه القاعدة. وان افتراض (العامل والمعمول) ليس أكثر من وسيلة تعليمية مساعدة.^(١) ويظهر من كلام د. حماسة أنه ناقض نفسه ضمناً حينما ذكر مصطلح (الحذف) ومرة أخرى حينما ذكر أن هذا النوع من الجمل كان يستعمل مطبئاً ثم اختصر وأوجز.

وهذا الأساس الذي لا بد منه في التعامل مع هذه الجمل يؤكد وجود صورتين لها الأولى: ذهنية تمثل الأصل، والثانية: سياقية تمثل الفرع. (هذا إذا لم نرد ان ندخل الحديث عن بنية سطحية وعميقة في صلب هذا الموضوع بسبب تغير آراء جومسكي فيما يخصه).

وإذ عدنا الى أمثلة حماسة التفصيلية وآرائه بشأنها وجدناها لا تختلف عن آراء نحائنا القدماء في كونها تراعي صورة ذهنية مجردة بمثابة الأصل للجمل التي ذكرها وان ما فعله هو تغيير للمصطلحات ليس أكثر لاسيما فيما يخص الجمل الفعلية الموجزة.

فقوله في (اتكلم) فعل مضارع للمتكلم. بمثابة قول النحاة العرب ان الفاعل هو ضمير المتكلم. وقوله في (نتكلم) أنه فعل مضارع للمتكلمين بمثابة قولهم ان الفاعل هو ضمير المتكلمين وقوله في فعل الأمر (استقم) فعل أمر للمخاطب الواحد بمثابة قولهم ان الفاعل ضمير مستتر مفرد مذكر. وفي الحالتين ينسب الفعل الى فاعل قام به. لكن النحاة العرب يفصلون تحليلهم للجملة أما حماسة فيوجز قوله فيها.

ورأي النحاة يبدو منسجماً جداً ومتناسقاً فهو قائم على رصد العلاقة اللغوية بين العناصر فهم قارنوا (استقم) بالأمثلة الأخرى مثل: استقيما استقيموا، استقم، استقيمي... الخ من الأمثلة الأخرى وبهذا استخلصوا الحذف الذي يمكن ان نقول عنه بالمصطلح التحويلي انه (تحويل اجباري) في قواعد بناء الجملة العربية، أو بعبارة بنيوية عامة قائمة على متابعة العلاقات بين العناصر: ان هذا الحذف أصبح واجباً لأن ظهور الفاعل في الأمثلة الأخرى اغنى عن ذكره، لأنه أصبح مفهوماً ومعلوماً من خلال مقابلته مع الأمثلة الأخرى أو الجمل الأخرى.

وفيما يخص (لولا) واكتفاءها بالمرفوع. فقد اشترط حماسة أن تفيد مع مرفوعها معنىً مستقلاً. ومجرد وجود هذا الشرط يعني الحاجة الى تقدير خبر في أحيان أخرى لأن المعنى لا يكون مستقلاً بدونه. وهنا نتساءل ما الداعي الى وضع قاعدتين تكون جملة (لولا) بموجب الأولى منها (جملة

(١) ينظر: القاعدة النحوية ٢٦ وما بعدها.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

موجزة) وبموجب الثانية (جملة اسنادية) وهذا الرأي المبني على الجزئيات فقط لا يمكن ان يقف بقوه بوجه قاعدة تستند الى مراعاة العلاقات المختلفة في جميع نواحي الاستعمال واستخلاص القاعدة منها.^(١)

فضلاً عن ذلك ان مفهوم (المعنى المستقل) مفهوم غامض كما تقدم وهو يعتمد على الأشخاص انفسهم ولا يخضع لقاعدة عامة.

ومما يؤيد رأي النحاة العرب ظهور هذا الجزء المحذوف في بعض الأحيان اذا لم يكن كوناً عاماً يمكن ان يفهم من خلال السياق كما في قول الشاعر:

يذيب الرعبُ منه كلَّ عَصْبٍ
فلولا الغمدُ يمسكُهُ لسالا.^(٢)

وقول امرأة ترثي زوجها:

فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لزعزع من هذا السرير جوانبه^(٣)

وقد أخطأ حماسة مرة أخرى حينما بنى كلامه على رأي واحد قال به القدماء وهو (وجوب حذف خبر لولا) وتجاهل الآراء الأخرى التي تفصل القول في هذا الحذف على الشواهد المختلفة. فخير(لولا) قد يكون كوناً عاماً كالوجود المطلق. وقد يكون كوناً خاصاً كالقيام والقعود. فاذا كان كوناً عاماً وجب حذفه نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ - سبأ ٣١/٣. واذا كان كوناً خاصاً. يجوز حذفه اذا كان في الكلام دليل عليه. كما في (لولا انصار محمد لهلك)، وذلك لأن كلمة (انصار) تدل على أن الخبر تقديره (لولا انصاره حموه أو دافعوا عنه أو نحو ذلك). أما اذا لم يكن في الكلام دليلٌ عليه فلا يجوز الا ذكره وبهذا يكون لخبر (لولا) ثلاثة أحوال من حيث الذكر والحذف.^(٤)

وبمقتضى رأي د. حماسة سنعرّب الاسم المرفوع بعد (لولا) بطريقتين مختلفتين في الأولى نكتفي باعراب الاسم المرفوع بعد لولا بقولنا (اسم مرفوع بعد لولا) وفي الثانية نعرّبه مبتدأ، بسبب وجود الخبر.

ويجب ان يقدم د. حماسة تفسيراً مقبولاً ايضاً لاكتفاننا بذكر الصيغة الصرفية حيناً وذكر الوظيفة النحوية أحياناً أخرى.

وفيما يخص باقي الأمثلة: (اهلاً وسهلاً) و(سمعاً وطاعة) فانها محولة من صيغة مطبنة باعتراف (حماسة) نفسه ولكثرة الاستعمال دور كبير فيما يخص هذه الجمل وأمثالها وحذف اجزائها الأخرى اكتفاءً بدلالة السياق ولعدم وقوع اللبس لا يخرجها عن أصل الاسناد.

أما فيما يخص (كل رجل وضيعته) و(ضربي زيداً قائماً). فمن الواضح أنَّ لهذه الأمثلة طابعاً خاصاً، ولا يستبعد ان لها أصلاً سامياً، ولا سيما اذا أخذنا باعتبارنا ما ذكره (برجشتراسر) من أمثلة مشابهة كما في (كل امرئ فله رزقه) التي اقحمت فيها (الواو) بين المبتدأ والخبر. ويمكن أن يكون أصل (كل رجل وضيعته) هو (كل رجل وله ضيعته) على غرار (كل امرئ فله رزقه) ولا سيما ان

(١) ينظر: القاعدة النحوية ١٦٣ وما بعدها.

(٢) البيت لابي العلاء المعري ينظر: سقط الزند ٥٣.

(٣) ينظر: شرح شذور الذهب ٣٦، ومغني اللبيب ٣٥٩/٢.

(٤) ينظر: شرح شذور الذهب ٣٦-٣٧، وينظر ايضاً مغني اللبيب ٣٥٩/٢-٣٦٤، ورأي وجوب الحذف مطلقاً هو رأي الجمهور من النحاة.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

بعض اللهجات العربية تبدل الفاء (واواً).^(١) وربما كان الأجدر بمثل هذه الجمل ان تعامل بناء على هذه النظرة. وأيا كان الأمر تبقى هذه الأمثلة امثلة قليلة نادرة لا تقوى على نقص قاعدة مطردة عامة مبنية على الأغلبية الغالبة من كلام العرب وليس غريباً ان تتضمن اللغات الانسانية على اختلافها بعض الأمثلة الشاذة أو النادرة وهذه مسألة طبيعية لسعة هذه اللغات وتفرعها، وهذا هو رأي تشومسكي أيضاً، وقد أشرنا إليه فيما سبق.^(٢)

أما (نعم) و(لا) وما يشبهها فلا تفيد شيئاً بمعزل عن السياق. وهي وثيقة الصلة بالجمل التي تقع جواباً عنها. لهذا كان من الأنفع ان لا ينظر إليها بمعزل عن هذه الجمل. وهذا الترابط القوي ينفي عنها صفة الاستقلال الذي يقول به حماسة. وهذا يرجح القول بحرفيتها أيضاً لأن مثل هذه العبارات لا معنى لها بنفسها وانما يكون لها معنى فقط اذا نظر إليها في ضوء الجمل التي تجيب عنها، واذا تم تجاهل السياق فان القول فيها لا يختلف عن القول في الكلمات الوظيفية (الشكلية) الأخرى التي لها قيمة داخل النظام ومعنى يستند الى علاقتها بالعناصر الأخرى، ولا تشير الى شيء خارج دائرة اللغة.

وما سبق يدل على ان بعض اقتراحات العرب المحدثين تثير مشكلات جديدة أيضاً، اكثر مما تقدم من حلول. وكل ما تقدم يمكن ان يعد سبباً اضافياً الى الاعتداد بالشكل اللغوي في التحليل النحوي القائم على علاقة العناصر ببعضها. ولا يعني هذا استبعاد المعنى على غرار ما دعا اليه البنيويون التوزيعيون. فالمعنى جزء من مكونات القواعد لم يعد أحد يختلف فيه وانما يعني القول بفصل النحو عن الدلالة الذي كان تشومسكي ولا يزال من أبرز القائلين به خلافاً للدالين التوليديين.^(٣)

وهناك ملاحظة مهمة أخرى فضلاً عن كون الجمل المقطعة وثيقة الصلة بسياقها وارتباط الحذف بخاصية الابدال أي استعمال الضمائر والصيغ المماثلة بدلاً من بعض كلمات الجملة تجنباً للتكرار. وتتمثل هذه الملاحظة بعوامل أخرى لها علاقة مباشرة بالدماغ البشري والإدراك فغالباً ما نفشل بسبب ضعف في الذاكرة أو عدم اهتمام في ان ننتج جملاً تامة أو قواعدية. فنحن نقطع الجملة أو ننسى كيف بدأنها أو نخلط بين تركيبين أو أكثر، مع هذا فان تفسير هذه الجمل الناقصة يعتمد على علاقتها بالجمل القواعدية. ولا نستطيع ان نميز الجمل المقطعة أو الجمل غير القواعدية أو الناقصة الا اذا عرفنا ما الجملة القواعدية الكاملة".^(٤)

وقد يلجأ المتكلم الى انشاء جملة ناقصة ثقة منه بمعرفة سامعه بالجملة القواعدية بما يمكنه من فهم كلامه مع اختصاره أو حذف بعض عناصره، ولهذه الأسباب رأى تشومسكي ان (الاداء) لا يمكن ان يكون انعكاساً للقابلية اللغوية الا تحت شروط مثالية "فلو قرأنا تسجيلاً لكلام طبيعي لوجدنا

(١) ينظر: التطور النحوي ١٣٧-١٣٨ وينظر أيضاً ١٣٢-١٤٠.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٥٣، وينظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

(٣) ينظر: مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي ٩، ومدخل الى الدلالة الحديثة ٩ وما بعدها. يرى (تشومسكي) كما تقدم ان (الكون النحوي) مكون خلاق يستطيع ان يبدأ عملية تكوين البنية العميقة التي يضيف عليها المكون الدلالي معنى معيناً. في حين يرى الدالليون التوليديون الذين برزوا في مؤتمر عقد في أمريكا عام ١٩٦٧ ثم خبا بريقهم في السبعينات ان (المكون الدلالي) مكون خلاق يكون ما يشبه بنية تشومسكي العميقة ثم يضيف عليها المكون النحوي وهو خلاق عندهم السمات النحوية الضرورية. ينظر: شطايا لسانية ٥٩-٦١.

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٤٧، وينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٧ وما بعدها.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

انه سيبدأ ببدايات خاطئة عديدة، فقد ينحرف عن القوانين أو قد تتغير طبيعة جملة في منتصف الطريق. والمشكلة التي يواجهها اللغوي كما يواجهها الطفل الذي يتعلم تلك اللغة هي ان يقرر من مادة الأداء اللغوي ماهية الانظمة التحتية UNDERLYING SYSTEMS التي يجيدها المتكلم السامع التي يستخدمها في أدائه اللغوي".^(١) ولهذا السبب كانت النظرية اللغوية نظرية ذهنية بالمعنى الفني عند تشومسكي " لأنها تختص باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة وراء السلوك".^(٢)

ولم يلجأ المتكلم الى قول (زيد) جواباً للسائل من جاء مكتفياً بها فقط لو لم يكن عارفاً بالصيغة القواعدية الكامنة للجملة، ولم يلجأ النحو الى تقدير فاعل في مثل (اكتب) و(نكتب) و(أكتب) بصيغة الأمر لو لم يكن مدركاً لأهمية الصيغة القواعدية الكاملة في فهم المعنى ولو لم تكن هناك صيغة قواعدية كاملة يرد إليها الكلام لأصبح التفاهم صعباً حتى مع وجود السياق. فالظواهر السياقية تعتمد في كثير من جوانبها على معرفة المتكلم الضمنية بقواعد لغته، ومن هنا لم يجز ان نسوي بين الظواهر السياقية اللغوية (القدرة) الذهنية لصاحب اللغة. وهذا يعني ان تقدير فاعل لكل فعل ليس خطأ ولدته (نظرية العامل) بل هو حقيقة منطقية مبنية على الاستنتاج العقلي السليم، وكذلك تقدير خبر للمبتدأ أو العكس. فالمنطق هو جزء من اللغة والقدرة اللغوية شأنها شأن القدرات الأخرى الاجتماعية والرياضية والنفسية مرتبطة بالدماغ ويجب ان تربط هذه القدرة بالقدرات الأخرى أيضاً من اجل فهمها فهماً كاملاً أو يقترب من الكمال. من دون ان يعني هذا ان كل ما في اللغة خاضع للمنطق كما تقدم اذ ليس هناك من سبب منطقي يجعل العربية تعبر عن العدد بالمفرد والمثنى والجمع والانكليزية تعبر عن هذا بصيغتين فقط. ومثل هذا يمكن ان يقال عن التذكير والتأنيث والمطابقة وعدمها... الخ.^(٣)

أي ان المنطق جزء من اللغة، لكنه ليس كل اللغة، وان بعض التقديرات النحوية تتسجم مع القدرات العقلية والتفكير السليم والسبب الذي يجعلنا نقدر فعلاً للفاعل وخبراً للمبتدأ هو السبب نفسه الذي يجعلنا نعد جملة (جنّت غداً وسأتيك أمس) وجملة (حملت الجبل) ونحوها جملاً خاطئة. وليس هناك داع لكل هذا الخوف من المنطق الذي افردت له الدراسات الغربية مؤلفات عدة فيما يخص علاقته باللغة (المنطق اللغوي) ولا من النظرة العقلية.^(٤) بل ان بعض أخطاء النحاة كان سببها عدم وجود ادراك عقلي سليم لبعض القضايا كما رأينا فيما يخص الجمل المعقدة المكتنفة وتأليف جملة من جملتين بسيطتين.

وهو ما دفعهم الى التعسف في بعض تقديراتهم التي جاءت متكلفة ليس بسبب النظرة العقلية وانما بسبب الحرص على اطراد القاعدة بدون تقديم مبرر مقنع. ولا يمكن ان ننكر ان معظم

(١) جوانب من نظرية النحو ٢٨. والصواب (التي) بدون (واو).

(٢) جوانب من نظرية النحو ٨٨. وينظر: بناء الجملة العربية ٢٩.

(٣) ينظر: شظايا لسانية ٣١، وينظر أيضاً التركيب اللغوي للأدب ١٤ وما بعدها ونحو التيسير ١٢٣-١٢٤ والحذف والتقدير في النحو العربي ١٤٧-١٤٨، وينظر: الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١١٥. واللغة العربية تقسم الاسم الى مذكر ومؤنث في حين تقسم الانكليزية (الاسم) الى: مذكر ومؤنث ومحاييد. وليس هناك سبب منطقي لهذا التمايز.

(٤) أول من طرق باب علم الدلالة المنطقي في اللسانيات بالمر في كتابه علم الدلالة ينظر ٢٠٣ وما بعدها وينظر شظايا لسانية ٣١-٣٨، وينظر اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٩ وما بعدها.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

الاستدلالات مما يجري في عالم الناس تتم صياغته في اللغة الطبيعية، شئنا ذلك أم أبينا. كذلك هناك الكثير من استعمالات اللغة الطبيعية التي تستخدم الاستدلال بوجه ما. لهذا السبب يجب ان لا نستغرب اذا اكتشفنا ان البنية المنطقية اللازمة لاستعمال اللغة الطبيعية كأداة للاستدلال ينبغي ان تطابق تمام المطابقة البنية النحوية للغة الطبيعية.^(١)

وباختصار ان اشتراط الاسناد في الجملة ينسجم تماماً مع التفريق بين مستويين من مستويات اللغة هما الكفاءة (القدرة)/الأداء. ومع حقيقة كون القدرة اللغوية هي قدرة ادراكية تتحكم بها عمليات دماغية، وتنسجم أيضاً مع البنية المنطقية التي تستعمل اللغة كأداة للاستدلال. فضلاً عن كل ما تقدم يمكن إرجاع الامثلة التي سيقى لاثبات وجود جمل موجزة الى ملابسات السياق الذي لا تنفك مثل هذه الجمل عنه. وتبقى الصورة القواعدية الكاملة هي الأساس والمرجع الذي يستند إليه في ادراك هذه الجمل وفي فهم معانيها. وان اشتراط الاسناد في الجملة يتطابق تماماً مع الحقائق التي تقدمها الدراسات اللسانية ولا تتناقض معها بأي شكل من الأشكال.

سادساً: شبه الجملة والتعليق بالأفعال.

تبين لنا فيما سبق ان كثيراً من تقديرات النحاة وتأويلاتهم لا تتعارض مع اللسانيات وانما تنسجم مع فهمنا العام للنظام اللغوي وطبيعة العلاقة القائمة بين عناصره وهي علاقة قائمة على التشابه والاختلاف والمقابلة بين العناصر، الا انه لا يعني ان كل ما قدره النحاة يمكن التسليم به إذ بنيت بعض تقديرات النحويين على افتراض خاطئ وتعسف لا يمكن تجاهله كما هو الحال مع جملة الشرط التي اختلف بشأنها بين البصريين والكوفيين. وقد ذكرنا في حينه ان عدم التدقيق في بنية الجملة وعدم التمييز بين جمل بسيطة ومركبة ومعقدة كان أحد الأسباب التي أدت الى هذا التعسف. وهنا نريد أن نشير الى نوع آخر من التقديرات خارج نطاق ركني الإسناد (المسند) و(المسند إليه) وهو يرتبط أشد الارتباط بالأفعال ويخص هذا التقدير شبه الجملة (الجار والمجرور) و(الظرف).

فقد نبه نحائنا القدماء الى الصلة الوثيقة بين هذين النوعين والفعل بل عدوهما من متعلقات الفعل. ولا سيما البصريون الذين قدروا لهما فاعلاً محذوفاً هو (استقر) وبعضهم قدر اسم فاعل (مستقر). أما الكوفيون فذهبوا الى ان الظرف في نحو (زيد أمامك) و(عمرو وراءك) ينتصب على الخلاف اذا وقع خبراً للمبتدأ الا ان بعض الكوفيين يقدر فعلاً أيضاً وهو (ثعلب) الذي يرى انه ينتصب لأن الأصل في (أمامك زيد) هو (حل أمامك) فحذف الفعل وهو غير مطلوب واكتفي بالظرف منه فبقي منصوباً على ما كان عليه مع الفعل.^(٢)

وقد انتقد ابن مضاء هذا التقدير ورأى فيه تعسفاً قبل ان ينتقده المحدثون كما في قوله: "وكذلك يقولون في (رأيت الذي في الدار) تقديره: رأيت الذي استقر في الدار. وكذلك (مررت برجل من

^(١) ينظر: اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي ٩ وينظر أيضاً التركيب اللغوي للأدب ١٤ وما بعدها والحذف والتقدير في النحو العربي ١٤٧ و٣٣١-٣٣٤، وربما لهذا السبب ارتبط مفهوم الجملة بالقضية، ومن الجدير بالذكر أن أحد معاني SENTENCE في الانكليزية هو (حكم) أو قرار ينظر: WEBSTER s DICTIONARY 2018. وينظر أيضاً النزعة المنطقية في النحو العربي. OXFORD DICTIONARY 1941.

^(٢) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف مسألة ٤٤/١(٦) ومسألة ١٩٧/١(٢٩)، وينظر: ابن الانباري في كتابه الانصاف ٢١١-٢١٣، والحذف والتقدير في النحو العربي ٥٠.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ريش) تقديره: كائن من ريش. وكذلك (رأيت في الدار الهلال في السماء) تقديره: كائنًا في السماء. وهذا كله كلام لا يفتقر السامع له الى زيادة: كائن ولا مستقر. واذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعي هذا الاضمار^(١).

ويتفق بعض المحدثين مع رأي ابن مضاء. ولاسيما من حاول منهم تجديد النحو أو تيسيره كما تشير اليه عناوين المؤلفات ومن هؤلاء د. شوقي ضيف الذي رأى في تقدير (فعل) أو (اسم فاعل) تكلفاً لا حاجة إليه بل هو من وجهة نظره (بعد في التكلف) لهذا "حق لابن مضاء ان يهاجم النحاة فيه وان يقول ان الظرف والجار والمجرور هما انفسهما اللذان يقعان خبراً أو نعتاً أو حالاً"^(٢). ولتشومسكي في كتاب الجوانب رأي فيما يخص تعلق الظرف وما نسليه أشباه الجمل بالأفعال. قد يؤدي الى تغيير موقفنا الرافض بشدة لما تأوله النحاة في هذا الشأن أو على الأقل قد يؤدي الى تفهم وجهة نظرهم وعدم التسرع في نقدهم. فهو يذكر في كتاب الجوانب "أن كثيراً من ظروف الكيفية"^(٣) مثل كثير من الظروف الأخرى هي تحويلات من جمل ذات فواعل محذوفة"^(٤). ويمثل لذلك بجملة:

جون ألقى محاضرة بحماس كبير

-JONE GAVE A LECTURE WITH GREAT ENTHUSIASM.

التي فيها الظرف _ وهو يقصد الجار والمجرور _ بحماس كبير.

اذ يرى تشومسكي ان هذا الظرف له سلسلة أساسية هي (جون يملك حماساً كبيراً):

-JONE HAS GREAT EUTHUSIASM .

ويلاحظ هنا ان (باء الجر) WITH هي بصورة عامة تحويل لـ(يملك) have. وهذه السلسلة يحذف منها بعدئذ العبارة الاسمية المكررة (جون) كما هو المعتاد. أي ان البنية العميقة للجملة السابقة تتألف من سلسلتين تحتيتين: (جون ألقى محاضرة) و(جون يملك حماساً كبيراً). ثم حذف الاسم (جون) لتكراره عن طريق قواعد التحويل وحذف الفعل يملك وعوض عنه بالظرف وهكذا تولدت الجملة السابقة. وهذا هو الحال أيضاً مع الجمل العربية والانكليزية المشابهة.^(٥) مثل جملة:

قاتل الجندي العدو بشجاعة كبيرة.

وجملة: ينجز محمد عمله باخلاص.

وغير ذلك من الجمل التي تتكون بنيتها العميقة من سلسلتين تحتيتين على غرار الجملة السابقة.

ولا تخص ملاحظة (تشومسكي) شبه الجملة الذي يقع في موقع الحال فهو يقول انه على غرار الجملة السابقة "يجب اعتبار ظرف المكان (وفي الأقل تلك التي تعمل كمكملات للعبارة الفعلية) في بعض الأحيان، أو ربما دائماً، تحويلات عن جمل"^(٦).

(١) الرد على النحاة ٢٣، وينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي ١٥٧، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٩-١١٥.

(٢) تجديد النحو ٢٥، وينظر: ٢٤-٢٥ وينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي ٥٠، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٩-١١٥.

(٣) يعني بذلك الظروف التي تعبر عن الحال كما سيتضح من الأمثلة.

(٤) جوانب من نظرية النحو ٢٥٣.

(٥) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٥٣، واللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٤.

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٥٣.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

فجملته: قرأت الكتاب في انكلترا. I READ THE BOOK IN ENGLAND.
مشقة من وجهة نظر تشومسكي من بنية تحتية تشبه جداً.^(١) تلك التي تقع تحت:

قرأت الكتاب حين (كنت) في انكلترا.

I READ THE BOOK WHEN I (WAS) IN ENGLAND .^(٢)

وبهذا لا يختلف رأي النحاة العرب عن رأي (تشومسكي) في أن جملاً مثل جملة:

زيد في الدار

محمد عندك...الخ

أصلها يكون في الدار أو كائن في الدار، ومحمد يكون عندك أو كائن عندك.^(٣)

لكن الاختلاف بين الرأيين يكمن في طريقة التعامل مع اشباه الجمل التي ترد ضمن جمل فعلية

مثل:

-جلس زيدٌ في البيت.

-ذهب محمد الى المدرسة.

-مررت بالحديقة.

فهنا لا يقدر النحاة فعلاً محذوفاً أو اسم فاعل لوجود الافعال في مثل هذه الجمل. التي هي جمل بسيطة في الحقيقة والصلة واضحة بين (الجار والمجرور) في هذه الجمل والافعال الواردة فيها هي صلة قوية أيضاً. ولا يختلف موقف النحاة هنا عن رأي تشومسكي كما هو الحال مع الجمل الاسمية التي يقع فيها شبه الجملة ظرفاً. لكن الاختلاف يمكن ان نجده بوضوح فيما يخص التعامل مع جملة فعلية أخرى مثل هذه الجمل:

-لقى الاستاذ المحاضرة بحماس كبير.

-وقاتل الجندي العدو بشجاعة كبيرة.

-زرع محمد الحقل بحرص كبير.

-وحصل أحمد على تقدير امتياز في مرحلة الاعدادية.

-وقرأ خالد الكتاب في القطار.

إذ لا يتعامل (تشومسكي) مع هذه الجمل كما يتعامل مع جمل من قبيل:

-قاتل الجندي في المعركة.

-يعمل الفلاح في أرضه.

وموقفه معها أكثر تعقيداً أو بعبارة أخرى أكثر تجريداً من النحاة العرب. فهنا تكون أشباه الجمل محولة عن جمل فعلية أو اختصاراً لجمل فعلية: يملك حماساً كبيراً، يملك شجاعة كبيرة، عندما كان في مرحلة الاعدادية، عندما كان في القطار.

^(١) تقدم ان البنية العميقة هي بنية نظرية تقريبية نرسمها للبنية السطحية للجمل لهذا استعمل تشومسكي هنا عبارة (تشبه)

^(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٢٥٣.

^(٣) وقد يعطي هذا وجهة لبعض تقديراتهم الأخرى كما في الاضافة خيط حرير التي تألوها (من حرير) وبيت زيد التي تألوها على التملك (لزيد) ، ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي ١٤٠.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

أي ان هذه الجمل تتألف بنيتها العميقة من سلسلتين تحتيتين. وتولدت بنيتها السطحية السابقة بعد ان عملت عليها بعض القوانين التحويلية فاصبحت تحت هيمنة الأفعال المذكورة بعد ان كانت في السلسلة التحتية تهيمن عليها أفعال أخرى.

وسبب هذا الاختلاف ان النحاة العرب لم يُولوا مسألة تركيب جملة من جملتين أهمية كبيرة. واذا كان بعضهم قد تحدث عن جمل معقدة وبسيطة (صغرى وكبرى) كما هو الحال مع ابن هشام الا أنَّ هذا كان مجرد اشارة عابرة لم يكن لها أي أثر على تحليله النحوي للجمل.

وعدم الاهتمام بهذا الجانب والتفكير بالعامل فقط جعل تحليلهم عميقاً _إن صحَّ التعبير_ فيما يخص الجمل الاسمية التي خبرها شبه جملة. وسطحياً مع الجمل الفعلية (لوجود العامل)، أما (تشومسكي) فكان تحليله عميقاً في الحالتين لأن نظريته العقلية ومحاولته فهم العمليات الذهنية التي تجري في الدماغ قبل ان يتم النطق بالجمل جعله يركز على هذه المسألة على نحو مباشر ولا يمر بها مروراً عابراً.

وربما كان لاختلاف طريقة النحاة في التعامل مع الجمل في كل مرة أحد أسباب وصف النحو العربي بالتعقيد والصعوبة.

وهنا يجب ان نلاحظ أنَّ بعض الجمل التي تتكون من سلسلتين تحتيتين في بنيتها العميقة ليس بالضرورة ان تنتج جملاً معقدة وانما قد تكون الجمل الناتجة جملاً بسيطة أيضاً كالجمل السابقة إذ لا توصف هذه الجمل بالتعقيد ما لم يكتنف تركيب اسنادي (مسند ومسند إليه) في تركيب آخر أكبر منه كما تقدم.

وهنا يتضح لنا مرة أخرى ان النظر الى (الاعراب) وحده لا يمكن ان يكشف كل ما يتعلق بالجملة، وربما يؤكد لنا هذا أيضاً ان نظرية العامل ليست أكثر من وسيلة تعليمية مبسطة في بداية نشأة النحو العربي قبل ان يدخلها ما يدخلها من تعليل في العصور اللاحقة وقبل ان يحاول النحاة فيما بعد تعليل كل شيء في اللغة حتى تلك الجوانب التي لا يبدو أن هناك علة واضحة لها مثل العدد والتذكير والتأنيث والمطابقة... الخ وهي مسائل تختلف باختلاف اللغات والعلل التي ذكرت فيها لا تقوم على دليل سليم وانما هي ضربٌ من التخمين.

وثمة مسألة أخرى نبه اليها (تشومسكي) وهي اختلاف درجة التماسك بين عبارة الجر والفعل. فمن المعروف جيداً كما يقول "أنه في تراكيب (فعل_عبارة جر) يمكن لنا ان نستخرج درجات متفاوتة من التماسك COHESION بين الفعل وعبارة الجر التي تأتي معه".^(١) وهو يوضح هذه المسألة من خلال تراكيب فيها غموض مثل:

-HE DECIDED ON THE BOAT.

التي يمكن ان تعني (اختار السفينة) أو (أخذ قراراً حينما كان على السفينة) وكلا العبارتين تظهر في الجملة:

-HE DECIDED ON THE BOAT ON THE TRAIN .

-اتخذ قراره على السفينة في القطار.^(٢)

^(١) جوانب من نظرية النحو ١٢٨.

^(٢) أجد هذه الترجمة أقرب الى الجملة الانكليزية المذكورة من ترجمة د. مرتضى (قرر على السفينة في القطار) التي لا تخلو أيضاً من الركة وضعف الأسلوب.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

يقول تشومسكي: "ومن الواضح ان عبارة الجر الثانية في الجملة الثانية هي ببساطة ظرف مكان PLACE- ADVERBIAL وهو مثل ظرف الزمان TIME- ADVERBIAL ليست له صلة خاصة بالفعل ولكن في الحقيقة يتعلق بالعبارة الفعلية كلها، أو ربما الجملة كلها".^(١) لهذا يمكن ان تقدم عبارة الجر الثانية اختيارياً على الجملة. ولا يمكن ذلك مع عبارة الجر الأولى التي هي ذات تركيب وثيق بالفعل. والحديث عن مسألة التقديم هذه يخص الانكليزية كما هو واضح.^(٢)

ويذكر تشومسكي أيضاً "أننا نجد ظروف الزمان والمكان تظهر بحرية مع أنواع عديدة من العبارات الفعلية بينما نجد من الناحية الأخرى ان انواعاً عديدة من عبارات الجر تظهر بتركيب أوثق ارتباطاً بالأفعال".^(٣)

ويمكن توضيح اختلاف درجة تماسك عبارة الجر مع الفعل بالأمثلة الآتية من اللغة العربية:
-كتب محمد رسالة لي.
-تحدث الرجل عن جولته.
-أعرب الرجل عن دهشته.
ففي الجملة الأولى لا يخل حذف الجار والمجرور بمعنى الجملة لأن دوره يقتصر على إضافة بعض التفاصيل (إضافة دلالية) ولهذا يمكن أن نكتفي بقولنا:
-كتب محمد رسالة.

وهذه الجملة تعطي مثلاً واضحاً على أقل حالات الجار والمجرور التصاقاً بالفعل.^(٤) وكذلك في الجملة الثانية:
-تحدث الرجل عن جولته.
يمكن أن يكتفى بالقول: (تحدث الرجل) من دون ان يتبع بحرف الجر. ويمكن ان يقال ايضاً:
-تحدث الرجل بهدوء.
-تحدث الرجل معي.
-تحدث الرجل وهو مبتسم...الخ.
إذ لا يتطلب الفعل (تحدث) حرف جر معيناً ويمكن ان لا يتبعه حرف جر من الأساس.^(٥) وليس كذلك الحال مع عبارة الجر في الجملة:
-أعرب الرجل عن دهشته.
فهذا الفعل لا يسمح بهذا النوع من الاحتمالات، ويجب ان يتبع دائماً بحرف الجر (عن) بالذات. ولهذا تكون درجة التصاقه بالفعل أعلى مما نجده في المثالين السابقين.^(٦)

(١) جوانب من نظرية النحو ١٢٨.

(٢) جوانب من نظرية النحو ١٢٨.

(٣) جوانب من نظرية النحو ١٢٨.

(٤) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٨.

(٥) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٩٢.

(٦) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٩٢.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ولا يرى د. مرتضى جواد أي اختلاف بين العربية والانكليزية فيما يخص اختلاف درجة الارتباط بالأفعال بين الجار والمجرور والظرف فهو يقول ان "ظاهرة اختلاف درجة ارتباط عبارات الجر والظروف بالأفعال نلاحظها في العربية أيضاً وبما يشبه وجودها في الانكليزية. وهذا يدعونا الى الافتراض بان البعض منها وهو ذلك الذي لا يرتبط بالفعل بل بالجملة ككل كظرف الزمان وان هذه العبارات تهيمن عليها الجملة (ج) مباشرة. وهو اشتقاقياً مواز لصنف ثان مفترض وهو النواة الذي يجمع بين الفعل الرئيسي (أي الفعل وسابقتها) و ع أ- الفاعل و ع أ- المفعول. أما البعض الآخر الذي يرتبط بالفعل بدرجة أوثق فيمكن افتراض توليده داخل النواة ويكون موازياً للفعل الرئيسي ف ر و ع إ- الفاعل و ع إ- المفعول".^(١) ولا يختلف رأي د. مجيد الماشطة عن رأي د. مرتضى جواد، وقد ذكر لاختلاف درجة ارتباط عبارة الجر بالفعل أمثلة كثيرة من اللغة العربية.^(٢)

وهنا نلاحظ ان النحاة العرب تعاملوا مع عبارات الجر تعاملأً واحداً ولم يفرقوا بين هذه العبارات بناء على مستوى تماسكها مع الفعل فاذا قلنا: مررت بزيد في الساعة العاشرة. فان كلا من (بزيد) و(في الساعة العاشرة) يعمل على انه جار ومجرور متعلق بالفعل. أما تشومسكي فيعالج المسألة من منظور مختلف قائم على درجة التماسك بين الفعل وعبارة الجر. وهنا نرى ان عبارة (بزيد) هي أوثق صلة بالفعل بدليل امكان الاستغناء عن عبارة الجر الأخرى (في الساعة العاشرة) وهذا يؤكد بدوره على ان هذه العبارة تتولد بالتوازي مع العبارة الأخرى من سلسلة تحتية أخرى. أي ان الجملة السابقة تتولد من بنية عميقة مشابهة للبنية العميقة التي تتولد منها جملة:

- مررت بزيد عندما كانت الساعة هي العاشرة.

وبهذا تكون عبارة (بزيد) واقعة تحت همينة الفعل (مررت) مباشرة أما عبارة الجر الأخرى (في الساعة العاشرة) فتقع تحت همينة الجملة بأكملها.

أما النحاة التحويليون الذين جاءوا بعد (تشومسكي) مثل (فلمور) فيعتقدون بوجود حرف جر بين كل فعل متعدي ومفعوله وكذلك بين كل فعل متعدي ومفعوله الأول إذا كان متعدياً إلى مفعولين. وهذا الحرف من وجهة نظرهم- محذوف وجوباً. وبهذا يكون الفرق بين الفعل المتعدي واللازم في الجملتين:

- ذهب السائح إلى آثار بابل.

- زار السائح آثار بابل.

هو ظهور حرف الجر في الجملة الأولى، وحذفه وجوباً في الجملة الثانية، وبهذا تتألف البنية العميقة للجملتين من:

فعل ماضٍ_ فاعل_ حرف جر_ مجرور_ مضاف إليه.

وقد أبقت التحويلات التي تربط بين البنية العميقة والبنية السطحية على حرف الجر في الجملة الأولى، وحذفته في الجملة الثانية.^(٣)

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو ١٥٩.

(٢) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٧-٩٢.

(٣) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٤-٨٧.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

ومن أدلة التحويليين على هذه المسألة أن حرف الجر المحذوف قد يظهر عندما نحول العبارة الفعلية إلى عبارة اسمية كما في الجمل الآتية:

-الفعل اللازم في جملة: سألت عن الرجل.

-الفعل اللازم في عبارة اسمية: سؤالي عن الرجل.

-الفعل المتعدي في جملة: سألت الرجل عن البضاعة.

-الفعل المتعدي في عبارة اسمية: سؤالي للرجل عن البضاعة.

فهنا يظهر حرف الجر في الحالات: الأولى، والثانية، والرابعة ويختفي في حالة واحدة فقط هي الثالثة. وبهذا تبدو نظرية التحويليين أكثر عملية، لأنها تبدأ بالقاعدة العامة (حالات ظهور حرف الجر الثلاث) وتنتهي بالاستثناء (حالة حذف حرف الجر). على عكس النحاة التقليديين الذين يبدؤون بالاستثناء (حذف الحرف في حالة تعدي الفعل) وينتهون بالحالات الثلاث الأخرى.^(١)

ويرى د.مجيد الماشطة ان إرجاع التحويليين (المفعول به الأول) إلى جار ومجرور في حالة الفعل المتعدي إلى مفعولين وجعلهم ذلك قاعدة نحوية، لا ينطبق في اللغة العربية الا على أمثلة محدودة العدد من الأفعال مما يفقدها أهميتها. ولا يسمح باعتبارها قاعدة عامة. فهي تنطبق على الجمل:

-أهديت كأساً إلى اللاعب ← أهديت اللاعب كأساً.

-علمت المسألة لأحمد ← علمت أحمد المسألة.

ولا تنطبق على جمل أخرى كثيرة مثل:

-كسوت الفقير جبة.

-لبست الطفل بذلة.

-سميت الطفل علياً.

-وهبت التلميذ ساعة.

-اسمعه لحناً. ... الخ من الجمل الأخرى.

لكنه يرى أيضاً أن مجرد تطبيق هذه القاعدة على اللغة العربية قد مكنا من التمييز بين نوعين من المفعول به: ماله مقابل مجرور، وما ليس له مقابل مجرور:

-أعطيت أحمد الرسالة ← أعطيت الرسالة إلى أحمد.

-كسوت الفقير جبة ← X^(٢)

وهذا التحليل الذي يقدمه تشومسكي - ومن سار على نهجه من الباحثين - لا نجد له مثيلاً في التراث العربي ويمكن ان يضيف جديداً الى دراسة الجملة العربية. لكن المسألة ليست بهذه البساطة جداً وتحتاج الى مزيد من النظر والتمحيص فالظروف كما يقول تشومسكي وهو يقصد هنا عبارات

(١) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٥-٨٦.

(٢) ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ٨٦-٧٨. ويلاحظ أيضاً ان عبارة الجار والمجرور قد تمثل ركناً من أركان الجملة. إذا كان حذفها يغير المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾_البقرة ٢٣٣/٢. فحذف (له) هنا يجعل (الكسوة) واجبة على المولود وليس الوالد.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

الجر كما تقدم "نظام غني وفي نفس الوقت نظام لم يكتشف بعد نسبياً. ولهذا فإن أي شيء نقوله عنها يجب ان يؤخذ بشكل مؤقت وغير نهائي".^(١)

وهذا يعني أن التعقيد الذي نسب الى تقديرات النحاة العرب له ما يبرره بل ان النحو التحويلي يعالج هذه المسألة بتجريد أكبر وتعقيد أكثر.

ومشكلة النحاة العرب انهم تعاملوا على نحو مختلف مع عبارات الجر بسبب نظرية العامل فلبجوا الى تقدير افعال في حال كون الجملة اسمية وخبرها شبه جملة. أما الجمل الفعلية فلم يتصرفوا معها بالطريقة نفسها بسبب وجود الفعل (العامل) الذي علقوا به عبارات الجر من دون ان يتنبهوا الى ان هذه العبارات لا ترتبط بالفعل على نحو واحد وان بعضها فقط وثيق الصلة بالفعل والآخر له صلة بالجملة بأكملها لأنه محول من جمل فعلية بالأصل ومن ثم تكون للجملة سلسلتان تحتيتان. مما يعني ان تحليل النحاة العرب لهذه الجمل الفعلية كان أقل عمقاً من نظيرتها الاسمية بسبب نظرية العامل.

ويمكن ان نقول ان نظرة العرب لشبه الجملة وما يتعلق بها لم تبنَ على أسس نظرية صرفية وانما شابتها اهداف تعليمية على العكس من نظرة تشومسكي التي كانت تنطلق من أسس ادراكية نظرية علمية بحتة. وهنا نقول ان ما قدره النحاة العرب وما ذكره تشومسكي لا يمكن ان نستغني عنه في دراسة العربية، وان اغفاله والغاءه بشكل كامل سيؤدي الى اغفال جانب على غاية من الأهمية فيما يخص الجمل العربية. لكن هذا لا يعني في الوقت نفسه ان مثل هذه التقديرات نافعة لمتعلمي اللغة (المبتدئين) فاذا كنا بصدد تحديد صواب تركيب نحوي أو عدمه فقط يمكننا ان نكتفي باعراب عبارة الجر خبراً من دون أي اضافة أخرى. لنجنب المتعلم الخوض في تفاصيل لا تقدم له عوناً في تعلم هذه اللغة. لكن هذا لا يعني عدم الالتفات اليها مطلقاً فمثل هذه التفاصيل لها أهمية كبيرة للدارس المختص ويمكن ان يكون لها فائدة كبيرة في التعرف على خصائص الجملة العربية وطبيعتها. فلكل موقف ما يناسبه ويليق به.

وما تقدم من تفاصيل يؤكد ان رأي البصريين والتقديرات التي ذكرها النحويون ليست مرفوضة مطلقاً ولا مقبولة مطلقاً بل هي صحيحة من حيث المبدأ وتدل على فهم ودقة -وان لم يكن هذا سارياً على جميع الأمثلة كما تقدم- لكن المتعلم الذي يروم تقويم نطقه في غنى عنها، والجمع بين الهدفين العلمي والبحث والتعليمي في موقف واحد سيتولد عنه صعوبات وتعقيد بدون أي شك.

وفي ختام هذا الفصل يمكن ان نقول ان النحو التوليدي التحويلي يقدم أفكاراً جديدة على قدر كبير من الأهمية. وان أسس هذا النحو وما قدمه من طروحات وأفكار يمكن ان تغني دراسة الجملة العربية على نحو واضح. لاسيما مع وجود جوانب مشتركة بين هذا النحو والنحو العربي كما ذكرنا في موضعه، ومن خلال بحثنا لعدد من قضايا الجملة العربية انطلاقاً من مبادئ النحو التوليدي وأفكاره يمكن ان نجمل الملاحظات الآتية:

١- ان النظرة العقلية للغة وربط اللغة بالادراك وامكانيات الدماغ البشري يمكن ان يبرر خصائص كثيرة للغة العربية، لم يتنبه لها أحد من قبل، ويدفعنا ايضاً الى تسليط مزيد من الضوء على قضايا أخرى لم تلق اهتماماً كافياً وقد كان بعض من هذه الجوانب ما يتعلق بـ(لاتناهي) جمل اللغة العربية والجمل المفتوحة من طرفيها وما يتعلق بالصحة القواعدية ودرجات قبول الجمل وعلاقته بحدود

(١) جوانب من نظرية النحو ٢٥٣.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

الذاكرة والادراك. وطبيعة عمل مستويات اللغة المختلفة وتداخلها ومدى أهمية ان تكون الجملة هي المنطلق الاساس للتحليل النحوي.

٢- لا يمكن ان نكتفي بالنظرة السطحية لجمل اللغة أو نعتمد على الاعراب فقط في تحليلنا للجمل العربية المختلفة، لان هذه النظرة قاصرة ولا تبدي كثيراً من خصائص اللغة وسماتها بل يمكن ان تكون خداعة وموهمة أيضاً وقد بينا في هذا الفصل أن الوصف السطحي لجمل اللغة العربية الذي لا يتجاوز حدود الوصف الى التفسير لا يمكن ان يقدم وصفاً مرضياً ومقتعاً للغة العربية لاسيما اذا اخذنا بعين الاعتبار الاحتمالات الغنية التي تتضمنها الجمل العربية.

٣- هناك حدود مشتركة بين اللسانيات والمنطق على نحو عام، وعلم الدلالة والمنطق على نحو خاص، إذ يفسر ما نسميه بـ(علم الدلالة المنطقي) كثيراً من الابهامات الدلالية ويحدد العديد من العلاقات الدلالية وهذا لا يتعارض مع حقيقة ان اللغة لا تخضع للمنطق وأنها تتصرف بطريقتها الخاصة.

٤- تبدو أهمية التفريق بين مستويي الكفاءة والأداء واضحة جداً فيما يخص دراسة الجمل العربية وتحليلها. وبناء قواعد على عينات الأداء فقط من دون مراعاة (القدرة اللغوية) ومتطلبات النظام سيتولد عنه ارباك كبير كما هو الحال مع اقتراحات بعض المحدثين التي أشرنا اليها مما بني على عدم التمييز بين الجمل غير المرتبطة بسياق والجمل المستعملة بسياق فعلي. وهذا يترتب عليه اضافة قواعد خاصة بكل استعمال ويؤدي الى تعقيد واضطراب في فهم النظام اللغوي للغة العربية نحن في غنى عنه. فضلاً عن كون كثير من الظواهر السياقية لا يمكن فهمها والتعامل معها بشكل علمي ومنهجي لو لم يكن هناك نظام عام مجرد نحتكم اليه ونرجع اليه صور التعبير المختلفة.

٥- كثير من التأويلات والتفديرات التي أخذت على النحاة العرب يؤيدها البحث العلمي الدقيق لاسيما من وجهة نظر النحو التوليدي التحويلي المبنية على التفريق بين مظهري الكفاءة والأداء. ومن أبرز هذه المسائل ما يتعلق باشتراط الاسناد ورتبة الفاعل ومتعلق الظرف لكن هذا لا ينفي أيضاً وجود تفديرات متكلفة أيضاً في النحو العربي لا تستند الى أساس سليم كما هو الحال مع تفديرات النحويين فيما يتعلق بجملة الشرط. ويجب ان نميز هنا بين دراستين وهدفين مختلفين: الدراسة العلمية البحتة للغة والدراسة التي تخدم أهدافاً تعليمية. فكثير من المسائل والتفديرات تمثل قدراً كبيراً من الأهمية للمختصين لكنها لا تخدم أهدافاً تعليمية وربما تزيد من تعقيد عملية التعليم.

٦- لم تلق مسألة تركيب الجمل من أكثر من جملة اهتماماً كافياً من قبل النحاة العرب واطار بعضهم مثل ابن هشام الى بعض ما يتعلق بهذا الموضوع كما في تقسيمه الجمل العربية الى صغرى وكبرى لم يكن له أثر واضح في طريقة تحليل الجمل العربية والتعامل معها. في حين ركز الغربيون على هذا الجانب المتعلق بالجملة وأفردوا له فصولاً خاصة من كتب القواعد كما هو الحال مع الجملة الانكليزية التي ميزت قواعدها بين جمل بسيطة ومركبة ومعقدة. وكل ما قيل في هذا الشأن ينطبق على الجمل العربية. وهو مبني على رصد علاقة الجمل المختلفة ببعضها. ومراعاة هذا الجانب له أثر كبير في تحديد أقسام الجملة العربية التي ذكرنا ان القرائن تشير الى تقسيمها الى اربعة اقسام: اسمية وفعلية ووصفية وكنائية (ضميرية). فضلاً عن أثرها في الغاء تفديرات نحوية متكلفة وغير مقبولة.

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

٧- يؤيد النظر في قواعد الجملة العربية وما يعترّيبها من أحوال وعلاقة الجمل ببعضها ما ذكره تشومسكي بشأن القواعد العمومية التي تشترك فيها جميع اللغات وقد نبهنا في هذا الفصل الى كثير من المسائل التي تخص العربية مما يدعم هذا الافتراض ويؤكد صحته.

٨- من الضروري استبدال مصطلحي (الجملة والتركيب) بمصطلحي (الكلام و الجملة) لما في هذين المصطلحين من أثر في عدم التمييز بين جملٍ معقدة تكتنف تراكيب اسنادية وجمل بسيطة. وهذه المسألة لها أهمية كبيرة في تحليل الجمل العربية كما تقدم وبهذا نستعمل مصطلح الجملة لما يسميه النحاة العرب كلاماً والتركيب لما يسمونه جملة لكننا لن نبني هذا التفريق على مبدأ الاستقلال وتام الكلام لما فيه من اشكالات اوضحناها في موضعها، بل سيكون أساس هذا التفريق شكلياً هو عدم كون التركيب الذي يتضمن اسناداً مكتنفاً في تركيب آخر أو جزءاً من تركيب أكبر منه.

٩- ما اصطلاح عليه بـ(الجمل الموجزة) هو في الحقيقة جمل تامة يمكن ارجاعها الى صورتها الكاملة التي لم ترد عليها اعتماداً على قرائن السياق وملابسات الحال. وهذا ما يفسر الارتباط الشديد بين هذه الجمل والسياق الذي وردت فيه، وما اقترحه بعض المحدثين في هذا الشأن لم يخرج كثيراً عما قرره النحاة العرب الا فيما يخص تغيير المصطلحات، ويترتب عليه أحيانا تعقيد أكثر ومشكلات اكبر من تلك التي أريد له ان يتجاوزها. وليس أدل على الأصل الكامل لهذه الجمل من كون فهمها وادراكها يعتمد على قياسها على الجمل الكاملة التامة، أو السياق الذي وردت فيه.

١٠- ان التعقيد جزء من اللغة العربية وغيرها من اللغات ايضاً فاللغة البشرية معقدة وواسعة بطبيعتها وهذه المسألة أكدها تشومسكي كثيراً. وليس غريباً على هذه اللغات ان كانت على درجة عالية من التعقيد ان تتضمن أمثلة شاذة أو استعمالات لا تخضع للقاعدة، وعلينا دائماً ان نميز بين المطرد الذي يمثل قاعدة والشاذ الذي لا يقاس عليه. فالمسألة تدور حول التناسق والانتظام ولا يمكن ان نضحي بهذا النظام المتكامل تحت ذريعة التعقيد حيناً أو بسبب وجود أمثلة شاذة قليلة لا يمكن ان تخلو منها لغة من اللغات. وقد رأينا ان بعض اقتراحات المحدثين يترتب عليها تجاهل قواعد مطردة وشائعة وبعضهم ضحى بكثير من هذه القواعد وتجاهلها من أجل ان يستقيم له رأي في مسألة خاصة لا تبلغ من الشيوع مبلغ ما رفضته وانكرته من قواعد وهذا بالتأكيد يعود بضرر كبير أكثر مما ينفع

١١- هناك جوانب كثيرة تخص اللغة لا يمكن ان نصدر عليها احكاماً قطعية نهائية وقد لاحظنا من خلال دراستنا الجمل العربية وبعض ما يخص الانكليزية ان هناك جوانب معقدة وغامضة فيهما تستدعي مزيداً من النظر والتأمل وإعمال الفكر والإفادة من ملاحظات الدارسين بشأنها. ولعل عبارة الجار والمجرور هي خير مثال على هذا في اللغتين العربية والانكليزية. وهذا بدوره يعطي أهمية كبيرة ايضاً لمعالجة المسائل النحوية في ضوء حقائق علم اللغة العام (اللسانيات) والنظر فيما يقال حول الحقائق والقضايا المختلفة التي تخص اللغات. وخير مثال على هذا ايضاً ما ذكرناه فيما يخص شبه الجملة (عبارة الجر) إذ يبرز النظر الى هذا الموضوع في ضوء النحو التوليدي التحويلي جوانب لم تكن ظاهرة في دراسة نحائنا العرب ويكشف عن دقة لم تكن معروفة على هذا النحو عند نحائنا القدماء الذين تعاملوا مع عبارة الجر بنوع من التناقض بسبب الاعتماد على العامل وحده. فبحثوا من جهة عن متعلق للطرف في الجمل الاسمية ومن جهة أخرى عاملوا عبارات الجار والمجرور في الجمل الفعلية على نحو واحد من دون ان يتنبهوا الى اختلاف درجات التماسك مع الفعل بين عبارة وأخرى مما يعني ان بعض هذه العبارات التي تبدو أقل ارتباطاً بالفعل يمكن ان

﴿الفصل الثاني﴾ ﴿المبحث الثاني﴾

تولد على نحو مستقل (بالتوازي) عن جملة الفعل المذكور من سلسلة تحتية مختلفة أو بعبارة أخرى أكثر عمومية (من تركيب آخر).

١٢- ان تدقيق النظر في طبيعة العلاقة بين الجمل العربية المختلفة وامكان تركيب بعض هذه الجمل من اكثر من جملة وفهم الكيفية التي تتولد بها هذه الجمل من خلال هذه الطريقة سيكون له أثر كبير في تغيير نظرتنا الشائعة الى الجمل فيما يخص بساطة هذه الجمل وتعقيدها وكيفية دلالتها على الحدث أو الثبوت واختلاف هذه الدلالة من جملة الى أخرى. وسيكون لهذا أثر كبير على طريقة تحليلنا لهذه الجمل وعدم الاعتماد على الاعراب فقط الذي لا يقدم وحده وسيلة كافية لفهم كل ما يتعلق بالجملة العربية.

١٣- ان النظر في (الجملة العربية) في ضوء النحو التحويلي يعطينا مثلاً واضحاً على عدم رفض اللسانيات لكل ما جاء في التراث بل على العكس من تخوف كثير من الدارسين قد تتوافق اللسانيات مع كثير مما جاء في النحو العربي وتؤيده بقوة.

الفصل الثالث

الجملة العربية في ضوء النحو الوظيفي وعلم لغة النص

المبحث الأول : الجملة العربية والنحو الوظيفي ❖

FUNCTIONALISM

المبحث الثاني : الجملة العربية وعلم لغة النص ❖

TEXT LINGUISTICS

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

الفصل الثالث

الجملة العربية في ضوء النحو الوظيفي وعلم لغة النص

المبحث الأول : الجملة العربية والنحو الوظيفي FUNCTIONALISM

أولاً: تعريف عام بالنحو الوظيفي وأساسه

علم اللغة الوظيفي هو "مدرسة من مدارس الفكر اللغوي المعاصر، وهو يُعنى بكيفية استخدام اللغة، وبالقِيمة الاتصالية للغة. فاللغة في نظر هذا الاتجاه عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتواصل إلى أهدافٍ وغاياتٍ" وكانت بداية هذه المدرسة هي ما عرف باسم حلقة براغ التي كان رائدها ماثيوس وبعد ذلك شهدت ظهور مدارس أخرى مثل مدرسة لندن، ومدرسة النحو الوظيفي^(١).

وتعد الوظيفية FUNCTIONALISM منهجاً بنويّاً أو اتجاهاً متفرعاً من المنهج البنوي وان كانت تختلف عنه في كثيرٍ من القضايا، فهي تذكر مع ثلاث مدارس تمثل البنوية الأوربية وهي: مدرسة براغ، وفايسجربر و بحث المضمون، والجلوسماتية. لكنّ كلاوس هيشن ينكر أن هناك من أنكران يطلق على الوظيفية وصف بنوية مطلقاً من دون أن يقرن هذا الوصف بـ(الوظيفية) التي فجرت في نقاط كثيرة الإطار البنوي^(٢).

وأهم ما تتميز به الوظيفية عن غيرها من الاتجاهات والمدارس اللسانية هو "اعتقادها أنّ البنى الصيائية والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها"^(٣) وهذا يختلف عن مبدأ سوسور الذي كان يرى ان اللغة بنية مستقلة عن العناصر الخارجية والسياق الذي تعمل فيه والوظيفة التي تؤديها فيه وهو ما تابعه فيه البنيويون من بعده^(٤).

وعدم التزام الوظيفيين بفكرة الاستقلال التي نادى بها (سوسور) لا يعني تناقضاً تاماً أو خروجاً كاملاً عن الأطر البنوية، فكما يقول هيشن أن الوظيفية لم تذهب "بعيداً مطلقاً إلى حد أن التصورات العامة لدى سوسور قد قلبت في الحقيقة (رأساً على عقب). فمن الممكن أن يلاحظ بناءً على اهتمام غير عادي مباشر، أين عثرت الوظيفية على حدودها البنوية"^(٥).

ويتمثل جوهر اهتمام المنهج الوظيفي بالسؤال الآتي:

(١) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧١، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٦، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٨-٣٩، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٦٣.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية ٥١.

(٣) مدخل إلى اللسانيات ٧٠.

(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٦٩، ومناهج علم اللغة من هرمان ١٢٣، والظاهرية وفلسفة اللغة ٣٥-٣٧، ومدخل إلى اللسانيات ٧٠.

(٥) القضايا الأساسية في علم اللغة ٥١، وينظر مناهج علم اللغة من هرمان بول ١١٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ البحث الأول ﴾

لماذا نستعمل اللغة؟ أي ما هي الوظيفة التي تؤديها اللغة في البيئة اللغوية، كيفية ادائها للمعاني المختلفة ولا يعني هذا أن الجانب الوظيفي للغة أمر منفصل عن النظام اللغوي نفسه. فالنظام النحوي في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة^(١).

ولا تختلف الدراسات اللغوية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها (حديثه كانت أم قديمة) في أن موضوع اللغة هو بنيتها. أما دراسة وظائف اللغة والتركيز عليها فهو أمر مختلف فيه. إذ يرفضه بعض الدارسين لاعتقادهم بأن اللغة نسق مجرد له قواعد الخاصة، ويدافع عنه آخرون لاعتقادهم بأن بنية اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم نجاح التواصل وأهدافه وأنواعه المختلفة^(٢).

ويمكن أن يميز المشتغل بابستمولوجيا الفكر اللساني وتاريخه واتجاهاته "بين تيارين أساسيين اثنين: تيار (صوري) يقف في مقاربتة للغات الطبيعية عند بنيتها لا يكاد يتعداها، وتيار وظيفي يحاول وصف بنية اللغات الطبيعية بربطها بما تؤديه هذه اللغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية"^(٣).

وليس الأمر مقصوراً على النظريات فإذا امعنا النظر في التراث اللغوي البشري يمكن أن نتبين أن لكل من هذين التيارين أصوله وإمتداداته في الدرس القديم وأن كان أكثر وضوحاً في النظريات اللسانية من غيرها^(٤).

وخير ما يمثل التيار الصوري في العصر الحديث هو النحو التوليدي التحويلي الذي بني على إطار فلسفي يعد اللغة نشاطاً عقلياً _ كما ذكرنا في الفصل السابق _ وبقي هذا الإطار العام جزءاً ثابتاً من النظرية وإن اختلفت بعض تفاصيلها وطورت جوانب منها. لأنَّ هدف تشومسكي هو بناء نموذج شكلي يعبر عن القدرات العقلية لمستعمل اللغة وبيان كيف تؤهله هذه القدرة لإنتاج عدد غير محدد من الجمل وفهمها والحكم على صحتها من عدمها. ولم يُعن تشومسكي بتقديم أي تبرير وظيفي لحدوث التحويلات في مراحل مختلفة من الجملة وأخرجت نظريته من الإعتبار الظروف النفسية التي يكون فيها المتكلم وأهملت السياق معتبرة اللغة نشاطاً عقلياً مجرداً^(٥).

وخير من يمثل التيار الثاني هو الاتجاه الوظيفي الذي يقع على الطرف النقيض من الاتجاه التوليدي التحويلي ويركز على دراسة وظائف اللغة التي تؤديها في المحيط الاجتماعي^(٦).

ومع اختلاف المنهجين في زاوية النظر ومجال التركيز والهدف الذي ترمي إليه كل نظرية يشترك المنهجان في بعض وجهات النظر التي تمثل قضايا أساسية في دراسة مثل مسألة (النظام) والانطلاق من الجملة في التحليل اللغوي ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت الدارسين يعدون كلا المنهجين فرعاً من المنهج البنوي وأن اختلفا في طريقة التناول وطبيعة التوجهات^(٧).

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧١.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٧-٢٨.

(٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٩، وينظر: التركيبات الوظيفية ٤٨، والظاهراتية وفلسفة اللغة ٣٤-٤١.

(٤) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٩.

(٥) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٦٩. واللغة والعقل ٨ وما بعدها، ومحاضرات ودن ١٥-٢٥.

(٦) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٠، وينظر أيضاً الظاهراتية وفلسفة اللغة ١٢٦-١٢٨.

(٧) ينظر: القضايا الأساسية ٥١، ومدخل إلى اللسانيات ٥١، ومدخل إلى اللسانيات ٦٩-٧٠، والاتجاه الوظيفي ٧١ و٧٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويفرق بين المنهجين: منهج من يقصر دراسته على البنية اللغوية ومن تتعدى دراسته هذه البنية إلى ما هو خارج اللغة بالمسميين: اللسانيات المضيقه واللسانيات الموسعة. فاذا قصر اللغوي اهتماماته البحثية على بنية اللغة وانظمتها من دون ان يتطرق إلى الأبعاد النفسية أو الاجتماعية أو العرقية أو الأدبية... الخ فإنه يبحث في اللسانيات المضيقه MICROLINGUSTICS وإذا اختلط بحثه بالجوانب السابقة فإنه يبحث في اللسانيات الموسعة التي تعنى بدراسة الأبعاد السابقة فضلاً عن التنوع الاسلوبي في اللغات والطريقة التي يستثمر بها مستخدموها هذا التنوع^(١).

وينطلق أصحاب الاتجاه الثاني (اللسانيات الموسعة) من مبدأ كون اللغة "ظاهرة اجتماعية يعبر بها الناس عن افكارهم وحاجاتهم فهي ترجمان لكل ما يدور في المجتمع من أعلاه إلى قاعه. ويتخير الانسان عادة الفاظه وينظمها في جمل بحسب ما يحس به داخلياً، وحسب الظروف الاجتماعية المحيطة بكل ما فيها من بشر وأشياء حسية ومعنوية، وتعبيره يتنوع للمقام وثقافة السامعين... الخ، اي يجب ان تحدد الاساليب اللغوية اجتماعياً"^(٢). ولهذا السبب اخذوا "يدرسون الوظائف العامة والخاصة التي يؤديها كل تركيب لغوي، ومن ثم انطلقوا إلى ايجاد الصيغ والتراكيب اللغوية التي يمكن ان تعبر عن تلك الوظائف ضمن اطار كل من المفاهيم او المعاني العامة"^(٣).

ويسعى النحو الوظيفي إلى بناء نظرية لسانية تصف "اللغات الطبيعية في اطارها من وجهة نظر وظيفية، اي من الوجهة النظرية التي تعتبر الخصائص البنيوية للغات محددة (جزئياً على الاقل) لمختلف الاهداف التواصلية التي تستعمل اللغات لتحقيقها"^(٤).

اي ان الوظيفة هي التي تحدد البنية وليس العكس ويفهم من هذا القول: "ان الثنائية المعروفة (قدرة/ انجاز) يجب اعادة تعريفها. فقدرة المتكلم حسب منظور النحو الوظيفي (قدرة تواصلية) بمعنى انها معرفة القواعد التداولية (بالاضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية) التي تمكن من الانجاز في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق اهداف تواصلية محددة"^(٥).

ومفهوم (القدرة التواصلية) يمثل نقطة اختلاف واضحة مع النحو التوليدي التحويلي الذي يعد التفريق بين (الكفاءة/ الاداء) واحداً من مبادئه الثابتة وان تطور مفهوم (القدرة) فيما بعد في هذه النظرية ليشمل المعرفة التداولية بعد ان كان مقصوراً على المعرفة اللغوية الصرف (القواعد). ويتضح هذا من كتابات تشومسكي بين (١٩٦٥) و (١٩٨٨). الا ان تشومسكي يعد (القدرة النحوية) و (القدرة التداولية) قدرتين منفصلتين مستقلتين عن بعضهما، وان الاولى فقط _من وجهة نظره_ هي التي يجب ان تتخذ موضوعاً للدرس اللساني^(٦).

(١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٢١-٢٤. وينظر أيضاً: الاسلوبية والاسلوب ٨. ونحو نظرية اسلوبية لسانية ٥٦-٥٧، وينظر أيضاً: ٥٨-٦٣ و ٧٨-٨٥.

(٢) المدخل إلى علم اللغة (تواب) ١٢٦-١٢٧، وينظر: الظاهراتية وفلسفة اللغة ١٢٦-١٢٨، ونحو نظرية اسلوبية لسانية ١٧٠-١٨٤، والدلالة السياقية عند اللغويين ٧٦.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية ١٢١.

(٤) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٩.

(٥) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠، وينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٤٥-٤٦، وينظر أيضاً: ١٥. وينظر: التركيبات الوظيفية ٤٩.

(٦) ينظر: التركيبات الوظيفية ٤٧-٤٨. وينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٤٠-٤١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اما الوظيفيون فينظرون إلى (القدرة التواصلية) بوصفها قدرة عامة تشمل المعرفتين معا: اللغوية و غير اللغوية، على اساس هاتين المعرفتين (قدرة واحدة) هي قدرة المتكلم السامع على التواصل مع غيره^(١).

وليس اساس الخلاف هو وجود (وظيفة) للغة من عدمها. فلا يمكن ان ينفي ذلك ناف من دون ان يواجه بحقيقة عدم وجود اي شيء ليس له وظيفة وجد من اجلها وان هذا الموجود يتخذ شكليا او جزئيا الطابع الذي تتطلبه الوظيفة المسندة اليه^(٢).

والاختلاف القائم بين اللسانيين وفلاسفة اللغة يرجع إلى طبيعة الادوار او الوظائف التي تسخر اللغة للقيام بها وعدد هذه الوظائف ، وفي نقاش (تشومسكي) مع فلاسفة اللغة (١٩٧٥) دافع عن رايه في ان وظيفة اللغة ليست بالضرورة وظيفة للتواصل. فقد تكون مجرد التعبير عن الفكر. وكان من حجه اننا قد نكتب نصاً دون ان نكون عازمين على نشره او مخاطبة الآخرين به على الاطلاق. الا ان جمهور المتحدثين عن (وظيفة اللغة) من لسانيين وفلاسفة وغيرهم يرون ان دور اللغات بالاساس هو تمكين مستعمليها من التواصل فيما بينهم^(٣).

وليس (تشومسكي) وحده في هذا الرأي فمن الوظيفيين المعروفين ايضاً من ذهب إلى ان (وظيفة التواصل) ليست الوظيفة الوحيدة للغة مثل (هاليداي) و(جاكسون) واختلفوا في طبيعة هذه الوظائف وعددها^(٤).

ولكي يحسن المتكلم أو صاحب اللغة استعمال جملة ما ويحسن السامع فهمها فعلى كل واحدٍ منهما ان يفهم وظيفتها الحقيقة ويتصرف على اساسها^(٥).

ويتمثل ربط الاتجاه الوظيفي بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني المختلفة في ثلاثة مظاهر هي: الخيارات المتعددة المتاحة امام المتكلم، والصلة بين اللغة والمجتمع، وتظافر العناصر اللغوية في أداء الفكرة التي يريد المتكلم التعبير عنها^(٦).

أما المظهر الأول وهو الخيارات المتعددة المتاحة للمتكلم والمتمثلة في الأبنية والتراكيب المختلفة الموجودة في لغته. فمبني على أن كل تركيب (جملة) يؤدي وظيفة مختلفة عن تركيب آخر بناء على ظروف الكلام. ويمكن التمثيل لذلك بالجمال الآتية:

١- استقبلت الأوساط الأدبية نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

٢- استقبل نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

٣- الأوساط الأدبية استقبلت نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

٤- نجيب محفوظ استقبل نبأ حصوله على جائزة نوبل ببالغ السرور.

(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٤٨، وينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٦-٢٧، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٩.

(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٤. وأضواء على الدراسات اللغوية ٨٧.

(٣) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٤-٢٥.

(٤) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٤٠-٤١، ومناهج علم اللغة من هومان ١٥٧، والاتجاهات الأساسية في علم اللغة ٥٧، والتركيبات الوظيفية ٢٥، والتواصل البلاغي ٥٠، وما بعدها. ووصف اللغة العربية دلاليًا ٥٠-٥٢.

(٥) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ٨٧.

(٦) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧١-٧٣، وينظر: نحو نظرية اسلوبية لسانية ١٦٦-١٦٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

فكل جملة من هذه الجمل تؤدي وظيفة مختلفة عن الأخرى، وتستعمل في ظروف وملابسات مختلفة عن الأخرى. ولا يمكن عدّها مترادفة لأن كل واحدة تركز على جانب معين من الحدث ولها دور مختلف في الحياة الاجتماعية^(١).

وهذه النظرة تختلف عن نظرة النحو التوليدي التحويلي الذي يعدّ الجمل (٢)، (٣)، (٤) جملاً متفرعة عن الجملة الرئيسية، ويمكن التوصل إليها بتطبيق قواعد تحويلية على الجملة (١)، أما التأويل الدلالي لهذه الجمل فهو واحد بجميع الأحوال^(٢).

فالوظيفية يرون أن كل واحدة من هذه الجمل تؤدي معنى مختلفاً عن الجمل الأخرى لهذا لا يمكن أن تتعاقب على المقام نفسه، ولا يمكن انتاجها على اساس انها تؤدي الغرض نفسه^(٣).

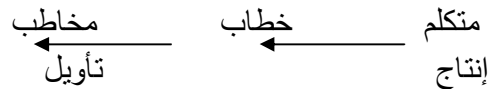
أما المظهر الثاني (الصلة بين اللغة والمجتمع) فيتضح بعدم امكان فصل اللغة عن الثقافة والتراث والعادات والتقاليد التي يرتبط بها الفرد بحكم انتمائه لمجتمع معين، يفرض عليه سلوكاً معيناً. ومن أوضح الأمثلة على هذه المسألة اختلاف أساليب التخاطب التي ينتقيها الفرد في المواقف الاجتماعية المختلفة، وامكان التعرف على الوضع الاجتماعي للشخص من خلال لكنته وطريقته بالكلام^(٤).

أما المظهر الثالث فيراد به ان عناصر اللغة مجتمعة تسهم في اداء الفكرة. التي يريد المتكلم توصيلها. ولا يمكن ان يشتغل عنصر وحده (كالصوت مثلاً) باداء الوظيفة. فالوحدة الصوتية تؤدي وظيفة من خلال وحدات صوتية أخرى تشكل الكلمة ذات الدلالة المفيدة في المعجم. والكلمة بدورها تؤدي وظيفتها ضمن نظام نحوي. كما هو الحال مع السلك الكهربائي الذي يتكون من عدد من الأسلاك الشعرية الدقيقة التي تشترك جميعاً في عملية توصيل الكهرباء^(٥).

وبهذا تكون اللغة نظاماً مغلقاً "من الناحية الشكلية لأن القوانين القواعدية لغوية بحتة، فهي لا تتأثر بالعوامل الشخصية والبيئية الاجتماعية، فمن قوانين القواعد ان الصوت /ذ/ مثلاً، صوت مجهور دائماً، وهذه قاعدة لغوية لا تتأثر بسياق الحديث ولا بمكانة المتكلم الاجتماعية، وان المفعول لأجله منصوب دائماً بغض النظر عن كل الاعتبارات الشخصية أو السياقية للجملة"^(٦).

أما من الناحية الوظيفية فهي نظام مفتوح "بمعنى انها جزء من الحضارة وان انتقاء هذه الجملة أو تلك يتحدد باعتبارات المقام والمناسبة وشخصية كل من المتحدث والسامع"^(٧).

ويرى الوظيفيون ان عملية التواصل تقتضي ثلاثة عناصر أساسية، مُتَكَلِّماً ومُخَاطَباً ومُخَاطَباً ينتجه المتكلم ويؤوله المخاطب كما يوضح ذلك المخطط:



(١) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧١، وينظر: التركيبات الوظيفية ٣٢-٣٣.

(٢) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧٢.

(٣) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٣.

(٤) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧٢.

(٥) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧٢.

(٦) شطايا لسانية ٧-٨.

(٧) شطايا لسانية ٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وتكون عملية التواصل واضحة إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن ان يحول بين المخاطب وبين تأويله وهو ما يسعى المتكلم إلى تحقيقه في حالات التواصل العادي^(١). ويمكن إرجاع العوائق البنيوية إلى ثلاثة أمور هي: الحذف والإضافة والنقل. ومن أمثلة الأول (الحذف) أن نقول:

- ؟؟ قابلته

بدلاً من

- خالد قابلته.

لان الخطاب له ركنان في المنظور الوظيفي: الخطاب ذاته (جملة او مجموعة جمل مثل: قابلته) وما يحيل عليه الخطاب (مجال الخطاب) وهو في المثال السابق (خالد). وهذا الأخير ضروري لإنجاح عملية التواصل ولاسيما في بداية الخطاب حينما لا تكون هنالك قرينة مقالية او مقامية تشير إلى مجال الخطاب^(٢).

ومثال الثاني: تعدد التفرع او الاكتناف وبطلق عليه بعض العرب المعاصرين (الادماج) وهي المسألة التي سبق ان تحدث عنها تشومسكي في سياق كلامه عن تفاوت درجات مقبولية الجمل وامكان اطالة الجمل اللغوية المختلفة من طرفيها^(٣). كما في الجملة:

- قابلت الرجل الذي اشترى السيارة البيضاء التي باعها جارنا لصاحب المقهى الذي يقع في شارع محمد الخامس.

فهذه الجملة وما شابهها يصعب على المخاطب تحليلها وفهمها دون عناء في مقابل جمل مثل: قابلت الرجل الذي اشترى السيارة. وهو ما ارجعه (تشومسكي) إلى اسباب تتعلق بحدود الذاكرة^(٤). وفيما يخص الامر الثالث وهو (النقل) يرى الوظيفيون انه من النادر ان نجد عملية نقل غير مبررة تداوليا غير ان هذا النقل قد يسبب تشويشا للمخاطب في بعض الحالات، وهذا ما نشعر به عندما نقارن بين الجملتين:

- ان خالدا شاعر ملهم وهو ما يقر به الكل.

- ان خالدا شاعر_ وهو ما قر به الكل _ ملهم.

اذ تتضمن عناصر الخطاب عامة في شكل مجالات كما يرى الوظيفيون، تتكون هذه المجالات من (رأس وفضلة ومحدد) واهم هذه المجالات مجال الجملة الذي يرأسه المحمول (فعلا او صفة او ظرفا) ومجال المركب الاسمي الذي يرأسه عادة اسم^(٥).

وتتوزع عناصر المجال إلى الالتفاف نحو الرأس بحيث لا تقبل الا بعسر ان يتخللها عنصر اجنبي غريب عن المجال وهذا هو ما يجعل الجملة الاولى اكثر طبيعية من الجملة الثانية التي

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٨.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٩.

(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٥-٣٨، وينظر أيضاً تفاصيل هذه المسألة في الفصل السابق.

(٤) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٩-٣٠، وينظر أيضاً جوانب من نظرية النحو ٣٧-٣٨.

(٥) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٣٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اقحمت فيها عبارة (وهو ما يقر به الكل) بين رأس المركب الصفة (شاعر) وفضلته، وهذا النوع من التراكيب يكون تأويله عادة أعسر^(١).

ويلاحظ هنا ان الوظيفيين يطرقون هذا الباب لصلته بالمخاطب الذي يفترض به ان يقوم بعملية التأويل التي يركز عليها هذا النحو كما لاحظنا في المخطط السابق لأركان التواصل الثلاثة. اما النحو التوليدي التحويلي فقد تناول هذه المسألة لسبب مختلف ونظر اليها من زاوية مختلفة وذلك لصلتها بعملية الادراك وطبيعة العلاقة بين اللغة والدماغ البشري التي تعد مسألة اساسية في النحو التحويلي. ويمكن ان نلاحظ ان النحو التحويلي بحث هذه المسألة على نحو اكثر تفصيلا وتركيزا مما فعله الوظيفيون^(٢).

وللوظيفيين رأي اخر فيما يخص مسألة اكتساب الأطفال للغة وتعلمها التي ربطوها ايضا بسياق الاستعمال والجانب الاجتماعي، فهم يرون ان ما يكتسبه الطفل ليس معرفة لغوية فحسب بل كذلك معرفة القوانين والاعراف المتحكمة في الاستعمال الملائم للغة في مواقف اجتماعية معينة، اي انه يكتسب الاعراف التي تضبط استعمال هذا النسق في مواقف توصيلية معينة من اجل تحقيق اغراض معينة. وبهذا تكون المعرفة النهائية التي يصل اليها الطفل بعد ان يستكمل تعلم اللغة هي (قدرة لغوية تواصلية) تؤهله لانتاج جمل نحوية في ما يلائمها من سياقات الاستعمال^(٣).

ويبدو رأي الوظيفيين اكثر قربا من البنيوية الامريكية منه إلى النحو التحويلي فيما عدا مسألة السياق ومواقف الاستعمال فهم يتحدثون عن لغة تكتسب من خلال مواقف الحياة المختلفة من خلال التجربة والاحتكاك يستخلص منها الطفل القواعد العامة التي تحكم لغته ولا يتحدثون عن قدرة لغوية موروثة (فطرية) على نحو مما يتحدث عنه النحو التحويلي الذي يعد علم اللغة بالاساس جزءا من علم النفس الادراكي.

لكن رأي الوظيفيين في هذه المسألة يعني ايضا ان معرفة القواعد لا تكفي وحدها في تعلم اللغة، فالصحة القواعدية يجب ان يقترن بها تعلم صحتها الاجتماعية _ التداولية _ اي استخدام العبارة المناسبة في السياق المناسب لها^(٤).

فقد تكون جملة ما صحيحة قواعديا وسليمة شكليا، لكنها غير مقبولة وظيفيا، كما هو الحال مع جملة:

امر الطفل والده ان يسامحه.

التي تعد جملة صحيحة قواعديا لكنها غير مقبولة وظيفيا لاستعمال الفعل (أمر) في غير موقفه الصحيح^(٥).

وعلم الدلالة المفصل الذي يربط بين الجانبين (القواعد/الوظيفية) فهو الذي يضيفي "كل المعاني الممكنة على الوحدات التي تسمح القواعد بها، لتمكين المتكلم من استخدامها بالشكل المقبول

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٣٠.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٥-٣٨، وينظر أيضا: ٤٤-٤٧.

(٣) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٤٢-٤٣، وينظر: التركيبات الوظيفية ٣٦، والوظيفة بين الكلية والنمطية ١٩، وشظايا لسانية ٨.

(٤) ينظر شظايا لسانية ٨، وينظر أيضا: الوظيفة بين الكلية والنمطية ١٩ واللسانيات والبيداغوجيا ٣٩.

(٥) ينظر: شظايا لسانية ٨، والوظيفة بين الكلية والنمطية ١٩ وما بعدها.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اجتماعيا. ويستلزم تعلم لغة ما تطوير القدرة على ربط الفاظها بما تشير اليه من اشياء ملموسة او محسوسة ربطا اعتباريا في معظم الحالات^(١).

وهذا ما يذكره الوظيفيون في احتجاجهم على عدم صحة مثل هذه الجمل لكن تحري الدقة يحتم علينا ان نفرق بين موقفين مختلفين خارج اطار النظرة الوظيفية. فالبنويون هم من يعدون مثل هذه الجمل جملا صحيحة قواعديا لأتباعهم معايير شكلية خالصة. اما النحو التحويلي فلا يعد مثل هذه الجمل جملاً صحيحة وذلك لأسباب تخص الفعل (أمر) ايضاً، اذ جزء من مكونات هذا الفعل تتطلب ان يكون له فاعل مؤهل لأصدار هذا الامر ومفعول به اقل منزلة يمكن ان يوجه هذا الامر اليه، وهو مالا يتحقق في الجملة السابقة ومن ثم فان الجملة السابقة جملة غير صحيحة (قواعديا) من المنظور التوليدي التحويلي لان (الدلالة) جزء من مكونات القواعد في النحو التوليدي التحويلي لكنها ليست جزءاً من قواعد المكونات المباشرة التي يستند البنويون (التوزيعيون) اليها وحدها في وصفهم اللغوي.

وبهذا يكون لنا ثلاثة مواقف مختلفة فيها يخص مثل هذه الجمل: فهي صحيحة قواعديا من وجهة نظر البنويين الشكلية الخالصة. وخاطئة وظيفيا من وجهة نظر الوظيفيين، وخاطئة قواعديا (وليس لسبب يتعلق بالوظيفة) من وجهة نظر النحو التوليدي التحويلي الذي يعد المكون الدلالي جزءاً رئيساً من مكوناته القواعدية. والجمل السابقة - وكذلك ما شابهها من الجمل الاخرى - قد اخلت بقواعد الاسقاط الدلالية التي يفترض ان تستوعبها (القدرة اللغوية) للمتكلم السامع او صاحب اللغة.

وثمة خلاف اخر بين النحو التوليدي التحويلي والنحو الوظيفي يخص طبيعة العلاقة بين البنية اللغوية المجردة والمعنى. ويتلخص هذا الخلاف في السؤال: من هو الذي يتبع الاخر المعنى هو الذي يتبع البنية اللغوية ام العكس هو الصحيح؟؟

وكما رأينا في النحو التوليدي التحويلي ان الاساس هو المكون الخلاق وان المعنى (مكون تفسيري) يضيف مكوناته على البنية التي تنتجها قواعد (الاساس) اي النحو. وقد عد تشومسكي مايسمى بـ(السمات الدلالية) مثل (حي، عاقل، مذكر، بالغ...) جزءاً من مكونات الاساس اي من قواعد النحو والمكون الدلالي (المعجمي) يفسر ما يقدمه له هذا المكون الذي يمثل الجانب الخلاق من اللغة. والحديث عن الوظائف في النحو التحويلي يقتصر على الوظائف النحوية العامة مثل الفاعل، المفعول... الخ ولا يمس أي وظائف تداولية^(٢).

اما الوظيفيون "فيجعلون من علاقة بنية اللغة بوظيفتها علاقة تبعية إذ لا يتأتى تحديد الخصائص البنيوية (معجما وتركيبا وصوتا) الا بالرجوع إلى الخصائص الوظيفية، الدلالية والتداولية. قوام هذا المذهب ان للغة هذه البنية لان لها هذه الوظيفة بالذات. ولو كانت لها وظيفة اخرى لكانت بنيتها مخالفة تمام المخالفة"^(٣).

ومما تجدر الاشارة اليه ان (الوظيفة) يراد بها مفهومان احدهما عام والثاني يختص به الوظيفيون. فـ(الوظيفة) قد يراد بها: (الوظيفة العلاقة) وقد يراد بها (الوظيفة الدور). ويقصد

(١) شطايا لسانية ٨.

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩-٤١، وينظر أيضاً: ما يتعلق بهذا الموضوع من الفصل السابق.

(٣) التركيبات الوظيفية ٣٠، وينظر: الوظيفة بين الكلية والنمطية ٣١-٣٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

بالأولى : العلاقة القائمة بين مكونات الجملة مثل علاقة الفاعل والمفعول...الخ وهي بهذا المعنى متداولة في جميع الانحاء بما فيها الانحاء التقليدية، اما الثاني (الوظيفة الدور) فيقصد به الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من اجل تحقيقه. و(الوظيفة) بهذا المفهوم تختلف نظرة اللسانيات اليها من نظرية إلى أخرى، وتعنى بها النظريات الوظيفية والتداولية. وبهذا يكون هذان المفهومان (الوظيفة العلاقة) و(الوظيفة الدور) مفهومان متباينين من وجهة نظر النظريات التي تعنى بما هو خارج اللغة مثل النظريات السابقة^(١).

ويميز النحو الوظيفي بين ثلاثة مستويات من الوظائف:

- وظائف دلالية: منفذ، متقبل، مستفيد، زمان، اداة...الخ
- وظائف تركيبية: فاعل، مفعول.
- وظائف تداولية: محور، بؤرة^(٢).

وتعد الوظائف الثلاثة السابقة: الدلالية والتركيبية والتداولية في النحو الوظيفي علاقات اولى (PRIMITIVES) بمعنى انها ليست مفاهيم مشتقة من بنيات مركبية معينة. فالبنية المكونية (CONSTITUENT STRUCTURE) للجملة يتم بناؤها، خلافا للنماذج التوليدية التحويلية ذات الطابع المركبي انطلاقا من المعلومات المتواجدة في البنية الوظيفية (FUNCTIONAL STRUCTURE)^(٣).

فالوظائف في النحو الوظيفي تحدد "بدء، مجردة عن اي بنية صرفية_ تركيبية او تطريزية"^(٤). وتمثل هذه الوظائف علاقات مشتقة اذا تم "تحديددها على اساس موقع المكونات داخل بنية تركيبية معينة وفي هذه الحالة يعد فاعلا المكون الذي تعلوه مباشرة المقولة الجملة، في حين يعد مفعولا المكون الذي تعلوه مباشرة المقولة المركب الفعلي بالنسبة للغات الشجرية كاللغتين الانكليزية والفرنسية"^(٥).

ولم يحفل الوظيفيون بجدلية النظرية الوظيفية ومدى كفايتها الوصفية او التفسيرية كما هو الحال مع النحو التوليدي التحويلي ولاسيما مدرسة براغ ومدرسة لندن، ونقل عن هالدي قوله: (اننا لسنا بحاجة إلى نظرية متخصصة إلى حد كبير بحيث يستطيع المرء ان يفعل القليل بها)، ولهذا قيل في بعض اعمال الوظيفيين انها عبارة عن مقترحات اجرائية اكثر من كونها نظرية^(٦).

والتفاصيل التي تضمنتها الصفحات السابقة هي القضايا العامة التي تشترك فيها جميع المدارس او الاتجاهات الوظيفية. وهذه المدارس قد تختلف فيما بينها بالمصطلحات وفي طريقة تناولها للظاهرة المدروسة ومدى عمق التحليل والتركيز على التفاصيل المتعلقة بالظاهرة. وقد

^(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢١-٢٤ وسيأتي الحديث عن الحقل التداولي في فصل مستقل من هذا البحث.

^(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠، وسنأتي إلى تفاصيل هذه المستويات لاحقا.

^(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠، وينظر أيضا: التركيبات الوظيفية ٢٢.

^(٤) التركيبات الوظيفية ٢٢، والمقصود بـ(التطريزية) النبر والتنغيم.

^(٥) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢. ويقصد بالشجرية اللغات التي يشكل فيها الفعل مع المفعول مركباً واحداً يحكم فيه الاول الثاني ويسند إعرابه. ينظر: ٤٤.

^(٦) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٢-٧٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تركز بعضها على جوانب كلية لا تخص لغة دون غيرها. وتركز الاخرى على خصائص لغة معينة. لكن القاسم المشترك الذي يجمع بين هذه المدارس رغم التباعد الزمني والثقافي هو تصورهما للغة على انها وسيلة اتصال اجتماعية يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة وإيمانها بتبعية بنية اللغة لوظيفة التواصل، وتركيزها على تأثير المستعملين وسياق الاستعمال في نسق اللغة^(١).

ثانياً: المدارس الوظيفية

أ- مدرسة براغ:

اثارت نظرية سوسور التي عزلت اللغة عن كل الصلات بحامل اللغة ردود فعل متباينة منها، فدرست بعض المدارس اللغة من الناحية النظرية فقط مثل (الجلوسماتية) وبعضها عنيت بتطبيقات النظرية مثل (حلقة براغ)، وبعضها وضعت التطبيقات في الصدارة مثل (علم اللغة الوصفي)^(٢).

وكما يقول كلاوس هيشن يضم اسم (حلقة براغ) تحته تنظيماً "غير محكم من اللغويين الاوربيين الذين تصدرهم سنة ١٩٢٦ اللغوي البراغي ف. ماثيسوس V. MATHESIUS، وفيها اتحد عدد كبير من اللغويين الذين كان لديهم إلى حد ما ثقافات وخلفيات لغوية غاية في الاختلاف بحيث لا يتعجب المرء اذا لم تصل مدرسة براغ إلى برنامج صارم وملزم للجميع، بل ظلت متمسكة بالغالب بعدم تجانس قوي في طرائقها. اما ما جمع هؤلاء اللغويين مع ذلك اتجاهات مماثلة معينة لاهتمامهم، فيمكن ان يذكر من بينها بوجه خاص الاهتمام بالقضايا الفونولوجية. وفضلا عن ذلك حاولوا جميعا على نحو ما ان يولفوا بين النظرة اللغوية البنوية والنظرة اللغوية الوظيفية"^(٣).

وفضلا عن اسم (حلقة براغ) تعرف هذه المدرسة ايضا "بأسم (علم اللغة الوظيفي) وهو اسم لقبت المجموعة نفسها به للإشارة إلى موقفهم المميز من موضوع علم اللغة ومهامه"^(٤). وتعد هذه الحلقة "واحدة من المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي التي قامت في القرن العشرين مستندة بقوة إلى النظرية اللغوية المطورة في كتاب فردينان دي سوسير"^(٥).

وقبل تأسيس هذه الحلقة في عام ١٩٢٦ بأعوام عدة القى رائدها ومؤسسها "ماثيسوس (١٨٨٢-١٩٤٥) محاضرة مهمة حول ما سماه بـ(خصيصة اللغة) CHARATEROLOGY OF LANGUAGE وقد قال ياكبسون عن هذه المحاضرة انها لو كانت القيت في مكان اخر غير براغ، في موسكو مثلا، لأحدثت ثورة حقيقية في الدراسات اللغوية عندئذ"^(٦). القيت هذه المحاضرة المحاضرة في عام ١٩١١ ولم تنشر الا بالنيشيكية انذاك وفيها طالب ماثيسوس "بالوصف التزامني

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٣، والوظيفة بين الكلية والنمطية ١٤٩ وما بعدها، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٩-٢٧ وكذلك ٤٩-٥٠، واللسانيات والبيداغوجيا ٣٨-٣٩.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٢.

(٣) القضايا الأساسية في علم اللغة ٥٢.

(٤) مناهج علم اللغة من هرمان ١١٨، وينظر: القضايا الأساسية ٦٨.

(٥) مناهج علم اللغة من هرمان ١١٥.

(٦) الإتجاه الوظيفي ٧٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

للغة اي قبل كتاب سوسير. ويدلل ذلك على ان ماثسيوس قد عرف على الاقل اعمال بودوان دي كورنتي المتعلقة بذلك. بل وربما اعمال لغويين اخرين ايضا، انتقدوا التناول التعاقبي للنحاة الجدد^(١).

وشارك ماثسيوس في الدفاع عن هذه الآراء زميله البراغي يوسف زوباتي عالم الدراسات الهندوجرمانية والبوهيمية وذلك "قبل ان يتعرفوا هم وتلاميذهم إلى كتاب دي سوسير (دروس في الالسنية العامة) الذي وجدوا فيه تأكيداً جلياً لتصوراتهم الخاصة، بل نقاطاً للنقد ايضا، وقد انضم اليهم ما سمي بالجناح الروسي تروبتسكوي وياكوبسون وكريسيفسكي الذين كانوا قد غادروا الاتحاد السوفيتي في بدء تأسيسه لاسباب متباينة"^(٢).

لكن افكار ماثسيوس لم تكن "معروفة لدى الاوساط اللغوية حتى انعقد الاجتماع الاول لمدرسة براغ في اكتوبر ١٩٢٦. وكان ذلك بمبادرة من ماثسيوس نفسه، ويعد انتهاء جلسات الاجتماع، اتفق المجتمعون على الالتقاء بصفة دورية ضمن (حلقة براغ اللغوية) وابتداءً من هذه الفترة تجمع حول ماثسيوس مجموعة من المهتمين بالدراسات اللغوية، وقد عرف هذا التجمع فيما بعد بأسم مدرسة براغ"^(٣).

ومن ابرز اللغويين الذين ضمتهم هذه الحلقة: ماثسيوس ويوسف زوباتي وتلاميذهما: ترنكا، وهافرنك، وشكاليتشكا وتروبتسكوي، وياكوبسون، وعالم النفس كارل بولر، ومنظر الأدب موكاروفسكي. فضلاً عن عدد من اللغويين الأوكرانيين والألمان والروس والسلافيين ممن لم يكونوا يقيمون في تشيكوسلوفاكيا. وبهذا يتضح ان التسمية لم تكن تشير إلى المحلية وإنما هي تسمية علمية تتميز بها النظرة الخاصة لهذه المدرسة في التحليل اللغوي^(٤).

وترتكز خصوصية هذا الاتجاه ونجاحه على الاهتمامات العلمية المشتركة والتكاملية لأعضائها. وللعلماء التشيك دور كبير في نشاط هذه الحلقة التي أثرت في العشرينيات والثلاثينيات في تطور علم اللغة ولاسيما (ماثسيوس) الذي يوصف بأنه العقل المدبر للمجموعة^(٥).

والمدة الزمنية الكلاسيكية لحلقة براغ من ١٩٢٩-١٩٣٩ وخلالها أصدرت مجلة (أعمال حلقة براغ اللغوية). بعد ذلك تأثر أعضاء الحلقة بظروف الحرب العالمية والإحتلال النازي ولا سيما بعد اغلاق القوات الألمانية المحتلة جميع جامعات تشيكوسلوفاكيا. وشهد عام ١٩٣٩ موت أحد أبرز أفرادها وهو تروبتسكوي، وفي هذه الظروف أيضاً اضطر عضو آخر وهو رومان جاكوبسون إلى الهرب من النازيين فرحل إلى الدنمارك ثم إلى النرويج واستقر أخيراً في الولايات المتحدة، وقبل نهاية الحرب بفترة توفي مؤسس المدرسة (ماثسيوس) في ١٢ ابريل ١٩٤٥. فتأثرت الحلقة بهذه الظروف وتوقفت لمدة طويلة. وبعد نهاية الحرب نجح عدد من اللغويين التشيكوسلوفاكيين في

(١) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١١٥-١١٦.

(٢) مناهج علم اللغة من هرمان بول ١١٦.

(٣) الاتجاه الوظيفي ٧٣.

(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٦٤-٦٥، ومناهج علم اللغة من هرمان بول ١١٥-١٢١، والاتجاه الوظيفي ٧٤.

(٥) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تنظيم حلقة جديدة ترتبط بإرثهم الكلاسيكي تحت مسميات جديدة مثل (الرابطه اللغوية) و(جماعة علم اللغة الوظيفي). وضمت اعضاءاً نشطين واصلوا الكتابة ضمن الإطار الفكري للمدرسة، وأعادوا اصدار دوريتها (أعمال براغ اللغوية) منذ عام ١٩٦٦^(١).

وركزت أعمال لغويي براغ على دراسة البنية اللغوية مرتبطة بالوظائف التي تؤديها ووجد في اعمالهم "تحليلات للبنية تقتفي النظام اللغوي بمفهوم ف. دي سوسير (النطاق الداخلي لعلم اللغة) وكذلك تناول علاقات اللغة بالواقع غير اللغوي. وبحوث في المقارنة اللغوية أيضاً، أي تناول العلاقات بين اللغات المفردة. وقد مدّ باحثو تلك الحلقة النظرة البنيوية إلى كل مستويات النظام اللغوي، إلى الفونولوجيا والصرف والنحو وعلم الدلالة، وعنوا بعلم اللهجات ومشكلة لغة الكتابة، وأنجزوا ما له أهمية بالنسبة لنظرية الأدب"^(٢).

ويعد من معالم هذه المدرسة عنايتها بدراسة المعنى على نحو مختلف عن نظرة البنيويين الأمريكيين الذين قاموا بتحليله من خلال تبين نوع المثير والاستجابة. أي من وجهة نظر سلوكية^(٣). وفي هذا الاطار يبدو قربها من نظرية (سوسور) ولاسيما بعد اتفاق اعمال لغويي هذه الحلقة على ان "المنطلق هو فرضية سوسير، وهي ان اللغة نظام من العلامات يجب ان تبحث بنيته، غير ان البراغيين اضافوا إلى مفهوم النظام الصارم لدى سوسير بعض مكملات صيرت بحوثهم غاية في الاثمار داخل علم اللغة البنيوي"^(٤).

وتذكر (بارتشت) ان هناك نقاط اختلاف أخرى مع سوسور غير تجاوزهم لنظرته البنيوية المغلقة، فهم لم يشاركوه منذ البداية الفصل الصارم بين التزامن والتعاقب، والمبالغة في التركيز على بحث العلاقات التزامنية المرتبطة بذلك. وشملت بحوثهم قضايا تاريخية عدة ولاسيما في مجال الفونولوجيا^(٥).

وتذكر (بارتشت) أيضاً ان (علم اللغة البنيوي الوظيفي) الذي اختصت به الحلقة أوضحه تعاون جناحين مختلفين: (التشيك) و(الروس). إذ أدخل (الجناح الروسي) بقوة الجانب البنيوي، وادخل الجناح التشيكي بالتعاون مع علماء نفس الجشثالت الجانب الوظيفي. وبهذا نشأ اتجاه لغوي وضع في القلب تساؤلات لصيقة بالتطبيق دائماً^(٦).

(١) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٥٢-٥٣، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٤، ومدخل إلى اللسانيات ٧٠.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٣، وينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره ٧٤.

(٣) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٧٤-٧٥.

(٤) مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٤.

(٥) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٤، ومن أهم هذه الأعمال (التاريخية) عمل (جاكسون) الذي تضمنه المجلد الثاني من مجلة أعمال براغ (١٩٢٩): (ملحوظات حول التطور الفونولوجي للروسية مقارنة باللغات السلافية الأخرى، وعمله الذي ظهر سنة ١٩٣١ وحمل عنوان (أسس الفونولوجيا التاريخية). ينظر: ١٢٥، مع هذا فقد برز اللغويون البراغيون لأول مرة عالمياً من خلال اشتراكهم في النقاش حول مناهج الوصف اللغوي في المؤتمر الأول في لاهاي سنة ١٩٢٨، وكان من نتيجة ذلك الاعتراف بهم بوصفهم مجموعة ذات تصورات مشتركة. وتلت ذلك مؤتمرات أخرى أيضاً. ينظر ١١٦-١١٧.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ولا تقتصر تصورات الوظيفيين الجديدة على ربط اللغة بالمتكلم وبالعالم الواقعي المادي، فقد ذهبوا أيضاً إلى أن (اختيار العلامة التواصلية) ليس اعتباطياً نظراً لوجوب أن تصنع من عناصر مناسبة للغاية، أي كيانات أكثر كفاية (تعبيرية) وواضحة وبسيطة من أجل الوظيفة المتكلم عنها^(١). ولم يجادل سوسور في كون اللغة تخدم مقاصد الإنسان وتؤدي أغراضاً معينة، لكنه جادل في مسألة تبعية البنية الداخلية لهذه الأغراض أو الوظائف، ومن وجهة نظره بنية اللغة مستقلة عن وظائفها أما علماء براغ فقد اعلنوا أن اللغة لا يمكن تفهمها ولا شرحها إلا من الأغراض التي تخدمها. وقاموا بتحليل اللغة من منطلق المهام التي تؤديها^(٢).

وقد يكون لسوسور أثر واضح في (حلقة براغ) لكنه ليس العامل المؤثر الوحيد، إذ يعزى الفضل أيضاً في اتساع كثير من مجالات البحث في هذه الحلقة إلى (بودوان). وكما تقول: بارتشت: يمكن "أن يعثر المرء بالنسبة لكل المجالات التي عمل فيها البراغيون خاصة داخل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي، على مصادرها لدى بودوان"^(٣).

وكما ذكر سابقاً تأثر لغويوا براغ بعلم النفس (الجشالت) الذي أسسه (كريستيان فون إيرنفلس) CH.VON EHERNFELS الذي عمل في براغ من ١٨٩٦-١٩٣٢، ونشر سنة ١٨٩٠ العمل المبرمج حول خواص البنية الكلية. وعد فيه الكليات النفسية نظاماً بنائياً: ابنية كلية تقابل بالمعالجة الذرية لمضامين الوعي، أي: أن الأجزاء مترابطة في الكل ترابطاً غير مستقل^(٤). ولأفكار أستاذ الفلسفة في براغ أنتون مارتى ANTON MARTY أثر بارز كذلك في نشأة هذه المدرسة^(٥).

أما مجالات بحث هذه الحلقة فقد شملت علاقة اللغة بأجزائها وعلاقة الأجزاء ببعضها، وعلاقة اللغة بالمعطيات غير اللغوية أي: علم الدلالة والأسلوبية والشعرية. وعلاقة اللغة باللغات الأخرى (المقارنة اللغوية) فضلاً عن دراسة الجوانب التاريخية للغة. وكل ذلك استناداً إلى مبدأ كون اللغة نظاماً من وسائل تعبيرية موجهة إلى هدف معين^(٦).

وكان من نتائج دراسات حلقة براغ: أن بنية اللغة قد تختلف تبعاً للوظيفة. كما هو الحال مع اللغة الانكليزية التي تسري فيها قاعدة الإشارة إلى كل ما ليس له جنس طبيعي بالضمير (IT) ولكن في وظيفة التعبير تسري قاعدة أخرى هي استعمال الضمير (SHE) لكل ما للانسان فيه موقف عاطفي ايجابي. واللغة بناءً على هذه النظرة ليست نظاماً متجانساً بل نظام من أنظمة متعددة الوظائف^(٧).

(١) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٦٥-٦٦.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية ٦٣، وينظر أيضاً: ٦٨، وينظر كذلك: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات ٢٤-٢٥ و ٣٠.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١١٩.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٠، وقد وضع لغويون آخرون مصطلح GESTALT (الالمانى) ترجمة للمصطلح الفرنسي STRUKTURE وبهذا يتضح التوافق بين المفهومين اللغوي والنفسى. ينظر: ١٢٠، وكذلك ١٢٣-١٢٠.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧١. ويبدو كذلك أنه ليس عالم النفس الوحيد في هذا التأثير فقد عزي لـ(مولر) وهو عالم نفس أيضاً أول نموذج وظائف كما سيأتي. ينظر: القضايا الأساسية ٦٤.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٦-١٢٧، وينظر: القضايا الأساسية ٦٥-٦٦.

(٧) ينظر: القضايا الأساسية ٦٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ونظر إلى التطور اللغوي على انه تطور لنظام، وان هذا النظام (نظام دينامي) لم يوجد مطلقاً في حال سكون. وبرز اهتمام واضح ايضاً بالمجالات التطبيقية كتعليم اللغات وتدريس اللغة الأم ولاسيما في مرحلة الدراسة الثانوية. فضلاً عن العناية باشكالية لغة الأدب وتشفير لغة الكتابة، وهذا النوع من الدراسات التطبيقية يختلف كثيراً ما عرفه علم اللغة الوصفي في الولايات المتحدة^(١). وتعد دراسة (الجمل) انطلاقاً من المنظور الوظيفي التواصل من أفضل الأمثلة على وظيفية براغ^(٢).

وهذه النظرة الوظيفية للجمل هي امتداد للمناقشة التقليدية الحامية التي كانت تحدث في نهاية القرن التاسع عشر حول ثنائية الموضوع SUBJECT والمحمول PREDICATE ولأنتون مارتني_ كما ذكرنا سابقاً_ أثر كبير في هذه المناقشة. وقد عبر ماثيوس (مؤسس الحلقة) عن افكاره في شكل ثنائيات متميزة تتعلق بالطرفين الأساسيين للجمل، وكيفية تأثير ترتيبها في الوظيفية التي تؤديها. وهذه الثنائيات هي: ثنائية الموضوع TOPIC والتعليق COMMENT أو البؤرة FOCUS. وثنائية المتقدم THEME والمتأخر RHEME. وثنائية المسلمة GIVEN والاضافة NEW^(٣).

وتنظر مدرسة براغ إلى ثلاثة مستويات لغوية:

١- المستوى النحوي (ويشمل الصرف).

٢- المستوى الدلالي.

٣- المستوى الكلامي.

والمستوى الدلالي هو المعنى الحرفي للأبنية اللغوية. والمستوى الكلامي يمثل المعنى السياقي المرتبط بموقف معين. وهذا المستوى الأخير هو الذي يبين كيف يتفاعل المستوى النحوي والمستوى الدلالي في عملية الاتصال اللغوي. وضمن نطاق هذا المستوى برزت فكرة المنظور الوظيفي للجمل^(٤).

وكما هو الحال مع البنيويين الأمريكيين والتحوليين يعد (الصرف) جزءاً من النحو عند الوظيفيين. وكذلك لا يختلف تصور الوظيفيين في عد الإسناد شرطاً للجمل عن سبقهم. فهم يرون ان الجملة تتألف من شقين: يسمى الأول (المسند) والثاني (المسند إليه). لكنهم يتحدثون عما يسمونه (النسق المحايد) أي الترتيب المتبع في الجملة في الاستعمال العادي الذي يراد به مجرد الإخبار أو الإسناد. وهذا النسق يتم خرقه عندما يريد المتكلم ان يجذب انتباه السامع إلى عنصر معين في الجملة لأنه يمثل مدار الحدث اللغوي كما هو الحال مع الجملتين الآتيتين:-

وصل	الوفد الرياضي الصيني	إلى البلاد ليلة أمس
المسند	المسند إليه	
الوفد الرياضي الصيني	وصل	إلى البلاد ليلة أمس
المسند إليه	المسند	

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ١٦٣-١٦٤.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٦٨.

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧١.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٥-٧٦. ومدخل إلى اللسانيات ٧١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ البحث الأول ﴾

إذ تعبر الجملتان عن فكرة واحدة لكن مجال التركيز مختلف وهذا ما يعكسه توزيع المسند والمسند إليه فيهما. فالأولى تقع جواباً عن السؤال: ما هي أخبار الوفود الرياضية؟ أما الثانية فتقع جواباً عن السؤال: أي وفد وصل إلى البلاد ليلة أمس؟. وهذا الاختلاف في الترتيب (التوزيع) جاء ليخدم الوظيفة التي سبقت من أجلها كل واحدة من هاتين الجملتين^(١).

وتحديد موضع المسند والمسند إليه من الجملة "في الترتيب المحايد ينبع من الحقيقة المعروفة وهي ان المرء يبدأ كلامه بالمعلومات المعروفة لدى المتكلم أو التي سبقت الإشارة إليها، والتمهيد لها في السياق، ثم يضيف بعد ذلك المعلومات الجديدة التي يظن انها كفيلة باثراء القارئ أو السامع"^(٢).

ويرجع هذا الفهم لإبتدائي لتوزيع المسند والمسند اليه إلى ماثيوس في حديثه عن تقسيم واقعي للجملة، فقد فرق بين التتابع الموضوعي للمفردات والتتابع الذاتي تفريقاً أساسياً. وبناء على هذا التفريق يمكن ان تشيد الجملة بتقديم موضوع الجملة ويعقبه حديث (خبر/ محمول) الجملة، وهذا هو (التتابع الموضوعي للمفردات)، ويمكن ان يبدأ بحديث الجملة (المحمول) ويعقبه موضوع الجملة وهذا هو ما يسميه (التتابع الذاتي للمفردات)^(٣).

وتختلف اللغات فيما بينها في مدى الحرية التي تقدمها للمتكلم في ترتيب (توزيع) المسند والمسند اليه، فالعربية مثلاً تتيح احتمالات مختلفة بسبب وجود قرينة الاعراب التي يمكن ان نميز من خلالها بين الفاعل والمفعول. وتساعد على هذا أيضاً قرينة المطابقة _ التي توجد في اللغة التشيكية أيضاً _ مما يتيح للمتكلم اختيار ايهما يقدم أولاً عند غياب الاعراب الفاعل او المفعول، كما في الجملة:

ضربت عيسى يسرى.

اما الانكليزية فتتميل إلى (التتابع الموضوعي للمفردات) اي جعل الموضوع (خبر الجملة) حيثما كان ذلك ممكناً (الفاعل النحوي للجملة)^(٤) وحين يقدم تصوران بوصفهما معطى للموقف يجعل الفاعل النحوي من يمتلك دينامية اكثر او يظهر كانه شيء محدد. وذلك لان الرتبة في الانكليزية مقيدة إلى حد كبير (لعدم وجود الاعراب) لذا فهي تلجأ إلى قرينة التنغيم اكثر من من غيرها في تحديد المعلومات المسلمة، والمعلومات الجديدة وقد تلجأ إلى صيغة المجهول التي تتضمن الاداة (BY) كما في الجملة:

THE RAT WAS EATEN BY THE CAT

^(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٧. وينظر: أيضاً: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣. ومدخل إلى اللسانيات ٧١، ونحو نظرية اسلوبية لسانية ٨٩.

^(٢) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٧.

^(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٦١، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧١. ونحو نظرية اسلوبية لسانية ٨٩.

^(٤) أي الموضوع (الفاعل) يمثل غالباً في الانكليزية (خبر الجملة) أي المعلومة الجديدة وليس المحمول النحوي، فالمصطلحات هنا تداولية وليس نحوية قواعدية. (والخبر) هنا يمثل المعلومة الجديدة، والموضوع (المسلمة/المعروفة).

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

التي لجأ فيها إلى صيغة المجهول من أجل تقديم (THE RAT) أي (الجرذ) الذي يمثل المعلومة المعروفة وما بعده يمثل (الموضوع) أي المعلومة الجديدة التي يراد اعلام الآخر بها^(١). وليس ما قدمه ماثسيوس جديداً كلياً فقد استقى كثيراً من جوانبه من عالم الدراسات الصينية الألماني (جابلنتس) الذي لاحظ من قبله ان اللغات ذات الترتيب الحر نسبياً للمفردات التي يمكن ان تعبر فيها المورفولوجيا عن علاقات نحوية، يمكن ان يقوم ترتيب المفردات فيها بوظائف غير نحوية. وقد راعى في ذلك العلاقة بين المتكلم والسامع. واختار المصطلحات: (الموضوع النفسي) و (المحمول النفسي). ويقصد بالاول (الموضوع النفسي) اي شيء ينبغي ان يعرف السامع عنه شيئاً. وبالثاني (المحمول النفسي) ما ينبغي ان يبلغ به. ويقع الاول في التابع قبل الثاني^(٢). ولم يقدم ماثسيوس اي مطابقة بين الفونولوجيا والمورفولوجيا والدلالة. ولم يحدد وحدات تركيبية وقواعد نحوية لتأليفها، واقتصر حديثه على تأثير في الدلالة والبرجماتية. لكن ما قدمه _وان كان في اطار المفاهيم العامة_ اصبح الاساس الذي انطلق منه من جاء بعده ممن طور افكاره مثل (فرباس)، وكان لمفاهيمه الثنائية اثر ايضا في المصطلحات الجديدة التي صيغت بعده، وان كانت تلك المفاهيم الجديدة او المصطلحات لا تترادف ما ذكره هو في دراسته^(٣). وعلى غرار ماثسيوس اتخذ (جان فرباس) JAN FIRBAS المنظور الوظيفي للجملة اساساً للتحليل، وركز دراسته على ترتيب عناصر الجملة والنظر اليها في ضوء السياق، من خلال تقديمه مفهوماً وظيفياً جديداً هو (دينامية الاتصال) COMMUNICATIVE DYNAMISM، الذي يقصد به: خاصية من خاصيات الاتصال تتجلى في سياق تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها^(٤). فالعناصر التي تتكون منها الجملة في عملية الاتصال اللغوي "لها امكانية متفاوتة في اثراء معلومات المستمع: فبعضها يحتوي على معلومات يعرفها المستمع بالفعل (او يمكن استعادتها من خلال السياق)، وبعضها يحتوي على معلومات جديدة، وحينما ننظر اليها من هذه الزاوية نجد ان قدرتها على تحريك الحدث الكلامي متفاوتة، وهذا انعكاس للطبيعة الديناميكية لعملية الاتصال اللغوي"^(٥). وبناء على هذا المفهوم اللغوي (دينامية الاتصال) يميز (فرباس) بين ثلاث وحدات وظيفية في الجملة:

المسند: وهو ينقل اقل درجة من دينامية الاتصال.

المسند اليه: وهو ينقل اعلى درجة من دينامية الاتصال.

الوحدة الانتقالية TRANSITION: وتكون بعد الوحدتين السابقتين اوقبلهما، وتكون غالباً من العناصر الاضافية (الظرف، الحال) او العناصر التي نحتاج اليها لاستقامة الجملة نحوياً مثل

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٦١-١٦٢، ومدخل إلى اللسانيات ٧٢.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٦١، ولأراء (مارتي) أثر أيضاً في ماثسيوس. ينظر: ١٦١.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٦٠ و ١٦٢، والاتجاه الوظيفي ٧٥-٧٧. ومن هذه المصطلحات: المسلم- الجديد/ المحور_ البؤرة.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٧.

(٥) الإتجاه الوظيفي ٧٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

(ادوات النسخ والشرط)...الخ. وتحديد المسند والمسند اليه لا يكون على اساس المعلومات كما هو الحال مع ماثسيوس وإنما يكون على أساس وظيفتهما في الاتصال اللغوي، بعد ان يؤخذ بنظر الاعتبار ثلاثة عوامل:

- ١- نسق الجملة (ترتيب الاجزاء فيها).
 - ٢- السياق العام للحدث اللغوي.
 - ٣- السياق الدلالي الخاص (البنية الدلالية)^(١).
- ويتضح ذلك من طريقة تحليل الجمل الآتية:
- السياق: أين رمى الفراش الأوراق؟
- الجملة: في سلة المهملات رمى الفراش الأوراق مسند اليه مسند الىه وحدة انتقالية
- السياق: هل تصدق انني نسيت ان اغلق باب شقتي ليلة امس؟ وماذا حدث؟
- الجملة: دخلت قطة صغيرة داخل المطبخ.
- مسند إليه

والسياق هو الذي يحدد اي عناصر الجملة يمثل شيئاً معلوماً، او شيئاً جديداً، وبعض الجمل تشكل بكاملها اضافة جديدة يريد المتكلم ان يخبر بها السامع، وبهذا تحمل كل عناصرها درجة عالية من دينامية الاتصال، وهنا يتضح دور الحقائق الخارجة عن الاطار التركيبي واثرها في التعرف على المعنى^(٢).

وفي هذا الاطار يمثل (المفعول به) في الجملة المتعدية (الهدف) او نتيجة الحدث الذي يعبر عنه فعل الجملة، لهذا يحمل في الظروف العادية درجة دينامية اعلى مما يحمله (الفعل) وتعليل ذلك من وجهة النظر الوظيفية ان الهدف (او النتيجة غير المعروفة) اهم من الحدث نفسه^(٣). ويذكر بهذا الصدد ان وجود اداة التعريف مثل (ال) في العربية و (THE) في الانكليزية، يشير إلى ان العنصر المرتبط بها يعرفه المخاطب، اي انه يحمل درجة اقل من دينامية الاتصال. اما غيابها او وجود اداة التثنية (كالتثنية بالعربية، و A في الانكليزية) فيفيد ان العنصر المرتبط بها لا يعرفه المخاطب وبهذا يحمل درجة اعلى من دينامية الاتصال^(٤).

فحينما نقول:

وصلت الرسالة امس.

ونسند إلى الرسالة وظيفة (المسند) فهذا يعني ان المتكلم قد اتى على ذكرها سابقاً، اي انها تشير إلى معلوم. وفي قوله تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ - المزمّل ١٦/٧٣.

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٨.

(٢) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٩. وفي النحو الوظيفي يشار إلى المعلومة الجديدة باسم (بؤرة) ويقابلها (المحور) وسيأتي بيان ذلك ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣.

(٣) ينظر الإتجاه الوظيفي ٧٩.

(٤) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

تحمل (رسولا) دينامية اتصال اعلى من (الرسول) بسبب دخول (ال) التعريف على الثانية التي حددت المقصود به^(١).

لكن الحال ليست ثابتة على هذا دائما مع اداة التعريف، فقد تقتزن بما يشكل المعلومة الجديدة في الرسالة اللغوية اي بـ(المسند اليه) كما في الجملة:

-السياق: اين ضاع قلمك؟

-الجملة: ضاع قلمي في المكتبة
وحدة انتقالية مسند قلمي مسند اليه

فالمسند اليه هنا (في المكتبة) هو الذي يمثل المعلومة الجديدة وان كان مرتبطا باداة التعريف^(٢).

ومثل ذلك يقال في (الضمير) الذي يشير دائما إلى ما هو معروف سلفا كما في الجملة:

-السياق: ماذا حدث للجرذ؟

الجملة: لقد اكله القط.

فالضمير هنا يشير إلى ما هو معروف (الجرذ) الذي يمثل هنا المسند. اما (القط) فيمثل المعلومة الجديدة اي: المسند اليه^(٣).

وفي هذا الاطار يأتي الحديث عن (المسند الصريح) وهو العنصر الذي يحمل ادنى درجة من درجات (الدينامية)، و (المسند اليه الصريح) وهو العنصر الذي يحمل اعلى درجة من درجات (الدينامية). وعلى هذا الاساس يصنف (الضمير) في سلم الدينامية على انه (مسند صريح)^(٤).

وقد يحمل عنصران (دينامية) عالية في جملة ما لكن احدهما يكون اكثر فاعلية واهمية من الاخر كما في الجملة:

-السياق: من الذي ايد صحة تلك الانباء؟

-الجملة: ايد صحة تلك الانباء مصدر دبلوماسي عربي رفيع المستوى^(٥)

مسند مسند اليه مسند اليه صريح

ومن خلال هذه الامثلة يتضح اثر العوامل الثلاثة السابقة: السياق، نسق الجملة، البنية الدلالية في توزيع درجات دينامية الاتصال، والمجال الذي تنتزع خلاله هذه الدينامية هو الحدث الكلامي بأكمله، وقد يقتضي هذا تقسيم الكلام إلى فقرات، والفقرات إلى جمل وهكذا^(٦).

ووضع الجمل في سياق السؤال هو احد الوسائل المعنية في معرفة المعلومة الجديدة والمعلومة القديمة وذلك بعد النظر في محتواها الدلالي. لكن لـ(هاليداي) _ من مدرسة لندن _ رأي مختلف فهو يرى ان الذي يحدد وضع المعلومة ان كانت جديدة ام لا هو المتكلم وليس بنية الخطاب^(٧).

وقد قيل في اراء مدرسة براغ انها تبتعد عن التقنيين وانها ذوقية وانطباعية اكثر من كونها علمية، وكما هو الحال مع (فرباس) والآخرين من أعضاء هذه المدرسة^(٨). لكن السمة الواضحة لهذه

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٩. ومدخل إلى اللسانيات ٧٣.

(٢) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٧٩.

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٤.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٠.

(٥) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٠، ومدخل إلى اللسانيات ٧٤.

(٦) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٠، وهنا تبدو الصلة الوثيقة بين النحو الوظيفي وعلم لغة النص.

(٧) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٣ و ٧٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

لهذه المدرسة هي "أنها لم تحفل بالتقنين أو بجعل الدراسة اللغوية دراسة علمية، كما كان الشأن لدى المدرسة الأمريكية. فقد كان اهتمام مدرسة براغ منصباً بوجه خاص على الكيفية التي تزود بها اللغة المتكلم بعدد من الأساليب والطرائق التعبيرية مناسبة لظروف إجتماعية مختلفة"^(١). ولا يقلل هذا النقد من شأن ما قدمه أعضاء حلقة براغ من جهود لغوية كبيرة في مجالات اللغة المختلفة لاسيما الأصوات ولغة الشاعر والأسلوب ولغة الكتابة وتدریس اللغة وغيرها من القضايا التي ظلت مستبعدة في البنيوية الصارمة^(٢). وقد عرف علماءها بالدقة وسعة الإطلاع فيما طرقوه من مجالات الدراسة. فقد ذكر أن بطاقات فهارس تربتسكوي (١٨٩٠-١٩٣٨) التي أبيدت في الحرب العالمية الثانية ضمت شواهد لمئتي نظام فونولوجي^(٣). ووصف ياكبسون (١٨٩٦-١٩٨٢) وهو من أعضاء هذه الحلقة "بأنه مرعب أو مهول، وذلك بسبب كثرة مواهبه وتأثيره الكبير في علمي اللغة الأوربي والأمريكي"^(٤). وهو لغوي متعدد المشارب له دراسات مميزة في مجال علم اللغة الوظيفي في الفونولوجيا (وظائف الأصوات) والمورفولوجيا (الصرف) وعلم الدلالة والشعرية وعلم العلامات فضلاً عن أعماله التي تتداخل فيها الاختصاصات، ويعد تحليله لنظام الفعل في الروسية (١٩٣٢) واحداً من التحليلات الوظيفية الباهرة^(٥). فضلاً عن جهود غيرهم من اللغويين من أعضاء هذه الحلقة (حلقة براغ) التي كان لها أيضاً تأثير واضح في المدارس التي جاءت بعدها.

ب- مدرسة لندن:

تلتقي مدرسة لندن مع مدرسة براغ في جوانب كثيرة، فهما لا يتفقان فقط في الاطار المنهجي العام الذي يدرس اللغة من خلال وظيفتها في المجتمع، وإنما يتفقان أيضاً في كثير من الموضوعات التي تناولتها دراسة كلٍ منهما. فللمدرستين اهتمام كبير في مجال دراسة الأصوات ويرجع الفضل لهاتين المدرستين في التمييز بين مجالين مختلفين في دراسة الأصوات هما: علم الأصوات وعلم الصيابة. وينسب إلى (جاكسون) تطوير النظرية الصيابة. وإلى فيرث تركيزه على دراسة الاصوات لاسيما في المراحل المبكرة^(٦).

(١) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٧٠، والإتجاه الوظيفي ٨٠.

(٢) الإتجاه الوظيفي ٨٠.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ٧٠.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٢٩، وبسبب انحداره من ارسنقراطية روسية سكنت عن بحوثه لاكثر من عقدين في الاتحاد السوفيتي ولم تظهر بعض اعماله باللغة الروسية حتى عام ١٩٦٠، ينظر: ١٢٩، وله بحوث حول (الرباط اللغوي) صاغ فيها فرضية ان اللغة يمكن ان تكتسب أو تفقد تبعيتها للأسرة اللغوية. ينظر: ١٤١، وينظر أيضاً: ١٢٩-١٤٣، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٦-٧٧.

(٥) مناهج علم اللغة من هرمان ١٥٨.

(٦) ينظر: القضايا الأساسية ٦٥، ومناهج علم اللغة من هرمان ١٤٣-١٦٠، ومدخل إلى اللسانيات ٧٥-٧٦.

(٧) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٤-٧٥، وينظر أيضاً: القضايا الأساسية في علم اللغة ٥٣-٦٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وعرف عن كلا المدرستين أيضاً تركيزهما على (المعنى) لأنه يمثل الهدف الذي يرمي المتكلم إلى إيصاله إلى أفراد المجتمع الآخرين. لذا أخذوا بتحليل المفاهيم العامة والخاصة التي يرغب كل إنسان أينما كان في هذا العالم في التعبير عنها عن طريق اللغة^(١).
وتتفق المدرستان أيضاً في تناولهما لقضايا الأسلوب ولغة الشعر ولغة الكتابة وفي تناولهما بعض القضايا من منظور تاريخي^(٢).

لكن مدرسة لندن تميزت عن مدرسة براغ بتأثير الاعتبار (العملية) في سير دراساتها اللغوية في بداياتها الأولى. خدمة لأغراض الامبراطورية البريطانية الممتدة على مساحات شاسعة في آسيا وأفريقيا وحاجتها لوصف الانكليزية وقواعدها بطريقة تسهل على الأجانب تعلمها، ولوصف لغات المستعمرات التي تسود في بعضها أكثر من ثلاث لغات رئيسية، مما دعا إلى إيجاد طرق لكتابة اللغات وشرح قواعدها لاسيما اللغات المحلية واللغات غير المدونة على نطاق واسع^(٣).

وقد كان لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التي انشئت في ١٩١٦ دور كبير في دراسة لغات المستعمرات وثقافتها وتدريبها لرجال الحكومة، وفي هذه المدرسة تطورت الدراسات اللغوية على يد (فيرث) FIRTH (١٩٤٤-١٩٥٦) الذي يعد أول استاذ لعلم اللغة العام في هذه المدرسة. وتركزت أغلب كتاباته على المعنى والأصوات قبل أن يتوسع اتباعه في مجال النحو والمفردات^(٤).

وفي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين ظهرت نظرية فيرث التي عرفت بنظرية سياق الحال CONTEXT OF SITUATION التي نظرت إلى المعنى على أنه (وظيفة في سياق) وهو ما عد تحولاً في النظرة إلى المعنى بعد أن كان ينظر إليه بوصفه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخارج أو في الذهن من حقائق وأحداث وهي نظرة كانت سائدة في الفلسفة الغربية بعد انحدارها من الفلسفة اليونانية^(٥).

والمقصود (بسياق الحال) ظروف الكلام وملابساته التي يقال فيها، وهي بالتأكيد تؤثر في معنى الجملة بأكملها تأثيراً كبيراً. وهي تشبه ما كان يسميه البلاغيون (المقام) كما في قولهم (لكل مقام مقال). وعناصر هذا المقام أو (السياق) عديدة تتعلق بالمشاركين بالحدث اللغوي والأمور المادية ذات الصلة مثل العمر والجنس والقربة والطبقة الاجتماعية والوضع المالي والسياسي... الخ^(٦).

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١٢١، وما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٣ وما بعدها، والاتجاه الوظيفي ٧٤.

(٢) ينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٧ والقضايا الأساسية ٧٠.

(٣) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨١.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨١ ومدخل إلى اللسانيات ٧٨.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٨، وينظر أيضاً: ٧٩-٨٠، وما معنى نظرية المعنى ٦٥-٦٦. وهذه النظرية من النظريات التي شكلت تهديداً لأفكار بلومفيلد وتصوراته اللغوية. وبعدها قام النحو التوليدي التحويلي بتوجيه ضربة أخرى لنظرية بلومفيلد. ينظر: ٧٨ و ٨١.

(٦) ينظر: علم الدلالة (عوض) ١٦٠-١٦٨، واضواء على الدراسات اللغوية ١٢٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

فاللغة في ضوء هذه النظرة لا تستعمل في فراغ وإنما يحكمها أمران السياق اللغوي الذي يحدد معاني المفردات والسياق الاجتماعي الذي يبين المعاني المختلفة التي تكتسبها الجمل باختلاف السياق الذي تستعمل فيه كما في:

- اكل علي طعامه.
- اكل علي مال اليتيم.
- اكل علي اصابعه ندماً... الخ^(١).

وقد تباينت ردود الفعل من نظرية فيرث فهناك من امتدحه لأن نظريته تعيد الاعتبار إلى دراسة المعنى، ولم يرق هذا الآخرين. لكنه انعكس على دراسات حديثة عدة مثل تلك التي تعنى بدراسة المحادثة: CONVERSATION، وافعال الكلام SPEECH ACTS ، والافتراضات PRESUPPOSITION، ومناسبة الكلام للسياق RELEVANCE^(٢).

وامتدح جون لاينز اصراره على تعددية المواقف الاجتماعية التي تؤديها اللغة. ورأى أنه كان محقاً في انتقاده المناطق لا اعتقادهم أن الكلمات والأقوال تحمل معنىً بنفسها بصرف النظر عن المشاركين في سياق الحال. لكنه رأى أيضاً أنه ذهب بعيداً بافتراضه أن جميع الأقوال يمكن أن تشير إلى المشاركين النموذجيين في بعض سياقات الحال العامة^(٣).

وبما أننا سنعود إلى الحديث عن نظرية سياق الحال بالتفصيل في مبحث علم الدلالة من الفصل القادم لصلته المباشرة بهذا الموضوع، فسنركز هنا على نظرة (فيرث) للنظام، ومستويات التحليل اللغوي التي بنيت عليها نظريته. وعلى النحو النظامي الذي قدمه (هالدياي).

وقد افاد (فيرث) من تراث (سوسور) فيما يخص العلاقات (الاستبدالية و الانتلافية)، فهو يرى أن اللغة محورين: محور النظام ويمثله العلاقات الرأسية (أي ثوابت اللغة)، ومحور البناء ويمثله العلاقات الأفقية التي تتميز بالتجدد مثل الجمل المختلفة في اللغة. وتدخل العناصر اللغوية في علاقة عمودية بين العنصر المذكور وما يمكن أن يحل محله. وعلاقة أفقية بين العناصر المتجاورة. وهذان الجانبان مرتبطان ببعضهما أشد الارتباط. إذ يستمد البناء من النظام القيم اللازمة لعمل العناصر^(٤).

ويمكن أن يدرس (النظام) و(البناء) من وجهة نظر (فيرث) على عددٍ من المستويات هي:

- المستوى الصوتي: ويرى أنه يتألف من أنظمة عدة وليس من نظام أحادي، لذا على التحليل أن يأخذ بعين الاعتبار التشكيلات أو التطريزات الصوتية. وبناءً على التحليل التطريزي فإن الوحدات الصوتية والمقاطع المحددة يمكن أن تدخل ضمن العلاقات الرأسية. أما العلاقات التي قد تتولد ما بين المقاطع والوحدات الصوتية في الكلام المتصل فانها تدخل ضمن العلاقات الأفقية.
- مستوى المفردات: ويركز على العلاقات الترابطية بين المفردات (التي تعكس فكرة البناء) أي تصاحب الكلمة مع الكلمة الأخرى (الرصف) مثل (بييض فاسد) و(زبد زنج) و(شاي ثقيل)... الخ فلا يقال مثلاً شاي قوي. وهذا الموضوع يندرج في العلاقات الأفقية.

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية ١٢٢-١٢٣، وعلم الدلالة (عوض) ١٥٨-١٥٩، والإتجاه الوظيفي ٨٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨١.

(٣) ينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٥-٦٩.

(٤) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨٠، وينظر أيضاً: الإتجاه الوظيفي ٨٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

- المستوى النحوي: ويتضمن تركيب الجملة (النحو) وتركيب الكلمة (الصرف) ويعبر مفهوم الانتظام^(١) في هذا المستوى عن البناء أي التجاور الطبيعي للعناصر الصرفية والنحوية الذي يؤدي إلى تلازمها في الإستعمال.

- المستوى الدلالي: يشق (فيرث) الدلالة فيرى أن هناك معنى على المستوى اللفظي والنحوي وهكذا، أي أن جميع المستويات تتضافر لأداء المعنى. ويمثل المعنى النحوي أنماط الانظمة اللغوية التي تقام للغة، فحالة الرفع في لغة إعرابية ذات أربع حالات إعرابية تختلف على سبيل المثال عن حالة الرفع في نظام له أربع عشرة حالة إعرابية. ويكرر فيرث في مواطن كثيرة من كتاباته أن دراسة اللغة هي بالدرجة الأولى دراسة للمعنى^(٢).

- وقد تأثر (مايكل هاليداي) بـ(فيرث) وكان منهجه امتداداً لمنهج فيرث الذي اخذ عنه مستويات التحليل بعد وفاته. ويعد النحو النظامي SYSTEMIC GRAMMAR الذي وضع أسسه البروفيسور (هاليداي) من أكثر الاتجاهات النظرية تكاملاً عند مدرسة لندن، وتوسع اتباعه من بعده في التطبيقات والتفريعات^(٣).

وبني النحو النظامي "على أساس تعدد وظائف اللغة MULTIPLE FUNCTION وهذا المبدأ ينعكس على النظام اللغوي، فنجد أن تركيباً أو بناءً لغوياً يؤدي وظيفة مختلفة. وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعلية للنظام اللغوي. ومن ثم فإن من الصحيح أن نقول أن الوسائل التعبيرية المتاحة للمتكلم أو الاستعمالات التي من الممكن أن يلجأ إليها مستعمل اللغة تكون في حدود الامكانيات اللغوية الموجودة في اللغة. هذه الامكانيات هي عبارة عن خصوصيات كل لغة"^(٤).

وهذا التركيز على الجانب الوظيفي في النحو النظامي جعل المهمة الرئيسة التي ينبغي الاضطلاع بها هي تصنيف هذه الوظائف الرئيسة ضمن نظام نحوي يعكس بالدرجة الأولى تلك الاستعمالات^(٥).

والنحو النظامي الذي قدمه (هاليداي) هو شبكة متداخلة للدوار والمشاركين التي تبين وظائف اللغة، ويمكن توضيح ذلك بنمط التعدي واللزم الذي يمثل عند هاليداي في العلاقة التي يمكن تأسيسها ما بين النشاط PROCESS TYPE والمشاركين PARTICIPANTS كما في الجمل:

بكى الطفل.

-اركض في المساء.

-انفجر الوضع الأمني في لبنان.

مرض عميد الكلية في بداية الفصل الدراسي.

(١) وهو ما يسميه د. تمام حسان (التضام) كما هو الحال مع العلاقة بين (لم) والفعل المضارع. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٠٧.

(٢) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٨-٨٩. وينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٣.

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨٠-٨١، والإتجاه الوظيفي ٨٩.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٩.

(٥) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨٩، والتركيبات الوظيفية ٢٥، ومدخل إلى اللسانيات ٨١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اذ تحتوي كل جملة من الجمل السابقة على عنصرين: (نشاط) يمثله الفعل. و(مشارك واحد) هو عبارة عن الاسم سواء كان عاقلاً أم جماداً. والجملتان الأولى والثانية تدلان على حركة (ACTION) في حين تدل الجملتان الثالثة والرابعة على حدث (EVENT) والمشارك الذي يرتبط مع نشاط يدل على حركة يسمى (عامل) ACTOR _ فاعل_ ، أما المشارك الذي يرتبط مع نشاط يدل على حدث فيسمى (متأثراً) PATIENT^(١).

وإذا اقتصر النشاط على العامل أو المتأثر فهو (نشاط قاصر) NON-DIRECTED ACTION، وإذا تجاوز العامل إلى عنصر ثان في الجملة فهو (نشاط مجاوز) DIRECTED ACTION كما في الجمل:

- كتبت الطالبة المستجدة بحثاً جيداً.
- شرح المعلم الدرس.
- ويطلق على هذا العنصر الثاني مصطلح (الهدف) GOAL لأنه عبارة عن نتيجة النشاط أو أثر النشاط الذي قام به العامل، وفي بعض التراكيب يكون ما يمثل نتيجة النشاط هو ما يطلق عليه مصطلح (الظرف) كما في الجمل:
- اشار الاستاذ إلى السبورة.
- غرد العصفور فوق الشجرة.
- جلس التلميذ على الكرسي^(٢).
- وفي بعض اللغات مثل اللغات الإعرابية يتغير ترتيب بعض العناصر بناءً على أغراض المتكلم والسياق، وتحديد العنصر الذي يمثل المعلومة الجديدة (البؤرة) كما سيأتي^(٣).
- وهناك أمثلة أخرى تعد ضمن النشاط المجاوز تمثل حالة مختلفة كما في الجمل:
- _ يكلف الكتاب عشرين ديناراً
- يشبه زيدٌ أباه.
- _ يملك علي سيارتين.
- _ بدت الفتاة سعيدة.

فالإعراب الشكلي لا يميز هذه الجمل عن جمل مثل (شرح المعلم الدرس) لكن الأمر بالنسبة إلى الجمل الأخيرة مختلف فالنشاط (الفعل) في هذه الجمل ليست حركة وليس حدثاً، وانما يعبر عن وضع من الأوضاع STATE لذلك هو (فعل وضع) STATIVE VERB، والاسم الذي يأتي بعد فعل الوضع لا يقوم بعمل ولا يتأثر به، ومن ثم لا يصح ان نطلق عليه مصطلح (العامل) وبالتمعن في وظيفته نجده عبارة عن شيء متصف بالحقيقة التي يرد ذكرها في النشاط المذكور قبله. أما الاسم المنصوب في تلك التراكيب فوظيفته العامة تبين أنه الذي اتصف به المتصف ولذلك يسمى (وصفاً) وقد يكون هذا (الوصف) عدداً أو اسماً صريحاً^(٤).

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٩٠.

(٢) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٩٠-٩١، وينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٢.

(٣) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣.

(٤) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٩١، وينظر أيضاً: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وهناك جمل أخرى تتضمن أفعال حركة والنشاط فيها (نشاط مجاوز) لكن الحركة التي تصدر من العامل فيها ذات بعدين. فهي من جانب تؤثر في شيء (غالباً ما يكون عاقلاً) ومن جانب آخر تبين الذي ترك في هذا الشيء نتيجة للنشاط، أي يوجد في هذه الجمل مشاركان اثنان ولهذه الجمل امثلة كثيرة في اللغة العربية كما في:

- أعطى ابنه مبلغاً من المال.
- منح المدير سكرتيته إجازة مرضية.
- أهدى زوجته خاتماً من الماس.

ففي هذه الجمل هناك (العامل) الذي قام بالعمل، والعنصر الذي استفاد من العمل الذي صدر من العامل، وهناك الشيء المستفاد الذي هو مجرد أثر أو نتيجة للنشاط، أي يوجد هناك عنصران غير العامل (المستفيد) BENEFICIARY و(الهدف) GOAL وهي الوظيفة التي تحدثنا عنها سابقاً^(١).

ويبدو ان طريقة هاليدي في تحليل الجمل من منظور وظيفي ومفهوم دينامية الاتصال الذي قدمه (فرباس) من مدرسة براغ كان أثراً واضحاً في التمييز بين ثلاثة مستويات من الوظائف في النحو الوظيفي هي:

- الوظائف الدلالية: منفذ، متقبل، مستقبل... الخ
 - وظائف تركيبية: فاعل مفعول.
 - وظائف تداولية: محور (المعلومة المعروفة)، بؤرة (المعلومة الجديدة)^(٢).
- ويتضح من النظر في تحليل الجمل السابقة "ان النحو النظامي يلغي ذلك التقسيم الحاسم للأفعال إلى لازم ومتعد الذي ينبثق من أسس صرفية ويعتبر التعدي وال لزوم من وظيفة الجملة بأكملها، لأن الوظائف اللغوية تؤدي عن طريق الجمل المتكاملة. ويكون تحديد الأدوار ونوعية المشاركين على اساس وظيفتها الدلالية في الجملة. ولذلك فانه يجب ان نعتبر (العامل) و(الهدف) وغيرهما من الادوار وظائف دلالية وليست نحوية"^(٣).

وقد نظر هاليداي إلى اللغة بوصفها نوعاً من السلوك الدلالي المحتمل MEANING POTEUTIAL متبعا في ذلك نهج (فرث) الذي رأى أيضا ان السلوك اللغوي ليس اكثر من الجهد الدلالي وبناء على هذا الاساس حاول هاليداي ان يقيم نظاماً نحوياً على اساس دلالية وظيفية، وذلك لا اعتقاده ان نحو كل لغة مصمم بكيفية معينة تمكن مستعمل اللغة من اداء المعاني المختلفة، واننا عندما نكتب نحو لغة ما فاننا نبحث عن وسائل اداء تلك المعاني^(٤).

وبهذا تختلف نظرة (هاليداي) الوظيفية إلى الابداع اللغوي عن نظرة تشومسكي العقلية، فالابداع عند هاليدي لا يكمن في خلق جمل جديدة وانما في القدرة على خلق معانٍ جديدة^(٥).

(١) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٩١-٩٢، وينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٢.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ١٦٢، والتركيبات الوظيفية ٢١-٢٢، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠.

(٣) الاتجاه الوظيفي ٩٣.

(٤) ينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٣، والاتجاه الوظيفي ٩٣.

(٥) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٨٩.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وقد ارجع (هاليداي) وظائف اللغة "إلى ثلاث وظائف مترابطة: الوظيفة التمثيلية (التعبير عن تجربة المتكلم بالنظر إلى الواقع، او بالاحرى إلى عالم من العوالم الممكنة)، والوظيفة العلاقية (التعبير عن الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم بالنسبة للمخاطب كدور المخبر والسائل من جهة: والتعبير عن موقفه من فحوى خطابه كان يكون متيقنا او محتملا او شاكا من جهة ثانية). والوظيفة النصية التي تكمن في انتاج خطاب متسق مطابق لمقام انتاجه"^(١). وهذا يختلف عن نموذج (بولر) الذي يعد اول نموذج وظيفة في حلقة براغ وفيه أرجع وظائف اللغة إلى ثلاث وظائف ايضا هي: وظيفة عرض (مثل اخبارنا بوجود عنكبوت) ووظيفة تعبير (مثل تعبيرنا عن نفورنا تجاه حشرة)، ووظيفة استدعاء (مثل ان اطلب من السامع ابعاد الحشرة). ويشترك النموذجان في (وظيفة التعبير). اما ياكيسون فارجع الوظائف إلى ست هي: المرجعية، التعبيرية، الطلبية، الشعرية، والتنبيهية، واللغوية الواصفة^(٢).

وهناك خلاف حول اي الوظائف موجود في كل فعل كلامي، وكان رأي (بولر) ان وظيفة العرض هي الوظيفة الاولى والضرورية دائما وبقية الوظائف يمكن ان توجد بشكل اختياري فقط^(٣). وهناك من ادخل نوعا من التراتبية بين مختلف الوظائف مثل سيمون ديك (١٩٨٦) فجعل وظيفة التواصل أصلا، وعد بقية الوظائف مشتقة من ذلك الاصل^(٤). وبغض النظر عما حققه هاليداي من نجاح، فقد فتح افقا جديدة للبحث النصي واعطى اهمية لعنصر السياق والابعاد الوظيفية للغة لاسيما ما عرف بلسانيات فرث الجديدة. ومهد السبيل إلى التوسع في الدراسات التداولية (التخاطبية)^(٥).

جـ - النحو الوظيفي:

عرف الاتجاه الوظيفي فيما بعد تطورا في نظريته الوظيفية، واتخذ منعطفا واضحا عند اللغويين الغربيين في جامعات هولندا والمانيا وبلجيكا وكذلك في اليابان وغيرها. ويسمى هذا النموذج المطور من قبل اتباعه بـ(النحو الوظيفي) FUNCTIONAL GRAMMAR، وهو يجمع بين الاسس الوظيفية السابقة والمنطق الصوري^(٦).

وقد قدم الصياغة الاولى لهذا النحو سيمون ديك (DIK) في عام ١٩٧٨ ثم أجرى عليه تعديلات اخرى في عام ١٩٨٩^(٧) ويختلف هذا النمط الوظيفي المطور "عما قدمته المدارس الوظيفية السابقة من تحليل غير معقد مستمد من الاستعمال المباشر وليس من تطبيق المنطق. ولم

(١) التركيبات الوظيفية ٢٥.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية ٦٤، التركيبات الوظيفية ٢٥، واللسانيات والبيداغوجيا ٤٠.

(٣) ينظر: القضايا الأساسية ٦٥.

(٤) ينظر التركيبات الوظيفية ٢٥.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨١.

(٦) ينظر: الإتجاه الوظيفي ٩٥.

(٧) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٤٩، والاتجاه الوظيفي ٩٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

يكن الوظيفيون المتقدمون يققون عند الوظيفة الذهنية في اللغة الا بقدر ما تعكس قضية تخطيط المرء للغة^(١).

فالوظيفية المتقدمون كانوا يحلون اللغة من خلال مصطلحات دلالية تدل دلالة مباشرة على وظيفة الجملة، في حين يرى الوظيفيون الجدد ان الوظيفة يمكن ابرازها بالاسناد المنطقي، لكن الجميع يتفقون في نظرهم إلى اللغة بوصفها اداة اتصال في الحياة الاجتماعية وان القواعد الاجتماعية والاعراف والتقاليد تتحكم باللغة^(٢).

وأصبح تحقيق الكفاية الوصفية والتفسيرية في النظرية اللغوية مطلباً لا يمكن الاستغناء عنه خلافاً للوظيفية المتقدمين. ويسعى هذا النحو إلى تحقيق الكفاية التفسيرية من خلال كفايات ثلاث:

١- الكفاية التداولية: وتعني ان على النحو الوظيفي ان يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وان يتم هذا الاستكشاف في اطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي.

٢- الكفاية النفسية: وتعني وجوب مطابقة القواعد الوظيفية للنماذج النفسية القائمة في ذهن المتكلم ويتم من خلالها انتاج الجمل المختلفة وفهمها، وهو المعيار الذي اعتمدته النحو التوليدي التحويلي لكن النحو الوظيفي يتجنب الحديث عن اي قواعد تحويل مغيرة للبنية لانها اعتباطية من وجهة نظرهم ولا تطابق اوليات انتاج العبارات.

٣- الكفاية النمطية: وتعني وصف خصائص اكثر عدد من اللغات وارجاعها إلى انماط معينة على اساس معايير معينة، كمعيار الرتبة في الجملة وداخل المركب الاسمي، على عكس النظريات الكلية التي تهدف إلى وضع نحو كلي للملكة الانسانية تنفرع عنه حسب وسائط معينة انحاء للغات خاصة. وهنا يحاول النحو الوظيفي ان يقف موقفاً وسطاً بين قطبي الكلية والنمطية^(٣) لان النظرية اللسانية لا تكون ذات جدوى الا اذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباق واسع^(٤).

وفيما يخص العناية بالكليات يقرر النحو الوظيفي "ان النحو الكلي من المطامح التي يجب ان تسعى كل نظرية في تحصيلها لان النظرية التي تخلو من نحو كلي تفقد القدرة على تفسير جوانب مهمة من جوانب اللسان الطبيعي كالتشابه بين اللغات البشرية على اختلاف المكان والزمان وسرعة اكتساب الطفل للغة"^(٥).

ومن اجل تحقيق الكفاية التداولية يقترح النحو الوظيفي بنية للنحو تفرد مستوى تمثيلية مستقلاً للوظائف التداولية فضلاً عن المستويين التمثيليين المخصصين للوظائف الدلالية والوظائف التركيبية، وهذه المستويات كالآتي:

- مستوى الوظائف الدلالية: كوظيفة المنفذ والمتقبل والمستقبل والمستفيد....
- مستوى الوظائف التركيبية: كالفاعل والمفعول

(١) الاتجاه الوظيفي ٩٧.

(٢) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٩٧، وينظر أيضاً: اللسانيات والبيداغوجيا ٤٩-٥٠.

(٣) المراد بالنمطية خصائص لغة معينة.

(٤) ينظر: التركيبات الوظيفية ٥٠-٥٢، والوظيفية بين الكلية والنمطية ٦٦، واللسانيات والبيداغوجيا ٤٩-٥٠، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠.

(٥) الوظيفة بين الكلية والنمطية ٦٦.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

- مستوى الوظائف التداولية: كوظيفة المبتدأ المتقدم (THEME) والذيل (TAIL) والبؤرة (FOCUS) والمحور (TOPIC)^(١).

وهذه المستويات هي ما يقترحه (ديك) ومن اللغويين من يكتفي بمستويين اثنين مستوى التمثيل النحوي الدلالي للعناصر، ومستوى العناصر المشاركة في الحديث اللغوي^(٢).

وتعدوظيفتين الاوليتين (المتقدم، الذيل) خارجيتين بالنسبة للحمل والمقصود بها العبارات التي تسبق الحمل (الاسناد) اي تتقدم عليه، وفي بعض الاحيان تتأخر عنه. والمتقدم او المبتدأ في النحو الوظيفي ثلاثة اقسام هي: المتقدم الموضوعي TOPICAL THEME مثل (القط) في جملة (القط اكل الجرد). والمتقدم الشخصي INTERPERSONAL THEME مثل (بصراحة) في قولنا: (بصراحة اداؤك لا يعجبني) والمتقدم النصي مثل (على اية حال) في قولنا: (على اية حال، حاول ان تعيد النظر في اداؤك، وسترى)^(٣).

اماوظيفتان الثانيةتان (البؤرة) FOCUS والمحور TOPIC فتعدان وظيفتين داخليتين اي جزءا من الحمل (الاسناد) ذاته^(٤).

واقترح د. احمد المتوكل ان يضاف إلى الوظيفتين الخارجيتين (النداء) ليس لوصف اللغة العربية فقط وانما لوصف اللغات الطبيعية بصورة عامة وبهذا تكون هناك ثلاث وظائف خارجية هي المبتدأ (المتقدم) والذيل والمنادى، ووظيفتان داخليتان هما البؤرة والمحور^(٥).

والظاهر ان النداء يمكن ان يدرج تحت مصطلح المتقدم (المبتدأ) ولا مسوغ لافراد وظيفة مستقلة له وزيادة الوظائف بلا مبرر حقيقي وربما لهذا السبب لم يذكر له وظيفة مستقلة في النحو الوظيفي^(٦). وفي كلا الحالتين ليس (النداء) منظورا اليه بوصفه يتضمن اسنادا في الاصل كما هو الحال مع النحاة العرب الذين ذهبوا إلى ان اصل (يا زيد) هو (ادعوا زيدا). وفي جملة: شرب زيد شايًا، على سبيل المثال ستكون مستويات التمثيل الثلاثة السابقة على النحو الآتي:

المستوى التركيبي: فعل (شرب)، فاعل (زيد)، مفعول به (شايًا).

المستوى الدلالي منفذ (زيد) متقبل (شايًا).

المستوى التداولي محور (زيد) بؤرة (شايًا).

واسناد وظيفة (البؤرة) إلى المفعول به في هذه الجملة جاء تماشيًا مع المبدأ الوظيفي الذي ينظر إلى الهدف GOAL من الحدث اللغوي في الحال الاعتيادية بوصفه أهم من الحدث نفسه^(٧).

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠، والاتجاه الوظيفي ٩٥، واللسانيات والبيداغوجيا ٥٠-٥١.

(٢) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٩٦.

(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٦، ومدخل إلى اللسانيات ٧٤، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٦.

(٤) ينظر: دراسات في نحو اللغة الوظيفي ١٦.

(٥) ينظر: دراسات في نحو اللغة الوظيفي ١٦.

(٦) في بعض الأحيان يقترح د. المتوكل اقساماً جديداً ومصطلحات لم ترد في النحو الوظيفي كما في اقتراحه (بؤرة الجديد) و(بؤرة المقابلة) والمستعمل في النحو الوظيفي هو (بؤرة) و(بؤرة حمل) و(بؤرة مكون).

(٧) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٦.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويلاحظ ان كلاً من زيد (المحور) وشايأ (البؤرة) يعد جزءاً من الحمل لأن الفعل (شرب) يتطلب بحد ذاته (منفذاً) و(متقبلاً) وهذا ما يسمى في النحو الوظيفي بـ(الإطار الحملي)، وإذا تضمن الكلام زيادة على ما يتطلبه الفعل (الإطار الحملي) عد من (اللواحق). وتعد الاطر الحمليّة التي تشتمل على (الحدود التي تواكب الفعل) فقط اطرأ حمليّة (نووية). وإذا اضيف إليها حدود اللواحق عدت اطرأ حمليّة (موسعة). كأن يضاف إلى الجملة السابقة عبارة (في المقهى) التي لا تعد من حدود الفعل كما في: شرب زيد شايأ في المقهى.

فالاطار الحملي النووي لهذه الجملة هو (شرب زيد شايأ) والاطار الحملي الموسع يتضمن جميع عناصر الجملة بما فيها عبارة (في المقهى). ويصطلح على الحدود التي تواكب الفعل بـ(الموضوعات) ARGUMENTS وهي تقابل اللواحق SATELLITES وهذا التقسيم مبني على تفاوت حدود المحمول من حيث الأهمية بالنسبة للواقعة اللغوية^(١).

ويرمز إلى محلات الحدود التي تتضمنها الجملة بالمتغيرات (س، س٢، س٣). وبهذا تكون البنية الحمليّة لجملة: شرب زيد شايأ اليوم في المقهى. ممثلة بالشكل الآتي:

شرب فعل (س١: زيد (س١) منفذ (س٢: شاي (س٢) متقبل (س٣: يوم (س٣) زمان (س٤: مقهى (س٤) مكان^(٢)). ويلاحظ ان الاطار الحملي السابق هو اطار موسع لأنه يتضمن (الموضوعات) أي الاطر الحمليّة التي تواكب الفعل، واللواحق (الزمان والمكان). وكما قدم تشومسكي وصفاً افتراضياً لعملية انتاج الجملة كذلك فعل النحو الوظيفي الذي يرى ان الجملة تشتق عن طريق بناء بنيات ثلاث هي:

البنية الحمليّة PREDICATIVE STRUCTURE

ثم البنية الوظيفية FUNCTIONAL STRUCTURE

ثم البنية المكونة CONSTITUTENT STRUCTURE

ويتم بناء هذه البنيات الثلاث عن طريق تطبيق ثلاث مجموعات من القواعد هي: قواعد الاساس (FUND)، وقواعد اسناد الوظائف FUNCTIONS ASSIGNEMENT، وقواعد التعبير RULES، وقواعد التعليل EXPRESSION RULES، على التوالي^(٣). إذ تضطلع قواعد ((الاساس باعطاء (اطار حملي) يشكل دخلاً لقواعد بناء البنية الحمليّة التامة التحديد. ويتم نقل البنية الحمليّة إلى بنية وظيفية عن طريق اسناد الوظائف التركيبية، ثم الوظائف التداولية، وتشكل البنية الوظيفية التامة التحديد دخلاً لقواعد التعبير التي تضطلع ببناء البنية المكونة على اساس المعلومات المتوافرة في البنية الوظيفية^(٤)).

^(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٩-١٦. وتقدم في مدرسة لندن ان الجمل عبارة عن وقائع تتضمن حركة أو حدثاً أو وضعاً كما هو الحال مع امثلة النحو النظامي التي قدمها هالداي.

^(٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٤.

^(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٠، واللسانيات البيداغوجيا ٥١-٥٢.

^(٤) اللسانيات والبيداغوجيا ٥٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويشتمل الاساس على مجموعتين من القواعد تسهمان في بناء البنية الحملية وهما: المعجم (LEXICON) وقواعد تكوين المحمولات والحدود (PREDICATES AND TERMS) (FORMATION RULES)، وهذه القواعد مبنية على فرضية ان مفردات اللغات الطبيعية صنفان:

- مفردات أصول: أي مفردات يتعلمها المتكلم كما هي قبل استعمالها
 - مفردات مشتقة: يتم تكوينها عن طريق قواعد اشتقاقية إنطلاقاً من المفردات الأصول.
- ويضطلع المعجم باعطاء الأطر الحملية (PREDICATE FRAMES) والحدود (TERMS) الأصول^(١).

في حين تقوم قواعد التكوين باشتقاق الأطر الحملية والحدود غير الأصول. ومثال المفردات الأصول في العربية _ كما يقترح المتوكل _ الاوزان الأربعة: (فَعَلَ) و(فَعُلَ) و(فَعَّلَ) وما سماه النحاة العرب بالجامد، ومن أمثلة المفردات المشتقة ما صيغ على (افعل) و(أفعل) و(فأل) و(فعل)... الخ^(٢).

وفي هذا المستوى من القواعد نلمس الفرق الواضح بين النحو الوظيفي والنحو التحويلي فالاساس عند تشومسكي هو قواعد النحو التي كانت تتضمن ايضاً سمات دلالية مثل (حي، عاقل، مذكر) والمعجم يضيف تفسيره على ما يقدمه الاساس وعندئذ يكون الناتج بنية عميقة^(٣). أما النحو الوظيفي فقد جعل الشرارة الأولى التي تنطلق منها عملية بناء الجملة هي (المعجم) وقواعد (التكوين) تعمل على اشتقاق المفردات غير الأصول مما يقدمه لها المعجم.

وتشكل الاطر الحملية الموجودة على شكل قوائم في المعجم أو الناتجة عن تطبيق قواعد تكوين المحمولات بنية تشتمل على محمول PREDICATE دال على خاصية أو علاقة وعدد معين من الحدود. كما هو الحال مع الفعل (شرب) في اللغة العربية الذي يتطلب فاعلاً منفذاً حياً ومفعولاً متقبلاً (سائل) هذه هي حدود هذا الفعل التي تشكل الاطار الحملية للجملة أي ان العناصر الأخرى في الجملة هي مواكبة للفعل والكلام هنا عن (الموضوعات) أي ما له صلة مباشرة بـ(المحمول) من عناصر الجملة، وليس اللواحق التي تشكل اضافة إلى هذه العناصر. ويلاحظ هنا تركيز النحو الوظيفي على (المحمول/ المسند) لأنه هو الذي يتضمن الحدود التي تشكل الاطار الحملية للجملة^(٤).

ويتكون الإطار الحملية من المكونات الآتية:

- أ- المحمول.
- ب- مقولة المحمول التركيبية: مثلاً: فعل، اسم، صفة، ظرف.
- ج- محلات الحدود المرموز اليها بالمتغيرات مثل (س^١، س^٢..... س^ن).

^(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١١، واللسانيات والبيداغوجيا ٥٤.

^(٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٢. والظاهر من اقتراح المتوكل انه ينطلق من قاعدة ان الفعل هو أصل الاشتقاق وليس المصدر وسنعود إلى ما ذكره بالتفصيل في حديثنا عن النحو الوظيفي والجملة العربية.

^(٣) ينظر: جوانب من نظرية النحو ٣٩ و ٨٩-٩٤. وينظر ما يتعلق بهذا الموضوع في فصل الجملة العربية والنحو التوليدي التحويلي.

^(٤) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

د- الوظائف الدلالية: منفذ، متقبل، مستقبل... وهذه الوظائف تحملها الحدود التي يرمز لها بالمتغيرات (س^١، س^٢.....).

هـ- قيود الانتقاء التي يفرضها (المحمول) بالنسبة لمحلات حدوده^(١).

ومثال ذلك الاطار الحملي للفعل (شرب) في العربية الذي يتلون من:

شرب فعل (س^١: حي (س^١) منفذ (س^٢: سائل (س^٢) متقبل

والاطار المحمولى للصفة (فَرَح) الذي يتكون من:

فرح صفة (س^١: حي (س^١) فرح

إذ يشير الاطار الحملي إلى ان الفعل شرب يتكون من حدين رمز اليهما بالمتغيرين س^١، س^٢ وتشير (منفذ)، (متقبل) إلى الوظيفة الدلالية للحدين.

أما الصفة (فَرَح) فلها حد واحد (س^١) وهو (المتصف) بالصفة. وليس هناك وظيفة لهذا الحد لذا رمز اليه بالرمز (o) الذي يعني الوظيفة صفر^(٢).

وهكذا يتم بناء البنية الوظيفية للجملة بواسطة تطبيق قواعد إسناد الوظائف (منفذ، متقبل...) التي تتخذ دخلاً لها البنية الحملية كما هو الحال مع المثال السابق (شرب، فرح) ويلاحظ ان اسناد الوظائف التركيبية يتم أولاً ثم الوظائف التداولية (محور، بؤرة...) ثانياً. كما في المثال: شرب زيد شايًا

شرب فعل (س^١: زيد (س^١) منفذ فاعل محور (س^٢: شاي (س^٢) متقبل مفعول بؤرة

إذ تسبق وظيفة (الفاعل) وظيفة (المحور)، و(المفعول) وظيفة (البؤرة) وسبب تقديم الوظائف التركيبية على التداولية مع ان النحو الوظيفي يجعل الوظائف التركيبية مبنية على الثانية هو وجود وظائف تداولية تسند بالدرجة الأولى إلى مكونات حاملة لوظائف تركيبية معينة، فالوظيفة التداولية (المحور) مثلاً تسند بالدرجة الأولى إلى المكون الحامل للوظيفة التركيبية (الفاعل) وفقاً لاتجاه عام يخضع له عدد كبير من اللغات الطبيعية^(٣).

وبتطبيق قواعد اسناد الوظائف السابقة تكون النتيجة (بنية وظيفية) هي البنية التي مثلنا لها بالمتغيرات السابقة، ويتم نقل هذه (البنية الوظيفية) إلى (بنية مكونية) بواسطة نسق ثالث من القواعد هي (قواعد التعبير) التي تضم القواعد الآتية:

١- قواعد اسناد الحالات الاعرابية CASE ASSIGNMENT RULES

٢- قواعد ادماج مخصصات الحدود (ادماج (ال التعريف مثلاً).

٣- القواعد المتعلقة بصيغة المحمول (بناء للفاعل/ بناء للمفعول، ادماج الرابط (كان) وما اليها، المطابقة... إلى غير ذلك.

٤- قواعد الموقعة PLACEMENT RULES التي تترتب المكونات بمقتضاها داخل الجملة.

٥- قواعد اسناد النبر والتنغيم^(٤).

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١١، واللسانيات والبيداغوجيا ٨٤-٨٥.

(٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١١.

(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٤-١٥ و ١٧.

(٤) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٨، واللسانيات والبيداغوجيا ٦٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن خلال تطبيق القواعد السابقة (قواعد التعبير) لتوليد الجملة نفسها (شرب زيد شايًا) يكون لدينا البنية المكونية الآتية:

شرب فعل (س^١: زيد (س^١) منفذ فاعل محور (س^٢: شاي (س^٢) متقبل مفعول بؤرة
رفع نصب

ويجب ان يلاحظ ان الحالات الاعرابية السابقة هي حالات (مجردة) تسند إلى المكونات بمقتضى وظائفها بغض النظر عن تحققاتها السطحية في علامات معينة كالضمة والفتحة والكسرة في اللغة العربية وقد تتحقق هذه الحالات في لغة معربة مثل اللغة العربية (ما عدا حالات البناء) ولا تتحقق في لغات أخرى غير معربة^(١).

وبعد تطبيق قواعد التعبير التي تنتج البنية المكونية، تصبح لدينا بنية جاهزة للاستعمال لا ينقصها سوى التمثيل الصوتي. أي البنية المكونية هي المرحلة الأخيرة في عملية توليد الجملة التي تسبق التمثيل الصوتي^(٢).

وإذا اردنا ان نعيد تمثيل عملية توليد جملة تتضمن موضوعات ولواحق باختصار مثل جملة (شرب زيد شايًا اليوم في المقهى) عن طريق تطبيق مجموعات القواعد الثلاثة السابقة: قواعد الاساس، وقواعد اسناد الوظائف، وقواعد التعبير، فان عملية تمثيل بناء الجملة ستتخذ الشكل الآتي:

- الاطار الحملي (الاساس):

شرب فعل (س^١: حي (س^١) منفذ (س^٢: سائل (س^٢) متقبل س^٣، س^٤

- اسناد الوظائف:

شرب فعل (س^١: زيد (س^١) منفذ فاعل محور (س^٢: شاي (س^٢) متقبل مفعول بؤرة

(س^٣: يوم (س^٣) زمان (س^٤: مقهى (س^٤) مكان.

- قواعد التعبير:

شرب فعل (س^١: زيد (س^١) منفذ فاعل محور (س^٢: شاي (س^٢) متقبل مفعول بؤرة

نصب

رفع

(س^٤: مقهى (س^٤) مكان.

(س^٣: يوم (س^٣) زمان

جر

نصب

والأخيرة هي البنية المكونية التي ينقصها فقط التمثيل الصوتي لتصبح جملة منطوقة مستعملة، ويلاحظ ان الوظائف الدلالية (المنفذ المتقبل، الأداة...) يتم التمثيل لها بدءاً من الاطار الحملي ذاته. ويلاحظ أيضاً ان التمثيل لهذه الوظائف يتخذ التسلسل نفسه الذي يتبعه الوظيفيون حينما يتحدثون عن الوظائف فهم يبدؤون بالوظائف الدلالية ثم التركيبية ثم التداولية. ويلاحظ ان الحدود (س^٣)، (س^٤) لا يتم تعويضها (تفسيرها) في مرحلة (الاساس) لانها ليست جزءاً من الحمل وإنما (لواحق) أي انها لا تواكب الفعل^(٣).

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٩.

(٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٢٢.

(٣) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦١، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٢-١٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويعتمد تحديد الموقع داخل الجملة على مجموعة من العوامل وهي الوظائف التركيبية والوظائف التداولية وحجم المكونات، وهناك مواقع خارجية تحتلها المكونات المستقلة عن حمل الجملة مثل (المبتدأ/المتقدم) و(الذيل) ومواقع داخلية تحتلها المكونات الداخلية للجملة (الموضوعات والواحق) بمقتضى وظيفتها التركيبية أو التداولية. وكما هو واضح يتجنب النحو الوظيفي أي حديث عن (التحويلات) التي كان يتحدث عنها تشومسكي، وما يتحدث عنه النحو الوظيفي هو (قواعد تعبير) تطبق على (البنية الوظيفية) ليكون الناتج (بنية مكونة)، والفرق بين الاثنين ان النحو التحويلي يفترض قاعدة تحويل يتم بموجبها نقل عنصر لغوي إلى موقع آخر أما النحو الوظيفي فيطبق قواعد (الموقعة) التي تجعله يحتل هذا الموقع منذ البداية لأن هذه القواعد تطبق على بنى حملية من مميزاتها انها لا ترتب فيها. أي أن النحو الوظيفي يعطي للمكون الذي يمثل (البؤرة) أو (المحور) هذا الموقع من البداية وهذا يعني ان كلاً من الجملتين:

- قابل خالد زيدا.

- زيد قابل خالد.

يمثل بنية مستقلة، ولا تعد الثانية مشتقة من الأولى كما هو الحال في النحو التوليدي التحويلي^(١).

وفيما يخص الوظائف التركيبية فقد تقلص عددها إلى اثنين في النحو الوظيفي:

- وظيفة الفاعل. SUBJECT.

- وظيفة المفعول. OBJECT.

وتسند وظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيس للوجهة. وتسند وظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة^(٢). ويتم اسناد الوظيفتين التركيبية الفاعل والمفعول بمقتضى سلمية الأدوار الدلالية الآتية:

منفذ < مستقبل مستفيد < أداة < مكمل < زميل <

فالوظيفة (الفاعل) تسند بالدرجة الأولى إلى الحد الحامل لدور المنفذ ثم الحد الحامل لدور المستقبل ثم الحد الحامل لدور المستقبل وهكذا... وتسند وظيفة (المفعول) بالدرجة الأولى إلى الحد الحامل لدور المستقبل ثم المستقبل... الخ. مع ملاحظة ان (المفعول) يرد في معظم اللغات الطبيعية متأخراً عن (الفاعل) سواء اكانت هذه اللغات من قبيل (فعل فاعل مفعول) أم كانت من قبيل (فاعل فعل مفعول) أم كانت من قبيل (فاعل مفعول فعل).

ويزكي (سلم اسناد الوظائف) السابق ((ان الجمل التي تسند فيها وظيفة الفاعل إلى غير المكون الحامل للوظيفة الدلالية (المنفذ) جمل ذات مقبولية دنيا بالنسبة للجمل المسندة فيها هذه الوظيفة التركيبية إلى المكون (المنفذ) كما يزكيها ملاحظة ان اسناد وظيفة الفاعل إلى غير المنفذ تخضع لقيود تزداد صرامة كلما تباعد موقع المكون المسند اليه في السلمية المعنية بالأمر. ويصدق ما قلناه عن اسناد وظيفة الفاعل على اسناد وظيفة المفعول))^(٣).

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦١-٦٢.

(٣) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٥-١٦.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

أما فيما يخص الوظائف التداولية فتتميز عن الوظائف التركيبية والوظائف الدلالية بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الاخبارية المرتبطة بالمقام. وهي كما تقدم وظائف داخلية أي جزء من الحمل (البؤرة/ المحور)، ووظائف خارجية (المبتدأ والمتقدم/ الذيل). بهذا تتألف الجملة من ثلاثة مكونات: مبتدأ وحمل وذيل، كما يوضح ذلك المخطط الآتي:

[(مبتدأ) [حمل] (ذيل)].^(١)

و(المبتدأ) هو المكون الذي يدل على مجال الخطاب الذي يعد الحمل الموالي وارداً بالنسبة اليه كما في الجملة:

[هند	[عشقت عيناها]	[
مجال الخطاب	خطاب	
مبتدأ	حمل	

أما (الذيل) فهو المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في (الحمل) كما في (هند) و(تأديه) و(سعاد) في الجمل الثلاث:

- عشقتها عيناها، هند.

- سرني خالد، تأديه.

- زارتي هند، بل سعاد^(٢).

و(المحور) هو المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل. و(البؤرة) هي المكون الذي يمثل المعلومة الجديدة أو المعلومة التي لا يتقاسمها المتكلم والسامع، ومن أمثلة المحور (خالد) و(الطفل) في الجملتين:

- السياق ماذا شرب خالد؟

- الجملة: شرب خالد شايًا.

- السياق: من أتى بالطفل؟

- الجملة: أتت بالطفل هند

أما (شايًا) و(هند) فهما ما يمثل البؤرة في هاتين الجملتين^(٣).

ويعد مخصصاً للحمل (القوة الانجازية) التي تواكبه وهذه القوة الانجازية هي (الإخبار) أو (السؤال) أو (الأمر) كما في الجمل الآتية:

- شربت زينب فنجان قهوة. (إخبار).

- هل شربت زينب فنجان قهوة؟ (سؤال).

- اشرب فنجان قهوة. (أمر).

وتعد (القوة الانجازية) مخصصة للحمل لا للجملة ككل اذ انها تنصب عليه وحده بحيث لا تدخل في حيزها المكونات الخارجة عنه مثل المبتدأ أو الذيل^(٤).

(١) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦٣-٦٤.

(٢) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦٣.

(٣) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦٤-٦٥، وينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣.

(٤) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا ٦٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وقد شهدت نظرية (النحو الوظيفي) تطوراً واعادة صياغة لمبادئ وقواعد عدة في عام (١٩٨٩) أي بعد نحو عشر سنوات من وضع النموذج الأول وقد رسم (سيمون ديك) الملامح الأساسية لهذا النموذج ايضاً^(١).

وفي هذا النموذج أصبحت (القدرة التواصلية) تتألف من خمس ملكات هي: الملكة اللغوية، والمنطقية والمعرفية والاجتماعية والإدراكية. وبموجب هذا التطور أقترح (ديك) ان يصاغ نموذج مستعملي اللغة الطبيعية على اساس ان يتضمن خمسة قوالب تضطلع برصد هذه الملكات الخمس. أي: قالباً نحوياً وقالباً معرفياً وقالباً اجتماعياً وقالباً إدراكياً. ويستقل كل قالب عن القوالب الأخرى من حيث مبادئه وأوليائه وموضوعه، لكن القوالب على الرغم من استقلالها تتعالق فيما بينها بحيث يفضي بعضها إلى بعض ويكون خرج بعضها دخلاً إلى الآخر^(٢).

ومن مظاهر هذا النحو الجديد الاقتصاد في القواعد والاشتقاقات وبموجب هذا المبدأ تم جمع المعلومات الممثل لها في البنية المحلية والمعلومات الممثل لها في البنية الوظيفية في بنية واحدة تتضمن التمثيل الدلالي والتداولي هي (البنية التحتية). تؤدي بعد ان تعمل عليها قواعد التعبير إلى بناء (البنية المكونية التامة التحديد) التي تمنحها القواعد الصوتية تمثيلاً صوتياً^(٣).

ومن سمات هذا النحو ايضاً أنه يرى ان مستعملي اللغات الطبيعية يتواصلون عن طريق (نصوص) وبهذا جرى الانتقال بالتحليل اللغوي من الجملة إلى النص. وقسم النص إلى (جملة) و(مكونات خارجية) كالمبتدأ والذيل وبقي التركيز على الجملة بوصفها بنية المكون الاساسي للنص^(٤).

ولم تكن هذه التعديلات هي التعديلات الأخيرة في النحو الوظيفي إذ اجري على هذا النحو تعديلات أخرى عدد من الدارسين مثل (فيت) و(هنغفلد) وآخرين في عام ١٩٩٧ و١٩٩٨ و٢٠٠٣ و٢٠٠٤، وقد قدمت بعض الاقتراحات تصوراً مبنياً على ثلاثة قوالب هي القالب التداولي والقالب الدلالي (المستوى التمثيلي) والقالب النحوي، والآخر هو الذي ينقل القالبين السابقين إلى بنية مكونية من خلال قواعد التعبير (الصرفية والتركيبية والتطريزية)، وبناء على هذا التصور ليس من الضروري ان يمر اشتقاق البنية المكونية عبر القالب الدلالي. وذلك لوجود عبارات لغوية ليس لها فحوى دلالي. كالعبارات التي نجدها في اللغة العربية من قبيل:

- هيهات.

- وازيداه

- ياسلام

التي لها معنى تداولي سياقي فقط^(٥).

وعادت بعض التعديلات إلى فصل الدلالة عن التداول بعد ان كانا متواجدين في البنية التحتية نفسها كما في الانموذج الذي سبق ان اشرنا إليه الذي يسمى ايضاً (انموذج المعيار)^(١) كما في

(١) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٥، والتركيب الوظيفية ٥٤، واللسانيات والبيداغوجيا ٧١.

(٢) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٥-٣٦، والتركيبات الوظيفية ٦٦.

(٣) ينظر: التركيبات الوظيفية ٦٠، واللسانيات والبيداغوجيا ٧٣-٧٤، والوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٧، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٧٥.

(٤) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٧ وما بعدها، والتركيبات الوظيفية ٥٨-٥٩، واللسانيات والبيداغوجيا ٧٤.

(٥) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٩-٤٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

اقترح (فيث ١٩٩٨)، ومن نتائج هذا الفصل تحديد الخصائص الدلالية والخصائص التداولية في قالبين مستقلين وان تماثلا هما

- القلب أو المستوى التمثيلي (الدلالي).
 - والقلب أو المستوى العلاقي (التداولي).
- والحجج التي قدمت في هذا الشأن هي العبارات السابقة نفسها التي لها معنى تداولي وليس لها فحوى دلالي كباقي العبارات اللغوية^(٢).
- ودافعت بعض الإقتراحات عن اطروحة الفصل بين الجملة والنص وهو الاقتراح الذي تنزعه (كرون ١٩٩٧). وذلك لعدم تماثلها البنيوي، لذا لابد من التمثيل لهما بقالبين مستقلين (قالب جملة) و(قالب نص)^(٣).

ومن خلال التأمل في النحو الوظيفي (منذ بدايته وحتى تطوراته الأخير) يمكننا ان نلاحظ بوضوح نزوع هذا النحو إلى التجريد والتأمل الذهني على نحو لم نألفه في المدارس الوظيفية السابقة مثل مدرسة براغ ومدرسة لندن التي تعاملت مع الجمل على نحو مباشر يخلو من أي نوع من انواع النظر العقلي. وبهذا اقترب النحو الوظيفي في بعض جوانبه مما كان ينتقده في النحو التحويلي من وجهة نظر عقلية. ويتجلى ذلك أكثر في محاولة (النحو الوظيفي) وضع جهاز واصف، يصف عملية تكوين الجملة وكيفية انتاجها، وفي محاولة وضع نموذج لقدرة التواصل لمتكلم اللغة المجرد المثالي. واستعمال المتغيرات الرياضية على غرار تشومسكي^(٤). ومع ذلك يبقى الفارق الرئيس بين النحويين التحويلي والوظيفي هي ان (المعنى) بأنواعه (دلالي/ تداولي) يمثل المنطلق الرئيس في التحليل اللغوي وفي وصف عملية بناء الجملة.

ويمكننا ان نلاحظ أيضاً ان مدرسة براغ ليست هي وحدها من يضم اتجاهات بحثية متباينة وغير متجانسة تحت هذا المسمى، فالإتجاه الوظيفي في اطاره العام ومدارسه المختلفة يمثل وجهات نظر متباينة ومختلفة ايضاً. لكن الاطار العام الذي يجمعها هو النظر إلى اللغة وتحليلها انطلاقاً من وظيفتها، والتركيز على المعنى بوصفه الهدف الاساس من استعمال اللغة والعامل الأساس في عملية التواصل اللغوي.

وبالمحصلة النهائية أفرز (الاتجاه الوظيفي) في اطاره العام ثلاثة مستويات (أو قوالب) لغوية: هي المستوى التداولي والمستوى الدلالي والمستوى النحوي.

كما أصبح هناك مجالان للدراسة اللغوية (أو قالبان كما يسميان ايضاً بالمصطلح الوظيفي). الأول منهما يتعلق بالجملة والثاني بـ(النص) بأكمله. من دون ان ينسبنا ذلك النظر إلى الاثنين من خلال الوظيفة الاجتماعية التي تمثل الاساس المشترك لجميع المدارس والنظريات الوظيفية. ولا ننسى ايضاً مجالات البحث الأخرى التي كان للوظيفيين الفضل الكبير في توجيه أنظار الدارسين إليها مثل لغة الشاعر والأساليب وغير ذلك من المجالات الأخرى.

^(١) ويشار إلى التصورات التي قدمت قبله بنموذج (ماقبل المعيار) والتصورات التي قدمت بعده كما هو الحال هنا بنموذج (مابعد المعيار). ينظر: التركيبات الوظيفية ٥٤-٥٧.

^(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٦١.

^(٣) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٧-٣٨، والتركيبات الوظيفية ٥٧-٥٨.

^(٤) ينظر: التركيبات الوظيفية ٤٩-٥٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ثالثاً: الجملة العربية بين وظيفية التراث والرؤية الوظيفية اللسانية

أ_ الرؤية الوظيفية للجملة في التراث اللغوي العربي

ليست الفكرة التي تقول ان جمل اللغة تؤدي وظائف معينة وتخدم اغراض المتكلم فكرة جديدة أو مثيرة للجدل أو فكرة يمكن أن نعدّها من خصوصيات النحو الوظيفي. كما هو الحال مع بعض المفاهيم التي تختص بها نظريات من دون أخرى مثل مفهوم (التحويلات) أو مفهوم (البنية السطحية والبنية العميقة) التي تعد مفاهيم خاصة بنظرية النحو التوليدي التحويلي على سبيل المثال. ولا ينكر اللغويون بمن فيهم (تشومسكي) أن الجمل تؤدي وظائف معينة في سياقات معينة، وقد ذكر هو نفسه ان الجمل الغامضة أو الجمل التي تحمل أكثر من معنى، سيعطيها السامع في سياق معين تأويلاً واحداً وسيعيد الأخرى تأويلات متكلفة حتى اذا كانت البنية اللغوية تحتلها^(١). وحتى سوسور الذي دافع عن (علم لغة مستقل) يركز على البنية الداخلية للغة (النظام اللغوي) لم يكن غافلاً عن الجانب الاجتماعي للغة. بل كان هذا الجانب يشكل جزءاً كبيراً مما بنيت عليه نظريته. وتركيز هذين اللسانيين على البنية اللغوية وتحمس (تشومسكي) لفكرة استقلال النحو عن المعنى لا يعني إنكاراً لمبدأ (الوظيفة) وإنما يتعلق هذا بالمجال الذي تركز عليه نظرية كل منهما والهدف الذي يسعى كل واحد منهما اليه، وهو تحديد البنية اللغوية وبيان ما يدخل في علم اللغة وما يقع خارجه عند (سوسور)، وبيان علاقة اللغة بالإدراك ومحاولة تحديد العمليات الذهنية التي تجري في الدماغ وتسبق إنتاج الجملة عند تشومسكي. فالفكرة التي تثير الجدل والنقاش هي ليست الفكرة التي تقول ان الجمل أو البنى اللغوية تؤدي وظائف معينة، وإنما يثير الجدل والنقاش الاطروحة التي تقول ان البنية اللغوية تابعة للوظيفة هي التي تحدد البنية وتركيباتها وبعبارة أخرى: ان اللغة لها هذه البنية لأن لها هذه الوظيفة. وهذا المبدأ أو الطرح الذي ينظر إلى اللغة من هذه الزاوية ويتعامل معها بناءً على هذا الاساس هو ما تختص به الاتجاهات أو المدارس الوظيفية كما تقدم في الصفحات السابقة.

وفيما يخص تناول الدارسين العرب القدماء للجملة ليس غريباً ان نجد في التراث اللغوي العربي وجهات نظر تتفق مع جوانب مختلفة مما عرضته النظريات اللسانية على تنوعها واختلاف مناهجها ومنها (الوظيفية). إذ لا يصل الفارق بين الدارسين واختلاف المنهج والهدف من كل دراسة إلى حد القطيعة المعرفية التامة كما هو الحال بين الفكر العلمي والفكر السحري الاسطوري. واذا كانت مثل هذه الافكار قد سادت في بعض النظريات اللسانية لمدة زمنية معينة كما هو الحال مع البنيوية، فان الدراسات اللسانية الابستمولوجية اللاحقة، كما في دراسات تشومسكي وغريماس وآخرين قد أكدت ان اللسانيات ليست سوى حقبة من حقبة تطور فكر لغوي واحد بدأ حين بدأ الإنسان يفكر باللغة وسيمتد امتداد التفكير باللغة^(٢).

ومن أوجه الاتفاق في النظر بين الدرس العربي والنحو الوظيفي هو التعامل مع الجملة بوصفها اسناداً PREDICATION، وهذا الاسناد يتكون من عدد من المسميات TERMS، التي

(١) ينظر: مثلاً جوانب من نظرية النحو ٤٤.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٦٧-١٦٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ البحث الأول ﴾

هي عبارة عن تعبيرات EXPRESSIONS لها خاصية الإشارة إلى موجودات في العالم^(١). وهذا التصور المبني على الاسناد يتفق مع التصور العربي التراثي للجملة كما يتفق مع النظريات اللسانية الأخرى كما رأينا في الصفحات السابقة وكما سنراه ايضاً فيما سيأتي من فصول هذا البحث.

ولم يكن العرب غافلين عن كون اللغة اداة تواصل اجتماعية ولعل خير ما يدل على هذا تعريف ابن جني للغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم"^(٢). ولم يكونوا غافلين ايضاً عن الوظائف التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة ويمكن ان نجد في التراث امثلة كثيرة ربطت فيها بنية الجملة بالوظيفة التي تؤديها وحللت فيها بنيتها على هذا الاساس ولاسيما عند البلاغيين.

وما تميز اللغويين العرب بين رتبة العنصر اللغوي في الجملة ورتبة المتكلم إلا واحد من هذه الأمثلة الكثيرة. فقد تحدث سيبويه في كتابه عن كون العرب تقدم ما كان "بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وان كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"^(٣)، وقام بتحليل جمل عربية كثيرة من خلال الوظيفة التي تؤديها في السياق المعين وما الجمل: (الهلل والله) و(مكة ورب الكعبة) و(القرطاس والله) الا جزء يسير من الجمل الكثيرة التي حللها سيبويه في الكتاب من خلال القرائن المحيطة بها في السياق والوظيفة التي تؤديها في خدمة غرض المتكلم^(٤).

ومثل هذا يقال في الأمثلة الكثيرة التي أوردها ابن جني في الخصائص وأمثلة عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز التي تناولها من منظور وظيفي صرف كما في مثاله المشهور في التفريق بين الجمل: (زيد منطلق) و(زيد ينطلق) و(ينطلق زيد) و(منطلق زيد) و(زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) و(زيد هو المنطلق) بناءً على المعنى المختلف الذي تؤديه كل واحدة من هذه الجمل وملاءمتها للسياق المعين الذي ترد فيه^(٥).

وقوله في التفريق بين الجملتين الإستفهاميتين:

- أفعلت؟

- أنت فعلت؟

إن الأولى التي بدأ فيها بالفعل ترد في موضع يكون الشك فيه في الفعل نفسه ويكون غرض المتكلم من الاستفهام ان يعلم وجوده. وان الثانية التي بدأ فيها بالضمير ترد في موضع يكون الشك فيه في (الفاعل) من هو؟ ويكون التردد فيه^(٦).

وقوله في التفريق بين الجملتين:

- ضربت زيداً.

- زيدٌ ضربته.

(١) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٩٦. وتكاد تجمع النظريات اللسانية كما نرى في هذا البحث على أن الاسناد شرط للجملة.

(٢) الخصائص ٦٧.

(٣) الكتاب ٣٤/١، وينظر: دلائل الإعجاز ١٠٧.

(٤) ينظر: الكتاب ١ / ٢٥٧-٢٥٨. وسيأتي الحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل في فصل الجملة العربية وعلم الدلالة.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز ٨١ و١٠٧.

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز ١١١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

"لم تقدم زيدا على ان يكون مفعولاً بالفعل كما كان. ولكن على ان ترفعه بالابتداء. وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر له"^(١).

ويقول أيضاً: "قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيب ويفسد، ويكثر به الأذى، انهم يريدون قتله، ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعينهم منه شيء، فإذا قتل، واراد مريد الاخبار بذلك. فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: (قتل الخارجي زيد) ولا يقول: (قتل زيد الخارجي) لأنه يعلم ان ليس للناس في ان يعلموا ان القاتل له (زيد) جدوى وفائدة، فيعينهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسيرتهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون، وقوع القتل بالخارجي المفسد، وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه"^(٢).

وقد ركز اللغويون العرب والبلاغيون ايضاً على المناسبة والتعلق فذكروا أنه لا يقال: زيد طويل القامة وعمرو شاعر، والواجب ان يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، إذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر. ورأوا ان الجملتين المتعاطفتين يجب ان تتماثلا بصيغتهما من حيث الخبر والانشاء كما في:

- زيد شاعر وعمرو كاتب.

- متى قدم زيد متى ذهب عمرو.

- كلوا واشربوا.

وغير ذلك من الجمل التي تحدثوا عنها في باب (الفصل والوصل). وقد خطأوا ابا تمام لاخلاله بالمناسبة في قوله:

لا والذي هو عالم ان النوى صبراً وأن أبا الحسين كريم^(٣)

إذ لا علاقة بين كرم ابي الحسين ومرارة النوى. وقد ذكروا انه لا يقال (زيد قائم وعمرو قاعد) الا اذا كان هناك سبب كأن يكونا شريكين أو متلازمين حتى اذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني^(٤).

وتناول البلاغيون على نحو خاص الجمل التي لا تستجيب لشرط مناسبة الغرض مثل: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ ﴾ الشرح ٢-١/٩٤.

وعللوا مثل هذا بأن الجملة المعطوف عليها خبرية من حيث الغرض وان كانت استفهامية من حيث الصيغة^(٥).

وميز العرب ايضاً بين معنيين: معنى اللفظ (الذي يتضمن التعليق النحوي) ويعكسه بناء الجملة (تركيبها)، والقصد أو (معنى المقام) الذي هو معنى المتكلم.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ١٠٧، وينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٩١.

(٢) دلائل الإعجاز ١٠٧-١٠٨. وينظر علم المعاني ٣٤٩ وما بعدها و٣٥٣ وما بعدها.

(٣) ينظر: شرح ديوان ابي تمام ٢٨٢.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٢٤-٢٢٥، وينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٨٩-١٩٠، وعلم المعاني

٣٤٩ وما بعدها و٣٥٣ وما بعدها.

(٥) ينظر مثلاً: البيان والتبيين ٩١/١، الصناعتين ٤٩٧-٥١٢، والطراز ٣٢/٢، وينظر المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٩٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أن المعاني تؤدي عن طريق الألفاظ وغير الألفاظ وتحدث عن خمسة أصناف للدلالة على المعاني: أولها: اللفظ ثم الإشارة (باليد أو الإيماء ونحو ذلك) وهي واللفظ قرينان_ كما يذكر_ ثم العقد (الحساب)، ثم الخط (الكتابة)، ثم الحال التي سماها (نصبه). وقال فيها "أما النصبه فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامتٍ وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة. والعجماء معربة من جهة البرهان"^(١). ومن شواهد على دلالة الحال قول خطيب من الخطباء في (الإسكندر) حين قام على سريرته وهو ميت (الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس)^(٢). وقد ربط تعريف (علم المعاني) بين خواص تركيب الجملة ومطابقتها لمقتضى الحال كما في تعريف السكاكي لهذا العلم بقوله: "هو تتبع خواص تركيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره"^(٣). وفي هذا إشارة واضحة إلى الوظائف المختلفة التي تؤديها الجمل في خدمة أغراض المتكلم ومقاصده المختلفة.

وقد تناول الدارسون العرب القدماء هذين النمطين من المعنى في مختلف علوم اللغة العربية تحت مصطلحات مختلفة، لكن التنظير لهما يكاد يكون واحداً، ومن المقولات السائرة في ثقافتنا العربية القديمة القولة المعروفة (لكل مقام مقال) التي تختزل الفلسفة التراثية في التنظير للدلالة. ومن أبرز الأمثلة عليها الحديث عن خروج معاني الجمل من دلالتها الظاهرة إلى دلالة أخرى يدل عليها المقام كما في خروج الاستفهام من السؤال إلى الإنكار أو التوبيخ أو النفي... الخ من اغراض الأخرى"^(٤).

هذا فضلاً عن تمييزهم بين مجالات الخطاب المختلفة: الديني والشعري والحجائي والعلمي ومحاولتهم رصد خصائص كل نوع^(٥).

وفيما يخص أسبقية الألفاظ أو المعاني ارتأى اللغويون والبلاغيون أن المعنى أسبق من اللفظ وليس ادل على ذلك من تفريق عبد القاهر بين نظم الحروف الذي هو توليها بالنطق، ونظم الكلم الذي يتم بناء على تناسق دلالتها وتلاقي معانيها^(٦). وهو لا يتصور ان يعرف للفظ موضعاً من غير غير ان يعرف معناه. والألفاظ عنده تترتب بحسب ترتب المعاني في النفس وبهذا يقول: "إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى ان تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها، وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"^(٧).

(١) البيان والتبيين ٨٦/١، وينظر ٧٨-٨٢.

(٢) ينظر البيان والتبيين ٨٦/١.

(٣) مفتاح العلوم ١٥٣/١-١٥٥، وينظر: خصائص التراكيب ١١١، وينظر: المنحى الوظيفي ١٧١-١٧٢.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ١١٣-١١٦، وينظر أيضاً: الطراز مثلاً ٩٤/٢-١٠١، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٠-٢١.

(٥) ينظر: المنحى الوظيفي ٧٩. وسنعود إلى هذا الموضوع بتفصيل أكثر في فصل الجملة وعلم الدلالة والحقل التداولي.

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز ٤٩ وما بعدها.

(٧) دلائل الإعجاز ٥٤، وينظر: ٥٣-٥٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وهذا ينطبق على الجاحظ أيضاً الذي يقول ان "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء..."^(١) وفهم قوله هذا خطأ بأنه تقديم للفظ على المعنى، ومما يفند هذا الرأي أن عبد القاهر سار على نهج الجاحظ في دلائل الإعجاز فيما يخص اهتمامه بالصياغة والصناعة واستشهد بكلامه فيما يخص هذا الموضوع كما في قوله "ويكيفك قول الجاحظ: (وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير)..."^(٢).

وما قرائن أمن اللبس التي تحدث عنها النحاة مثل قرينه الاعراب والرتبة الا دليل واضح على أن الالفاظ تبع للمعاني ومن هنا لم يجيزوا تقديم المفعول على الفاعل في (ضرب موسى عيسى) لعدم امكان التمييز بينهما عند غياب قرينة الاعراب مما يخل بعملية التواصل. بخلاف ارضعت الصغرى الكبرى التي يجوز فيها ذلك لوضوح المعنى^(٣). وإذا كان الجانب الشكلي قد غلب على دراسة النحاة فذلك لأن هدفهم الاساس هو هدف تعليمي يتعلق بقواعد صحة الكلام على العكس من البلاغيين الذين ركزوا على مقاصده وصلته بالمقام الذي يقال فيه. لكن في المحصلة النهائية لا يختلف النحاة والبلاغيون على ان الجملة تتحدد صيغتها وشكلها تبعاً للمعنى الذي يريد ان ينقله المتكلم والوظيفة التي تؤديها في السياق. ومن أوضح الأمثلة على هذه المسألة حديثهم عن الفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ومواطن استخدام كل منهما، وكذلك حديثهم عن علاقة التقديم والتأخير والذكر والحذف بالمعاني الخاصة التي يريد ان ينقلها المتكلم إلى السامع^(٤).

وبهذا يكون اللغويون والبلاغيون العرب أقرب إلى أصحاب النظريات الدلالية مثل (الدلالة التوليدية) و(النظريات الوظيفية) التي ترى ان المعنى هو الذي يحدد الخصائص الصرفية والتركيبية والصوتية. وعلى خلاف ذلك يكون الحال مع النظريات التي تعتمد مبدأ استقلال التركيب عن المعنى، التي تجعل المعنى مكوناً تابعاً للتركيب تكمن مهمته الأساس في تأويله فقط كما هو الحال مع النحو التوليدي التحويلي. ولعل هذا هو السبب في عدم تركيز اللغويين العرب على (الجانب الانتاجي الابداعي) من اللغة. على العكس من الوظائف اللغوية والخصائص السياقية للجمل وهذا له صلة وثيقة بظروف نشأة الدرس اللغوي العربي بكل جوانبه واختصاصاته المرتبطة بخدمة القرآن الكريم وبيان معانيه^(٥).

وبالمحصلة يكون لنا منهجان في التراث العربي فيما يخص طريقة تحليل الجمل:

الاول: منهج شكلي يمثله النحويون. وهدفه وضع قواعد لصياغة الجمل الصحيحة.

الثاني: منهج يمكن ان نصطلح عليه بالدلالي الوظيفي الذي يمثله البلاغيون.

(١) الحيوان ٤٦٧/١، وينظر: دلائل الإعجاز ٢٥٦.

(٢) دلائل الإعجاز ٥٠٨، وينظر: البلاغة والتطبيق ٤١، وقد استشهد عبد القاهر بأقواله فيما يخص المعنى في مواضع كثيرة. ينظر مثلاً: ١٦٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٧٢، ٣٩٨، ٥٧٦، ٥٩٠.

(٣) ينظر: شرح قطر الندى ٢٠٨.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ١٠٦ وما بعدها، و١٤٦ وما بعدها و١٧٣ وما بعدها، والطراز ١٥/٢-١٩.

(٥) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٨٠، ومفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي ١٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وقد يجتمع المنهجان في شخص واحد لكن في دراستين مختلفتين كما هو الحال مع عبدالقاهر الجرجاني. الذي غلب عليه المنهج الشكلي في كتاب (المقتصد) وهو كتاب نحوي واتخذ منهجا قائما على المعنى ومراعاة الوظيفة في دلائل الإعجاز واسرار البلاغة.

والذي يجعلنا نقول ان اللغويين العرب ايضا اقرب إلى الدلالين والوظيفيين منهم إلى اصحاب نظرية استقلال التركيب عن الدلالة هو ان اتباع المنهج الشكلي في الدراسة كما هو الحال مع النحويين لم يكن منطلقا من مبدأ الاستقلال السابق اذ لم يعن العرب بدراسة تركيز على القابلية اللغوية في اطارها العام فقط. وانهم حتى مع اتباعهم منهجا شكليا كانوا يعتقدون بأسبقية المعنى على اللفظ وان الاول هو الذي يحدد خصائص الجملة.

وفضلا عن حديث اللغويين والبلاغيين العرب عن أسبقية المعنى على اللفظ، تحدثوا ايضا عن اسبقية المفرد على المركب (الجملة) واسبقية المركب لمطابقة مقتضى الحال، اي ان النحو يشتغل بعد الاصوات والصرف والمعجم، ويشتغل علما المعاني والبيان بعد النحو. وثمة اسبقية لعلم المعاني ايضا على علم البيان لان معنى المقام يتم بناؤه انطلاقا من الاول^(١).

وهذا يعني ان المنطلق في تحليل الجملة ليس (المعنى التداولي السياقي) عند العرب، وانما المعنى الدلالي (معنى المقال) والمعنى التداولي مترتب على المعنى الاول وهنا يتضح الفرق بين نظرة الدارسين العرب ونظرة النحو الوظيفي القالبي الذي افترض مستويات ثلاثة تتخذ الترتيب الاتي:

الـقالب التداولي ← القالب الدلالي — القالب النحوي^(٢)

(العلاقي) (التمثيلي)

ويمكن ان نلاحظ في دراسة عبدالقاهر الجرجاني على سبيل المثال كيف يركز على المعنى الدلالي الذي يكتسب دلالة سياقية (تداولية) في سياق (موقف) ملائم. وهو ما كان يسميه عبدالقاهر الجرجاني بالمعنى ومعنى المعنى^(٣).

ويلاحظ هنا ان الجوانب الوظيفية التي تناولها الباحثون العرب هي جوانب وظيفية عامة، ويمكن ان نجد تشابها واضحا بينها وبين بدايات الاتجاه الوظيفي المتمثلة بأعمال لغويي براغ مثل ماثيوس، والدراسة السياقية في مدرسة لندن لكنها تختلف تماماً عن الافكار الوظيفية التي تطورت لاحقا على نحو ملحوظ كما في (النحو النظامي) لهاليداي و(النحو الوظيفي). ولكل من النحويين ظروفه وملابساته الحضارية المختلفة وهذا ينطبق على النظريات اللسانية الأخرى التي قد نجد فيها ايضا جوانب متشابهة لما ورد في التراث لكننا لا يمكن ان نقول انها عربية بالأساس. لأن لكل نظرية اهدافها ومناهجها المختلفة التي افرزتها ظروف وملابسات مختلفة وحفزتها اهداف مختلفة ايضا^(٤).

(١) ولهذا السبب بدأت كتب النحو بتعريف (الكلمة) وذكر أقسامها قبل تعريف الجملة والكلام. ينظر على سبيل المثال: شرح الرضي ١/١٤-٢٦، ودلائل الإعجاز ٢٦٢ وما بعدها، والطراز ١/٢٧-٣٨، ١/٥٩-٦٦، ١/٦٨-٦٩، وشروح التلخيص ١/٧٥ و١/٩٥. وينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٨١-١٨٢.

(٢) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية ٣٩-٤٠.

(٣) ينظر مثلاً: دلائل الإعجاز ٢٦٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: المنحى الوظيفي ١٦٩.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن الفروق الواضحة بين الدرسين العربي والوظيفي ان الدرس العربي مع تنبيه لمبدأ أسبقية المعنى على اللفظ فانه لم يحاول بناء نحو يستند إلى وظائف دلالية مثل (المنفذ) و(المتقبل) و(المستقبل) (هدف).....الخ من المصطلحات الوظيفية الأخرى وحتى علما المعاني والبيان بقيا قائمين على (الوظائف النحوية) التي يعتمد عليها في ايضاح المعاني التداولية السياقية. ولم تحلل الجملة في الدرس العربي إلى مستويات ثلاث: دلالية وتركيبية وتداولية على نحو يفرد مصطلحات خاصة للمستويين الآخرين (الدلالي والتداولي) حتى في دراسة البلاغيين، وانما عمد العرب إلى ايضاح المعاني الدلالية والتداولية من خلال الوظائف النحوية العامة (فعل، فاعل، مفعول....الخ). غير ان البلاغيين كانوا أقرب إلى الاتجاه الوظيفي من جهة تركيزهم على الجملة وانطلاقهم منها في تحليلهم اللغوي على العكس من النحاة الذين غلب عليهم الطابع التحليلي وان كانوا يشاركون المنهج الوظيفي فكرة الإسناد التي بنيت عليها الجملة في كلا الدرسين. ولهذا كان الحديث عن وظائف الجمل وثيق الصلة بالدرس البلاغي العربي أكثر منه بالدرس النحوي الذي كان معنياً بالدرجة الأولى بالشكل اللغوي.

وقد تبنى أسلوب البلاغيين في تحليل الجمل عدد من المحدثين الذين ركزوا على خصائص الجملة وعلاقة تركيب الجملة وبنيتها بالوظائف التي تؤديها في السياق وبمطابقتها لمقتضى الحال. ومن هذه الدراسات (خصائص التركيب) لمحمد محمد أبو موسى الذي ركز فيه على علاقة الجملة بالوظيفة التي تؤديها في السياق ونظر فيه إلى الجمل في ضوء ما يكتنفها من قرائن وملابسات وهو في أغلب ما ذكره يستند إلى أمثلة عبد القاهر وتحليله للجمل المختلفة فضلاً عن غيره من البلاغيين^(١).

وشبيه بهذا المنهج الذي اتبعه د. فاضل السامرائي في تحليل الجمل المختلفة إذ تبع اسلوباً مشابهاً لما اتبعه البلاغيون في دراستهم لعلم المعاني فحرص في مؤلفاته على ان يحلل الجمل في ضوء القرائن المحيطة بها والسياق الذي وردت فيه، وطبق هذا في دراسة الجمل القرآنية وتحليلها، وقد حرص ايضاً على بيان اختلاف الوظيفة تبعاً لاختلاف التركيب من خلال المقارنة بين التراكيب (الجمل) المختلفة في ضوء السياق الذي وردت فيه كل جملة وشرح كيفية تغير بناء الجملة بحسب السياق الذي ترد فيه ومدى علاقة ذلك بالقرائن والملابسات^(٢). ونهجه في ذلك لا يختلف ايضاً بأي شكل من الأشكال عن منهج البلاغيين في دراسة علم المعاني.

لكن الجديد فيها أن الفوارق اللفظية هنا وتحليل المعنى الجملي منظور إليه من باب النحو وليس البلاغة، أي أنه جزء من الدراسة النحوية كما نرى في قول د. فاضل السامرائي "ان الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها، كما يتصور بعضهم، وان جواز أكثر من وجه تعبيرى ليس معناه ان هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، ولك الحق ان تستعمل ايها تشاء كما تشاء وانما لكل وجه دلالته فاذا أردت معنى ما لزمك ان تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن

(١) ينظر مثلاً: خصائص التراكيب ١٤٤-١٧١.

(٢) ينظر مثلاً: كتب د. السامرائي: معاني النحو ١٠-٥/١. والتعبير القرآني ٩٩-١٠١، ولمسات بيانية من آيات التنزيل ٦٨-٧٦، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم ١٣-٢١، ومن اسرار البيان القرآني ٢٠٣-٢١١. وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني ١١-١٦. وغير ذلك من صفحات هذه المصادر.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ان يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحداً^(١). وهذا يذكرنا ايضاً بملاحظات (ماتسيوس) العامة حول اختلاف التراكيب (الجملة) وكيفية تأدية التراكيب المختلفة لمعان ووظائف مختلفة.

ب- الجملة العربية من منظور النحو الوظيفي

حينما تطبق الأسس الوظيفية في دراسة الجمل العربية فان الغرض الذي يسعى اليه اللسانيون من تطبيقها يتمثل بهدفين: يتعلق الأول بإضاءة نسق اللغة العربية صرفاً وتركيباً والتركيز على استعمالها في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من القطاعات الأخرى انطلاقاً من مبدأ تبعية البنية للوظيفة. والهدف الثاني هو مد جسور الوصل بين البحث اللساني الوظيفي والتنظير العربي التراثي للدلالة في علومه المختلفة من نحو وبلاغة وفقه لغة واصول فقه وتفسير... الخ^(٢).

وهذا الهدف الثاني هو ما ركزنا عليه في القسم الأول (أ) من هذا المبحث. وقد تبين من الصفحات السابقة أن الرؤية العربية الوظيفية التراثية للجملة. ومن سار على نهجها من المحدثين تتطرق في رؤيتها للمعنى التداولي للجملة من الوظائف النحوية لعناصرها. أما الوظيفية اللسانية فتتطرق إلى ثلاثة مستويات تتضمنها الجملة: المستوى الدلالي، والمستوى التركيبي (النحوي) والمستوى (التداولي). وبناءً على هذا هناك ثلاث وظائف ايضاً تتضمنها الجملة: وظائف دلالية (تمثيلية) ووظائف تركيبية (نحوية) ووظائف تداولية (علاقية). وتتم عملية تحليل الجملة انطلاقاً من هذه الوظائف الثلاث. ومن امثلة ذلك الجملة الآتية الواردة في سياق السؤال:

- السياق: من تزوج خالد؟

- الجملة: تزوج خالد هنداً.

فمثل هذه الجملة يتم تحليلها إلى مستويات ثلاثة بناءً على الوظائف السابقة وعلى النحو الآتي:

تزوج	خالد	هنداً
(فاعل)	(مفعول)	
(منفذ)	(مستفيد)	
(محور)	(بؤرة)	

وتمثل وظائف (الفاعل) و(المفعول) المستوى النحوي. ووظائف (المنفذ) و(المستفيد) المستوى الدلالي، ووظائف (المحور) و(البؤرة) المستوى الدلالي^(٣).

وهنا يكون (خالد) منظوراً إليه ليس بوصفه فاعلاً نحوياً فقط فهو هنا منفذ لنشاط (حركة) وهو ايضاً (محور) لمعلومة جديدة لا يحيط بها المخاطب. وكذلك (هند) التي لا ينظر إليها من خلال وظيفتها النحوية في الجملة فقط. وإنما ينظر إليها فضلاً عن ذلك بوصفها عنصراً مستفيداً من هذا النشاط وانها تمثل (بؤرة الجملة) أي المعلومة الجديدة التي يجهلها المخاطب.

(١) معاني النحو ٩/١. وقد ذكر د. تمام حسان أن (علم المعاني) يتضمن دراسة معان وظيفية في حميمه وهذه الدراسة ذات صلة بالنحو أكثر من صلتها بالنقد الأدبي. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٨.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٥.

(٣) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٩١-٩٢، والتركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ويلاحظ هنا ان (البؤرة) تُحدد من خلال التعرف على ملابسات الجملة والسياق الذي قيلت فيه كما في:

- السياق: تزوج خالد زينب.
- الجملة: هنداً تزوج خالد لا زينب.
- (هند) هنا هي البؤرة على اساس انها المعلومة الجديدة التصحيحية ويعد نبر هذه الكلمة وتصدرها سمتين سطحيتين ناتجتين عن تبئيرها وليس العكس.
- وبهذا يتضح ان (البؤرة) في هذه الجملة والجملة السابقة أي:
- تزوج خالد هنداً.
- هنداً تزوج خالد.

يجري مقاربتها بطريقتين مختلفتين: في الأولى تسند البؤرة إلى المكون (هند) على اساس أخذه النبر المركزي. وفي الثانية على اساس حمله النبر المركزي وكونه يمثل المعلومة التصحيحية. وحمل المكون (هند) للنبر المركزي في الجملتين الأولى والثانية. وتقديمه فضلاً عن ذلك في الثانية يعد عملية ناتجة عن التبئير وليس العكس^(١). وهذا يعني ايضاً ان الرتبة في العربية ليست حرة الا فيما يخص الوظائف النحوية (فاعل_ مفعول) لكنها رتبة محكمة تداولياً وكذلك الحال مع اللغات المشابهة^(٢).

وهنا يتضح الفرق فيما يخص عملية بناء الجملة بين النظرة التراثية العربية والنظرة الوظيفية. ففي الوقت الذي يتعامل فيه العرب مع تقديم المكون (البؤرة) على اساس كونه عدولاً عن الترتيب الأصلي المتعارف عليه في الجملة، ينظر اليه اللسانيون الوظيفيون على انه مقدم من البداية وان هذا هو الترتيب الذي يقوم بوظيفة تصحيح المعلومة ولا يمكن ان يؤدي هذه الوظيفة ترتيب آخر مغاير^(٣).

وهذه النقطة تؤثر خلافاً ايضاً مع التوليديين التحويليين الذين يتحدثون ايضاً عن عملية نقل خضعت لها الجملة بموجب قوانين تحويلية أدت إلى انتاج هذه الجملة على هذه الصورة. ولا يتعامل الوظيفيون مع الجمل المتشابهة مثل:

- اشترى محمد الكتاب.
- الكتاب اشترى محمد.
- اشترى الكتاب محمد.

بموجب قواعد الاشتقاق في النحو التحويلي. ولا يعدون الجملتين الاخيرتين مشتقتين من الجملة الأولى. بل يرون ان هاتين الجملتين لهما هذا الترتيب من الأساس، لأن لهما هذه الوظيفة. أي بناء على القاعدة التي يستند اليها النحو الوظيفي التي تنص على (ان البنية تتبع الوظيفة) وليس العكس^(٤).

(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٢-٢٣.

(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٣.

(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٢١-٢٢.

(٤) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٢١-٢٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وكما تقدم في فصل النحو التوليدي التحويلي ان الدارسين العرب تعاملوا مع حالات اختلاف صياغة الجمل بموجب عمليات تغيير يتم تطبيقها على النسق الأصلي يجري بموجبها تقديم أو حذف أو تغيير صياغة الجملة.

وهذا يدل على ان النظرة الوظيفية العربية للجملة هي نظرة عامة تعني باختصار ان للجمل وظائف تواصلية تؤديها في السياقات المختلفة وان هناك عمليات تغيير (تحويل) تجري على هذه الجمل لتكون أكثر ملائمة للوظائف التي تؤديها. ولم يكن الدارسون العرب القدماء ينطلقون من الاساس الوظيفي اللساني المبني على تبعية التركيب للوظيفة بشكل مطلق،

ولهذا علاقة مباشرة بنظرة العرب إلى المعنى التداولي السياقي، فهم يرون ان مطابقة سياق الحال تتم بعد تكوين الجملة وليس العكس أما الوظيفيون فيجعلون (المعنى التداولي) ومطابقته لسياق الحال هو المنطلق في عملية بناء الجملة.

ومسألة اسبقية الجمل (التركيب المجردة غير المستعملة في سياق) على القولات (الجمل المرتبطة بالسياق) مسألة اختلف بشأنها اللسانيون وقد "ذهب كاتز إلى القول باسبقية الجمل بوصفها كليات على القولات بوصفها جزئيات، وكان ينظر إلى الجمل نظرة فلاسفة الرياضيات الأفلاطونيين إلى الأعداد، حيث كانوا يعتقدون بوجودها السابق للمعدودات، ويذهبون إلى القول بأسبقية وجود الحقائق الرياضية والمنطقية عما عرفه البشر من المنطق والرياضيات"^(١) وهذا الرأي وان كان مشابهاً لرأي تشومسكي الا أنه يختلف عنه في الاعتقاد بالوجود القبلي للجمل ووجودها المستقل والسابق للقولات اللغوية ويترتب على هذا ان علم القواعد الذي يهتم بدراسة الجمل ما هو الا نظريات لكيانات مجردة^(٢).

لكن جاكبسون يشير إلى "ان الفصل المطلق بين الجانبين تحول في الحقيقة إلى معرفة العلاقتين التراتيبيتين المختلفتين: أي تحليل الشفرة مع اهتمام مماثل بالرسائل والعكس بالعكس. ومن دون مقابلة الشفرة بالرسائل لا يمكن استكناه القوة الابداعية للغة"^(٣).

ويبدو ان تعامل اللغويين العرب مع البنية اللغوية المتمثلة بالجمل على انها سابقة للسياق هو السبب ايضاً في انهم لم يفرّدوا مستوىً مستقلاً عن النحو للدلالة. فقد نظروا إلى المعاني انطلاقاً من الوظيفة النحوية ولهذا لم يميزوا بين وظائف نحوية فاعل مفعول ووظائف دلالية مثل منفذ، متقبل، مستفيد... الخ. وهذا هو السبب ايضاً في حديثهم عن بنية اصلية وبنية مشتقة ويلاحظ ان مصطلحات اللغويين العرب في رصد المعاني التداولية أيضاً تفصح عن الاساس النحوي الذي تبنى عليه فقولهم (تقديم) يلزم منه ان هذا العنصر كان في الاصل متأخراً. وقولهم (الحذف) يلزم منه انه كان مذكوراً قبل ان يحذف من الكلام بعد ذلك لسبب سياقي (تداولي) وحتى مؤلفات البلاغة وعلم المعاني بما فيها (دلائل الاعجاز) كلها قائمة على هذا الاساس وان كانت تشارك الوظيفيين رؤيتهم في ان المعنى يسبق اللفظ. وهذه الرؤية لا تخلو من اختلاف ايضاً مع الوظيفيين فالدارسون العرب يتحدثون عن معنى على المستوى الدلالي، أما الوظيفيون فيتحدثون عن معنى على المستوى التداولي.

(١) مدخل إلى اللسانيات ٥١.

(٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٥١.

(٣) الاتجاهات الاساسية في علم اللغة ٣٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

ومن الواضح ايضاً ان التطريزات الصوتية أو (النبر والتنغيم) تحتل مكانة اساسية في التحليل الوظيفي للجملة على نحو يفوق كثيراً عناية الدارسين العرب بهذا المجال فقد استندوا اليها بشكل مباشر في التعرف إلى المعلومة الجديدة (البؤرة) وقد حاول الوظيفيون ايضاً أن يرصدوا العلاقة بين الوظيفة النحوية والمكون الدلالي وترتيبها على نحو متسلسل مبني على متابعة اكثر من لغة وصولاً إلى وضع بيانات تشمل اللغات الانسانية وكان من نتيجة ذلك التسلسل الذي تحدثنا عنه سابقاً وفيه وجد ان وظيفة (الفاعل) تسند بالدرجة الأولى إلى (المنفذ) ثم (المتقبل).... الخ ومثل هذه المسألة لم يعن بها العرب لأنهم لم يركزوا على دراسة القابلية التواصلية الانسانية وإنما كان هدفهم الاساس هو دراسة الاعجاز القرآني.

وفيما يخص الحديث عن وظائف الجملة يذكر هنا ما ذهب إليه العرب فيما يخص الجملة الاسمية والجملة الفعلية والتفريق بينهما. فقد ذكروا ان الجملة الاسمية تدل على نسبة المعنى إلى الشيء من غير ان يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء أما الجملة الفعلية فتدل على نسبة المعنى إلى الشيء على نحو يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء^(١).

ولم يعمم الوظيفيون معنى (الحدث) على الجملة الفعلية والثبوت على الجملة الاسمية بشكل مطلق وإنما عدوا الجمل بشكل عام دالة على (وقائع) وفرقوا بين الجمل التي تتضمن (وقائع) تدل على نشاط (حركة) والجمل الأخرى التي تعبر عن وضع أو حالة كما في الجمل الآتية:

- أ- بكى الطفل.
- اركض في المساء.
- شرب زيد لبناً.
- ب- انفجر الوضع الأمني في لبنان.
- مرض عميد الكلية في بداية العام الدراسي.
- فتحت الريح الباب.
- ج- زيد جالس فوق الأريكة.
- يكلف الكتاب عشرين ديناراً.
- يشبه زيد أباه.
- يملك علي سيارتين.
- د- بدت الفتاة سعيدة.
- خالد فرح.
- زيد سعيد.
- سعدت لقدومك.
- منظر الحديقة جميل^(٢).

فالجمل التي تتضمنها المجموعة (أ) هي جمل تدل على عمل قام به (عامل) أو كما يقال احياناً أخرى تتضمن نشاطاً أو حركة صدرت من أحد ما. وهذه الجمل تختلف عن جمل المجموعة (ب)

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٦، والطراز ١٥/٢-٢٠.

(٢) ينظر في هذه الجمل الاتجاه الوظيفي ٩٠-٩٢، واللسانيات والبيداغوجيا ٥٥، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٣٣ و٣٩.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

التي تتضمن احداثاً وقعت في وقت من الأوقات وهي ليست مشابهة لجمل المجموعة (أ) لأنها ليست اعمالاً أو نشاطاً قام به شخص ما، وانما تعبر عن حدث تأثر به شيء ما. وبالتالي فان هذه الجمل وان تضمنت جميعها افعالاً فانها ليست متشابهة ولا تعبر عن شيء واحد كما كان ينظر اليها في تراثنا العربي.

أما جمل المجموعة (ج) فتتحدث عن وضع قائم من الأوضاع وهي ليست حركة أو عملاً مثل جمل المجموعة (أ) وليست أحداثاً مثل جمل المجموعة (ب). انما هي جمل تعبر عن وضع يكون فيه شيء ما في وقت ما.

أما جمل المجموعة (د) فتعبر خلافاً للجمل السابقة عن حالة من الحالات يتصف بها شيء ما في وقت ما. والاسم الذي يقع بعد فعل في مثل هذه الجمل لا يقوم بعمل ولا يتأثر به وانما هو شيء يتصف بالحقيقة التي يرد ذكرها في النشاط قبله^(١).

ويتضح مما سبق أن بعض الوقائع قد تعبر عنها جمل اسمية وجمل فعلية كما في:

- زيد جالس فوق الاريكة.
- يجلس زيد فوق الاريكة.
- فمع كون الجملة الاولى اسمية والثانية فعلية فانهما تشتركان في كونهما تعبران عن (وضع) من الأوضاع.
- وكذلك الجملتان:

- يكلف الكتاب عشرين ديناراً.
- سعر الكتاب مرتفع.
- تعبيران ايضاً عن (وضع) مع كون الاولى فعلية والثانية اسمية.
- والتحليل العربي القديم نحويًا كان أم بلاغيًا يغفل العلاقة بين هاتين الجملتين. وكذلك الجملتين السابقتين.

كذلك لا ينبه هذا التحليل على المعاني الدقيقة والمختلفة التي يؤديها الفعل أو بعارة ادق تؤديها الجملة الفعلية بأكملها. فهي تنظر إلى الجمل:

- بكى الطفل.
- انفجر الوضع الأمني في لبنان.
- يجلس زيد فوق الاريكة.
- يشبه زيد أباه.
- على انها جمل متشابهة تشترك في كونها جميعاً تدل على حدث وتتصف بالتجدد.
- وكذلك تعامل الجمل الاسمية:
- الكتاب باهض الثمن.
- المنظر جميل.
- الوضع الأمني في البلد مضطرب.
- زيد مثل ابيه في الشكل.

(١) ينظر: الاتجاه الوظيفي ٩٠-٩١، واللسانيات والبيداغوجيا ٥٥.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

على انها جمل متشابهة تدل على نسبة شيء إلى شيء على جهة الثبوت والدوام.
والنظر في الجمل السابقة التي تتضمنها المجموعات أ- ب، يدل على عدم صحة هذا التعميم
من جهة. ويدل من جهة أخرى على انه يغفل المعاني الدقيقة والمختلفة بين الجمل ويعاملها على
انها مترادفة وظيفياً. وهذا يؤكد عدم دقة التحليل السابق ووجوب اعادة النظر فيما تضمنه من
تعميم.

وفيما يخص الموضوع واللواحق. أو ما يسمى بالعمدة والفضلة في تراثنا العربي. الذي يعد
الحديث عنه مألوفاً في الدرس القديم والدرس اللساني. اعتمد النحو الوظيفي في تحديد (الموضوع/
العمدة) و(واللواحق/ الفضلة) على الاطار الحملي الذي يتمثل في السمات الدلالية التي يتضمنها
الفعل كما هو الحال في مصطلحات النحو التحويلي.
ففي جملة:

شرب خالد شايًا

يعد الفاعل والمفعول كلاهما عمدة لأنهما جزء من الحمل. وذلك لأن الفعل (شرب) يتطلب
منفذاً حياً ومتقبلاً. ولا يمكن أن يكتفى بواحدٍ منهما. وهذا ايضاً هو رأي النحو التوليدي التحويلي
الذي بني على اساس السمات الدلالية التي تتضمنها قواعد الاساس كما تقدم.
أما (في المساء) فتعد من المكملات (الفضلات) أو (اللواحق) أيأ كان ما نسميها في جملة
مثل:

شرب خالد شايًا في المساء.

وذلك لأنه ليس جزءاً من حدود الفعل الذي تتضمنه الجملة وإنما يمثل معلومة اضافية يريد
المتكلم ايصالها إلى السامع.
أما في جملة:
جاء زيد مسرعاً.

فيكون زيد هو (العمدة) أما (مسرعاً) فهو يمثل معلومة اضافية ولا علاقة له بالفعل لأن هذا
الفعل يتضمن حداً واحداً هو المنفذ الحي.

وهنا ايضاً تختلف نظرة اللسانيين عن نظرة الدارسين العرب القدماء في كيفية تحديد العمدة
والفضلة، اذ اعتمد العرب على ركني الاسناد وليس على الخصائص المعجمية أو السمات الدلالية
التي يتضمنهما الفعل. ويبدو ان الرأي اللساني اكثر قوة ومنطقية لأنه يعتمد على علاقة عناصر
الجملة ببعضها من خلال المعجم والقواعد التركيبية معاً. اما الدارسون العرب القدماء ومن سار
على نهجهم ايضاً من المحدثين فقد بنوا رأيهم على ان هذين العنصرين هما اقل ما تتألف منه
الجملة. وكونهما كذلك لا يعني أنهما فقط العمدة في جميع الجمل التي تتألف منها اللغة. اذ تتطلب
بعض الجمل كما تقدم فاعلاً ومفعولاً ومن دون احدهما تصبح الجملة خاطئة وغير مقبولة. وينطبق
الكلام ايضاً على الجمل التي يتطلب فعلها ان يواكبه مفعولان مثل جملة:
اعطى محمد صديقه كتاباً.

اذ تعد مكونات هذه الجملة جميعها (موضوعاً) اي جزءاً من الاطار الحملي فالفاعل والمفعول
الاول والفاعل الثاني هما حدود للفعل (اعطى) لا يمكن ان تستقيم الجملة إلا بهم جميعاً.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

والتركيز هنا على (الفعل) لانه هو وحدوده ما يمثل الجملة في النحو الوظيفي واذا سبق باسم فهو (مبتدأ) بمعنى انه (متقدم) وما تلاه يمثل ذيل الجملة كما في:

سعاد	عادت	أختها	من	مراكش
مبتدأ	حمل	ذيل.		

اي ان الجملة تتألف من ثلاثة مكونات كما تقدم هي: [(مبتدأ) [حمل] [ذيل)] ويمكن ان تتألف جملة ما من (حمل) فقط او مبتدأ وحمل او حمل وذيل. وهنا نرى ان (محمد) في جملة:

محمد جاء

يمكن ان يمثل (مبتدأ) للجملة يحدد مجال الخطاب فيها كما تقدم في حين يمثل الفعل والفاعل (الحمل).

وثمة ملاحظة ينبغي ذكرها هنا تختلف فيها نظرة النحو الوظيفي عن التوليدي التحويلي تخص (الجملة المعقدة).

فالنظرة الوظيفية إلى جملة مثل: سعاد تزوجت أختها.

ترى ان (سعاد) ليس جزءا من (الحمل) فهو متقدم موضوعي يحدد مجال الخطاب على اساس تقسيم مكونات الجملة السابق وهنا اذا سرنا على هذا الاساس ستكون هذه الجملة والجملة العربية الاخرى جملا بسيطة لان المتقدم فيها مثل (سعاد) خارج الحمل. وليست جملة معقدة كما هو الحال إذا نظرنا إليها من وجهة نظر النحو التوليدي التحويلي _ كما في الفصل السابق _ فالنحو الوظيفي يرى أنّ الجملة المعقدة هي الجملة التي تتضمن أكثر من حمل واحد وهذا يصدق على الجمل المكثفة مثل:

- بلغ خالدا ان هنداً ستسافر.

- يتمنى خالد أن تعود هند.

- سيغادر خالد القاعة حين يدخلها بكر. ... الخ.

ولا يصدق هذا على جمل من قبيل الجملة السابقة^(١).

وعد المبتدأ مثل (سعاد) في جملة:

سعاد عادت أختها.

متقدما أو ذو وظيفة تداولية هي (المبتدأ) وليس نحوية. هي احد اسباب افتقار الوظائف النحوية إلى وظيفتين فقط هما:

الفاعل والمفعول.

وقد تناول الوظيفيون أيضا موضوع (مقبولية الجمل) وذكروا عددا من الملاحظات في هذا الشأن منها ما يتعلق بإسناد الوظائف كحديثهم عن كون الجمل التي تسند فيها وظيفة الفاعل إلى المنفذ تتصف بدرجة قبول عالية تفوق درجة قبول الجمل التي تسند فيها هذه الوظيفة إلى المتقبل وتتناقص درجة القبول هذه كلما سرنا باتجاه الوظائف الأخرى على عكس ما يقتضيه سلم إسناد الوظائف السابق كما في إسناد هذه الوظيفة إلى الحد الحامل لوظيفة المستقبل أو المستفيد أو الأداة أو الزمان أو المكان بحسب التسلسل التي ذكرت فيه. ومثل هذا يقال في إسناد وظيفة المفعول إلى

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١٠٤-١٠٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

(المتقبل) التي تحظى بدرجة قبول عالية ثم تتناقص كلما أسندت هذه الوظيفة إلى الحدود الأخرى كما هو الحال مع الفاعل^(١).

وهناك سلميات أخرى لإسناد غير هذه الوظائف تتعلق بها درجة قبول الجمل مثل وظيفة المحور ووظيفة البؤرة^(٢).

وذكر الوظيفيون أمثلة أخرى يتعلق بها ضعف قبول الجمل مثل تعدد الإضافات وتعدد الاكتنافات الذي فصلنا القول فيه في الفصل السابق غير إنهم لم يبسطوا القول فيه على نحو مما وجد في النحو التوليدي التحويلي. واكتفوا بإرجاع ضعف مقبولية مثل هذه الجمل إلى التعقيد^(٣).

ومن الملاحظات التي تنطبق على العربية فيما يخص مقبولية القانون الذي ذكره (ديك) وذكر انه قانون عام يحكم ترتيب المكونات في اللغة الطبيعية ومفاده ان المكونات تترتب من بداية الجملة إلى آخرها حسب حجمها:

فالمكونات ذات الحجم الصغير (ضمائر، مركبات اسمية) تتقدم على المكونات التي تفوقها حجما (المركبات المعقدة، الجمل).

ولهذا تكون الجملة التي يتأخر فيها الفاعل عن المفعول في مثل:

- احزن خالدا أن هنداً سافرت هذا الصيف.

أكثر قبولا من تلك التي ترد على الأصل:

- احزن ان هنداً سافرت هذا الصيف خالداً^(٤).

وفي مجال الحديث عن الغموض الجملي الذي عنى به الوظيفيون أيضا فرق بين مفهومين مختلفين الالتباس والإلباس.

فالإلتباس ظاهرة عرضية. ترتفع بالسياق المقامي أو المقالي. أما الإلباس فيسخر له المتكلم كلا السياقين من أجل ضمان استمراره وهذه الظاهرة تكون غالبا في أنماط خاصة من الخطاب مثل الخطاب الأدبي والخطاب الساخر الأشعاري. أي إن (الإلتباس) ظاهرة لغوية عادية. أما الإلباس فيندرج ضمن الخصائص الخطابية الأسلوبية^(٥).

وربما يكون ذا صلة بهذا الموضوع الحديث عن الصحة اللغوية لجمل مثل الجمل التي ذكرها سيبويه: - شربت ماء البحر.

- حملت الجبل.

ويذكر هنا أن نظرة النحو الوظيفي لا تختلف عن نظرة النحو التوليدي التحويلي فيما يخص الحكم بعدم صحة هذه الجمل عندما يتعلق الحديث بالقدرة التواصلية وقابلية استعمال اللغة في المواقف العادية. وذلك لأسباب تتعلق بالسمات المعجمية (الدلالية) للأفعال المذكورة (شرب) و(حمل) وما يرافق استعمالها (يوأكله) من عناصر. لكن النحو الوظيفي يتناول أيضا وجهاً آخر

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٣٨. ومن أمثلة ذلك: مات الرجل/ ارتفع البناء/ تراكت النفايات/ انكسرت ساق محمد/ انحدر السيل.....الخ.

(٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ١٥ و ٤٣-٧٤.

(٣) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٩-٣١.

(٤) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٤٧.

(٥) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ١١٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

لهذه المسألة يراعى فيه نمط آخر من أنماط التواصل يتعلق بأنماط خاصة أيضاً من الخطاب مثل (الخطاب الأدبي) إذ يعتمد المتكلم إلى كسر هذه القواعد عمداً من أجل خلق دلالات أسلوبية فنية^(١). وهنا نعود إلى الأساس الوظيفي الذي تحدثنا عنه سابقاً وهو إن تعلم قواعد اللغة يجب أن يقتصر به تعلم سياق استعمالها.

وقد صاغ النحو الوظيفي قانوناً عاماً فيما يخص إسناد الوظائف الإعرابية يفترض أن ينطبق على جميع اللغات ومنها العربية، وينص هذا القانون على أن الحالات الإعرابية تسند إلى الجملة بمقتضى وظيفتها الدلالية أو التركيبية أو التداولية وتتفاعل هذه الوظائف الثلاث في تحديد الحالات الإعرابية بالشكل الآتي:

أ- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة دلالية فقط تسند إليه الحالة الإعرابية (النصب) أو الحالة الإعرابية (الجر) إذا كان مسبوقاً بحرف الجر بمقتضى وظيفته الدلالية نفسها.
ب- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة تركيبية فضلاً عن وظيفته الدلالية تسند إليه الحالة الإعرابية (الرفع) إذا كان فاعلاً، أو الحالة الإعرابية (النصب) إذا كان مفعولاً بمقتضى وظيفته التركيبية. وهذا يعني إن الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبية تخفي MASKS الحالة الإعرابية التي تستوجبها الوظيفة الدلالية^(٢).

ج- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة تداولية فإنه لا يخلو من أن يكون:

- مكوناً داخلياً أي جزء من الحمل (موضوع/ لواحق)^(٣)

- مكوناً خارجياً (مبتدأ_ ذيل).

يأخذ المكون الداخلي الحامل لوظيفة تداولية (البؤرة أو المحور) حالته الإعرابية أما بمقتضى وظيفته الدلالية أو بمقتضى وظيفته التركيبية إذا كانت له وظيفة تركيبية فضلاً عن الدلالية. ويأخذ المكون الخارجي (المبتدأ_ الذيل) وبهذا يأخذ المكون المبتدأ حالته الإعرابية في اللغة العربية بمقتضى وظيفته التداولية ذاتها (الابتداء). وإذا عد من ذلك المنادى فإنه يأخذ حالته الإعرابية (النصب) بمقتضى وظيفته التداولية نفسها أيضاً. وهذا يشبه رأي من ذهب من علمائنا القدماء إلى إن رافع المبتدأ هو (الابتداء)_ وقد صيغ تفاعل أنواع الوظائف الثلاثة على شكل التسلسل الآتي:

الوظائف التركيبية < الوظائف الدلالية < الوظائف التداولية^(٤).

وإذا سرنا على المبدأ الوظيفي الذي ينص على "تبعية البنية للوظيفة أصبح من المتوقع أن ترجع الحالات الإعرابية إلى وظائف دلالية أو تداولية أو تركيبية حسب أنماط اللغات. في اللغة العربية على وجه الخصوص تسند الحالة الإعرابية (الرفع) إلى المكون (الفاعل) والحالة الإعرابية (النصب) إلى المكون المفعول أو مكون يحمل وظيفة دلالية دون أي وظيفة تركيبية"^(٥).

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٣٢-٣٣.

(٢) من أمثلة هذا في العربية: مات زيد، انكسرت ساق محمد، قتل اللص، إذ تغلب الوظيفة التركيبية في هذه الجملة الوظيفة الدلالية (المتقبل).

(٣) هذا مبني على توسيع الأطر العملية النووية لتتضمن ما ليس من حدود الفعل كما تحدثنا عنه سابقاً.

(٤) ينظر: التركيبات الوظيفية ١٨-١٩.

(٥) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٦، والمنحى الوظيفي ١٣٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

وفي الجمل العربية ثمة إعراب غير معلل وظيفياً أي ليس له وظيفة دلالية أو تداولية أو تركيبية. وهذا النوع من الإعراب يمكن أن يصطلح عليه بـ (الإعراب البنيوي) وهو يعد أحد الجوانب اللغوية التي تخرج عن المبدأ الوظيفي الأساس القائل بتبعية البنية للوظيفة. وقد يكون هذا الإعراب ناتج تركيب معين كالتركيب الإضافي أو ناتج عمل بعض الأدوات والحروف. ومن شأنه (أي الإعراب البنيوي) أن يحجب (الإعراب الوظيفي) ومن أمثلته:

- استعادت هند معطف سعاد.

- أخذت قطار الدار البيضاء.

- صمت يوم الاثنين.

- اطلعت على كتاب خالد.

ففي هذه الجمل يأخذ المضاف إليه حالة الجر بقطع النظر عن وظيفته الدلالية^(١).

وكذلك هو الحال حين تكون هناك إضافة إلى الفاعل أو المفعول كما في:

- أغضبنا جميعاً طرد خالد هندا.

- أغضبنا جميعاً طرد هند.

إذ يحمل المضاف إليه في هاتين الجملتين الوظيفية التركيبية (الفاعل) والوظيفة التركيبية (المفعول) اللتين تخولان للمكون الذي يحملهما أعرابي (الرفع) و(النصب). لكنهما محيدتان هنا لصالح الإعراب البنيوي (الجر)^(٢).

ويعد من هذا القبيل أيضاً ما يسمى في النحو الوظيفي بالجمل (الرابطية) التي تبدأ بـ(كان) أو أحد أخواتها، و(أن) أو احد أخواتها كما في:

- كانت هند مسافرة.

- أصبح فن الغناء مبتذلاً.

- ظل الجو حاراً طيلة هذا اليوم.

وكذلك:

- ان علياً شاعر مفوه.

- ليت هنداً حاضرة معنا.

وكذلك أيضاً الجمل:

- ما عادني من صديق حين مرضت.

- غادر الجنود المدينة في هذا الصباح.

- دخلت زينب إلى البيت مسرعة.

فليس هناك أي علة وظيفية لاختلاف الحركة في هذه الجمل^(٣).

ويعد د. (احمد المتوكل) من هذا القبيل وجود المطابقة إذا تقدم الفاعل على الفعل وعدمها إذا

تأخر عنه، الذي ليس له علة وظيفية كما في:

- جاء الطلاب.

(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٦-٣٧، والمنحى الوظيفي ١٣٧.

(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٧.

(٣) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٧-٣٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

- الطلاب جاءوا^(١).

وقد ذكرنا في فصل (النحو التوليدي التحويلي) أن هذه الجمل يمكن أن تكون من قبيل الجمل المعقدة. أي من قبيل الجمل التي تكتنف تركيباً اسنادياً. وتتضمن أكثر من حمل واحد. وبهذا تكون العلة تركيبية أيضاً وليس وظيفية^(٢).

لكننا إذا اتبعناها أسس النحو الوظيفي. التي ترى أن (الطلاب) في الجملة الثانية ليس لها علاقة بـ(الحمل) وإنها (مبتدأ): متقدم موضوعي له وظيفة تداولية فقط كما هو الحال مع (الذيل)، ستكون هذه الجملة (جملة بسيطة) من المنظور الوظيفي، وبناء على هذا يقع الاعتراض الذي ذكره د. المتوكل، إذ ليس هناك من علة وظيفية واضحة لوجود المطابقة في حالة تقدم الفاعل على الفعل وعدم وجودها في حالة تأخرها عنه.

وعلى الرغم من كثرة هذه الجمل وما شابهها في العربية يرى د. المتوكل أن هذه الأمثلة قليلة ولا تؤثر على المبدأ العام الذي ينص على تبعية البنية اللغوية للوظيفة. وفيما أظن أن على النظرية اللغوية أن تقدم أجوبة واضحة لمثل هذه الأمثلة التي تخرج عن هذا المبدأ العام وإلا لم تكن نظرية لغوية تتصف بالكفاءة. ولا سيما إذا كانت هذه الأمثلة غير قليلة وشواهدا كثيرة كما هو الحال مع الجمل السابقة.

ويمكن أن يضاف إلى الأمثلة السابقة عدم تطابق بنية جمل أخرى مع الوظيفة التي تؤديها وهو ما يصطلح عليه بـ(فعل الكلام غير المباشر) في الحقل التداولي _ وسيأتي الحديث عنه في فصل آخر_ كما في الجمل الخبرية التي قد تستعمل للتعجب والاستفهامية التي يراد بها النفي أو الإنكار أو التقرير أو الطلب.... الخ من الأمثلة الأخرى.

وقد تكون مثل هذه الأمثلة ذات جوانب شكلية (بنوية) واضحة لكن هذا لا يعني أيضاً إلغاء الجوانب الوظيفية الكثيرة التي نجدها في لغتنا العربية كما في الأمثلة الكثيرة السابقة. فالتحليل الوظيفي يضئ لنا جوانب كثيرة ذات أهمية في دراسة الجمل العربية كما سبق، ويعالج كثيراً من القضايا على نحو لم يتبعه الأقدمون ويبرز لنا كثيراً من الجوانب الدلالية والمعاني الدقيقة التي تتضمنها الجملة. لكنه في نهاية المطاف لا يمكن أن يكون المنهج الوحيد الذي يعتمد عليه وحده في دراسة الجملة العربية أو الجمل في إطارها الإنساني العام ويبقى هذا المنهج على ما فيه من مزايا بحاجة إلى ما يكمل عمله ويسلط الضوء على القضايا الأخرى التي لم تكن تمثل مجال اهتمامه الأول وتركيزه وهذا ما تحققه المناهج الأخرى.

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نشير إلى أبرز الملاحظات والنتائج التي تضمنها التحليل الوظيفي للجملة، وهي تتلخص بالآتي:

١- النحو الوظيفي رؤى جديدة، ومنهج حديث في التحليل اللغوي يبرز كثيراً من المسائل المتعلقة بالجملة على نحو مختلف عما ألف في التراث العربي ويمكن لهذا المنهج إن يغني دراسة الجملة العربية في جوانب عدة تطرقنا لأغلبها في الصفحات السابقة. وكان منها ما يتعلق بالمعاني الدقيقة للجملة والوظائف المختلفة التي تؤديها وعلاقتها بالبنية اللغوية فضلاً عما يتعلق بقواعد

(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٣٩.

(٢) ينظر: التركيبات الوظيفية ٤٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الأول ﴾

صياغة الجملة والعموميات القواعدية ودرجة قبول الجمل وعلاقتها بتعقيد التركيب والاكتناف الذي تتضمنه بعض جمل اللغة.

٢- لا يكفي تعلم قواعد صياغة الجمل وحده في عملية تعلم اللغة، ولا بد أن يتعلم المرء أيضا الكيفية التي يتم بها استعمال هذه الجمل في سياقات ملائمة أي (صحتها التداولية)، فالقدرة التداولية جزء لا يمكن الاستغناء عنه في عملية بناء الجمل المختلفة واستعمالها بصرف النظر عن طبيعة تصورنا لهذه القدرة وهل هي قدرة مستقلة عن القدرة القواعدية كما يرى تشومسكي. أم هي قدرة تواصلية تشمل الاثنين معا كما يعتقد الوظيفيون.

٣- تعد الرتبة حرة في اللغة العربية وما شابهها من اللغات فيما يخص الحديث عن الوظائف النحوية فقط، ولا ينسحب هذا على الوظائف التداولية. إذ تعد الرتبة بالنظر إليها من هذه الزاوية رتبة محكمة تداوليا.

٤- تمثل القواعد التطريزية (النبرة والتنغيم) جزءا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في التحليل النحوي للجملة، ولهذه القواعد دور رئيس في التعرف على طبيعة المعلومة التي تنقلها الجمل المختلفة وتحديد ما يمثل الجانب المعروف منها وما يمثل المعلومة الجديدة التي يريد المتكلم إيصالها للمخاطب.

٥- تمثل قواعد صياغة الجملة والقواعد العمومية جزءا مهما من النحو الوظيفي، وهذا يمثل قاسما مشتركا بين النحو الوظيفي والتوليدي التحويلي فيما يخص العناية بالموضوع، وان كانت رؤية كل منها لهذا الجانب ومنهجه وهدفه مختلفة عما هو عليه المنهج الآخر.

٦- ضرورة إعادة النظر فيما يتعلق بقاعدة دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية في التراث العربي. وكذلك ضرورة إعادة النظر بقاعدة (العمدة) و(الفضلة) المبنية على قاعدة الإسناد وان اقل مما تتألف منه الجملة هو مسند ومسند اليه.

٧- عدم دقة قول من يرى أن التراث العربي في عمقه فكر وظيفي من حيث المفاهيم والمنهج والقضايا. فالمفهوم الوظيفي في التراث العربي هو مفهوم عام ليس له محددات نظرية شاملة وهو مفهوم يمكن أن نجد له أصلا في معظم المناهج اللغوية القديمة والحديثة ولهذا صلة بطبيعة اللغة الإنسانية التي تمثل الوسيلة الأساس في عملية التواصل. وهذا مما لا يجادل فيه احد. أما من حيث المفاهيم وطبيعة المنهج وزاوية النظر ومجال التركيز فهناك اختلاف كبير بين النحو الوظيفي وما ذهب إليه الدارسون العرب القدماء. ويتجلى هذا بالنتائج المختلفة التي تفرزها أسس هذا النحو ورؤيتها التي تباين النظرة السائدة فيما يتعلق بمسائل عدة تخص الجملة العربية من حيث الصياغة والدلالة ونوع الوظائف وطبيعة الارتباط بين البنية والوظيفة وطريقة التحليل المتبعة... الخ من المسائل الأخرى التي تضمنتها صفحات هذا المبحث.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

المبحث الثاني : الجملة العربية وعلم لغة النص TEXT LINGUISTICS

من الواضح أن موضوع هذا البحث لا يعنى بالأساس بقضايا النص وإنما بالجملة، لكن الصلة الوثيقة بين الجملة والنص والحديث عن نحو جملة ونحو نص وارتباط الثاني بالأول وقيامه عليه يوجب ان لا يهمل الباحث هذا الجانب في اطار البحث في الجملة لاسيما مع بروز الاختلاف الذي أثارته البحوث النصية حول الوحدة الاساس في التحليل اللغوي هل هي الجملة أم النص؟ لذا لم يكن بد من تناول هذا الموضوع لارتباط مفاهيمه وتصوراتها بالمفاهيم والتصورات التي تخص الجملة فضلاً عن كون الجوانب الوظيفية والتواصلية للجملة التي جرى الحديث عنها في المبحث السابق اصبحت تطرق بوصفها انعكاساً للعلاقة القائمة بين الجمل المختلفة التي ترد ضمن محيط أكبر_أو بيئة أكبر كما يعبر عنه أحياناً_ هذا المحيط هو (النص).

أولاً: المفاهيم الأساسية والمنطلقات والتداخل مع النظريات والعلوم الأخرى

لا يمكن الحديث عن مفهوم (النص) بمعزل عن مفهومين آخرين جرى تداولهما في الأدبيات اللسانية، وهذان المفهومان هما الجملة والخطاب، إذ أخذ كل مصطلح من هذه المصطلحات مفهوماً مختلفاً باختلاف طبيعيات النظريات اللسانية ومنطلقاتها^(١).

وكما رأينا في اطار النحو التوليدي التحليلي نظر الى الجملة على أساس كونها وحدة تركيبية صورية تمثل موضوع الوصف والتفسير اللغوي. وهي موضوع الوصف اللغوي في التصور البنيوي التوزيعي ايضاً الذي سبق النحو التوليدي التحليلي^(٢).

أما مصطلح (النص) فقد اطلق على الانتاج اللغوي الذي يتعدى الجملة بوصفه سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن هما: مبدأ الوحدة ومبدأ الإتساق (التناسق). ويستعمل مصطلح (النص) في البحوث اللسانية مرادفاً لمصطلح (الخطاب) في بعض الأحيان، ويفرق بينهما في احيان أخرى على غرار التفريق بين الجملة والقولة. فيرتبط (النص) بالكفاءة اللغوية أي القدرة أو القابلية الانسانية على انتاج النصوص. ويرتبط الخطاب بظروف الانتاج وملابساته. أي ان الخطاب هو نص مستعمل في سياق أداء فعلي تحيط به ظروف وملابسات معينة^(٣). ولهذه المسألة أثر واضح فيما ذكر من تعريفات مختلفة للنص_ كما سيأتي_ وعند أصحاب الاتجاه الوظيفي يندر بل يكاد ينعدم استعمال مصطلح النص (TEXT)، سواء أقصد به سلسلة صورية من الجمل أم عني به متوالية جمالية مرتبطة بظروف انتاجها. ومصطلح الخطاب (DISCOURSE) هو المصطلح المتداول عند أصحاب هذا الإتجاه الذين يعتمدون (القدرة التواصلية) في دراستهم للنصوص أي يربطون النص بسياق انتاجه وتأويله. ولا ينظرون الى القدرة اللغوية الصرف فقط. وهذا المنظور كان قائماً على أساس الجملة ثم جرى تجاوزه الى النص في التعديل الذي ادخله (دك) في عام

(١) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٢١.

(٢) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ١٣٢ و ١٥٣، ومناهج علم اللغة هرمان باول ٢١٩، والخطاب وخصائص اللغة العربية ٢١.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٤-٩٦، وبلاغة الخطاب وعلم النص ٢٩٤، والخطاب وخصائص اللغة العربية ٢٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

١٩٩٧ على نموذج المعيار الوظيفي كما أشير إليه في المبحث السابق. وبهذا أصبح موضوع الدرس هو (الخطاب) وليس (الجملة)، لأن الخطاب هو سلسلة من الجمل المتناسقة تحكمها ضوابط ظروف انتاجها^(١).

وقد يربط بعض الباحثين بين (الخطاب) وتحليل اللغة المنطوقة، و(النص) وتحليل اللغة المكتوبة على نحو مما فعل (كريستال)، لكن آلية التحليل الواحدة المتبعة في تحليل النص سواء كان (النص) منطوقاً أو مكتوباً جعلت دارسين آخرين مثل (ديبورا) يرون عدم وجود ضرورة للتفريق بين الاثنين^(٢).

وبصرف النظر عن كون مصطلحي (النص) و(الخطاب) مفهومي مترادفين أو مختلفين، يبقى تحديد المقصود بكل واحد منهما مرهوناً بتحديد مفهوم الجملة التي تمثل الوحدة المحورية لهذه البنية، وهذا بدوره يضع اللغويين في وضع لا يحسدون عليه، إذ لم يطور علم اللغة إلى الآن تعريفاً للجملة مقبولاً بشكل عام، وما قرر في هذا الإطار هو ان ينظر إلى وحدات تتصف باستقلال وتام نسبتي داخل سياق أكبر للفقرة والنص. تحدها علامة من علامات الترقيم مثل النقطة أو علامة الاستفهام أو التعجب... الخ، ومثل هذه المعايير تطبق على النصوص المكتوبة، أما النصوص المنطوقة فهي تقسم وفق سمات أخرى كالتنغيم مثلاً^(٣).

وإذا نظرنا في المفهوم اللغوي لكلمة (نص) في بعض اللغات الأوروبية كالألمانية مثلاً نجده يدور حول الاستعمالات الآتية: طباعة نص، قراءة نص، كتابة نص، نص اغنية، تقديم موعظة من خلال نص... الخ، وهذا يعني ان الإستعمال اليومي لكلمة (نص) غير موحد كلياً وانه يدور بإطاره العام حول لغوية محددة كتابياً تضم في العادة أكثر من جملة^(٤).

أما فيما يخص الاصطلاح اللساني لكلمة (نص)، فهناك كما يقول كلاوس برينكر "تعريفات مختلفة للنص، ولا يوجد حتى الآن تعريف مقبول بوجه عام"^(٥). وثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات النصية في تعريف (النص) وقد يصل هذا الاختلاف إلى حد التناقض أحياناً أو الابهام أحياناً أخرى^(٦).

ومن هذه التعريفات تعريف (كلاوس برينكر) الذي يعد النص "تتابعاً محدوداً من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة"^(٧). وهذا التعريف يتضمن إشارة إلى الجانب البنيوي (النظام) وكذلك (التداولي) البراجماتي.

(١) ينظر: الخطاب وخائص اللغة العربية ٢٣، وينظر أيضاً الوظيفية بين الكلية والنمطية ٢٠-٢٣، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٧٤-٨٧.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٥/١.

(٣) ينظر التحليل اللغوي للنص ٣٢.

(٤) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢١. وفي اللغة العربية تدور مادة (ن ص ص) حول: الرفع، الإظهار، ضم الشيء إلى الشيء، أقصى الشيء ومنتهاه... الخ، ينظر: لسان العرب (ن ص ص) ١/٦-٤٤٤٢-٤٤٤٣، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٧/١-٢٨. وهذا يعني ان استعمال كلمة (نص) في العربية غير موحد أيضاً.

(٥) التحليل اللغوي للنص ٢١.

(٦) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٤.

(٧) التحليل اللغوي للنص ٢٧. وينظر علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٦.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

أما (هارتمان) فيعرف النص بأنه "أي قطعة ذات دلالة وذات وظيفة، ومن ثمة فهي قطعة مثمرة من الكلام"^(١). وهذا التعريف يتسم بالعمومية والاقتضاب وينطلق من مبدأ (هارتمان) في أن اللغة المستعملة في الواقع هي الموضوع الفعلي والعلامة الفعلية (أي اللغوية) المنظمة، وهذه العلامة في العادة هي النص^(٢).

ويشبه مفهوم (هالدي) و(رقية حسن) مفهوم هارتمان _ الى حد ما _ إذ يعدان النص (أي فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت)^(٣). لكن هذا التعريف وان كان مبنياً على الاستعمال الفعلي (الأداء) كما هو الحال مع التعريف السابق الا انه تعريف موجز لا يصرح بجوانب وظيفية أو تواصلية كما هو الحال مع التعريف السابق.

ويعرف (جلنتس) النص بأنه "ما ينتج في حدث الأداء أو في سلسلة من أحداث الأداء أيضاً، أي كل ما يقوله شخص ما أو يكتبه، مستقلاً عما إذا كان شخص آخر بوصفه مستمعاً أو قارئاً موجوداً أم غير موجود"^(٤).

وهذا التعريف له ارتباط بالجملة الى حد ما، لأن الأحداث هي (قولات) أي جمل مستعملة في سياق فعلي لإنجاز حدث معين، وهذا واضح من الأساس التداولي الذي بنى عليه هذا التعريف^(٥).

وتبنى بعض التعريفات على (الجملة) على نحو واضح وصريح كما في التعريف الذي ينسب الى (برينكر) أيضاً ويرى ان النص "تتابع مترابط من الجمل"^(٦) ويترتب على هذا "ان الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز الى النص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على انها وحدة مستقلة نسبياً"^(٧).

ويصف (شبلنر) هذا التعريف بأنه دائري بمعنى أنه يوضح النص بالجملة، فالنص يتابع من الجمل والجمل اجزاء من نصوص تتضمن من خلال النص، ويرى كذلك ان هذا التعريف غير منهجي من الناحية العملية لغموض المصطلح والعلاقات التي يتضمنها لذلك لا يمكن تطبيقه^(٨).

وترى (جوليا كريستيفا): "ان النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ أنه موضوع لعدد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية، بمعنى انها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للإنحصار في مقولاتها، وبهذه الطريقة فإن النص: جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً الى بيانات مباشرة، تربطها بانماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها"^(٩).

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٥.

(٢) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٤-٩٥.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٩/١. وينظر أيضاً الخطاب وخصائص اللغة العربية ٢٤.

(٤) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٠٤.

(٥) وسيتضح ما يتعلق بالجملة واحداث الانجاز في مبحث التداولية من الفصل الرابع الذي تعرض فيه هذه المسألة بالتفصيل، وهي تمثل الاساس الذي بنيت عليه النظرة التداولية للجملة التي تؤلف بدورها كياناً أكبر هو النص.

(٦) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٦.

(٧) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٦.

(٨) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٦.

(٩) بلاغة الخطاب وعلم لغة النص ٢٩٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وبناء على التعريف السابق يكون النص عملية انتاجية وهذا يعني أمرين عند كريستفا:
الأول: هو علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل اعادة التوزيع (عن طريق التفكير
واعادة البناء) مما يجعله صالحاً لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات
اللغوية الصرفة له.

والثاني: ان النص يمثل عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص، ففي فضاء النص
تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر
ونقضه^(١).

أما (دي بوجراند) و(دلايسلار) فقد عدا (النص) حدثاً تواصلياً يجب ان تتحقق فيه سبعة
معايير للنصية مجتمعة، وإلا تختلف عنه هذا الوصف أي (كونه نصاً) وهذه المعايير هي:

- ١- السبك CDHESION أو الربط النحوي.
- ٢- الحبك COHERENCE أو التماسك الدلالي.
- ٣- القصد INTENTIONALITY أي هدف النص.
- ٤- القبول أو المقبولية ACCEPTABILITY ويتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
- ٥- الاخبارية أو الاعلام INFORMATIVITY أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
- ٦- المقامية SITUATIONALITY وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
- ٧- التناص INTERTEXTUALITY.

وهذه المعايير السبعة تركز على طبيعة كل من النص ومستعمليه (المتحدث والمتلقي) والسياق
المحيط بالنص والمتحدثين. فضلاً عن كونها تتضمن أغلب مفاهيم النص السابقة^(٢).

ويبرز اختلاف التعريفات السابقة وما تتضمنه من تفاصيل عدم وجود قدر مشترك من ملامح
التوافق حول مفهوم النص ذاته^(٣). وهذه إحدى الصعوبات المهمة التي يواجهها البحث النصي.
وربما كان القدر المتفق عليه من المفاهيم السابقة يتمثل بكون النص "وحدة كبرى شاملة لا تضمها
وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من اجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى
افقي. ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى
ترتبط بينها علاقات نحوية. ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك
الدلالية المنطقية، ومن ثم يصعب ان يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها، وانما يمكن ان
تتبنى نظرية كلية، تتفرع الى نظريات صغرى تحتية تستوعب كل المستويات"^(٤).

وفيما يخص حجم النص أو طوله، ليس هناك معيار لتحديد حجم النص أو طوله، ولا علاقة
لطول النص أو حجمه بتحديد النص، فقد يكون سلسلة من الجمل وقد يكون جملة واحدة أو اقل من

(١) بلاغة الخطاب وعلم لغة النص ٢٩٥.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٣/١-٣٤.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٠٥، وينظر ايضاً التحليل اللغوي للنص ١٧، وعلم اللغة النصي بين
النظرية والتطبيق ٢٥/١.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٠٨. والعلاقات (الإفقية) النحوية هي التي اصطلح عليها بـ(البنية
الصغرى) و(الرأسية) الدلالية المنطقية هي التي اصطلح عليها بـ(البنية الكبرى) كما سيأتي.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

جملة كما هو الحال مع الانذارات والأمثال السائرة والشعارات والاعلان عن السلع. وهو ما نجد بعضه في الأمثلة الآتية:

- ممنوع التدخين.
 - عجائب لا تنقطع.
 - اقرأ صحيفة الصباح كل يوم.
 - للبيع.
 - البنك المركزي العراقي. ... الخ من الأمثلة^(١).
- ويميز الباحثون ايضاً بين النص المغلق والنص المفتوح ويقع هذا التمييز احياناً بناءً على الطول والقصر فتعد الرسائل المستعملة في خدمة الجنود بالقوات المسلحة والرسائل التي من قبيل (عيد ميلاد سعيد)، و(ارجو ارسال...)، ونصوص المناقضة والمزاد وقوائم الطعام... الخ نصوصاً مغلقة، وإذا كانت النصوص بقدر من الطول فهي نصوص مفتوحة. مثل الوصفات الطبية المطولة واللغة التي تدور بين الطلاب، ولغة الفصول في المدارس بين الاساتذة والطلاب... الخ. وهذا هو المعيار لتحديد النص المغلق والمفتوح عند (هاليدي)^(٢).
- وقد يحدد النص (المغلق) و(المفتوح) بناءً على معيار آخر فيعد النص (مغلقاً) إذا كان مكتفياً بنفسه ولم يتضمن أي تناخلات أجنبية من نصوص أخرى. أي لم يحدث فيه عملية تناص. ويعد (مفتوحاً) إذا تضمن تناصاً أو ادرجت بعض النصوص الأخرى فيه^(٣).
- وفيما يخص النمط الذي ينتمي إليه (النص) أو (الخطاب) يميز بين أصناف عدة تبعاً لأساس التصنيف: فمن حيث الموضوع هناك: خطاب ديني، خطاب علمي، خطاب ايدلوجي، خطاب سياسي... الخ.
- ومن حيث البنية الداخلية يصنف الى خطاب عادي وخطاب فني (ابداعي/ أدبي). ومن حيث الآلية يميز بين خطاب سردي، وخطاب وصفي، وخطاب حجاجي^(٤).
- والخلاف الشديد الذي رأيناه قائماً حول تحديد مفهوم (النص) أو (الخطاب) وبيان المراد والمقصود بهذا المصطلح لا نكاد نجده فيما يخص (علم لغة النص) إذ تتفق التعريفات على ان المقصود بهذا المصطلح هو: فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة مؤكداً

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٢-٢٩/١ و ٥٨/١، والاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ٤٩، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٩.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٧/١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٧/١، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩٦-٩٧، والخطاب وخصائص اللغة العربية ٢٥-٢٦.

(٤) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٢٥، وينظر كذلك ٢١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الطريقة التي تنتظم بها اجزاء النص، وترتبط فيما بينها لنخبر عن الكل المفيد^(١). أو هو باختصار "الدراسة اللغوية لبنية النصوص"^(٢).

وإذا كان قد تقدم ان النص قد يكون جملة أو أقل كما سبق في الأمثلة التي اشير إليها، فإنه يجب التنبيه الى ان "علم لغة النص يهتم في المقام الأول بالنصوص التي يظهر فيها درجة اعلى من التعقد سواء من الناحية النحوية أو من الناحية الموضوعية. وبهذا تشكل النصوص التي تتحقق بوصفها تتابعات من جمل في الاساس مجال موضوع التحليل اللغوي للنصوص"^(٣).

ويعد هذا العلم (علم لغة النص) واحداً من احدث فروع علم اللغة لكنه يتميز عنها من جهة النشأة والتطور فهو لم يرتبط في نشأته أو تطوره ببلد بعينه أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد بل على العكس من ذلك كله حاول أقطابه تلمس البدايات في اعمال لغوية محددة ترجع الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومع وجاهة هذه المحاولات تمثل بداية السبعينيات البداية الفعلية لهذا العلم^(٤).

ومن السمات الأساسية التي تميز هذا العلم هي "التداخل المعرفي، بمعنى أن ذلك البحث في النص يتطلب دراية واسعة في فروع مختلفة، فقد تشعبت المفاهيم التي استقى منها مفاهيمه وتصوراتها ومناهجه واتسم هو نفسه بقدرة فائقة على استيعاب كل ذلك الخليط المتباين، بل وتشكيل بنية منسجمة قادرة على الحفاظ على ذلك التداخل من جهة وابرار جوانب التفارق بينه وبين العلوم الأخرى من جهة ثانية"^(٥). ومن خلال مستويات البحث النصي: النحوي، الدلالي، التداولي تتضح مواضع التماس بينه وبين العلوم الأخرى مثل علوم الأدب والبلاغة والشعر والأسلوب، فضلاً عن ادخال عناصر اخرى في التحليل النصي تعود الى علم النفس والاجتماع والفلسفة والمنطق وغيرها. وكل هذا جعل ادواته غير محدودة وتجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية. وقد أدى هذا الى صعوبة تمييز ما هو نصي وما هو غير نصي. وتعددت فيه مصطلحات الباحثين حتى أصبح كل باحث يورد فيه جديداً يخالف به غيره. ولهذه الأسباب أصبح تحديد مفهوم (النص) مسألة صعبة جداً بعد ان أصبح كل مثقف يعكس تصوراً للنص يرتبط لغوياً بالمحيط الذي يعيش فيه لكنه لا يستند الى قواعد وعلامات يمكن تحديدها بدقة. وهذا كله جعل مهمة تحديد موضوعات هذا العلم مسألة صعبة للغاية^(٦).

وهذه الصعوبات والمشاكل غالباً ما يشير إليها الباحثون النصيون والمعنيون بهذا الأمر مثل (كلاوس برينكر) الذي يقول أننا "حين نتحدث عن علم لغة النص فإن ذلك يمثل بداهة تبسيطاً شديداً، إذ انه تكمن خلف هذا العنوان اتجاهات لغوية نصية كثيرة ذات تصورات متباينة الى حد ما

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٥-٣٤/١.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٥/١.

(٣) التحليل اللغوي للنص ٢٨.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٧.

(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩.

(٦) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩ و ٢٧-٢٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

دون شك. بيد انها تتفق في المفهوم القائل أن أعلى وحدة مختصة للتحليل اللغوي ليست الجملة بل النص^(١).

وتكمن وظيفة المستوى النحوي الذي يمثل مع المستويين الآخرين الدلالي والتداولي البناء الذي يقوم عليه النص "في وصف كم غير محدد بشكل محتمل لكل التعبيرات الممكن تصويرها في لغة من نمط (جملة) مع خواصها التركيبية الداخلية. وفي ذلك يوصف كل تعبير على مستويات مختلفة يلحق بعضها ببعض من خلال قواعد. وتعين بوجه خاص بالنسبة لكل تعبير بنية دلالية وبنية صوتية يلحق بعضها ببعض بشكل متبادل من خلال الآلية القاعدية"^(٢).

وضمن هذا الاطار النحوي يعنى (نحو النص) بعدد من الظواهر التركيبية المختلفة مثل علاقات التماسك النحوي النصي وابنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف والجمل المفسرة والعدول عن الابنية النمطية والتحويل الى الضمير، والتوزيعات التركيبية التي تخرج عن اطار الجملة المفردة ولا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً الا من خلال وحدة النص الكلية^(٣).

وفيما يخص المستويين الدلالي والتداولي ينظر الى العلاقة بين الدلالة الأولية (المعجمية) والدلالات الثواني (السياقية)، واشكال العدول وكيف يكتشفه المفسر (المتلقي) من خلال ربط الوحدات اللغوية بالعلاقات الناتجة عن كل تغيير والسياقات التي تتناسب مع هذه الأبنية والمقامات التي تميز بين التراكيب^(٤).

ويتفق معظم الباحثين على انحصار وظيفة (علم لغة النص) في أمرين اثنين هما: الوصف (DESCRIPTION) والتحليل (ANALYSIS) والمنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين هو تعذر البداية بالتحليل دون الوصف فلا بد من ان يوضح ابتداء مكونات النص من الجملة الاولى ثم بيان موضوعات النص واحصاء الروابط الموجودة في النص، ثم نصل الى بيان وظيفة هذه الروابط وعندئذ يبدأ التحليل النصي. ولا يعتمد هذا التحليل على الروابط الموجودة بين أشئات النص الداخلية بل يتعداها الى الروابط الخارجية من خلال ابراز دور السياق في التقريب بين أبعاد النص التي قد تبدو متنافرة^(٥).

ومن المسائل المهمة التي يجري الحديث عنها فيما يخص (علم النص) هو طبيعة العلاقة بين التحليل الأسلوبي والبلاغي والتحليل اللغوي للنص لاسيما مع وجود قواسم مشتركة واضحة بين هذه العلوم _ كما سبقت اليه الإشارة _ التي من ابرزها العناية بآركان الرسالة الثلاثة (المرسل _ الرسالة _ المتلقي) في عملية تحليل النص. ومن أبرز ما يقال في التفريق بين علم النص وهذه العلوم هو ان البلاغة والتحليل الأسلوبي "لا يعنى الا بتلك الأشكال المتجاوزة لمستوى اللغة العادية أو الاشكال المنحرفة، على الرغم من الجدل الشديد الذي اثاره مفهوم الإنحراف بين علماء

(١) التحليل اللغوي للنص ١٧، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٥/١-٢٧.

(٢) اسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ٥٥-٥٦.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١١٩.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٧٠-٧١، وينظر ايضاً علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٦٣/١-٦٩.

(٥) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٥/١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الاسلوبية وعلماء اللغة. أما التحليل اللغوي النصي فيعنى بكل اشكال اللغة، في الاساس يتجه الى المعنى أو ما اطلق عليه (مغزى النص) سواء تحقق في صورة عادية أو صورة منحرفة، ولا يعني ذلك _بأية حال_ أنه يهمل الفصل بين المستويات اللغوية، بل على العكس من ذلك تماماً، إذ يُعنى بالكشف عن كيفية الانتقال بين المستويات وما ينتج عن تلك التحولات من تغيرات تركيبية ودلالية وانعكاسها على المتلقي من خلال عملية البلاغ^(١).

فالأدب كما يرى فاليري: "لا يمكن ان يكون الا توسيعاً لبعض خصائص اللغة واستعمالاً لها"^(٢). وبهذا تتفق هذه العلوم الثلاثة "في المادة وتختلف في الموضوع والهدف، وتتداخل جميعها في الأدوات والاساليب"^(٣).

وبناءً على ما تقدم لا يمكن ان يعد مصادفة وجود بحوث بلاغية واسلوبية من بين مؤلفات علم لغة النص، لأن هذا العلم هو نقطة التقاء بحوث التواصل وعلم العلامات وعلم الأدب ونظرية الفعل الكلامي وغير ذلك من الاتجاهات المتباينة^(٤).

فاللغوي لا يفرق بين نص عادي ونص أدبي الا من جهة الوظيفة، وليس هناك حد فاصل من وجهة نظر (جاكسون) "بين النصوص التي تمتاح من علم اللغة وتلك التي تعالج مشكلات الشعرية، ولا يمكن ان يكون هناك هذا الحد، فعلمه كنعوي يمكن ان يثير المتخصص في الأدب كما يعني باحث الصوتيات، وذلك لأن المقولات اللغوية الفاعلة انما تنعكس في تنظيم الخطاب. وإذا كانت جميع مقولات الخطاب تنبثق من اللغة فإنه من الضروري لتحديد الاعتراف قبل كل شيء بتعدد الانظمة الوظيفية في داخل اللغة"^(٥).

وفيما يخص الخروج من (الجملة) الى اطار أوسع هو (النص) فقد نبه اللغويين منذ ستينيات القرن السابق "الى ان تحليل الجملة المفردة في النص لا يفي بتحليل المعنى الإجمالي للنص بمغزاه المباشر وغير المباشر سواء كان هذا النص منطوقاً أو مكتوباً"^(٦).

فمن وجهة نظر الباحثين النصيين "النحو على مستوى الجملة لا يقدم العلاقات بين الجمل بصورة كافية كما يقدمها النص، وكذلك الجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكلية، إضافة الى ان الجملة المجردة عن السياق لا تقدم شيئاً سوى معانٍ معجمية للكلمات الموجودة في الجملة، على حين الوحدة النصية في الغالب في وجود السياق تقدم الدلالة الكاملة"^(٧).

ويذكرون ايضاً ان النص هو الشكل الأساسي للتنظيم الذي تتجلى فيه لغة انسانية، لأن الناس تنطق حين تنطق وتكتب حين تكتب نصوصاً وليس جملة أو سلسلة من الجمل، والحوار الذي يعبر

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٦١، وينظر: ٦١-٦٥.

(٢) اللغة والخطاب الأدبي ٤١، وينظر: ٧٥ وما بعدها.

(٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٧.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٨، وينظر ايضاً بلاغة الخطاب وعلم النص ٧٥-٧٦، ومفهوم النص ١٧٧.

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ٧٥-٧٦. وقد سبق الحديث عن وظائف اللغة ونظرة (جاكسون) اليها في مبحث النحو الوظيفي بالتفصيل.

(٦) الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب ٤٧، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٩/١، واسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ١٩.

(٧) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٩/١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

عن الموقف اللغوي الحي حوار معقد متعدد الاطراف يكثر فيه تصادم الاستراتيجيات والمصالح وتعدد المقامات^(١).

والجملة من وجهة نظرهم "بنية غير مكثفة بنفسها، بمعنى ان الجملة تحتاج الى جاراتها من الجمل حتى تتضح دلالتها وضوحاً كاملاً، وحتى يتحقق الإخبار والإعلام المقصود من وجود النص"^(٢).

لكن كل ما تقدم لا يعني ان نطرح نحو الجملة خلفنا والعكس هو الصحيح فالجملة تمثل نواة النص كما تمثل الكلمة نواة الجملة والحرف نواة الكلمة، والنص ما هو الا متتاليات من الجمل في الغالب وان كان هناك نصوص من جملة واحدة ولهذا لا يمكن الاستغناء عن الاثنين معاً. فالنص بحاجة الى الجملة لأنه قائم عليها، والجملة بحاجة الى النص لفهم العلاقة القائمة بين الجمل المختلفة^(٣).

ولا يمكن ان يغفل ايضاً أثر الاتصال بين علم النحو والبلاغة والنقد وعلم الشعر من أثر في زيادة الاحساس بالحاجة الى توسيع الدراسات القائمة على الجملة. فمن اسس الشعر _ على سبيل المثال _ الوحدة العضوية التي تنطلق من مراعاة القصيدة كاملة وليس جزءاً منها فقط. وعلاقة الجملة بالجملة الأخرى لا تتضح الا بالنظر في النص كاملاً كما هو الحال مع الجمل الموجزة التي يوضح النص علاقتها بالجملة المفسرة ولا يمكن ذلك بدون^(٤).

وقد كانت الدراسة التي قام بها (ميتشل) للغة البيع والشراء في بنغازي ونشرها عام ١٩٥٧ في مجلة (هسبري) في باريس بعنوان (لغة الشراء والبيع في بنغازي) من بواكير المحاولات في تحليل النص او (الخطاب). وقد حاول ميتشل ان يتعرف فيها على معنى النصوص التي سجلها عن طريق وظائفها أو استخداماتها في المواقف المختلفة^(٥).

وقد حملت الدعوة الى توسيع الوصف النحوي والانتقال به من الجملة الى الخطاب بين طياتها ايضاً ضرورة الاتساع في الأدوات والوسائل التي تستعمل في التحليل فبعض هذه الوسائل كان جزءاً من الدرس النحوي التقليدي المتصل بالجملة وبعضها الآخر نتج عن توسيع أطره التقليدية وتداخله مع اوصاف اخرى تشترك جميعها في تقديم وصف شامل لبنية النص. وهذا يعني ان العناصر النحوية يمكن ان تقدم توضيحاً لجوانب دلالية، وتقدم العناصر الدلالية تمييزاً لعناصر نحوية. إذ تتفاعل مستويات النص المختلفة فيما بينها^(٦). وهكذا تمثل الجملة الوحدة الاساس في التحليل اللغوي للنص وتعد اللبنة الاساس التي يقوم عليها بناؤه.

ثانياً: تصور ان أساسيان مختلفان للنص:

(١) ينظر: اسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ١٩، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٤٣.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥١/١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٩/١ وكذلك ٥١/١.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٢/١.

(٥) ينظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ٤٨.

(٦) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٤٣، والتحليل اللغوي للنص ٣١-٣٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

تذكر (برجيتة بارتشت) ان (هاريس) قد اتخذ خطوة مهمة من الجملة الى النص عندما نشر مقاله الثري (تحليل الخطاب) في عام ١٩٥٣، هذه الدراسة مع دراسة أخرى حملت العنوان نفسه جعلت (هاريس) أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعاً شرعياً، وهو لم يكتف بذلك بالتأكيد بل حاول أن يقدم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها، مبتعداً بذلك عن نهج بلومفيلد الذي يقضي بأن الجملة وهي (التعبير المستقل بالإفادة) هي ما يعنى به اللساني. أما النص فهو عنده مظهر من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتجديد^(١). وتذكر (برجيتة بارتشت) أيضاً أنه قد قدم لذلك سببين:

الأول: ادراك هاريس ان وحدة الكلام لا يمكن ان تكون الجملة المفردة، فالكلام لا يقع في صورة كلمات غير محدودة أو جمل بل بوصفه نصاً متتابعاً بدءاً من الجملة المكونة من كلمة واحدة حتى العمل المؤلف من عشرة مجلدات، من الحوار الذاتي حتى النقاش في الساحة النقابية (الاتحادية).

الثاني: محاولته الإبقاء على مناهج علم اللغة الوصفي الى ابعد حد مع التوسع الى النص، إذ يمكن استعمال قيود التوزيع لعنصر ما _من وجهة نظره_ متجاوزة حد الجملة ايضاً مثل توزيع مورفيماز الزمن على افعال جمل متجاوزة^(٢).

وفكرتا (التوزيع/ التصنيف) و(الاستبدال/ المعاقبة) هما أساس تحليل الجملة لدى (هاريس) وقد قام بنقل هاتين الفكرتين وتوسيعهما لدراسة النص. محاولاً ان ينظم تتابعات النص المتحققة في تحويلات شارحة مفسرة. والكشف عن اوجه التشابه بين الجمل المفردة في مادة ما^(٣).

ولم يعتمد هاريس في تحليل النص على المعنى فهذه العملية لا تعتمد عنده على معرفة بمعنى المورفيماز أو مقاصد المؤلف، فهي لا تتطلب الا معرفة حدود المورفيماز، متضمنة حدود الجملة وتنظيم مورفيمي آخر أو وضع علامات الوقف^(٤).

وهو يرى ايضاً "أن اهم اجراء لتحليل النص هو العثور على أوجه التكافؤ"^(٥). وهو يتجنب بمصطلح (التكافؤ) ان يقول ان التتابعين المعنيين لهما المعنى ذاته أو يعينان الشيء نفسه ويقول بدلاً من ذلك انهما بالنظر الى توزيعهما متكافئان فقط^(٦).

وقام بتجزأة النص بناء على المحورين: الافقي الذي (فيه فئة التكافؤ في الجمل المفردة) والرأسي الذي يمثل (الجمل المتتابعة) وضمن هذا البحث ادخل لأول مرة مفهوم (التحويل النحوي) الذي تحول فيه جمل معينة في النص الى جمل متكافئة نحوياً^(٧).

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣٤، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٣٠، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٣/١.

(٢) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣٤-٢٣٥، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٩-٣١.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٩-٣١.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣٥.

(٥) مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣٦.

(٦) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بول ٢٣٦.

(٧) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان ٢٣٦ وقد تقدمت تفاصيل هذا الموضوع عند الحديث عن البنيوية والنحو التوليدي التحويلي.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وينبغي ان يذكر ان هناك بعض الدراسات التي سبقت اعمال هاريس لكنها كانت متناثرة ومحدودة على نحو لا يسمح بتتبعها بدقة. والأساس البنوي القائم على (النظام) في دراسة النص وتحليله هو ما يميز منهج هاريس. وبما ان اعماله هي الأقدم فيما يخص تناول النص رأى بعض الدارسين ان (علم لغة النص) ولد من رحم البنوية الأمريكية الوصفية متمثلة باعمال هاريس بالذات في تحليل الخطاب في حين يرى آخرون عدم امكان نسبة هذا العلم الى رائد واحد بعينه^(١). وبعد ذلك جاءت دراسات في هذا المجال ركزت على تناول الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية مثل دراسة هايمز (١٩٦٠)، وفلاسفة اللغة مثل اوستن (١٩٦٢) وسيرل (١٩٦٩)، وغرايس (١٩٧٤) وغوفمان (١٩٧٦) وغيرهم ممن كان لدراساتهم أثر كبير في علم لغة النص. وتطورت معهم النظرة اللغوية للتعامل مع ما فوق الجملة مع العناية بالسياقات والمؤثرات الثقافية^(٢).

وقد كان للمدرسة الوظيفية أثر بارز في دراسات (علم لغة النص) بعد ان ترددت بعض افكار هذه المدرسة فيما يخص نظرتها الوظيفية للجملة في مجال الدراسات النصية. ومن هذه الافكار تقسيم الجملة الى ركنين هما الموضوع (THEMA) الذي يمثل المعلومة المعروفة في الجملة والخبر (RHEMA) الذي يمثل المعلومة الجديدة. وهو ما قدمه (ماثيوس) الذي عد مؤسسا لمدرسة براغ. وحاول (دانش) استثماره في التحليل الدلالي لبنية النص. إذ يمثل (الموضوع) عنده العلامة المقدمة أو التي يمكن استنتاجها على اساس الموقف أو يمكن للمتلقي تحديدها على أساس معرفته السابقة أو معرفته بالعالم. أما (الخبر) فهو المعلومة الجديدة غير المذكورة وغير القابلة للاستنباط من سياق النص أو الموقف. وبناء على هذا عرض (دانش) بنية النص على انها تتابع موضوعات^(٣).

ومثل هذا يقال في التمييز الذي قدمه (فرباس) لركني الجملة وهما البؤرة (TOPIC) التي تعني المعلومة التي عرفت من السياق سواء عدت موضوعاً أو محمولاً، والمحور (COMMENT) الذي يعني المعلومة الجديدة بصرف النظر عن التمييز السابق، وهو ما لقي إستحساناً من بعض علماء النص مثل هوكيت (HOCKETT) فأعادوا عرضه بشكل موسع من خلال الحديث عن ارتباط جمل نص ما مع بعضها من خلال ارتباط موضوعاتها. والحديث عن توزيع معلومات قديمة ومعلومات جديدة في الجملة، وان القديمة تقدم من خلال جمل سالفة للنص ذاته^(٤).

(١) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٩، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٦/١.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٣/١-٢٤، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٩٣-٩٤.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٦٤-٦٥، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٤٣، والقضايا الأساسية في علم اللغة ٦٨.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٤٣-٤٤، والخطاب وخصائص اللغة العربية ١٢٨-١٢٩، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

أما (هاليدي) الذي ينتمي الى مدرسة لندن الوظيفية فقد قدم في عام ١٩٧٣ أفضل عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغير مفاهيم كثيرة في المدرسة اللغوية وفتحت أعماله آفاقاً جديدة للبحث النصي_ كما سبق ان اشير إليه_ وهو ما عرف بلسانيات (فيرث) الجديدة^(١).

وقد كان للأثر البنوي الوصفي والوظيفي التواصل دور واضح في بلورة تصورين مختلفين للنص يوصف الأول منهما بأنه (استاتيكي) أي ثابت. والثاني يوصف بأنه (دينامي) أي متحرك متغير. وهذان التصوران هما علم لغة لغة النص البنوي، وعلم النص التواصل:

١ - علم لغة النص البنوي: القائم على النظام:

تطور هذا الاتجاه استناداً الى علم اللغة البنوي والنحو التوليدي التحويلي. ويمثل النظام اللغوي (الكفاءة اللغوية) موضوع البحث المتميز عند اصحاب هذا المفهوم الذي يراد به النظام القاعدي للغة ما. الذي يعد أساس الاستعمال اللغوي (الكلام) أو (الأداء اللغوي)، بوصفه كماً لا نهائياً من الناحية النظرية من أفعال الكلام والفهم المعينة. ويرى أصحاب هذا المفهوم ان مهمة علم اللغة هي الكشف عن النظام اللغوي المعين بتطبيق مناهج مناسبة، أي وصف الكفاءة اللغوية الداخلية لـ(المتكلم/ المستمع) النموذجي بلا تفريق^(٢).

وكما يذكر (كلاوس برينكر) لم يرتبط بهذا المطلب أي تغيير جوهري في الاسس السارية الخاصة بالنظرية اللغوية. فعلم لغة النص مثل علم لغة الجملة من قبل، علم خاص باللغة (الكفاءة اللغوية) وما جرى هو توسع تدرج وحدات النظام اللغوي المفترضة فيما مضى وهي: (الفونيم والمورفيم/ الكلمة، وركن الجملة، والجملة) حتى وحدة النص ويفهم من ذلك ان النظام القاعدي للغة لا يوجه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب، بل بناء النص ايضاً ويؤسس على اوجه اطراد عامة يفسرها النظام اللغوي^(٣).

وهدف علم لغة النص القائم على النظام اللغوي هو اكتشاف المبادئ العامة ووصفها وصفاً منظماً. وهو يرجع في ذلك الى حد بعيد الى تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنوي أو التوليدي التحويلي^(٤).

٢ - علم لغة النص القائم على التواصل:

نشأ هذا الإتجاه في مطلع السبعينيات ويطلق عليه ايضاً (علم لغة النص الموجه على اساس التواصل) ويعيب أصحابه على أصحاب الاتجاه الأول تصورهم الذي يظهر مجال موضوعه بمظهر مثالي للغاية. لمعالجة النصوص بوصفها موضوعات مستقلة ثابتة، ولا يراعي بشكل كاف ان النصوص متضمنة دائماً في سياق التواصل وانها توجد دائماً في عملية تواصل معينة يمثل

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب ١٠-١٤، ومدخل الى اللسانيات ٨١، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٣/١-٢٤، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨١، واللسانيات والبيداغوجيا ٤٤.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٣، واسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ١٥٧-١٥٩، وبلاغة الخطاب وعلم النص ٣٠٧-٣٠٨، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٩.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٣-٢٤.

(٤) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

فيها المتكلم والسامع أو المؤلف والقارئ بشروطهم وعلاقاتهم الإجتماعية والموقفية أهم العوامل^(١).

وقد تطور هذا الإتجاه مستنداً الى البراجماتية (التداولية) التي تحاول ان تصف أو تشرح الفهم اللغوي الاجتماعي بين شركاء التواصل في جماعة تواصلية معينة، وترتكز في ذلك على (نظرية الفعل الكلامي) المتطورة داخل الفلسفة اللغوية^(٢).

وفي اطار هذا المنظور البراجماتي (التداولي) لم يعد ينظر الى النص على أنه تتابع جملي مترابط، بل على انه فعل لغوي معقد أي ان اصحاب هذا الاتجاه يستفسرون عن الأغراض التي يمكن ان تستعمل فيها نصوص في مواقف تواصلية أو استعملت فيها فعلاً، وبايجاز يمكن القول أنهم يركزون على الوظيفية التواصلية للنصوص^(٣).

ومن خلال الفروق التي ذكرها (آيزنبرج) بين النص والجملة ذكر ان الدلائل تشير الى ترجيح كفة التصور (الدينامي) التواصل، على التصور البنوي النظامي^(٤). لكن (كلوس برينكر) له تصور مختلف يتبنى الاتجاهين معاً، فهو يقول: "لا يعد الموقفان الأساسيان لعلم لغة النص اللذين سبق تقديمهما، وهما النهج القائم على أساس النظام اللغوي، والنهج الموجه على اساس التواصل، تصورين بديلين بل متكاملين. ويتصل بعضهما ببعض اتصالاً وثيقاً. ويتطلب تحليل لغوي كاف للنص مراعاة كلا الاتجاهين البحثيين، حيث يجب ان يشكل النهج البراجماتي _الاتصالي_ كما وضح من قبل الاساس المحوري النظري المنهجي"^(٥).

ويقول ايضاً: "هذا الفهم لا يضع في حسابه الا مفهوم النص الذي يمكن من وصف النص على انه وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه"^(٦).

وموقف برينكر هذا من الإتجاهين السابقين ورأيه المبني على دمجهما معاً وعدم الاستغناء عن احدهما هو الذي جعله يختار تعريفاً للنص يتضمن الاشارة الى العلاقات البنوية والتواصلية معاً، فعرف النص على انه: "تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلاً الى وظيفة تواصلية مدركة"^(٧). وقد تقدم ذكر هذا التعريف مع التعريفات الأخرى السابقة للنص.

ثالثاً: موضوعات البحث النصي والجوانب التي يركز على دراستها:

من الموضوعات الرئيسية التي يدور الحديث عنها في البحث النصي هي وظيفة هذا العلم. وقد تقدم ان هناك وظيفتين لعلم لغة النص هما الوصف والتحليل وهاتان الوظيفتان مرتبطتان ببعضهما.

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٤-٢٥، واسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ١٥٨-١٥٩، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٩، وبلاغة الخطاب وعلم النص ٣٠٧-٣٠٨، والبناء اللغوي للنص في ضوء النحو التوليدي ١١٨.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٥، والفلسفة البراجماتية ١٧-٣٣، ونظرية الفعل الكلامي ٣٩-٤٣.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٥.

(٤) ينظر: اسهامات اساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ١٩٩-٢٠٦، وينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٩.

(٥) التحليل اللغوي للنص ٢٧.

(٦) التحليل اللغوي للنص ٢٧.

(٧) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٧.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ويشير الباحثون النصيون الى ضرورة ربط هاتين الوظيفتين بمبدأ التواصل. الذي يمثل الوظيفة الأساس للغة. ويقصد بالتواصل تبادل المعلومات والأفكار بين شخصين أو أكثر. وهذا يتطلب متحدثاً واحداً أو (مرسلاً) على الأقل. ورسالة تنقل، ومستقبل للرسالة. والنظر الى (النص) بهذا الاعتبار أي كونه (رسالة) يعني انه مرتبط بمرسل ومتلق وان له سياقاً ومرجعاً وقناة اتصال وشفرة^(١).

ويمكن تحديد (وظيفة النص) بشكل مؤقت للغاية من وجهة نظر (كلاوس برينكر) وذلك عن طريق ربطه بالاستخدام اللغوي العام للفظ (وظيفة) أي المعنى الذي يتحصل لنص ما في عملية التواصل أو الغرض الذي يحققه نص ما في موقف تواصل^(٢).

ويمكن ان يتضمن (النص) على نحو عام أكثر من وظيفة. فوصفات الطبخ على سبيل المثال نصوص لها وظيفة معلوماتية ووظيفة إستثارة، لكن وظيفة الاستثارة هي الغالبة إذ تفهم وصفات الطبخ على انها ارشاد من الباحث لعمل اكالات. ويؤثر الى وظيفة الاستثارة بتعبير ادق الوظيفة الارشادية من خلال تراكيب لغوية معينة مباشرة في الغالب مثل صيغ الأمر، وما يسمى صيغة التأدب، والمصدر.... الخ^(٣).

وتقدم اخبار الاذاعة مثلاً آخر للوظيفة التواصلية تكون الغلبة فيها للوظيفة المعلوماتية فالباحث يبلغ بوجود حالة معينة. لكن لما كان لاشكال إرسال الاخبار درجة عالية من الإيثار لا ينكر عليها ايضاً وجود وظيفة متعة معينة إنكاراً تاماً، فهي تركز على كون الاخبار موضوعات من وقائع تصلح للحوار والحديث بين اشخاص عدة^(٤).

ومن الوظائف النصية التي اشار اليها (برينكر): وظيفة الإبلاغ، ووظيفة الاستثارة، ووظيفة الالتزام، ووظيفة الاتصال، ووظيفة الاعلان^(٥).

أما فيما يخص وظائف الجمل التي يتكون منها النص ف "تشتمل الوظيفة التواصلية لجمل ما على مجموع كل الخواص التواصلية الوثيقة الصلة ببناء النص للجمل، التي لا يمكن ان تختزل في البنية الدلالية، المعجمية، النحوية، والمورفولوجية_ الفونولوجية"^(٦). ولهذا الحديث صلة بالانجازات أو الاحداث التي تؤديها الجملة داخل النص ف " جملة ذات بنية دلالية_ نحوية فقط تكون قادرة على القيام بالانجاز التواصلية الضروري"^(٧). ومعنى هذا ان الجملة لا يمكن ان تقدم أي انجاز تواصلية مراد وإنما الإنجاز الذي يطابق بنيتها المعجمية_ الدلالية_ النحوية فقط وبعبارة أخرى يجب ان تميز الآلية القاعدية للنحو وظائف تواصلية، وان تحدد الإلحاق بين التتابعات الصوتية والمعاني متعلقاً بهذه الوظائف^(٨).

(١) ينظر: مفهوم النص ٢٥، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٤/١ و ٥٥/١، واللغة والخطاب الأدبي ٥٦-٥٧.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص ١٠٧.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص ١٠٧.

(٤) ينظر: التحليل اللغوي للنص ١٠٧-١٠٨.

(٥) ينظر: التحليل اللغوي للنص ١٣٧، وينظر ايضاً ١٣٧-١٦٤.

(٦) إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ٢٦.

(٧) إسهامات أساسية ٢٣.

(٨) ينظر إسهامات أساسية ٢٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

والكلام السابق مبني على ان التراكيب (الجمل) المختلفة، تؤدي وظائف مختلفة، وان اختلاف التركيب له صلة بالوظائف التي يؤديها في المواقف والسياقات المختلفة وله علاقة أيضاً بالتراكيب أو الجمل الأخرى التي يتضمنها النص. وهذا مبدأ وظيفي واضح تقدم الحديث عنه في المبحث السابق^(١).

ويرى (آيزنبرج) انه إذا اختير معياراً للتفريق الكيفية التي تسهم من خلالها المحمولات أو القضايا المشكلة معها في تحديد اشكال التعبير اللغوي، فإنه توجد على الأقل ستة أقسام مختلفة من الأحمال التواصلية:

أ- محمولات صيغة التواصل: يؤكد، يثبت، يوكل، يصرح، يعلن، يؤثر، يستجيب، يقوم برد فعل...

ب- محمولات صيغة الابلاغ: يبلغ، يقرر.....

ج- محمولات صيغة العرض: يخبر، يحيي، يحل، يوجه، يعطي، يعين، يحفز، يثبت، يعد، يصور، يسهم، يشكر، يحكي.....ز

د- محمولات صيغة الربط: يؤدي، يحول، يقدم، يخلص، يعقب، يواصل، ينشيء.....

هـ- محمولات صيغة الزمن: يتوقع (يتنبأ)، يسترجع (يستعيد).....

و- محمولات صيغة الأداء: يشير، يعلن، ينطق.....

وهذا التقسيم لا يتعدى كونه رأياً لـ(ايزنبرج) ولا يمثل مسألة متفق عليها أو نهائية بين الباحثين النصيين^(٢).

والحديث السابق. بمجمله قائم على اسس (تداولية) صريحة بما يمثله هذا المصطلح من أهمية لعلم لغة النص، لما فيه من ربط بين المرسل والمستقبل والسياق المحيط. أي دراسة الجمل مرتبطة بالسياقات والاحوال التي استخدمت فيها^(٣).

فالجوانب الأساسية التي تركز عليها التداولية هي:

١ - كفية تفسير الاقوال المستعملة واعتمادها على المعرفة بالعالم الخارجي (الواقعي) المحيط بالنص.

٢ - كفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية.

٣ - كفية تأثر تركيب الجمل بالعلاقة بين المتحدث والسامع^(٤).

وكل هذا يقع في صلب ما يعنى به علم لغة النص.

وواضح هنا ان التداولية لا تدرس المعنى في حد ذاته، اي بمعزل عن مواقف معينة كما هو حال علم (الدلالة)، وانما تدرسه بالاشارة الى متحدث معين او مستخدم معين وفي ضوء ملابسات هذا الحدث الكلامي وسياقه^(٥).

(١) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي ٨٥-٩٥، والإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧١-٧٢، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٥/١.

(٢) ينظر: اسهامات اساسية ٦٠-٦١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٣/١.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٣/١، وينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٤٩-٦١.

(٥) ينظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ٤٧-٤٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وهذا لا يقلل من أهمية (علم الدلالة) في عملية تحليل النص وفهم المعنى فهذا العلم هو الذي يبين كيف تفهم الجملة في تلك اللغة أو تفسر أو ترتبط بمختلف الحالات العمليات أو الأشياء في هذا الكون^(١).

فالتحليل الدلالي هو الذي يبين لنا ان جملة (لطابعته نوايا خبيثة) جملة شاذة المعنى وهو الذي يحدد أسباب هذا الشذوذ. وهو الذي يبين لنا ان الجملتين:

أ- الإبرة قصير للغاية.

ب- ليست الإبرة طويلة بما فيه الكفاية.

هما جملتان متشابهتان في المعنى ومختلفتان في المبنى أي انهما مترادفتان.

وهو الذي يخبرنا أيضاً ان الجملة:

لم يستطع كثير من الطلبة الاجابة عن سؤالك.

هي نتيجة حتمية للجملة:

لم يفهم سؤالك سوى عدد قليل من الطلبة.

وعلى هذا القياس في غيرها من المسائل الدلالية المرتبطة بالبنية اللغوية من حيث هي ولا صلة لها بملايسات الاستعمال وقرائن السياق^(٢).

ويحدد (بيرفش) مهام علم الدلالة باختصار بالآتي:

١- تشخيص العلاقات النحوية بطريقة محددة مضبوطة.

٢- توضيح معنى أية كلمة على انفراد أو بصورة أعم بأسلوب منظم.

٣- بيان الكيفية التي تتضافر فيها بنية معاني المفردات مع العلاقات النحوية التي ترتبط بها هذه المفردات، أي تشكيل أو تفسير معنى الجملة^(٣).

وبهذا يتضح كيف تشكل الخواص التركيبية والدلالية، والاتصالية صلب البحث النصي، وكيف يتحقق هذا البحث على مستويات ثلاثة أساسية هي: المستوى النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي بمفهومه الواسع. ولا يجوز بأي حال من الأحوال ان يفصل بين هذه المستويات في اطار علم لغة النص^(٤).

وفيما يخص الكيفية التي يتحقق فيها المعنى في نص ما، يجب ان يكون هذا المعنى متجلياً في قدرة (كفاءة) المتكلم على ان يعبر عن الفكرة ذاتها بأشكال أو طرق مختلفة. ويتعين ذلك في قدرة المستمع على الفصل بين منطوقات مترادفة متباينة من الناحية الشكلية باعتبار أنها ذات معنى واحد^(٥).

ومن الموضوعات الرئيسية في مجال البحث النصي موضوع (التماسك) COHESION، ويرتبط هذا الموضوع بالروابط الشكلية والدلالية وله ادوات وأنواع طبيعية خاصة^(٦).

(١) ينظر: البناء اللغوي للنص في نظرية النحو التوليدي ١١١.

(٢) ينظر: البناء اللغوي للنص في نظرية النحو التوليدي ١١١.

(٣) ينظر: البناء اللغوي للنص في نظرية النحو التوليدي ١١١.

(٤) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٩.

(٥) ينظر: البناء اللغوي للنص في نظرية النحو التوليدي ١١١.

(٦) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٢/١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ويطرح (ايزنبرج) ثلاثة اسئلة يمكن من خلال الإجابة عليها ان نحكم هل يعد هذا النص أو ذاك متماسكاً أم لا؟ وهذه الأسئلة هي:

- هل الوحدات اللغوية المدمجة للنص مترابطة ترابطاً متوالياً على نحو مناسب؟
 - هل الوحدات اللغوية المدمجة للنص مختارة ومنظمة على نحو مناسب؟
 - هل الوحدات اللغوية المدمجة للنص بنيت بشكل مناسب؟^(١)
- هذه هي الأسئلة التي تطرح من وجهة نظر (آيزنبرج) عن تماسك النص لذا يرى أيضاً وجوب التفريق بين مفهومين مختلفين فيما يخص هذا الموضوع وهما:
- جودة السبك: بوصف النص تتابعاً أفقياً متماسكاً من وحدات لغوية مترابطة على نحو متوالٍ بناء على مبادئ محددة.
 - جودة التأليف: بوصف النص تتابعاً من وحدات لغوية مختارة تبعاً لخطة تأليف ومنظمة بناء على مبادئ محددة أيضاً^(٢).

وهناك مستويان لتحقيق التماسك في النص هما:

١- التماسك النحوي: ويراد به العلاقات النحوية الدلالية الوثيقة الصلة بربط النص بين الجمل المتعاقبة في نص ما. ويطلق على هذا النوع من التماسك (التماسك السطحي) أيضاً. وللتكرار أو الإعادة أهمية كبيرة في تحقيق هذا النوع من التماسك، فضلاً عن الوسائل الأخرى مثل الضمائر واداة التعريف والعطف....الخ مما نجده في اللغة العربية.

٢- التماسك الموضوعي: ويتعلق بالربط الإدراكي الذي ينشؤه النص بين الأحوال (المضامين الجمالية والقضايا) المعبر عنها في الجمل. ويسمى هذا النوع من التماسك بالتماسك العميق أو التماسك الدلالي وهو ينطلق من مضمون النص (المعلومة الكلية لنص ما) التي تفهم على انها نتيجة (عملية استنباط). وبالتحديد نتيجة بسط نواة المضمون (المعلومة الاساسية) أو الموضوع بالمفهوم اللغوي وفق مبادئ موجهة اتصالياً. ووصف العلاقات المنطقية الدلالية للقضايا المفردة أو المركبات القضية هو الذي يؤدي الى البنية الموضوعية للنص^(٣).

ويشكل النوع الأول من التماسك ما يصطلح عليه بالبنية الصغرى للنص. أما النوع الثاني فيشكل ما يصطلح عليه بالبنية الكبرى "أي ان البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص. وبينما نجد ان المتتاليات ينبغي ان تحقق شروط التماسك الخطي أو الأفقي فإن النصوص لا تكتفي بتحقيق هذه الشروط لمجرد انها مجموعة من المتتاليات، بل لابد لها من تماسك بنيوي شامل"^(٤). ويبدأ التحليل النصي "من البنية الكبرى المتحققة بالفعل، وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك"^(٥).

(١) ينظر: إسهامات أساسية ١٢، وينظر أيضاً بلاغة الخطاب وعلم النص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) ينظر: إسهامات أساسية ١٢.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٣١-٣٢، وكذلك ٣٨-٥٥، وإسهامات أساسية ١٢-١٣، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١١١.

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص ٣٣.

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ٣٢٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وينبغي الإشارة الى ان مفهوم (البنية الكبرى أو العليا) التي تقدم المعنى الشامل للنص ينسب الى (فاندايك) وقد عد متأثراً في ذلك بتميز تشومسكي بين البنية السطحية والبنية العميقة على نحو مما رأيناه في النحو التوليدي التحويلي^(١).

ويعنى التحليل النصي أيضاً بـ(الإحالة) ويراد بهذا المصطلح "علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق أو لاحق"^(٢).

وقولنا: اشترت هند معطفاً

يتضمن على سبيل المثال إحالة لإمر في الواقع (هند) و(معطف).

أما في قولنا: يُخَوِّفُ الأطفالُ الصغارُ بالغول.

فهناك إحالة لأمر متخيل لا وجود حقيقي له هو الغول.

وقد تكون الإحالة على كلمة أو شخص أو على نص سابق أو لاحق أو على واقعة كما في:

- يتوقع الجنود هجوم العدو.

- سيعود خالد اليوم، سنقيم حفلاً كبيراً لاستقباله، هذا ما قالته لي هند^(٣).

أما الإحالة القبلية (ANAPHORA) فيراد بها استعمال كلمة أو عبارة تشير الى كلمة أو عبارة أخرى سابقة في النص أو في المحادثة كأن نقول على سبيل المثال: (محمد ركب الدراجة لكن علياً لم يركبها). بإبدال اسم الدراجة بالضمير.

وقد تقوم بعض الأفعال بالوظيفة الاحالية نفسها كالفعل (DO) في الانكليزية، والفعل (فَعَلَ) في العربية، كأن نقول:

محمد صلى الفجر، وكذلك فعل علي.

ومن الممكن ان تكون الإحالة بتكرار كلمة واحدة أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين. وبهذا تقوم (الإحالة القبلية) بالإشارة لما سبق من ناحية. والتعويض عنه بالضمير أو بالتكرار أو بالتتابع أو بالحذف من ناحية أخرى. وتسهم في تحقيق التماسك النصي من ناحية ثالثة^(٤).

ويراد بالإحالة البعدية (CATAPHORA) الإشارة الى عنصر لاحق في النص أي استعمال كلمة أو عبارة تشير الى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو في المحادثة. ويرى د. صبحي ابراهيم الفقي أن من ابرز ابواب النحو العربي تمثيلاً لها (ضمير الشأن) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ _ الاخلاص ١/١٢. فالضمير (هو) يحيل الى لفظ الجلالة (الله). ومن هذا القبيل ايضاً الجمل التفسيرية الى تفسر جملة او عبارة كما في اسماء السور والجمل الأولى منها. التي تحيل جميعها الى ما سيأتي في النص^(٥).

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٦٨-٧٢، واسهامات أساسية ١٦-١٧. وقد قدم (فاندايك) من خلال نظريته الى هذه البنية مجموعة من القواعد اطلق عليها اسم (القواعد الكبرى).

(٢) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٧٣، والتحليل اللغوي للنص ٥٨-٥٩، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٧/١.

(٣) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٧٣-٧٤.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٧/١-٣٩، والتحليل اللغوي للنص ٥٨-٥٩.

(٥) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٠/١. ويبدو ان من هذا القبيل ايضاً عناوين القصائد والقصص والروايات ومقالات الصحف فجميعها تحيل الى ما سيأتي في القصيدة أو الرواية.... الخ.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

والاحالتان القبلية والبعدية هما اللتان تشكلان ما يسمى بالاحالة الداخلية للنص (ENDOPHORA) ويراد بها علاقات التماسك التي تساعد على تحديد تركيب النص. وهذه الاحالة تركز على العلاقة بين الانماط الموجودة في النص ذاته. على العكس مما يسمى بالاحالة الخارجية (EXOPHORA) التي تشير الى الموقف الخارجي (خارج اللغة أو النص) مثل (هذا) و(هناك) و(هو) وما يماثلها في العربية و(THERE) و(THAT) في الانكليزية وهذا النوع تتوقف معرفته على سياق الحال او الأحداث والمواقف المحيطة بالنص^(١).

ويلاحظ ان التعريف والتكثير وضمائر الاشارة والموصولية وغير ذلك مما يشير الى عام أو خاص أو مطلق أو مفيد كلها مسائل ترتبط بالاحالة. كأن نقول مثلاً:

- قرأت كتاب سيبويه هذا الأسبوع.

- قرأت كتاباً هذا الأسبوع.

فكلمة (كتاب) في المثال الأول تحيل على معروف (معين)، لكنها في المثال الثاني لفظ عام، وهي ايضاً في المثال الأول تحيل على شيء له وجود في الواقع أما في الثاني فتحيل على تصور عام مكانه الذهن^(٢).

ومن وجهة نظر (دك) الوظيفية تعد "الإحالة فعلاً تداولياً بالأساس يربط بين أربعة عناصر: الخطاب وما يحيل عليه حضوراً أو ذكراً والمتخاطبين والمخزون الذهني الذي يعتقد المتكلم توافره لدى المخاطب إبان التخاطب"^(٣).

ويميز (دك) أيضاً بين إحالتين احالة البناء واحالة التعيين. ويقصد بإحالة البناء حمل المخاطب على تمثيل ذات غير متوافرة لديه، ويقصد بإحالة التعيين حمله على التعرف على ذات يتضمنها مخزونة الذهني، على نحو مما رأيناه في مثال (كتاب سيبويه) السابق^(٤). هذا فيما يخص الاحالة من حيث هي أما بالنظر الى المحال عليه فيقترح (دك) ثلاث ثنائيات هي:

ثنائية المعروف/ المنكر وهنا نعود الى المثال السابق ايضاً

- قرأت كتاب سيبويه هذا الأسبوع.

- قرأت كتاباً هذا الأسبوع.

فكتاب سيبويه معرف على عكس (كتاباً) المنكر.

وثنائية العام/ الخاص. ومثاله:

- تريد هند ان تتزوج فتى مغربياً.

فهذا المثال يحتمل قراءتين:

الاولى: تريد الزواج من أي فتى مغربي.

الثانية: تريد الزواج من فتى مغربي معين.

وثنائية المطلق/ المقيد ومثاله:

- قتل بكر البارحة. القي القبض على القاتل.

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٠١-٤١، والتحليل اللغوي للنص ٥٨-٥٩.

(٢) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٧٨-٨٥.

(٣) الخطاب وخصائص اللغة العربية ٨٣.

(٤) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٧٨-٧٩.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

- قتل بكر البارحة. لابد ان يكون القاتل مجنوناً.

فالإحالة في المثال الأول هي إحالة تقييد ضرورة. إذ لا يمكن ان يقول أحد القي القبض على القاتل الا إذا كان يقصد قاتلاً معيناً.

أما المثال الثاني فله قراءتان إذ يحتمل الإطلاق ويحتمل التقييد^(١).

ويتردد ايضاً في إطار التحليل النصي مصطلح المرجعية (REFERENCE) وهو فضلاً عن معناه الفلسفي الذي يعني العلاقة بين الكلمات والاشياء والموجودات له علاقة بالاحالة^(٢).

وكذلك يتردد مصطلح المصاحبة (COLLOCATION) ويعني المصاحبات اللغوية بين اجزاء الجملة الواحدة أو اجزاء النص. وهو نوع من الإتساق المعجمي، وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك وقد تكون هذه المصاحبة بالتضاد أو بالترادف أو الكلية أو الجزئية.... الخ من العلاقات بين الكلمات. وهي لا تقتصر على العلاقة بين كلمات الجملة الواحدة وإنما تشمل العلاقة بين كلمات جمل متباعدة داخل النص وتشير المصاحبة اللغوية الى الطريقة التي يمكن من خلالها انتظام الكلمات معاً، مثل حروف الجر ومعمولاتها، والافعال مع الاسماء.... الخ^(٣). وهذه أهم الموضوعات التي يدور حولها التحليل النصي.

رابعاً: كيفية تحليل النص:

يذكر نايلز (NILS) ان علم لغة النص يعنى في العادة بدراسة الأدوات اللغوية للتماسك النصي الشكلي والدلالي، مع التأكيد على أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص^(٤).

لكن (أجسن) قالت عن تحليل الخطاب "أنه التعامل مع الأدوات المتنوعة التي نستخدمها عندما نربط الجمل سوية لبناء نص متكامل متناسق، انه التحليل الذي يوصل كلامنا الى اقرب ما يمكن من النموذج النحوي للغة وذلك باعتماد عدد محدود من الجمل القصيرة نماذج لتقويم الخطاب من الناحية النحوية بصورة خاصة"^(٥).

وليس في هذا الكلام ما يعترض عليه سوى أنه يركز على الجانب البنوي اللغوي ولا يشير الى الجوانب التداولية التي تمثل صلب التحليل النصي ولا تجمع بينهما على نحو مما اقترحه (كلوس برينكر) الذي يقول في هذا الشأن: "والحق أنه يفرق عند التحليل اللغوي بين وظيفة النص

(١) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية ٨١-٨٢. وهذه الثنائيات الثلاثة معروفة بدقة ووضوح في تراثنا عند علماء اصول الفقه. والجديد في كون هذه المسألة اصبحت مما يُعنى به اللغويين وليس الاصوليين. وهذا نتيجة للاهتمام بالجوانب التداولية في علم لغة النص.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٢/١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٤٢/١-٤٣. والمصاحبة مما عُتبت به مدرسة لندن لاسيما (فيرث) لكن هذه العناية كانت في اطار الجملة الواحدة ولم تتعدّها الى العلاقة مع كلمات الجمل الاخرى، وسيأتي بعض تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الرابع في مبحث الدلالة.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٥/١.

(٥) شطايا لسانية ٩٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وبنيته، غير انهما لا يدرسان منفصلين بعضهما عن بعض انفصلاً تاماً، إذ بينهما صلات عدة، يعد وصفها كذلك من مهمة علم لغة النص^(١).

وعلى نحو عام تتمثل عملية تحليل النص بعدد من الخطوات تقوم على تحديد الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ودورها في تحقيق التماسك ووصف شكل النص وموضوعاته مع الاهتمام بالسياق وجوانب التواصل. ولبعض العناصر أهمية كبيرة في التحليل النصي مثل: الجملة الأولى، والإحالات التي يتضمنها النص وكيفية تحقيق التماسك. والتواصل بين المرسل والمتلقي. أي أن عملية التحليل تقوم على وصف العلاقات الداخلية (اللغوية) للنص، والعلاقات الخارجية (غير اللغوية/ السياقية) التي يتم من خلالها تحقيق عملية التواصل^(٢).

وتكون البداية من معرفة الموضوع الأساس الذي يعالجه النص ثم تلاحظ بعد ذلك الجوانب المحورية أو الشاملة الموظفة لإبراز هذا الموضوع، ثم العناصر الثانوية وتلاحظ بعد ذلك وسائل الإحالة والتماسك السياقي.... الخ من الوسائل النصية مع إبراز دور المتلقي في هذا التحليل لأنه هو من يظهر العناصر المفقودة بناء على السياقين اللغوي والاجتماعي. و(عنوان النص) هو أول ما يواجهه المتلقي ومن هنا يكون له مكانة مهمة في التحليل النصي ليلاحظ كيف يتصل ببقية أركان النص وما هو نمط التماسك والمرجعية بينه وبين النص^(٣).

والحديث الذي يدور في الغالب حول تحليل نصوص معقدة تتألف من عددٍ من الجمل المترابطة لا يعني إخراج النصوص القصيرة الموجزة من اهتمام التحليل النصي. وحتى في هذه النصوص القصيرة يبقى الاهتمام بالجانب التداولي والسياق الاجتماعي مسألة لا بد منها في عملية تحليل النص وفهمه. ومن لطيف ما يذكر بهذا الصدد نص للشاعر الانكليزي (مرون) يعد من أصغر النصوص الشعرية في اللغة الانكليزية يحمل اسم مرثية (ELEGY) وهو بيت واحد:

WHO WOULD I SHOW IT TO

- (سأعرضها على من؟)

ويتساءل (روبرت شولز) عن السبب الذي يجعل منه قصيدة ويرى انه لولا عنوانها لما كانت قصيدة، لكنه يذكر ايضاً ان العنوان وحده والنص الشعري بمفردهما لن يخلقا قصيدة. والمسألة لها علاقة بالقارئ أو المتلقي، ولكي يجعل القارئ من هذا النص قصيدة يجب عليه ان لا يلم بالانكليزية فقط بل شفرة الرثاء الجنائزي من عصر النهضة حتى الوقت الحاضر^(٤).

وتتضح علاقة النص بالموروث والجوانب الاجتماعية والسياقية والنصوص الأخرى في نص آخر لـ(مرون) أيضاً وهو قصيدة قصيرة من نوع القصائد المضغوطة عنوانها: (حين تنتهي الحرب)

(١) التحليل اللغوي للنص ١٨.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٦/١-٥٩. وبلاغة الخطاب وعلم النص ٣١٩.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥٩/١-٦١.

(٤) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي ٩٣-٩٤. وينظر السيمياء والتأويل ٧٣-٧٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

حين تنتهي الحرب
سنتباهي بالطبع ان الهواء
سيطيب للتنفس أخيراً
والماء سيروق لسمك السلمون
وسيهاجر صمت السموات أكثر إكتمالاً
سيعتقد الموتى ان الأحياء يستحقونها
وسنعرف من نحن
وسنتطوع جميعاً مرة أخرى^(١).

فانتفاء الحرب هو الموضوع الذي تدور حوله القصيدة وهو القاسم المشترك الذي نتحدث عنه ابیات القصيدة وتتضافر من اجل إبراز صورته وهو ايضاً البنية العميقة الدلالية للنص التي تسهم في تماسكه أي (البنية الكبرى) فضلاً عن البنية الأخرى (البنية الصغرى) التي تتمثل بالجملة المرتبطة مع بعضها عن طريق أدوات العطف. وتحقق عن طريقها تماسكها السطحي (النحوي/ الأفقي).

ويقول (روبرت شولز) في هذه القصيدة التي هي من قصائد الستينيات أن المرء قد يفسرها بالإحالة الى حرب (فيتنام)، ولا يرى (شولز) هذا مهماً ولا يعده مرتبطاً بسمّة ضرورية من سمات تأويلها، وما هو أهم من ذلك بكثير عنده هو طريقة توصيل المعلومات فيها. وهي تعتمد على اغنية شعبية قديمة كان يتغنى بها الجنود والبحارة في حروب بعيدة. تبدأ هذه الأغنية على هذا النحو (حين تنتهي الحرب سنتطوع جميعاً مرة أخرى) وهذه لازمة مراراً ثم تنتهي بـ(نريد على مضض نريد) و(في حجر خنزير نريد) وهي لازمة ساخرة تستمر الى البيت الأخير حيث تنكر العاطفة نكراً قاطعاً. وقد اعاد (مرون) صياغة عاطفة الاغنية الشعبية قائلاً (لا نعتقد اننا ستطوع مرة أخرى، لكننا سنفعل مكرهين) ومن الناحية الشكلية فعل ذلك بانتزاع البيت الأول من الاغنية الشعبية (حين تنتهي الحرب سنتطوع جميعاً مرة أخرى) وصبغ قصيدته بطابعها فيصير أول بيت في قصيدته (حين تنتهي الحرب) وآخر بيت منها (سنتطوع جميعاً مرة أخرى)، وفيما بين البيتين تكمن المادة التي تجعل من هذا النص قصيدة بالنسبة الى القارئ المعد لقراءتها^(٢).

ويبين هذا النص أثر الموروث الثقافي وقرائن النص ومرجعياته الخارجية (إحالاته الخارجية) في معرفة المعنى الحقيقي (التداولي) للنص فلولا ذلك لما عرف أن المعنى المراد بالتطوع هو السخرية والإكراه وليس الاختيار. فمعنى الجملة (الدلالي) يتغير في الكلام الخطاب ويتزيا بزي (التداولية) أي العلاقة بين المتكلمين وسياق خطابهم وموروثهم الثقافي والاجتماعي وعاداتهم ايضاً وتقاليدهم^(٣).

ويركز (آيزنبرج) في تحليله بعض النصوص على الوظيفة التواصلية لجمال النص وعلاقتها ببعضها وكيف تتماسك فيما بينها مؤدية الغرض التواصلية المراد منها كما في تحليله لأحد

(١) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي ٩٧-٩٨، والسمياع والتاويل ٧٧-٧٨.

(٢) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي ٩٨-٩٩، والسمياع والتاويل ٧٧-٧٨.

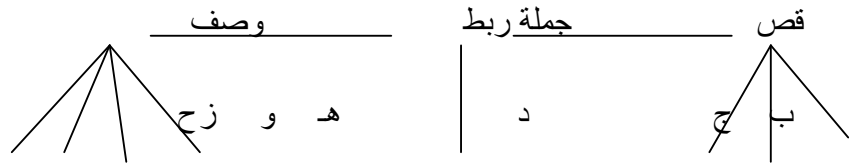
(٣) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي ١٠٥، وينظر: اشارة (شولز) الى تحليل (شك洛夫سكي) لرواية الحرب والسلام والتوازي الذي يقوم عليه النص ٤٤-٥٢.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

النصوص العادية (غير الأدبية) وهو مقال منشور في (مجلة حركة المرور الألمانية ١٩٧٣/٤، ص ١٣٢) وهذا النص هو:

"أ- في رحلة ليلية كنت قد أجريت إصلاحاً أطول في جهاز إشعال سعة ١٠٠٠ سم^٢ ب- تعطيل كشافي اليدوي بعد وقت قصير ووقفت بأصدق معنى للكلمة في ظلام دامس (في الحلقة)، ج- ساعدني سائق بكشاف يدوي. د- حتى اكون مهياً على نحو أفضل في مواقف مشابهة صنعت لنفسي كشافاً يدوياً من لمبة لكشاف الرجوع للخلف صغيرة مستديرة مع كوب لبن ولمبة زينة صغيرة ١٨ وات، هـ- الواصلة طولها ٤,٥ م سلك توصيل جهاز يدوي (قطر ١,٥ مم^٢). و- يمكن ان يستخدم المصباح مع هذا الطول للتواصل حول السيارة كلها. ز- وضعت بريزة التوصيل (فيوز^١)، وفيوز شامل) يساراً تحت لوحة المفاتيح فمن السهل الوصول إليها. ح- إذا زود الكشاف اليدوي بمغناطيس ثابت، فإنه يمكن ان يثبت أيضاً بصفيح الهيكل".

وهذا النص هو نص كامل غير مختصر نقله (ايزنبرج) من عمود (رأي القارئ) في المجلة المذكورة^(١). ويرى انه يمكن ان يخطط على النحو الآتي:



وترمز الحروف (أ، ب،) في هذا المخطط الى الجمل المستعملة في النص السابق، وهذا التصوير المقتضب للنص يعني أن انجاز الجملة (د) يكمن بوجه خاص في ربط (القص) الذي تمثله الجمل (أ، ب، ج) بوصف الموضوع الذي تمثله الجمل (هـ، و، ز، ح) وبهذا تؤدي هذه الجملة (د) وظيفتها في الحفاظ على تماسك النص وربط بعضه ببعض من أجل ايصال الفكرة الأساسية أو الغرض المقصود من ذكر هذا النص (الإرشاد). فالجمل التي تدور حول موضوع (كشاف يدوي) وصفة ادوات وامكانيات تجميع وطرق استخدام الموضوع كفل ربطها بطريق السبك المتوالي للنص عن طريق الجملة (د) دون ان يرد أي خلل في الفهم المتوالي للنص. ويمكن التحقق من الإنجاز الذي قامت به هذه الجملة بسهولة كما يذكر (آيزنبرج) عن طريق حذفها والنظر فيما بقي من النص. والنص المنشأ ليس جيد السبك من جهة التوالي إذ يتضمن على الأقل خللاً كبيراً في الفهم المتوالي للنص. يتركز هذا الخلل في ان الجمل المفردة للقص ولوصف الموضوع المترتب عليه (أو كلها مجتمعة) لا تقوم بإنجازات تواصلية كافية لجعل ربط القص ووصف الموضوع معاً ممكناً^(٢).

ومن خلال النص السابق ينظر (آيزنبرج) الى نوعين من الجمل:
الأول تمثله الجملة (د): (حتى اكون مهياً على نحو أفضل في مواقف مشابهة صنعت لنفسي كشافاً يدوياً من لمبة لكشاف الرجوع للخلف صغيرة مستديرة مع كوب لبن ولمبة زينة صغيرة).
والثاني تمثله الجملة: صنعت لنفسي مصباحاً يدوياً.

(١) ينظر: اسهامات اساسية ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: اسهامات اساسية ٢٢-٢٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ويذكر ان الجملة الأولى (د) لا يمكن ان تستخدم على انها فعل كلامي مستقل دون سياق لغوي. على عكس الثانية، وهو يرجع هذه الخواص الى فروق في الوظيفة التواصلية للجملة. ويطلق على وظائف الجملة التي يشترط استعمالها في سياق لغوي مميز (وظائف نصية موجهة) وهذا النوع من الجمل يمثل من وجهة نظره الغالبية العظمى من الجمل وهذه هي الحال الإعتيادية في استخدام الجمل أيضاً. أما الجمل التي تشبه الجملة الثانية ويمكن استخدامها بدون سياق لغوي مميز أي (المستقلة) فتمثل مجرد حالة خاصة^(١).

وجملة مثل الجملة الأولى أي (د) يمكن ان يكون لها وظائف عدة وليس فقط الوظيفة التي تذكر هنا ولهذا علاقة بالنص والسياق لكن في نص معين يمكن أن يعزى لها وظيفة تواصلية بدقة على نحو مما يبدو في النص السابق^(٢). وفيما يخص الجمل التي لها وظائف نصية موجهة ميز (آيزنبرج) بين ثلاثة انواع من الوظائف التواصلية هي: الوظائف التواصلية الموجهة الى اليسار، والوظائف التواصلية الموجهة الى اليمين، والوظائف التواصلية الموجهة الى الجانبين (اليمين واليسار).

وتعطي الجمل (أ- ب- ج) في النص السابق مثلاً على الجمل ذات الوظائف التواصلية الموجهة يساراً _الاتجاه هنا بحسب اللغة العربية_ لارتباطها بالجملة (د) الواقعة بعدها، أما الجمل (هـ، و، ز، ح) فمن نوع الجمل الموجهة يميناً لما لها من علاقة بالجملة (د) التي تقع قبلها وترتبط هذه الجمل بها. في حين تعطي الجملة (د) في النص السابق مثلاً على الجمل الموجهة الى الجانبين لارتباطها بما يقع قبلها من جمل وما بعدها. وبهذه الطريقة تتظافر الجمل التي يتضمنها هذا النص وتتماسك من أجل إيصال الفكرة أو الغرض الذي يريده المتكلم، وهو على ما يبدو يريد ان يقول أنه صنع كشافاً يدوياً (فعل) لكي يحل مشكلة الإضاءة المعول عليها في اصلاحات ليلية، وان هذا الكشف لا يستعمل في حل المشكلة إلا حين تكون فيه خصائص معينة توصف في الجمل اللاحقة، وتوصف هذه المشكلة بشكل غير مباشر في الأفعال المملة في المقدمة مع الجمل (أ، ب، ج)^(٣). والطريقة التي اتبعها (آيزنبرج) في تحليله لهذه النصوص وطريقته في التعامل معها تعطي مثلاً مصغراً لما يسعى إليه (علم لغة النص) وهو بناء نموذج نحوي تواصلية يمكن تطبيقه على النصوص اللغوية المختلفة دون إستثناء.

خامساً: الجملة العربية وعلم لغة النص وموقف الباحثين العرب القدماء والمعاصرين منه

ليس الحديث عن علاقة الجمل ببعضها وصلتها بالسياق والقرائن وأثر تلك الملابسات ببيان المعاني الأول والمعاني الثواني أمراً جديداً بحد ذاته بعد ان عُني به البلاغيون الذين كان يعينهم هذا

(١) ينظر: اسهامات اساسية ٢١.

(٢) ينظر: اسهامات اساسية ٢١.

(٣) ينظر: اسهامات اساسية ٤٢، وينظر ايضاً تحليل نصوص اخرى كما في ٢٧-٣٥، وكذلك التحليل اللغوي للنص ١٩-٢٠. وحديث (آيزنبرج) عن الوظائف التواصلية وأغراض المتكلم والشروط التي يجب توفرها في الجمل لتتجزأ احداثاً كلامية معينة يأتي ضمن موضوع (شروط الموقفية) التي تقع ضمن (نظرية احداث الكلام) وهي مسألة تقع في صلب (التداولية) وسنعود الى بحثها في المبحث المخصص لذلك بالتفصيل.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الأمر على نحو مباشر على خلاف اللغويين. وعناية البلاغيين بهذا الجانب كانت لما يتضمنه من وجوه البلاغة واسرار البيان مما لا يتأتى لأي كان ولا يتحقق له بسهولة.
وإذا بدأنا بالجرجاني الذي يطرق هذا الموضوع تحت باب (الفصل والوصل) _ أي عطف جملة على جملة أخرى أو تركه _ كما هو الحال مع غيره من البلاغيين نجده يميز بين نوعين من عطف الجمل:

الأول: عطف جملة على جملة أخرى لها محل من الإعراب وبهذا يكون للجملة المعطوفة حكم الجملة المعطوف عليها كما هو الحال مع عطف المفرد على المفرد. وهنا تكون الحاجة الى الواو ظاهرة والإشراك بها في الحكم موجود. كما في قولنا: (مررت برجلٍ خُلِّقَ حسن، وخُلِّقَ قبيح). فهنا اشركت الجملة الثانية (خُلِّقَ قبيح) بحكم الاولى (خُلِّقَ حسن) في كونها صفة للنكرة. وهذا له نظائر كثيرة وأمره سهل عند الجرجاني وغيره مثل (العلوي)^(١).

والثاني: عطف جملة على جملة أخرى لا محل لها من الإعراب كما في: (زيد قائمٌ وعمر قاعد) و(العلم حسن والجهل قبيح) وهنا يعرض إشكال في (الواو) دون غيرها من حروف العطف وذلك لأن بقية الحروف تفيد مع الاشراك معاني أخرى مثل ان (أو) توجب التردد بين شيئين و(الفاء) توجب الترتيب بدون تراخ وهكذا. فإذا عطف بها جملة على جملة ظهرت الفائدة، وليس لـ(الواو) معنى سوى الاشراك في الحكم ولا يتصور اشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك فيه، وإذا لم يكن معنا في قولنا: (زيد قائم وعمر قاعد) معنى نزع أن (الواو) اشركت بين هاتين الجملتين فيه، ثبت اشكال المسألة^(٢).

وخرج عبد القاهر من هذا الاشكال بتفسير تداولي يستند الى قرائن الاستعمال وهو "أنا لا نقول (زيد قائم وعمر قاعد) حتى يكون عمر بسبب من زيد، وحتى يكونا كالتظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عنه ان يعرف حال الثاني"^(٣).

أما العلوي فكان مقتنعاً برأي الزمخشري وهو أن الواو تجمع بين مضموني الجملة في الحصول، فكما تجمع بين الرجلين في المجيء في نحو: (جاء زيد وعمر) كذلك تجمع بين الجملتين في الحصول. وهذا هو الأقرب عند العلوي^(٤).

وكلا الرأيين يبدو مقبولاً عند الوهلة الأولى لكن ما يعيبه عند تدقيق النظر هو انه تفسير عام يستند الى النظر الى جملتين متتابعتين فقط وسيكون هناك تفسير أدق عندما ننظر الى هذا العطف في نص معين. وسيكون هذا التفسير مختلفاً فيما لو اختلفت النصوص التي يرد فيها مثل هذا العطف.

ومن الجمل التي عالجها الجرجاني من هذا المنظور (الفصل والوصل) مبيناً وجوها البلاغية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ _ البقرة ١٥/٢، فالظاهر يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ _ البقرة ١٤/٢. لأنه ليس بأجنبي منه ونظيره قوله تعالى الذي جاء معطوفاً: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ _ النساء ١٤٢/٤، وكذلك ﴿وَمَكْرُوا

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٢٣، والطراز ٢٣/٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٢٤، والطراز ٢٣/٢.

(٣) دلائل الإعجاز ٢٢٤.

(٤) ينظر: الطراز ٢٣/١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وَمَكَرَ اللَّهُ آلَ عِمْرَانَ ٥٤/٣ وغير ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر. وكان رأي عبد القاهر أنه جاء غير معطوف لأمر أوجب ذلك وهو أن قوله ((إنما نحن مستهزؤن)) حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى، وقوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وهكذا يكون العطف ممتنعاً لإستحالة أن يكون الذي هو خبرٌ من الله تعالى معطوفاً على ما هو حكاية عنهم^(١).

هذا الأمثلة وما شابهها جعلت بعض الباحثين العرب المعاصرين يقولون أن البلاغة هي "السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة... وكذلك تتوجه الى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي... فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الإتصال الأساسية (نص_ منتج_ متلق) وكيفيات التفاعل بينها"^(٢).

بل يرى د. صبحي إبراهيم الفقي أن الأمر قد "تطور الى التوحيد بين علمي البلاغة والنص، إذ البلاغة هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص"^(٣).

وهو يستند في ذلك على حديث عبد القاهر الجرجاني عن (التضام)، وتحليله لبعض النصوص القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ _ هود ٤٤/١١. إذ يرى الجرجاني ان ما عرض لها من الحسن والشرف هو لإرتباط هذه الكلم بعضها ببعض وكان من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة، وان الفضل تتأج ما بينها وحصل من مجموعها، وكذلك لمقابلة (قيل) في الخاتمة بـ(قيل) في الفاتحة، وما بين الالفاظ من الاتساق العجيب^(٤). وهو تحليل يرى فيه د. صبحي الفقي انه يقترب كثيراً من التحليل النصي لاسيما انه لا يعالج جملة واحدة وإنما يتعامل مع مجموعة جمل مترابطة فيما بينها^(٥).

ويشير ايضاً الى بعض ملاحظات البلاغيين في (الفصل والوصل) وكذلك بعض المفسرين، والنحويين ايضاً مثل حديث (الرضي) عن الجملة الواقعة خبراً وحاجتها الى الضمير إذا لم تكن مبتدأ في المعنى كما في ضمير الشأن في نحو (هو زيد قائم)... الخ^(٦).

أما (عمر أوكان) فقد كان أكثر اعتدالاً حين ترك الحديث عن مطابقة بين البلاغة وعلم النص وتحدث عن علاقة وطيدة وشائج تربط الدراستين كما نرى في قوله: "تنسج البلاغة الجرجانية علاقة وطيدة مع الدرس اللغوي الحديث، حيث نثر فيها على وشائج تربطها بالنحو التوليدي والنحو الوظيفي، ونظرية أفعال الكلام. وذلك انطلاقاً من اهتمامها بالدلالة في علاقتها بالتركيب

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٨٣/١.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٨٤/١.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ٤٥-٤٦.

(٥) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٨٤/١.

(٦) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٥/١، و ٨٦/١-٨٧، وشرح الرضي ١٧٥/١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

والتداول. وكذلك اهتمامها بالأفعال الانجازية والاستلزام الحواري، ونظرية المقاصد التداولية. وهذا ما جعلها تحظى باهتمام الدارسين المحدثين واعجابهم^(١).

ومن الدارسين العرب المعاصرين من عني بعقد المقارنات بين بعض ما ورد في مباحث علم لغة النص وما ورد في التراث العربي على نحو مما فعل محمد خطابي، وأحمد المتوكل، ونعمان بو قررة وآخرون غيرهم، لأسباب مختلفة قد تتعلق بالسبق التاريخي أو لربط الدراسة القديمة ومباحث التراث بالدراسة الحديثة ومناهجها أو غيرها من الأسباب^(٢).

وكما تقدم في القسم الأول من هذا المبحث أن هناك تداخلاً بين (علم لغة النص) والبلاغة وعلوم أخرى أيضاً وهذا التداخل هو أحد الأسباب في الصعوبات التي يواجهها هذا العلم كما هو الحال في وضع تعريف متفق عليه لـ(النص). لكن هذا التداخل لا يمكن أن يعنى بحال من الاحوال المطابقة فقد تقدم ان بين (علم لغة النص) والبلاغة وغيرها من العلوم (اتفاقاً في المادة، واختلافاً في الموضوع والهدف، وتداخلاً في الأدوات والأساليب). وهذا قول بليغ في التفريق بين هذا العلم وغيره من العلوم^(٣).

ومن خلال النظر فيما تقدم من مفاهيم تخص (علم لغة النص) وموضوعاته ومنهجه وطريقته في التحليل ونظرته الى الجملة، والنظر في التراث البلاغي العربي نجد ان هناك فوارق اساسية وجذرية تميز بينهما، وأهم هذه الفوارق هو:

١- أن نظرة البلاغة العربية الى العلاقة بين الجمل اقتصرت على بعض الجمل المتتابعة، ولم تنظر إليها في إطار وحدة كلية واحدة متماسكة الأجزاء مترابطة المفاهيم هي (النص) ولهذا لم يُعَنَّ البلاغيون_ وكذلك الحال مع غيرهم كالمفسرين والنحويين_ بوضع تعريف للنص ومن ثم لعلم لغة النص ولم يكن هدفهم ولا شغلهم الشاغل هو بناء نحو للنص ولم يكن النص عند البلاغيين هدفاً بحد ذاته، انما وسيلة ينظر من خلالها الى الجمل.

٢- قصر البلاغيون دراستهم على نصوص أدبية فقط ولم يتناولوا بالبسط والتحليل نصوصاً عادية لأنها تقع خارج دائرة اهتمامهم الأدبي الفني. أما علم لغة النص فلا يميز في دراسته بين نص وآخر وأي نص يقع ضمن إطار اهتمامه لأن هدف هذا العلم هو هدف لغوي وليس هدفاً أدبياً بلاغياً^(٤).

٣- مع اهتمام البلاغة العربية بالجوانب التداولية السياقية الا ان إهتمامها هذا ذو صلة بالقرائن السياقية العامة واحوال المتخاطبين، وهي ليست مبنية على مفهوم خاص لـ(التداولية) تمثله نظرية أحداث الكلام أو (الفعل الكلامي) كما تسمى احياناً على نحو مما بحثه أوستن وسيرل وآخرون وهذه مسألة تتضح أكثر في مبحث التداولية المخصص لهذا الموضوع.

(١) اللغة والخطاب ١١٥، وينظر أيضاً ١١١.

(٢) ينظر مثلاً: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ١٤١-١٦٢، وكذلك ١٦٥-١٨٩ و ١٩٣-٢٠٤، واللغة والخطاب الأدبي ٤٧، واللغة والخطاب ١٤٠-١٦٥، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ٢٠٢-٢١٦، والخطاب وخصائص اللغة العربية ٦٣-٧٠ و ٧٥-٨٣ و ١٢٥-١٣٠، والنظرية اللسانية والبيانانية عند ابن حزم ٦٧-٨٤ وغيرها من المصادر.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ٢٧.

(٤) وهنا يتضح خطأ نصر حامد أبو زيد الذي يرى ان دراسة النص هي دراسة لا انتماء لها الا لمجال (الدراسات الأدبية) في الوعي المعاصر. ينظر: مفهوم النص ١٨، وينظر: أيضاً ٩.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ومع هذه الاختلافات الجوهرية من الطبيعي ان تختلف نظرة البلاغة العربية الى العلاقة بين الجمل وغيرها من القضايا المتصلة بها عن نظرة علم لغة النص وكذلك عن طريقته ومنهجه في التحليل والتعامل مع الجمل المختلفة المتتابعة في نص لغوي.

ومن خلال مقارنة المنهج البلاغي التراثي بما تقدم من أسس العلم النصي نلاحظ نقاط اختلاف مهمة في النظرة الى الجمل وعلاقتها ببعضها ووظائفها من أهمها:

١ - في ضوء علم لغة النص يتحقق التماسك على مستويين:

الأول: هو المستوى الموضوعي الدلالي أي الموضوع العام أو الدلالة العامة التي تتحدث عنها جمل النص. وهذا النوع من التماسك يسمى أيضاً بالتماسك العميق وهو الذي يمثل البنية الكبرى للنص (الرأسية) وهو أهم أنواع التماسك.

والثاني: هو التماسك النحوي الأفقي أو الخطي ويراد به ربط جملة بأخرى داخل النص عن طريق أحد وسائل الربط النحوية مثل أدوات العطف والضمائر..... الخ وهذا النوع من التماسك هو الذي يسمى أيضاً بالتماسك السطحي كما تقدم في موضوعه.

وللنوع الأول أثر كبير في تحقيق التماسك بين جمل النص التي قد يبدو أنها غير مترابطة، ويمكن ان نأخذ مثلاً لذلك النص الذي أورده (كلوس برينكر) من جريدة العالم (في ١٩٨٠/٦/٤) حول أجهزة الإطفاء:

"قدمت مطافئ فرانكفورت جهازاً يمكن ان ينقذ به أناس من منازل ارتفاعها يصل الى مئتي متر، وهو كرسي معلق متحرك، مربوط بواسطة أحبال مثبتة بالبيت، بجندول متنقل على شاحنة. حتى الآن ما يزال الحد الأقصى لطول سلال الإطفاء ثلاثين متراً"^(١).

ففي هذا النص يربط موضوع واحد هو (جهاز الإنقاذ الجديد بين جمل النص المختلفة، الجملة الاولى: انجاز الجهاز، الجملة الثانية: طريقة عمل الجهاز، والجملة الثالثة: مقارنة بالجهاز القديم سلم الاطفاء)^(٢).

وليس هناك مشكلة تثار حول عطف جملة بالواو على جملة لا محل لها من الإعراب في ضوء علم لغة النص، كما هو الحال مع هذا النص، لأن القاسم المشترك الذي يوحد بين هذه الجمل جميعها هو الموضوع. وهو في هذا النص المعين (جهاز الاطفاء الجديد).

ولو نظر البلاغيون العرب مثل عبد القاهر الجرجاني والعلوي وحتى النحويين الى الأمر من هذه الناحية ناحية (التماسك الموضوعي) لما كان هناك أي اشكال من الاساس، ولما كان هناك ايضاً أي حاجة لالتماس أية مبررات أو مسوغات ايضاً. وسبب المشكلة هو النظر الى اجزاء متتابعة من نص بمعزل عن الوحدة المتكاملة المنسجمة التي يمثلها هذا النص أي ان العرب ركزوا على نوع واحد من أنواع التماسك هو التماسك النحوي الأفقي واغفلوا دور التماسك الاول في جمع الجمل المختلفة وربطها ببعضها. وتتضح المسألة أكثر مع هذا المثال:

- ليس لدي للأسف ما يكفي للقراءة. فقد رفضت اللجنة الاقتراح. وفي العطلة لا يستحب أحد ان يمكث في بيته.

(١) التحليل اللغوي للنص ١٩.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص ٢٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ففي هذا المثال ليس هناك موضوع واحد يربط بين الجمل. والجمل الأولى تتعلق بالضمير (أنا) الذي لا يمكن ان يحدد تحديداً دقيقاً. والجمل الثانية تتضمن قولاً عاماً. وبهذا يبدو التابع الجملي غير مترابط وبالتالي لا يمكن ان يقال أنه يمثل (نصاً)^(١).

وبالقياس على ما تقدم إذا وردت الجملتان (قام علي) و(قعد عمرو) في اطار موضوع واحد يجمع بينهما، فهذا الموضوع هو القاسم المشترك الذي يجمع بينهما ويربط بينهما أيضاً وباقي الجمل الأخرى في النص ان وجدت. أما إذا اطلقت جزافاً فهي مجرد كلام متتابع غير مترابط وان وجد العطف كما لو قال شخص:

- بيع الكتاب وجاء الصبح ثم برزت الاحجار.... الخ

فهو مجرد هذيان لا معنى له ولا ترابط بين جملة مع غياب (الموضوع) وان وجدت أدوات العطف.

٢- عدم مراعاة البنية الكلية للنص والاقتصار على بعض السلاسل الجمالية المتتابعة منه كان له أثر في تحديد أدوات الربط ووسائله عند البلاغيين. فهي عندهم من اختصاص أدوات العطف وهذا هو ما بحث في اطار (الفصل والوصل)، والتماسك قد يتحقق بوسائل أخرى لا تقل أهمية، كضمانر الإشارة وضمانر الموصولية والضمانر الشخصية والتعريف.... الخ من الوسائل اللغوية التي تتضمنها اللغة العربية وغيرها من اللغات أيضاً^(٢).

ومن المسائل المهمة التي تجذب الانتباه في (علم لغة النص) هو أن (الجمل) بتركيبها النحوية والدلالية المعينة ووظيفتها التواصلية تسهم أيضاً في عملية التماسك وربط اجزاء النص ببعضها على نحو مما رأيناه في الجمل الموجهة يساراً والجمل الموجهة يميناً والجمل الموجهة الى اليمين والى اليسار. وترجمة النص الذي قدمه (آيزنبرج) حول (صنع مصباح يدوي) هو خير مثال على هذه المسألة وفيه تتضح علاقة الجمل بما قبلها وما بعدها. وهذه إحدى المسائل التي بحثها علم لغة النص.

٣- ميز علم لغة النص على نحو غير مسبوق بين نوعين من الجمل الأول: جمل ذات وظيفة تواصلية موجهة نصياً أي ترتبط بسياقها اللغوي والجمل الأخرى التي ترد في النص. وهذا النوع من الجمل هو الأصل والغالب من وجهة نظر هذا العلم.

والثاني: جمل يمكن استخدامها مستقلة عن سياقها اللغوي وهذا النوع يمثل حالة خاصة أو استثناء من الجمل السابقة.

ويمكن ان نلاحظ بوضوح مصداقية هذا التمييز من خلال اللغة العربية. وفضلاً عن النص المشار إليه آنفاً الذي اورده (آيزنبرج) يمكن ان نقف عند أمثلة كثيرة وواضحة في النصوص العربية المختلفة والجمل التي يتصدرها ضمانر الشخص أو الإشارة أو الموصول هي بعض من هذه الجمل التي تمثل ظاهرة واضحة فيما يخص هذه المسألة.

وهنا يمكن ان تورد جملة من نص قرآني أورده د. ابراهيم أنيس كمثال، وهي قوله تعالى: ﴿ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ _ ص ٥٣/٣٨ فهذه الجملة مستقلة إعرابياً، لكن هذا الاستقلال هو استقلال شكلي إذ لا يمكن فصل هذه الجملة عن الجمل الأخرى التي جاءت معها في النص، والا

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١١٦/١-١١٨، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١١١.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

أصبحت هذه الجملة جملة مبهمه لا معنى لها. لأن ضمير (الإشارة) هذا هو كلمة مبهمه لا يتضح المقصود بها الا من خلال السياق اللغوي والقرائن والملابسات المحيطة.

أما إذا نظرنا الى الجملة السابقة في ضوء الجمل الأخرى التي وردت معها في النص فسيختلف الأمر: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمُ الْأُبْوَابُ * مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ * هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ _ ص ٤٩/٣٨-٥٣.

فمن الواضح أن جملة (هذا ما توعدون ليوم الحساب) هي جملة ذات وظيفة تواصلية موجهة الى اليسار _بحسب العربية_ أي لها علاقة بالجمل السابقة لها. ومن لطيف ما قاله د. ابراهيم أنيس في هذه الآية هو قوله ان "كلمة (هذا) قد استعيض بها عن تكرار ما سبقها من عبارات، فهي بمثابة صورة صنعها فنان لما يستمتع به المؤمن في الآخرة، وقد عرضت على الانظار بعد ان دوى وصفها في الأسماع، ثم قيل بعد عرضها على الناس: (ما توعدون ليوم الحساب)..."^(١). لكن الحقيقة هو أن الذي قام باختزال هذه الصورة هو الجملة الأخيرة بأكملها وليس (هذا) فقط. وبالمثل فإن الجملة الأولى التي سبقت ذكر الجمل الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ _ ص ٤٩/٣٨ تعطينا مثلاً واضحاً لجملة موجهة الى اليسار لصلتها بما بعدها من الجمل التي تبين المقصود بـ(حسن المآب) الذي تحدث عنه الآية. وهذا مثال واضح على وظيفة التواصل الموجهة التي تؤديها الجمل وتسهم في تماسك النص.

ومثل ذلك فيما يخص الجمل الموجهة أي غير المستقلة قوله تعالى: في سورة الانعام حكاية عن ابراهيم ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ _ الانعام ٧٦/٦، إذ لا يمكن استعمالها استعمالاً مستقلاً لعدم امكان تحديد المقصود بها وهي في هذه السورة تتكرر ثلاث مرات _أي جملة هذا ربي_ ويراد بها معنى مختلف في كل مرة. وفي سياق مغاير يكون لها معنى آخر مختلف وهكذا. وهي بجميع الأحوال مرتبطة بجملة أخرى تمثل السياق اللغوي لهذه الجملة.

٤- من خلال اتباع الأسس التي يقوم عليها علم لغة النص يمكن ان نرى بوضوح ان استقلال الجمل إعرابياً أي كونها غير تابعة من جهة الإعراب لجملة أخرى. لا يمكن ان يستدل من خلا له على أن هذه الجملة تمثل كياناً مستقلاً، وهذا ما لاحظناه في جملة (هذا ما توعدون) في المثال السابق، فهي غير تابعة من جهة الإعراب (مستقلة إعرابياً) لكنها مرتبطة بما قبلها من جهة الوظيفة التواصلية. وهنا نلاحظ مرة أخرى ان الاعتماد على الاعراب وحده في دراسة الجمل وتحليلها لا يمكن ان يكون كافياً، ولا يقدم لنا كل ما يتعلق بالجملة من حقائق.

لكن هذا لا ينفي كون إعراب الجمل هو وسيلة من وسائل التماسك النحوي ويمكن ان يكون معيناً في التعرف على الوظائف التواصلية للجملة. ومع ذلك يبقى أعراب الجمل واحداً من وسائل التماسك وليس هو الوسيلة الوحيدة.

وبناءً على هذا الاساس لا يمكن ان يكون اقتراح الغاء اعراب الجمل إقتراحاً مقبولاً، على نحو مما اقترحه د. كريم حسين ناصح لأن الأساس من وجهة نظره "هو الوصول الى المعاني، لا الى المواقع التي تقود إليها المعاني"^(٢) وقد رأينا من خلال تحليل النصوص بناءً على أسس (علم لغة

(١) من أسرار اللغة ٢٤٨.

(٢) ينظر: نظرات في الجملة العربية ١٠٠، وينظر ايضاً ٩٨-١٥٠.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

(النص) ان مواقع الجمل لها أهمية في التحليل النصي حتى في لغات غير إعرابية كاللغة الانكليزية. فتحديد موقع الجملة له علاقة بالوظيفة التي تؤديها الجملة ولا علاقة لها بـ(نظرية العامل) التي يقوم عليها النحو العربي. والوصول الى المعاني أمر غير ممكن بدون وسائل لغوية معينة، وبهذا لا يكون اعراب الجمل خلاً في الوصف النحوي كما يرى د. كريم حسين^(١) وهو ليس أكثر من وسيلة لغوية من وسائل الربط لكنه ليس الوسيلة الوحيدة كما تقدم. ومن الواضح ان هناك جملاً تقع مفعولاً وأخرى خبراً ولو الغي اعراب هذه الجمل فإن الجملة ستكون ناقصة بالتأكيد ووصفها هو وصف قاصر.

٥- إن الحديث عن جمل محولة عن جمل أخرى عن طريق الحذف أو تغيير الترتيب أو البناء للمجهول أو الابدال بالضمير مسألة مرتبطة بالجملة الأخرى التي في النص ولها صلة مباشرة في الحفاظ على التماسك والترابط بين اجزاء النص. وقد تقدم ان الحديث عن الجمل النواة والجملة المشتقة بدأ مع دراسة (هاريس) للنص وبعده توسع (تشومسكي) في تناوله لهذا الموضوع من زاوية لغوية صرفة اساسها الاستناد الى الكفاءة اللغوية في تقديم وصف نحوي للجملة. لكن التحويلات في اطار علم لغة النص هي تحويلات مرتبطة بالوظيفة وتخدم أغراضاً تواصلية معينة. كما تقدم في الصفحات السابقة.

٦- تختلف نظرة علم لغة النص الى الإحالة ففي الوقت الذي يتحدث فيه البلاغيون واللغويون عن نوع واحد من الاحالة نجد علم النص يميز بين احالة قبلية واحالة بعدية، واحالة بناء واحالة تعيين. وعلى هذا الاساس يمكن ان ينظر الى الاحالة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ _ ص ٣٢/٣٨ على انها احالة على شيء يتضمنه المخزون الذهني ويمكن استنتاجه من خلال السياق اللغوي للنص وبقية الملابس، وبهذا الاعتبار لن تكون مثل هذه الاحالة شاذة أو غريبة^(٢) كما كان ينظر إليها سابقاً. أما العناوين فهي (إحالة بعدية) لاختزالها مضمون ما تعبر عنه جمل النص المختلفة.

والخلاصة فيما يخص موضوع (علم لغة النص) هو ان اتجاهات هذا العلم اتخذت اشكالات عدة وتأثرت بما سبقها من مناهج. بنيوية ووظيفية وتداولية...الخ. وهذا ما دفع بعض الباحثين النصيين مثل (آيزنبرج) الى ان يقول: "مع الوضع الحالي لمعارفنا حول موضوع (النص) من البديهي ان كل ما يمكن ان يقال حول ذلك يجب ان تكون له طبيعة مؤقتة للغاية"^(٣).

لكن هذه الاتجاهات على اختلافها، ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً. وتتداخل بعض العلوم مثل البلاغة والاسلوبية وغيرها من العلوم مع علم لغة النص لكنه مع ذلك يمثل كياناً مستقلاً عنها له موضوعه وهدفه الخاص وطريقته في التحليل، ومنطلق هذا العلم واساسه هو اساس لغوي لا يميز بين نص وآخر على نحو مما نجده في البلاغة والاسلوبية. وان النظر الى الجملة العربية في ضوء (علم لغة النص) يسهم في كشف كثير من الحقائق المتعلقة بها ويضيف الى دراستها رؤية جديدة ولاسيما فيما يخص التماسك بين جمل النص الواحد وكيفية تحقيقه والوظائف التواصلية للجملة

(١) ينظر: نظرات في الجملة العربية ٩٨.

(٢) ينظر: شرح القصائد السبع الطوال ٢٢.

(٣) اسهامات اساسية ١٠، وينظر علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ١٧-١٨.

﴿ الفصل الثالث ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

واستقلال الجمل وعدم استقلالها فضلاً عما يتصل بالاحالة والمرجعية وغيرها من القضايا ذات الصلة التي تناولتها الصفحات السابقة.

وقد تقدم ان (نحو النص) ليس بديلاً لنحو الجملة بقدر ما يمثل توسيعاً له وبقيت الجملة تمثل وحدة اساسية في التحليل النصي لا يمكن الاستغناء بدءاً بتحديد مفهوم (النص) و(العلم) الذي يدرسه وانتهاءً بتحليل النصوص المختلفة ودراستها.

الفصل الرابع

الجملة العربية في ضوء علم الدلالة والحقل التداولي

❖ المبحث الأول : الجملة العربية و علم الدلالة

SEMANTICS

❖ المبحث الثاني : الجملة العربية والحقل التداولي

PRAGMATICS

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الفصل الرابع الجملة العربية في ضوء علم الدلالة والحقل التداولي

المبحث الأول : الجملة العربية وعلم الدلالة SEMANTICS

أولاً: دلالة الجملة في ضوء نظريتي المرجعية والإشارة

(NAMING) AND (REFERENCE)

يحاول أصحاب النظريات والدارسون الداليون من خلال نظرياتهم ودراساتهم "إيضاح علاقة معاني المفردات والجمال بالعالم الخارجي"^(١) ويأتي ذلك كله ضمن محاولة أعم وأشمل تهدف الى وضع نظرية عامة وشاملة لعلم الدلالة تستطيع أن توضح أو تجيب عن أهم الأسئلة المطروحة في هذا المجال التي يأتي في مقدمتها بيان ماهية المعنى وحقيقته. وكثيرة هي الآراء والتصورات التي تطرح على أعتاب هذا الطريق. ويبدو بعضها سائغاً ومقبولاً في الوهلة الأولى ثم لا يلبث أن تثار حوله المشاكل والاعتراضات وتأتي نظرية: المرجعية أو التسمية (NAMING) كما تسمى في بعض الأحيان، ونظرية الإشارة (REFERENCE) التي يعبر عنها في أحيان أخرى بنظرية المفاهيم (CONCEPTS) أو الأفكار في مقدمة هذه الآراء والنظريات^(٢) وهما نظريتان القتا بظلالهما على آراء بعض الدارسين العرب فيما يخص دراسة معنى (الجملة العربية). فأصبح من الضرورة بمكان أن نعرض لهاتين النظريتين وآرائهما في هذا المجال موضحين أهم تصوراتهما فيما يتعلق بالمعنى بشكل عام وبمعنى الجملة على نحو خاص مشيرين الى من انطلق من أسسهما من الدارسين العرب في محاولة بناء تصورهم الخاص لمعنى الجملة العربية.

أ- نظرية المرجعية REFERENCE^(٣) أو التسمية (NAMING):-

ترى النظرية المرجعية "ان معنى عبارة ما هو ما تحيل عليه العبارة"^(٤) أي (مرجعها) ويبدو واضحاً من نص التعريف (معنى عبارة ما) أن (المرجع) لا يتعلق فقط باللفظ المفرد كالقلم والمنضدة والفرس... الخ. وإنما يتعلق أيضاً بالقضية (الجملة)^(٥). ووفقاً لما تراه هذه النظرية "ان معنى اللفظ وليكن لفظ (تفاحة) مجرد وغامض، وما يشف غموضه هو مرجعه (أي التفاحة التي نأكل). إلا أنه إذا كان معنى اللفظ هو عينه ما يحيل عليه، فان معنى اللفظ (تفاحة) لن يكون أغمض

(١) أضواء على الدراسات اللغوية ٣٣٠.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٣، ومنخل إلى الدلالة الحديثة ١٣ وما بعدها.

(٣) reference هو مصطلح واحد يراد به أحياناً (المرجع الخارجي) كما هو الحال مع النظرية المرجعية، ويراد به أحياناً (الفكرة أو المفهوم). كما هو الحال مع نظرية الإشارة أو الأفكار. ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٤-٥٥.

وما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٥.

(٤) منخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

(٥) ينظر: المرجع والدلالة ٢٠.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

من التفاح نفسه. ومن أجل إبعاد الغموض، جعل الشيء الغامض (وهو معنى اللفظ تفاحه) ممثلاً لشيء ملاحظ ندركه بحواسنا وهو المرجع في العالم الخارجي^(١).

وهذا التصور مخالف تماماً لتصور سوسور الذي اعتقد "ان الدلالة تجمع لا بين المسمى (الشيء) والاسم، بل بين تصور وصورة سمعية. فمدلول الفرس إذن ليس هو (الفرس) ولا مجموعة الأفراس، بل هو تصور (الفرس)، ثم أوضح بعد ذلك بأن هذه التصورات التي تشكل المدلولات هي محض مميزات فارقية ليست معرفه إيجابياً من جهة مضمونها. بل سلبياً بعلاقاتها مع سائر الحدود الأخرى، داخل النظام، فالخاصية الحقيقية لهذه التصورات كونها مضادة لأخرى. وعلى هذا نجد على وجه الحصر في مدلول دلالة ما الخصائص المميزة التي يفترق بها المدلول عما سواه بالنسبة لسائر دلالات اللسان الأخرى، ولا نجد فيه وصفاً تاماً لما يشير إليه من أشياء"^(٢). وعلى هذا الأساس لابد من التمييز بين ثلاثة مفاهيم فـ"هناك الشيء المحسوس (المرجع) وهناك الصورة الذهنية (التمثيل) وأخيراً هناك البيان (الدلالة)".^(٣)

والتصور الذي تطرحه نظرية المرجعية للمعنى على أساس كونه ما يرجع إليه اللفظ أو ما يشير إليه في العالم الخارجي ليس تصوراً جديداً تماماً إذا أخذنا بعين الاعتبار "ان من أقدم الآراء، هو الرأي الموجود في محاوره أفلاطون (كراتلس) والقائل بأن الدال (SIGNIFIER) كلمة في اللغة، وان المدلول (SIGNIFIED) هو الشيء الموجود في العالم. ويمثله الدال ويشير إليه أو يحدده"^(٤) إلا ان هذا التمييز بين الاسم والمسمى لم يكن معروفاً قبل سقراط، وقبله لم يكن الإغريق يميزون بينها، بل كان يعدون العالم المحسوس هو ما نعبّر عنه بالأصوات^(٥).

وأياً يكن الأمر فان عدّ الكلمات عبارة عن "أسماء أو إشارات للأشياء"^(٦) كما كان يرى الإغريق بعد سقراط وكما يبدو واضحاً من محاوره أفلاطون هو التفسير نفسه الذي تبنته النظرية المرجعية، ويكمن الجديد في تفسير النظرية المرجعية لمعنى القضية (الجملة) في ضوء المرجع أو ما تشير إليه في العالم الخارجي، بعد ان كان الأمر في محاورات الإغريق محصوراً في حدود الكلمات أو الألفاظ المفردة فقط^(٧).

ومرجع القضية في ضوء تصور هذه النظرية هو "مرجع أجزاء القضية في مجموعها"^(٨). وهو _أي المرجع_ بهذا المفهوم (الموجود أو المشار إليه في العالم الخارجي) لا تنفك عنه أية نظرية في الدلالة "إلا ان هذه الدراسة كانت قبل ظهور علم اللسان واقعة تحت اختصاص المنطق

(١) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

(٢) المرجع والدلالة ٣٤. وينظر ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٥.

(٣) المرجع والدلالة ٢٧. ويلاحظ أيضاً ان المصطلحات: دال، مدلول، مرجع، هي ليست المصطلحات الوحيدة التي تم استعمالها عبر التاريخ اللساني تعبيراً عن هذه المفاهيم (الدال) الذي استعمله سوسور استعمل له بيرس (العلاقة)، ورتشارد وأوغدن (رمز)، وموريس (حامل العلاقة)، و(المدلول) أطلق عليه بيرس (المؤول)، ورتشارد وأوغدن (المرجعية) وفريجة (المعنى)، وسوسور (الصورة الذهنية). و(المرجع) أطلق عليه بيرس (الموضوع) وموريس (المعنى) وفريجة (المعنى) وكرناب (ما صدق). ينظر هذه المصطلحات وغيرها في: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٤.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٢٣.

(٥) المرجع والدلالة ١٢.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ٢٣.

(٧) ينظر المرجع والدلالة ٢٠.

(٨) المرجع والدلالة ١١٧.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الصوري، والنحوي، والبلاغة، وأصول الفقه، وبوجه عام يمكن إدراج هذه الدراسة للدلالة تحت نظرية المعرفة الكلاسيكية بجميع شعبها وأدواتها التقنية المعتمدة، إما علم النفس القديم (كتاب النفس لأرسطو، وشروحه لابن سينا)، واما (علم النفس الكلاسيكي) كما عالجه التجريبيون، الامبريقيون مثل هيوم^(١).

وما حدث بعد ظهور اللسانيات ان علم الدلالات والمرجع توزعته "نظريات شتى مثل نظرية (KATZ) كاتز و(FODOR) فودور، والنظرية السوفيائية، كما تعرض هذه النظريات المعاجم اللسانية، ويضاف الى كل هذا تيار المناطق الوضعيين مثل فريجة، وفيتجنشتاين، وكارناب وكواين وغيرهم"^(٢).

والتصور الذي تقدمه هذه النظرية يبدو مقبولاً وسائغاً في الوهلة الأولى "إذ يبدو ان في كل اللغات كلمات أو تعابير مثل جون، سمث، وباريس، والأربعاء، أي ما يسمى بالاسماء العلم ووظيفتها بالضبط التسمية. فالطفل يتعلم كثيراً من كلماته عن طريق التسمية. فهو غالباً يتعلم اسماء الأشياء من والديه، وتشمل محاولاته اللغوية الأولى كلمة (بابا) عندما يرى أباه أو ينتج اسماً لقطار أو سيارة أو قطة... عندما يرى هذا الشيء حواليه أو في كتاب"^(٣).

كما ان مقولة هذه النظرية هي المقولة الوحيدة "التي قد توضح لنا واقعة نختبرها يومياً: عندما ننطق بعلامات فنحن نعتقد في قرارة أنفسنا أننا نتعامل مع أشياء"^(٤).

الا ان ما يبدو مقبولاً لأول وهلة قد ينطوي على مشاكل عدة فمذهب هذه النظرية على ما يبدو "ينطبق على الاسماء فقط (أو التعابير الاسمية عموماً). والواقع فان القواعد التقليدية غالباً ما تعرف الاسم مقارنة بالصفة والفعل وحرف الجر... الخ. كاسم شخص أو شيء ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل توسيع نظرية التسمية لتشمل اقسام الكلام الأخرى"^(٥).

وهذا يعني "ان إدخال الأفعال والظروف والمصادر والحروف في هذا الطرح المرجعي يتطلب مراجعة تامة. ان الأفعال قد تؤسم (تصير اسماء)، وقد نقول ان معنى (ضَرَبَ) هو حدث (أو طبقة كل أحداث) الضرب. ولكن ماذا عن ألفاظ مثل (رغم) أو (ربما) أو (لا)... الخ. ان أية مراجع قد نرسلها لتقابل هذه الالفاظ ستكون للأسف أغمض من معاني هذه الالفاظ نفسها"^(٦).

وحتى في حالة (الصفات) لا تخلو المسألة من مشاكل حقيقية، فإذا أمكن ان نسمي الألوان _مثلاً_ وبهذا الاعتبار تكون كلمات الألوان التي هي صفات (اسماء). فان هذا غير ممكن مع معظم الصفات الأخرى مثل: مثير، متعدد، تقليدي، صعب، معقول، إذ كم من هذه الصفات يمكن ان تستعمل لتسمية الأشياء التي تشير إليها.

(١) المرجع والدلالة ٩. وينظر التداولية من أوستن إلى غوفمان ٤٠-٤١.

(٢) المرجع والدلالة ١٠.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٢٣-٢٤.

(٤) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٣.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٢٤. وهذه الطريقة المتبعة في تعريف الاسم مقارنة باقسام الكلام الأخرى مألوفة في النحو التقليدي العربي ينظر مثلاً: كتاب سيبويه ١٢/١، شرح الرضي ٢٠/١-٢٣، شذور الذهب ١٤، شرح ابن عقيل ١٦/١-٢٣.

(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٣-٢٤، وينظر علم الدلالة (بالمر) ٢٥، والمرجع والدلالة ٣٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وإذا كانت المسألة أكثر صعوبة مع الأفعال، فإن هناك صعوبات أكبر عندما تتعلق القضية بحروف الجر مثل (من، على، إلى)، وأدوات الربط مثل (عندما، لأن). أما مع الضمائر مثل: (أنا، هو) فتبرز تعقيدات أكبر لأنها تتضمن أشياء مختلفة في أوقات مختلفة^(١).

وفيما يخص (الاسماء) أيضاً، لا يمكن أن يلغى وجود مشار إليه أو (مرجع) لكثير من الكلمات مثل سقراط والانسان^(٢) مشاكل ليست أقل شأناً مما يناظرها من الأفعال والحروف والضمائر. "فما يمكن أن نقول عن اسم العلم (روما) انه اسم مدينة. وحسب النظرية المرجعية ينبغي أن نجعل كل الألفاظ والتعابير مشابهة لاسماء مثل (روما). الا ان هذه العملية غريبة فمن الخصائص الأساسية لاسماء الأعلام عدم توافرها على معنى. وحتى الاسماء غير العلمية التي تطلق على الأعلام تفقد معناها بعد إطلاقها على العلم مثل: (يونس)، و(يزيد)، و(خديجة)، و(الدار البيضاء)... الخ"^(٣). ولهذا فأنا لا نسأل عادة ما معنى جون سمث؟، ما معنى باريس؟^(٤) ومن هنا يمكن القول أن "النظرية التي تقوم على تعابير غير ذات معنى، سنقول بدون شك - إن هي نجحت - الشيء القليل عن المعنى"^(٥).

كما ان هناك عدداً هائلاً من الكلمات والعبارات اللغوية التي لها معنى تام وليس لها من (مرجع) أو مشار إليه في العالم الخارجي المحسوس "فعبارة (هذا الكتاب) قد تحيل على كتاب معين، أما لفظ (كتاب) فلا يمكنه ذلك. وإذا اردنا تفسير هذه المسألة في علاقاتها بالإحالة، سنقول انه قد يرد مؤلفاً مع عناصر أخرى فتشكل مركبات تكون لها إحالات (مراجع)، الا ان ذلك لا يختلف عن قولنا: ان لفظ (كتاب) بنفسه له مرجع معين. فالألفاظ مثل (كتاب) تتطلب مراجعة جدية للمبدأ الأساسي لهذه النظرية الذي يقول ان العبارة يكون لها معنى إذا وفقط إذا كان لها مرجع"^(٦).

فحقيقة الأمر أننا " نستطيع أن نتصور معنى ما بدون أن يكون لنا نفس اليقين بالرغم من ذلك في العثور له على مرجع أو مشار إليه. فان استخدمنا الألفاظ والعبارات بالكيفية المعتادة المتعارفة فلا شك أننا نتحدث قاصدين مرجعيتها. غير أنه قد يقع لنا أن نقصد الحديث عن الألفاظ وحدها أو معناها وحده"^(٧).

ويبدو هذا واضحاً مع الألفاظ أو العبارات التي تتعلق بمخلوقات غير موجودة مثل (جني)، (عفريت)، (غول)، (عنفاء)، (طائر الرخ)، ومن ثم لا يمكن أن تشير الى أشياء في العالم^(٨).

وهذا يعني أن تحديد معنى (عبارة ما) في ضوء ما تشير إليه في العالم يتجاهل حقيقة غاية في الوضوح وهي أن "للغات الطبيعية القدرة على إنشاء عالم تشير إليه تلك اللغة. وإذن تستطيع هذه اللغة أن تخلق عالم الخطاب، والقول المتخيل. والجزيرة المتهومة ذات الكنوز من الذهب قد تكون موضوعاً مرجعياً ممكناً مثلها في ذلك مثل محطة القطار في مدينة ليون"^(٩).

ولو غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة فـ"هناك أسماء أخرى لا تشير الى عناصر خيالية، لكنها لا تشير في الوقت نفسه الى أشياء مادية على الإطلاق. اننا لا نستطيع تحديد الأشياء التي نسميها بالكلمات:

(١) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٥.

(٢) ينظر المرجع والدلالة ٣٥.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٤.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٢٦.

(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٤.

(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٣.

(٧) المرجع والدلالة ١١٠.

(٨) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٥، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٣. وهذا ينطبق على الجمل التي تتحدث عن أشياء خيالية أو غير موجودة كما سيأتي.

(٩) المرجع والدلالة ٣٣. وينظر: النداولية من أوستن إلى غوفمان ٤٠-٤١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

حب، وكره، وحي، ولغة. وعندما يصف النحاة الأسماء بأنها تسميات للأشياء، يمكن ان نتساءل عما إذا كان الحب والكره أشياء أم لا^(١).

وقد تحيل عبارتان على مرجع واحد -من خلال الترادف- إلا ان هذا لا يعني ان لهما المعنى نفسه، إذ لا يعد تماثل (المرجع) شرطاً كامناً لتماثل المعنى فعبارتنا (نجم الصباح) و(نجم المساء) على سبيل المثال تحيلان على شيء واحد هو كوكب الجوزاء إلا أنه من الصعب القول ان لهما معنى واحداً^(٢). وعلى خلاف ذلك قد تستعمل عبارة ما مثل (هذا الكتاب) "في مناسبات مختلفة للإحالة على أشياء مختلفة (على كتاب الجاحظ مثلاً، أو لمحفوظ، أو لشومسكي) إلا أنه من غير المعقول ان يكون لعبارة (هذا الكتاب) عدد كبير من المعاني المتباينة"^(٣).

ولأننا لا نتعلم معنى عبارة (هذا الكتاب) من جديد في كل وقت تستعمل فيه هذه العبارة للإحالة على كتاب آخر. لا مفر من رفض القول أن تماثل المرجع شرط لتماثل المعنى^(٤). وكل ما قيل سابقاً في نقد النظرية المرجعية وما أثير حولها من اعتراضات لا يجعل منها أفضل حالاً فيما يخص (الجمال). إذ "لا نستطيع أن نربط مباشرة معنى الجملة بالأشياء والأحداث في العالم. ويمكن بسهولة دحض أقوى الآراء التي تربط الجمال بالأشياء والأحداث الفعلية كأن نستعمل جملة مثل (يوجد حصان في الحقل) فقط عندما يكون هناك حصان في الحقل. وذلك لأننا نستطيع ان نكذب أو نخطئ"^(٥). وتواجهنا معضلة (المرجع) في بعض الجمل التابعة المصدرة بحرف مؤول بالمصدر بعد أفعال مثل (أمر، رجاء، نهى...) التي إن صيغت في أسلوب مباشر دلت على الأمر وليس لمثل هذه القضية مرجع، وكذلك الحال مع الجمل أو القضايا الشرطية التي قلما تتحدث عن الواقع، وإنما تتحدث عن عالم والاحتمال وعالم المقال^(٦).

وهذا يعني اننا قد نجد جملاً دالة لا تتوافر بشأنها على طريقة للتحقق منها على الإطلاق كما في جملة (الجسم السماوي الأكثر بعداً من الأرض كروي)^(٧). كما يعني وجود اجزاء من الجملة لها لها معنى محصل وليس لهذه الأجزاء من مرجع. فلا خلاف في ان جملة: (ترك أوليس على أرض أهل إثاكا وأخذ سبات عميق)

لها " معنى واضح ولكن من المشكوك فيه ان يكون لاسم (أوليس) المذكور فيها مرجع. ومن هنا يمكن القول ان ليس للجملة أو (القضية) بكاملها مرجع. ومع هذا فان لهذه الجملة والجملة السابقة "معنى باعتبارهما وارديتين بالنسبة للوصف التجريبي للغة"^(٨).

وإذا كان (المعنى) لا يعتمد على المرجع ولا يتحدد من خلاله فما السبب الذي يكمن وراء البحث عنه؟ والجواب كما يقول فريجه هو "البحث عن قيمة الصدق والرغبة في ذلك هما اللذان تأديان الى أن تنتقل من المعنى الى المرجع"^(٩).

(١) علم الدلالة (بالممر) ٢٦.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالممر) ٢٦، والمرجع والدلالة ٢٢-٢٣.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٣.

(٤) ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٣.

(٥) علم الدلالة (بالممر) ٣٠.

(٦) ينظر المرجع والدلالة ٢٠، ١٢٣.

(٧) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٩، والمرجع والدلالة ١١٠.

(٨) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٩، وينظر: المرجع والدلالة ١١٥.

(٩) المرجع والدلالة ١١٦.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الا أن الأمر لا يكون دائماً على هذا الحال كما يرى (فريجه) نفسه "فاذا استمعنا لملمحة فان ما يأخذ بمجامع قلوبنا ويأسر انتباهنا علاوة على جمال إيقاع اللغة، هو معنى القضايا والتمثلات، أو شتى أنواع العواطف مما يوقظه فينا ذلك المعنى وحده. فلو أننا حاولنا أن نبحت عن قيمة الصدق كنا فرطنا في اللذة الفنية وضحينا بها في سبيل البحث العلمي. ومن هنا نتج أن ليس من المهم في شيء أن نعرف ما إذا كان مثلاً لاسم (أوليس) مرجع محصل مادمننا نأخذ الشعر على أنه عمل فني"^(١).

ومما أثير من اعتراضات كثيرة حول هذه النظرية يخلص اللسانيون الى "أنه لا يمكن على وجه الدقة إسناد المعنى والمرجع الى نفس الحقيقة اللسانية. فعندما نتكلم عن الدلالة فإنه يجب دائماً أن نبين ما إذا كنا نتحدث في سياق ما عن حصول خاص لهذه الدلالة أي عن وقوع حدث فريد معين في المكان والزمان مما قام به هذا الشخص (وهي في الانكليزية دلالة الحصول السياقي) أم كنا نتحدث عن دلالة نعتبرها في ذاتها في استقلال عن الاستعمال أو غيره، (وفي الانكليزية دلالة صنف) وبهذا الاعتبار ان نظرنا الى الدلالة من حيث هي لم نجد لها بوجه عام مرجعاً محدداً"^(٢).

فحصول الدلالة وإيقاعها هو الذي يكون ذا قيمة مرجعية "وذلك عندما يستخدمها متكلم معين في ظروف وملابسات مخصوصة. أما الدلالة من حيث هي، فنحن لا نتعرفها الا من جهة كونها معنى"^(٣).

ويوضح ذلك (فريجه) بقوله: "اننا لو اكتفينا من معاني القضية بالاعتقاد، كان الذهاب الى أبعد مدى في تحليلنا لمرجع الاسم فضلة زائدة، إذ يغنيها عن ذلك المعنى وحده. ومتى تعلق الأمر بمعنى القضية وحده وبالاعتقاد وحده. كان حرص الإنسان وانشغاله بمرجع جزء القضية أمراً تافهاً، لأنه لو أراد ان يحدد معنى القضية كان ما يجب أخذه بعين الاعتبار منها هو المعنى ولا يحتاج أبداً الى مرجعها. والاعتقاد يظل على حاله ثابتاً مماثلاً لنفسه سواء أكان لاسم (أوليس) مرجع أم لم يكن"^(٤).

ونتيجة لكثرة النقد الذي تعرضت له هذه النظرية كان لابد من البحث عن تفسير أكثر اقناعاً لقضية المعنى حاولت ان تقوم به (نظرية الإشارة) أو (الافكار).

ب- نظرية الإشارة (REFERENCE) أو الأفكار (CONCEPTS):

يعتقد اصحاب هذه النظرية أن المعنى "هو الفكرة المرتبطة بالعبرة في ذهن المتكلم"^(٥).

(١) المرجع والدلالة ١١٦.

وقد حاول (فريجه) ان يتجاوز الإشكال الذي وقعت فيه (النظرية المرجعية) من خلال التفريق "بين مرجع عبارة ما أي ما تشير إليه في الخارج وبين معناها أي الكيفية التي تدل بها على هذا الخارج وهو المعلومات والخبر الذي نقوله عن هذا الخارج حتى يمكن الرجوع إليه ووسمه بسمه خاصة" المرجع والدلالة ٣٦.

وهذه النظرة تنسجم مع ما ذهب إليه فيتغنشتاين وعرف فيما بعد بـ(نظرية الاستعمال) التي أكد فيها عدم النظر "إلى اللغة باعتبارها مجردة وإنما باعتبارها أداة. وما يحدد العبارة اللغوية هو الكيفية التي تستعمل بها والأغراض التي توظف لها" مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٧، ووفقاً لهذه النظرة لا يجب السؤال عن المعنى ونسأل بدلاً عن ذلك عن الاستعمال وترتكز هذه الفكرة على المفهوم السوسيري للقيمة اللغوية. ورغم انسحاب هذه النظرية على كل طبقات العبارات الدالة. إلا انها اثارت حولها ايضاً انتقادات كثيرة. فعلى سبيل المثال يمكننا القول: (القهوة بالحليب) ولا نقول (الحليب بالقهوة) التي تعني ما تعنيه العبارة الاولى أي (الاستعمال لا يؤثر هنا على المعنى). كذلك الألفاظ اللغوية النابية المحرمة الاستعمال والألفاظ الغريبة هي ألفاظ لغوية لها معنى. ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٧، ٢٨٠، والمرجع والدلالة ٣٧.

(٢) المرجع والدلالة ٣٤.

(٣) المرجع والدلالة ٣٥، وينظر: اعتراضات أخرى على النظرية المرجعية في علم الدلالة (بالممر) ٢٣-٣٠.

(٤) المرجع والدلالة ١١٥-١١٦. ومثل هذا يمكن ان يقال لمن اعتقد من العرب القدماء، ان معنى (قام زيد) هو صدور القيام منه، وليس الإعتقاد الذي يفهم من الجملة السابقة. ينظر: المزهر ٤٢/١ وسيأتي بيان ذلك.

(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وبناءً على هذه النظرة فإن "المشار إليه لا يجب أن يكون شيئاً محسوساً قابلاً للملاحظة object (المنضدة) فقد يكون كذلك. كما قد يكون كيفية quality (أزرق)، أو حدثاً action (القتل)، أو فكرة تجريدية abstract (الشجاعة). ولكن في كل حالة يمكن أن نلاحظ ما يشير إليه اللفظ لأن كل الكلمات تحمل معاني، لأنها رموز تمثل أشياء غير نفسها"^(١).

كما أن المشار إليه قد يكون "غير محدد، كما في كلمة (قلم) التي لا تشير إلى قلم معين، لأنها يمكن أن تُطلق على أي قلم، ولذا إقترح بعضهم أن يقال إنها تشير إلى (طبقة الأقلام) أو (نوع الأقلام)، وكذلك الفعل (يجري) الذي يشير إلى نوع يحوي كل أفعال الجري"^(٢).

والمبدأ العام الذي تركز عليه هذه النظرية هو أن العبارة يكون لها معنى "إذا وفقط إذا ارتبطت بفكرة ما، ويكون لعبارتين نفس المعنى إذا وفقط إذا ارتبطتا بنفس الفكرة"^(٣). أي أن العملية المفترضة هي: "الذي خاطر أو فكرة، أصوغ جملة اتلفظ بها أمامك، وحين تسمعها تنتقل إليك نفس الفكرة التي كانت لدي"^(٤).

ومن الواضح أن هذه النظرية تعتمد "مخرجات قضية الدال والمدلول التي بدأ سوسير الحديث عنها، وقد عني بالدال: الإدراك النفساني للكلمة الصوتية، وبالمدلول: الفكرة أو مجموعة الأفكار المقترنة بالدال"^(٥).

فقد تساءل سوسور عن الكيفية التي تدل بها كلمة مثل (شجرة) على معناها وأجاب بأن للكلمة واجهتين:

الأولى: واجهة ذهنية هي ما يتصوره ذهن حينما تقررع السمع.
أما الثانية: فواجهة حسية هي صورة الشجرة الحقيقية المغروسة في الأرض، ويتم الاستدلال بأن يطابق الإنسان بين الواجهتين^(٦).

فالإشارة اللغوية أو (العلامة) عند سوسور "تربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء والتسمية"^(٧) كما كان يعتقد أصحاب النظرية المرجعية، وكلا طرفي الإشارة اللغوية: الصورة الصوتية، الفكرة "هما ذوا طبيعة سايكولوجية، يتحدان في دماغ الإنسان بأصرة التداعي (الإيحاء)..."^(٨).

وأول من طور هذه الفكرة فيما يسمى بالنظرية الإشارية هما: أوغدن ورتشاردز في كتابهما المشهور (THE MEANING OF MEANING) أي (معنى المعنى) الذي أوضح فيه العلاقة بين عناصر الدلالة (الدال، المدلول، الشيء) بالمثلث الآتي:

(١) علم الدلالة (عمر) ٥٦-٥٥.

(٢) علم الدلالة (عمر) ٥٦.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٤.

(٤) مدخل إلى الدلالة الحديث ٢٤.

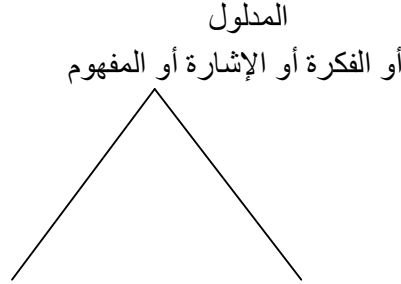
(٥) علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ٩٤، وينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٣.

(٦) في علم اللغة (طليمات) ٢١٠، وينظر: علم اللغة العام ٨٤ وما بعدها.

(٧) علم اللغة العام ٨٤-٨٥.

(٨) علم اللغة العام ٨٤.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾



الدال -----المرجع

أو (العلامة) أو الرمز أو الشيء الخارجي المشار إليه

فالدال أو الرمز هو العنصر اللغوي (الكلمة أو الجملة)، والمدلول أو الإشارة هو المفهوم، والمرجع أو (المشار) هو الشيء في عالم الخبرة. وكما تقول النظرية ليس هناك إرتباط مباشر بين (الدال) و(المرجع) أي (بين اللغة والعالم) ويمر الربط عبر الفكر أي: عبر مفاهيم عقولنا^(١). لذا فإن الجانب الذي ينبغي التركيز عليه هو الجانب الأيمن من المثلث الذي يربط بين (الدال) و(الفكرة) كما يشير (أولمان) لأن العلاقة المتبادلة بينهما تمكن كل واحد من إستدعاء الآخر^(٢).

والعلاقة بين الدال أو (الرمز) والفكرة هي علاقة إعتباطية أو عرضية كما توصف في بعض الأحيان. أما العلاقة بين الفكرة والشيء فقد تكون مباشرة حين نفكر في شيء ملون مثلاً حين نراه، أو غير مباشر حين نفكر في نابليون مثلاً^(٣).

ولا تقتصر الفكرة أو المفهوم على ما يدرك بصرياً بل تشمل ما يدرك بالحواس الأخرى بصورة ملموسة أو مسموعة كما تشمل المدركات العقلية والمفاهيم المجردة مثل الشجاعة والحرية والمروءة^(٤) وهو ما لم تشمله نظرية المرجعية. وإذا أردنا ان نأخذ مثلاً يوضح العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة: الدال، المدلول، المرجع، فإن (فرس) علامة أو (دال) على المفهوم (فرس) حتى في حالة غيابه "فالفرس

^(١) ينظر علم الدلالة (بالمر) ٣١، وعلم الدلالة (عمر) ٥٥، والعلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٣، وعلم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ٩٤.

ويشير إميرتوايكو إلى ((ان الحس _الشيء الذي يتقاسمه الناس جميعاً_ يتفق مع التوزيع الثلاثي، ولا يستعمل نفس المفاهيم، فالبعض ذهب إلى حد إعتبار (المدلول) مرجعاً واعتبر (المعنى) ما نطلق عليه نحن (المدلول). ومثلاً bedeuteng عند (فريجة) ترجع إلى (مدلول) أو (معنى) عند البعض، وترجع إلى مرجعية عند البعض الآخر)) وهو يعتقد ((ان هذه الاختلافات قد تكون منهجية محضة، وقد تخفي أحياناً أخرى اختلافات حقيقية في المنطقات)) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٤-٥٥، وينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٤ وما نبه إليه إيكو من اختلاف المصطلحات التي تمثل رؤوس المثلث يبدو واضحاً في الترجمات العربية أيضاً التي اجتهد فيها مترجموها ولم يتفقوا على مصطلحات موحدة. وما أثبتته هنا هو الأكثر استعمالاً والأقرب إلى الفهم فيما أظن. مع ملاحظة ان استعمال (الرمز) symbol للتعبير عن (الدال) أو (الصورة الصوتية) كما يسميها سوسور غير محبذ عند بعض اللغويين وعلى رأسهم (سوسور) لأنه ((لا يتفق مع صفة الإعتباطية. فمن مميزات الرمز أنه لا يكون إعتباطياً على نحو كلي، فهو ليس فارغاً: إذ هناك جذور رابطة طبيعية بين الدال والمدلول فرمز (العدالة): الميزان، لا يمكن استبداله إعتباطياً بأي رمز آخر كالعربة مثلاً)). علم اللغة العام ٨٧.

^(٢) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٦٤.

^(٣) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٥٥. ويذكر المؤلف أن الفكرة أو (المدلول): ((يدخل فيها الانفعالات والإتجاهات وبخاصة بالنسبة للغات البدائية التي لا تهتم _في المقام الأول_ بالأفكار)) ٥٤.

^(٤) ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٤-٨٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الحاضر، أو كل الأفراس الموجودة، أو التي وجدت أو التي ستوجد في العالم كلها ستشتغل كمرجع للدال: فرس" ^(١).

وبناءً على ما تقرره النظرية يمكن ان تكون هناك (علاقة) أو (دال) يرمز الى مفهوم معين وان لم يكن هناك ما يشير إليه في الخارج فعلياً مثل الدال (قارن) المعروف في بعض الأساطير الاجنبية، ومثله (العنقاء) أو (الغول) في التراث العربي. فانها تشير الى مفهوم ذهني أو صورة ذهنية لا وجود لها في حقيقة الواقع، وبالمثل عندما نستعمل (جملة) للتعبير عن قضية لا وجود لها في الحقيقة، كإن نكذب بشأن مسألة ما أو نتحدث فيها عن قضية خيالية لا وجود لها كالتى في جملة: (رجع سندباد من رحلته الطويلة الى بغداد). ولهذا يشار الى العلاقة بين الدال والمرجع وهو الشيء الذي يوجد في الواقع الخارجي بخط متقطع كما في رسم المثلث السابق لأن طبيعة العلاقة التي تربط بين (الدال) وما يشير إليه في العالم الخارجي الواقعي علاقة غامضة وهي على العموم إعتباطية فليس هناك سبب يجعلني اطلق اسم (فرس) على (الفرس) بدلاً من (HORSE) بالإنكليزية ^(٢).

وما تطرحه هذه النظرية ليس بعيداً أيضاً عن مناقشات الاغريق فالتمييز بين هذه العناصر الثلاثة: الأشياء في العالم الخارجي، والتصورات التي تمثل المعاني، والأصوات التي تمثل الرموز والكلمات، مما تحدث عنه أرسطو الذي ميز أيضاً بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل وهو ما أصبح فيما بعد الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى، وكان السؤال عن حقيقة المعنى وهل هو الفكرة أو شيء آخر غيرها، من أهم القضايا التي دارت حولها المناقشات في هذه الحقبة ^(٣).

والتفسير الذي تتبناه نظرية الإشارة للمعنى من خلال ربطه بالأفكار يحاول ان يتجنب ما سقطت فيه (النظرية المرجعية)، والانتقادات التي وجهت إليها، إذ "لو اعتبرنا المعاني عين الأفكار المرتبطة بها (وهو طرح نظرية الأفكار) فإنه سيبدو لنا أننا حققنا ربحاً" ^(٤).

وتتجنب هذه النظرية "كثيراً من مشاكل التسمية، فالتصنيف مثلاً لا يحتاج لأن يكون طبيعياً أو عمومياً، بل يكفي أن يكون مفهوماً" ^(٥).

كما لا يمكن الإعتراض عليها بوجود تسميات أو دوال مختلفة لشيء واحد أو مرجع واحد "فنجم الصباح هو عينه نجم المساء، الا ان فكرة نجم الصباح ليست هي فكرة نجم المساء" ^(٦). وهي لا تتناقض مع وجود كلمات أو جمل تتحدث عن أمور كاذبة أو خيالية أو وهمية لا وجود لها في الخارج.

الا ان ما يبدو سائغاً ومقبولاً للوهلة الأولى، ماهو الا قضية خادعة. فما تثيره هذه النظرية من اعتراضات ليس أقل مما تثيره سابقتها (نظرية المرجعية).

فقولنا أن المعنى (هو عينه الأفكار) يلزمنا بتحديد المقصود بـ(الأفكار) أولاً "فالأفكار نفسها كيانات غامضة، كيانات مجردة تحتاج الى قيام الإستدلال التجريبي عليها نفسها" ^(٧).

^(١) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٣.

^(٢) ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٣-٥٤.

وبلاحظ اننا لو بقينا في حدود تصور سوسور للعلامة على انها (دال ومدلول) سيكون (المرجع) في يسار المثلث لا موقع له في اللسانيات، الا ان العلاقة بين هذه العناصر أكثر تعقيداً من ذلك كما يشير إيكو: ٥٥.

^(٣) علم الدلالة (عمر) ١٧، تعرض لهذه القضايا (أفلاطون) أيضاً في محاوراته عن استاذة (سقراط) وللهنود مباحثات لا تقل شأناً فقد عالجوا في وقت مبكر كثيراً من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل وناقشوا كثيراً من القضايا التي تعد اليوم من أهم مباحث علم الدلالة. ينظر: ١٨.

^(٤) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

^(٥) علم الدلالة (بالمر) ٣٢.

^(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٤.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

إذ من الواضح جداً "أن الأفكار لا يمكن (الامساك بها) شأنها في ذلك شأن المعاني نفسها التي نحاول ربطها بها"^(١).

فالاعتقاد بأننا حينما نفكر في إسم ما فإننا نفكر في مفهوم ما والعكس بالعكس، وإن المعنى يتألف من قابليتنا على ربط أحدهما بالآخر أو بالأحرى من ممارستنا لهذا الربط أمر غير مرض لكثير من اللغويين ومن ضمنهم (بالمر)^(٢) لأن الربط لا يكون على أساس تذكر ان الاسم (كرسي) مثلاً يشير الى المفهوم (كرسي). "فمن ذهننا صورة بشكل ما للكراسي عندما نتكلم عن الكراسي. لكن هذا ليس صحيحاً إطلاقاً. بوسعي أن اتصور كرسيّاً في مخيلتي، لكنني لا أفعل ذلك في كل مرة أطلق فيها كلمة (كرسي). فان كان هذا جزءاً ضرورياً من الكلام فسيكون مستحيلاً ان نلقي محاضرة عن اللسانيات إذ ماذا سأتصور بالضبط؟"^(٣).

ويرى (بالمر) أننا حتى لو افترضنا وجود صورة انطباعية لي حينما أفكر في اللسانيات "فإنها ستكون حتماً مختلفة عن صور الناس الآخرين وخاصة طلبتي، من الاسلام اذن ان نقول ان المقصود هو ان أربط تفوهي لكلمة (كرسي) بمفهوم أكثر تجريباً، لكن هذا لا ينفع كثيراً. إذ ما هذا المفهوم المجرد؟ ما لون الكرسي؟ ما حجمه؟ ما شكله؟"^(٤).

ومن أهم المشكلات التي تواجهها نظرية الأفكار (أو الصور الذهنية) هي "معرفة الأشكال التي تتخذها هذه الصور الذهنية. من المؤكد ان هذه الصور ليست بصرية. ولكن لننظر على الرغم من ذلك الى صورة مثلث متساوي الأضلاع. اذا كانت هذه الصورة قد تمثل عندي معنى اللفظ (مثلث)، فلما ان هذا اللفظ يعني المثلث المتساوي الأضلاع فقط، واما انه ملتبس بحسب صورته، هل هي صورة لمتساوي الأضلاع أم لمتساوي الساقين أو لمختلف الأضلاع. ومعلوم ان أحد الامكانين يلغي الآخر"^(٥) وليس بين المثلثات "صورة توافق ما تشترك فيه هذه المثلثات ولا يملك أحد أنواع المثلثات (المتساوي الاضلاع أو المتساوي الساقين أو المختلف الأضلاع) كل خصائص المثلثات الممكنة"^(٦).

فالفكرة أو الصورة الذهنية هي شيء متغير ومختلف باختلاف الأشخاص وليس بالضرورة أن ما يعني شيئاً لي يعني التخيل الذهني نفسه لشخص آخر^(٧) فلفظ (كرة) قد يعني لي "في يوم من الأيام خيبة الأمل إذا كنت أود أن أصير لاعب كرة مرموقاً، وقد يذكرني بجذتي التي كانت تهديني كرة في كل مناسبة لميلادي، وقد أربط هذه اللفظة بأي صورة ذهنية. فلا يوجد ترابط ما بين ما نتخيله وبين معاني العبارات التي نسمعها أو نتلفظ بها. وقد لا توجد صورة ذهنية قد تستخدم لتفسير معاني الفاظ مثل (كيف) أو (رغم) أو (كي)... الخ"^(٨). وقد تكون هناك أكثر من صورة توافق عبارة واحدة وربما اشتركت عبارتان في الصورة نفسها^(٩).

(١) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٦.

(٣) ينظر علم الدلالة (بالمر) ٣٢.

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٣٢.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٣٢.

(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٥.

(٧) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٥.

(٨) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليّاً ٨٥.

(٩) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٤.

(١٠) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ومن أجل هذه الانتقادات هناك من تبني تصوراً آخر للربط بين الأفكار والمعنى لا يرى "الرابطة شيئاً نكوته كل مرة سنتستعمل فيها الكلمة بل نوعاً من الرابط الدائمي مخزوناً في العقل والدماع"^(١)، إلا أن هذا الرأي أيضاً كما يعتقد (بالمر) صعب ولا يقول شيئاً في الواقع وأن "كل ما تفعله هذه النظرية أنها تقيم في مكان يعسر سيره كيونات يتضح من تعريفها أنها صورة انعكاسية للكلمة التي يفترض بها أن تشرحها وحينما تكون كلمة فهناك مفهوم، وسيكون المفهوم معنى تلك الكلمة وهذا بوضوح تعريف (دائري) تماماً للمعنى"^(٢).

من جهة أخرى "لا يمكن أن يكون معنى اللفظ هو الفكرة المرتبطة به على الأقل بالمعنى القريب لللفظ (فكرة). فالأفكار قد تكون جيدة أو سيئة أو مأكرة... الخ أي (لها قيم)، ومعنى لا يمكن أن تكون له هذه الخصائص"^(٣).

والاعتراضات والانتقادات السابقة جميعها تؤكد أن الحديث عن معنى الجملة في ضوء نظرية الإشارة أو الأفكار ليس بأفضل حالاً من الحديث عنها في ضوء نظرية المرجعية أو التسمية "فكلتا الصيغتين الأولية والمعقدة في هذه النظرية غير مجديتين. وطبعاً عندما أقول: (في الحقل حصان) فليس ثمة سبب للاعتقاد بأنني أفكر عملياً بمفهوم ما، في حين أن تعريفاً بموجب المفاهيم الأزلية المجردة لا يقول مرةً أخرى أي شيء أبداً، بل يكتفي بتفسير المعنى بصورة الانعكاسية المفترض وجودها في مكان لا يمكن الوصول إليه"^(٤).

وهذا ما يجعلنا أمام معضلة "مفادها أن عدم قدرتنا على تعيين الأفكار التي قد تفسر المعاني ليست متعلقة بعدم ضبط الأفكار، أو الافتقار إلى نظرية نفسية كافية بخصوص الأفكار، بل لأننا نحتاج إلى ضبط الشروط التي تتيح تعيين معاني العبارات اللغوية عن طريق شروط تعيين الأفكار. وإذا كان الأمر كذلك فإن المعاني قد تستعمل لتعيين الأفكار، أما الأفكار فلا يمكن أن تستعمل لتعيين المعاني"^(٥).

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن ما يمكننا قبوله من نظرية الإشارة هو "إمكان إقامة ربط نصوغه بصورة غير مباشرة فنقول مثلاً: أن معرفة اللفظ تقتضي وجود (فكرة) ترتبط به"^(٦). وبهذا تجيب النظرية عن نقطة من النقاط التي يسعى إلى الإجابة عنها (علم الدلالة) وهي "الاهتمام بكيفية تمكين المعاني الناس من تبادل المعلومات بخصوص الأحداث والأشياء التي يعيشون بينها"^(٧). وأن لم تتمكن من الإجابة عن السؤال الجوهرى: ماهو المعنى؟

(١) علم الدلالة (بالمر) ٣٣.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ٣٣.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٢.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٣٣-٣٤.

(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٥.

(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٢.

(٧) مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٧.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وبرغم الإنتقادات الكثيرة التي وجهت الى النظرية الإشارية لم يزل هناك من يصر على تقبل وجهة النظر المفهومية للمعنى معتقداً ان "هذا جزء من العقلانية الجديدة التي تصر احدى ادائها الأساسية على ان تلعب الفطرة والاستبطان دوراً كبيراً في دراسة المعنى"^(١). وآراء هاتين النظريتين: الإشارة والمرجعية. كانت سبباً في النقد الذي وجهه بلومفيلد الى دراسة المعنى وفي قوله (ان قضية المعنى هي أضعف نقطة في دراسة اللغة) كما يذكر بعض اللغويين الأجانب^(٢) وقد قدم بلومفيلد تفسيراً بديلاً من خلال نظريته التي عرفت بـ(النظرية السلوكية) معتقداً ان المعنى "هو الحافز الذي يدعو الى التلطف بالعبرة و/أو الاستجابة السلوكية التي تحدثها العبارة"^(٣).

ولم ينج هذا التفسير أيضاً من النقد الشديد لأن "المعنى ليس الحافز أو الاستجابة السلوكية المرتبطة به. ان ما يحدث تلفظنا بعبارة (النجدة) بصورة نموذجية هو الشعور بالخطر أو ما شابه، والاستجابة الانموزجية هي الإسراع الى إغاثة المتلفظ بها. الا أن معنى عبارة (النجدة) ليس هو الخطر أو التواجد في موقع الخطر أو مهمة الإغاثة. ان الخطر امر نتجنبه وقد نقع فيه، وإغاثة شخص في خطر قد تتجح وقد لا تتجح. اما المعنى فلا يمكن ان يكون هذا ولا ذاك"^(٤).

ويرى الباحثون الأجانب انفسهم أن النظريات الثلاث: المرجعية والإشارة والسلوكية "تشكو من بعض الثغرات، وربما كانت خاطئة تماماً"^(٥). وعلى الرغم من هذا ظل الباحثون يشتغلون بها لمدة ليست بالقصيرة. لكنهم يرون ايضا ان هذه النظريات ان لم تسعنا في فهم ما هو المعنى فقد تسعنا في معرفة ما ليس هو المعنى^(٦).

ج - نظرية المرجعية ونظرية الإشارة بين التراث العربي والدارسين المعاصرين:

يرى بعض الباحثين والدارسين العرب المعاصرين مثل د. محمد محمد يونس أن هناك جذوراً لنظرية الإشارة في التراث العربي القديم، ويستدل على ذلك بأن تعريف المعنى عند المتقدمين هو "إِما (مفعول) _ كما هو ظاهر _ من (عني يعني) إذا قصد المقصد، وإما مخفف (معني) بالتشديد. اسم

(١) علم الدلالة (بالمر) ٣٤.

(٢) نسب (روبنسن) إلى بلومفيلد استبعاد المعنى باعتباره خارج المجال الحقيقي لعلم اللغة. وهو ما يرفضه لغويون آخرون مثل (فولر) الذي يرى ان (روبنسن) لم يكن منصفاً فيما نسبته إلى بلومفيلد وأن الأخير كان يقصد بنقده ما جاءت به إحدى هاتين النظريتين أو كليهما معاً، فالنظرية المرجعية تربط المعنى بالموجودات الخارجية وهو ما يتطلب ان نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم والمعرفة الانسانية أقل من ذلك بكثير. ونظرية الإشارة تربط المعنى بالأفكار الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين وهو ما كان يرفضه بلومفيلد الذي كان يشك في كل المصطلحات الذهنية ويركز على الأحداث التي يمكن ملاحظتها فقط. ويشير (فولر) إلى ان (بلومفيلد) كان يرى ان المعنى لا يمكن تجاهله في مستويات التحليل اللغوي المختلفة. ينظر: علم الدلالة (عمر) ٢٦.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١، وينظر وصف اللغة دلاليًا ٩٦ وما بعدها.

(٤) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٢. ولم أجد من الباحثين اللغويين العرب من تبني معطيات هذه النظرية في دراسة معنى الجملة العربية وأغلب الدارسين العرب يكتفي بالتعريف بما جاءت به هذه النظرية والنقد والاعتراضات التي أثرت حولها. لهذا اكتفيت هنا بأن أشير لها إشارة عابرة. وينظر فيما يخص هذه النظرية: علم الدلالة (بالمر) ٦٦ وما بعدها، وعلم الدلالة (عمر) ٥٩ وما بعدها، ومدخل إلى الدلالة الحديثة ٢٦-٢٧.

(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

(٦) ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٢١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

مفعول منه، أي المقصود، وأياً ما كان لا يطلق على الصورة الذهنية من حيث هي، بل من حيث أنها تقصد من اللفظ^(١).

ويستدل أيضاً بقول الشريف أن المعاني "هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ. والصور الحاصلة في العقل فمن حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى. ومن حيث أنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً، ومن حيث أنه مقول في جواب (ما هو) سميت (ماهية)، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث إمتيازها عن الأغيار سميت هوية"^(٢).

كما يستدل بقول أبي حامد الغزالي في بيانه لرتبة الألفاظ من مراتب الوجود أن "للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس مطابق لما هو مثال له في الحس وهو المعلوم. وما لم يظهر هذا الأثر في النفس لا ينتظم لفظ يدل به على ذلك الأثر"^(٣).

ولست أختلف مع الدكتور يونس في وجود جذور لنظرية الإشارة في تراثنا العربي، وقد صرح كثير من اللغويين العرب القدماء بأن "الألفاظ أوعية تحمل الأفكار، وتنقلها من عقل الى لسان، ومن لسان الى عقل، وان لكل كلمة مبنى هو الصورة المسموعة أو المرسومة لها. ومعنى فكرياً هو الدلالة المستقرة في هذه الصورة كما تستقر الروح في الجسد"^(٤).

وفضلاً عن الشريف الجرجاني وأبي حامد الغزالي هناك قول حازم القرطاجني (ت ٦٨٤م) في تعريف المعاني بـ ((أنها الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان))^(٥) وقوله هذا قول عام ينطبق على الكلمات المفردة. وعلى المركبات: (العبارات والجمل).

الا أن الرأي القائل بأن المعنى هو المفهوم أو الفكرة _ كما تقرره نظرية الإشارة _ ليس هو الرأي الوحيد في تراثنا العربي إذ ينقل السيوطي اختلاف القدماء في كون "الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، أي الصورة التي تصورها الواضع في ذهنه عند إرادة الوضع، أو بإزاء الماهيات الخارجية"^(٦).

وممن ذهب الى الرأي الأول (الصورة الذهنية) فخر الدين الرازي وأتباعه، وممن ذهب الى الرأي الثاني (الماهيات الخارجية) أبو إسحاق الشيرازي^(٧).

وهناك رأي ثالث ينقله السيوطي عن الأسنوي وهو "أن اللفظ موضوع بإزاء المعنى من حيث هو مع قطع النظر عن كونه ذهنياً أو خارجياً، فإن حصول المعنى في الخارج والذهن من الاوصاف الزائدة على المعنى، واللفظ إنما وضع للمعنى من غير تقييده بوصف زائد، ثم إن الموضوع له قد لا يوجد الا في الذهن فقط كالعلم ونحوه"^(٨).

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٧٨، وينظر: لسان العرب ٣١٤٦.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٧٩.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٧٩.

(٤) في علم اللغة (طليمات) ٢٠٨، وينظر مثلاً العمدة ١٣١/١-١٣٥.

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ١٨. وينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٠.

(٦) المزهر ٤٤/١.

(٧) ينظر: المزهر ٤٥/١، ومن أصحاب الرأي الأول: ابن سينا والفارابي. ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٠.

(٨) المزهر ٤٥/١، وقول الأسنوي (ان الموضوع له قد لا يوجد الا في الذهن فقط). يذكر بالا اعتراضات السابقة التي ذكرناها حول النظرية المرجعية.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

فالعرب مختلفون "في نوع المثير الذي يستثير الدلالة في الذهن أهو الصورة الذهنية المجردة، أم الصورة الحسية الواقعية؟"^(١). أو أن المعنى هو المعنى بصرف النظر عن الذهن والواقع كما يفيد الأسنوي الذي اختار هذا الرأي _لرؤيته أن بعض المعاني لها وجود في الواقع وفي الأذهان، وبعضها الآخر لا وجود له إلا في الأذهان فقط. وهو رأي غامض لأنه يعتمد في تفسيره للمعنى على المعنى نفسه.

وبناءً على التفسيرين الأولين يتنازع الرأي العربي كلتا النظريتين الإشارة والمرجعية، ومن يعتقد أن معنى (قام زيد) هو: فهم صدور القيام منه^(٢) هو أقرب إلى نظرية الإشارة، ومن يعتقد أن معنى (قام زيد) هو: صدور قيامه^(٣) هو أقرب إلى نظرية المرجعية.

وما اختلف فيه مع د. محمد محمد يونس لا يقتصر فقط على عدم إشارته إلى وجود جذور لنظرية المرجعية في التراث العربي أيضاً، وإنما يتعدى ذلك إلى مسائل أكثر أهمية، فقد خلط الدكتور يونس بين النظريتين خطأ واضحاً وقدمهما على أنهما نظرية واحدة تحت مسمى (نظرية الإشارة) معتقداً أن هذه النظرية تدرس المعنى في ضوء ما هو موجود في العالم الخارجي وما هو موجود في الذهن مع أن تفسير المعنى في ضوء الموجودات الخارجية في العالم هو ما تبنته نظرية المرجعية أو التسمية _كما تقدم_ فهذه النظرية هي التي تربط (الدال) بـ(الشيء) الموجود في العالم، على العكس من نظرية الإشارة أو (الأفكار) التي تعتقد أن العلاقة بين (الدال) و(الشيء) أو المرجع الخارجي علاقة غامضة وليست كما هي الحال في علاقة (الدال) بـ(الفكرة) أو (المفهوم)، وبعد أن خلط د. يونس بين النظريتين تحت مسمى نظرية الإشارة جعل مجال دراسة الأخيرة قاصراً على الدلالة المعجمية ولا أدري إلى أي شيء إستند هذا الأستاذ الفاضل في ذلك كله يقول: "ما ساركز عليه في إطار دراسة نظرية الإشارة هو الدلالة المعجمية لأنها هي التي ينبغي أن تكون الموضوع الأساسي لهذه النظرية التي تركز في دراسة المعنى على ما هو خارج اللغة (أما في العالم الخارجي أو في الذهن) أما المعاني القواعدية فلا تكتسب القدرة على الإشارة إلى ما هو موجود في الخارج أو في الذهن إلا بانضمامها إلى وحدة معجمية. كما في أداة التعريف (ال) وكما في الصيغة الصرفية كصيغة (فاعل) و(مفعول) ونحوها مما لا يحيل على شيء في الخارج إلا إذا إنضم إلى وحدة معجمية نحو (ر ج ل) و(ض ر ب)..."^(٤).

ومن الواضح من خلال عرضنا السابق لتفاصيل النظريتين والاعتراضات التي أثّرت حولهما أن كلتا النظريتين لم تكونا قاصرتين في معالجتهم على الدلالة المعجمية وإنما شملت المركبات والجمل كما تبين ذلك الأمثلة التي أوردناها، واستثناء الدكتور يونس للمعاني القواعدية بذريعة عدم إمكان أن تشير إلى شيء في الخارج يدعو إلى التساؤل عن النظرية التي ينطلق في رأيه هذا من أسسها هل هي المرجعية أو الإشارة _في الواقع هما نظرية واحدة من منظوره هو_ كما يدعو إلى التساؤل حول إمكانية ورود جملة تتألف من معاني قواعدية فقط وتخلو من أية معاني معجمية، مما يبرر استبعادها من الدراسة، وهو ما لم تدع إليه أي من النظريتين. فضلاً عن كونه يتناقض مع

(١) في علم اللغة (طليمات) ٢١٠-٢١١.

(٢) ينظر المزهري ٤٢/١.

(٣) ينظر: المزهري ٤٢/١.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ٧٨، ولا أدري كيف لا تملك المعاني القواعدية الإشارة إلى شيء في الذهن كما في قول د. يونس السابق. وكيف يكون الموجود في الذهن موجوداً خارج اللغة في الوقت الذي يكمن فيه وجود اللغة في الذهن نفسه. ومن الواضح أن هذا الكلام يخلو من الدقة وينطوي على تناقض كبير. أما سبب الخلط بين النظريتين فهو فيما أظن اختلاف مفهوم المصطلح الانكليزي (reference) بحسب مستعمليه فمن الأجانب من وضعه في مكان المدلول من المثلث، ومنهم من وضعه في مكان المرجع (الشيء) ولعل هذا ما أربك د. يونس. ينظر العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ٥٤-٥٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

مفهوم (العلامة المركبة) الذي اعترف به الدكتور يونس نفسه ودعا إلى اعتماده كما رأينا في الحديث عن الجملة العربية وعلم العلامات.

ويعتقد الدكتور يونس أن تفريق الفلاسفة بين الجزئي الذي يمنع نفس تصور معناه من وقوع الشركة في مفهومه كما في: زيد، وهذا الشجر، وهذا الفرس، وأسماء الإشارة، والنكرة المقصودة، وضمير المخاطب والمتكلم. والكلي الذي لا يمنع نفس تصور معناه من وقوع الشركة فيه كما في: الانسان والفرس والشجر وأسماء الأجناس والأنواع له علاقة وطيدة بنظرية الإشارة لما يترتب على الاختلاف بين الجزئي والكلي من اختلاف الصورة الذهنية والمرجع تبعاً لنوع اللفظ المستعمل من حيث الكلية والجزئية^(١).

ويشرح الفرق بين الموجود العيني في الجزئيات والموجود العيني في الكليات بأن "الأول منهما له وجود خارجي شخصي والثاني وجوده الخارجي كلي، ويتبع هذا الفرق اختلاف تصور المفهوم في كل منهما، فإذا كان المفهوم في الجزئيات صورة شخصية تثبت في الذهن فإنه في الكليات صورة مجردة عارية عن العوارض المخصصة"^(٢).

فعند استعمال اسم (زيد) مثلاً تثبت في الذهن صورته الشخصية. وعند استعمال كلمة (إنسان) مثلاً فإن الصورة التي ترد إلى الذهن هي صورة مجردة تمثل القاسم المشترك لجميع الأفراد الموجودين بالفعل والذين يمكن ان يوجدوا في كل زمان ومكان^(٣).

ولعل القصد من وراء ذكر هذه التفاصيل أن د. يونس أراد التنبيه إلى إدراك العرب إلى ان الصورة الذهنية قد تكون لما يمكن وجوده في الأعيان وقد تكون صورة ذهنية مجردة وهذا حق لا يمكن إنكاره. وقد حاول الدكتور الإفادة من هذا التفريق بعد أن استبعد (المرجع) وركز على المفهوم يقول "وبما ان المرجع لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بالذات. فسأقول: ان مدلول وحدة معجمية ما هو مفهومها، بيد أنني سأضطر إلى التفريق بين ما يدل دلالة عامة وما يدل دلالة خاصة"^(٤).

وهو لا يرى ان اختلاف المفاهيم باختلاف الأشخاص يمثل مشكلة لأن "كل مستخدم للغة يلخص من مجموع الخبرات السابقة لكلمة ما قاسماً مشتركاً قد يختلف عن الصور الأخرى لدى متكلمي آخرين، غير أن هذا الاختلاف ضئيل بحيث لا يؤثر على القدر الكافي لحصول التفاهم بين أبناء البيئة اللغوية الواحدة في الغالبية الساحقة من إستعمالات اللغة"^(٥).

وعلى الرغم من اعتقاد د. يونس أن مجال (نظرية الإشارة) يقتصر على دراسة الدلالة المعجمية الا أنه يعتقد ان هذا التفريق الذي تبناه بين الدلالة المعجمية العامة والدلالة المعجمية الخاصة "يدعو إلى التفريق من ناحية أخرى بين الجملة والقولة"^(٦) أي يمكن الإفادة منه في دراسة دراسة دلالة الجملة.

(١) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٨١.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٢.

(٣) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٢.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥.

(٥) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥. وهذا القول لا يعد كافياً إذ يتوجب أولاً تحديد هذا القدر الكافي والكيفية التي تم من خلالها ذلك، كما يتوجب عليه الإجابة على جميع الاعتراضات التي أثارت حول نظرية الإشارة لتبنيها هذه الفكرة.

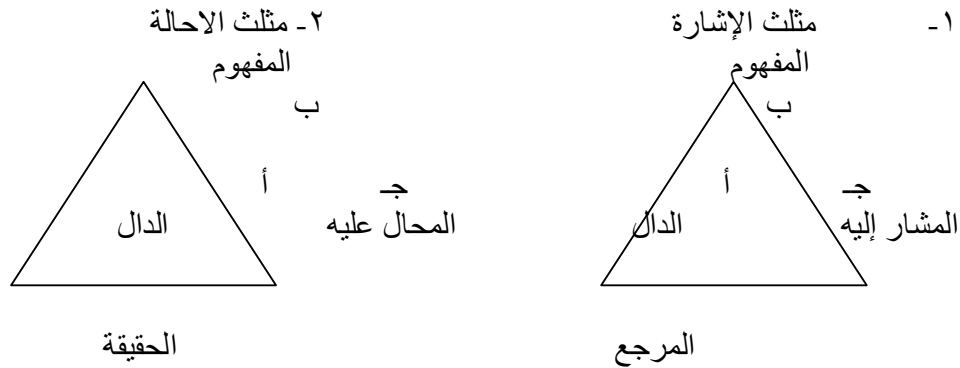
(٦) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ويستعمل الدكتور يونس مصطلح (الجملة) للإشارة إلى الدلالة العامة التي تعني "كيانات مجردة معزولة عن السياق أي انها ليست مقيدة بأي زمان أو مكان معين، إنها وحدات في نظام اللغة الذي تنتمي إليه"^(١) أما (القولة) فيريد بها الدلالة الخاصة و"هي مقيدة بسياق معين ومعناها هو نتاج لمعنى الجملة والسياق معاً"^(٢).

والمثال الذي يوضح من خلاله ذلك هو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ _ آل عمران ٣٦/٣، ف"باعتباره جملة يفهم منه نفي أن يكون الذكر كالأنثى وكل من الذكر والأنثى في هذه الحال هو مفهوم عام يصدق الأول منهما على كل ذكر، ويصدق الثاني على كل أنثى، بغض النظر عن السياق الوارد فيه. كما أن النفي (أي نفي أن يكون الذكر كالأنثى) عام من جميع الوجوه. إذ ليس هناك في هذه الحال تخصيص فالمخصص هو السياق، والسياق ليس مأخوذاً بعين الاعتبار في حال النظر إليها باعتبارها جملة. أما إذا نظرنا إليها باعتبارها قولة في سياق فسيكون المعنى حينئذٍ ليس الذكر الذي كانت تطلبه امرأة عمران وتخيّل فيه كملاً قصاراه أن يكون كواحدٍ من السدنة كالأنثى التي وهبتها"^(٣).

وقد وضح الفرق بين دلالة المفردات المعجمية العامة والخاصة بمثلثين اقتبسهما من مثلث الإشارة، أطلق على الأول مثلث (الإشارة) ويمثل دلالة المفردات المعجمية لـ(القولة)، وأطلق على المثلث الثاني مثلث (الإحالة) ويمثل دلالة المفردات المعجمية لـ(الجملة):



ويمكن الفرق بين المثلثين في الركن الثالث منهما (ج) الذي يطلق عليه في مثلث الإشارة (المشار إليه أو المرجع) ويطلق عليه في مثلث الإحالة (المحال عليه أو الحقيقة)^(٤). وإذا عدنا للآية السابقة فإن كلمة الذكر وكذلك الأنثى عندما تعزل عن سياقها "ستحيل على كل من انطبقت عليه صفات الذكر بغض النظر عن السياق الوارد فيه وستكون دلالتها عامة في هذه الحال، أما إذا نظرنا إليها في السياق الواردة فيه فقط فستشير إلى الذكر الذي طلبته امرأة عمران

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥، وقد أشرنا إلى أن دراسة دلالة الجملة مما تُعنى به كلتا النظريتين: المرجعية والإشارة على عكس اعتقاد د. يونس إلا أن ما يذكره هنا محاولة خاصة منه تبتعد عن هدفها الأساس وسنأتي إلى بيان هذا.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥-٨٦.

(٤) ينظر وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٧. وقد استعمل هنا مصطلح الإشارة وأراد به المرجع الخارجي (الشيء)، والإحالة وأراد بها (الفكرة) أو التصور القائم في الذهن.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

دون غيره _ إذا اعتبرنا (ال) للعهد، أو إلى الذكر الذي ينتمي إليه ما طلبته امرأة عمران _ إذا اعتبرنا (ال) للجنس^(١).

ويلاحظ أن السياق الذي يعنيه الدكتور يونس هو السياق بـ "مفهومه الواسع الذي يشمل سياق النص والسياق الخارجي الذي يشتمل على كل ملاسبات القولة"^(٢).

وخلاصة الفكرة عنده "أن القولة مقيدة بسياق معين، وبناء على ذلك فإن إشارات وحداتها المعجمية هي إشارات خاصة وليست عامة. فدور السياق عادة هو التخصيص والتحديد إلى أقصى حد ممكن. على أنه ينبغي ألا يفهم أن (القولة) مقتصرة على التعبيرات الجزئية، والجملة على التعبيرات الكلية، فليس ذلك شرطاً. والآية السابقة نفسها يجوز أن تكون (ال) فيها للجنس حتى باعتبارها قولة في سياق، ويكون المعنى حينئذٍ (ليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت) فالمدار إذن في التفريق بين الجملة والقولة هنا هو الاستقلال عن السياق أو التقيد به، وليس الاشتمال على تعبيرات جزئية أو كلية"^(٣).

ومن الواضح جداً أن الدكتور محمد محمد يونس في تحليله السابق المبني على التفريق بين الجملة والقولة قد إبتعد كل البعد عن أسس نظرية الإشارة ليلج بهذه التفاصيل إلى ثنايا نظرية أخرى هي نظرية السياق وقد ذكر هو نفسه أن دراسة معنى (الجملة) تدخل في نطاق علم الدلالة أما معنى القولة فهو جزء من علم التخاطب^(٤).

وهكذا لم يكتف بالخلط بين نظريتي المرجعية والإشارة وهو ما يبدو واضحاً من الانتقادات التي ذكرها حول (نظرية الإشارة) وهي بمجملها الاعتراضات التي أثّرت حول (النظرية المرجعية). وإنما خرج في حديثه إلى قضايا تعنى بها نظريات أخرى مثل نظرية السياق والدراسات التداولية أي أنه دمج نظريات عدة وخلط في تحليله فيما بينها مبتعداً عن هدف النظرية الأساس التي كان بصدها. فما ذكره د. يونس والقضايا التي شغل بها وطريقة تحليله للمعنى لا علاقة لها بالهدف الأساس الذي كانت نظرية الإشارة تحاول الوصول إلى نتيجة مرضية بشأنه وهو محاولة الإجابة عن السؤال الجوهرى (ما هو المعنى؟).

مع ضرورة ملاحظة أن كلتا النظريتين : الإشارية والمرجعية لم تستثن الجملة في دراستها الدلالية كما ظن د. يونس وقد قدمنا كثيراً من الأمثلة التي تثبت ذلك في عرضنا للنظريتين إلا أن ما عنيت به هاتان النظريتان فيما يخص الجملة يندرج في الإطار العام لمشكلة المعنى ولا صلة له بالمحاولات التي قدمها الدكتور الفاضل ولو أن تحليله جاء في معرض نظرية السياق أو التداولية لم يكن عليه غبار إلا أن مجيئه في إطار نظرية الإشارة يمثل تناقضاً كبيراً مع أسس هذه النظرية ومجال اهتمامها.

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٨.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٨، وهذا يعني النظر إلى ما هو موجود في العالم الخارجي وهو ما لا تعنى به نظرية الإشارة. فهو يبتعد عن (المرجع) ثم لا يلبث أن يبني تحليله عليه، وكل هذا نتيجة للخلط بين النظريتين: الإشارة والإحالة، ينظر: ٨٧.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٦.

(٤) ينظر: وصف اللغة دلاليًا ٨٥، ومدخل إلى اللسانيات ١٩. وهنا دخل د. يونس في إطار رابع هو (التداولية) من دون أن يوضح الصلة بينها وبين نظرية السياق، ومن دون أن يذكر أي فرق بينها أيضاً. وهو ما يزيد المسألة ارباكاً.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ثانياً: دلالة الجملة في ضوء نظرية السياق

أ- نظرية السياق:

يدرس أصحاب هذه النظرية معاني الكلمات والعبارات والجمل من خلال السياقات أو المواقف التي ترد فيها. وبهذا يكون للكلمة أو العبارة أو الجملة معاني مختلفة إذا وردت في سياقات مختلفة^(١). وقد يكون المراد بالسياق هو (السياق اللغوي) أي: "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفونيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"^(٢).

وقد يراد به (سياق الحالة) أي: "الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحدثين، والقيم المشتركة بينهم، والكلام السابق للمحادثة"^(٣). وهذا المفهوم ما تعنى به نظرية السياق.

وترتبط لفظة (سياق الحالة) بعالمين الأول هو (مالينوفسكي) Malinowsky عالم الانثروبولوجيا البولندي الأصل، الأستاذ في مدرسة لندن للإقتصاد. والثاني هو اللساني (فرث) استاذ علم اللغة بجامعة لندن. وكلا هذين العالمين مهتم بتحديد المعنى بموجب السياق الذي تستعمل فيه اللغة، ولكن بطرق مختلفة إلى حد ما^(٤).

وينبع إهتمام مالينوفسكي من عمله في جزر تروبراند التي سافر إليها في أعقاب الحرب العالمية الثانية لاجراء بحوث ميدانية عن أهالي تلك الجزر وقد وجد في اثناء تسجيل ملاحظاته "أنه من الصعب ترجمة ما يقوله أهالي تلك الجزيرة من عبارات وجمل ترجمة حرفية إلى اللغة الانكليزية. ووجد أن تلك الصعوبة تزداد حينما يصل الأمر إلى الحديث عن عادات وتقاليده خاصة بأهالي تلك الجزيرة"^(٥). وكان من النصوص التي سجلها مالينوفسكي وفشل في إنتاج ترجمة مرضية لها تفاخر لصاحب زورق ترجمه إلى: نحن نسيرُ الخشبة الأمامية بأنفسنا.. ونحن نلتفت ونرى صاحبنا: انه يسيرُ الخشبة الخلفية^(٦).

إذ يرى مالينوفسكي (١٩٢٣) "ان لهذا القول معنى فقط إذا وضعنا الجملة في السياق الذي إستعملت فيه أصلاً، إذ سيكون واضحاً أنَّ الخشبة مثلاً تشيرُ إلى مجذاف الزورق"^(٧).

وقد خرج بمجموعة من الملاحظات من محاولاته في حل تلك المشكلة "نشرها في كتاب يعد من أمتع كتب الرحلات (الحقائق الساحلية وسحرها) Goral Gardens and Their Magic وهذه الملاحظات هي التي أرست مبادئ نظرية سياق الحال في وصف المعنى"^(٨).

(١) ينظر: علم الدلالة (عوض) ١٥٨.

(٢) ينظر: علم الدلالة (عوض) ١٥٨، ويلاحظ اختلاف دلالة كلمة (عصب) مثلاً في السياقات اللغوية الآتية: عصب القوم أمر: همهم وإشتد عليهم، عصب الريق فاه: أبيضه، عصب رأسه الغبار: ركبته... الخ ينظر: ١٥٩.

(٣) علم الدلالة (عوض) ١٦٠.

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالممر) ٦١، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ٨٢، وعلم الدلالة (عمر) ٧١، وعلم الدلالة (عوض) ١٦٠. ويرى الدارسون ان نشأة هذا المصطلح context of situation تعود إلى علماء الانثروبولوجيا، فأول من استعمله الأستاذ (هوكارت) في مقال له بمجلة علم النفس البريطانية سنة ١٩١٢ ومن ثم استعمله مالينوفسكي في مقال له بعنوان (مشكلة المعنى في اللغات البدائية) الحقبة بكتاب (معنى المعنى) لأوجدن ورتشاردز، وكلاهما متقدم زمنياً على (فيرث). ينظر علم الدلالة (عوض) ١٦٠.

(٥) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٢، وينظر علم الدلالة (بالممر) ٦١.

(٦) ينظر: علم الدلالة (بالممر) ٦١.

(٧) علم الدلالة (بالممر) ٦١.

(٨) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٢، ولم تكن الانثروبولوجيا وعلماءها الوحيدة التي أيدت الاتجاه السياقي فقد جاء التأييد كذلك من جانب الفلسفة وعلم النفس إذ اتفق بعض باحثي هذين العلمين على هذا المبدأ (مراعاة الاستعمال) في تحديد

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وكان من ملاحظاته ان "اللغات الحية يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة مقطوعة عن سياق حالتها، بل يجب أن ينظر إليها كما يستعملها الناس لصيد الحيوانات البرية وصيد الأسماك والحرث، الخ. ان اللغة كما هي مستعملة في الكتب ليست القياس أبداً، إنها تمثل وظيفة طارئة ثانوية للغة، لأن اللغة لم تكن أصلاً مرآة للفكرة المعكوسة، اللغة كما يقول مالينوفسكي (أسلوب عمل) وليست تصديقاً للتفكير"^(١).

وبناءً على هذا يتحدد معنى الجملة "في السياق المعين الذي ترد فيه، والسياق الذي قصده مالينوفسكي هو البيئة الطبيعية أو الواقع الثقافي للمجتمع حيث انه كان يكتب كانثروبولوجي"^(٢). وجميع آرائه ومناقشاته تستند الى "ملاحظته للطريقة التي لاءمت فيها لغة الناس الذين درسهم نشاطاتهم اليومية وكانت بذلك جزءاً لا ينفصل منهم"^(٣).

ويشير مالينوفسكي الى ما في مجتمعنا الأكثر تعقيداً من "أهمية خاصة لتعابير مثل: How do you do، كيف أنت؟ التي تستعمل لتوطيد مشاعر مشتركة"^(٤) ومثلها الحديث عن الجو والعائلة، وهو الجانب اللغوي الذي يدعى بـ"التحدث الإجتماعي، حيث الكلمات لا تحمل معناها بل ان لها وظيفة اجتماعية بحتة"^(٥).

وقد أثارت آراء مالينوفسكي ومناقشاته بعض الانتقادات التي تتمثل بكونه "لم يتوسع في الحديث عن السياق وكيف يمكن تناوله ضمن نظرية لتحليل المعنى لأن مالينوفسكي لم يكن مهتماً بصياغة نظرية لغوية"^(٦) لهذا لم يناقش "الطرق التي يمكن ان يعالج بها السياق بصورة منتظمة لغرض إصدار بيان عن المعنى"^(٧) ومما انتقد فيه أيضاً ان كثيراً من الفعاليات اللغوية لسكان جزيرة تروبراند التي درسها غير مرتبطة جيداً بالسياق"^(٨).

كذلك لا يمكن ان يعد وصفه للغة سكان هذه الجزر بأنها (لغة بدائية) مقبلاً لسانياً فـ" على الرغم من أن هناك أقواماً بدائية تعوزهم المعرفة والمهارة الموجودة عند الأقوام المتحضرة، فلا يصح أن نعتبر لغة ما بدائية. وطبيعي أن هناك لغات كثيرة لا تملك مفردات المجتمع الصناعي الحديث، لكن هذا يعكس إهتمامات المجتمع وليس الطبيعة البدائية للغة، وبعبارة لغوية بحتة، يبدو أكيداً ان ليس ثمة لغة يمكن الحكم عليها بأنها أكثر بدائية من غيرها"^(٩).

المعنى. ينظر: علم الدلالة (عمر) ٧١-٧٢. وعلم اللغة الإجتماعي ١٩ وما بعدها، واللغة والمجتمع ١٦ وما بعدها، ٣٨ وما بعدها، ٤٩ وما بعدها.

(١) علم الدلالة (بالمر) ٦١. وينظر اللغة والمجتمع ٤٠.

(٢) الاتجاه الوظيفي ٨٢.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٦١.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٦١-٦٢.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٦٢.

(٦) الاتجاه الوظيفي ٨٢.

(٧) علم الدلالة (بالمر) ٦٣.

(٨) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٦٣.

(٩) علم الدلالة (بالمر) ٦٢. ويشير (بالمر) إلى أن (مالينوفسكي) هو ليس الوحيد الذي يدلي بهذا الافتراض الخاطئ ينظر: ٦٢.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

أما فيرث فيرى أن أكثر حقائق اللغة أهمية هي "وظيفتها الاجتماعية. فالسلوك اللغوي العادي في الجملة ليس أكثر من الجهد الدلالي الذي يقصد به الإستبقاء على أفضل السبل ملائمة للتفاهم خلال أنماط حياتنا المتنوعة"^(١).

وهو في هذا المجال لا ينكر فضل مالمينوفسكي عليه، لكنه كان "يشعر أن سياق الحالة لمالمينوفسكي لم يكن مرضياً للمدخل اللغوي الدقيق الى المشكلة"^(٢) فهو عنده "قطعة من العملية الاجتماعية التي يمكن دراستها بصورة مستقلة أو كناية عن حلقة منتظمة من الأحداث أي: مجموعة واقعية وقابلة للملاحظة من الأحداث"^(٣) لهذا اعطى (فرث) لفكرة السياق "أبعداً أعمق، فقد جعلها تخطيطاً مجرداً abstract construct وحصرها في مجال اللغة بعد أن كانت فكرة عامة تمس النواحي الثقافية في المجتمع"^(٤) وفضل "أن يرى سياق الحالة جزءاً من أداة اللساني تماماً مثل التصانيف القواعدية التي يستعملها"^(٥).

ويعتقد فرث ان "الصيغ اللغوية لها دور في أداء المعنى على المستويات المعجمية والنحوية والصرفية ومثل هذه المعاني يمكن تحديدها بوساطة العلاقات الداخلية للصيغ في الأنظمة اللغوية التي تقدمها اللغة"^(٦) الا أن المعنى عنده "نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الاشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال context of situation"^(٧) وهكذا يكون لكل تعبير يقال أو يظهر في سياق ثقافي سياق حال عند فيرث "ودلالة الكلام هي مجموع الملامح المميزة له التي يمكن أن يكون لها دور في المحافظة على أنماط الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه المتكلم. ويمكنها كذلك تأكيد دور المتكلم الاجتماعي وشخصيته في المجتمع"^(٨). وهو يرى أن "هذه الملامح لا تعطى على شكل حقائق ولكنها تستخلص من الكلام بالدراسة الدقيقة الواعية للمتقابلات أو المتناقضات التي تنشأ بين العبارات في سياقات مختلفة أو متفقة"^(٩).

هذه الآراء التي قدمها فرث جعلت منه زعيماً لاتجاه لغوي عرف باسم (مدرسة لندن) contextual approach التي ضمت أساتذة وباحثين آخرين فضلاً عن فرث مثل هاليدي وميتشل وجون لاينز الذي تعد آراؤه من التطورات المهمة المرتبطة بنظرية فرث السياقية للمعنى^(١٠). والجانب الواضح الذي تؤكد عليه هذه المدرسة هو "ان المعنى لا يؤدي ولا ينبغي

(١) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٣، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧٩، واللغة والمجتمع ١١٧-١١٩.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ٦٣، وينظر الإتجاه الوظيفي ٨٢، ومدخل إلى اللسانيات ٧٩-٨٠.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٦٣.

(٤) الإتجاه الوظيفي ٨٢.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٦٣. وينظر: ٦٤.

(٦) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٨.

(٧) الإتجاه الوظيفي ٨١-٨٢، وينظر مدخل إلى اللسانيات ٧٩.

(٨) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٣، وينظر الإتجاه الوظيفي ٨٢، وعلم اللغة الاجتماعي ١٩ وما بعدها. والدلالة السياقية عند اللغويين ٤٧-٤٩.

(٩) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٣.

(١٠) ينظر علم الدلالة (عمر) ٦٨. ويلاحظ ان كتابات (فيرث) قد تركزت في المعنى والأصوات اما من جاؤا بعده ممن أطلق عليهم (الفيرثيون الجدد) فقد توسعوا في هذين الجانبين وتطرقوا كذلك إلى مجال المفردات والنحو. ينظر: الإتجاه الوظيفي ٨١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

قصر تحليله على المستوى الدلالي فحسب، بل ان جميع المستويات تتضافر لأداء المعنى. فهناك معنى على المستوى النحوي، وهناك معنى على المستوى اللفظي وهكذا^(١).

ويوضح (فرث) هذه النقطة بقوله ان "الأشكال اللغوية لها معنى على المستوى النحوي واللفظي. وهذا المعنى تحدده أنماط الأنظمة النحوية التي تقام للغة. ان حالة الرفع في لغة ذات أربع حالات إعرابية سيكون لها بهذا المفهوم معنى مختلف عن حالة الرفع في نظام ثنائي أو نظام له أربع عشرة حالة إعرابية مثلاً"^(٢) وكذلك هناك معنى نحوي مختلف للمفرد في نظام ثنائي عن معناه في نظام ثلاثي كالعربية أو رباعي العدد كاللغة الفيجية التي تفرق بين المفرد، والمثنى، والجمع القليل، والجمع الكثير^(٣).

وتكمن الوظيفة الأساسية للألسنية عند (فيرث) في بيان معنى الحدث اللغوي الذي تحدده وظيفة الحدث اللغوي من خلال خضوعه للتحليل تدريجياً على مستويات اللغة كافة الصوتية والصرفية والنحوية في ظل سياق الحال^(٤). الذي يتكون من مجموعة من العناصر ينبغي أخذها بعين الاعتبار يقترح فيرث لها التصنيفات الآتية:

" أ- السمات المهمة للمشاركين: الاشخاص والشخصيات:

١ - الجهد اللفظي للمشاركين.

٢ - الجهد اللا لفظي للمشاركين.

ب- الأشياء ذات العلاقة.

ج- أثر الجهد اللفظي."^(٥)

ويقصد بالجهد اللفظي: "الأحداث اللغوية نفسها. أي العبارات المنطوقة بالفعل. وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم والنبر الخلافي وما يصاحب هذه الأحداث اللغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة، كحركة اليدين وتعابير الوجه"^(٦)، ويقصد بالجهد اللا لفظي: الحقائق المتعلقة بالمشاركين "كأن نذكر مثلاً ما ما إذا كان المشارك طفلاً أو رجلاً ناضجاً ذا مكانة إجتماعية مرموقة، أو امرأة. ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلمين"^(٧). ويراد بالأشياء ذات العلاقة: "الأمر المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي"^(٨).

أما أثر الجهد اللفظي: فهو "ما يستتبع النطق من سلوك اعتماداً على العبارات المنطوقة، فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر لاختلاف العادات والتقاليد"^(٩).

ويرى فيرث أنه "يمكن بهذه الطريقة تجميع سياقات الحالة وتصنيفها وهذا أمر جوهري ان اريد لها ان تكون جزءاً من التحليل اللساني للغة"^(١٠).

وقد اقترح (أمير) K.Ammer تقسيماً من أربع شعب:

(١) الإتجاه الوظيفي ٨٨.

(٢) الإتجاه الوظيفي ٨٨.

(٣) ينظر الإتجاه الوظيفي ٨٩.

(٤) ينظر: ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٠.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٦٣. وينظر: علم الدلالة (عمر) ٦٩، وعلم الدلالة (عوض) ١٥٩ وما بعدها، وما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦١.

(٦) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٧) الإتجاه الوظيفي ٨٢.

(٨) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٩) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(١٠) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٦٩ وما بعدها، وعلم الدلالة (عوض) ١٥٨ وما بعدها. والدلالة السياقية عند اللغويين ٨٠-٨٢.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

linguistics context	١ - السياق اللغوي
emotional context	٢ - السياق العاطفي
situational context	٣ - سياق الموقف
cultural context	٤ - السياق الثقافي

وقد عدَّ هذا التقسيم تعسفاً ظاهراً وتفتيتاً متكلفاً "لا حاجة للدرس اللغوي إليه، لأن السياق نوعان لا ينفصلان، سياق لغوي، وسياق الحال، والأول يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي وهذه الظروف الملازمة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق عند (ك. أمير) حيث لا يمكن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث أو المستمع، أو فصل الظروف الاجتماعية أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي. فالمجتمع وثقافته وأحداثه وجميع ظروفه تشكل الشق الثاني من المعنى الذي يستفاد من خارج الكلام المنطوق"^(١).

وأياً يكن الأمر فإن فيرث قد تعامل "مع سياق الحال تعامله مع أي مستوى لغوي آخر، هذا إذا لم يكن السياق هو المظلة التي تحتضن هذه النظم وتتحكم فيها"^(٢). وكما يقول (بالمر) يمثل السياق في نظر (فيرث) "أداة من أدوات البحث اللغوي بنفس الطريقة التي يستعمل بها النظام النحوي مثلاً. وهو لا يتصور علماً للدلالة دون الإحاطة بالسياق حيث يقول: ان التصور الأساسي في علم الدلالة يقوم على سياق الحال"^(٣).

ومن أجل الوصول الى المعنى الكلي وبيانه يقترح فرث "تشقيق المعنى الى سلسلة من الوظائف الأساسية، وكل وظيفة تحدد بحسب فائدة الصيغ اللغوية وعلاقتها بسياق الكلام"^(٤). فعلى اللغوي أن يقوم باستخلاص البيانات تدريجياً عن طريق تحليل الجملة الى مستوياتها ويبدأ هذا التحليل "بالدلالة الصوتية ثم الدلالة الصرفية والنحوية والمعجمية والاجتماعية ومجموع هذه الدلالات يوضح خصائص هذا الحدث الكلامي، ويكشف عن معناه ويؤدي الى فهمه"^(٥).

ولا ينكر فيرث ان الجملة تحمل معنى متمثلاً بمكوناتها القواعدية والمعجمية فهو يرى أن "الجملة يمكن صياغتها جيداً طبقاً لقواعد النحو والصرف لوضعها في إطارها الخاص بها، وقد يكون لها معنى يمكن فهمه من خلال ما تقتضيه قواعد النحو والصرف وبعد، فإذا كانت عبارات بلا مضمون فإنها ستكون من وجهة النظر الدلالية مجرد هراء"^(٦). لكنه يؤكد وجوب النظر الى المعنى "على أنه مركب من العلاقات السياقية والأصوات والنحو والصرف والمعجم والدلالة، وكل منها يوجه عناصره الخاصة به في التركيب في سياقه المناسب. وهكذا تتعاون فروع الألسنية كلها في أداء المعنى"^(٧).

ويستعير فيرث لتوضيح هذه النقطة "تشبيه الطيف الشمسي الذي يتحلل فيه الضوء الى أقواله الموجبة المتعددة كذلك تحلل اللسانيات المعنى الى (طيف للبيانات المتخصصة) وهكذا فكل أنواع

(١) علم الدلالة (عوض) ١٦٣.

(٢) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٠.

(٣) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٠.

(٤) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٤، وينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٣ وما بعدها،

(٥) علم الدلالة (عوض) ١٦٨، وينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٣، والدلالة السياقية عند اللغويين ١٣٩.

(٦) ما معنى نظرية المعنى ٦٥. وعن طريق الصياغة الجيدة للجملة التي نضمنها معنى قواعدياً من خلال الاعتماد على

القواعد في بنائها نحكم على هذه الجملة بأنها تحمل صفة المقبولية acceptability. ينظر ٦٥

(٧) ما معنى نظرية المعنى ٦٣.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الوصف اللغوي لفيرث، علم الصوت والقواعد الخ. وسياق الحالة، بيانات المعنى. فوصف المعنى بموجب سياق الحالة ليس اذن سوى أحد الأساليب التي يعالج اللساني بها اللغة، وليس مختلفاً مبدئياً عن الطرق التي يؤدي بها اللساني عمله^(١).

ويرى فيرث أيضاً "ان المعنى أو الوظيفة في السياق يمكن تفسيرها بشكل مقبول في ذلك السياق. وكل حديث أو جزء منه يكون ذا معنى إذا فقط إذا أمكن إستعماله بشكل ملائم في بعض السياقات الواقعية أو العملية وواجب اللغوي الذي يصف لغة معينة ان يحدد مستويات مختلف المكونات بشكل مقبول، الأصواتية والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية. وعليه أن يبين أن أي حديث ليكون تام المعنى يجب ان يكون مقبولاً على كل المستويات"^(٢).

ويمكن أن نوضح كيفية تحليل الجمل انطلاقاً من نظرية فيرث السياقية عن طريق تحليل بعض الجمل البسيطة مثل: ولدت المرأة، أو هذا الولد، أو الولد كبير، وعند تحليلها علينا أن نلتزم ببعض الخطوات التي تقودنا الى توضيح المعنى الكلي وبيانه.

فلاحظ أن كلمة (ولد) مثلاً لها وظيفة صوتية ناجمة من تركيبها من الحروف الثلاثة (و ل د) مما يجعلها ذات دلالة مختلفة عن غيرها من الكلمات مثل (بلد، يلد، وجد) وان كانت تشترك معها ببعض الحروف، فاختلاف معنى هذه الكلمات يعود الى تمييز كل منها عن الأخرى في بعض الأصوات.

وعندما ننظر الى الجانب المعجمي نجد لهذه الكلمة معنى مختلفاً عن مقابلاتها الإستبدالية مثل (بلد، ولع، وجد) لهذا يختلف استعمالها عن استعمال هذه الكلمات، لأنها تؤدي وظيفة معجمية مختلفة لذا يمكننا ان نقول (ولد نحيل) مثلاً، لكن لا يمكن ان نقول (بلد نحيل)^(٣).

ولهذه الكلمة أيضاً معنى صرفي ينبع من صيغتها (اسم/ فعل) ويتم معرفته من تتبع السياقات التي ترد فيها، وكون الكلمة اسماً أو فعلاً يمثل جزءاً من معناها وكذلك اسنادها الى الضمائر وتنشيتها وجمعها وغير ذلك من الخصائص الصرفية يكشف عن المعنى الصرفي للكلمة. أما معناها النحوي فيحدده بيان موقعها في الجملة وعلاقتها مع غيرها من الكلمات، ففي جملة (ولدت المرأة)

(١) علم الدلالة (بالمر) ٦٤.

(٢) ما معنى نظرية المعنى ٦٤.

(٣) خصص فيرث مساحة واسعة للحديث عن هذا الموضوع تحت مصطلح: (collocation) أي: الرصف أو المصاحبة، ويراد به الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. أو ارتباط استعمال وحدة معجمية منفصلة باستعمال وحدة معجمية منفصلة أخرى. ومثال ذلك ارتباط كلمة (منصهر) بمجموعة من الكلمات مثل: حديد، نحاس، ذهب، فضة... الخ وعدم ارتباطها مع كلمة (جلد). وإذا لجأ إلى الدليل الشكلي لتحديد سبب عدم الملاءمة نجد ان الحديد والنحاس والذهب... الخ تتقاسم عدداً من الترابطات مثل الصلابة والثقل والبريق والبرودة، أما في مجموعة (الجلد) فنجد بدلاً من ذلك صفات الخفة واللينة وانطفاء اللون... الخ. ومن امثلة التراصف ما يقوم بين النباح والكلب وبين الزبدة والزنج وبين فاسد والبيض وهكذا دواليك. ويمكن ان نلاحظ ان أحد معاني الليل (night) في الانكليزية، هي قابليته على مصاحبة الظلمة (dark) على سبيل المثال. وبناءً على هذه الفكرة يجب ان يراعى في صياغة الجملة توافق الوقوع بين مفرداتها فضلاً عن قواعد النحو والتقبلي (acceptability) أي تقبل ابناء اللغة لها وتفسيرها تفسيراً ملائماً، والا لم تكن الجملة كاملة المعنى. وقد قام (فيرث) بتطبيق (الرصف) في تحليله لأسلوب (سوينبرن الشعري ورسائل من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ومن الدارسين من يرى (الرصف) امتداداً لنظرية السياق. ومنهم من يرى فيه نظرية مستقلة. وهي تثير أيضاً بعض الانتقادات والاشادات شأنها شأن نظرية السياق. ينظر: علم الدلالة (عمر) ٧٤ وما بعدها، والإتجاه الوظيفي ٨٨، وما معنى نظرية المعنى ٦٦ وما بعدها، وفصول في علم اللغة التطبيقي ١٢٣ وما بعدها. والدلالة السياقية عند اللغويين ١٢١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

قامت بوظيفة الفعل. وفي جملة (الولد كبير) وجملة (هذا ولد) قامت بوظيفة الاسم لكنها في الاولى (مبتدأ) وفي الثانية (خبر).

ونفعل مثل هذا مع بقية اجزاء الجملة وعندما ننتهي من تحليل اجزائها الى مستوياتها اللغوية المختلفة (صوتية، معجمية، صرفية، نحوية) نأتي الى الجانب الاجتماعي المتمثل بسياق الحال عند أصحاب هذه المدرسة وعند ملاحظة الظروف والملابسات التي تحيط بالجملة يمكن ان ندرك معناها الاجتماعي، فجملة (الولد كبير) قد يراد بها الإخبار وقد يراد بها الزجر أو التحقير أو التعظيم... الخ وبعد ان نراعي في تحليلنا اللغوي هذه الجوانب جميعها اللغوية والسياقية نتوصل الى المعنى الكلي للجملة. وهو معنى مركب يحمل كل مستوى من المستويات السابقة جزءاً منه فقط^(١).

ب: نظرية السياق بين الثناء والانتقاد:

انتجت رؤية (فيرث) للمعنى المبنية على (سياق الحالة) ردود فعل متباينة، فمن اللسانيين من أيدوها بقوة، ومنهم من انتقدها. ويشير جون لاينز الى ان نظرية فيرث السياقية للمعنى لم تحظ "بالشرح والتبسيط العملي الواقعي من أي شخص له إعتبار من خارج الدائرة المحدودة لاتباع فيرث. ويبدو أنها استبعدت على أساس أنها معقدة. وغير مألوفة وغير مشجعة، أو حتى مثيرة للخلافات حول تفسير مصطلح المعنى"^(٢).

ويبدو أن مسألة مراعاة السياق من عدمها مسألة مثيرة للجدل بحد ذاتها، فهناك لسانيون "يستبعدون صراحة أو ضمناً السياق من الدراسة الدلالية، والسبب الحقيقي لهذا الاستبعاد أن هناك مصاعب عملية ونظرية بالغة التعقيد في معالجة السياق بشكل مرض"^(٣) وهناك من يعتقد بإمكان "التعرف على معنى جملة ما بمفردها وبمعزل عن السياق، وكذلك التعرف على غموضها وشذوذها. واننا كناطقين بلغة ما، يجب ان نعرف معنى جملة ما قبل أن نستعملها في أي سياق، وبهذا يكون المعنى مستقلاً عن السياق ويستطيع اللسانيون بل ويجب عليهم، أن يدرسوه دون الإشارة للسياق"^(٤).

ويرى (بالمر) أن هذا النقاش يثير التساؤل "إذ بأي مفهوم يمكن القول إننا نعرف معنى الجملة بصورة مستقلة عن السياق؟ ربما لأننا سنستطيع ان نهئي جملة أخرى بمعنى مشابه أو تفسيراً لها. لكن لذلك لا يعني على الإطلاق أننا إذا حددنا جملتين وقلنا أن لهما معنى واحداً فاننا سنكون قد حددنا كياناً مجرداً اسمه المعنى"^(٥).

ومن أسباب استبعاد بعض اللسانيين للسياق مسألة يرى (بالمر) أنها "الأكثر منطقية للوهلة الأولى، هي ان عالم الخبرة يشمل بالضرورة حصيلة المعرفة الانسانية. فإن كان ذلك كذلك، وان عرفنا علم الدلالة بموجب السياق، سيكون الحقل الدلالي لا متناهياً"^(٦). وهذا الانتقاد هو أحد الانتقادات التي وجهت الى (فيرث) وكثيراً ما يكرره منتقدو نظرية السياق إذ يتساءل هؤلاء "كيف

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة. القسم الثاني ١٧٢-١٧٥، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧ وما بعدها، وعلم الدلالة (عوض) ١٦٥-١٦٨. والمعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٦-٢٤٩.

(٢) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦٣.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٥٧.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٥٧.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٥٧.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ٥٨.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

يمكن تحديد ما له صلة بالسياق، وخاصة الأمور المادية ذات الصلة المباشرة بالحدث اللغوي؟^(١) فمن المستحيل "ان نرسم خطأ واضحاً بين معنى كلمة أو جملة وبين كل المعلومات ذات العلاقة بها"^(٢). ويذكر (بالمر) ان "هذه المسألة انتبه اليها بلومفلد وجعلته يائساً من أي معالجة مرضية لعلم الدلالة"^(٣).

أما جون لاينز فيقر هو الآخر بصوبة تحديد مفهوم الموقف وأن تحديده يعد جزءاً جوهرياً من أي نظرية لغوية شاملة ويؤكد "أنّ بوناً شاسعاً يفصل بيننا وبين القدرة على الحصر الشامل المنظم لسياقات الحال"^(٤). لكنه اعتقد أيضاً ان "تحليل المواقف بصورة منهجية يمكن تطويره ودفعه الى الأمام من قبل اللغويين"^(٥) ثم عاد ليقول أنه "حتى يتم عمل هذا، ربما لن نكون في موقع يؤهلنا لتقدير الكفاية الكاملة لتوضيح الدلالة وشرحها في مصطلحات العلاقات المتبادلة في المواقف"^(٦).

وتؤكد الدكتورة ديدري ولسون استاذة علم الدلالة في جامعة لندن (الكلية الجامعية) صعوبة تحديد مفهوم الموقف، وما له علاقة بالجملة من الأشياء المادية وما ليس له علاقة ذاكرة "ان بإمكان المرء ان يعد قوائم عديدة لما يمكن ان يشكل الامور المادية لجملة من قبيل: انا أحاضر في هذه الغرفة الآن"^(٧). إذ ستشمل هذه القائمة أموراً مثل: "هذه الغرفة التي تعد جزءاً من بناء قديم في الكلية الجامعية، هذه الغرفة المملوكة لجامعة لندن، هذه الغرفة التي تقع في لندن.. الخ"^(٨) ونظرية السياق كما هي عند (فيرث) بالذات "لا تعني بإعداد قوائم عن الظروف المادية، فاعداد مثل هذه القوائم أمر في غاية الصعوبة، هذا علاوة على ان أية قائمة لن تكون متكاملة في الظروف الطبيعية"^(٩).

لهذا يعتقد كاتز و فودر أن النظرية اللغوية التي تبني معالجتها المعنى على السياق يجب ان تمثل كل المعلومات المتوازنة في العالم لأن "أي نوع من المعلومات غير اللغوية قد يستعمل لفهم معنى جملة ما"^(١٠). ويذكر هذان العالمان اللغويان بعض الجمل لتوضيح هذه النقطة مثل: هل نعيد الصغار الى حديقة الحيوانات؟، هل نعيد الحافلة الى حديقة الحيوانات؟، هل نعيد الأسد الى حديقة الحيوانات؟ وهذه الجمل لا يمكن فهمها من وجهة نظرهما في ضوء السياق الا إذا عرفنا كل شيء عن الصغار والحافلات والأسود وهو ما لا يمكن لأية نظرية لغوية أن تشملها بشكل صحيح"^(١١).

والحل البديل الذي يقدمانه هو توسيع الجمل لتشمل المعلومات التي يمكن ان تكون ذات علاقة، فنضيف الى الجملة الأولى عبارة: لكي نرى الحيوانات الأخرى. وللثانية: أم نسير؟، وللثالثة: أم

(١) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ٥٨.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٥٨.

(٤) ما معنى نظرية المعنى ٦٥.

(٥) ما معنى نظرية المعنى ٦٥.

(٦) ما معنى نظرية المعنى ٦٥.

(٧) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٨) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٩) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(١٠) علم الدلالة (بالمر) ٥٩.

(١١) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٥٩.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

نضعه في قفصه؟ وبابتداع هذه التوصيات يمكن معالجة أي نوع من المعنى المرتبط بهذه المعلومات^(١).

ويشكك (بالمر) بجدوى هذه المحاولة لأن "أي نوع من المعلومات يمكن أن يعتمد أساساً علاقة ترابطية، وبالتالي سيتضمن الترابط والإشارة وكل المعرفة البشرية"^(٢) وإعتقادنا بأن علم الدلالة يجب أن يقتصر على العلاقات الترابطية (داخل اللغة) يعني أننا سنتناول جزءاً فقط من المعنى^(٣).

ويبدو أن أصحاب نظرية السياق قد تجاوزوا هذه المسألة بفكرة (الاختيار) SELECTIVITY، أو الصلة المباشرة. ففي أي حدث لغوي لابد أن "تكون هناك عناصر معينة نستطيع أن نختارها على أنها ذات صلة بموضوع الجملة"^(٤).

فلو تصورنا مشهداً يدخل فيه طالب "قاعة المحاضرة متأخراً ن موعد المحاضرة بعشرين دقيقة ولا يبادر إستاذه بالإعتذار بل يتجه مباشرة الى مقعد فارغ فيجلس فيه. يقطع الاستاذ محاضرتة ويقول له: (صباح الخير) بنغمة صاعدة _هابطة في النهاية، مع مد المقطع الطويل في الخبر. إن الظروف المحيطة بهذه العبارة (وصول الطالب متأخراً) والتنغيم المستعمل، تدل على ان الاستاذ يريد ان يلوم الطالب على التأخير وليس ان يلقي عليه تحية الصباح. أما بقية الأمور المادية مثل شكل الطالب ونوع لباسه، فلا علاقة لها بهذا الحدث اللغوي"^(٥).

وإذا كانت الانتقادات السابقة عامة وتعني كل من يبني تحليله اللغوي على فكرة السياق، فإن هناك انتقادات أخرى وجهت الى منهج فيرث بالذات منها:

- عدم تقديمه لنظرية شاملة للتركيب اللغوي والإكتفاء بتقديم نظرية للسيمانتيك (علم الدلالة).
- عدم تحديده لمصطلح السياق CONTEXT وغموض حديثه عن الموقف.
- ملاءمة منهجه لبعض المواقف وعدم ملاءمته للغالبية العظمى من العمل التي نواجهها.
- عدم عنايته بالعلاقة بين الجمل التحويلية المتقاربة.
- عدم عنايته بالعلاقات الدلالية^(٦): مثل الترادف والتضمن التحليلي^(٧).

ولا تقلل هذه الانتقادات من أهمية نظرية فيرث ومكانتها بين المناهج اللغوية. فهي لازالت تحمل كثيراً من الجوانب الايجابية في نظر كثير من اللسانيين مثل (أولمان) الذي يرى انها جعلت "المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي"^(٨). وجون لاينز الذي يرى أن رؤية فيرث في تشقيق المعنى "لديها الكثير مما يمكن الثناء عليه، وأنها بالتأكيد أكثر جاذبية من نظريات دلالية

(١) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٦٠.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ٦٠، يقصد بالإشارة هنا: علاقة العناصر اللغوية كالكلمات والجمل بالعالم غير اللغوي للخبرة، ويقصد بالترابط: النظام المعقد للعلاقات القائمة بين العناصر اللغوية نفسها أي العلاقات داخل اللغة. ينظر ٣٧.

(٣) ينظر علم الدلالة (بالمر) ٦٠.

(٤) الإتجاه الوظيفي ٨٣.

(٥) الإتجاه الوظيفي ٨٤، وينظر أيضاً ٨٣-٨٤.

(٦) من أمثلة هذه العلاقات الترادف والتضمن التحليلي الذي نجده في جمل مثل: إذا كان (X) عازباً فإنه ليس متزوجاً، وإذا كان (X) زوجاً لـ (y) فإن (y) زوجته. وإذا كان (X) أرقى منزلة من (y) فإن (y) أدنى منزلة من (X). وإذا كان (X) قرمزي فإنه أحمر اللون. وإذا كان (X) أحمر اللون فإنه ليس أزرقاً أو أخضرأ أو ايضاً... الخ. ينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٦.

(٧) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٦٤، وعلم الدلالة (عمر) ٧٣-٧٤، وما معنى نظرية المعنى ٦٦ وما بعدها.

(٨) علم الدلالة (عمر) ٧٣.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

تصنع الدلالة SIGNIFICANCE ضمن مصطلحات الشؤون العامة أو ضمن تعبيرات المشاريع أو الخطط^(١). وأنه على الرغم من سهولة نقده ووصف نظريته بالغموض يبدو واضحاً "ان اللغة التي نستعملها في البيت مختلفة، وهي مختلفة فعلاً عن اللغة التي تستعملها في العمل، وانها لمختلفة أيضاً عن تلك التي نستعملها في الكنيسة، أو في ميدان اللعب، وكذلك عند الكلام مع النساء أو الأطفال أو الأشخاص الآخرين من هم أعلى منا أو أدنى اجتماعياً"^(٢). وكذلك يرى (بالمر) ان هذا النقد ليس عادلاً كلياً وأنه يتوجب "علينا ان نمدح فيرث بدلاً من أن ننتقده لرفضه ان يضع تمييزاً واضحاً ضمن مستوياته الوصفية بين المستوى الذي يختص باللغة والعالم والمستويات التي تختص كلياً باللغة"^(٣). ويشارك (بالمر) جون لاينز الرأي بقوله: "من السهل ان نسخر كما يفعل بعض الباحثين من النظريات السياقية وان نستبعدا باعتبارها غير عملية أساساً. لكن من الصعب كيف نستبعدا دون انكار الحقيقة الواضحة القائلة أن معاني الكلمات والجمل مرتبطة بعالم الخبرة"^(٤) وفيما يخص عدم إنتاج (فيرث) لانموذج لغوي شامل يقول (بالمر) ان (فيرث) "لم يؤمن يؤمن ان مثل هذا الانموذج ممكن حتى مبدئياً (على الرغم من ان كل اللسانيين تقريباً قد افترضوا انه ليس ممكناً فقط، بل ضروري أيضاً) ولقد اعتقد فيرث ان كل ما على اللساني عمله هو ان يصدر بيانات جزئية عن المعنى، قائلاً ما يستطيع قوله عن اللغة وحيثما يستطيع ذلك مجزئاً مقولاته في مواضع مختلفة كما يجزئ الكيك"^(٥).

وخلاصة رأي (بالمر) بهذا الشأن أنه من الأنفع ان نقول القليل من أن لا نقول شيئاً أبداً. وان من محاسن مدخل فيرث أنه انطلق لإصدار بيانات جزئية فقط حول المعنى لا نستطيع مطلقاً أن نلم بكل المعنى^(٦).

ورأي (بالمر) هذا فضلاً عن غيره من اللسانيين يؤكد أهمية (نظرية سياق الحال) وان بإمكان هذه النظرية ان تقدم الكثير في مجال دراسة المعنى ومعالجته، وان عدم مجيء آراء (فيرث) بخصوصها في إطار نظرية لغوية شاملة كما يطمح اللسانيون، لا يقلل أبداً من الفوائد التي يمكن ان تعود بها هذه النظرية في مجال دراسة معاني الكلمات والجمل على حد سواء.

وقد اكدت دراسات أخرى ذات رؤية خاصة ومنهج مختلف أهمية السياق في تحليلها اللغوي كالدراسات التداولية على سبيل المثال، والدراسات الأخرى في إطار علم لغة النص.

جـ: السياق ودلالة الجملة في التراث العربي:

لم تكن فكرة السياق غريبة عن تراثنا العربي ومصنفاته اللغوية، وأدرك أهميتها الدارسون على اختلاف اصنافهم، النحويون منهم والبلاغيون ومن يعنى باللغة منهم في إطارها العام. وإذا كانت فكرة (سياق الحال) قد نفذت إلى الفكر اللغوي الغربي من نافذة العلوم الأخرى كالانثربولوجيا

(١) ما معنى نظرية المعنى ٦٥.

(٢) ما معنى نظرية المعنى ٦٥ وينظر ٦٩.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ٦٥.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ٦٥. ويذكر (بالمر) على سبيل المثال ان المعاني التي تتحملها جملة مثل (انا أبحث عن الخرطوم) يعتمد على معرفتنا بأن للفيل خرطوماً، وان عاصمة السودان هي الخرطوم. ومثل هذا يمكن قوله في جملة مثل (يدور العقرب بسرعة) التي تبثني احتمالاتها المعنوية على معرفتنا بعالم الخبرة أيضاً. كذلك معرفة الشنوذ في جملة ما من عدمه يعتمد على هذه الخبرة. ينظر ٦٠.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٦٥.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ٦٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

والاجتماع. فان اللغويين العرب ادركوا أهمية هذا الموضوع ومدى فائدته في الدراسة اللغوية من خلال النظر في اللغة وحدها. من قبل أن يكون هناك علم اسمه الإنثربولوجيا أو الاجتماع أو النفس. وليس غريباً أن تنهض الدراسات اللغوية الغربية على اختلاف نظرياتها ومدارسها إلى مستوى المنهجية المرموقة بعد أن دارت عجلة الزمن على نحو متسارع وشهد العالم تطوراً ملحوظاً على جميع المستويات، وفتحت العلوم الناشئة نوافذ جديدة يطل منها الدارسون على اللغة.

ولا يعنى هذا بالتأكيد أن نبخس النظريات اللسانية حقها أو أن نقلل من شأن ما جاءت به من مناهج ورؤى مختلفة، فهي فضلاً عما تتمتع به من مقومات المنهجية وما تسعى إليه من إقامة الدرس اللغوي على أسس علمية موضوعية. كان لها الفضل الكبير في تحويل انتباهنا إلى التراث مرة أخرى لنعيد قراءته واكتشاف ما فيه من كنوز وآراء تستحق التقدير والاهتمام. وحسبنا أن نقول هنا أن فكرة السياق التي عرفها العرب لم تشتهر في عالمنا العربي انطلاقاً من تراثنا ومؤلفات دارسينا العرب وإنما "إشتهرت في الاوساط الحديثة (بمفهومها الغربي) وانطلقت من الغرب"^(١).

وإذا عدنا إلى تراثنا العربي مرة أخرى فيما يخص (سياق الحال) لا نجد فيه أي إشارة إلى اعتراض أو رفض لمراعاة السياق في التحليل اللغوي ولا نجد أي خلاف بين اللغويين فيما يخص مراعاة السياق على نحو مما نجده عند اللغويين الغربيين المحدثين الذين تعددت آراؤهم في هذا الشأن، فقد اعتمد العرب على السياق على نحو ملحوظ في كثير من المسائل التي تخص الجملة أو الكلمة وما يتعلق باستعمالها، وكثيراً ما ربط العرب القدماء بين طريقة تأليف الجملة والسياق والملابسات التي ترد فيها وحاولوا الاستدلال على المحذوفات من خلال هذه القرائن والملابسات. كما ربطوا طريقة تأليف الجمل وما تنطوي عليه من تقديم أو حذف أو استعمال لبعض العناصر اللغوية دون الأخرى بالأثر الذي تتركه على السامع والأغراض التي يجب مراعاتها أو يراد تحقيقها.

ويمكننا أن نلمس ذلك واضحاً في أقدم المصنفات بدءاً بكتاب سيبويه ومروراً بالمصنفات الأخرى في العصور اللاحقة.

فلم يكتف سيبويه بالقول أن العرب تقدم من الجملة ما يكون "بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"^(٢) وإنما أشار أيضاً إلى اختلاف طريقة الخطاب باختلاف حال المخاطب _المشاركين بالحدث اللغوي_ باصطلاح النظرية السياقية _ فالأمر يختلف فيما إذا كان المخاطب مقبلاً عليك أو لم يكن كذلك. لذا تخاطب الأول بما لا تخاطب به الثاني^(٣).

ويذكر سيبويه أمثلة كثيرة جداً يبين فيها دلالة الجملة ويستدل على المحذوف منها من خلال القرائن والملابسات المادية، من ذلك ما يذكره في (باب ما يضمّر فيه الفعل المستعمل إضهاره في غير الأمر والنهي) ويقول فيه: "وذلك قولك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت مكة ورب الكعبة. حيث زكّنت أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله"^(٤).

(١) الدلالة السياقية عند اللغويين ١٧٩. وينظر أيضاً: ٣٧.

(٢) الكتاب ٣٤/١.

(٣) ينظر الكتاب ٢٤٤/١.

(٤) الكتاب ٢٥٧/١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ويقول أيضاً: "أو رأيت رجلاً يسد سهماً قبل القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس" (١). وكذلك قوله: "ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة، أي ابصروا الهلال، أو رأيت ضرباً فقلت على وجه التفاؤل: عبد الله، أي يقع بعبد الله، أو بعبد الله يكون" (٢).

ومما يذكره أيضاً قوله: "ومنه ان ترى الرجل أو تخبر عنه أنه قد أتى أمراً فعله فنقول: اكل هذا بخلاً، أي اتفعل كل هذا بخلاً، وان شئت رفعتَه فلم تحمله على الفعل، ولكنك تجعله مبتدأ" (٣). ويذكر سيبويه أحياناً جملةً فيشرحها ويوضح دلالتها وما حذف منها ذاكراً الحال الذي شاهده والسياق الذي قيلت فيه، ليتضح مقصده أكثر، ولا يتحير فيه السامع كقوله: "وسمنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناء عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول: أمري وشأني حمدُ الله وثناء عليه. ولو نصب لكان الذي في نفسه الفعل، ولم يكن مبتدأً ليبنى عليه ولا ليكون مبنياً على شيء هو ما أظهر" (٤).

فكل الجمل السابقة يتعرض لها سيبويه من دون ان يقطعها من سياقها. ويحرص على ذكر الملابس والقرائن المحيطة بها. لإدراكه تمام الإدراك ما يقع من اشكال في فهم معناها وصعوبة التوصل إلى ما أضمر فيها فيما لو ذكرت مجردة من سياق الموقف الذي وردت فيه.

ويحرص سيبويه أيضاً على توضيح عادات العرب في الكلام وطريقتهم فيما يستعملون من جمل، وكيف اعتادوا ان يحذفوا من كلامهم ما كثر دورانه على ألسنتهم حتى صار بمنزلة (المثل) من جهة علم السامع بالمحذوف وثقة المتكلم بمعرفة السامع به وان لم يذكره. يقول سيبويه: "وذلك قولك: (هذا ولا زعماتك) أي: ولا أتوهم زعماتك" (٥) ويذكر من ذلك أيضاً "قول العرب (كليهما وتمراً)، فهذا مثل قد كثر في كلامهم واستعمل، وترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام، كأنه قال: اعطني وتمراً" (٦). ومما يذكره "قولهم: (كل شيء ولا هذا) و(كل شيء ولا شتية حر) أي: إنَّ كل شيء ولا ترتكب شتية حر، فحذف لكثرة استعمالهم إياه، فاجري مجرى: ولا زعماتك" (٧).

ويذكر في (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك اظهاره في غير الأمر والنهي) قول العرب "أخذته بدرهم فصاعداً، وأخذته بدرهم فزائداً. حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه" (٨) فكأن المتكلم قد قال: "أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً، أو فذهب صاعداً" (٩).

وسيبويه في هذه الأمثلة _ وأخرى غيرها _ يحرص دائماً على أن يضع الجملة في سياقها ويوضح صلتها بما قيل قبلها من كلام، ذاكراً ما له بها من قرائن مادية ذات صلة بالهيئة والشكل

(١) الكتاب ٢٥٧/١.

(٢) الكتاب ٢٥٧/١.

(٣) الكتاب ٢٥٨/١.

(٤) الكتاب ٣٢٠-٣١٩/١.

(٥) الكتاب ٢٨٠/١.

(٦) الكتاب ٢٨١-٢٨٠/١.

(٧) الكتاب ٢٨١/١.

(٨) الكتاب ٢٩٠/١.

(٩) الكتاب ٢٩٠/١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

والموقف العام الذي قيلت فيه وطبيعة المشاركين وما ألفوه من استعمال وفي احيان كثيرة يلجأ إلى شرح جمل القرآن الكريم وتوضيح معناها وما اضمحل فيها من خلال مقارنتها بما الفته العرب من استعمالات مماثلة وما اعتادته في هذا الشأن كما في استدلاله على اضمحلال الفعل في قوله تعالى: ﴿مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾_البقرة ١٣٥/٢ أي: بل نتبع ملة ابراهيم حنيفاً. وقوله تعالى: ﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾_النساء ١٧١/٤، أي: يكن خيراً لكم. وغيرها من الآيات القرآنية الشريفة^(١).

ومن لطيف الأمثلة على مراعاة العرب للسياق ومدى ادراكهم لأهميته قول القاضي علي الجرجاني في بيت الأعشى:

إذا كان هادي الفتى في البلا دِ صدرَ القنّة أطاع الأميرا

ان هذا البيت "سليم النظم من التعقيد بعيد اللفظ عن الإستكراه. لا تشكل كل كلمة بانفرادها على ادنى العامة، فاذا أردت الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عندي والممتع في رأيي ان تصل إليه. الا من شاهد الأعشى يقوله فاستدل بشاهد الحال وفحوى الخطاب، فأما أهل زماننا فلا أجزى ان يعرفوه الاّ سماعاً إذا اقتصر بهم من الانشاد على هذا البيت المفرد. فان تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد ان يستدل ببعض الكلام على بعض. والا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم أنه يريد: ان الفتى إذا كبر فاحتاج إلى لزوم العصا، أطاع لمن يأمره وينهاه، واستسلم لقائده، وذهبت شرفته"^(٢).

ويذكر القاضي علي الجرجاني أمثلة أخرى يبين فيها ما يمكن ان يفهم من الكلام من معنى مناقض تماماً لما أريد منه إذا نظر إليه في غير سياقه الذي قيل فيه كما في قول الشاعر:

فجذبَ العوّارَ ابا زنيبٍ وجاد على محلّتك السحابُ

إذ يظن من يسمع هذا البيت أنه "دعاء له واستسقاء لأرضه وإنما مراد الشاعر الدعاء عليه ان يهلك الله إبله فلا يملك منها ما يعار عليه، وان تجود السحاب على أرضه وهو مملق فيشتد اسفه على ما ذهب من ماله إذا رأى الأرض مخصبة، وسائمة الحي راعية"^(٣).

ولابن جني (ت ٣٩٢هـ) ملاحظات كثيرة تخص (سياق الحال) جذبت اهتمام المحدثين، فقد حرص في مؤلفاته على بيان أهمية الحال المشاهدة في التيقن من المعنى، وكيف تغني مشاهدة الحال والموقف عن ذكر كثير من الكلام، يتضح ذلك من معالجته لكثير من الجمل الواردة عن العرب في الشعر والنثر على حد سواء، ومحاولة ربطها دائماً بالسياق الذي وردت فيه والافادة من القرائن المحيطة بها. يقول ابن جني: "والذي يدل على انهم قد احسوا ما احسنا _أي العرب_ وارانوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، الا انه مع ادنى تأملٍ في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها: من استخفافها شيئاً أو إستثقاله، وتنقيله أو إنكاره، والانس به أو الاستيحاش منه، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود بل الحالفة على ما في النفوس"^(٤) ويوضح كلامه معلقاً على بيت الشاعر:

تقول _وصكت وجهها بيمينها_ أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ

(١) ينظر: الكتاب ٢٥٧/١، ٢٨٢/١، وينظر أمثلة أخرى في الكتاب منها على سبيل المثال: ٢٧١/١-٢٧٢، ٧٥-٧٤/١، ١٠٣/٣ وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ١٠٣-١٠٥.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٤٦. وينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين ٩٧. ويمكن ان نقارن قوله هنا بقول (مالينوفسكي) السابق في حديثه عن صعوبة الترجمة.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٤٧.

(٤) الخصائص ٢٠٦.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

بقوله: " فلو قال _يقصد الشاعر_ حاكياً عنها _يقصد زوجة الشاعر_ أبعلي هذا بالرحى المتقاعس_ من غير ان يذكر صك الوجه _ لأعلمنا بذلك انها كانت متعجبة منكراً، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة انكارها، وتعاضم الصورة لها. هذا مع انك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين"^(١).

ويعتقد د. عبد الكريم مجاهد أن ما استشهد به ابو الفتح بن جني يتضمن أمرين:

أولهما: الحدث الكلامي بقولها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ.

ثانيهما: الحدث غير الكلامي ويمثله قول الشاعر: وصكت وجهها بيمينها.

ويرى في قول ابن جني (علم بذلك قوة انكارها وتعاضم الصورة لها...) ما عبر عنه (فيرث) بأثر الحدث الكلامي وغير الكلامي^(٢).

ويقول ابن جني في تعليقه على شاهد آخر هو:

قلنا لها قفي لنا قالت قافٍ

"لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئاً آخر من جملة الحال فقال مع قوله: (قالت قافٍ): (وامسكت بزمام بعيرها)، أو (عاجته علينا) لكان ابين لما كانوا عليه وأدل على انها أرادت: وقفتُ أو توقفتُ، دون ان يظن انها أرادت: قفي لنا! أي يقول لي: قفي لنا! متعجبة منه. وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم ان قولها (قافٍ) إجابة له، لا ردّ لقوله وتعجب منه في قوله: (قفي لنا)"^(٣).

ويوضح ابن جني أهمية المشاهدة وملاحظة سمات الوجه وملامح المشاركين في الخطاب وما لها من أثر في فهم المعنى الكامل للجملة أو الخطاب فيقول: "أولا تعلم ان الانسان إذا عناه أمر فأراد ان يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يا فلان، اين أنت، أرني وجهك: أقبل عليّ احذثك، أما أنت حاضر يا هناه. فإذا أقبل عليه وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين، مجزئاً عنه لما تكلف ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والاصغاء إليه"^(٤).

ويعضد ابن جني كلامه بالمعنى الطريف الذي تضمنه بيت الشاعر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ودٍ إذا كانا

وقول الهذلي:

رفوني وقالوا: يا خويلد لا تدع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

قائلاً بعد ذلك "أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس. وعلى ذلك قالوا: رب اشارة ابلغ من عبارة"^(٥) ومن طريف ما يذكره ابن جني في هذا الشأن أيضاً ما قاله له بعض مشايخه "انا لا أحسن ان أكلّم انساناً في الظلمة"^(٦).

وليس ابلغ من قول ابن جني بعد ذلك: "فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبي اسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي،

(١) الخصائص ٢٠٦، وينظر: ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦١ والدلالة السياقية عند اللغويين ١٤٢.

(٢) ينظر: ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦١.

(٣) الخصائص ٢٠٧.

(٤) الخصائص ٢٠٧.

(٥) الخصائص ٢٠٧-٢٠٨.

(٦) الخصائص ٢٠٨.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلت عليه إشارة لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير متهم الرأي والنحيظة والعقل^(١).

وكأن ابن جني يريد أن يقول أن غياب الحال المشاهدة وعدم رؤية المتكلمين ومعرفة القرائن التي تلف ما نقل من جملهم وكلامهم كانت سبباً في اختلاف اللغويين وانقسامهم فيما بينهم إلى مجيزٍ ومانعٍ ورادٍ ومردودٍ عليه. ولو شفع كل واحد منهم كلامه بما احاط به من قرائن وملابسات، لدفع كثيراً من الخلاف وتعدد وجوه النظر ولكان في ما ذكره الخبر القاطع الذي لا يقبل الشك، ولا يحتاج فيه إلى تقليب النظر والاجتهاد.

وقد كان ابن جني أيضاً يستدل على ما حذف من الجملة من خلال النظر في سياقها الذي قيلت فيه، وما اكتنفها من حال وما قيل قبلها من كلام. كما في حديثه عن حذف المبتدأ أو الخبر من الجملة، يقول: "واعلم أن المبتدأ قد يحذف تارة ويحذف الخبر تارة أخرى الخبر أخرى. وذلك إذا كان في الكلام دليل على المحذوف، فإذا قال لك القائل: من عندك؟ قلت: زيد، أي عندي زيد. فحذفت عندي وهو الخبر. وإذا قال لك كيف أنت؟ قلت: صالح. أي أنا صالح. فحذفت أنا وهو المبتدأ"^(٢).

ويحاول ابن جني أن يفيد من تشابه السياقات والمواقف والمماثل والمشابه من كلام العرب من أجل بيان المحذوف، كقوله في الآية الشريفة: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ _محمد ٢١/٤٧ أن المقصود: أمرنا طاعة. على حذف الخبر لأن العرب تفعل ذلك إذا عرف المقصود ودل عليه دليل من حال أو مقام، ولأنها قد تظهر هذا المحذوف في بعض السياقات المماثلة، كما أظهره عمر بن أبي ربيعة بقوله:

فقال على اسم الله أمرك طاعة

وان كنت قد كلفت ما لم أعود^(٣)

ومثل هذا جملة (القرطاس) التي ذكرها سيبويه ويذكرها ابن جني أيضاً في خصائصه مدلاً على حذف الفعل منها _منبهاً على تشابه المواقف_ وكيف يكون ذلك لأن "دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به"^(٤) ونحن نلجأ اليوم إلى هذه الطريقة في الحذف في مناسبات ومواقف مشابهة، منها على سبيل المثال نقول (فجأة) ونحن نتابع أحد المباريات الرياضية (الهدف) ونحن نقصد بالتأكيد (أصاب اللاعب الهدف) لكننا حذفنا ما حذفنا من كلامنا لأن الموقف الذي نحن فيه وملابسات المشاهدة والمباراة تغني عن ذكره.

ويلجأ ابن جني أيضاً إلى مثل هذه المقارنة عندما يذكر الجملة التي ذكرها صاحب الكتاب من قبل، وهي قول العرب: (سير عليه ليلٌ) ذاكرًا أنهم يعنون بذلك (ليل طويل) مؤكداً أن حذف الصفة إنما كان "لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطريح

(١) الخصائص ٢٠٨، وينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين ١٤٤.

(٢) اللمع في العربية ٧٧.

(٣) ينظر: اللمع في العربية ٧٨، وينظر: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩٠، وشرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩٠. وقد تقدم أن أصحاب نظرية السياق وعلى رأسهم (فيرث) كانوا يعنون بتشابه المواقف، والعلاقات المتبادلة بينها على الرغم مما يكتنف ذلك من صعوبة منهجية.

(٤) الخصائص ٢٣٣.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت^(١) ويقارن هذا ابن جني بموقف آخر مشابه وهو "ان تكون في مدح انسان والثناء عليه، فتقول كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بانسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك"^(٢).

ومثل هذا نألفه اليوم أيضاً في المواقف المشابهة ويمكن أن نستدل عليه أيضاً بمثل المباراة السابق، إذ كثيراً ما نردد القول بعد مباراة ادهشتنا واثارت انتباهنا وشدت اعصابنا: (كانت والله مباراة) بدون ان نذكر صفة ما يفهم السامع القصد ويدرك ما فيه من معنى المبالغة التي لا تتحقق عند التصريح بما حذفناه ولم نذكره. ويمكننا بالتأكيد ان نأتي بأمثلة كثيرة من واقع حياتنا اليومية تشابه المواقف والسياقات التي ذكرها ابن جني في شواهد، إذ يبدو انه كان حريصاً على اختيار أمثلة من واقع الإستعمال الفعلي لأبناء اللغة ولم يأت بجمل وأمثلة مجردة منزوعة من سياقها.

هذه النظرة اللغوية الثاقبة من ابن جني أثارت دهشة المعاصرين وجعلتهم يقولون ان كلامه كان شاملاً لكل ملابسات الحدث الكلامي من شاهد الحال وأحوال المتكلمين والسامعين، والأثر الذي يتركه الحدث الكلامي^(٣).

وربما ذهب بعض المعاصرين مثل د. عبد الكريم مجاهد إلى سبق ابن جني في بيان أهمية سياق الحال وتحليل الحدث الكلامي (الجمل) وليس (فيرث) وان يكن قد ذكر أيضاً أن آراء ابن جني قد جاءت كلها "مبعثرة تفتقر إلى التنظيم في إطار شامل متكامل، أي في شكل نظرية"^(٤). أما ملاحظات عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) وآراؤه فيما يخص (سياق الحال) فلا تقل شأنًا عن ابن جني، وان كان يتناول الموضوع مركزاً النظر على الجانب البلاغي أكثر من غيره. وقد عرض عبد القاهر أمثلة كثيرة للتقديم والحذف والتنكير والتعريف واستعمال الافعال والأسماء مبيناً صلتها بالسياق وعلاقتها بالغرض الذي تقال من أجله ومدى مطابقتها لمقتضى الحال ومراعاتها له.

وفي حديث عبد القاهر الجرجاني عن التقديم يرفض أن يكتفي بالقول: "أنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم _ كما فعل سيبويه _ من غير ان يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟"^(٥) ويحاول عبد القاهر ان يكون أكثر تفصيلاً ودقة من سابقه، من خلال الربط بين الجمل والأغراض الخاصة التي سبقت من أجلها. فهو لا يعتقد بوجود قانون ينظم تأليف الجمل على نمط معين دون غيره، وليس هناك حد يحد الكلام فانه يجيء على وجوه وانحاء مختلفة^(٦) ويوضح عبد القاهر كلامه بقوله بقوله أنه "قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه، كمثّل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيبُ ويفسد ويكثر به الأذى، انهم يريدون قتله، ولا

(١) الخصائص ٥٥١، وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ١٤٣.

(٢) الخصائص ٥٥١.

(٣) ينظر: ما معنى نظرية المعنى عند فيرث ٦١، والدلالة السياقية عند اللغويين ١٤١.

(٤) ما معنى نظرية المعنى ٦١، وينظر أيضاً: ٦٢-٦٣.

(٥) دلائل الاعجاز ١٠٨.

(٦) ينظر: دلائل الاعجاز ٨٧.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

يبالون من كان القتل منه، ولا يعينهم منه شيء. فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: (قتل الخارجي زيد). ولا يقول: (قتل زيد الخارجي) لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له (زيد) جدوى فائدة، فيعينهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم. ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون، وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأنهم كفوا شره وتخلصوا منه"^(١).

ومن الواضح هنا أن عبد القاهر يأخذ بحسابه الحدث الكلامي والمشاركين والقرائن والملابسات والأثر الذي يتركه الكلام ويخلفه في نفوس السامعين. وهذا ما دأب عليه في تعامله مع الجمل المختلفة كما في حديثه عن حذف المفعول به من الجملة وقوله "إن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارةً ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين. فإذا كان الأمر كذلك، كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديرًا"^(٢).

وهذا التحليل المبني على مقاصد المتكلمين ومراعاة مقتضى الحال يمثل له عبد القاهر بـ"قول الناس: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهي، ويضر وينفع"^(٣). وبقولهم: "هو يعطي ويجزل، ويقرى ويضيف"^(٤). والمقصود في جميع ذلك عنده "إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة، من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي، وضر ونفع، وعلى هذا القياس"^(٥).

وجعل من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ _ الزمر ٩/٣٩، أي هل يستوي من له علم ولا علم له. وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ _ غافر ٦٨/٤٠، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا _ النجم ٤٣/٥٣ _ ٤٤ ، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ _ القمر ٤٨/٥٤. فالمعنى المراد "هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء وأن تخبر بأن شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى"^(٦).

وهنا نضع خطأً تحت قول عبد القاهر (وهكذا كل موضع كان القصد فيه... الخ)، وتحت قوله: (أن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى). ولا يفوت عبد القاهر أن ينبه على تشابه المواقف وما يكتنفها من تشابه الاستعمال على نحو مما فعله ابن جني، كما في حديثه عن المواضع التي يطرأ فيها حذف المبتدأ مثل (القطع والاستئناف) فالعرب مثلاً: "يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ"^(٧).

ومن لطيف امثلة عبد القاهر قول جميل:

وهل بشينة يالللناس قاضييتي ديني؟ وفاعلةٌ خيراً فأجزيتها؟
ترنو بعيني مهاةً أقصدت بهما قلبي عشية ترميني وأرميها

(١) دلائل الاعجاز ١٠٧-١٠٨ وينظر ما بعدها.

(٢) دلائل الاعجاز ١٥٤.

(٣) دلائل الاعجاز ١٥٤.

(٤) دلائل الاعجاز ١٥٤.

(٥) دلائل الاعجاز ١٥٤.

(٦) دلائل الاعجاز ١٥٥، وينظر ١٥٤.

(٧) دلائل الاعجاز ١٤٧.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرةً ريًا العظام بلا عيب يرى فيها
من الأوانس مكسالً مبتلةً خودٌ غذاها بلين العيش غاذيها

أي: هي هيفاء مقبلة، وهي عجزاء مدبرة، وحذف المبتدأ لأنه استأنف كلاماً يخص من بدأ الحديث عنه وهو (بثينة) ويعرف السامع من القرائن وربط هذه الجملة بما قيل قبلها المحذوف وان لم يصرح به^(١).

ومن أمثله في حذف المبتدأ للقطع والاستئناف أيضاً البيت الذي انشده سيبويه :

اعتاد قلبك من ليلي عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل
ربيعٌ قواء أذاع المعصراتُ به وكل حيرانٍ سارٍ مأوه خِصلُ

أي: ذاك ربيعٌ قواء أو هو ربيعٌ^(٢).

ولأن ما حذف من الجملة كان مراعاة لمقتضيات الحال وملابسات المقام _ اغراض الكلام_ كما هو الشأن في تقديم بعض عناصر الجملة أو تفضيل بعض الصيغ في هذه الجملة أو تلك على صيغ أخرى _ يرى عبد القاهر أنه "ما من اسم أو فعلٍ نجده ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها، الا وانت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضمماره في النفس أولى وأنس من النطق به"^(٣).

وإذا اردنا ان نلتمس شواهد أخرى عند لغويين آخرين فبإمكاننا ان نجد الكثير عند الجاحظ وابن يعيش وابن هشام وغيرهم^(٤) ومما يؤسف له أن العرب لم يقدموا سياق الحال على شكل نظرية واضحة المعالم لها أسسها وآلياتها على نحو مما فعله الغربيون. ولا يعني هذا القول التقليل من شأنهم البتة، فلداستهم فضل السبق الزمني الكبير، وهي أيضاً تبيين مدى إلمام العرب بأهمية (سياق الحال) وما يحمله من قرائن وملابسات أدرك العرب أهميتها الكبيرة وأثرها في التحليل اللغوي، وتعاملهم مع الجمل العربية المختلفة بمقتضاها وسعيهم إلى معرفة القرائن والملابسات التي تكتنفها ينم عن دراية واسعة ونظرة لغوية عميقة.

وما ذكره العرب القدماء في هذا الشأن يمثل دراسة سياقية عامة، فقد تناولوا السياق في جانبه العام متمثلاً بما له من أثرٍ على صياغة الجمل وفهم دلالاتها وإدراك معانيها الدقيقة. ولم يفصل العرب القول في طبيعة الملابس المادية أو يحاولوا تحديدها وتفصيلها بدقة ذاكرين ما له صلة بالحدث اللغوي وما ليس له صلة _ وان كان يبدو واضحاً من تحليلاتهم السابقة أنهم يعنون بما له صلة مباشرة بالحدث اللغوي _ ولم يضعوا خطوات محددة لدراسة الجملة وفهمها في ضوء سياق الحال وملابساته. ولو فعلوا ذلك لربما كان أماننا اليوم بخلاف كبير وجدل لغوي واسع في هذا الشأن تحفل به مصنفاتهم على نحو مما وجدناه فيما افاضوا فيه من موضوعات لغوية أخرى.

(١) دلائل الإعجاز ١٥٠ والبيت ليس في ديوانه المجموع. ينظر الهامش.

(٢) دلائل الإعجاز ١٤٦، وينظر الكتاب ٢٨١/١ وقد رواه سيبويه اعتاد قلبك من سلمى عوائده... الخ. وهو لعمر بن أبي ربيعة.

(٣) دلائل الإعجاز ١٥٢-١٥٣ وينظر أمثلة أخرى كثيرة على سبيل المثال ١٠٦ وما بعدها، ١٤٦ وما بعدها، ١٧٣ وما بعدها، ١٧٧ وما بعدها. وفيها أمثلة عن التقديم والحذف وفروق الخبر، والتعريف والتذكير وغير ذلك. وينظر أيضاً الدلالة السياقية عند اللغويين ١٥٩ وما بعدها.

(٤) ينظر مثلاً: شرح المفصل ٣١٠/١، ومغني اللبيب ٦٩٢/٢. وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ٩٣ وما بعدها.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وعلى الرغم من إدراك العرب لأهمية سياق الحال وملابساته بغض النظر عن المصطلح الذي استعملوه لذلك (المقام) أو (مقتضى الحال) أو غيره فإن ذلك لم يجعل العرب يسيرون على هذا النمط دائماً. منطلقين مما يوحى به سياق الموقف ومما يومية به الاستعمال الفعلي للغة. فإذا كانت جميع التقديرات والتأويلات التي تضمنتها الأمثلة السابقة التي انتقيناها من دراسات اللغويين تنسجم مع هذا المفهوم وتتماشى معه. فإن هناك تأويلات وتقديرات تعسفها العرب في الجملة من دون أن يشير إليها سياق موقف أو تدل عليها ملابسات^(١).

ومن أمثلة ذلك تقدير فعل محذوف بعد الشرط كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾_ التكوير/١، وتقدير فعل محذوف للنداء تقديره أدعو وجميعها لا دليل عليه من سياق أو نحوه، بل يتعارض بعض هذه التقديرات والتأويلات مع ملابسات السياق وقرائنه على نحو واضح. فتقدير فعل محذوف قبل النداء_ على سبيل المثال_ يؤدي إلى إخراج الجملة من حيز الإنشاء إلى الخبر وهو نقيض الوظيفة التي تؤديها هذه الجملة تماماً. وكذلك في قولنا في جملة التعجب مثل ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾_ مريم/٣٨، أن (أسمع) فعل ماضٍ جاء بصيغة الأمر، يخرج هذه الجملة من حيز الإنشاء إلى الخبر أيضاً ويخالف الوظيفة التي سبقت هذه الجملة من أجلها^(٢). ناهيك عن ضعف الأساس الذي بنيت عليه الفكرة (مجيء الماضي بصيغة الأمر) وعدم وجود ما يسوغه من استعمال مماثل، أو قرائن محيطية فضلاً عن تناقضه مع السياق. فمن الواضح جداً أن نمط الجملة وصورتها يتماشى مع الغرض الذي تساق من أجله والوظيفة التي تؤديها في الكلام، وأنها إذا اردنا أن نخبر عن شيء وقع في الماضي سنلجأ إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ، وإذا اردنا أن نخبر عن حدث يقع الآن سنلجأ إلى جملة فعلية فعلها مضارع، وإذا اردنا أن نطلب من شخص القيام بفعل ما سنلجأ إلى جملة فعلية فعلها فعل أمر. وإذا اردنا أن ننادي شخصاً بعيداً أو أن نجذب انتباهه للحديث سنأتي بحرف نداء واسم، وإذا اردنا أن نعبر عن دهشتنا من موقف ما وإبداء عجبنا واستغرابنا منه سنأتي بجملة تعجبية وهكذا إذا اردنا مدح شخص أو ذمه أو الاستفهام عن قضية ما... الخ سنحرص دائماً على أن نأتي بالجملة التي تلائم الغرض وتناسب المقام. "لأن كل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة ويمكن المتكلم من تنظيم كُتل المعلومات طبقاً لظروف الكلام"^(٣). وتكلفنا لتقدير محذوف، وتعسفنا في تأويله من غير أن يدل عليه دليل أو تشير إليه قرائن يتناقض مع أسس اللسانيات ويتقاطع معها مما يعني غياب الموضوعية وضياح صفة العلمية. ومن جهة أخرى يوقعنا في تناقض كبير مع متطلبات السياق وملابساته والوظيفة التي تؤديها الجملة.

ومن هنا نجد وجهاً للدعوات التي نادت بتصحيح بعض مسائل النحو وإعادة النظر في هذه التأويلات والتقديرات لأن كثيراً منها لا داعي له ولا يحتاج إليه الكلام على نحو مما فعله ابن مضاء^(٤)، لأنها تعي بوضوح حقيقة (اللغة) وما يجب أن يكون عليه التعامل معها من خلال النظر في حقيقة الاستعمال وواقع اللغة الفعلي وهو بالتأكيد ما تحرص عليه اليوم الدراسات اللسانية.

د- (سياق الحال) ودراسة العرب المعاصرين للجملة:

(١) ينظر مثلاً: الرد على النحاة ١٥، ومغني اللبيب ٦٩٤/٢.

(٢) ينظر: الإنصاف ١٩٧/١-١٩٩، واللغة العربية معناها ومبناها ١١٣ وما بعدها. والعلامة الاعرابية ٩٩-١٠٢.

(٣) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧١، وينظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٠٧ وما بعدها.

(٤) ينظر الرد على النحاة ١٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

من أبرز ما تحفل به ساحة الدراسات اللغوية العربية المعاصرة اليوم هو محاولة الإفادة من ثمار الدراسات اللسانية المختلفة ومن ضمنها (السياقية) في دراسة اللغة العربية، وقد حاول أكثر من باحث عربي معاصر تطبيق هذه المناهج في دراسته للغة العربية، وجهد آخرون في المقارنة بين هذه الدراسات وما في تراثنا العربي، إلا أن بعض هذه الدراسات قد اتصفت بالدقة العالية والجدية الواضحة على نحوٍ لم تتوافر عليه الدراسات الأخرى إلا بصعوبة، وكان الحافز المنهجي والموضوعي هو العنصر المحرك لهذه الدراسات، التي في مقدمتها دراسات د. تمام حسان ولاسيما كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها). فالأساس الذي انطلق منه د. تمام حسان وبنى عليه آراءه ورؤيته الجديدة في دراسة العربية هو أساس لساني واضح بدءاً بتأكيد ضرورة الانطلاق من الجملة في أي دراسة للغة العربية، وإلا تكون العناية بالجانب التحليلي إلا طريقاً يتوصل من خلاله إلى معنى الجملة. وانتهاءً برفضه أي نقد يوجه إلى النحو العربي القديم ما لم يبين على هذا الأساس^(١).

أما منهجه السياقي فهو أمر يتضح من بعض إشاراته إلى (مالينوفسكي)^(٢) واعتماده على طروحات (فيرث) في تشقيق المعنى، وتصريحه بأن الحاجة المنهجية تدعو "إلى تشقيق المعنى إلى ثلاثة معانٍ فرعية أحدها المعنى الوظيفي وهو وظيفة الجزء التحليلي في النظام أو في السياق على حدٍ سواء. والثاني المعنى المعجمي للكلمة وكلاهما متعدد ومحتمل خارج السياق وواحد فقط في السياق، والثالث المعنى الاجتماعي أو معنى المقام وهو أشمل من سابقه"^(٣) وإصراره على أن هذا الاتجاه "هو الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى، وهذه هي الاعتبارات التي ينبغي أن تراعى في تشقيق المعنى"^(٤).

ومن هنا جاء تفريقه في دراسته معنى الجملة بين معنيين هما: معنى المقال، ومعنى المقام.

ويتألف الأول (معنى المقال) من:

١ - المعنى الوظيفي: الذي يتمثل بما يقدمه المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي.

٢ - المعنى المعجمي (العرفي) المتمثل بمعاني الكلمات المعجمية المستعملة في الجملة.

أما معنى المقام: فيتمثل بظروف أداء المقال وهي تشتمل على القرائن الحالية التي يسمى جميعها (المقام)^(٥).

ويمثل هذا المعنى "المحصلة النهائية للحدث اللغوي في الموقف المعين، وهو هدف الاستعمال اللغوي بالنسبة للمتكلم، والسامع في أغلب الأحيان كما أنه هدف للباحث اللغوي أيضاً"^(٦).

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٦-١٧ وينظر أيضاً ٣٣٦.

(٢) ينظر مثلاً اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٣، ٣٧٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨-٢٩، وينظر: ما معنى نظرية المعنى ٦٠، ٦٤ وعلم الدلالة (بالمر) ٦٤، وعلم الدلالة (عوض) ١٦٨.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١، وينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٩.

(٦) المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٥٠.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ولكي نصل إلى المعنى الشامل علينا ان نستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة من صوت وصرف ونحو ومعنى معجمي، ثم علينا ان لا نكتفي بذلك ونضيف إليه المعنى الاجتماعي الذي يمثلته المقام بما فيه من قرائن وملابسات تحيط بالجملة^(١).

إذ يؤكد د. تمام حسان أن هذا العنصر الاجتماعي ضروري جداً لفهم المعنى الدلالي وهو يأتي بأمثلة كثيرة لتوضيح هذه المسألة نذكر منها جملته: (أهلاً بالجميلة) التي شرح ما يمكن ان تتضمنه من دلالات مختلفة تماماً فيما لو قيلت في مواقف إجتماعية مختلفة "فالذي يقول لفرسه عندما يراها، (أهلاً بالجميلة) يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض وربما صحب ذلك ربتٌ على كتفها أو مسح على جبينها. أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضاً، فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة"^(٢) لذا كان الوقوف "عند المعنى المعجمي لكلمتي (أهلاً) و(الجميلة) وعلى المعنى الوظيفي لهما وللبناء الرابطة بينهما لا يصل إلى المعنى الدلالي، ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي الا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص."^(٣)

وجميع الجمل العربية التي يذكرها د. تمام حسان لا يكتفي في معالجته لها بمعنى المقال إنما يمعن النظر فيها من خلال النظر في المشاركين في الحدث اللغوي والاشياء ذات الصلة وما تتركه الجملة من أثر^(٤).

وهو يرى "أن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي ان يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي، كما ينبغي ان يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المنقضي والذي يمكن ان يعاد بناؤه بالوصف التاريخي"^(٥) وبعبارة ذلك سيكون الإكتفاء بمعنى المقال سبباً دائماً في قصور الفهم^(٦).

ومن خلال السياق يجد د. تمام حسان مخرجاً مما وقع فيه القدماء من تناقض فهو ينص على "ان نتائج النظر إلى السياق تفرض عناصر جديدة على المكونات التحليلية، هي حلول لما قد يكون بين النظام وبين السياق من تضارب، أو هي بعبارة أخرى معالم سياقية أو ظواهر موقعية لا وجود لها الا في السياق المنطوق وبسببه"^(٧).

ومن ملاحظات د. تمام حسان المهمة في هذا الشأن تنبيهه إلى الفرق بين (سياق الحال) عند المحدثين و(المقام) عند العرب، إذ يذكر أنه "يختلف بعض إختلاف عن فهم الأولين الذين رأوه حالاً ثابتةً STATE ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال"^(٨) مما يعني ان (سياق الحال) عند المحدثين أوسع من (المقام) عند البلاغيين واللغويين العرب.

(١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١، وينظر أيضاً التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٢-١٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٢ وينظر ما بعدها، وينظر أيضاً: المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٥-٣٤٦، وأمثلة أخرى كثيرة قبل هذه الصفحات وبعدها من فصل (الدلالة).

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٧٢.

(٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٧٢.

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧.

(٨) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٥١ وينظر أمثلة على السياقات المختلفة التي حاول المؤلف حصرها في ٣٦٥ وما بعدها.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ومنها أيضاً اشارته إلى ان عبارة النحاة العرب (الاعراب فرع المعنى) كان يمكن ان تكون "واحدة من جوامع الكلم إذا فهمنا بالإعراب معنى (التحليل) لأن كل تحليل لا يكون الا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من مباني السياق. فيكون التحليل حينئذٍ على مستوى الصوتيات والصرف والنحو، أما المعنى المعجمي فهو علاقة عرفية لا يصدق عليها قولهم: الاعراب فرع المعنى"^(١).

وليست دراسة د. تمام حسان هي الوحيدة في إطار نظرية السياق وان كانت من أكثر هذه الدراسات شمولاً وتفصيلاً، فمن قبله كانت هناك آراء مهمة ذكرها د. ابراهيم أنيس في بعض مؤلفاته^(٢)، ومن بعده د. محمد حماسة عبد اللطيف^(٣)، ود. محمد محمد يونس^(٤) وآخرون غيرهم مثل د. محمد أحمد حماد ود. أحمد عيسى ود. أحمد محمد كشك^(٥) مع ملاحظة ان كثيراً ممن جاء بعد د. تمام حسان قد تأثر بدراسته ومنهجه بشكل أو بآخر^(٦).

والمسائل السياقية التي يتعرض لها د. محمد حماسة في كتابه (النحو والدلالة) كثيرة وان كان جهده بالأساس ينصب على محاولة معالجة مشكلات الدلالة والتركيب في إطار اللغة العربية. فهو يتحدث مثلاً عن أهمية معرفة السياق الذي تستعمل فيه الجمل، وكيف ان تعلم قواعد لغة ما ومفرداتها لا يعني القدرة على تأليف جمل صحيحة، كما هو الحال عند تعلم لغة اجنبية ما، فإذا لم يكن المتعلم "مزوداً بقواعد اختيار هذه الكلمات التي تخصص لسياق الجملة المناسب، فسوف يكون عرضة لأن يكون جملًا صحيحة نحويًا ولكنها لا تؤدي معنى، أو تحتوي على كلمات مستعملة بمعنى خاطئ في إطار نحوي خاص"^(٧).

ويتحدث د. حماسة عن المحاور الأربعة التي تركز عليها الجملة لكي تعد صحيحة نحويًا ودلاليًا وهي: الوظائف النحوية، المفردات المعجمية التي يتم اختيارها، العلاقات الدلالية بين الوظائف النحوية والمفردات، السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي^(٨). ويذكر أيضاً "أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها، نفسها، إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها"^(٩).

فجملة مثل (سأجيء الخميس القادم) سيكون لها معنى مختلف في كل "استعمال جديد حسب المتكلم وحسب التاريخ الذي قيلت فيه. فإذا قال محمد هذه الجملة يوم ١٩ اغسطس، وقالتها فاطمة يوم ٦ سبتمبر فإن هذه الجملة ذات المدلول الواحد تمثل نطقين مختلفين، كل منهما له معنى مختلف"^(١٠).

وجملة (ضرب محمد علياً) بما فيها من بساطة تصلح أن تكون مثلاً موضوعاً من أمثلة كتب النحو التعليمي، لكنها _إذا نظر إليها على انها جملة واقعية_ تختلف من قائل إلى آخر ومن مستمع

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٧٢.

(٢) ينظر مثلاً: من اسرار العربية ٢٣٦، ودلالات الألفاظ ٣٩ وما بعدها و ٤٤ وما بعدها وكذلك ٥١ وما بعدها.

(٣) ينظر مثلاً كتابه العلامة الإعرابية ٩٩-١٠٢ والنحو والدلالة ١٤٤.

(٤) ينظر مثلاً وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٨.

(٥) ينظر كتابهم المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٠ وما بعدها.

(٦) ينظر مثلاً العلامة الإعرابية ٩٩-١٠٢، والنحو والدلالة ٧٣، ١٣٧.

(٧) النحو والدلالة ٥٧.

(٨) ينظر: النحو والدلالة ٦٤-٦٥.

(٩) النحو والدلالة ١٤٤.

(١٠) النحو والدلالة ٥٠.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

إلى آخر، ومن غرض إلى آخر، باختلاف ما يعرف عن كل من (محمد) الفاعل، و(علي) المفعول به، في كل موقف، وباختلاف علاقة قائل هذه الجملة أو المستمع لها بكل من محمد أو علي، وما يكون لكل منهما من تجارب سابقة مع كل من محمد أو علي، وباختلاف الصفات الجسمية والشخصية والعقلية والخلقية لكل منهما، وما يعتقده المتكلم أو المستمع في كل منهما^(١).

ويأتي د. حماسة أيضاً بأمثلة كثيرة ذكرها علماء العربية قديماً مثل سيبويه وابن جني وعبد القاهر وغيرهم محاولاً أن يربط بين نظرة القدماء لهذه الجمل ورأيهم بما قيل فيها ونظرة علم اللغة الحديث ولاسيما نظرية السياق. محاولاً أن يوازن بين النظرتين، وان يقارب بينهما^(٢). والمسائل السياقية وآراء حماسة فيها كثيرة كما اسلفنا تشغل معظم صفحات كتاب (النحو والدلالة).

أما د. محمد يونس فقد ميز بين دلالة الجملة في السياق ودلالاتها خارج السياق. عن طريق تفريقه بين مصطلحين _ كما تقدم في المبحث السابق _ هما الجملة والقولة.

والجملة هي كيانات مجردة معزولة عن السياق ليست مقيدة بزمان أو مكان معينين، ومن هنا تكون دلالتها دلالة عامة، أما القولة فهي مقيدة بسياق معين، ومعناها هو نتاج لمعنى الجملة والسياق معاً. وبهذا تكون دلالتها دلالة خاصة^(٣).

ويستعير د. محمد يونس مثال (سوسور) في التفريق بين اللغة والكلام لتوضيح هذه المسألة فيقول: "ويمكن توضيح الفرق بين الجملة والقولة بالجوء إلى تفريق دوسوسور بين اللغة والكلام، فبينما تنتمي الجملة إلى اللغة، تنتمي القولة إلى الكلام، إذ إن القولة هي التركيب المفيد الذي ينطقه المتكلم بالفعل في سياق معين في زمن معين وفي مكان معين، أما الجملة فهي ما ينشأ عن تجريد طائفة من القولات المتشابهة إلى الحد الذي يسمح بالحكم بانتماؤها إلى نمطٍ تركيبى واحد"^(٤). ويذكر أيضاً أن مقاصد المتكلمين "لا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المخاطب والمخاطب، وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام"^(٥).

ويمكننا ان نلاحظ أن ما يقرره د. يونس يشابه كثيراً ما قرره د. تمام حسان من قبل. كما ان تفريقه بين الجملة والقولة يعيد إلى الذهن تفريق د. حسان بين معنى المقال ومعنى المقام. ويكمن الفرق بينهما في ان د. يونس قد قدم آراءه حول الدلالة السياقية للجملة في إطار حديثه عن نظرية الإشارة، مازجاً بينهما على نحو غريب كما بيناه في موضعه.

فهو يقول: "يؤدي مفهوم التعيين DEIXIS في إطار نظرية الإشارة _ مهمة العناية بسياق القولة، وذلك أن كثيراً من التعبيرات الدالة على الأشخاص، وعلى الأزمنة والأماكن تحتاج إلى تحديد، فيتم تحديدها بالإشارة إلى زمن حدوثها ومكان الحدث، والأشخاص المعنيين بأمر ذلك الحدث، من متكلم ومخاطب وغيرهما مما له علاقة بهذا الشأن"^(٦).

(١) النحو والدلالة ١٤٤ وينظر ما بعدها.

(٢) ينظر مثلاً: ١٤٧ وما بعدها، و١٥٦ وما بعدها، و١٦٦ وما بعدها، و١٧٢ وما بعدها، و٢١٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٥.

(٤) مدخل إلى اللسانيات ٥٠، وينظر أيضاً ١٩.

(٥) مدخل إلى اللسانيات ٢٠.

(٦) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٨.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وهذا مبني طبعاً على فهمه الواسع لمصطلح (الإشارة) الذي يشمل عنده (المرجعية) أيضاً، وعلى اعتقاده ان هذه النظرية تختص بدلالة المفردات دون الجمل_ كما تقدم به البيان_ وبهذا تكون مفردات القولة تشير إلى موجود خارجي معين_ من وجهة نظره_ لأن دلالتها دلالة خاصة^(١). وهو ما يدل عليه بوضوح قوله: "أننا عندما نتحدث فإننا في الواقع ننقل اللغة إلى كلام، والجملة إلى قولة، والمعنى إلى قصد، ودلالات الألفاظ إلى إشارات"^(٢) وقوله أيضاً: "لا يمكن لنا ان ندرك المقصود بكل هذه الإشارات والمراد من القولة، الا بإقحام العناصر الخارجة عن اللغة، وهي المخاطب والمخاطب والسياق، أي ربط الجملة بزمان ومكان ومخاطبين ومقام تخاطبي، وتحديد ما تشير إليه التعبيرات اللغوية الإشارية"^(٣).

ومن هنا يرى د. يونس أن الفهم السليم لقوله ما كالتي يتضمنها قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ _ الروم ١/٣٠-٤. "يستلزم تحديد الفترة الزمانية والمكان، وكل الملابس التي تسهم في إيضاح المراد من الآية، وكل الأحوال المحيطة بنزولها. وذلك لأن كلمة (الروم) أخذت دلالات مختلفة عبر التاريخ من حيث المكان الذي يعيش فيه الروم وحدود البلاد ونحو ذلك"^(٤).

وبدون هذا التحديد وإيضاح الملابس لا يمكن فهم المقصود من (القولة) كما لو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ الأنبياء ٦٣/٢١ بمعزل عن سياقه، أي بوصفه (جملة)، وعندئذ لن يفهم منها "الا ان شخصاً ما ينسب فعلاً إلى شخص ما هو أكبر المحيطين به"^(٥). وسيتغير الحال فيما لو نظرنا للآية السابقة بوصفها (قولة) إذ "سنضطر إلى الرجوع إلى السياق الذي قيلت فيه، وسندرك بعدها ان المتكلم هو ابراهيم عليه السلام، وانه يشير بكلمة (فعل) إلى كسر الأصنام، وان الضمير يشير إلى عملية الكسر، وان (هم) في (كبيرهم) تشير إلى الأصنام، وان (هذا) تشير إلى أكبر الأصنام الموجودة، وان القصد من كل هذه القولة تشكيك المخاطبين في إعتقادهم بألوهية تلك الأصنام، وتوجيه انتباههم إلى عجز كبير الأصنام عن القيام بمثل هذا العمل، وعجز سائر الأصنام عن الدفاع عن نفسها عند تعرضها للكسر، والاستخفاف بعقولهم التي تتمسك باعتقاد الوهية تلك الأصنام على الرغم من عجزها عن الدفاع عن نفسها، أو حتى الإخبار عن كسرها"^(٦).

لهذا يجب ان تكون نظرتنا للسياق بمفهومه الواسع: النص، والسياق الخارجي الذي يشتمل على كل ملابس القولة_ كما يرى د. يونس_ على أنه محدد ومخصص غالباً^(٧). ويبقى هذا المبدأ ساري المفعول عنده حتى لو اشتملت القولة على تعبيرات كلية كالتي في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ آل عمران ٣٦/٣. فيما او اعتبرنا (ال) في (الذكر) و(الانثى)

(١) وقد اشرنا أيضاً إلى ان مفهوم (الإشارة) و(الإحالة) عنده غامض وملتبس. ويكاد يظهر الاثنان على انهما واحدٌ عنده. ينظر وصف اللغة العربية دلاليّاً ٨٧.

(٢) مدخل إلى اللسانيات ٥٥.

(٣) مدخل إلى اللسانيات ٥٥.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليّاً ٨٨.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٥٥.

(٦) مدخل إلى اللسانيات ٥٥، وينظر الجدول في صفحة ٥٦.

(٧) وصف اللغة العربية دلاليّاً ٨٨.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

للجنس. "فان هذه التعبيرات تعد من باب التعبيرات الخاصة لا العامة. فيكون التقدير حينئذ: وليس جنس الذكر الذي ينتمي إليه ما طلبته امرأة عمران، كجنس الأنثى الذي ينتمي إليه ما وضعته في خدمة بيت المقدس"^(١). وما يبرر رأيه هذا هو النظر إلى المسألة من جانبها "فالذكر في هذه الحالة تعبيرٌ كلي، لأنه يندرج تحته أفراد متعددة، ومع ذلك فهو تعبير خاص لأنه منظور إليه من جانب معين، ومراعى فيه اعتبار خاص، وهو إنتماء ما طلبته امرأة عمران إليه، ولولا ذلك لما كان هناك مناسبة للإعلام باختلاف الذكر عن الأنثى، ونفي ان يكون أحدهما كالآخر في هذه الآية"^(٢).

وبهذه الأمثلة يتضح كلا جانبي (القولة) عند د. يونس. الأول: الذي "ينتمي إلى اللغة: وهو الذي يضمن ان المخاطبين يفهمون ما يقوله المتكلم بوصفه منتبهاً إلى مجتمعهم اللغوي ويتحدث لغتهم. ويتمثل هذا الجانب في تقيد المتكلم بقواعد اللغة، والمناويل اللغوية LINGUISTIC PATTERNS المتعارف عليها في لغة، والمفردات المعجمية المصطلح عليها"^(٣).

والثاني الذي "ينتمي إلى الكلام: وهو تركيبه لقولة معينة على نحو يحكمه عادةً قصده الإبلاغي، واختياره لمفردات معجمية، ومناويل قواعدية بعينها، وإستثمار السياق لبيان مقصده"^(٤). مقصده"^(٥).

وهذا الذي يقرره د. يونس هنا يعيدنا أيضاً إلى آراء د. تمام حسان وتقريظه بين معنى المقام ومعنى المقال، وتبنيه لفكرة تشقيق المعنى منطقاً من منهج (فيرث) ونظريته في (سياق الحال). وينطبق كذلك على ما ذكرناه من أمثلة د. محمد حماسة من قبل. وكل هذه الأمثلة تبين أهمية المنهج السياقي في دراسة دلالة الجملة العربية ومدى احتفاء الدارسين العرب به، وإدراكهم لأهميته وما يمكن أن يعود به من فوائد ويجود به من ثمار في رصد دلالاتها والتعرف عليها في أطرٍ منهجية واضحة تتسم بالموضوعية.

لقد كتب (بيرس) في عام ١٨٦٨م مقالاته التي نص فيها على ان للكلمة معنىً مفرداً واحداً شريطة ان لا تكون لفظة من صنف المشترك اللفظي، ذاكراً تعدد معانيها السياقية^(٥) وبعدما جاء به به فيرث واتباعه أصبح هذا المبدأ يطبق على الجملة، وأصبح تعدد معانيها السياقية من أكثر ما يُعنى به الدارسون. كما أصبح اليوم من أكثر ما يعني الدارسون العرب والباحثون في دلالة الجملة العربية.

ان كيفية استعمالنا للجملة وطريقة تأليفها وتركيبها تبقى محكومة دائماً بالسياق الإجتماعي الذي ترد فيه، ويمكننا ان نلاحظ الفرق بين الجمل التي تستعمل في مواقف مختلفة مثل الخطاب العادي والتحية والوداع والاستقبال والالتزام والنصح والرجاء والترحم... الخ، ويمكننا أيضاً ان نلاحظ كيف يحرص المتكلم في سياق رسمي على اظهار كلامه تاماً كاملاً، وكيف يتغير ذلك في مقام الألفة الشديدة والعلاقات الخاصة التي يكتفي بها المتكلم باستعمال أشباه الجمل ويكثر فيها الإكتفاء بالمفردات والإجتزاء بالايماءات. وغير ذلك من الفوارق التي تختلف باختلاف السياقات

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٦.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا ٨٦.

(٣) مدخل إلى اللسانيات ٥٤.

(٤) مدخل إلى اللسانيات ٥٤، وهناك أمثلة أخرى ذكرها د. يونس. ينظر مثلاً ٨٩-٩٠.

(٥) ينظر: الإتجاهات الأساسية في علم اللغة ٧٦.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

الاجتماعية^(١). وإذا أخذنا بالإعتبار ما توفره اللغة العربية من إمكانات تعبيرية كثيرة تتمثل بخيارات التقديم والتأخير والذكر والحذف والتعريف والتكثير... الخ مما لا يوجد كثير منه في لغات أخرى. أدركنا أكثر الحاجة الماسة إلى دراسة (الجمال العربية في إطارها الاجتماعي وأهمية ما يشتمل عليه من القرائن والملابسات وهي ما اصطلاح عليه فيما تقدم بـ(سياق الحال).

ثالثاً: دلالة الجملة في ضوء نظرية الفضاء الذهني: Mental Space Theory

تكاد تكون هذه النظرية أحدث ما ظهر في حقل علم الدلالة الإدراكي، وضع أسسها (جبليلس فكونر) Gilles Fauconnier من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٩٤ وتبناها عدد من اللسانيين المعروفين مثل تيرز وستكويل وماكسويل^(٢).

وتتوافق هذه النظرية مع العوالم الممكنة في الفلسفة، الفرق الرئيس بين الفضاء والعالم الممكن ان الفضاء لا يتضمن تمثيلاً أميناً للحقيقة، بل نموذجاً ادراكياً مثالياً^(٣).

ويقول (غرادي) وزميله في التعريف بهذه النظرية أن "الفضاء بنية تمثيل جزئية مؤقتة يركبها المتحدثون عندما يفكرون أو يتحدثون عن حالة مدركة أو متخيلة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل... إنه تركيبة قصيرة المدى تهيوها البنى المعرفية الأعم والأكثر إستقراراً منها"^(٤).

يعني هذا ان "كل ما يتصور (أي وجد كتصور، أي كان له تمثيل ذهني) يعبر عنه في اللغة، وتعبر عنه اللغة كما بنى، أي كما هو متصور في الذهن. ومن هنا فإنّ البنية الدلالية هي البنية التصورية أو انها إسقاط للبنية التصورية في مجال اللغة. وبهذا تكون المعاني تمثلات ذهنية مستنبطة تعبر عن البنية الذهنية"^(٥).

ويمكن ان نزيد الكلام وضوحاً من خلال (مثال الحجر): فلو كان هناك حجر في مجال رؤيتنا، وكان بيننا وبينه كرة، سنقول في وصف هذا الوضع (في اللغة العربية): ان الكرة توجد أمام الحجر. الا أن لغة (الحاوصا) وهي من اللغات الأفريقية تقول في وصف الوضع نفسه: ان الكرة تقع خلف الحجر. وهذا يعني ان البعد (أمام/خلف) ليس خاصية لاصقة بالحجر أو الكرة، وإنما هو بعد يسقطه المتكلم عليها. وكيفية إسقاط هذا البعد تختلف من هذه الثقافة إلى تلك^(٦).

والجملتان:

١- توجد الكرة أمام الحجر (العربية).

٢- توجد الكرة خلف الحجر (الحاوصا).

^(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٦٥ وما بعدها، وما معنى نظرية المعنى ٦٥، والدلالة السياقية عند اللغويين ٧٩.

^(٢) ينظر: Conceptual Integration and Formal Expression 183-204

^(٣) ينظر: اللسانيات والدلالة ٣٣ وكذلك ١٨٤-١٨٦ ومدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٨، ١١٠-١١١. ونظريات لسانية عرفنية ٢٠١-٢٠٢.

^(٤) Blending and Metaphor 2، وينظر: دلالة اللغة وتصميمها ٢٢، ونظريات لسانية عرفنية ٢٠٦.

^(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٩، وينظر: نظريات لسانية عرفنية ٢٠١-٢٠٢.

^(٦) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٥.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ليستا مترادفين وان كانتا تصفان الوضع الخارجي نفسه، فهما يختلفان معنىً وتصوراً. اذ تعكس كل جملة التقطيع الجزئي الذي يمتلكه متكلم العربية ومتكلم الحاوصا للفضاء باعتباره جزءاً من العالم الذي نعيش فيه^(١).

وما يدل عليه هذا هو أن "البشر يمتلكون طريقة لتقطيع العالم الخارجي. والفضاء عبارة عن عالم خارجي تصفه/ تؤوله العبارات الفضائية في اللغة. والبحث في هذه العبارات يمكننا من الوقوف على تمثلاتنا الداخلية لهذا العالم الخارجي، كما يسعفنا في رصد بنية هذه التمثلات، وفي رسم حدود قدرتها التعبيرية"^(٢) وان كانت الطريقة التي يجرأ بها العالم "مرتبطة سببياً بوسائلنا الإدراكية والمعرفية والثقافية"^(٣). أي ان الواقع لا يتم تصويره بالكيفية نفسها. وبعبارة أخرى لا تعكس البنية الدلالية في اللغة العالم الخارجي وإنما تعكس ما هو موجود في أذهان المتكلمين^(٤).

وهذا بدوره يعني ان هناك عالَمين: عالماً حقيقياً وعالماً مُسقطاً. العالم الحقيقي هو الموجود الخارجي، والعالم المسقط هو التنظيم الذي يقيمه الفرد للعالم الخارجي أو يسقطه عليه وهو مشتق من العالم الأول عبر الإدراك والتنظيم الذي هو سيرورات آلية غير واعية لا يمكنها ان تخرج إلى مستوى المراقبة القصدية (أو الوعي) للعالم الخارجي الا في حدود معينة وهذا العالم (المسقط) هو ما تنقله اللغة^(٥).

ويتحدث (فكونر) عن البداية قائلاً: "في دراستي لمسائل تخص اللغة على مدى سنين طوال، دهشت لأن اكتشف كم هي قليلة المعاني الغنية التي نكونها الموجودة بشكل ظاهر في صيغة اللغة نفسها. اعتقدت سابقاً ان اللغات أساساً أنظمة ترميز للعلائق الدلالية، وان الجمل ستحمل المعاني كاملة عندما ترتبط بالموصفات التداولية الطبيعية. الإكتشاف أن هذا ليس ما تقوم به اللغة، وليست هذه طريقة تركيبية المعنى. الصحيح ان اللغة شأنها شأن وسائل التعبير الأخرى، إطار نصي يعمل محفزاً فاعلاً لتوليد المعنى الذي يتكون خارج أي شيء تهيؤه ظاهر الصيغ النحوية والمفردية للغة. إنها ليست مسألة غموض انها طبيعية أنظمة تفكيرنا"^(٦).

ولا يرى فكونر في ذلك انتقاصاً من النحو لأنه اذا كان "لا يهيئ الوسيلة التي يتحرك المعنى بواسطتها فإنه أي النحو يرينا الطريق. انه يقود جهدنا الإدراكي باقتصاد رائع للتنظيمات المخفية وبثقة عالية في تحريكنا عبر ممرات الإدراك"^(٧).

وعن دور الفضاءات يقول فكونر: "الفضاءات تنظم الاجراءات التي تأخذ طريقها وراء الستارة عندما نفكر أو نتكلم. إنها تتكاثر في كشف الحوار وتتداخل فيما بينها بطرائق شائكة، وتهيئ بنية ذهنية

(١) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٦.

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة ١١٥. وينظر فصول في الدلالة ١٥٠ وما بعدها. وقضايا إبستمولوجية في اللسانيات ٩٢ وما بعدها. ومناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ٢٠٢.

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٦.

(٤) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٦، ٧٩، ١١١ ومناهج علم اللغة من هرمان باول ٢٠٢ ويلاحظ مثلاً ان الشكل: <...> مساوي في الطول للشكل <...> والاختلاف في اتجاه الزوايا فقط، لكننا نتصور دائماً ان الثاني اطول من الأول وهذا يعني ان الواقع شيء وما نتصوره هو شيء آخر لكنه مرتبط به. ينظر ٩٧ وما بعدها. وينظر فصول في الدلالة ١٥٣-١٥٤. وهناك أمثلة أخرى يستدل بها على هذه المسألة.

(٥) ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٩. وعلى هذا الاساس سيكون قولاً ساذجاً ان نقول ان المعلومات التي تنقلها اللغة تتكون من الأفكار التي نتحدث عن العالم الحقيقي. كما تقدم في نظرية الإشارة. ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٨. وفصول في الدلالة ١٥٣-١٥٤.

(٦) Mental Spaces 1. وينظر: نظريات لسانية عرفنية ٢٠٧.

(٧) Mental Spaces 1

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

مجردة لتغيير ارساء وجهة النظر والتركيز، بالسماح لنا بتوجيه اهتمامنا في أي وقت إلى بنى بسيطة جزئية محافظة في الوقت نفسه على شبكة دقيقة من الترابطات في الذاكرة البعيدة المدى^(١). ويذكر أيضاً: "اننا لا نشعر بهذه الإجراءات ان ما نشعر به على درجة عالية الشكل اللغوي من جهة، والمعنى من جهة أخرى. والتأثير سحري: حالما يكون لنا شكل يكون لنا معنى. من دون الشعور بالإدراك المتداخل. وبصورة استيطانية فإن خبرتنا في هذا المجال تشبه عملية الإدراك، اننا نرى الشيء لأنه هناك، واننا نفهم جملة ما فوراً لأن لها ذلك المعنى. هذه الكفاءة العالية غير المرئية في قابلياتنا على تحديد معنى الجملة تبلور نظرياتنا التقليدية عن اللغة التي تدمج الشكل بالمعنى، تماماً مثلما تدمج نظرياتنا الإعتيادية الوجود بالإدراك"^(٢).

ويطرح فكونر المثال الآتي:

ظن ماكس أن الفائز تسلم ١٠٠ دولار.

ويقول: "ربما تكون أوضح طريقة لفهم هذه الجملة ان نفترض أنه كان هناك سباق وان الجوائز قد وزعت، وان شخصاً واحداً قد ربح السباق وتسلم جائزة وان ماكس الذي كان عارفاً بكل هذا اعتقد ان الجائزة كانت ١٠٠ دولار. غير ان الجملة بحد ذاتها لا تقول أيّاً من هذا. انها ترتب (سيناريو) معقولاً تجعله معلوماتنا الخلفية ممكناً. سنرى أنها تلائم (سيناريوات) أخرى، بعضها تكون أكثر ملائمة في سياقات أخرى. والبعض الآخر غير معقول أبداً"^(٣).

وبعد أن يتساءل فكونر: ماذا بالضبط تخبرنا الجملة اذن؟ يجيب: "ان جزءاً مهماً مما يؤديه شكل اللغة انه يحفزنا لأن ننشئ فضاءات وعناصر وروابط فيما بينها. يهيئ الشكل تضمينات أساسية عن العمليات الذهنية التي نحتاجها، ويفسر عمق تحديده في الذهن تعددية (السيناريوات) التي يهيئها بكل نجاح"^(٤).

ويرى "ان تحديداً مهماً للعلم الإدراكي بشكل عام يكمن في سر إختيار بعض تجمعات الفضاء لا شعورياً في بعض الحالات دون غيرها، وتركيز المرء على (سيناريوات) معينة ونماذج ربط معينة"^(٥).

هذه النظرة التي يقدمها (فكونر) هي نظرة جديدة تختلف عن النظرة القديمة "التي ما فتأت تقدم الأدلة على ان الدلالة في اللغة ما هي إلا إحالة خاصة تحترم مبادئ عامة تتحكم في السلوك البشري غير اللغوي أيضاً"^(٦).

ويبين (فكونر) ماهية الفضاءات ويشرحها بقوله: "الفضاءات رزم ادراكية صغيرة تتكون عندما نفكر او نتكلم لأغراض الفهم والعمل والتعبير. انها مترابطة وبالأمكان تعديلها مع تغير مجرى التفكير او الحوار"^(٧). وبالعودة إلى الجملة السابقة:

^(١) Mental Spases 1-2

^(٢) Mental Spases2، وينظر:

Conceptual Integration and Formal Expression 183-204.

^(٣) Mental Spases 2-3

^(٤) Mental Spases 3

^(٥) Mental Spases 3.

^(٦) منخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٩.

^(٧) Mental Spases 3.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

- ظن ماكس ان الفائز تسلم ١٠٠ دولار.

يذكر ان في المثال اعلاه "هنالك فضاءان: الاول فضاء القاعدة. اي الفضاء الاول ذو البنية الجزئية المماثلة لما قدم في تلك اللحظة من الحوار، او ما قد يقدم بحرية لانه ممكن التحصيل تداوليا في تلك الحالة. الفضاء الثاني اقل درجة يحوي بنية جزئية موافقة لـ(ما يظن ماكس) انها مبنية بالشكل (- تسلم ١٠٠ دولار) اي (جملة المفعول به)^(١) يستحضر هذا الشكل اطارا عاما > س تسلم ص < وقد نعرف عددا هائلا من الامثلة التي تقاس بموجب (تسلم نقودا، رسالة، ضيوفا). يسمى التعبير (ظن ماكس) باني فضاء لانه يبني بوضوح الفضاء الثاني. وتكون (ماكس) و (الفائز) عبارتين اسميتين تمكننا من الوصول إلى العناصر في الفضائين^(٢).

والكيفية التي يتم بها هذا التحديد هي كالآتي: "العبارة الاسمية اسم او وصف يلائم عنصرا سبق تثبيته في فضاء ما، او يقدم عنصرا جديدا في فضاء ما. العنصر بدوره يمكن من الوصول إلى عنصر اخر خلال ترابط ادراكي يسمى رابط. وتفهم العناصر على انها كيانات ذهنية من الدرجة العالية. انها نفسها قد تشير إلى اشياء في العالم"^(٣).

ويذكر ايضا ان (ماكس) في المثال السابق: ظن ماكس...الخ. "يهيء دخولا لعنصر معين إلى فضاء القاعدة (الذي قد يوافق شخصا حقيقيا او وهميا اسمه ماكس). ويهيء الوصف (الفائز) دخولا لعنصر يسمى (الدور) ويفترض انه يعود إلى اطار عام للفوز والى مثال اكثر تجريدا لذلك الاطار الملائم للسياق المعني (الفوز بسباق معين او قرعة او لعبة...) يمكن للدور ان تكون له قيمة ويمكن لعنصر قيمة دائما ان يدخل عنصرا اخر هو قيمة ذلك الدور"^(٤).

لهذا يقول (فكونر) ان بإمكاننا ان نقول: "(سيحصل الفائز على ١٠٠ دولار). دون الاشارة إلى اي شخص معين. وهذا تفسير الدور. او ان نقول: (الفائز اصلع) وتكون (اصلع) خاصية الشخص الذي صادف ان فاز وليس شرطا لنيل الجائزة. وهذا تفسير القيمة. الادوار اذن ترتبط ادراكيا بقيمتها بواسطة رابط: الدور _ القيمة"^(٥).

ويشير ايضا إلى "ان فضاء القاعدة والفضاء الثانوي مترابطان. وقد تكون هناك بدائل لعناصر الفضائين. فان قلنا مثلا: (يعتقد ماكس انه سيفوز) بقصد اشارة الضمير إلى ماكس، فان فضاء القاعدة سيحوي أ (اي ماكس) وسيحوي الفضاء الثانوي (يظن ماكس...) أ١ بدلا من أ"^(٦) وستكون العلاقة في الفضاء الثانوي "المساوية لـ (أ١ يفوز بـ) علاقة متحققة، في حين ان العلاقة ذاتها قد لا تتحقق بالضرورة في فضاء القاعدة لـ أ (النظير لـ أ١)"^(٧).

ويوضح (فكونر) البنية الناجمة بالشكل الاتي:

(١) استعملنا هنا التعبير الشائع (جملة المفعول به) والمقابل الدقيق في العربية (تركيب المفعول به) لأنها ترجمة لـ (clause) في الانكليزية.

(٢) Mental Spases 3-4.

(٣) Mental Spases 4 ، وينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٦-٩٧.

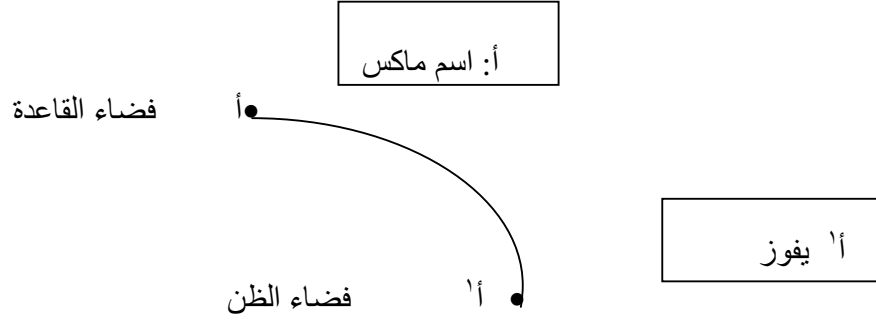
(٤) Mental Spases 4

(٥) Mental Spases 4.

(٦) Mental Spases 4.

(٧) Mental Spases 4. وينظر: نظريات لسانية عرفنية ٢٠٦-٢٠٩.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾



ويذكر ان مبدأ مهماً يعرف المجرى العام لادخال العناصر (مبدأ الادخال) وينص هذا المبدأ على:

"إذا ترابط عنصران أ و أ' بواسطة $r (أ' = r (أ))$ ، فإن العنصر أ' يمكن تعريفه بتسمية نظيره أ أو وصفه أو الإشارة إليه"^(١).

ويذكر أيضاً ان هذا المبدأ العام ينطبق "في كل أنواع الروابط عبر الفضاءات وضمنها (الهوية، والقياس، والاستعارة، والكتابة، والدور _ القيمة)"^(٢).

ومن أمثله على هذه المسألة الجملة: (يظن ماكس ان هاري اسمه جو) فـ "العنصر ب المرتبط باسم هاري سينشأ في القاعدة. وسيكون نظيره ب في الفضاء الثانوي بمثابة < ب اسمه جو >. ويدخل ب القاعدة بالارتباط بـ(هاري). بعبارة أخرى، على الرغم من ان هادي هو الاسم الصحيح في أحد الفضائين، بالإمكان استخدام هذا الاسم لادخال النظير في فضاء ثان يكون فيه اسم آخر صحيحاً"^(٣).

ويطرح (فكونر) مثلاً آخر: "جرى سباق بوسيتين الأسبوع الماضي. اعتقد ماكس ان الفائز تسلم ١٠٠ دولار، لكن تبين أنه لم تكن هناك أية جوائز"^(٤).

ويقول: "يعتقد ماكس أنه كان هناك سباق وان شخصاً ما ربح، ولديه معلومات إضافية عن الشخص الذي يعتقد أنه قد ربح. الفضاء الثانوي اذن ان < ب تسلم ١٠٠ دولار >. قد يظن ماكس ان شيئاً ما قد حدث، وهذا ما جعل الفائز يتسلم ١٠٠ دولار. ان ماكس يعتقد (ربما خطأً) ان الفائز قد تسلم ١٠٠ دولار مقابل بيع ساعته وقت الفوز. في هذا المثال فضاءان: فضاء المتكلم وهو الأوسع وفضاء ماكس"^(٥).

ومن أمثلة (فكونر):

^(١) Mental Spases 5. وينظر: نظريات لسانية عرفية ٢٠٩.

^(٢) Mental Spases 5.

^(٣) Mental Spases 5.

^(٤) Mental Spases 6.

^(٥) Mental Spases 6. وينظر: Conceptual Integration and Formal Expression 183-204.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

في تلك اللقطة الفتاة ذات الشعر الأسود شعرها أصفر.
فهذه الجملة صحيحة نحوياً ودلالياً لأن عبارة (في تلك اللقطة) بنت فضاءً إفتراضياً وقسمت معنى الجملة إلى جزء ثابت (ذات الشعر الأسود) وجزء مؤقت (شعرها أصفر) ومن ثم فإنها قد أزالَت التناقض الدلالي الذي سيتولد بدونها. بإمكاننا القول إذن ان للجملة فضائين: فضاء حقيقياً وفضاء (لفظياً) بنته هذه العبارة^(١).

وفي المثال: (يعتقد المدرب أنني أطول مما أنا)
تنفع كلمتا (يعتقد المدرب) في بناء فضاء افتراضي يقف موازياً للفضاء الحقيقي ويزيل التناقض الدلالي المتولد بدونهما وهو: أنني أطول مما أنا^(٢).
وفضلاً عما سبق يذكر (فكونر) أن تعبير الزمن قد يبنى فضاءه الخاص به ومثال ذلك:
في العام ٢٠٠٦ تسلم الفائز ١٠٠ دولار.
فعبارة (في عام ٢٠٠٦) تبني فضاءً ثانوياً وبإمكان لفظة (الفائز) ان تؤدي (دوراً) في هذا الفضاء وقد يشمل ذلك هذه الحالات:

- كان هناك نوع معين من الألعاب عام ٢٠٠٦ لم يعد يلعب الآن وربحت بفوزك فيه ١٠٠ دولار.
 - هناك سباق (القفز العالي مثلاً) لا يزال يلعب اليوم (فضاء القاعدة) وكان قائماً عام ٢٠٠٦ (الفضاء الثانوي). في هذا العام تسلم الفائز أيأ كان ١٠٠ دولار.
 - الفائز في مسابقة اليوم (مارك) في عام ٢٠٠٦ وفي ظرف مستقل (بييع ساعته مثلاً) تسلم (مارك) ١٠٠ دولار.
 - الفائز عام ٢٠٠٦ كان جون. تسلم جون في تلك السنة ١٠٠ دولار لبيع ساعته^(٣).
- وبهذا يتشابه ممر الزمن وممر الاعتقاد في بناء أكثر فضاء، ولكي يفهم السامع الممر الفضائي الموجود في ذهن المتكلم يعتمد المتكلم أحياناً إلى التوضيح:
- في عام ٢٠٠٦ تسلم الفائز ١٠٠ دولار، لكن هاري تسلم آنذاك ٥٠ دولاراً فقط لأنه تشاجر مع الحكم.

يحدد هذا التوضيح مجال الفضاء الثانوي: قوانين اللعبة في ذلك الوقت كانت تعطي الفائز ١٠٠ دولار. وبقية الجملة تخص فرداً معيناً قد فاز، هذا الشخص بالذات فاز بـ ٥٠ دولاراً^(٤).
على كل حال، عندما تكون الجملة جزءاً من حوار ممتد، فإنها ستغير بشكل ما صيغة الفضاء الذي كونه الحوار قبل دخول الجملة فيه. الخطأ اذن دراسة معنى الجملة كما لو كانت كياناً مستقلاً. وبعبارة أخرى ليس للجملة معنى خاص بها، انها تغير واقع حال من صيغة إلى أخرى^(٥).

^(١) ينظر: Deixis in Narrative 97-98. وينظر: نظريات لسانية عرفنية ٢٠٦-٢٠٧.

^(٢) ينظر: Deixis in Narrative 97-98 والأمثلة السابقة جميعها تبين بوضوح ما اشرنا إليه سابقاً من وجود عالمين أو واقعين الأول حقيقي (خارجي) والثاني مسقط أو متخيل أو مُلتقط أيأ كان التعبير الذي نستعمله. وبعد (المجاز) من أوضح الأمثلة على هذه المسألة، إذ لا توجد على سبيل المثال علاقة خارجية مبدئياً بين البدر والمرأة خارج تصورات (أو اذهان) المتكلمين، وكل هذا يؤكد وجود واسطة بين اللغة والعالم الخارجي هي (الذهن) كما سيأتي. وان العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي غير مباشرة. ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٩-١١١.

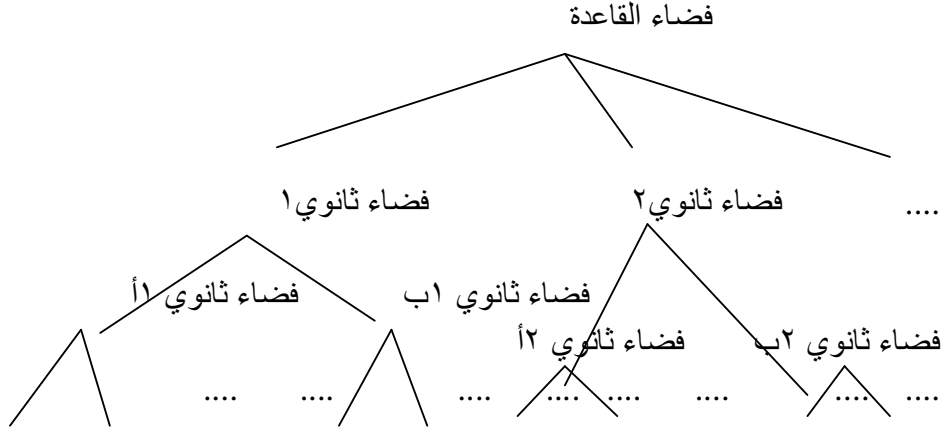
^(٣) ينظر: Mental Spases 7-8 ، وينظر ايضا فصول في الدلالة ١٦٠ وما بعدها.

^(٤) ينظر: Mental Spases 8-9.

^(٥) ينظر: Mental Spases 9-40 ، وينظر أيضاً: دلالة اللغة وتصميمها ٢٢.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وتتكون الفضاءات خلال الحوار الجاري اعتماداً على المعلومات اللغوية وغير اللغوية، والتخطيط العام ان تستند الفضاءات الجديدة إلى الفضاء القائم. يوضح ذلك (فكونر) بالمخطط الآتي^(١):



يبدأ الحوار عادة بفضاء قاعدة ثم يتفرع منه فضاء ١، الذي يتفرع منه الفضاءان ١أ و ١ب. وبالعودة إلى القاعدة يمكن فتح الفضاء ٢ الذي يتفرع منه الفضاءان ٢أ و ٢ب. وبالعودة ثانية إلى فضاء القاعدة يمكن فتح فضاءات أخرى... الخ، وفي أية مرحلة معينة من الحوار فإن واحداً من هذه الفضاءات (ربما فضاء القاعدة نفسه) يكون نقطة التركيز. يتحرك الحوار عبر شبكة الفضاءات وتتغير وجهات النظر ونقاط التركيز عندما ينتقل الحوار من فضاء إلى آخر، لكن في كل موقف يبقى فضاء القاعدة جاهزاً ليكون نقطة انطلاق لتكوين آخر أو فضاء ثانوي جديد^(٢).

وإذا أخذنا بعض الأمثلة من اللغة العربية كما في:

أ- في عام ١٩٩٠ ذهب خالد إلى النجف.

ب- في عام ١٩٩٤ قرر خالد ان يذهب إلى بابل.

ج- في عام ٢٠٠٠ كان مفترضاً ان يذهب خالد إلى بغداد.

سنجد ان العربية تعي التمييز بين الفضاء القاعدة والفضاء الثانوي. وذلك ان عبارة : في عام...، تبني ثلاثة فضاءات متباينة. والعربية تضع الفضاء القاعدة في صيغة الماضي _ عندما تكون هناك صيغ فعلية أخرى_ كما في: (ذهب خالد إلى النجف). وتضع الفضائين الثانويين في صيغة المضارع. ويلاحظ ان الفضاء في (ب) موجب، وفي (ج) سالب.

والكلام هنا عن الجمل الفعلية كما هو واضح. ويلاحظ أيضاً أن الأفعال العربية من قبيل: ظن، خال، تصور، اعتقد، حسب... الخ يصدق عليها وصف (باني فضاء ثانوي)^(٣)، وكذلك الحال مع العبارات الزمنية من قبيل: (في هذا العام)، و(اليوم) و(غداً)... الخ.

وهذه العبارات ستلغي التناقض الذي يمكن أن يقع بدونها كما في:

يعتقد زيد أنني انا المدير وليس خالداً.

وإذا امعنا النظر في جملة اسمية ولتكن:

^(١) ينظر: Mental Spases 13-14.

^(٢) ينظر: Mental Spases 14-15.

^(٣) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٥. وينظر ايضاً فصول في الدلالة ١٦٤ وما بعدها.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

أنا أطول مما عليه في نظر المدرب.

في هذه الجملة سيكون (انا) و(المدرب) جزءاً من الفضاء القاعدة لأنهما يمثلان ما يقال بحرية ولا يختلف فيه _ ان صح التعبير _ على خلاف (أطول مما انا) التي تعد جزءاً من الفضاء الثانوي الذي تبنيه العبارة (في نظر).

وتبقى طريقة تركيب الجملة وبنائها ومواقع الكلمات مرهونة بضوابط كل لغة وقواعدها الخاصة بها. وعن الفضاءات والعموميات يقول (فكونر): "لقد درست اللغة نتاجاً مستقلاً للعقل البشري ويقال ان هذا الاستقلال ينعكس على المستوى البايولوجي بصيغة بنى بايولوجية عصبية وراثية الإنتقال. وبالمقابل كشفت اللسانيات الإدراكية ان من وراء خصوصيات اللغات دلائل لعمليات ذهنية عمومية من بينها ان الترابط بين الفضاءات الذهنية جزء من التنظيم العام للفكر. وعلى الرغم من ان اللغة تهيه البيانات الكافية لدراسة هذا الترابط، فانه ليس اصلاً عملية لغوية، ولا مبرر للإعتقاد أنه يقتصر على الانسان"^(١).

أما بخصوص عملية الفضاءات فيذكر "انها تتمثل فيما نسميه بالتكامل الإدراكي الذي يتجسد في إقامة شبكة فضاءات تتداخل فيما بينها وتندمج في فضاءات جديدة بطرائق مختلفة. اننا نستخدم في حياتنا اليومية شبكات التكامل الإدراكي لتكوين المعاني. بعض التكاملات جديدة وبعضها أكثر رسوخاً، ونادراً ما نتنبه بشكل واع لهذه العملية لأنها متواصلة. وتحوي شبكة تكامل رئيسة عادة أربعة فضاءات. إثنان منهما يسميان فضائي (المدخل) input يوصلهما تخطيط يعكس بنية مشتركة للمدخلين. تتكون البنية في فضاء ثالث يسمى الفضاء العام. ويظهر فضاء رابع يسمى الدمج باسقاط اختياري من المدخلين. إنه يطور بنية طارئة بأشكال مختلفة وبإمكانه ان يعيد البنية إلى بقية الشبكة"^(٢).

وانشاء فعاليات جديدة أمر ممكن _ على سبيل المثال _ بدمج فعالية معروفة بظروف جديدة. والمثال الذي يستعيره كولسن ١٩٩٧ coulsoun لتوضيح المسألة: أطفال قسم داخلي يبتدعون لعبة مبنية على لعبة كرة السلة إذ يتوجب عليك رمي قطعة ورق مجمعة في سلة الفضلات. هذه اللعبة الجديدة عملية دمج. أحد المدخلين معرفة جزئية بلعبة السلة. والمدخل الثاني حالة الاضطراب إلى استخدام الورقة المجمعة وسلة المهملات. ويربط التخطيط الذهني الجزئي (كرة) بالورقة المجمعة وحلقة لعبة السلة بسلة المهملات، واللاعبين بالأطفال^(٣).

ويتم في هذه اللعبة الجديدة اسقاط بعض خواص مدخل كرة السلة (احتساب النقاط عند دخول الكرة بالحلقة ووجود خصم وفوز وخسارة...) واسقاط بعض خواص مدخل كرة السلة (احتساب النقاط عند دخول الكرة بالحلقة ووجود خصم وفوز وخسارة...) واسقاط بعض خواص حالة الاضطراب (وجود السلة على الأرض وليس عالياً في الفضاء، وكون الكرة ورقة مجمعة... الخ). ويتم اشتراك المدخلين بخواص أخرى (الرمي في مرمى ما). وستظهر خواص أخرى كثيرة للعبة خلال الممارسة (طرائق معينة للرمي وتعاريف على تعليمات لتسجيل النقاط والاطفاء... الخ). الفضاء العام المتعلق بالتخطيط الرابط للفضائين في هذه الحالة هو الموقف الأكثر دقة لرمي شيء ما في مرمى ما^(٤).

(١) Mental Spases 23-24 ، وفي هذا الكلام تتطابق وجهات النظر بين (فكونر) و(تشومسكي) الذي يعد أول من أكد على جانب العموميات اللغوية. ينظر جومسكي ١٣٦ وما بعدها ودلالة اللغة وتصميمها ٢٢. وقضايا ايبستيمولوجية في اللسانيات ٩٢ وما بعدها.

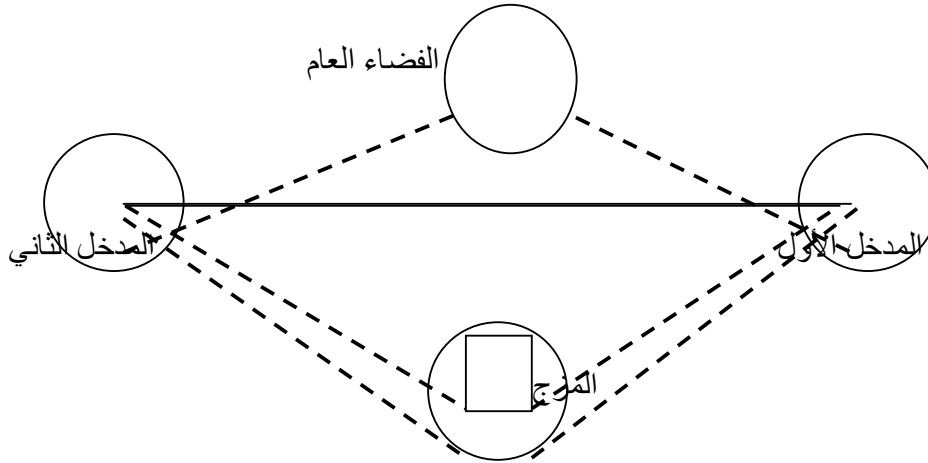
(٢) Mental Spases 23-24

(٣) ينظر: Mental Spases 25.

(٤) Mental Spases 25.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ويرى (فكونر) ان هذه المثال البسيط يوضح "الخواص المركزية للتكامل وخصوصاً حقيقة انه خلاق (فعالية جديدة تختلف عن لعبة السلة، وتختلف عن رمي الورقة بعيداً)، وموصّف (هنالك أكثر من طريقة للاسقاط من المدخلين وأكثر من بنية ناجمة) .." ^(١). ويوضح ذلك بالشكل الآتي:



ويقصد به ان المدخل الأول بنية جزئية من لعبة السلة، وان المدخل الثاني بنية جزئية للحالة الاضطرارية، وان المدخل العام تخطيط لرمي شيء ما في مرمى ما، وأن المزج اللعبة الناجمة ^(٢). ويوضح (فكونر) أوجه الشبه بين هذا المثال والعمل الإدراكي فيقول: "ان العمل الإدراكي على مثل هذه الشبكة يتألف من ترصيف الفضاءات المدخلية وبلورة فضاء عام متناسق واسقاط اختياري في الفضاء الممزوج الجديد، وبناء الفضاء الممزوج عن طريق إكمال النموذج وبلورته (بالمحاكاة الذهنية والأعمال الفعلية). ان تكاملاً من هذا النوع يحدث في حالات حياتية كثيرة. مثل التعامل مع الحاسوب أو مع المصرف الآلي، كأن نوحّد مدخلين معلومين سلفاً بمزجها سوية وتوليفهما في فضاء متكامل يراعي مبادئ المزج القويم" ^(٣).

ويعتقد (فكونر) "ان تراكيب لغوية كثيرة تنجم عن المزج الإدراكي وتعكسها بطرائق منتظمة" ^(٤). وأكثر الحالات شفافية من وجهة نظره هو "الاسم المركب الذي يتألف في الانكليزية من إسمين" ^(٥) يرتبطان بعنصر في كل من المدخلين" ^(١).

^(١) Mental Spaces 25. وينظر: نظريات لسانية عرفنية ٢٢٣-٢٢٤.

^(٢) Mental Spaces 26. ينظر

وبلاحظ أن امثلة الحاسوب ومصطلحاته كثيراً ما يستعيرها اللغويون في مناقشة مسائل تخص اللغة والعقل البشري كما فعل تشومسكي وفكتور أنكف الذي كان يعمل على حل مشاكل التحليل النحوي بواسطة الحاسوب. ينظر: جومسكي ١٢١-١٢٢، وتحقيقات صغرى الإطار ٤٠. وقضايا ايستيمولوجية في اللسانيات ٩٢.

^(٣) Mental Spaces 27.

^(٤) Mental Spaces 27. وينظر جومسكي ٤٦.

^(٥) لهذا نظير في العربية وهو ما يسمى بالنحت مثل البسملّة والحيلة... الخ.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

ومثل هذا يمكن ان ينطبق على مثال اللعبة التي ابتدعها الأطفال إذ "يمكن تسمية لعبة الورقة المجدعة في القسم الداخلي بلعبة النفايات"^(٢). الاسم الأول اسم اللعبة في أحد المدخلين، ويرتبط الاسم الثاني بعنصر بارز في المدخل الآخر. وبالتقاط عناصر أخرى يمكن تغيير الاسم إلى (لعبة سلة القسم الداخلي) أو (سلة رمي الورقة) أو (لعبة ورق النفايات) وهكذا. وفي كل هذه الحالات تتضمن التسمية المركبة درجة معينة من التوليف الإدراكي. وفي بعض الحالات يتقلص الاسم المركب إلى مجرد توحيد للخصائص"^(٣).

ويمكن ان يمثل لذلك بتسمية سيارة طويلة بيخت أرضي land yacht لأننا "سنجمع مدخلين (السفر براً والسفر بحراً) مع نظائر مثل واسطة نقل/ زورق، وسائق/ ربان زورق، وطريق/ بحر، حيث يضيفي هذا التجميع أو الدمج بعض صفات اليخت على نوع معين من السيارات"^(٤).
وفضلاً عن الاسم المركب أو العبارة "بإمكان النعت ان ينجز عملية تكامل، ذلك لأن عبارة (قلم رصاص أحمر) يمكن أن تعني ان خشب القلم مصبوغ بالأحمر من الخارج أو ان القلم يترك علامة حمراء (الرصاص أحمر أو المادة الكيميائية للقلم تتفاعل مع الورقة لانتاج اللون الأحمر، أو...) أو ان القلم يستعمل لتسجيل نشاط الفريق الذي يلبس الأحمر، أو ان القلم ملطخ بأحمر الشفاه، أو ان القلم يستعمل فقط لتسجيل عجز الميزانية"^(٥).

ويذكر (فكونر) ان نظريات علم الدلالة تفصل "عادة التعامل مع أمثلة مثل: طير أسود، وبقرة سمراء، لأنه يفترض بهذه الأمثلة ان تكون نماذج لتوليف المعنى، لكن الواقع ان حتى هذه الأمثلة تمثل عمليات معقدة للتكامل الإدراكي. ومن المنظور النفسي فإن النقطة الجوهرية هنا تماثل العملية الإدراكية وتيسرها (خلال التكامل الإدراكي) في أغلب الحالات"^(٦).

لقد حاولت هذه الصفحات أن تعطي فكرة عن الإدراك التحتي الذي يعمل وراء التفوهات اليومية، غير انها لم تعط الحوار والسرد حقهما. وقد بين ربا (Rubba) كيف تتكون الفضاءات المتعددة بالاستناد إلى معلومات لغوية متناثرة، وكيف تعتمد في الوقت نفسه على نماذج إدراكية وحضارية تحتية^(٧). كما بين منتز ولديل (Mintz and Liddell) كيف تتكون الفضاءات المتعاقبة المترابطة في السرد القصير. وكتب فريمان (Freeman) ١٩٩٧ _ بحثاً عن تكون وتكامل الفضاءات في السرد الأدبي والشعر والبلاغة، وبين زبكوسكي (Zbikowski) ١٩٩٧ _ كيف تتكون وتتكامل الفضاءات في الموسيقى^(٨).

ويمكن ان نوجز ما طرحه (فكونر) ببعض النقاط الجوهرية:

ينظر مثلاً: من اسرار اللغة ٧٢ وما بعدها. وبهذا يكون المثال منطبقاً على العربية أيضاً.

Mental Spases 27. ^(١)

التسمية الانكليزية trushcan basketball أكثر وضوحاً لأنها تقول: لعبة كرة السلة بسلة النفايات.

Mental Spases 27. ^(٢)

Mental Spases 27. والغرض من كل هذه الأمثلة توضيح عملية دمج الفضاءات في الذهن. ^(٣)

Mental Spases 30. ^(٤)

Mental Spases 30. وينظر جومسكي ١١٣ وما بعدها. ^(٥)

ينظر كتابه: Alternate Grounds in the Interpretation Of Deictic Expressions. ^(٦)

ينظر كتاب زبكوسكي . conceptual blending and song ^(٧)

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

- تقوم اللغة بعمليات فهم وإدراك خلف الكواليس. واللغة ليست تمثيلاً لمثل هذه العمليات ولا تمثيلاً للمعنى. إنها تعمل بوصفها مجموعة ملقنات أو محفزات قوية وموجهة لقدح العملية الحيوية نفسها وما يصاحبها من تكوين للمعنى.
- ان الإدراك الخلفي لما يتلق من اللسانيين العناية التي يستحقها لأنه غير واع عموماً وفورياً وغير مرئي بنيوياً.
- ان مجموعة مهمة من هذه العمليات (الخفية عن القدرة الواعية) تخص الفضاءات وما يرافقها من عمليات ذهنية^(١). وليس من شك في ان تكوينات الفضاء تخترق تفكيرنا واستعمالنا للغة وصيغ تعابيرنا. لهذا يتوجب ان تكون دراسة العمليات الإدراكية العامة أرضاً خصبة لعلم النفس الإدراكي^(٢).
- وبهذا تعيد نظرية: الفضاء الذهني (Mental spaces) النظر إلى أهمية الأسس النفسية للغة. وعلاقتها المباشرة بالإجابة عن السؤال ما هو المعنى. وتعطي وجهة مرة أخرى للقضايا التي بحثها تشومسكي^(٣).
- فهي تفترض "أن الإنسان يملك مستوى تنظيمياً يرتب بواسطته العالم الخارجي، ومن خصائص هذا المستوى التنظيمي أنه ذهني، ويرتبط بصورة سببية بعملية الإدراك وبحالات الجهاز العصبي، وهذا المستوى الذي يتم تشغيله وتوظيفه من لدن الكائن البشري في كل حين يشكل مجالاً للمعلومات الموجودة في الذهن. وبعض هذه المعلومات الذهنية نجدها مرمزة في اللغة"^(٤).
- ولا تقتصر هذه النظرية إلى القيديين اللذين يعدان ضروريين لأية نظرية تحاول ان تفسر كيف يعكس الشكل التركيبي في اللغة الطبيعية طبيعة الفكر وهما: القيد النحوي: الذي ينص على وجوب "تفضيل أي نظرية دلالية تفسر التعميمات الموجودة في كل من المعاجم والتركيب على إعتبار ان المعجم يعطينا (المحتوى) والتركيب يعطينا (الشكل) الصوري الملائم لهذا المحتوى. ومن الأشياء التي تحتم وجود هذا القيد مهمة من يكتسب اللغة، إذ عليه ان يكتسب ذلك الربط بين الشكل التركيبي والمعنى"^(٥). والقيد المعرفي: الذي ينص على "ان نظرية البنية الدلالية في اللغة الطبيعية هي في حد ذاتها نظرية لبنية الفكر"^(٦).
- والجديد المثير للدهشة في نظرية (فكونر) هو رفضه لما ذهب إليه النظرية الدلالية التقليدية التي تعد الجملة حاملة المعنى.

جملة ← معنى

فهو يرى ان السابقين قد أخطوا بإهمال عنصر ثالث بين الجملة والمعنى هو (الذهن).

ذهن
جملة ← معنى

(١) لكي يتم إثبات "واقعية المفاهيم الفضائية انصب البحث على انسقة إدراكية معرفية أخرى، مثل نسق البصر ونسق الحركة. فواقعية هذه المفاهيم من مكان ومسار وشيء، مرتبطة بوجودها في الأنسقة غير اللغوية". مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٤. وينظر فصول في الدلالة ١٥٢-١٥٣.

(٢) ينظر: 183-204. Alternate Grounds in the Interpretation Of Deictic Expressions

(٣) ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٧ ودلالة اللغة وتصميمها ٢٢ وما بعدها.

(٤) مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٧، وينظر جومسكي ١٣١ وما بعدها.

(٥) مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٢.

(٦) مدخل إلى الدلالة الحديثة ١٠٣.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

وأن الجملة لا ترتبط بالمعنى بشكل مباشر، وحقيقة المسألة أن هناك موقفاً في ذهن ودور الجملة أن تغير هذا الموقف الذي في ذهن من حالة إلى أخرى.
وبهذا لا يرتبط المعنى بالجملة بشكل مباشر وإنما يكون ارتباطه المباشر بالذهن.
وما يؤكد (فكونر) من خلال أمثله هو أن الصيغة اللغوية لا تحمل إلا القليل من المعنى.
فجملة: (اعتقد ماكس أن الفائز تسلم ١٠٠ دولار) تقترض أموراً كثيرة تحتّم علينا الرجوع إلى خلفيتنا الذهنية لنتمكن من فهمها^(١) مثل افتراض أن هناك مسابقة، وأن الجوائز منحت، وأن أحدهم قد فاز وتسلم الجائزة، وأن ماكس يعرف كل ذلك، وأنه يعتقد أن الجائزة ١٠٠ دولار. وأياً من هذه المعلومات لا تقدمه الجملة.

لذا لا يمكن أن تكون الجملة من وجهة نظره مؤهلة لحمل المعنى وإنما لتوجيهه. وتهيأة (سيناريو) مناسب أو (مسار) تسمح به خلفيتنا المعلوماتية^(٢).
ومن المؤكد أن ما قرره (فكونر) يستحق قدراً كبيراً من النقاش قبل أن يحكم له أو ضده. إلا أن هناك مسألة أخرى تستحق الإشارة أيضاً. وهي أن الانطلاق من نظرية مبنية على أسس تصويرية^(٣) لا تعتقد بالتأثير المباشر للعالم في اللغة تطرح تساؤلاً أيضاً حول مفهومين دلاليين عني بهما (علم الدلالة) ومباحثه منذ نشأته وهما: الصدق والإحالة. فباستبعاد الارتباط المباشر بين العالم الحقيقي واللغة لن يعتبر مفهومي الصدق والإحالة محددين صالحين كي يكونا نقطة انطلاق لنظرية المعنى. فما تحيل عليه اللغة _بناء على هذا الأساس_ هو عالم مسقط (ذهني) وليس العالم الخارجي^(٤).

وهذا بدوره يعطي وجهة لما ذهب إليه (فريغة) وهو أن كيفية الإحالة على المرجع هي التي تعطينا المعنى (لأن للمتكلم كيفية في الإحالة على المرجع بواسطة اللغة) وبذلك لن تكون الإحالة مباشرة على ما هو موجود في العالم الخارجي. وإن كان منطلق (فريغة) منطلقاً (منطقياً) لا يعبا بالبعد النفسي في الدلالة^(٥). وهذا يعني أن ما سبق الإشارة إليه في مبحث نظرية المرجعية والإشارة والإشارة فيما يخص دلالة الجملة أو المفردة على حدٍ سواء أصبح بعد هذه التطورات التي تمثل قفزة في علم الدلالة أمراً مستبعداً أو غير محتمل، قد يضع حداً لما أثير حول هاتين النظريتين من جدل ونقاش سبق أن ذكرنا تفاصيله.

وبعد:

لقد بدأنا هذا الفصل بعرض مفصل لنظريتي المرجعية والإشارة وأهم ما يتعلق بهما من تفاصيل تخص العرب أو الأجانب، القدماء منهم أو المعاصرين. وهاتان النظريتان من أقدم ما عرفه

(١) ما يذكره (فكونر) هنا يعطي أهمية كبيرة لما ذهب إليه قبل عقود من الزمن د. ابراهيم أنيس عندما قال: "هل يمكن حقاً أن تكون الجملة مستقلة كما يشترط معظم اللغويين؟ أليس الحوار بين المتكلم والسامع مرتبط بالأجزاء يفسر بعضه بعضاً ويعين بعضه على فهم البعض الآخر؟ وألسنا نستمد الفهم من تجاربنا السابقة حيناً. ومن سياق الكلام حيناً آخر؟ فإين هذا الكلام المستقل بالفهم الذي لا نستعين فيه بكلام سبقه ولا بتجارب ماضيه... الخ". من أسرار اللغة ٢٣٦، وينظر دلالة الألفاظ ٣٩-٥٢.

(٢) ينظر: Mental Spaces 3.

(٣) ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ٩٥ وما بعدها. وفصول في الدلالة ١٥٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ١١٠-١١١.

(٥) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ١١١.

﴿الفصل الرابع﴾ ﴿المبحث الأول﴾

(علم الدلالة) كما ذكرنا. ثم اردفنا ذلك بنظرية السياق وهي نظرية متأخرة، ولم نعد للحديث عن الدلالة عند التوليديين لأن فيما تقدم في الفصل الثاني ما يغني عن ذلك.

وختمنا بنظرية الفضاء الذهني التي تعد أحدث ما أثير في علم الدلالة ولهذه النظرية أهمية كبيرة لأنها نظرية مرتبطة بالجملة من الأساس دون غيرها من أقسام الكلام.

ولعل في عرض هذه النظريات المتفاوتة زمنياً ما يعطي صورة واضحة لتطور هذا العلم بشكل عام، ودراسة دلالة الجملة على نحو خاص. والملاحظة الأساس التي نود ان نسجلها هنا من خلال متابعة تطور النظريات اللسانية هو أن الدلالة أصبحت شرطاً رئيساً لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة اللغة، وأن أي نظرية لغوية يتوجب عليها ان تجمع بين أمرين لا يمكن أن تقوم هذه النظرية بدونهما هما النحو والدلالة. ويكاد يكون مسلماً به اليوم ان بنية اللغة هي في حقيقتها بنية الفكر. وبهذا يكون القرن العشرون المنصرم قد بدأ باستبعاد الدلالة من النظرية اللسانية، وانتهى بعدها قديماً لأبد منه لأية نظرية لسانية. بغض النظر عن كيفية تصورنا للدلالة نفسها.

أما المبحث اللاحق فسيركز على دراسة دلالة الجملة في ضوء ما قدمه الحقل التداولي الذي يعد اليوم حقلاً مستقلاً له مباحثه الخاصة. وان كانت تربطه صلة وثيقة بعلم الدلالة.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

المبحث الثاني : الجملة العربية والحقل التداولي PRAGMATICS

أولاً: نشأة التداولية وتطورها وأهم آراء باحثيها:

أ- نشأة التداولية

اقترح (موريس) في عام ١٩٣٨ تقسيماً ثلاثياً لعلم (الدلائلية) قسم بموجبه دراسة العلامة الى ثلاثة اقسام هي: علم التركيب (النحو) SYNTAX، الدلالة SEMANTIC، وعلم التخاطب أو (التداولية) PRAGMATICS^(١). يدرس علم التركيب أو النحو: العلاقة بين الشكلية (الإعرابية) القائمة بين العلامات نفسها، ويدرس علم الدلالة: علاقة العلامات بالأشياء، ويدرس علم التخاطب أو (التداولية): علاقة العلامات بالمخاطبين أو (المؤولين). وقد عدّ هذا التقسيم بمثابة نقطة البداية أو الانطلاق للتداولية^(٢).

وبما ان التداولية هي جزء من علم العلامات (الدلائلية) كما يشير إليه هذا التقسيم فقد عرفها (موريس) انطلاقاً من هذا المبدأ بقوله: "قسم من الدلائلية يعني بالصلة القائمة بين العلامات ومستعملها"^(٣). ويعد هذا التعريف أقدم حد للتداولية بناءً على تصريح (بلانشيه)^(٤).

وقد اقترح (كارناب) بعد سنة من تقسيم (موريس) أن يدعو التداولية أو (علم التخاطب) بأنه: "حقل البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية، وحالته ومحيطه"^(٥).

واستمر هذا التقليد لدى الفلاسفة واللغويين فيما بعد في دراستهم للإبلاغ اللغوي، وعرف بعضهم هذا الحقل بأنه: "الدراسة العامة لكيفية تأثير السياق في الطريقة التي نفسر بها الجمل". أو "دراسة استخدام اللغة وعلاقته ببنية اللغة والسياق الاجتماعي". ويقصد بالسياق هنا مفهومه الواسع الذي يشمل ملابسات الموقف وكل ما له تأثير في الحدث اللغوي من عوامل حالية أو معنوية^(٦).

^(١) تقدم ذكر هذا التقسيم في مبحث (علم العلامات) من الفصل الأول. وقد تقدم أيضاً أنه بموجب هذا التقسيم نظر الى (الجملة) على أنها (علامة مركبة). وهذا هو الأساس الذي عليه بني علم العلامات وتركز عليه التداولية في تحليلها، فهي تعني بدلالة الصورة المنطوقة للجملة وهي (المقولة) أو (التقوه) أو (القول) كما يسميها بعض الدارسين أحياناً (أي الجملة المستعملة فعلياً). اما علم الدلالة فهو قسم من علم العلامات. يُعنى بدراسة المعنى الحرفي (معنى المقالة) أو النمط TYPE كما يسميه بيرس. ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٧. والفلسفة البراغماتية ٦ و ١٧ و ٧٩-٨٦.

^(٢) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٤-٤٥، والعلامة تحليل المفهوم ومكوناته ١٤٠، ووصف اللغة العربية دلاليًا ١١٧، وشظايا لسانية ٨٩، في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب ٢٢-٢٣، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً ١٧-١٩. ومن الضروري ملاحظة ان العلاقة بين هذه الأقسام الثلاثة "هي علاقة تكامل وليست علاقة توازن أو ابدال، لأن الفهم الكامل لقولات اللغة يقتضي الاهتمام بكل هذه المجالات للتمكن من ادراكها ادراكاً تاماً". ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ١١٧.

^(٣) التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٥.

^(٤) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٥. وفي التداولية إشكالية المصطلح ٢٢-٢٣، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني ١٧-١٩.

^(٥) وصف اللغة العربية دلاليًا ١١٧.

^(٦) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ١١٧، ويلاحظ ان مفهوم التداولية هنا مفهوم عام يشمل كل دراسة تأخذ في حسابها العوامل السابقة: الحالية والمعنوية والملابسات (كمنظورية السياق)، إلا ان هذا المفهوم سيتغير فيما بعد على يد أوستن (١٩٦٢)، ومن ثمّ من بعده، وسيأتي بيان ذلك.

الفصل الرابع

المبحث الثاني

والتعريفات السابقة وغيرها من التعريفات الأخرى التي تتفق معها في المفهوم مبنية على الفهم الأول للتداولية الذي يمثله موريس وتقسيمه الثلاثي المشهور. وبعد أن أخذت الدراسة التداولية طابعاً أكثر تعقيداً وأصبح لها مكانة واضحة ومحددة في الدرس اللساني، واتضحت معالمها وصلتها بالعلوم الأخرى التي انفتحت عليها، وجدت تعريفات أخرى أكثر تحديداً، كما في التعريفات التي يذكرها (بلانشيه) وتعرف التداولية بموجبها على أنها: "مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية..."^(١) أو: "الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية"^(٢) أو "الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"^(٣).

وتعريف (أديست) لها بأنها: "تدرس كيف يستخدم المتكلمون اللغة بطرائق لا يمكن التنبؤ بها من خلال المعرفة اللغوية فقط.. وكيف يتوصل السامعون إلى الأسس العامة التي يعتمد عليها الناس في تفاهمهم"^(٤).

وتعريف (مي) الذي يرى أنها "دراسة اللغة كما يستعملها الناطقون بها ضمن مقاصدهم وتحدياتهم"^(٥).

والتعريفات السابقة تشترك جميعاً في التعبير عن حقيقة واحدة هي: "أن المعاني لا تبدو مستقرة بل أنها تعتمد على المتكلمين والسامعين والسياق"^(٦).

وسبب هذا الاعتماد "أن المتكلمين لا يتقيدون بحرفية اللغة في كثير من الأحيان، وهو ما يجعل (المخاطب) في حاجة إلى عوامل عديدة أخرى تساعد في فهم حديث المتكلم منها السياق الثقافي والاجتماعي. وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقياً أو عرفياً عن طريق القرائن"^(٧).

وهذا يدعو إلى التفريق بين معنيين _ كما تقدم في المبحث السابق _ هما المعنى المرتبط مباشرة بالسمات القواعدية والمعجمية للجملة، ومعنى التفوه UTTERANCE الذي يشمل كل الجوانب الثانوية للمعنى. ويوضح هذا التمييز كيف يمكننا أن نقول شيئاً ونعني به شيئاً آخر^(٨).

وربما يوحي ما ذكرناه قبل قليل بتشابه كبير _ وربما تطابق _ في الرؤى بين نظريتي التداولية والسياق، وهذه حقيقة فيما يخص المنطلق أو الأساس الذي تبني عليه كلا الدراستين وهو أن المعرفة اللغوية وحدها لا تكفي في فهم المقولات _ الجمل المستعملة فعلياً _ وتفسيرها. إلا أن هذا لا

(١) التداولية من أوستن إلى غوفمان ١٨.

(٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان ١٨.

(٣) التداولية من أوستن إلى غوفمان ١٩. وينظر: الفلسفة البراغماتية ١٧-٢٠.

(٤) شطايا لسانية ٨٨.

(٥) شطايا لسانية ٨٨، وينظر تعريفات أخرى في: التداولية من أوستن إلى غوفمان ١٨-١٩. وشطايا لسانية ٨٧.

٨٩.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ١٠، وينظر: في التداولية إشكالية المصطلح ٢٣، والتداولية النشأة والمفهوم ٣٥-٣٦.

(٧) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٠-١٢١.

(٨) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١١، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٧٢-٣٧٣. وتولي التداولية هذا الموضوع أهمية كبيرة، على نحو مما نجده في حديث (أوستن) عن الإنجازات غير الصريحة، وحديث (سيرل) عن أفعال الكلام غير المباشرة، وحديث (غرايس) عن التلويح في إطار (مبدأ التعاون) الذي بنيت عليه نظريته. وكل ذلك سيأتي في موضعه.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

يمنع وجود اختلافات وفوارق كثيرة سيتضح أغلبها في سرد تفاصيل هذه النظرية وآراء أصحابها _بدءاً من أوستن_ ومن أهم هذه الفوارق: أن التداولية تركز جل اهتمامها على دراسة الشق الثاني من المعنى الذي يشتمل عليه الاستعمال الفعلي للجمال أي (دراسة القصد أو المغزى)، وهذه الدراسة مبنية على فكرة (أحداث الكلام) التي جاء بها أوستن ويفسر التداوليون المعنى بموجبها، على العكس من (نظرية السياق) التي تدرس المعنيين انطلاقاً من نظرة (فرث) في تشقيق المعنى^(١).

ومن الواضح أن دراسات (أوستن) ومن جاء بعده قد أكسبت مصطلح PRAGMATICS مفهوماً خاصاً، يختلف عن مفهوم (موريس) العام. مع ملاحظة أن كلا النظريتين: نظرية السياق متمثلة بفيرث وأصحابه. والتداولية متمثلة بأوستن ومن جاء بعده، تندرج في مفهوم (موريس) العام لـ (PRAGMATICS) أي التداولية^(٢).

والدليل على أن التداولية بعد (أوستن) أصبح لها مفهوم أكثر خصوصية من مفهوم (موريس) تصريح العلماء الأجانب أنفسهم بوضع "أوستن وتلميذه سورل نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية"^(٣) وتأكيدهم على أن هذين العالمين: أوستن (١٩١١-١٩٦١) الذي كان استاذاً للفلسفة بجامعة أكسفورد، وسورل المولود (١٩٣٢) ويدرس بجامعة بركلي بكاليفورنيا، قد طوراً من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم (العمل اللغوي)^(٤).

ومن هنا قيل أن المبادرات الأولى في (التداولية) جاءت على يد فلاسفة، وهو ما ذكره ليتش في قوله: "أن المبادرات الأصلية في حقل التداولية لم تأت من لسانيين بل من فلاسفة مثل أوستن وغرايس، أن ما طوره هؤلاء الفلاسفة كانت أرضاً بكرأ لعلم الدلالة، إذ وجدوا فيه ملاذاً من التسلط النحوي على الدرس اللغوي في منطقهم الأصلية"^(٥).

ويشار إلى (موريس) عادة _الذي كان علامتياً_ عندما يتعلق الحديث بالبداية الأولى للتداولية. ويغيب ذكره عندما يتعلق الحديث بمنظري التداولية وأقطابها المشهورين كما فعل (بلانشيه) الذي عدّ من منظري التداولية الأعلام فيلسوفين هما: أوستن (AUSTIN) وسورل (SEARLE)، وعالم اجتماع هو غوفمان (GOFFMAN)، وغمبرز (GUMPERZ) الذي كان متخصصاً في اللسانيات الاجتماعية الانثولوجية، مشيراً إلى مدرسة ذات توجه نفسي أساساً هي مدرسة بالو ألتو (PALO ALTO) الأمريكية، من دون أن يشير هنا إلى (موريس)^(٦).

(١) وقد تقدمت تفاصيل الموضوع في المبحث السابق.

(٢) وهذا هو المفهوم الذي نقصده عندما نستعمل مصطلح (التداولية) PRAGMATICS في هذا المبحث ما لم نشر إلى موريس. ينظر: في التداولية اشكالية المصطلح ٢٢-٢٣، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريباً ١٧-١٩، والفلسفة البراغمائية ١٧-٢٠.

(٣) التداولية من أوستن إلى غوفمان ٢٠، وينظر: شطايا لسانية ٨٩. والتداولية النشأة والمفهوم ٣٧-٣٨.

(٤) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان ٢٠. وفي التداولية اشكالية المصطلح ٢٣-٢٤. وكما هو الحال مع (سوسور) و(سوسير) يستعمل بعض المترجمين: سورل. وآخرون سيرل والمقصود واحد.

(٥) شطايا لسانية ٩٠، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ١٠٣، ونظرية الفعل الكلامي ١٩٥ وما بعدها.

(٦) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان ١٧-١٨. وذكر هؤلاء العلماء يدل بوضوح على سعة التداولية وتعدد مناهجها، ومن الجدير بالذكر هنا: أن (موريس) من أهم منظري علم العلامات، بل هو مؤسس هذا العلم في الحقيقة، وقد تقدم أن سوسور هو أول من دعا إلى تأسيس علم العلامات (SEMIOLGY) الذي يسميه بعض المترجمين (الدلائلية)، ينظر: ٤٣.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وفيما يخص الأسباب والدوافع التي كانت تقف خلف أعمال (أوستن) ونظريته في الفعل الكلامي يشير (بلانشيه) الى "ان مسألة تعدد المعنى (...) ووظائف اللغة العادية التي تمثل صعوبة من وجهة النظر المنطقية هي التي نشطت أعمال أوستن"^(١). وهذا يختلف بالتأكيد عن الأسباب والدوافع التي أدت الى ظهور (نظرية السياق) وتتمثل بصعوبة الترجمة من لغة الى أخرى وهي المسألة التي جذبت انتباه مالينوفسكي الى أهمية السياق ليتأثر به (فرث) بعد ذلك بعد ان القى على فكرته ضللاً جديدة. وهذا الاختلاف في طبيعة المشكلة التي تحاول كل نظرية معالجتها أدى الى اختلاف في طبيعة النظر الى المعنى والهدف المقصود من كل منهما.

وتوضح هذه الأسباب والدوافع سبب انفتاح (التداولية) على بعض العلوم بشكل واسع مثل المنطق. ومعالجتهم لكثير من المسائل المنطقية المتعلقة بالجمل على نحو لم نجده في نظرية السياق. ويعد هذا أحد الانتقادات البارزة التي وجهت الى (فرث) ونظريته _ كما رأينا في المبحث السابق _ وهذا فرق آخر يضاف الى قائمة الاختلاف بين النظريتين^(٢).

ولا يقتصر الأمر مع التداولية على المنطق، فقد شمل علوماً واختصاصات أخرى. لتطل التداولية في دراستها على آفاق واسعة جداً، ولهذا قيل: "يبدو لأول وهلة، ان الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ضخمة. وتلقي عموماً بوصفه كياناً غامضاً، أو قل جراباً جديداً توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي الى الاختصاصات المؤسسية وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، والدلالية... الخ، نحو المشاكل التي اثارها هذه الاختصاصات ولم تتوصل الى معالجتها بشكل مرض"^(٣).

ومن هنا لم يمكن أيضاً "أن نعتبر التداولية اختصاصاً بالمعنى المتعارف عليه للفظ الاختصاص"^(٤).

ب- التداولية بين اللسانيات والعلوم الأخرى:

يجزم بعض الدارسين الأجانب بعنادية (التداولية) الى اللسانيات مثل: (أجسن) و(تروسبورغ)^(٥)، في حين يقارن بعضهم بين الاثنين: التداولية واللسانيات مثل (مي) مما يوحي بأن الاثنين مختلفان أو متباينان، ولا يقصد (مي) من ذلك "ان التداولية خارج اللسانيات، كل ما يقصده، ان النظرة التداولية تختلف عن النظرة اللسانية التقليدية لها"^(٦).

وربما كان قصد (مي) من هذه المقارنة ما كان يقصده (فيرشورن) وهو ان التداولية ليست إحدى المكونات الأساسية لللسانيات (علم الصوت، وعلم الصرف، والنحو والدلالة)، فهي ليس لها وحدات كوحدات هذه المكونات وإنما تمثل نظرة عامة للغة^(٧).

(١) التداولية من أوستن الى غوفمان ٣٠. وينظر: في التداولية إشكالية المصطلح ٢٣-٢٤ و ٢٧، والفلسفة البراغماتية ٢٩-٣٣.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٢-١٩٨، ومدخل الى اللسانيات ١٠٤، وشظايا لسانية ٩٤.

(٣) التداولية من أوستن الى غوفمان ١٧، وينظر: ٤٨، وينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٩٥-٢٢٢، وشظايا لسانية ٩٢-٩٥. والتداولية والعلوم الانسانية ٥٧.

(٤) التداولية من أوستن الى غوفمان ١٩.

(٥) ينظر: شظايا لسانية ٨٨.

(٦) شظايا لسانية ٨٩، وينظر: التداولية والعلوم الانسانية ٥٧.

(٧) ينظر: شظايا لسانية ٨٩، والنص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب ٥٣. ويذكر (فيرشورن) أيضاً ان التداولية تختلف عن الحقول المشتركة مثل اللسانيات العصبية واللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية ولسانيات علم الأجناس في انها لا تغطي أموراً خارج اللغة كما تفعل هذه الحقول، ينظر: ٨٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ولهذا يذكر (فيرشورن) أيضاً أن التداولية لا تشكل "جزءاً إضافياً من اللسانيات، بل تعرض منظوراً جديداً يتجاوز الجملة الى النص. وذلك أنه خلف الصوت والكلمة والجملة، هناك النماذج والأساليب والأصناف الأدبية... ولا يمكن تعريف هذه الصيغ خارج سياق الاستعمال، غير انه ليست هناك أية ظاهرة تستطيع التداولية تجاهلها"^(١).

وتنتقد التداولية المنهج اللساني البنوي التقليدي الذي يقتصر على دراسة الجانب الشكلي من اللغة ولا يأخذ بحسابه الجانب الاجتماعي وتتهمه بالإخفاق في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب لأنه "يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصنع عملية التخاطب بطابع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج عن المواصفات اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلمين"^(٢).

لهذا نجد اللسانيين يتحدثون _عادةً_ بإسهاب عن الغموض، في حين لا يؤمن التداوليون "بوجود شيء اسمه الغموض في الحياة العملية، أي حياة مستعملي اللغة عدا الحالات المتعمدة"^(٣). فالسياق التداولي كما يقول (مي) يتحرك "ويتغير كل لحظة، انه فعال مثل الناس، اما الوصف اللساني فجامد لا حيوية فيه لأنه لا يصور التطور بين مستعملي اللغة"^(٤).

وهكذا بدأت الانتقادات تتوالى منذ السبعينيات "للدراسات التي تجعل من الجملة وحدة للتحليل اللغوي. وزاد عزوف مختلف الباحثين عن الدراسات التي لا تأخذ في حسابها العناصر السياقية، والجوانب التخاطبية في دراسة اللغة"^(٥).

فرفضت فكرة المتحدث المثالي التي جاء بها تشومسكي، كما رفض تمييزه بين القدرة والأداء، وبناء نظريته على الجملة، لأنها مبنية على (التجريد). ولأن التداولية تُعنى بالأداء بدأ الحديث يدور حول (القدرة التواصلية) التي يدرج التداوليون تحتها أقساماً عدة^(٦) بعد ان بدء مفهومها ينتشر في اواسط الستينيات في كتابات (هايمز) الذي انتقد تمييز تشومسكي بين القدرة والأداء بدعوى إهماله الملاءمة السياقية والبعد الحضاري الاجتماعي للتفوه. وبذل الحديث عن الجملة بدأ الحديث عن

(١) شطايا لسانية ٨٩، وينظر: النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب ٤٨، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني ١٥-١٤.

(٢) مدخل الى اللسانيات ٩٨، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٣٤-٣٩، والنص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب ٥٠-٤٩، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً ١٩-٢٠.

(٣) شطايا لسانية ٨٨، وفي التداولية اشكالية المصطلح ٣٨. ومن أمثلة هذه الحالات المتعمدة "جواب الكاهن المشهور الذي سأله بيرهوس إمبراطور قبرص عما سيحدث ان هاجم الرومان (سيدمر امبراطورية عظيمة) لذا هجم بيرهوس بأمل ان يدمر الرومان ويربح المعركة، غير انه خسرها، وبذلك دمر بشكل غير مباشر امبراطوريته هو" شطايا لسانية ٨٨.

(٤) شطايا لسانية ٨٨. ويذكر (مي) ان التداولية أعطت "زخماً للسياق بمعاملة سياق مستعمل اللغة وليس سياقاً بحد ذاته. والسياق ليس مجرد عرض للمنظور الجملي كما هو الحال عند مالفينوفسكي وفرث وهاليداي، انه الموقف الاجتماعي الذي يتم الكلام فيه" ٨٨.

(٥) مدخل الى اللسانيات ١٠٣، وينظر: شطايا لسانية ٩١. والتداولية والعلوم الانسانية ٥٦.

(٦) وهي القدرة اللغوية، والقدرة اللغوية الاجتماعية، والقدرة التداولية الاجتماعية والقدرة اللغوية التداولية، وقدرة الحوار، والقدرة التخطيطية. ينظر: شطايا لسانية ٩١-٩٢.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

مقولة أو تفوه _ جملة منطوقة فعلياً في سياق محدد_ وهي ما يصطلح عليه في الانكليزية (UTTERANCE)^(١).

وأكد (هايمز) عدم وجود "علاقة تلازم بين الشكل النحوي لتفوه ما وما يحققه من حدث كلام. فالجمل المتماثلة نحوياً يمكن ان تعبر عن أحداث كلام متعددة، وبالمقابل فحدث كلام معين يمكن تحقيقه بأكثر من شكل"^(٢).

وبعد ان كان تشومسكي يرى اللغة عدداً لا محدوداً من الجمل أصبح سيرل (١٩٦٩) يرى ان اللغة سلسلة أحداث في العالم^(٣). وأن الوحدة الأساسية للتواصل هي (فعل الكلام)^(٤).

ويبدو ان التداولية قد أفادت كثيراً من انشقاق بعض تلامذة تشومسكي من (الداليين والتوليديين) مثل روسن وماكولي ولكوف وبوستال في مؤتمر عام (١٩٦٧)، وهؤلاء لم يكونوا تداوليين أصلاً وإنما اختلفوا مع تشومسكي حول الأساس الذي بُني عليه الدرس اللساني أهو النحو أم الدلالة؟^(٥).

وفي هذا الشأن يقول ليفنس "مع إتساع المعلومات عن النحو وعلم الصوت وعلم الدلالة في لغات متعددة، أضحت واضحة ان ثمة ظواهر محددة لا يمكن وصفها بشكل طبيعي إلا بالاستناد الى المفاهيم السياقية. فمن جهة هناك العديد من القوانين النحوية التي يبدو أنها لا تتحدد بصورة صحيحة إلا إذا أشرنا الى الظروف التداولية التي ترافقها، وهناك أيضاً مسائل النبر والتنغيم"^(٦).

وتبدو صلة التداولية وثيقة بأحد مجالات اللسانيات وهو (علم الدلالة). إذ "يدرس كلاهما تصميم المتكلم وتأثير التفوه في السامع والتضمينات الناجمة عن التعبير عن شيء ما بطريقة معينة، والمعرفة والعقائد والافتراضات المسبقة (القبفتراضات) عن العالم الذي يتحدث عنه المتكلم والسامع"^(٧).

والفرق بين الاثنين أن علم الدلالة يدرس المعنى مستقلاً عن السياق أما التداولية فتدرس المعنى كما يتحدد في السياق الذي يرد فيه^(٨).

لهذا توصف التداولية أحياناً بأنها سلة مهملات علم الدلالة كما وصفت الدلالة قبلها بسلة مهملات علم النحو. تُعنى هذه السلة بمشاكل استعمال اللغة التي لا يستطيع علم الدلالة حلها ولا يعبأ

(١) ينظر: شطايا لسانية ٩٣، ومدخل الى اللسانيات ١٠٢، ونظرية الفعل الكلامي ٢١٥-٢١٧، والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني ١٥-١٦. والانتقاد السابق يشمل كل اللسانيات التي يصطلح عليها اللسانيات السوسرية التي تفصل بين مستويين: اللغة والكلام، إذ تتقاطع معها هذه النظرية، ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٥.

(٢) شطايا لسانية ٩٣-٩٤. وهذا يؤكد مرة أخرى ضرورة إعادة النظر في التعميم الذي أطلقه البلاغيون العرب حول دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والجملة الفعلية على الحدوث كما تقدم في مبحث النحو الوظيفي.

(٣) ينظر: شطايا لسانية ٩٣، والنص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب ٥٣-٥٤.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١٦، وينظر أيضاً النص والتواصل ٥٣.

(٥) ينظر: مدخل الى اللسانيات ١٠٢، وشطايا لسانية ٩٠.

(٦) شطايا لسانية ٩٠.

(٧) شطايا لسانية ٩٢، وينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١٠-٢١٣، وفي التداولية اشكالية المصطلح ٢٣-٢٤.

(٨) ينظر: شطايا لسانية ٩٢، والعلامة تحليل المفهوم ومكوناته ١٣٩-١٤٠.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

اللسانيون ببعضها مثل: ماذا يحاول الناس عمله عندما يستعملون اللغة؟ وكيف يتعاون الناس في الحوار؟^(١)

ويمكن ان نلاحظ الفرق بين ما تُعنى به التداولية وما يُعنى به علم الدلالة من خلال الجملة: هنالك حصان في الحديقة.

إذ "تهتم الدلالة بحقيقة ان الحصان (وهو حيوان) موجود في الحديقة وليس خارجها، اما التداولية فتهم بالمعنى الإضافي الذي يضيفه المتكلم عندما يقول هذه الجملة ضمن سياق معين: ما الغرض الكامن في ذهن المتكلم؟ ربما يقصد المتكلم تحذير الاطفال من الخروج الى الحديقة، ويقصد آخر ان تستخدم الحصان للذهاب الى مكان ما، ويقترح ثالث ان تسرقه... تدرس الدلالة اذن المعنى العام الثابت المشترك لكل السياقات المحتملة، وتدرس التداولية الحالة التي تحيط بالمعنى الثابت والتي تتغير من سياق لآخر وهي بالتأكيد ليست أقل أهمية من الناحية العملية"^(٢).

وتتعاون التداولية وعلم الدلالة مع المنطق أيضاً في سبيل تقديم نموذج متطور لعملية التخاطب يأخذ في حسابه كل الأبعاد اللغوية والمنطقية والتخاطبية. وقد مهد السبيل الى هذا التعاون الطبيعة الموسوعية للبراغماتية (التداولية) التي أدت الى بروز أعمال تناقش موضوعات مشتركة مثل: انواع الاستنتاج والافتراضات والمفاهيم الخطابية والتعيين^(٣).

ومع وجود هذا التعاون تنفرد التداولية بقدرتها على معالجة كثير من المسائل التي يتعذر على المنطق معالجتها وتبين الكيفية التي يقوم بها مستعمل اللغة بالربط بين الجمل في اطار النص من خلال الإفادة من أدوات اللغة، وبيان أثر الجوانب النفسية والاجتماعية في المشاركين في الحوار، فضلاً عن الطريقة التي يحدد بها الموقف اللغوي، وموضوع الحوار وإختيار السمات والتفريعات اللغوية^(٤).

وما تقدم يفسر الأهمية المتنامية للتداولية في الدرس اللغوي المعاصر بعد ان أصبحت "هي الصلة بين اللسانيات وباقي العلوم الاجتماعية"^(٥).

وهكذا أصبحت التداولية مدرسة متميزة في مناهجها البحثية وفي موضوعاتها وفي أصولها، ولم تقتصر على كونها فرعاً من فروع اللسانيات النظرية^(٦).

جـ- نظرية أحداث الكلام SPEECH ACTS THEORY:

(١) ينظر: شطايا لسانية ٩٢، والنص والتواصل ٤٩-٥٠ و ٥٣-٥٤.

(٢) شطايا لسانية ٩٣. وينظر: التداولية النشأة والمفهوم ٣٧. والصواب (التي) بدون (واو) العطف.

(٣) ينظر: مدخل الى اللسانيات ١٠٤.

(٤) ينظر: شطايا لسانية ٩٢-٩٥، وفي التداولية اشكالية المصطلح ٢٦.

(٥) شطايا لسانية ٨٨، وينظر نظرية الفعل الكلامي ٢١٧-٢٢٢، والتداولية والعلوم الانسانية ٥٧.

(٦) من الباحثين المعاصرين من يذكر ان من العوامل التي أدت الى الحديث عن (التداولية) بوصفها حقلاً من حقول اللسانيات أكثر من الحديث عنها بوصفها مدرسة، ان الحديث عنها بوصفها مدرسة يقتضي صوغ الاسم الذي يشير إليها بإضافة اللاحقة (ISM) على موال: (STRUCTURALISM...)، مما يؤدي الى التباسها بالمدرسة الفلسفية PRAGMATISM، التي تترجم عادة الى: الذرائعية أو النفعية أو العملية، وهي مدرسة امريكية تقوم الفكرة بموجب فعلها لا مظهرها أي: أنها تختزل الحقيقة في المنفعة، وتكون الفكرة صحيحة ان ثبت أنها فاعلة في ربط الماضي بالمستقبل وفي تنظيم الخبرة الإنسانية. ينظر: مدخل الى اللسانيات ١٠٢ و ١٠٤، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٢٨، وشطايا لسانية ٨٧.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

صاحب هذه النظرية هو الفيلسوف اللغوي الانكليزي (أوستن) AUSTEN وتبدأ قصتها بالمحاضرات التي القاها في جامعة هارفرد في عام ١٩٥٥ و"اشتهرت باسم (محاضرات وليم جيمس) ثم نشرت عام ١٩٦٢ بعد وفاة أوستن من قبل أحد طلابه (إيرمسن) URMSON على شكل كتاب بعنوان: كيف تفعل الأشياء بالكلمات HOW TO DO THINGS WITH WORDS علماً أن أوستن ترك ملاحظة قصيرة يشير فيها الى ان آراءه كانت قد تبلورت منذ سنة ١٩٣٩، وأنه كان قد القى محاضرات في جامعته اكسفورد بين الأعوام ١٩٥٢-١٩٥٤ تحت عنوان الكلمات والأفعال (WORDS AND DEEDS) تحتوي جذور النظرية نفسها"^(١).

يغالط أوستن في مستهل كتابه احدى المسلمات الفلسفية التي عمرت آلاف السنين وتفيد ان اللغة أو (المقولات) الشفهية والمكتوبة لا تستعمل سوى لوصف حالة معينة أو للتصريح بحقيقة معينة وهو ما يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً. ورأى (أوستن) أن هذه الفكرة خاطئة وفضل الاصطلاح عليها بـ(الأغلوطه الوصفية أو الخبرية)^(٢). مؤكداً ان الفلاسفة قد بدأوا يدركون مؤخراً "بطلان هذه الفكرة. وهكذا تبين أن هناك (جملأ أو مقولات) تشبه المقولات الخبرية أو التقريرية لكن لم يكن يقصد منها الاخبار أو تسجيل الحقائق أو الحكاية"^(٣). من بين هذه المقولات ركز (أوستن على صنف مهم "اطلق عليه اسم: المقولات الإنجازية (PERFORMATIVE UTTERANCES) أو الإنجازات إختصاراً. وفي هذه الإنجازات يعد مجرد النطق بالكلمات إنجازاً لفعل أو عمل ما"^(٤).

بناءً على ذلك لا يمكن ان نقول ان تلك المقولات أو التفوهات "ليست (صحيحة أو خطأ) بل ان تفوه الجملة هو حدث أو جزء من حدث"^(٥).

ومن أمثلة أوستن:

- أنا اسمي هذه الباخرة الملكة اليزابث.
 - أنا اراهنك بستة بنسات على انها ستمطر غداً.
- فعندما يتفوه المتكلم بهذه الجمل يسمى "عملياً السفينة أو يعمل الرهان، الا أنه لا يقدم أي نوع من التقرير الذي يمكن أن يعتبر صحيحاً أو خطأ"^(٦).
- ومن ذلك أيضاً مقولات كثيرة الفنا استعمالها في لغتنا العربية من قبيل:

^(١) نظرية الفعل الكلامي ٣٩-٤٠. ويشير لفنسن "الى توازي وتزامن إكتشاف النظرية من قبل (أوستن) و(فكتنشتاين) فيلسوف جامعة كمبرج، ذلك ان كلا الفيلسوفين توصل الى النظرية في نهاية العقد الثالث من هذا القرن، ولكن لأن كتابات (فكتنشتاين) بالغة الصعوبة والغموض ولأنه يمثل نموذجاً لاختلاط العبقرية بالجنون لم تسلط عليه الأضواء واقتترنت النظرية باسم أوستن". ١٠٥.

^(٢) نظرية الفعل الكلامي ٤٠.

^(٣) نظرية الفعل الكلامي ٤٠.

^(٤) نظرية الفعل الكلامي ٤٠، وينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٨٧، ومدخل الى اللسانيات ١٠٣، والتداولية النشأة والمفهوم ٤٢-٤٣. ويلاحظ استعمال (UTTERANCES): مقولات أو تفوهات بدلاً من (SENTENCES): جمل. لأن التداولية تعنى بالأداء _كما تقدم_ وترفض التجريد وعزل المقولات عن سياقها وهو ما يوحي به مصطلح SENTENCE: جملة.

^(٥) علم الدلالة (بالمر) ١٨٧. لذا لا يمكن ان نقول لمن ينطق بالمقولات: أقسم بالله أو أباع فلاناً مثلاً صدقت أنت تقسم بالله، أو كذبت أنت لا تباع فلاناً. ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٩٨.

^(٦) علم الدلالة (بالمر) ١٨٧، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٤. والتداولية النشأة والمفهوم ٤٢-٤٣.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

- بسم الله أفتتح جسر الشهداء (حين يقولها المتكلم وهو يقص الشريط).
 - أوصي بثلاث ثروتني لابن أخي (حين ترد في وصية قانونية).
 - أقبل (جواباً لسؤال القاضي الشرعي هل تقبل الزواج من فلانة بنت فلان).
 - أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله.
 - أوصيكم بتقوى الله وكثرة مخافته^(١).
- والأمثلة كثيرة على هذه المسألة ومتقاربة بين اللغتين العربية والإنكليزية. والجمل السابقة جميعها التي يهتم بها المتكلم هي "جمل خبرية من الناحية القواعدية، الا انها ليست اخبارية بل منجزاتية"^(٢).
- وفي جميع (المقولات) السابقة أو (التفوهات) قام المتكلم بالفعل نفسه عند النطق بها: افتتح الجسر، وانشأ الرهان، وأوقع الزواج وأعلن الشهادة... الخ، ولم يكن يخبرنا بشيء مما سبق. ويلاحظ ان العالم قد تغير بعد النطق بكل من هذا المقولات، فالجسر اصبح من الممكن الآن استخدامه للعبور، والزواج أصبح قائماً، وهكذا الحال مع بقية المقولات التي يصبح المتكلم ملزماً بها بعد نطقها قانوناً أو شرعاً^(٣).
- ومن خلال هذه الملاحظات خرج أوستن بنظريته التي تقوم "على فكرة أننا عندما نتحدث فإننا نقوم بأفعال أو أحداث"^(٤). ويبدو هذا واضحاً في المقولات الإنشائية التي أشرنا إليها قبل قليل، ويمكن ان نمثل لها بما يطلق عليه في العربية (صيغ العقود)، نحو: (بعثك) و(زوجتك) و(طلقتك). ومنها ايضاً: (اعدك) و(ارجوك) و(اتمنى ان تفعل) وغير ذلك من (القولات) التي يفترن القول فيها بعمل يصح ان نعهده منجزاً بمجرد انتهاء المتكلم من كلامه^(٥).
- وقد بحث أوستن "في المعاني المختلفة التي يكون فيها النطق بكلام ما مساوياً لفعل أو عمل شيء ما"^(٦). وانتهى الى التمييز بين ثلاثة أحداث لغوية هي:
- ١ - حدث القول LOCUTIONARY ACT: حدث قول شيء ما، أي: حدث تفوه جملة بمعنى ما وبالإشارة الى شخص ما أو شيء ما. مثل: قال لي إرمها.
 - ٢ - حدث الإنجاز (اللاقول) ILLOCUTIONARY ACT: حدث ما ينجز بقول شيء ما، أو الحدث الناجز نتيجة تفوه المتكلم بشيء ما، كالرهان والوعد والترحيب والتحذير والتنبؤ والأمر كما في: أمرني برميها^(٧).
 - ٣ - حدث أثر الإنجاز PERLOCUTIONARY ACT: يتحقق التأثير بقول شيء ما، أي تأثير تفوه المتكلم في السامع الذي قد يصبح مرتاحاً أو مقتنعاً. كما في: أقنعني برميها.

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٠.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ١٨٧، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٤.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤١-٤٢، ٩٨. من هذه الأفعال والإنجازات ما يبلغ درجة عالية من الأهمية ويؤثر على المجتمع بأكمله "كأن يقول رئيس دولة ما: أعلن الحرب مع الدولة س، أو: أعلن استقالتي" ٤٢.

(٤) مدخل الى اللسانيات ١٠٣. وينظر: التداولية النشأة والمفهوم ٤١-٤٢.

(٥) مدخل الى اللسانيات ١٠٣.

(٦) نظرية الفعل الكلامي ٧٩.

(٧) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٩٥، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٩، ومدخل الى الدلالة الحديثة ٣٠،

ونظرية الفعل الكلامي ٧٩-٨٠، والتداولية النشأة والمفهوم ٤٣-٤٤.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

والترجمة الحرفية للمصطلح الثاني (ILLOCUTIONARY) تعني: الفعل بواسطة الكلام.
والترجمة الحرفية للمصطلح الثالث (PERLOCTIONARY ACT) تعني الفعل المنجز
بواسطة الفعل الكلامي المار الذكر^(١).

ويمكن ان نتوقف بين حدث الإنجاز (اللاقولي) وحدث أثر الإنجاز من خلال المثال: (شد الأزر) أيضاً. فهذا الحدث "لا يمكن ان ينجز بالنية فحسب وحده المتقبل يقدر على التصريح بأنه تمَّ شد أزره أو لم يتم ذلك. ولا يكفي ان أقول (أشد أزر) حتى يتحقق شد الأزر. في حين انه يكفي ان أقول (اعد) حتى يتحقق عمل الوعد"^(٢).

والتقسيم السابق "تقسيم مصطنع لغرض التحليل. فهذه الأفعال غالباً ما تحصل جميعها في آن واحد عند النطق بالمقولة ولا يختار المتكلم فعلاً دون آخر"^(٣).

ويشبه ذلك (ليتش) بوصف حدث بكرة القدم كالآتي: (ركل قلب الهجوم الكرة بقدمه، اضافة الى ذلك فقد سجل هدفاً، وإضافة الى ذلك ايضاً ربح المباراة) إذ يرى ان السلوك اللغوي يشبه كرة القدم في انه يتكون من فعاليات مركبة وليس احداثاً مفردة^(٤).

ويقترح (أوستن) خمسة أقسام لحدث الإنجاز (اللاقولي) وهي:

١ - الحكميات: تتمثل في الحكم نحو: التبرئة، الإدانة، الفهم، اصدار أمر، التصنيف، التحليل... الخ.
٢ - التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل: الطرد والعزل، والتسمية، والالتهام، التوصية، الاستقالة... الخ.

٣ - الوعديات: وهي ما يلزم المتكلم بالقيام بتنصرف ما مثل: الوعد والموافقة والتعاقد والإذن والتفضيل... الخ.

٤ - السلوكيات: وهي أعمال تتفاعل مع افعال الآخرين نحو: الاعتذار والشكر والتهنئة والرافة والنقد والتصنيف والترحيب والكره... الخ.

٥ - العرضيات: وهي اعمال تختص بالعرض مثل: التأكد والنفي والاصلاح والذكر والمحاجة والقول والتأويل والشهادة... الخ^(٥).

وهنا يمكن القول: "ان جملتين تعبران عن فعل قولي بنفس الإستعمال لإنجاز فعل قولي إذا وفقط إذا كان لهما نفس المعنى. وإذا عكسنا ذلك نستخلص ان جملتين يكون لهما نفس المعنى إذا كان بالإمكان إستعمالهما كلتيهما لإنجاز نفس الفعل القولي. الا ان هذا التعريف دائري فهو يعبر المعنى شيئاً معطى وليس شيئاً ناتجاً"^(٦).

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٧٩-٨٠، وتختلف الترجمة العربية لهذه المصطلحات من مترجم الى آخر. ينظر: الهامش السابق.

(٢) التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٠. ويلاحظ (ACT) تترجم احياناً الى (حدث) واحياناً أخرى الى (فعل) أو (عمل). وترجمتها الى (فعل) قد تلتبس مع الصيغة الصرفية للفعل.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ٨٠.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٨٠.

(٥) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٢. والتداولية النشأة والمفهوم ٤٤-٤٥. وقد أجرى (سيرل) تعديلاً على هذه الأقسام كما سيأتي.

(٦) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٠.

❖ الفصل الرابع ❖ ❖ المبحث الثاني ❖

❖ صيغة الإنجاز أو شكل الإنجاز:

وضع أوستن ضمن الجمل المنجزاتية جملاً من قبيل أنا أعد...، أنا اعتذر...، أنا اشكر...، الخ، وتكون الجملة مع كل هذه الأفعال في صيغة المضارع ومع الضمير أنا، عادةً هذه الصيغة مثالاً للمنجزات^(١).

وقد حاول (أوستن) بذلك اعتماد معيار نحوي لتحديد هذه الانشائيات بعد ان لاحظ أنّ الانشائيات تنبئ غالباً على اساس فعل مبني للمعلوم ومُسند الى ضمير المتكلم^(٢).

وقد انتقد هذا المبدأ لوجود جمل "تفيد الوعد أو الإستنكار أو الأمر دون أن يوجد في صدرها فعل يفيد هذا الفعل الإنجازي"^(٣).

ومن أمثلة ذلك:

- اضربها.

- أمرك ان تضربها.

فالجملة الأولى هي نفسها الجملة الثانية من حيث المعنى، وسواء تحقق الفعل الذي يفيد الأمر أم لم يتحقق فإنه يتحقق كفعل إنجازي في الجملتين السابقتين^(٤).

وقد تبين لأوستن بعد ذلك أن هناك بعض الإنجازات في الانكليزية يستعمل فيها الفعل المبني للمجهول كما في: يُرجى من الركاب الرجوع الى مقاعدهم: (PASSENGERS ARE REQUESTED TO RETURN TO THEIR SEATS) وبعضها الآخر لا يذكر فيه الفعل كما في مقولة (مذنب) حين ينطقها رئيس المحلفين في المحكمة، ومقولة (الى الخارج) حين ينطقها حكم المباراة طارداً أحد اللاعبين^(٥).

وجعل هذا (أوستن) "يعدل عن التعويل على المعايير النحوية لأنها غير كافية ليعتمد على معايير دلالية"^(٦).

وهكذا أصبح القاسم المشترك الذي يوحد هذه (المقولات) المختلفة شكلاً هو "كون النطق بها بعد توافر شروط الموقفية يعتبر بمثابة القيام بعمل أو فعل ما"^(٧).

ومن هنا ميز (أوستن) بين نوعين من المنجزات:

الأولى: منجزات صريحة أو مكشوفة مثل: انا اسمي هذه الباخرة، أنا أعد...، انا أحذر....، اطلب منك المغادرة... الخ.

الثانية: المنجزات الضمنية أو المبطنة التي لا تحتوي على تعبير يسمى حدثاً مثل: في الحقل ثور، اذهب، سأكون هنا غداً، هل تستطيع ان تناولني الملح... الخ^(٨).

(١) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٨٧، وينظر: الفعل الكلامي ٤٧-٤٨.

(٢) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٦. وليس بالضرورة ان ينطبق هذا على العربية كما هو الحال في الانكليزية ومن ثم فان هذه القاعدة لا يمكن أن تكون عمومية كما سيتضح بل تختلف باختلاف اللغات. كلستعمل العرب الفعل الماضي في صيغ العقود. والجملة الاسمية (أنت حر)، (أنت طالق)، ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٩-٥٠.

(٣) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٢.

(٤) ينظر: مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٢، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٥٦-٥٧.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥٤، ٥٩.

(٦) التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٧، وينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥٤.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ٥٤، وسيأتي الحديث عن شروط الموقفية.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وهكذا يكون بوسعنا "ان نصل الى الغاية ذاتها مع (يذهب) كما في: (أنا أمرك أن تذهب)، وكذلك جملة (في الحقل ثور) التي قد تكون (وقد لا تكون) تحذيراً، في حين ان: (سأكون هناك) قد تكون (وقد لا تكون) وعداً"^(١).

معنى ذلك "أننا نستطيع في مناسبة ما ان نستعمل مقولة (أذهب) عملياً لإنجاز الشيء نفسه الذي نجزه في مقولة (إني أمرك بأن تذهب). وحين نصف أياً من الحالتين فيما بعد سنقول بأنه أمرني بالذهاب. لكن مع ذلك، قد لا يكون ذلك أكيداً في الواقع. وما دامت المقولة وحدها فإننا حين نستعمل صيغة ضمنية مثل فعل الأمر (أذهب) وحده يبقى من غير الأكيد فيما إذا كان المتكلم يأمرني (أو يزمع ان يأمرني) بأن أذهب، أو هو ينصحي، أو يلتمني وحسب أو... الخ ان أذهب. وبالطريقة نفسها فإن مقولة (هناك ثور في الحقل) قد تكون وقد لا تكون تحذيراً. إذ قد اكون واصفاً للمنظر وحسب. ومقولة (سأكون هناك) قد تكون وقد لا تكون وعداً"^(٢).

والنوع الثاني من التفوهات _ غير الصريحة _ يعني الفلاسفة كثيراً لأنه يثير مشاكل لا يثيرها النوع الأول (الصريحة)^(٣).

وفيما يخص الأخيرة _ الصريحة _ يمكن ان نجد بعض التمييزات إذ تختلف التفوهات التي تبدأ بـ(أنا اعد، انا احذر...) عن تفوهات مثل (أنا اسمي هذه الباخرة...)، وأنا اراهنك... في أنّ الأخيرة ليست جزءاً من أي سلوك تقليدي أو شعائري، وأنّ الفعل المنجز قد يحذف دون خسران القوة اللامعلوماتية. فبوسعنا ان نعد دون استعمال الفعل (يعد) لكننا لا نستطيع ان نسمي باخرة دون استعمال الفعل (يسمي)، وبالمثل نقارن (يحذر) بـ(يراهن)، فالمرأهنة لا تحصل بدون الكلمات (أنا اراهن)، وبهذا يكون (انا اراهن) منجزاً بالمعنى الضيق في ان المنجز عنصر أساسي لا يمكن حذفه^(٤).

وهذه المنجزات من النوع الضيق بعيدة عن التفاعل والتواصل وقريبة من الشعائر والمراسيم المؤسساتية المحددة. على العكس من النوع الآخر الذي يبدو اقرب الى المقولات التواصلية التفاعلية التي تستخدم في التفاعل الاجتماعي. فبوسع الشخص ان يعد أو يشكر أو يعتذر في أي وقت وزمان مثلاً^(٥).

(١) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٨٧، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٨-٧٢، وشظايا لسانية ٩٧.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ١٨٧. واستعمل هنا مصطلح (الجملة) لأن الكلام عن هذه الجمل من حيث هي يحتمل الانجاز من عدمه ومن هنا كانت منجزات غير صريحة أما في السياق فسيكون لها معنى واحداً محدداً فقط.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ٥٦-٥٧، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٨. والتداولية النشأة والمفهوم ٤٢-٤٣. ومثل ذلك في العربية عندما نستعمل الخالفة (اسم الفعل) مثل نزال، ودراك، وصه... الخ. ويعني ما سبق صعوبة تحديد الحدث الكلامي لتقوه ما عملياً: "فقد لا تكون عند المتكلم نفسه فكرة واضحة عن قصده الخاص، فقد يقول (في الحقل ثور) لأنه خائف قليلاً على رفاقه. ولكن هل هذا يكفي لتكون الجملة تحذيراً؟ ان قصد الناس وأغراضهم غالباً ما تكون بعيدة عن الوضوح حتى لأنفسهم. مع ذلك يبدو ان مفهوم الحدث الكلامي يتطلب على الأقل اننا نعرف الاستعمال الذي يوضع له تقوه ما". علم الدلالة (بالمر) ١٨٩، وينظر: ١٩٠.

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٨٩.

(٥) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٨٨-١٨٩.

(٦) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥٥.

❖ الفصل الرابع ❖ ❖ البحث الثاني ❖

ويلاحظ ان اللبس والاحتمال قد يشمل الانجازات الصريحة (EXPLICIT PERFORMATIVE) كما هو الحال مع الانجازات غير الصريحة (IMPLICIT PERFORMATIVE) كما في: (انا اراهن كل صباح بأن المطر سيهطل) إذ لا تفيد هذه الجملة انجاز فعل كلامي، بل تصف سلوكاً اعتاد عليه المتكلم، وكذلك الحال في المقولات: (أنا أعد فقط حين أنوي الإلتزام بكلامي) و(أنا احتج ضد الحكم) و(أنا اشرك اذا ساعدتني في مهمتي)^(١). ومثل هذا اللبس أو تردد المعنى بين الإنجازية والخبرية يتفاقم في العربية بسبب إمكانية بل كثرة استخدام صيغ الفعل الماضي مثل: (بعثك، اشتريت...) والجمل الاسمية الخالية من الفعل مثل: (أنت حر) و(أنت طالق) وغيرها من الأساليب المتعددة للدلالة على الإنجاز مثل المصدر (سقياً لك) و(سلام عليكم)، والخوالف مثل (اسماء الأفعال) مثل (دراك) و(نزال) و(صه)... الخ من الطرق المتنوعة مما لا يوجد ما يقابلها في الإنكليزية. ويعني هذا ان خيارات الدلالة على (الإنجاز) في اللغة العربية أوسع من الخيارات المتاحة في الإنكليزية. وهو ما يجعل الاحتمال واللبس أكثر وروداً^(٢).

❖ شروط الموقفية:

تركز نظرية الأفعال اللغوية "على مظهر دلالي مهم وهو إعتبار تلفظاتها وأقوالنا أفعالاً وإنجازات لها نتائج وانعكاسات على باقي الأنشطة التي نقوم بها، وبهذا ينشأ المعنى عن تلك الآثار التي تحدثها الأفعال اللغوية"^(٣). لكن هذا لا يعني أنّ مجرد النطق بالمقولة الإنجازية وحده يكفل الإنجاز التام للفعل العرفي الذي ترد الإنجازية فيه بوصفها فعلاً رئيسياً^(٤). ولأن الإنجازات هي أفعال كلامية وليست أخباراً لا يمكن تصديقها أو تكذيبها أو القول انها صحيحة أو خاطئة^(٥). لكن من الممكن أن تسير هذه المنجزات "خطأً، أو تكون غير مفرحة أو في غير محلها. فالقول: انا أسمي هذه الباخرة الملكة اليزابيث، لا يسمى الباخرة ان لم تكن للمتكلم صلاحية ذلك. والمراهنة ليست مجرد القول: انا اراهن... ولن تؤخذ هذه الكلمات رهاناً بعد السباق"^(٦). ويعني هذا أن (الإنجازات) أو الأفعال اللغوية يمكن ان تكون عرضة للنقد على أساس موقفتها أو عدم موقفتها وليس على أساس صدقها أو كذبها^(٧).

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٨، ٥٨، وعلم الدلالة (بالمر) ١٨٨. ويحاول أوستن: "أن يبين العلاقة بين الإنجازية الأولية _غير الصريحة_ من الوجهة التاريخية أي من وجهة تطور اللغة، فهو يعتبر الزيادة في التركيب اللغوي في الإنجازية الصريحة عامل إيضاح لمغزاها وهو من ثم دليل على ان الإنجازية الصريحة حالة أكثر تطوراً من الإنجازية الأولية أو غير الصريحة". نظرية الفعل الكلامي ٥٨.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥٩.

(٣) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٣.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٣.

(٥) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٠، ونظرية الفعل الكلامي ٤٣.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ١٩٠.

(٧) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٣.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

إذ ترتبط المنجزات أو الأفعال اللغوية "بطرق متعددة بالشروط الخارج لسانية وبالمقامات، فالطريقة التي يربط بها المتكلم نفسه بحالة معينة أو بمقام معين تعد وظيفية بالنسبة للقوة الإنجازية الكامنة في الجملة التي يستعملها المتكلم"^(١).

وقد وضع أوستن مجموعة من الشروط الضرورية لإنجاح (الإنجازية) وأطلق على هذه الشروط (شروط الموفقية) FELICITY CONDITIONS وتوافر هذه الشروط هو الذي يقي العملية الإنجازية من الإخفاق (MISFIRE) أو اساءة الإستعمال (ABUSE) وهذه الشروط هي: أ- يجب ان يكون هناك اجراء عرفي متواضع عليه له تأثير متعارف عليه. ويتضمن ذلك الإجراء النطق بكلمات معينة من قبل اناس معينين وفي ظروف معينة.

ب- ان الأشخاص والظروف المذكورة يجب ان يكونوا مناسبين للقيام بالاجراء في تلك الحالة المعينة.

ج- يجب ان ينفذ الإجراء من قبل كل المشاركين بصورة صحيحة.

د- وبصورة تامة.

هـ- وحين يكون الاجراء مصمماً كما هي العادة للتنفيذ من قبل أشخاص لهم افكار ودوافع معينة، أو مصمماً للمباشرة بالقيام بسلوك هام مترتب على المقولة من قبل أي واحد من المشاركين فان الشخص المشارك في الاجراء وفي تنفيذه يجب ان تكون لديه تلك الافكار والدوافع، وعلى المشاركين ان تكون لديهم النية الصادقة للقيام بذلك السلوك.

و- ويجب عليهم فعلاً ان يقوموا بهذا السلوك فيما بعد^(٢).

والاخذ بالأي من هذه الشروط الستة سيجعل الإنجازية غير موفقة. لكن الاخذ بالشروط الاربعة الأولى سيؤدي الى اخفاق الإنجازية وعدم حصول الفعل^(٣).

ومن أمثلة ذلك أن يكون الشخص الذي يسأل شخصاً آخر عن قبوله بالزواج من فلانة بنت فلان ليس بقاض شرعي أو ليس مخولاً لمثل هذا الإجراء، أو لا يستعمل الكلمات نفسها المتعارف عليها في مثل هذا الإجراء، أو أن يكون الرجل والمرأة المقصودان متزوجين فلا يحتاجان الى هذا الاجراء... الخ ففي هذه الحالة تفشل عملية التزويج ولا يتحقق بل تكون باطلة^(٤).

وفي حال تعلق "المخالفة بالشرطين الاخيرين فان الفعل سينجز. ولو ان الانجاز سيكون خالياً من صدق النية، فإذا اساء الشخص استعمال القول (انا اعدك بالمجيء غداً) بان يقولها من دون ان يكون لديه النية بالوفاء بالوعد فانه سينجز فعل (الوعد) لكنه أساء استعمال الإنجازية^(٥).

ومما يجدر ذكره ان شروط الموفقية السابقة "ليست متساوية في الأهمية. فمخالفة بعضها تؤدي الى إخفاق أو فشل الفعل الكلامي كلياً كما في حالة الوعد بالقتل فهذا ليس وعداً وإنما تهديد، في حين أن مخالفة البعض الآخر يؤدي الى اساءة الاستعمال وعدم اللياقة فقط كما في حالة الوعد الذي ينوي المتكلم ان يخلفه، فهو يبقى وعداً وان كان معيياً أو غير موفق"^(٦).

(١) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٣.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٣-٤٤.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٤. والتداولية من أوستن الى غوفمان ٧٨-٨٠.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٤، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٧٨-٨٠.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٤-٤٥.

(٦) نظرية الفعل الكلامي ٩٨، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٧٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وفي اطار شروط الموقفية أجاب (أوستن) عن السؤال الذي طرحه هو: "هل لنا ان نقول مثلاً ان الزواج يعني النطق ببعض الكلمات أو ان المراهنة هي مجرد النفوه بشيء ما"^(١). بقوله: "ان النطق بالكلمات هو فعلاً وعادة يمثل حدثاً رئيسياً أو بالأحرى الحدث الرئيس في إنجاز الفعل (كفعل الزواج أو المراهنة أو ما شاكل) والذي يمثل إنجازه الغاية المقصودة من النطق بتلك الكلمات. لكن هذا النطق عادة ليس هو الشيء الوحيد الواجب توفره إذا أريد ان يكتب النجاح لذلك الفعل. إذ ينبغي عادة على المتكلم نفسه أو على الآخرين ان ينجزوا أفعالاً أخرى أيضاً سواء أكانت تلك الأفعال مادية أو ذهنية أو حتى قولية كالنطق بكلمات أخرى.. اضافة الى ضرورة توافر شروط الموقفية"^(٢).

فلا يكفي مثلاً "أن يقول الرجل: (نعم أقبل هذه المرأة زوجاً) حتى يتحقق الزواج فعلاً، فهذا القول يفترض مكاناً مخصوصاً، وموعداً مضروباً، وان يتم على يدي شخص مؤهل للشهاد"^(٣). وكذلك (البيع) أو (الهبة) لا تتم بمجرد النطق بعبارة (بعتك) أو (وهبتك) دون تسليم الشيء المباع أو الموهوب"^(٤).

الا ان (سيرل) قد تبين فيما بعد "فيما يخص الأفعال العرفية التي سماها بالإعلانات أنها لا تطلب شرط صدق النية، بل هي تفشل بسبب عدم توافر الشروط الشعائرية الأخرى، كأن يكون القس شخصاً عادياً يدعي انه قس... الخ"^(٥).

ورأى بلانشيه أن الحدود ما تزال غير واضحة لأن العمل اللاقولي ذاته _فعل الإنجاز_ يستوجب كي ينجز ذلك العمل بالفعل عموماً شروط نجاح، وتأويلات، ونتائج محسوسة لدى المستقبل. فقولك: (أعد) دون وجود مخاطب يتقبل ذلك الوعد، أو قولك: (عليك أن ترحل) لشخص لا يدرك القيمة اللاقولية للأمر (ومن ثم فهو لا يبالي به) كل ذلك من شأنه ان يوقع العمل اللغوي في حرج بالغ، على الرغم من توفر قصد الباث"^(٦).

ويرى (أوستن) و(سيرل) قد حاولا "وضع تصنيف للأعمال اللاقولية، يطمح بالأحرى الى ان يكون كونياً. ومع ذلك فقد كان تأملهما يحتوي عيباً من حيث المبدأ، وهو ما وضحه تداوليون آخرون، يتعلق بإيلاء أهمية بالغة للمقصد ولللبث، على حساب المسار التأويلي للتقبل ضمن التفاعل التواصل في كليته"^(٧).

كما وصفت (شروط الموقفية) التي جاء بها (أوستن) بأنها غير عالمية وان بعضها يتعلق بالثقافة والمجتمع المقصود، كالشرط (هـ) الذي يتعلق بجدية المتكلمين وصدق نياتهم عند النطق بالإنجازية"^(٨).

(١) نظرية الفعل الكلامي ٤٦.

(٢) نظرية الفعل الكلامي ٤٦-٤٧.

(٣) التداولية من أوستن الى غوفمان ٧٩.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٧.

(٥) نظرية الفعل الكلامي ٥٣.

(٦) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦١.

(٧) التداولية من أوستن الى غوفمان ٦١.

(٨) نظرية الفعل الكلامي ٥٢.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ففي العرف الإسلامي مثلاً يقع النكاح والطلاق والرجعة وان انتفى هذا الشرط (صدق النية) لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد)^(١)، وبهذا تكون هذه الإنجازات ذات طبيعة خاصة لأهميتها وخطورتها، ومما يوضح الصفة العرفية الخاصة لبعض الإنجازات أن النهي عن الجمع بين الأختين الذي يفهم من قولنا (تزوج هنداً أو اختها) هو مفهوم عرفي شرعي. وان الاصل في (أو) ان تفيد التخيير فقط كما في قولنا: (جالس الحسن أو ابن سيرين) وهذا ما يؤكد ابن هشام في مغني اللبيب^(٢).

❖ أوستن و(فعل الإخبار):

ناقش (أوستن) أيضاً فعلاً كلامياً بصورة مفصلة وهو فعل الإخبار (STATING) وهو معروف بصفته الإبلاغية أو الإعلامية أو الإخبارية وطبق عليه مقياسي الانجازية وهما:
أ- الإنجازية يجب ان تكون فعل شيء ما أو القيام به تمييزاً لها عن مجرد قول الشيء.
ب- الانجازية معرضة للموفقية أو عدم الموفقية وليس للتصديق أو التكذيب^(٣).

ورأى ان فعل الاخبار يلبي هذين الشرطين للانجازية، وان "الإخبار بكل وقائعه هو انجاز لفعل كلامي حاله حال التحذير والوعد"^(٤). وان ما يبدو في ظاهره (اخبارات وصفية) _يفضل أوستن تسميتها تقريرية_ يمكن ان يحل في شكل احداث أو افعال لغوية^(٥).

ويمثل (أوستن) لذلك ببعض التعليقات التي نسمعها كثيراً في حياتنا اليومية مثل:

- لم أقصد المراهنة أو التحذير أو إبداء الرأي حين قلت انها كانت تمطر، بل كل ما فعلته هو أنني أخبرتك بذلك كحقيقة.

- حين قلت أنها ستؤدي الى البطالة، فإنني لم أحذر أو أعبر عن احتجاجي، بل كل ما فعلته هو أنني بينت الحقائق^(٦).

وبعد ان وضع (أوستن) فعل الإخبار بمرتبة الأفعال الكلامية الأخرى مثل التحذير والمراهنة، ساوى (أوستن) بين صيغتي الإخبار الضمنية (الأولية) والصريحة فذكر "أنه لا فرق بين قولك (هو لم يفعل ذلك) وقولك (انا اخبر انه لم يفعل ذلك) من حيث احتمال المقولتين للتصديق والتكذيب"^(٧).

والأسس والأفكار السابقة التي انطلق منها (أوستن) تقود الى التمييز بين حدثين أو فعلين لغويين: الحدث المعلوماتي LOCUTIONARY ACT والحدث اللامعلوماتي ILLOCUTIONARY ACT. فنحن "في الحدث المعلوماتي نقول شيئاً، لكننا قد نستعمل المعلومات أيضاً لأهداف معينة: للإجابة عن سؤال أو الإعلان عن حكم قضائي، أو التحذير...الخ. وننجز في هذا المعنى حدثاً لا معلوماتياً"^(٨).

(١) ينظر: الحديث في سنن الترمذي ٣٦٣ في كتاب_ الطلاق تحت رقم ١١٨٧.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥٢، ٥٣، ووصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٩. ومغني اللبيب ٩٥/١.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٦١. والتداولية النشأة والمفهوم ٤١-٤٢.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٦٢.

(٥) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٨.

(٦) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٦٢. ويمكن ان نلاحظ بوضوح حرص التداوليين وفي مقدمتهم أوستن على التمثيل (بمقولات)

من واقع الحياة الفعلية في هذه الأمثلة.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ٦٢.

(٨) علم الدلالة (بالمر) ١٨٧-١٨٨.

الفصل الرابع

المبحث الثاني

أي أننا قد ننطق بقولة معينة مثل (سأكون هناك غداً) التي تبدو خبرية أو معلوماتية في ظاهرها. لكننا قد ننجز من خلالها حدثاً كلامياً مثل (الوعد) أو (التهديد) أو الطمأنينة... الخ^(١). وهناك من يفترض في حديثه عما يسمى مغالطة الإنجازية (PERFORMATIVE FALLACY) أن مقابل كل مقولة غير إنجازية هناك مقولة إنجازية توضح مغزاها عن طريق إضافة لفظ انجازي الى صدرها. وهكذا تكون المقولة الخبرية: (هو لم يفعل ذلك) تساوي المقولتين الإنجازيتين:

- أنا أخبر بانه لم يفعل ذلك.

- أنا أؤكد انه لم يفعل ذلك^(٢).

والنتيجة المنطقية للرأي السابق "هي أن كل مقولة إنجازية بدون إستثناء، فحتى المقولة الخبرية هي انجازية أيضاً مادامت قد استعملت من قبل المتكلم في سياق ما للإخبار أو التوكيد"^(٣). وقد توصل (أوستن) "الى عدم التناقض بين كون النطق بالمقولة إنجازاً لفعل ما وبين احتمالها للتصديق والتكذيب. وحتى بمقياس الموفقية وعدمها يرى (أوستن) أن فعل الإخبار هو عرضة لكل أنواع عدم الموفقية التي تتعرض لها الإنجازيات"^(٤).

ومن أمثلة أوستن على ذلك: "أن قولك (القطعة على الحصيرة) يقتضي ضمناً قولك (أنا اعتقد أن القطعة على الحصيرة) وهذا الإقتضاء لا يختلف عن اقتضاء قولك (أنا أعد بالمجيء) أنك تنوي وتعتقد أنك ستجيء. وهكذا فإن فعل الإخبار هو عرضة الى عدم صدق النية وهو أحد أنواع عدم الموفقية التي تصيب الأفعال الكلامية"^(٥).

وهكذا بعد أن بدأ (أوستن) كتابه بالتمييز بين المنجزات والإخباريات انتهى بمفارقة هي اقتراحه "أن الجمل الخبرية، أي الإخبارية ليست سوى نوعاً واحداً من أحداث الكلام. لأن التقرير كما يقول هو منجز للحدث اللامعلوماتي تماماً مثل التحذير أو الوعد"^(٦).

وبهذا الصدد يقول (أوستن) أيضاً: "حالما ندرك أن ما يتوجب علينا دراسته هو ليس الجملة بل عملية إصدار (مقولة) في موقف كلامي معين لا يعود هناك احتمال لعدم ادراكنا أن فعل الإخبار هو إنجاز لفعل"^(٧).

ويؤكد أيضاً "أن التمييز بين المقولة الخبرية والإنجازية يعود في أساسه الى نوعين من التجريد المثالي وغير الواقعي. ففي حالة المقولة الخبرية فإننا نجردها من جوانب المغزى الكلامي (ناهيك عن التأثير الكلامي) لفعل الكلام ونركز على (فعل القول) فنضع نصب أعيننا نموذجاً أو

(١) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٠. وهذا هو السبب الذي جعلنا نمر من المعنى الحرفي الى المعنى السياقي في رأي التداوليين. ينظر: ٦٠ أيضاً. والحديث هنا ذو صلة وثيقة بالحدث الصريح والضمني.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٦٠.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ٦٠.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٦٢. ويعني بذلك العيوب التي تفشل (المقولة) دون أن تجعلها صادقة أو كاذبة. ينظر: ٦٢.

(٥) نظرية الفعل الكلامي ٦٢-٦٣.

(٦) علم الدلالة (بالمر) ١٨٨.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ٦٥.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

مثالاً لما يصح قوله في كل الظروف ولأي غرض ولأي مستمع.. أما في حالة الإنجازية فإننا نهتم أكثر ما نهتم بالمغزى الكلامي للمقولة ونجردها من بعد أو أبعاد المطابقة مع الواقع^(١). وكان (أوستن) قد تحدث من خلال تصنيفاته عما أسماه (الإنجازيات الوصفية) التي يكون للمقولة فيها الشكل الإعتيادي للابلاغ أو الإخبار وهي لهذا عرضة للتصديق أو التكذيب، لكنها مطابقة لمواصفات الإنجازية من حيث الشكل اللغوي كاستهلالها بعبارات مثل: (أنا أؤكد..)، أو (أنا أبين..)، أو (أنا أتوقع..)..^(٢).

وبين في حديثه "أن فعل الإخبار إضافة الى كونه إنجازية بمعنى القيام بفعل، فانه يزيد على الإنجازية في كونه يحتمل التصديق والتكذيب. فهو إضافة الى تعرضه الى انواع عدم الموفقية التي تتعرض لها الإنجازيات ، يتعرض الى سؤال حول كونه مطابقاً للحقائق أم لا"^(٣).

❖ نظرية أحداث الكلام والإفترض المسبق (PRESUPPOSITION):

يعرف الافتراض المسبق أو (القبضفترض) كما يسمى اختصاراً بأنه: "الفرضية التي تبطن إخباراً ما، وتبقى قائمة حتى بعد نفي الجملة"^(٤).

أو هو "التسليم بصدق قضية ما على أنه تحصيل حاصل. ومقياس ذلك بقاء صدق تلك القضية حتى بعد نفي الجملة التي ترد تلك القضية ضمنها"^(٥). ومثال ذلك قولنا:

- تمكن محمد من بيع أسهمه قبل إنهيار السوق.

- لم يتمكن محمد من بيع اسهمه قبل انهيار السوق.

في الحالتين: النفي والإثبات هناك قضية مسلم بها وهي (أن محمد له أسهم).

وقولنا أيضاً: متى استقالت نجوى من الوظيفة؟ يتضمن افتراضاً مسبقاً هو أن نجوى كانت موظفة.

وقولنا لشخص ما: ما رقم هاتفك؟ يتضمن افتراضاً مسبقاً أيضاً: ان له هاتفاً.

وكذلك المثل الشهير (ملك فرنسا أصلع). يفترض مسبقاً أن في فرنسا ملك^(٦).

ويعتمد الافتراض المسبق أو (القبضفترض) "في تحديده على السياق وليس على القوانين

اللغوية الأمر الذي يجعله تداولياً في تفسيره"^(٧).

(١) نظرية الفعل الكلامي ٦٧. وبعض الدارسين العرب مثل د. هشام عبد الله يتحفظ على رأي أوستن هذا في المساواة بين الإنجازية والتقريرية (الخبرية)، ويعتقد ان (أوستن) كان يخلط بين (ما نخبر به) وهو ما يسمى في المنطق القضية أو المحتوى الخبري للمقولة وبين فعل الإخبار الذي هو فعل كلامي لتنفيذ مغزى كلامي، ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٦٥-٦٨ ويبدو لي أنه لا وجود لهذا الخلط في ضوء أفكار أوستن التي ترفض دراسة الجملة وتركز على (مقولة) في موقف كلامي معين. فالمقولة ذات المغزى هي ما يعني (أوستن) أما المحتوى الخبري فهو تجريد مثالي يصلح لأكثر من موقف وأكثر من مستمع كما تقدم. لكن تمييز د. هشام عبد الله يتفق مع ما طرحه تداولي آخر بعد (أوستن) هو (غرايس) الذي ميز بين جملة وتقوه (قولة) وسيأتي بيان ذلك.

(٢) نظرية الفعل الكلامي ٦١. وينظر: التداولية والنشأة والمفهوم ٤٢-٤٣.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ٦٥.

(٤) شطايا لسانية ٩٩.

(٥) نظرية الفعل الكلامي ٢٠٦-٢٠٧. وهذا الحقل من حقول الفعليات التي اتسعت بشكل ملحوظ. ينظر: ٢٠٦.

(٦) ينظر: شطايا لسانية ٩٩، وعلم الدلالة (بالممر) ١٩٢، ووصف اللغة العربية دلاليًا ١١٢، ونظرية الفعل الكلامي ٢٠٧. وفي التداولية اشكالية المصطلح ٢٣-٢٤.

(٧) شطايا لسانية ٩٩. لم تعن نظرية السياق لفيرث بهذه المسألة مع صلتها الشديدة بالسياق_ وقد أشرنا الى هذا في المبحث السابق_ على العكس من التداولية التي تناولت كثيراً من القضايا المنطقية للجملة بشكل مفصل.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ويشير (ستروسن) الى ان المتكلم باستعماله لتعابير من هذا القبيل كالتي في المثل الشهير (ملك فرنسا أصلع) فانه "يفترض ان بإمكان السامع ان يحدد الشخص أو الشيء الذي يدور حوله الكلام. فان السامع لا يكون متأكداً من ان الشخص أو الشيء موجود بل انه (قبيفضه) أو يفترض وجوده. فان كان الشخص أو الشيء غير موجود كان هناك فشل في القبنفترض ولن تكون الجملة خطأ. انها غير صحيحة وغير مخطوءة وتوجد فيها: فجوة قيمة الحقيقة"^(١).

ويذكر (لفنسن) في عرضه لهذا الجانب من نظرية (أوستن) ان الأخبار أو (المقولات الخبرية بصورة عامة) تتعرض لحالات عدم الموفقية نفسها التي تتعرض لها الإنجازات. مثلاً الشرط (ب) الذي يتطلب ان يكون الأشخاص والظروف المقصودة مناسبين للقيام بالإجراء في تلك الحالة المعينة. في هذه الحالة يفشل الفعل (الحدث) في المقولة (أوصي لك بداري) إذا لم تكن لدي دار. وللسبب نفسه (الحدث) في المقولة: (كل أولاد زيد نباتيون) إذا لم يكن لزيد أبناء^(٢).

ويلاحظ ان (القبنفترض) سيكون موجوداً أيضاً في حالة النفي والسؤال فالقبنفترضات اخبارية تحت النفي، وهي متضمنة منطقياً بالجملة المثبتة ومقابلتها المنفية وكذلك هو الحال مع السؤال. فللجمل: ملك فرنسا أصلع، ملك فرنسا ليس أصلع، هل ملك فرنسا أصلع. القبنفترض نفسه وهو (أن في فرنسا ملك)^(٣).

وهناك مشكلة جدية يشير إليها (بالمر) في اختبار النفي إذ من الممكن أن ننفي جملة ما لكي ننكر القبنفترض فقط "فعلى الرغم من ان: جون لم يكن منزعجاً من خيانة زوجته، تؤخذ عادة على أنها قبنفترض (ان زوجته غير وفية) كما هو مبين في الجملة الإضافية: جون لم يكن منزعجاً من خيانة زوجته، لأنها لم تكن في الواقع غير وفية"^(٤).

ومما يدل على تضمن (القبنفترض) _ الذي تؤكد العربية كما هو الحال في الانكليزية _ ان جوابنا على جملة: كان جون منزعجاً من خيانة زوجته. قد يكون: هذا غير صحيح انها ليست خائنة. أو: هذا غير صحيح لم يكن قط منزعجاً من ذلك. إذ تفترض هذه الأجوبة وجود تأكيدين، وان أياً منهما يمكن أن يكون خطأ وان يزيّف بهذا الجملة كلها^(٥).

وشبيه بما تقدم قولنا: ملك فرنسا ليس أصلع. لأنه ما في فرنسا من ملك وقولنا: أنا لست آسفاً على تكلمها لأنها لم تتكلم^(٦).

ويذكر (بالمر) أيضاً "ان بوسعنا ان نوسع القبنفترض الى مثلاً استمر/ لم يستمر فريد في الكلام. حيث يفترض انه كان يتكلم سابقاً. وبالمثل فالجملة المشهورة: متى توقفت عن ضرب

(١) علم الدلالة (بالمر) ١٩٢-١٩٣.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٠٨، ويرى بعض الدارسين الأجانب أن مفهومي الصدق والموفقية شيان مختلفان فهناك درجات من الموفقية وعدمها أما الصدق فهو أحد أمرين فالشيء إما صادق أو كاذب.. الا ان أوستن يورد أمثلة يبين من خلالها ان موضوع الصدق والكذب متدرج أيضاً وليس حدياً اما ابيض أو اسود. ينظر: ٢٠٩-٢١٠.

(٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٣-١٩٥. مع ملاحظة ان (القبنفترض) موجود في الأسئلة مع انها لا تقدم أي تأكيد كما في الإثبات والنفي. ينظر: ١٩٥.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ١٩٣-١٩٤.

(٥) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٤.

(٦) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٤. والأمثلة السابقة تشترك في "أنها قواعدياً عبارات اسمية تتضمن بشكل ما وجود ما يشار إليه اما بمفهوم مادي أو تسبيبي: ملك فرنسا، وحقيقة أن زوجة جون كانت غير وفية"، ١٩٦.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

زوجتك؟ قبفتراض انك ضربتها في وقت ما. ويوضح المثال الأول مرة أخرى ان القبفتراض قد يكون إخبارياً تحت النفي، بينما يوضح المثال الثاني ان القبفتراض مرتبط أيضاً بالأسئلة^(١). ولا يتوقف الأمر على الأحمال التسببية مثل (انزعج) ويمكن التعميم كما في المثالين السابقين الى الأفعال الاستمرارية مثل: يستمر، يحافظ، يواصل. وكذلك: ما يزال، ما برح، ما فتى، ما انفك وما يماثلها في العربية.

فعندما نقول: استمر زيد في الكلام، أو اصل زيد الكلام. هناك افتراض مسبق انه كان يتكلم قبل ذلك.

وكذلك الأمر مع أفعال من قبيل: توقف، وكفّ، وتخلّى، واستأنف، كان نقول توقف زيد عن الكلام، أو استأنف زيد الكلام. وهناك معنى افتراضياً في (ثانية) و(آخر) كما في (مقولة): اشترى زيد كتاباً آخر، وحضر زيد ثانية.

إذ تفترض الأولى انه اشترى كتاباً من قبل، والثانية انه حضر من قبل. وهذا مما تشترك فيه العربية والإنكليزية^(٢).

ومما يشير إليه الغربيون فيما يخص هذا الموضوع هو ان (القبفتراض) يرتبط بسمات خاصة لعناصر معجمية معينة، فقد قيل أن في جمل مثل:

- أنا نظفت الغرفة.

- أنا لم انظف الغرفة.

هناك (قبفتراض) أن الغرفة كانت قذرة.

وكذلك في:

- أنا قتلتُ الطير.

- أنا لم أقتل الطير.

هناك (قبفتراض) أن الطير كان حياً. ويرتبط هذا بافتراضات الفعلين (ينظف) و(يقتل)^(٣).

وهنا أيضاً لا تخلو المسألة من مشكلات واعتراضات واقتراحات لحلها وتفاصيل الموضوع كثيرة وذات طابع منطقي معقد _ يمكن ان نتظر في موضعها _ وقد اكتفينا هنا بالقضايا الأساسية فقط ومن الواضح ان جميعها يمثل قاسماً مشتركاً بين العربية والإنكليزية^(٤).

وقد استخدم (أوستن) الفاظ الأفعال (VERBS) كوسيلة أو مقياس للاستدلال على الأفعال الكلامية وتصنيفها وتبويبها. وبهذا يكون المعنى الإنجازي لمقولة: (أنا اعدك بالمجيء). هو (الوعد) ولمقولة (أنا اشكرك على كرمك) هو الشكر. وعلى هذا القياس^(١).

(١) علم الدلالة (بالمر) ١٩٦.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٦، ونظرية الفعل الكلامي ٢٠٧، يدرس اللغويون التداوليون تحت هذا الموضوع عدداً من الألفاظ اطلقوا عليها الأفعال الواقعية (FACTIVE) أو مولدات الافتراض المسبق مثل (يعرف ويديري). كما في: عمرو يعرف أو يدري ان زيداً قد نجح. وعمرو لا يعرف (أو يدري) ان زيداً قد نجح، في الحالتين تفترض المقولتان: (زيد نجح) وهو الافتراض المسبق لهذه المقولات. ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٠٧.

(٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٦، وينظر: نظرية الفعل الكلامي ٩٩ وما بعدها. واستعمل هنا مصطلح (الجملة) بدل (مقولة) لأن هذه الجملة من حيث هي تحمل هذا الافتراض المسبق.

(٤) ينظر مثلاً آراء (باخ) و(هارنيس) و(جفري ليتش) في التداولية من أوستن الى غوفمان ١٣٠-١٤٧.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وتكون العلاقة بين معنوي عبارتين موازية لـ "العلاقة بين نوعي الفعلين الانجازيين اللذين يستعملان لهاتين العبارتين بصورة معيارية" (٢).

وطريقة (أوستن) في "تخصيص معنى جملة ما عن طريق أنواع الأفعال الإنجازية المرتبطة بها بصورة نموذجية عمل ناجح نسبياً" (٣).

وقد انتقد (أوستن) على أجراءه هذا "لأن الفاظ الأفعال لا يمكن الاعتماد عليها كدليل في تصنيف (أفعال الكلام)، إذ لا يوجد لكل فعل _ أو حدث _ كلامي لفظ فعل مقابل له يمكن الاستدلال عليه بواسطته" (٤).

وفيما يخص (القبفترض) أو الافتراض المسبق، نؤكد هنا ان الأصوليين العرب القدماء قد عونا بهذه القضية تحت مصطلح (دلالة المفهوم) (٥). لكن النظرية التداولية قد عنت بهذا الموضوع على نحو أكثر سعة وتعقيداً وتفصيلاً. ويبدو هذا من كثير من المشكلات التي رصدتها وحاولت أن تجد لها مبرراً أو تفسيراً مثل تضمن السؤال (قبفترضاً) مع ان السؤال بطبيعته لا يقدم أي تأكيد، وتضمن النفي لإثبات، وارتباط بعض (القبفترضاات) بسمات معجمية... الخ من القضايا ذات الصلة التي لم يطرقها الأصوليون.

كما ان المنطلق اللغوي الصرف في دراسة مثل هذه الموضوعات خدمة لأهداف لغوية أساساً وليس أي شيء آخر _ كالشرع أو التحليل والتحرير _ يسجل للتداولية الفضل في إعادة بحث مثل هذه الموضوعات الى أحضان اللغة _ لاسيما في درسنا العربي _ بعد أن أصبحت كثير من هذه المسال تُعنى بها اختصاصات أخرى مثل الفلسفة والمنطق وعلم أصول الفقه.

وعناية (التداولية) بالمسائل والمشكلات الدلالية ذات الطابع المنطقي يؤكد الصلة الوثيقة بين اللغة والمنطق، لكن بقدر ما تسمح به اللغة من دون أي شك.

ومن أهم ما جاءت به نظرية (أحداث الكلام) هو أنها كشفت "عن قصور النظرية الوضعية المنطقية في فهم اللغة، إذ حيث كانت شروط الصدق تؤدي دوراً أساسياً. فقد لاحظ (أوستن) ان بعض الجمل الخبرية في اللغة لا تحكي أو تبلغ أخباراً قابلة للتصديق والتكذيب" (٦) بعد ان خرج بنظرية عامة ترى أن "كل المقولات في اللغة تنجز أفعالاً من خلال مغزاها المحدد" (٧). وأصبحت مقولة المتكلم عنده "بمثابة عمل حقيقي يضاهي الحدث المادي المنجز بواسطة اليد على سبيل المثال" (٨).

وما تقدم لم يمنع توجيه انتقادات عدة الى (أوستن) كما في وصف مقترحاته "بأنها مفتوحة ومرنة، وان الشكل الأساسي يتمثل بأنه لا يصنف أفعالاً بل يصنف أفعالاً، وانه يحل الدلالة مع

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١٠، ومدخل الى الدلالة الحديثة ٣١-٣٢.

(٢) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٢.

(٣) مدخل الدلالة الحديثة ٣٢.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٢١٠، وينظر: مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٢.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١٠.

(٦) نظرية الفعل الكلامي ٩٧-٩٨.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ١٠١.

(٨) التداولية من أوستن الى غوفمان ٥٤.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

المعنى دون توفر معيار خارج العلامات ذاتها مما يجعل هذا التحليل قائماً على الدور ولا يقبل التعميم أي انه يستوجب التعديل كلما انتقلنا من لغة الى أخرى" (١).

د- نظرية أحداث الكلام بعد (أوستن):

١- مقترحات (سيرل):-

تقدم ان (سيرل) كان يعد واضعاً لنواة التداولية مع (أوستن) وفي هذا دليل على أهمية آرائه التي طرحها في ضوء المبدأ العام لنظرية (أحداث الكلام) التي جاء بها (أوستن). وقد حاول (سيرل) في مقترحاته ان يتجنب ما وجه الى (أوستن) من نقد حول بعض القضايا والمشكلات التي تثيرها نظريته. لذا كان مسألة طبيعية جداً أن يختلف معه في بعض الآراء والتفاصيل والمقترحات التي سنكتفي هنا بعرض أهمها:

❖ (المحتوى القضوي والمغزى الكلامي): على خلاف (أوستن) ميز (سيرل) "المحتوى القضوي للفعل الكلامي عن الفعل الكلامي. وغالبية الجمل المستعملة في إنجاز الأفعال الكلامية تحتوي على هذين الجزأين، أي العنصر الدال على القضية، والوسيلة الدالة على المغزى الكلامي" (٢).

ويمكن توضيح ذلك بأن جملة (أنا أعدك بالمجيء) يمكن نفيها بطريقتين مختلفتين الأولى هي: (أنا لا أعدك بالمجيء)، والثانية هي: (أنا أعدك بعدم المجيء). و"الجملة الأولى هي مثال على نفي الفعل الكلامي، والثانية مثال على نفي القضية. ونفي القضية لا يغير شيئاً في الفعل الكلامي، وذلك لأن النفي سيولد الفعل الكلامي نفسه لكن مع قضية أخرى. أما نفي الفعل الكلامي فإنه سيغير وضع الفعل الكلامي" (٣).

لذلك لا تكون جملة (أنا لا أعد بالمجيء) وعداً. وإنما رفض القيام بفعل الوعد، وكذلك جملة (أنا لا أطلب منك القيام بذلك) هي إنكار القيام بفعل الطلب وهي تختلف كلياً عن الطلب المنفي (النهي) في جملة (لا تفعل ذلك) (٤).

والتمييز السابق سببه رفض (سيرل) "الإقصاء الظاهر والمبالغ فيه لمحتوى الملفوظ نقداً. ان مثل هذا التعريف وقد بلغ مداه، يعني أن أي ملفوظ يمكن استخدامه لإحداث أثر تداولي مطلوب، وليس الأمر كذلك قطعاً" (٥).

وفي الوقت الذي يركز (أوستن) نظريته على مقاصد المتكلم، يولي (سيرل) أهمية للمستمع. فأوستن يعتبر المغزى الكلامي مساوياً للتحقيق الناجح لمقاصد المتكلم، بينما يعتبره سيرل ناتجاً من نواتج تفسير المستمع" (٦).

(١) التداولية من أوستن الى غوفمان. ويلاحظ مثلاً انه يمكن في العربية النطق بـ(نعم) أو (أقبل) أو بهما معاً أو ما شابههما لايقاع الزواج أما في الإنكليزية فلا يقع الزواج ص ٤٠ الا إذ تلفظ المسؤول بالمقولة (YES I DO) ولا يقع الزواج بغيرها. ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥١.

(٢) نظرية الفعل الكلامي ١١٢. وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ١٣٩-١٤٠، والتداولية النشأة والمفهوم ٣٨.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ١١٣-١١٤.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ١١٤.

(٥) التداولية من أوستن الى غوفمان ١٤٠. والتداولية النشأة والمفهوم ٣٩.

(٦) نظرية الفعل الكلامي ١١٩، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ١٤٠.

❖ الفصل الرابع ❖ ❖ البحث الثاني ❖

فقد يقول المتكلم _مثلاً_ (أعدك بالمجيء غداً) معتقداً في نفسه أنه أعطى وعداً، قد يكون أنجز ببلادة فعلي (التحذير) أو (التهديد) لأن المستمع قد لا يريده ان يأتي غداً^(١).
لذا ينبغي التمييز عند سيرل "بعناية بين المعنى الحرفي للجملة، وما تعنيه الجملة عندما ينطبق بها لإنجاز عمل لغوي لأن معنى التلطف (...) يفترق بطرق مختلفة عن المعنى الحرفي للجملة"^(٢).

❖ أحداث الكلام غير المباشرة INDIRECT SPEECH ACTS

تنبه (سيرل) الى ان المتكلم قلما يكون مباشراً في حياته اليومية "بحيث يتطابق معنى المتكلم مع المعنى الوضعي (الحرفي) لصيغة الجملة التي ينطق بها. فالحوار اليومي مليء بالتلويحات والسخرية والاستعارات والإيحاءات والتعريضات وغير ذلك مما يفترق فيه المغزى الكلامي عن المعنى الوضعي الحرفي لصيغة الجملة"^(٣).
من أمثلة ذلك المقولات الآتية التي كثيراً ما يستخدمها أصحاب اللغة ويعنون بها شيئاً آخر غير معناها الوضعي الحرفي:

- متى ستأتي الى البيت (أي تعال الى البيت).
 - ألم تطبع الرسائل الى الآن (أطبع الرسائل).
 - هذا البيت غير نظيف (نظف البيت).
 - ستموت بسرطان الرئة (لا تدخن هذه السيكارة).
 - الجو بارد هنا (أغلق النوافذ أو الباب.. أو أشعل المدفأة).
 - لقد تزوجت أمس وتحسن وضعها منذ ذلك الحين (فكر بالزواج مني).
- وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تبين ان الصراحة والوضوح من الأمور التي قلما يلجأ إليها المتكلم خارج الإطار الرسمي^(٤).

ولأن (سيرل) من القائلين بفرضية المغزى الحرفي "لأنه يفترض ان كل جملة في اللغة لها مغزى كلامي يتولد من صيغتها الشكلية أو النحوية"^(٥) يرى (سيرل) انك حين تنطق بجملة (استفهامية) مثلاً "فإنك في كل الأحوال وفي المقام الأول تسأل سؤالاً بغض النظر عن أي شيء أو أي فعل آخر يمكن ان تنجزه بواسطة ذلك السؤال، لكن إذا كان السؤال معيياً أو فيه خلل لمخالفة شروط الموقفية الخاصة به، بل حتى إذا كان السؤال موفقاً. فإن المتكلم قد يقصد بسؤاله شيئاً آخر غير الإستفهام أو طلب الفهم. أي بكلمة أخرى فإن المتكلم قد ينجز فعلاً كلامياً آخر إضافة الى الفعل الكلامي الذي تدل عليه الصيغة النحوية

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١١٩.

(٢) التداولية من أوستن الى غوفمان ١٤١. ويلاحظ ان في أغلب اللغات صيغ نحوية مرتبطة بمغاز كلامية معينة كما في صيغ: الخبر والاستفهام والأمر والتعجب... التي قد ارتبطت في العرف بإنجاز الأفعال الكلامية: الإخبار، والاستخبار، والطلب، والتعجب، على التوالي. وقد جعل هذا بعض اللغويين _الأجانب وفي تراثنا العربي أيضاً_ يعتبر هذه المغازي جزءاً من المعنى الدلالي لتلك الصيغ. وهو مما يؤيده التداوليون الدلاليون الذين يحاولون إعادة بحث هذا الموضوع الى علم الدلالة. ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ١١٦-١٦٧، ونظرية الفعل الكلامي ١٥٠.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ١٥٤. ويلاحظ أنه بالامكان الحديث عن جملة ومقولة في ضوء مقترحات (سيرل) وكذلك (غرايس)، لأن (سيرل) من المؤمنين بفرضية المعنى الحرفي (وغرايس) يفرق بين الاثنين الجملة والمقولة كما سيأتي. وهذا خلاف مقترحات أوستن التي بنيت على (المقولة) فقط.

(٤) نظرية الكلامي ١٥٢، وينظر: التداولية النشأة والمفهوم ٣٩.

(٥) نظرية الفعل ١٥٢، وينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٨-٦٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

بصورة مباشرة^(١). وهذا الفعل الأخير هو الذي يسميه (سيرل) الفعل الكلامي المباشر أما الأول (الوضعي) أو (الحرفي) فيمثل (الفعل الكلامي غير المباشر)^(٢).

ومن أمثلة (سيرل) التي يوضح بها ذلك مثاله الشهير:

هل تستطيع ان تتاولني الملح؟

فالتلفظ بهذه المقولة "لا يطرح به المتكلم استفهاماً حول مقدرة المخاطب تقديم الملح له، ولكن يدعو به الى تمكينه منه"^(٣).

فالحدث المباشر للمقولة السابقة (هو الدعوة الى تمكينه من الملح). أما الإستفهام فهو (الحدث غير المباشر).

وكذلك في مقولة: (متى ستأتي الى البيت) السابقة الحدث المباشر هو (طلب العودة الى البيت) أما الإستفهام فهو الحدث غير المباشر^(٤).

وهناك تفسيرات وتعليقات عديدة تذكر لتجنب (الحرفية) أو (المباشرة) منها:

- مبدأ التآدب PRINCIPLE OF POLITENESS والعلاقات الإجتماعية:

إذ من النادر أن نسمع أحداً يطلب شيئاً من مستمعه باستخدام صيغة الأمر المباشر أو الإنجازية الصريحة بل يلجأ المتكلم عادة الى أساليب غير مباشرة كما في المثال السابق (هو يستطيع ان تتاولني الملح الذي على المائدة)^(٥).

ومن الأمور الطريفة التي تذكرها (تروسبيرغ) في هذا الشأن "أن اليونانيين يستخدمون الحدث غير المباشر أكثر من الأمريكيين وأن اليابانيين يستخدمونه أكثر من الإنكليز"^(٦).

ويذكر (كريستال) ان تعبيرات التآدب تختلف "من لغة الى أخرى بمدى ترددتها وبمعانيها، فتستعمل بعض المجتمعات لفظة (شكراً) أكثر مما تستعملها مجتمعات أخرى، وقد يختلف معنى هذه اللفظة من مجتمع لآخر فعندما تقول لضيفك: (هل تحب قذح شاي آخر) فإن جواب الإنكليزي (THANK YOU) سيعني نعم. وان جواب الضيف الفرنسي (MERCI) سيعني لا"^(٧).

- أغراض دفاعية _ ان صح التعبير _ لتجنب الإحراج في بعض المواقف:

فقد يقول قائل على سبيل المثال: هل لديك سيارة؟

فيجيبه السامع: نعم ولكنني مرتبط بموعد ولا أستطيع إيصالك.

(١) نظرية الفعل الكلامي ١٥٢.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٢، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٦٨-٦٩.

(٣) التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٨. وقد وسع (سيرل) مفهوم (حدث الكلام غير المباشر) لتشمل المعاني والتلويحات الحوارية التي تتولد عن طريق استغلال قواعد التلويح الحوارية التي اكتشفها (غرايس)، ينظر: ١٦٤-١٦٥.

(٤) وهناك من يختلف مع (سيرل) في مسألة (المغزى الحرفي) التي بنى عليها فكرته ويرى ان الصيغة النحوية ليس لها مغزى كلامي واحد ثابت في كل حالات استعمالها بل لها معنى نحوي محدود يتساوق مع أفعال كلامية عدة. ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٣. وهناك آراء مختلفة كثيرة مثل رأي (ليفنسن)، ينظر: ١٧٤-١٩٢. ويشير د. هشام عبد الله الى ان مثل هذا النقاش كان محتدماً في تراثنا العربي عند الأصوليين وعلماء الكلام والبلاغيين، ينظر: ١٥٣.

(٥) نظرية الفعل الكلامي ١٦٥، وينظر: علم الدلالة (بالمز) ١٩٠، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٦٨، وشطايا لسانية ٩٧. وقد تزايد الاهتمام بهذا الموضوع منذ عام ١٩٧٥ بصفته أحد مجالات التداولية. ينظر: شطايا لسانية ٩٧.

(٦) شطايا لسانية ٩٧.

(٧) شطايا لسانية ٩٧.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

فيقول السائل: أنا لم أطلب منك إيصالاً. إنه مجرد سؤال وحسب.
فالسائل كان يقصد طلب إيصاله بالسيارة أو التهيئة لذلك المطلوب وحين واجهه السامع بالرفض استطاع ان يتراجع الى المعنى الحرفي المباشر (كتكتيك دفاعي) ففسر فعله الكلامي بأنه سؤال مباشر وليس طلباً غير مباشر عن طريق السؤال^(١).
وقد وسع (سيرل) مفهوم (احداث الكلام غير المباشرة) لتشمل حالات التلويح والتعريض الحوارية. ومن أمثلته على هذا:

قول الطالب: لنذهب الى السينما هذه الليلة.
فيجيبه الطالب الآخر: لدي إمتحان وعليّ أن أدرس.
فالمقولة الأولى هي اقتراح أو دعوة بموجب دلالتها الوضعية (الحرفية) أو (العرفية). أما مقولة الطالب الآخر فهي تمثل عادة رفضاً للمقترح. ولكنها ليست رفضاً بموجب معناها ودلالاتها الوضعية. فبموجب معناها هي ليست أكثر من تصريح أو خبر عن الطالب الثاني لا أكثر ولا أقل^(٢).

وبموجب توسيع (سيرل) "تصبح النسبة الغالبة من الكلام وأفعال الكلام غير مباشرة، إذ قلما يعتمد المتحدثون في الحياة اليومية الحرفية أو المباشرة في التعبير عن مقاصدهم"^(٣).

❖ تصنيف أحداث الإنجاز:

كان (أوستن) قد قسم (الحديث الإنجازي) اللاقولي الى خمسة أصناف هي: الحكميات، التنفيذيات، الوعديات، السلوكيات، العرضيات.
وقد انتقد (أوستن) على هذا التقسيم لأسباب عدة أهمها انه يحلل الدلالة مع المعنى دون توفر معيار خارج العلامات ذاتها مما يوقع تحليله بمشكلة (الدور)^(٤).

ومن جهود (سيرل) في هذا المجال أنه حاول ان يضع معايير خارج العلامات مثل الغاية من الفعل، واتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي، والحالة النفسية،... الخ من المعايير التي وضعها^(٥). وبموجب هذه المعايير حاول (سيرل) ان يصنف (احداث الإنجاز) التي ذكر (سيرل) نفسه انها تبلغ الآلاف ويصعب حصرها. وقد وضعها سيرل في خمسة أصناف هي:

أولاً: التمثيلات: وفيها يتعهد المتكلم بـ"ان محتوى التفوه حقيقي وان كلماته تطابق العالم اللالغوي، مثل التفوه الذي يبدأ بـ: أنا أؤكد، اعتقد، استنتج، انكر، أقرر..."^(٦).

ثانياً: التوجيهات: وفيها "يحاول المتكلم دفع السامع الى عمل شيء ما لفظي أو غير لفظي مثل: يسأل، يتحدى، يصر، يطلب، يسمع.. وخلافاً للتمثيلات تحاول التوجيهات ان تجعل العالم يطابق الكلمات"^(٧).

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٦٦. والتداولية النشأة والمفهوم ٤٦.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٦٦-١٦٧. ويأتي هذا التحليل ضمن إطار مبدأ التعاون لغرابيس تحت قاعدة الصلة _ كما سيأتي_ ينظر: ١٦٧.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ١٦٥.

(٤) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٢-٦٣، وينظر: كذلك ١٥٤ وما بعدها.

(٥) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٣-٦٥.

(٦) شطايا لسانية ٩٦.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ثالثاً: التعهدات: وفيها "يلزم المتكلم نفسه بعمل ما مثل: أعرض، أضمن، أتعهد، أعد، أقسم.. ويكون الإتجاه بمطابقة العالم للكلمات كما هي الحال في التوجيهات" (٢).

رابعاً: المعبرات: وفي هذا الصنف يعبر المتكلم "عن موقفه تجاه حالة معينة مثل: يعتذر، يهنئ، يشكر، يرحب... ليس هناك إتجاه ملائمة إذ ليس الهدف وصف العالم اللالغوي ولا التهيو للقيام بحدث معين" (٣).

خامساً: المعلنات: وفيها يغير المتكلم "ظرفاً أو موقفاً أي: لا لغوياً بمجرد التقوه، مثل: أنا استقبل، وأنت مفصول...، وتحتاج المعلنات الى أشخاص لأدائها كالقاضي الذي يصدر حكماً على المتهم، والوزير الذي يسمي الباخرة. وبهذا يكون إتجاه الملاءمة من الكلمات الى العالم ومن العالم الى الكلمات إذ أن مجرد التقوه بالمعلنات يغير الحقيقة كلياً أو جزئياً" (٤).

وعلى الرغم من محاولات (سيرل) تجنب المشكلات التي أدت الى انتقاد آراء أوستن. فقد انتقد أيضاً بما انتقد به سابقه إذ وصف تأملها بأنه يحتوي عيباً من حيث المبدأ يتعلق بإيلاء أهمية بالغة للمقصد وللثب على حساب المسار التأويلي للتقبل ضمن التفاعل التواصل في كليته (٥).

٢- مقترحات (غرايس):

يشار الى مقترحات (غرايس) عادة بنظرية غرايس، لأنه قدم تصوراً خاصاً يختلف عما قدمه (أوستن) من قبل. ويمكن تقسيم هذه النظرية الى قسمين نشير الى أهم ما يتعلق بهما باختصار:

القسم الأول: يتناول المعنى وأنواع المعنى بصورة عامة، وأهم شيء في هذا القسم هو تفريق غرايس بين معنى الجملة SENTENCE MEANING وهو المعنى (الحرفي أو الوضعي)، ومعنى المتكلم SPEAKER MEANING وهو المعنى المقصود في التواصل المرتبط بسياق معين (٦).

وتحاول نظرية غرايس الفعلية ان تفسر التعارض أو التباين الذي يحصل بين هذين النوعين من المعنى. كقول القائل في صديق يخونه اسمه (زريد) مثلاً: (ان زيداً لصديق مخلص) وهو يقصد

(١) شطايا لسانية ٩٦.

(٢) شطايا لسانية ٩٦. وينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٩٩-٢٠٢.

(٣) شطايا لسانية ٩٦.

(٤) شطايا لسانية ٩٧، وينظر: علم الدلالة (بالمر). وتختلف تسمية هذه الأصناف من مصدر الى آخر بحسب إجتهد المترجمين والمفهوم واحد، ومع هذا الاختلاف تبقى التسميات متقاربة كما في: التوضيحية، التوجيهية، الإلتزامية، التعبيرية، الإعلامية. ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦٦، ونظرية الفعل الكلامي ١٢٥-١٢٧. والتداولية النشأة والمفهوم ٤٤-٥٤.

(٥) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٦١.

(٦) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٨-١٥٩. وهكذا بدأت التداولية (بالمقولة) ثم انتهت بالعودة الى التمييز اللساني التقليدي بين الجملة التي تمثل المعنى اللغوي أو معنى المقال. و(المقولة) التي تمثل المعنى المرتبط بالسباق والدوافع والاعراض. ومن المهم ان نذكر ان (بيرس) وهو استاذ موريس قد ميز سابقاً بين النمط (TYPE) والورود (TOKEN) والنمط هو العلامة بوصفها كيان. مجرد مثالي وتقع في اللسان بالمعنى السويسري للفظ. أما الورود فهو الاستعمال الملموس للنمط في السباق. وبهذا يكون المعنى العرفي من النمط أما الدلالة في السباق فهي من الورود. ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٤٢.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

من كلامه (أن زيدا خائن وغير أمين). مما يعني ان التراكيب اللغوية لا تستنفد أو تستغرق ما يعنيه المتكلم، وان دراسة (معنى المتكلم) تعني دراسة التهكم والإستعارة أو المجاز والتلويح أو التعريض غير المباشر^(١).

ومن خلال تفسير التباين بين المعنيين الحرفي والسياقي تحاول ان تفسر النظرية مسألة طالما شغلت اللغويين وهي: كيف يتسنى لنا ان نعني أكثر مما نقول فعلاً وهو ما عدّ بمثابة سد ثغرة مهمة في مجال علم الدلالة والفعليات^(٢).

وبالإستناد الى تفريق (غرايس) بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم يمكن ان نقول ان الجملة التي مر ذكرها سابقاً وهي: (هناك حصان في الحديقة) لها معنى حرفي واحد وثلاثة (نفوّهات) أو معان سياقية على الأقل. فقد يعني المتكلم (التحذير)، (أو استخدامهم) أو (أن نسرقه)^(٣). وتحاول نظرية (غرايس) من خلال هذا التمييز ان تتجنب ما وقعت فيه نظرية (أوستن) إذ يعني هذا مسألتين:

الأولى: هي ان "بعض الآثار فقط يمكن ان تتحقق لدى السامع، فالأثر المرتبط بجملة أمرية مثلاً يتحقق عند السامع عندما يعتقد هذا الأخير ان المتكلم يعتقد ان ما يقوله صادق. ولا يدخل في هذا ما يمكن ان نسميه بالأمر المرتبط بالسخرية أو الأمر الذي نعني به الإستحالة"^(٤).
الثانية: هي : "ان نجاح هذه الآثار ليس شيئاً مقتضى أو إجباراً إذ يحصر (غرايس) تحليله على النية أو القصد الذي يعتمده المتكلم لإنتاج الجمل"^(٥).

ولهذا قيل ان نظرية (غرايس) هي نظرية "المتلفظ المعنى، فهي تبين ما يفيد تلفظ معين عند المتكلم فقط. كما تسهم هذه النظرية في تحديد ما يستعمل من ألفاظ لإصدار أمر أو نهى أو ما شابههما وبذلك فهي تخص دور المعنى في استعمال اللغة لغرض التواصل. وانطلاقاً من هذا الدور أسس غرايس نظرية مفصلة حول ما ننجح في معناه دون النجاح في تنفيذه، عكس ما يقدمه أوستن"^(٦).

وفي إطار التفريق بين المعنيين الحرفي والسياقي يأتي حديث (غرايس) عن التلويح الذي صنف فيه التلويح الى عرفي وحواري (غير عرفي).

والتلويح العرفي CONVENTIONAL "لا يتولد بواسطة قواعد المحاوراة. بل بواسطة الفاظ متعارف عليها في توليد ذلك النوع من التلويح، بحث إذا غيرنا تلك الألفاظ يزول التلويح كلياً"^(٧). مثل (لكن) و(واو) العطف إذ يمتلكان شروط الصدق المنطقية نفسها مع فارق واحد: ان

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٩-١٦٠. ومدخل الى الدلالة الحديثة ٣٠-٣١. والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني ٢٠-٢١.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٩.

(٣) ينظر: شطايا لسانية ٩٣، ٩٦، وينظر: الفعل الكلامي ١٥٩-١٦٠.

(٤) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١.

(٥) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١. وينظر: التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً ٢٠-٢١.

(٦) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ١٦٣. والمقصود هنا التلويح اللفظي، وسيأتي الحديث عن قواعد المحاوراة في (مبدأ التعاون).

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

(لكن) لها تلويح عرفي إضافي هو وجود تناقض بين المعطوفين. ويضيق هذا التلويح لو استبدلناها بالواو^(١).

أما التلويح الحوارية (غير العرفي) NON_COVENTIONAL فقد قسمه الى قسمين أيضاً: التلويح العام أو المعمم GENERALIZED والتلويح الخاص أو المخصص PARTICULARIZED.

والتلويح العام أو المعمم لا يحتاج الى سياق خاص لأجل التوصل إليه مثل (لدي ثلاثة أولاد) فهو يلوح عادة بأن لديك ثلاثة أولاد لا أكثر. ويسمى وليفس هذا التلويح (بالتلويح النمطي)^(٢).

أما التلويح الخاص أو المخصص فهو يتطلب سياقاً خاصاً ومحدد (أو سيناريو) لأجل التوصل إليه لأنه يتعلق بالمناسبة OCCASION_SPECIFIC فالتلويح بأن الكلب _ على سبيل المثال _ ربما يكون قد أكل اللحم المشوي. لا يمكن ان يفهم الجملة من (الكلب يبدو مسروراً) ما لم تكن (مقولة) في سياق خاص ومحدد ومتصلة بحوار معين. وما لم توجد معلومات متبادلة بين المتخاطبين يتم عن طريقها التوصل الى هذا الاستنتاج^(٣).

القسم الثاني: يتناول مبادئ الحوار التي استخرجها غرايس (MAXIMS OF CONVERSATION) وهذه المبادئ "عبارة عن مبادئ تعاون نجعل بها التواصل سهلاً. ويعطي خرق أحد هذه المبادئ استلزماً (IMPLICATURE) عند المتكلم بصدده ما يقصده، وهذا الاستلزام نحتاجه لفهم السبب في تلفظ التكلم بهذا القول أو ذاك، أو لفهم الكيفية التي انتج بها المتكلم قوله"^(٤).

فقد يستعمل المتكلم أساليب معينة لتضمين معلومات أكثر لا يعرفها السامع، وقد يضمن كلامه ما لا يقوله فعلاً، كما في جملة (انها باردة هنا) التي قد تفهم طلباً لغلق شباك^(٥).

لهذا يرى (غرايس) أن احداث الكلام لا تؤدي "أدوارها في الكلام إلا إذا سائرت معايير معينة تسمى ظروف اللياقة التي يتقبلها الناس تلقائياً في التواصل"^(٦).

فالطلب الذي تدل عليه جملة (هل بإمكانك غلق الباب؟) لا يمكن ان يكون مناسباً _ على سبيل المثال _ إلا إذا كان مفتوحاً، وكان هناك مسوغ للمتكلم لهذا الطلب. وكان باستطاعة السامع غلقه^(٧).

^(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٦٤. مثل هذا قولنا في المثال الذي ينطبق على العربية والانجليزية (هو اسكتلندي لذلك هو نحيل). هذا الربط السببي ليس جزءاً مما قلناه بل مما لوحنا به ومصدر التلويح هو لفظة (لذلك) التي لو استبدلت (بالواو) العاطفة مثلاً لأختفى التلويح تماماً. ويلاحظ ان التلويح العرفي لا يمكن ألغائه أو ابطاله فقولنا (هو اسكتلندي لذلك هو نحيل) لا أجد علاقة بين الاثنين) هو كلام متناقض. ينظر: ١٦٤.

^(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٦٢.

^(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٦٢-١٦٣. وتلعب قواعد المحاوره دوراً كبيراً في هذا الاستنتاج، كما سيأتي في الحديث عن (مبدأ التعاون). ينظر: ١٦٣.

^(٤) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١. وقد ترجمت كلمة (IMPLICATURE) هنا الى (استلزام). أما في ترجمة (علم الدلالة) لـ(بالمر) فقد اختار د. مجيد الماشطة مصطلح (الإقحام).

^(٥) ينظر: (بالمر) ١٩٩.

^(٦) شطايا لسانية ٩٨. وينظر: التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً ٢٠-٢١.

^(٧) ينظر: شطايا لسانية ٩٨.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

فمبدأ التعاون الذي يقدمه (غرايس) هو عبارة عن قواعد ضمنية يقبلها المتخاطبون ويتبعونها في حواراتهم وهي لازمة لاشتغال التواصل^(١).

هذه القواعد التي تسمى (مبادئ التعاون) لخصها (غرايس) بأربع قواعد هي:

١- قاعدة الكمية MAXIM OF QUANTITY : وتعني ان اسهامك في المعلومات يجب ان يكون بقدر ما هو مطلوب منك، وليس أكثر من ذلك.

٢- قاعدة النوعية MAXIM OF QUALITY : وتعني ان تجعل اسهامك صحيحاً فلا تقل ما تعتقد أنه خطأ أو يحتاج الى دليل.

٣- قاعدة العلاقة MAXIM OF RELATION : تعني ان يقال كلامك في المقام الملائم.

٤- قاعدة الطريقة MAXIM OF MANNER : وهي أن تكون ثاقب الفكر فتتجنب غموض التعبير وإبهام المعنى، وتوجز كلامك، وتجعله مرتباً^(٢).

فاحترام المتخاطبين المتبادل لهذه القواعد هو الذي يسمح للمتقبل بإنشاء دلالة. وهذا يشمل الحدث اللغوي غير المباشر أيضاً إذ تسمح المحافظة على هذه القواعد للمخاطب بتجاوز المعنى الحرفي ليقوم دلالة غير مباشرة ممكنة^(٣).

ويرى بلانشيه اننا نحتاج الى "افتراض ان المتكلم والسامع ذوا معارف عامة عن العالم، ولهما كذلك ملكات ذهنية معينة"^(٤).

وبناءً على القواعد السابقة لو قال المعلم لتلميذته مثلاً: "ما اسمك؟ وقالت: أنا صديقة الفتاة التي ذهبت أمس الى الحلة التي تبعد حوالي ١٠٠ كم عن بغداد واسمي زينب، تكون هذه الطالبة قد خرقت قانون الكمية، وإن أعطت اسماً غير اسمها الحقيقي تكون قد خرقت قانون النوعية. وان قلنا لشخص: صباح الخير وأجاب: يتكون الماء من الهيدروجين والأكسجين، يكون قد خرقت قانون الوثاقة. وان قال الولد: غسلت وجهي واستيقضت من النوم، فسيكون قد خرقت قانون الطريقة لأنه لم يلتزم بالتسلسل الصحيح"^(٥).

لكن المسألة لا يمكن ان تُفهم بهذه البساطة فـ"هذه القواعد لا تمثل وصفاً لواقع حال المحاورات، بل ان هذه القواعد كثيراً ما يخالفها المتخاطبون أو (يستغلونها). فالتكلم قد يخالف (VIOLAT) احدى القواعد سراً وبهدوء كما في حالة الكذب أو عدم توفيره المعلومات الكافية أو ذات الصلة المتوافرة لديه. وهو قد يستغل القواعد أو يستخف بها (FLOUT) أي يتقصد وبصورة

(١) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٨٤.

(٢) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٠٠، والتداولية من أوستن الى غوفمان ٨٤-٨٥، ومدخل الى اللسانيات ٩٩-١٠٠ ونظرية الفعل الكلامي ١٦١، وشطايا لسانية ٩٨. وهناك من أضاف الى هذه المبادئ مبادئ جديدة مثل قاعدة التأديب في الحوار التي أضافها (ليتش) ١٩٨٣ بستة فروع. وهناك أيضاً من اقترح بديلاً لها مثل (سبرير و ولسن) ١٩٨٦. ينظر: شطايا لسانية ٩٨-٩٩. ومدخل الى اللسانيات ١٠٠. وربما تذكر قواعد (غرايس) بما ذكره البلاغيون العرب حول (المقام) ومسائل اخرى مثل مراعاة حال المخاطب.

(٣) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان ٨٥.

(٤) التداولية من أوستن الى غوفمان ٨٥.

(٥) شطايا لسانية ٩٨.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ البحث الثاني ﴾

علنية ان لا يطيعها وفي هذه الحالة يتولد (تلويح) متعمد^(١). والمتكلم قد يطيع القواعد أو يتقيد بها (OBSERVE) بصورة مباشرة، ومع ذلك فهو في هذه الحالات يعتمد على مقدرة المخاطب على ان يتوسع في تفسير الكلام المنطوق عن طريق الاستنتاج المباشر المبني على افتراض ان المتكلم يطيع القواعد^(٢).

ويبدو أن خرق هذه القواعد له أهمية خاصة في بعض السياقات التي يتم فيها الخرق، إذ سيؤدي هذا الى تضمين (القولة) معاني أخرى غير التي يشير إليها (المعنى الحرفي) أو (الجمالي)^(٣). ويرى (بالمر) أن أفضل أمثلة (غرايس) لتوضيح هذه المسألة هو إشارة الى توصية عمل في الفلسفة يمكن قراءته كما يلي:

- سيدي العزيز ان تمكن السيد (س) من الإنكليزية ممتاز، وحضوره للمحاضرات منتظم... الخ^(٤). لأن الكاتب بما أنه "يعرف ان معومات أكثر من هذه مطلوبة فإنه يكسر بوضوح قاعدة الكمية. إنه راغب بنقل معلومات لا يرغب بكتابتها: ان السيد (س) ليس جيداً في الفلسفة، فقاعدة النوعية كما يقول (غرايس) يمكن كسرها بالهزاء (جون صديق حسن!) وبالاستعارة (أنت القطعة في قهوتي!) وعلى السامع ان يستنتج ما يحاول المتكلم أن ينقله"^(٥).

ويمكن ان نزيد المسألة وضوحاً بمثال تخرق فيه قاعدة أخرى من القواعد الأربع السابقة كقاعدة (الكمية) كما في سؤال شخص يقول لآخر: هل انهيت عملك اليومي، ووضعت كتابك جانباً؟ فإذا أجاب السامع: (لقد أنهيت عملي اليومي) فقد يستنتج السائل ان الكتب لم توضع جانباً. أما إذا لم يكسر المجيب قواعد (الكمية) فسيذكر أنه وضع الكتب جانباً، وبإمكانه ان يفعل ذلك بمجرد قوله: نعم^(٦).

كذلك تتضمن جملة: (انها قد تكون ممطرة) ان المتكلم لا يعرف ما إذا كانت ممطرة أم لا. إذ لو عرف لقال إنها ممطرة^(٧).

(١) المقصود بالتلويح هنا ما يفهم من كلام المتكلم مما لا يقوله فعلاً في المعنى الحرفي للجملة - كأن يسأل شخص عن شخص آخر فيجيب: (انه لم يسجن بعد)، مما يعني ان سلوك المتحدث عنه إجرامي وإن لم يقل المتكلم ذلك بصورة صريحة. ومصطلح (التلويح) الذي اختاره د. هشام عبد الله، أراد به ما أريد بالاستلزام والإقحام - كما أشرنا سابقاً - وبهذا يصبح لدينا ثلاثة مصطلحات تقابل الكلمة الإنكليزية (IMPLICATURE). وأجد مصطلح (التلويح) أقرب الى المفهوم المراد التعبير عنه. وهو تضمين جملة ما معان أكثر مما يتضمنه المعنى الحرفي لهذه الجملة.

(٢) نظرية الفعل الكلامي ١٦١.

(٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٠١، و نظرية الفعل الكلامي ١٦١.

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٠١. وينظر: التداولية الناشئة والمفهوم ٤٦.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ٢٠١. وهكذا تعالج نظرية (غرايس) مسائل المجاز والاستعارة والتعريض... الخ. إذ ان خرق أحد قواعد (مبدأ التعاون) السابقة في سياق معين يوضح التباين بين المعنى الحرفي للجملة، و المغزى او المقصود منها بوصفها (مقولة) في سياق.

(٦) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٠٠.

(٧) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٠٠. و تعتمد الاستنتاجات السابقة على سياق المتكلم و السامع و اعتقاداتهما. و على مسألة طالما أهملت في هذا الموضوع كما يشير (بالمر) و هي دور التنعيم في ذلك. ينظر ٢٠٠-٢٠١.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وتفاصيل نظرية (غرايس) كثيرة أيضاً وقد ناقش فيها مسائل ومشكلات متعددة، لا يتسع المجال هنا لسرد تفاصيلها مع الاعتراف بأهميتها فيما يخص موضوعنا: معنى الجملة ودلالاتها يمكن ان تنظر في موضعها^(١).

ولا تنجو مقترحات (غرايس) ونظريته من النقد كما هو الحال مع سابقه: (أوستن) و(سيرل). فهناك من يتساءل كيف يمكن تطبيق مقترحات (غرايس) فعلياً ويصفها بالغموض، فقاعدة (العلاقة) مثلاً لا تخبرنا أي شيء عما تعنيه لتفوه ما لكي يكون ذا علاقة و(غرايس) نفسه يعتبر ذلك مشكلة جدية^(٢).

كذلك قيل "ان العبارات اللغوية تفيد شيئاً متواضعاً عليه في عشيرة لغوية ما، وإفادة هذه العبارات لا تحدد بصورة نموذجية من خلال ما يقصده متكلم معين. وما يمكن استساغته هو ان تصوغ هذه النظرية التواضع اللغوي عن طريق التعاقد المتعارف عليه بين متكلمي اللغة بخصوص معاني العبارات"^(٣).

وهناك من يتساءل أيضاً "عن دور القصد أو النية في جمل عادية. فالإفادة التي تحصل لدى المستمع تكون نتيجة لمعاني الألفاظ المكونة للجمل والكيفية التي ألفت بها. فما هي النوايا التي تحملني على استعمال لفظي (إضرب) و(ها) في قلبي اضربها، وكيف تتألف لتكون نية أو قصد إيصال رغبتني في ان تضرب هي؟"^(٤).

وربما تفسر الإنتقادات السابقة التعديلات المختلفة التي أقرحت من قبل بعض اللغويين المعنيين بهذا المجال^(٥).

هـ - نظرية أحداث الكلام (التداولية) من وجهة نظر المنتقدين:

تقدم في الصفحات السابقة ان الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص ضخم لذا تُلقى بوصفه كياناً غامضاً. ورأى البعض أن من الصعوبة بمكان ان نعد (التداولية) اختصاصاً بالمعنى المتعارف عليه لهذا اللفظ.

وسعة الآراء وتعددتها وكثرة المقترحات التي قُدمت في هذا الإطار جعلت بعض اللغويين. _كما يقول بلانشيه_ يتساءل عن وجود تداولية بصيغة المفرد مفضلاً إعتبارها تداوليات^(٦). والإعتراضات والمشكلات التي تواجه التداولية أو (نظرية أحداث الكلام) كثيرة. وبعض هذه الإعتراضات يتعلق بالأفكار والاقتراحات التي قدمها اشخاص معينون مثل أوستن وسيرل وغرايس، وبعضها الآخر موجه الى المبدأ العام والأساس الذي تقوم عليه النظرية المتمثل بعد اللغة (سلسلة من الأحداث) التي تؤدي من خلال المقولات المختلفة.

(١) من ذلك أهمية التنعيم و انواع التلويع و الاستلزام، و ما يمكن أن يعالج من مشكلات (القبنفترض) من خلال هذا الموضوع. ينظر مثلاً: علم الدلالة (بالمز) ٢٠٠-٢٠١، و نظرية الفعل الكلامي ٦٣.

(٢) ينظر علم الدلالة (بالمز) ٢٠٢.

(٣) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١.

(٤) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣١.

(٥) من ذلك التعديلات التي اقترحتها (هارينش) و (ولسون) و (سبيرير) و آخرون. ينظر علم الدلالة (بالمز) ٢٠٢، و مدخل الى اللسانيات ١٠٠.

(٦) ينظر التداولية من أوستن الى غوفمان ١٨. و التداولية والعلوم الانسانية ٥٧.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ومن أمثلة الإعتراضات الأولى ما وجه الى مفهوم _جعل_ (الإنجاز) الذي ذكره (أوستن) إذ "يقتضي هذا الفعل أشياء أخرى بجانب احتياجه للمعنى. فمثلاً قد يخلص أحدهم الى اقتاعي (عن طريق فعل لجعل الإنجاز) بضرب أحدهم عن طريق تلفظه بجملة (إضربه)، وقد يفعل نفس الشيء عن طريق قوله (إذا لم تضربه هاجمك) أو قوله (ضربك اياه سيرضي الناس). وهذه الجملة لا تعني نفس الشيء رغم انها ترتبط هنا بنفس الفعل (جعل الإنجاز). وبعكس ذلك فقد لا يقتعني المتكلم بضرب الشخص عن طريق التلفظ بإحدى الجمل السابقة، أو حتى بالتلفظ بها كلها"^(١).

ومن هذا النوع أيضاً الإعتراض على تحديد نوع الإنجاز بالاعتماد على الأفعال التي تتضمنها الجمل _كما فعل سيرل_ ، فكما يقول بالمر " يجب ان نشكك فيما إذا كان وجود قائمة أفعال في قاموس ما يهيء قائمة بالأنواع الممكنة من أحداث الكلام. إضافة الى هذا فقد تكون أحداث الكلام مستقلة عن اللغة الفعلية، الى درجة ما على الأقل"^(٢). ويتساءل (بالمر): "هل سنحدد أحداث كلام مختلفة لكل من الفرنسية والإنكليزية ان كانت قائمتا أحداث الكلام مختلفتين فيهما؟"^(٣).

ولا تتوقف المشكلة عند هذا الحد، إذ "لن يكون أقل صعوبة ان نقرر بدون غموض ما هو الحدث الكلامي المنجز في كل تفوه. الصعوبة الرئيسة هنا هي انه ليست هناك علاقة مباشرة بين حدث الكلام وشكل الكلمات المستعملة. اننا لا نستطيع ان نطابق أحداث الكلام بأنواع الجمل"^(٤). وليس ذلك فقط. فنحن "لا نستطيع ان نطابق أحداث الكلام حتى بالجملة الحاوية على أفعال منجزة، فالجملة التي تبدأ بـ(أنا أعد) قد تكون تحذيراً، في حين اننا نستطيع أن نصدر حكماً تجريبياً في: (أنا أراهن): أنا اراهن انه لن يأتي"^(٥).

أما الإعتراضات من النوع الثاني المتعلقة بالأساس الذي تقوم عليه النظرية والفكرة العامة التي تُبنى عليها، فمن أبرزها صعوبة توضيح التعارض الدلالي في إطار الأحداث الإنجازية بين بعض الجمل مثل:

- أعدك بالسفر.

- أقنعك بالسفر.

في الحالتين الذي يسافر هو (الضمير الكاف) و"السفر حاصل لدى المخاطب انطلاقاً من فعلي الإقناع والوعد، إلا ان طريقة حصوله تختلف في الحالتين، ونظرية الأفعال اللغوية لا يمكن ان ترصد هذا الاختلاف"^(٦).

كذلك لا تقيم هذه النظرية فرقاً بين الجملتين:

- أعدك بالخروج.

- أعدك بالمكوث.

(١) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٠، و الكلام هنا عن القسم الثالث من اقسام الإنجازيات التي تحدث عنها أوستن.

(٢) علم الدلالة (بالمر) ١٩١-١٩٢.

(٣) علم الدلالة (بالمر) ١٩٢.

(٤) علم الدلالة (بالمر) ١٩٢.

(٥) علم الدلالة (بالمر) ١٩٢، و ينظر: ١٩٠-١٩٢. و قد تقدم بعض هذه الاعتراضات الجزئية الأخرى في ثنايا عرضنا السابق لأهم مسائل النظرية.

(٦) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٣. و ينظر ٣٢. ويحتمل في هذه الجملة ان يكون الذي يسافر الضمير (أنا) أيضاً.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

فلهاتين الجملتين القوة الإنجازية نفسها "إذا استعملنا كليتهما لإنجاز فعل الوعد، ويمكن اختلافهما فيما وعد به"^(١).

ولكي نحدد المعنى بصورة تامة نجد أنفسنا بحاجة "الى طريقة تميز الأفعال الإنجازية ليس من خلال القوة الإنجازية وحدها، ولكن من خلال المحتوى القضوي للجمل (PROPOSITIONAL CONTENT) أيضاً. والمراد بالمحتوى القضوي ما ينسحب عليه الفعل الإنجازي كالخروج والمكوث"^(٢). كما في الجمل السابقة.

وربما كان هذا الإشكال هو السبب الذي جعل (غرايس) فيما بعد يفرق بين المعنى الحرفي (العرفي) والمغزى أو (المقصود) _أي كان ما نسميه_ وهذا بدوره يؤكد حقيقة أخرى وهي ان (التجريد) أمر لا يمكن الاستغناء عنه بصورة مطلقة مهما حاولنا اثبات ذلك.

وهناك مشاكل أخرى تواجهها نظرية احداث الكلام تتعلق بـ(الإحالة) و(مرجع الاسم العلم) و(الحقيقة)... الخ من القضايا الأخرى^(٣). مما أدى الى ظهور آراء جديدة ومقترحات تحاول ان تتجنب ما وقعت فيه المحاولات السابقة، منها _على سبيل المثال_ ما قدمه (ليتش) و(باخ) و(هارينش) وغيرهم.

بل ذهب بعضهم مثل (بروندويز) الى عدم وجود "أي قيمة تداولية محتواة داخل الملفوظات والمبنى. مؤكداً على ان القوة (اللاقولية) ليست سوى إشتقاق يقع لحظة التلطف في السياق. وان ادماج الدلالية والتداولية أمراً بهذا المعنى أو ذاك أمر يعسر تحمله كما انه غير ذي جدوى في الوقت ذاته"^(٤).

وبشكل عام توصف التداولية بالضعف في الآليات الإخبارية وفي الجهاز الإصطلاحي النظري مما يترتب عليه تعدد موضوع الدراسة بل ضبابيته فلا تحدد التداولية المقصودة بدقة من: التلطف؟ العمل؟ اللغة؟ التواصل؟ التفاعلات؟ مع غياب نظرية معممة^(٥).

وتتهم أيضاً بأنها تشتغل على ظواهر متصلة بمسائل ايدلوجية مثل: الحقيقة، والعمل والعلاقات الإنسانية والمناوارات الخطابية والنسبية الثقافية... الخ^(٦).

وهذه الانتقادات جعلت بعض اللغويين الغربيين يصرح بعدم الحاجة "الى نظرية خاصة بأفعال الكلام، وبأن المغزى الكلامي يمكن أن يستوعب من قبل علم الدلالة، وعلم التراكيب النحوية"^(٧). بعد أن أدى الإنفتاح الواسع على علوم واختصاصات متعددة الى تعدد مناهج التداولية وافكارها وسعتها، حتى أصبحت مفهوماً عاماً ينضوي تحته أفكار كثيرة: نفسية وفلسفية واجتماعية

(١) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٣.

(٢) مدخل الى الدلالة الحديثة ٣٣.

(٣) ينظر التداولية من أوستن الى غوفمان ١١٥ و ما بعدها، ١٢٥ و ما بعدها، ١٣٣ وما بعدها، وكذلك ٩٤ وما بعدها و ١٠٦ و ما بعدها و ١٨٥.

(٤) ينظر نظرية الفعل الكلامي ١٨٠-١٩٢. والتداولية محاولة لضبط الدرس اللساني ٢٠-٢١.

(٥) ينظر التداولية من أوستن الى غوفمان ١٧٧.

(٦) ينظر: التداولية من أوستن ١٧٧-١٧٨. والتداولية والعلوم الانسانية ٥٧، وفي التداولية إشكالية المصطلح ٢٣-٢٤.

(٧) نظرية الفعل الكلامي ٧٠. و ينظر ما بعدها، و ينظر ايضاً التداولية من أوستن الى غوفمان ١٧٠ و ما بعدها.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ولسانية... الخ كل منها يسمى نفسه تداولية^(١). وهو ما يجعل كثيراً من النقد الذي وجه إليها وإلى مناهجها نقداً مبرراً، من دون أن يقلل ذلك من أهميتها في تقديم منظور جديد للغة يختلف عما قدمته النظريات اللسانية السابقة.

ثانياً: النظرية التداولية ودراسة العرب المعاصرين للجملة:

بلغت الدراسة التداولية أوجها في الغرب في سبعينيات القرن الماضي _ كما أشرنا سابقاً _ ومنذ ذلك الحين أخذ اهتمام الدارسين العرب بهذا النوع من الدراسات ينمو ويتزايد مع مرور الأيام، لاسيما عند من إختص منهم بشؤون اللسانيات أو الدراسات التي تقع في إطار (علم اللغة). وربما يعبر هذا الإهتمام عن إدراك الدارسين العرب المعاصرين لبعض المشكلات والمعضلات التي تواجهها دراسة اللغة العربية، أو على الأقل تعبر عن إدراكهم لحاجة بعض مسائل اللغة الى إعادة النظر وطرح تفسير مغاير من منظور جديد يتجاوز بعض المشكلات القديمة. لذا توجهت أنظار كثير من الدارسين الى هذه النظريات اللسانية ومن بينها بالتأكيد (التداولية) التي لا تزال تعد من أحدث ما ظهر على ساحة اللسانيات. عسى ان يجدوا فيها ما يعينهم على تجاوز هذه المشكلات ويساعدهم في تكوين رؤية جديدة للغة العربية، لاسيما مع الإزدهار الكبير الذي تشهده الدراسات اللسانية في العالم عموماً.

وكما هو الحال مع النظريات اللسانية الأخرى اقتصرت بعض الجهود العربية على الترجمة، وبعضها الآخر إكتفى بالعرض العام لتفاصيل النظرية وما يتعلق بها في الدراسات الغربية، في حين حاولت دراسات أخرى أن تطبق هذه النظرية على اللغة العربية وان تفيد مما تقدمه من مقترحات في دراسة اللغة العربية وبالأخص فيما يتعلق بدلالة (الجملة) التي تمثل المحور الأساس لهذه النظرية كما تقدم. وبحث غيرها من الدراسات عن جذور لهذه النظرية في تراثنا اللغوي لتقيم مقارنة بين الإثنين محاولة ان تلتمس وجوه الشبه بينهما^(٢).

وفي هذا الجزء من مبحث التداولية سنشير الى بعض هذه الجهود لتكون بمثابة عينة توضح واقع هذه الدراسات وما هي عليه في درسنا اللغوي العربي المعاصر.

وربما بدت بعض ملامح هذه الدراسات وأثرها في دراسة الجملة العربية من خلال عرضنا السابق لتفاصيل هذه النظرية والأمثلة التوضيحية الكثيرة التي أوردناها الا ان الحلقة لن تكتمل ولن تتضح معالم الصورة على النحو المطلوب ما لم نشر الى بعض أصحابها ونعرض آراءهم بشكل مباشر.

ويعد د. محمد محمد يونس من أبرز من اهتموا بمباحث التداولية وحاولوا الإفادة منها بشكل واضح في دراسة الجملة العربية، فقد خصص لها فصلاً كاملاً في كتابه (وصف اللغة العربية دلاليًا)، كما قام بعرض بعض أسسها النظرية وتوضيح مكانها وأهميتها مقارنة بالنظريات اللسانية الأخرى في كتابه (مدخل الى اللسانيات).

(١) ينظر التداولية من اوستن الى غوفمان ١٧٧-١٧٨.

(٢) من الدراسات حاولت ان تفيد من النظرية التداولية بشكل مباشر في دراسة اللغة العربية ولاسيما ما يتعلق بالجملة: وصف اللغة العربية دلاليًا، وشظايا لسانية، ونظرية الفعل الكلامي وغيرها. وان اختلفت هذه الدراسات من جهة الإيجاز والاختصار والبسط والاطالة.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وقد فضل د. محمد يونس ان يترجم مصطلح (PRAGMATICS) الى التخاطبية^(١) وتحت هذا المصطلح عرض قضايا ومسائل عدة تخص (الجملة) منها: تفريقه بين مصطلحين هما: الجملة والقولة. إذ تمثل الجملة كيانات مجردة معزولة عن السياق ليست مقيدة بزمان أو مكان معينين لذا تكون دلالتها عامة. أما المقولة فهي مقيدة بسياق معين ومعناها هو نتاج لمعنى الجملة والسياق معاً لذا فإن دلالتها دلالة خاصة^(٢).

وفي هذا الإطار يأتي حديثه في التفريق بين الكفاءة اللغوية والكفاءة التخاطبية، فقد ذكر ان الكفاءة اللغوية هي "المعرفة المتطلبية لتركيب الجمل اللغوية الصحيحة الصياغة أو فهمها"^(٣). أما الكفاءة التخاطبية فهي "المعرفة المتطلبية لتحديد ما تعنيه مثل هذه الجمل عندما يتكلم بها بطريقة ما في سياق معين"^(٤). وذكر أيضاً أنه يدخل تحت هذا الصنف "كل ما من شأنه أن يعين المتخاطبين على استخدام الجمل اللغوية وتأويلها تأويلاً سليماً يتوافق مع متطلبات السياق"^(٥).

ومما يذكره يونس في هذا الشأن أننا "عندما نتكلم نستخدم اللغة واستخدامها يؤدي الى تدخل عناصر أخرى تؤثر في مدلولات اللغة كملابسات الموقف الذي يقال فيه الكلام والسياق الثقافي ونحو ذلك. وتعد اللغة قبل استخدامها نظاماً من العلامات المجردة التي لا تدرك بالحواس الا إذا استعملت تجلت وبرزت في صورة محسنة ويختلف تحليل اللغة في صورتها المجردة عنه في الصورة المحسنة التي تؤول إليها عند الاستخدام، وتختلف المقولات المستخدمة تبعاً لذلك، فالجملة التي هي وحدة التحليل الكبرى في اللغة تصبح قولة عند استخدامها في سياق معين في زمان ما"^(٦). ومن هنا ترتبط الجملة بالبنية النظرية للغة أو النظرية القواعدية العامة^(٧).

كما فرق د. يونس بين المعنى والقصد إذ يرتبط الأول بالجانب النظري من اللغة المتمثل بالجملة في حين يرتبط (القصد) بالاستعمال الفعلي المتمثل بالقولة. مشيراً الى ان مقاصد المتكلمين لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال معرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعرفة المخاطب والمخاطب وأعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام^(٨). وبهذا فإننا فإننا عندما نتحدث ننقل الجملة الى قولة وننقل أيضاً المعنى الى قصد^(٩).

ويتحدث د. يونس أيضاً عن عجز الانموذج التقليدي للتخاطب في معالجة بعض المسائل لأنه اقتصر على العناصر اللغوية فقط التي ينطقها المتكلم. وهذا الانموذج لا يمكنه على سبيل المثال ان يفسر كيف تم استنباط _ ٢ _ من القولة _ ١ _ كما في المثال:

١- أكل خالد بعض الخبز.

(١) ينظر: مدخل الى اللسانيات ١٠٢-١٠٤.

(٢) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليّاً ٨٥، وقد أشرنا الى هذا التمييز في المبحث السابق.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٨.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٧.

(٥) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٨.

(٦) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١١٨-١١٩.

(٧) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليّاً ١١٩. ويشبه هذا التفريق ما نجده في التفريق بين النص والخطاب من جهة ان الثاني هو استعمال فعلي وسلوك لغوي أما النص فهو تعبيرات لغوية تشكل كلاً متكاملًا. ينظر: ١١٩.

(٨) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٢٠.

(٩) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٥٥.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

٢- لم يأكل خالد كل الخير.

فليس هناك عنصر لغوي في: ١ يشير إلى: ٢ كما ان كل البنى الصرفية والنحوية والمعجمية التي تضمنتها الجملة الأولى لا تفسر استنباطنا المعتاد للمفهوم من الجملة الثانية^(١).

في حين يمكن تفسير هذه المسألة في إطار مبدأ (الكم) الذي قدمه (غرايس) ويفترض السامع بمقتضاه ان المتكلم ما كان ليستخدم صيغة أضعف (وهي كلمة بعض) في حال كون متلقيه معنياً بالصيغة الأقوى (وهي كلمة كل). لهذا اختار المتكلم الأولى ولم يستبدلها بالثانية مع ان هذا بإمكانه^(٢). وفي سياق هذا الحديث يشير د. يونس أيضاً الى سيق العلماء العرب الأصوليين فيقول: "وقد سبق لعلماء أصول الفقه الإسلامي أن أدركوا هذه الحقيقة، وجعلوا منها مزية رجحت كفتهم على كفة النحاة الذين قصروا إهتمامهم على دراسة البنى اللغوية، وأهملوا الجوانب التخاطبية والعمليات الإستنتاجية الملازمة لعملية الخطاب"^(٣). لكنه يكتفي بهذا القول العام من دون الخوض بأي تفاصيل دقيقة توضح معالم هذا السبق وتفصح عن حقيقته.

وقد حاول أيضاً أن يعالج بعض المسائل أو القضايا التي تخص الجملة العربية من خلال الإفادة مما تقدمه التداولية ومن أمثلة ذلك حديثه عن معنى (أو) في المثالين الشهيرين: (تزوج هنداً أو أختها) و(جالس الحسن أو ابن سيرين)، إذ يقول: "وتتجلى أهمية التفريق بين المستوى التخاطبي، والمستوى اللغوي المحض في نحو قولهم: (تزوج هنداً أو أختها) و(جالس الحسن أو ابن سيرين)، وقد ذهب بعض النحاة الى ان (أو) في المثال الأول للتخيير، وفي المثال الثاني للإباحة، والفرق بينهما ان التخيير لا يجوز فيه الجمع بين الشيئين (المعطوف والمعطوف عليه) والإباحة تجيز الجمع بينهما"^(٤). والحق من وجهة نظره "ان (أو) لا تفيد إلا التخيير فقط في معناه العام الذي الذي يبيح الاحتمالين (الجمع وعدم الجمع). أما منع الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، كما في منع الجمع في الزواج بين هند وأختها وهو ما ترتب عليه اعتبار ان (أو) فيه للتخيير، فذلك أمر خارج عن مقتضيات اللغة، أي انه من مقتضيات السياق الثقافي. وهو كون الإسلام يمنع الجمع في المثال الأول ويبحيه في المثال الثاني. ولذا لو كانت عقيدة المتحدثين تسمح بالزواج من الأختين معاً لصارت (أو) حينئذ للإباحة"^(٥). ويعضد كلامه بقول ابن هشام في مغني اللبيب: "التحقيق ان (أو) موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، وهو الذي يقوله المتقدمون. وقد تخرج الى معنى (بل) أو الى معنى (الواو) وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها"^(٦).

كذلك يرى د. يونس ان ملامح الخلط بين مستوى البحث التخاطبي ومستوى البحث اللغوي المحض تبدو "فيما يراه بعض المحدثين من وجه في تخطئة نحو (جئتكم أكثر من مرة) و(اشتريت أكثر من كتاب) بحجة ان أفعل التفضيل يدل على ان شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على

(١) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٩٩.

(٢) ينظر: مدخل الى اللسانيات ١٠٠-١٠١.

(٣) مدخل الى اللسانيات ١٠١.

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٩.

(٥) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٩.

(٦) مغني اللبيب ١/ ٩٥، وينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الآخر فيها. وفي نحو هذين المثالين تتخلف هذه القاعدة. وذلك لأن المرة في المثال الأول، والكتاب في المثال الثاني لا يتوفر فيها عنصر الكثرة، فالمرة الواحدة من القليل وكذلك الكتاب الواحد^(١). والخطأ المنهجي هنا _ من وجهة نظره _ هو "عدم الانتباه لكون مفهوم الكثرة والقلة مبحثاً تخاطبياً وليس مبحثاً لغوياً لأن الكثرة والقلة مرتبطان بأحوال المتخاطبين ومقام التخاطب، فقد أقول لصديق حميم لي: (جئتُك أكثر من مرة) عندما يسألني عن عدد المرات التي زرته فيها طيلة السنة، وتكون المرة هنا قليلاً، فإذا كان السؤال عن عدد المرات التي زرته فيها خلال أسبوع فقد تكون المرة في هذه الحالة كثيراً، وهكذا فإن فكرة الإشتراك في (أفعل التفضيل) لا تخضع للتقديرات اللغوية بل تخضع لإعتبار التخاطب"^(٢).

وربما جانبه الصواب بهذا التعليل لأن (المرة) و(الكتاب) تبقى قليلة ولو كانت في يوم وليس في اسبوع، لأن الواحد مهما كان أمره فهو قليل، والقلة منظور لها بهذا الاعتبار، ولكن الإعتراض مقبول من الناحية التخاطبية فيما لو نظرنا الى (أكثر) على ان المقصود بها ليس المفاضلة فبناءً على ملاسبات إستعمال هذه الجملة يكون المعنى أو المقصود جاوز مجيئي (المرة)، وشرائي الكتب الكتاب، وهذا هو المعنى التخاطبي الظاهر وليس المفاضلة. ومن ملاحظاته أيضاً أن بعض الجمل لا تثير إعتراضاً من الناحية اللغوية في حين تكون مثار بحث من الناحية التخاطبية مثل جملة (الفقر أحسن من الغنى) إذ "موضوع البحث فيها هو تأويلها وفقاً للإستنتاجات المستنبطة من الأحوال والقرائن المحيطة بتلك القولة كأن يكون القائل زاهداً يفضل الفقر على الغنى"^(٣).

وبعض الجمل الأخرى مثل (أرضعت الصغرى الكبرى) التي تخرج القرينة النحوية فيها عن النطاق اللغوي المحض، وترضخ للإستنتاج العقلي بعد ان اختفت القرينة الإعرابية وقرينة الرتبة بحيث يكون للإستنتاج المنطقي الدور الحاسم في فهم الفاعل من المفعول^(٤).

وهناك مسألة تثير التساؤل حول ما بحثه د. يونس تحت مصطلح PRAGMATICS (التداولية) أو (التخاطبية) كما اختار ان يسميها. وهي ان التمييز بين كفاءتين لغوية وتخاطبية أمر يثير الإستغراب تحت هذا المصطلح إذ ترفض التداولية هذا التمييز _ كما تقدم _ وتحدث عن (كفاءة تواصلية). وهو يذكرنا بالتمييز اللساني التقليدي بين اللغة والكلام المبني على أسس سوسير وهو نموذج كان د. يونس نفسه قد تحدث عن إخفاقه في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب^(٥).

وكان بإمكاننا ان نقول أنه تأثر بهذا الشأن بمقترحات (غرايس) وتمييزه بين المعنى الحرفي (العرفي) ومعنى المتكلم، لو أنه قدم أمثلة وتمييزه السابق في إطار (أحداث الكلام) أو (الإنجازية)، إلا ان د. يونس لم يشر الى هذا المصطلح من قريب أو بعيد، وكل ما قدمه من أمثلة وطرح نظري يندرج ضمن مراعاة الجوانب السياقية العامة. حتى جملة (الجو باردٌ هنا) التي تتكرر دائماً عند

(١) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٩.

(٢) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٩-١٣٠.

(٣) وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٩.

(٤) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليّاً ١٢٩. ولا يخفى ان المباحث المنطقية التي تُعنى بها التداولية هي أكثر تعقيداً مما تتضمنه هذه الجملة، وجملة (خرق الثوب المسمار) و(عرضت الحوض على الناقة) التي تعرض لها يونس. ينظر: ١٢٨.

(٥) ينظر: مدخل الى اللسانيات ٩٨.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

الحديث عن التداولية أو (أحداث الكلام) بوصفها تؤدي حدثاً إنجازياً غير مباشر ذكرها بمعرض حديثه عن الكفاءة اللغوية والتخاطبية واكتفى بالقول: "إن السيد عندما يقول لخادمه (الجو بارد هنا) قد يقصد بذلك _ في ظل إشتراطات معينة _ أن يطلب إقفال النافذة بطريقة غير مباشرة، وإدراك المتكلم أن هذه الجملة المعنية في ظل إشتراطات الكلام تفي بالغرض في نقل طلبه لخادمه بأن يقفل النافذة دون أن يخبره فعلاً بأن يفعل ذلك يعكس كفاءته التخاطبية..."^(١).

وهذا يدل على أن د. يونس ينطلق في فهمه لمصطلح (PRAGMATICS) من مفهوم عام هو مفهوم (موريس) الذي يشمل كل دراسة تأخذ بإعتبارها ملابسات السياق. وليس من مفهوم (أوستن) الخاص المبني على نظرية أحداث الكلام (أو مفهوم (سيرل)، ويؤكد هذا أن كثيراً من الأمثلة التي ذكرها هي أمثلة السياق السابقة التي أوردها سيبويه وابن جني كمثال (الهلل) و(القرطاس) و(الحاج)^(٢). وهو يورد أيضاً كلام ابن جني الذي أورده في مبحث السياق حول استشعار الحمالين والحمامين والساسة والوقادين وغيرهم ما لا يستشعر الفرزدق... الخ وليس في كل هذا ما يشير إلى (حدث) أو (إنجاز) أو ما يتعلق بهذا الموضوع، وهذا صنيع د. يونس في كتابه (وصف اللغة العربية دلاليًا) الذي يأتي في إطار المباحث السياقية العامة، وليس في فصل (علم التخاطب) الذي خصصه لدراسة هذا الموضوع إشارة إلى أحد أعمدة (التداولية) مثل (أوستن) أو (سيرل) أو (غرايس). وهي مسألة أخرى تؤكد ما ذهبنا إليه حول المفهوم العام للتخاطب (التداولية) الذي انطلق منه د. يونس^(٣).

أما في كتابه (مدخل إلى اللسانيات) فقد كان أقرب إلى المفهوم الخاص للتداولية، بعد أن تحدث عن قضايا ذات صلة وثيقة بهذا الموضوع مثل مقاصد المتكلمين والجسور التي تمدها التداولية بين المبحث اللغوي المحض والمنطق ومبدأ التعاون الذي قدمه (غرايس). لكن من دون أن يربط ذلك على نحو واضح وصريح بأحداث الكلام وهي مسألة لا يخرج عن حدودها (غرايس) كما هو الحال عند سابقه (أوستن) و(سيرل). كما اقتصر كلامه في هذا الكتاب على التنظير المختصر الذي لم يتجاوز بعض الصفحات، لم يتطرق فيها إلا لمثال واحد يوضح فائدة هذه المباحث في دراسة دلالة الجملة العربية هو مثال (أكل خالد بعض الخبز) السابق^(٤).

وركز د. نعمان بوقرة في دراسته لأراء ابن حزم التي رأى لها وجهها تداولياً على (الأمر والنهي) لأنهما من وجهة نظره "أهم فعل كلامي تترتب عنه التكاليف الفعلية و القولية إيجاباً وسلباً في المنظومة التشريعية"^(٥). مشيراً في الوقت نفسه إلى اختلاف علماء الأصول في تحديد دلالة الأمر وصيغته، هل هي للوجوب فقط كما ذهب الجمهور أم للندب، أم إنها (المطلب) الذي هو القدر المشترك بين الوجوب والندب، أم إنها مشتركة بين معان ثلاثة : الوجوب والندب والإباحة كما يرى غيرهم^(٦).

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا ١٢٨.

(٢) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ١٤٥.

(٣) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا ١٤٠-١٤٥.

(٤) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٩٨-١٠٤.

(٥) النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٣.

(٦) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٣.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وينقل رأي ابن حزم أن الأمر قد يكون جملة إنشائية بصيغة افعل أو افعلوا كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. البقرة ٤٣/٢ وقد يكون جملة خبرية من مبتدأ وخبر كقوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾. المائدة ٨٩/٥. أو من فعل و فاعل و مفعول به كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾. الأعراف ٣٣/٧ وغير ذلك من الأمثلة التي يذكرها ابن حزم.^(١)

ويذكر د.نعمان ما ذهب إليه ابن حزم و هو إن الأمر يفيد الوجوب إلا ان يقوم دليل على حرف شيء منه إلى نذب أو كراهة أو إباحة^(٢). و"ان الأوامر والنواهي في النص الديني تؤخذ على ظاهرها والمعلوم أن ظاهر الأمر الوجوب الملزم بطلب الفعل في المأمورات، كما أن ظاهر النهي طلب الكف عن الفعل في المنهيات".^(٣) وان طلب الفعل أو الكف "يقتضي البدار والفور في الامتثال للحكم، كما ان أي محاولة لتأويل الأمر، والخروج به عن مبدأ الالتزام إلى أغراض أخرى لا بد أن يدعم بنص آخر يجيز هذا الخروج، فأن يصرف الأمر إلى النذب وعدم الفورية لا بد أن يستند إلى دليل نصي ظاهر لا يقبل التأويل"^(٤).

وينقل د.نعمان أيضاً رأي ابن حزم في أن "القول بالتكرار باطل لأنه تكليف ما لا يطاق أو القول بلا برهان وكلاهما باطل"^(٥).

ويبدو د.نعمان بوقرة تأييده لآراء ابن حزم السابقة واقتناعه بأدلته التي ساقها فيما يخص هذا الموضوع. ومنها قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ التوبة ٨٠/٩. وما ارتبط بهذه الآية من موقف نبوي بالصلاة على المنافقين والاستغفار لهم بعد السبعين ثم نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ التوبة ٤٨/٨. إذ حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اللفظ الوارد بالاستغفار على التخيير كما يدل عليه ظاهره من خلال وجود (أو) من وجهة نظر ابن حزم. ولما جاء النهي المجرد حملة على الوجوب. وهذا يثبت عنده ان لفظ الأمر والنهي غير لفظ التخيير والنذب^(٦).

ويبدو رأي ابن حزم هذا الذي أيده د.نعمان بعيداً عن تصور التداولية التي ترهن هذه المسألة بالسياق وتبين من خلال الواقع الفعلي الذي يجسده الاستعمال أن صيغة (إفعل) و كذلك الانجازية غير الصريحة (الخبرية) قد تدل على ذلك و قد لا تدل عليه. وما استدلل به ابن حزم يمكن رده للسياق والقرائن اللفظية فقوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد...﴾ جاء بعده مباشرة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة ٨٤/٩. وليس هناك ما هو اكبر من الكفر والفسق والموت على الإصرار عليه ليدل على الوجوب. وليس هذا موجوداً في قوله تعالى: ((استغفر لهم أو لا تستغفر لهم...)) مثل هذه القرائن لأن ((إن تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم)) يدل على عدم جدوى الاستغفار فقط. وعزل كلا الجملتين من سياقها وملاساتها يخالف (التداولية) بمفهومها: العام والخاص المتمثل بنظرية (أحداث الكلام). إلا أن د.نعمان لا يرى في ذلك ضيراً على ما يبدو.

^(١) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٥.

^(٢) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٥.

^(٣) النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٥.

^(٤) النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٨٠.

^(٥) النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٨٠.

^(٦) النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٨٠.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

ويذكر د.نعمان أيضا بعض الأمثلة التي تتعلق بموضوع الاستثناء وأهمية السياق والعرف والثقافة في توضيح المراد والمقصود بالاستثناء. كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ النساء ٩٢/٤. إذ يرى بعض الأصوليين أن "الاستثناء مردود إلى الأهل، ولولا ذلك لسقطت به الرقبة، ولا حق للأهل في الرقبة، ولا صدقة لهم فيها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ الانعام ١٦٤/٦.."^(١) ومثل هذه المسائل وثيقة الصلة بالتداولية بدون شك.

ومما اهتم به أيضاً أن يدل اللفظ على بعض مما وضع له في الأصل كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ آل عمران ١٧٣/٦. فمن الواضح بضرورة العقل أن المراد بعض الناس لأن الناس لم يحشروا جميعهم على صعيد واحد.^(٢) وان يدل اللفظ على خلاف ما وضع له في الأصل كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان ٤٩/٤٤. إذ يدل ظاهر اللفظ على المدح والمقصود الذم.^(٣) إلا إن د.نعمان عرض هذه المسألة تحت عنوان (سبل النقل اللساني) وليس تحت عنوان المفارقة بين المعنى الحرفي (العرفي) والمقصود أو (المغزى) مما يجعلها اقرب إلى مباحث علم الدلالة منها إلى (التداولية).

كذلك لم يربط د.نعمان مباحثه على نحو مباشر بالتداولية ومصطلحاتها كما يفرض عليه عنوان الفصل الذي درس فيه هذه الموضوعات: (النص بين البنية و التداول)، ولم يكن عرضه وبحته منطلقاً من أساس (أحداث الكلام)، لهذا لم يقارن بين نظرة ابن حزم لما يسمى بالمصطلح التداولي (الإنجازية الخبرية) ونظرة التداولية التي يتسع مفهومها للإنجاز ليشمل الخبر بشكل عام _ كما بين سابقاً _ ومن خلال ما بحثه د.نعمان وطبيعة أمثلته ومسائله التي كان سبب الاهتمام الرئيس فيها هو (الشرع). يمكن القول إنها تمثل جوانب تداولية، وليست دراسة تداولية خالصة كما قد يوميء به العنوان الذي وضعه لهذا الفصل. وذكره لمصطلح (الفعل الكلامي).

أما د.هشام عبد الله الخليفة فقد تناول التداولية بالتفصيل متعرضاً لكثير من مسائلها وآراء الدارسين الغربيين فيها. محاولاً أن يربط بين هذه النظرية والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي.

ومما عني به د.هشام توضيح بعض جوانب الاختلاف بين اللغة العربية واللغة الانكليزية وبين أهمية مراعاة هذه الاختلافات عند النظر إلى اللغة العربية من منظور النظرية التداولية. من هذه الخلافات استعمال الجملة الفعلية الماضية للإنجاز كما في ألفاظ العقود التي اشرنا إليها سابقاً. وتفسير هذه المسألة "إن صيغة الماضي هي المظهر الواضح للتعبير عن الإرادة في مرحلتها النهائية، إرادة قد جاوزت دور التردد و التفكير والمفاوضة والمساومة إلى دور الجزم والقطع والبت والحسم"^(٤). وهذا احد الأسباب التي دعت المنتقدين إلى القول أن بعض ما تقرره

(١) ينظر: النظرية اللسانية عند ابن حزم ٨٣. وينظر: ٨٢-٨٤.

(٢) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٢.

(٣) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم ٧٢.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٥١.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

التداولية يستدعي التعديل عند الانتقال من لغة إلى أخرى، مما يفقدها صفة العمومية وقد بينت هذه المسألة فيما تقدم.

ومن ملاحظاته التي تخص هذا الموضوع سعة الخيارات النحوية والمعجمية لإصدار الإنجازية في اللغة العربية "لأن نسبة الاعتماد على المعنى قياساً إلى الاعتماد على العرف لدى العرب هي أكبر منها لدى الإنكليز"^(١). ومن أمثله على هذه المسألة ألفاظ الإيجاب والقبول في الزواج فتلفظ العروس ب (yes) بدلاً من العبارة المعهودة (I will) جواباً لسؤال القس لا يوقع الزواج الذي يرتبط بالعرف الإنكليزي على ألفاظ مخصوصة. أما في العربية فأن أي لفظ يدل على القبول يصلح لذلك مثل: نعم، أو أوافق، أو قبلت الزواج أو النكاح... الخ.^(٢)

ويبين المثال السابق أهمية معرفة الأعراف الخاصة والثقافة والتقاليد السائدة في مجتمع ما في تحديد المعنى أو المغزى. كما يؤكد الانتقاد الذي وجه إلى من حاول تحديد نوع الإنجازية من خلال نوع الفعل المستعمل في قوله ما، لأن قائمة الأفعال ستختلف من لغة إلى أخرى. كما هو الحال بين العربية والإنكليزية في هذا المثال. و هو ما يوقعنا بمشكلة انعدام العمومية أيضاً، وقد وضحت تفاصيل هذا الموضوع فيما سبق.

ومنها كذلك حديثه عن حالة اللبس التي تقع بين الإنجازية وغير الإنجازية، والفرق بين العربية والإنكليزية في هذه المسألة. إذ يرى د. هشام أن هذا اللبس يقع في الإنكليزية "في جمل زمن فعلها هو المضارع لأن صيغة المضارع من الشروط الشكلية للاستعمال الإنجازي في اللغة الإنكليزية، في حين لا يحصل هناك لبس في حالة استعمال الزمن الماضي مثلاً لأن استعماله غير ممكن في الإنجازية في اللغة الإنكليزية"^(٣). أما في العربية فإن اللبس "في استعمال الزمن الماضي للإنجاز أو الإنشاء تارة، ولمجرد الإخبار عن حدث سابق تارة أخرى"^(٤). لأن هذا الزمن هو الذي يغلب استعماله في العربية كما في ألفاظ العقود والفسوخ^(٥).

ولا أدري كيف غاب عن ذهن د. هشام أن الجمل الفعلية المضارعة تستخدم أيضاً للإنجاز في العربية وليس الجمل الفعلية الماضية فقط وإن غلب استعمالها في العقود والفسوخ كما يذكر. فنحن نقول في العربية: أبيعك الدار، وأشتري منك السيارة وليس فقط بعت واشتريت، وهذا يعني أن اللبس في اللغة العربية يدخل على الجملتين الفعلية الماضية والمضارعة فقد يراد بكليهما الإنجاز أو مجرد الإخبار.

وبالرغم من أهمية الملاحظات السابقة، تعد المسألة الأكثر أهمية التي يخلص لها د. هشام جهده الأكبر هي العلاقة بين نظرية (الفعل الكلامي) والمباحث اللغوية في التراث العربي.

(١) نظرية الفعل الكلامي ٥١.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٥١.

(٣) نظرية الفعل الكلامي ٤٨.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٤٨.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٨-٤٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

وهو يعتقد ويؤكد بصريح العبارة أن العرب قد عرفوا "نظرية (الفعل الكلامي) بكل أبعادها، وكانت لديهم نظرية متكاملة. ولكنها متناثرة بين دفات الكتب، مثل كتب أصول الفقه، وكتب علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة، وكتب اللغويين والبلاغيين"^(١).

ويؤكد في الوقت نفسه أنه من الصعب تحديد شخص معين كمكتشف للنظرية لأنها متناثرة، ولأن الموضوع يحتاج إلى بحث واستقصاء تاريخي وتوافر مصادر^(٢).

لكنه يرجح أن المكتشفين هم علماء الأصول. ويرى هذا متوقعاً إذا وضعنا بالبال أنهم كانوا علماء لغة ومناطق من الدرجة الأولى. وأن كثيراً منهم اشتغل بالقضاء فضلاً عن اشتغالهم في الفقه واستنباط الأحكام من القرآن الكريم والحديث الشريف. وهذه المهمات تتطلب اهتماماً كبيراً بالمواضيع الفعلية في اللغة لتساعد في اتخاذ القرارات الشرعية^(٣).

لهذا يرى أن الأصوليين "كانوا أيضاً أصحاب نظريات فعلية، فبحثوا في مواضيع القصد أو المعنى النفسي مما أدى بهم إلى دراسة الوضع والعرف والتلويح والتعريض فتناولوها بدقة، ونظر ثاقب، لا نجد مثيله إلا لدى المعاصرين من فلاسفة اللغة"^(٤).

ولا يكفي د. هشام بهذا بل يؤكد أيضاً أن علماء الأصول وعلماء الكلام من المعتزلة وغيرهم كانوا مدركين تماماً لأنواع الفعل الكلامي الثلاثة التي جاء بها (أوستن)، وان الفرق يكمن في المصطلح فما يسميه التداوليون (أفعال الكلام) أو (إنجازيات) يسميه العرب (إنشاء) وهذا لا يقلل برأيه من قيمة الاكتشاف^(٥).

ويذكرنا رأي د. هشام عبد الله برأي د. محمد محمد يونس - السابق - الذي ذهب فيه إلى سبق البلاغيين و الأصوليين العرب، لكنه اكتفى بقوله هذا من دون أن يوضح جوانب هذا السبق وتفاصيله. أما د. هشام فقد حاول أن يعرض هذه المسألة من جميع جوانبها وان يلتمس أدلة عدة لما ذهب إليه، يمكن أن نجملها بالآتي:

١. تقسيم العرب الكلام إلى خبر وإنشاء، ومعرفتهم مقياس هذا التقسيم وهو ما يقبل التصديق أو التكذيب (الخبر)، وما لا يقبل ذلك (الإنشاء). وادراكهم أن (الإنشاء) ينشيء أو ينجز معناه^(٦).

٢. تناول الأصوليون صيغ العقود والفسوخ مثل: بعث، واشتريت، وطلقت... الخ. وادراكهم الصفة العرفية لهذه الإنجازيات^(٧).

٣. تقريظ العرب بين المعنى والقصد (المغزى)، الذي نراه في تمييزهم بين المعاني الأول (المعنى) والمعاني الثواني (معنى المعنى)^(٨).

(١) نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥.

(٤) نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٦.

(٦) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٨، وينظر أيضاً: دلائل الإعجاز ١٧٣-١٧٤، وأسرار البلاغة ٢٩٧-٢٩٨، والطرز ١٤٠-١٤١، وشنور الذهب ٣٢، وجواهر البلاغة ٤٥-٤٦، وعلم المعاني ٣١-٣٢.

(٧) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٣٢، ٢٢٥-٢٢٦، وقد أخذ د. هشام على البلاغيين عدم عنايتهم بهذا الموضوع.

(٨) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٩٦-٢٩٨، وينظر: أيضاً: الصناعتين ١٩، ودلائل الإعجاز ٢٦٢، وعلم المعاني ١٩٨-١٩٩.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

٤. إدراك العرب ان اللغة ليست وسيلة للوصف أو (الإخبار) أو (التقرير) فقط وانما هي وسيلة للفعل أيضاً. بل إنهم من وجهة نظره قد أدركوا الإنجازيات بأنواعها^(١).

٥. ان كثيراً من القضايا والنقاشات التي اثارتها التداولية كانت معروفة في تراثنا العربي.

فهو يرى مثلاً أن شروط الموقفية كانت معروفة من قبل علمائنا قبل أوستن وسيرل. كما في حديث الأصوليين عن أفعال لا يتطلب إنجازها سلطان إرادتين مثل (الطلاق) الذي يكفي فيه قول الزوج فقط (أنت طالق)، وأفعال يتطلب إنجازها سلطان إرادتين مثل الزواج والبيع وغيرها مما يتطلب مقولتين. وهو ما يشبه الشرط الرابع من شروط الموقفية _ التي ذكرناها سابقاً _ الذي يتحدث عن وجوب تنفيذ الإجراء من قبل المشاركين بصورة تامة^(٢). وكذلك الخلاف حول القول (بمغزى حرفي) للصيغة النحوية كما في (صيغة الإستفهام) اذ يرى بعض الدالين أن التلفظ بهذه الصيغة يعني أولاً أن المتكلم يسأل سؤالاً، لكنه ينجز فعلاً كلامياً آخر. كما في حالة كون السؤال معيباً أو مخالفاً لأحد شروط الموقفية. لكن هذا المغزى مرتبط بالصيغة النحوية وهو جزء من دلالاتها. ويرفض هذا الرأي آخرون يرون أن ليس للصيغة النحوية مغزى كلامياً واحداً ثابتاً في كل حالات استعمالها بل لها معنى نحوي محدد يتساق مع افعال كلامية عدة (كما يرى التداوليون). اذ يرى د. هشام أن الخلاف حول هذا الموضوع كان محتدماً عند الأصوليين و علماء الكلام و البلاغيين^(٣).

هذا أهم ما استند اليه من أدلة، ذكرناها هنا باختصار و تفاصيل الموضوع كثيرة ومتعددة الجوانب خصص لها أكثر من فصل في كتابه^(٤).

وإذا أمعنا النظر في أدلة د. هشام التي استند اليها وقابلناها بالأفكار الأساسية التي بنيت عليها النظرية التداولية، سيتبين لنا أن في قوله أن العرب قد عرفوا نظرية الفعل الكلامي بكل ابعادها مبالغة واضحة. فهو يقارن نظرية لغوية متماسكة ذات طرح واضح ومحدد هدفه بناء تصور لغوي عام بآراء لغوية ومباحث متفرقة بكتب شتى لا يمكن حصرها. وما ذكره د. هشام من أدلة وأعمد عليه بقوة ما هو في الحقيقة إلا آراء متناثرة كما صرح هو نفسه. واغلب هذه الآراء مختلف عليها ولم يكن هدفها الأول والأساس بناء نظرية لغوية أو تصور لغوي متماسك، كما أن أغلب ما ذكره في هذا الشأن غير متطابق مع النظرة التداولية وفيه اختلاف واضح عما تقرره هذه النظرية.

فتقسيم ابواب الكلام الى خبر وإنشاء يختلف تماماً عن نظرة التداولية التي وسعت مفهوم الاحداث أو الانجازيات أو الإنشاء أياً كان ما نسميه، فقد وسعت التداولية (الإنجاز) ليشمل الخبر ايضاً كما رأينا عند أوستن و من بعده. وبنت تصورها للغة على هذا الأساس فأصبحت اللغة من منظورها (سلسلة من الأحداث). كما أن نظرة التداولية للإنشاء أو الأناجاز تختلف كثيراً عن نظرة

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٤٥، ٢٧٦، ٣٠١-٣٠٢، ٣٨٥.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٥٢-١٥٣. ويبدو ان معالجة العرب للمعاني التي قد يخرج إليها الاستفهام وغيرها من الصيغ أقرب الى رأي الدالين الذين يرون ان هذه المعاني هي جزء من معاني هذه الصيغة. ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين ١٢٦-١٢٧.

(٤) ينظر مثلاً نظرية الفعل الكلامي ٢٢٥ وما بعدها، ٢٧٥ وما بعدها، ٣١٥ وما بعدها، ٣٣٥ وما بعدها، ٣٥٥ وما بعدها، ٣٧٩ وما بعدها، ٣٨٩ وما بعدها.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

العرب الذين تعاملوا مع جمل مثل (سأتي غداً) أو (أعدك بالمجيء) على إنها جمل خبرية أما التداولية فعدتها قولات إنجازية. أي: (إنشائية) بالمصطلح العربي.

وإذا تناول الأصوليون صيغ العقود والفسوخ فإنهم إختلفوا في أمر هذه الجمل هل هي خبرية أم إنشائية، وهو ما لم يختلف عليه التداوليون. وقد ذكر د. هشام امثلة من هذا الخلاف، كما هو الحال مع جملة (انت طالق) إذ يرى بعض من يرفض القول بإنشائية (إنجازية) مثل هذه الجملة، أنه لو قال الجملة السابقة رجل سبق أن طلق زوجته كيف لنا أن نميز بين استعمالها كأخبار دالة على الإنشاء، واستعمالها كأخبار عادية دالة على الحكاية أو الإبلاغ^(١). ومثل هذا النقاش والخلاف الذي أثير حول بعض الجمل المشابهة فيه عزل للسياق وإهمال للجانب التنغمي للكلام، ومراعاة للمكتوب على حساب المنطوق. وقد تقدم في عرضنا لتفاصيل النظرية أن التداوليين أخذوا امثلتهم من واقع الحياة اليومية وعرضوا قولات متصلة بما قبلها وما بعدها أي ضمن (الحوار) الذي وردت فيه.

ولو كان للبلاغيين أو الأصوليين نظرية كاملة لعالجوا أموراً أخرى مثل المدح والذم كما في (نعم وبئس)، والتعجب، والوعد.... الخ ولذكروا أنها (إنشاءات) أو إنجازات وليست (أخباراً) كما نظر إليها النحاة. إلا إنهم اقتصروا على مسائل ذات صلة بالقضية الأساس التي يعنون بها وهي التحليل والتحرير أي (الشرع) وما له صلة به ولم يكن شغلهم الشاغل (اللغة) من حيث هي ليعنوا بمسائل خارج هذا الإطار.

وعناية البلاغيين والأصوليين بالمغزى أو القصد لم تكن هدفاً وإنما وسيلة لهدف آخر هو (الجمال) عند البلاغيين و(الحكم الشرعي) عند الأصوليين^(٢) ويترتب على هذا فرق كبير في المنهج والشمول، فمن يعالج مسألة عرضاً يختلف عما ينظر إليها كحقيقة بحد ذاتها و يتعامل معها على هذا الأساس.

ويكفي أن ننظر الى بعض تعريفات البلاغة كتعريف أبي هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"^(٣). لنعرف أن القصد أو (المغزى) هو بعض ما تعنى به البلاغة وأنه وسيلة لا هدف كما يدل عليه قول أبي هلال أيضاً: "و انما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضة خلقاً لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"^(٤). ومثل ذلك يتبين لنا اذا نظرنا في مباحث الأصوليين مثل حديثهم عن (النية) الذي لم يأت في سياق عد الجمل (أحداثاً)، أو في سياق الحديث عن شروط الموقفية و وقوع الإنجاز من عدمه وإنما جاء في سياق الأحكام الشرعية و(التحليل والتحرير) وما يترتب على ذلك من أجر وثواب^(٥). والنظر الى موضوع من هذه الموضوعات أو غيرها في حدود اللغة و وظائفها وما تؤديه من دور في المجتمع

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٢٨.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) الصناعتين ١٩.

(٤) الصناعتين ١٩.

(٥) ينظر مثلاً نظرية الفعل الكلامي ٣٨٥.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

يترتب عليه نتائج مختلفة عما يكون عندما نعنّى باللغة بقدر ما يُعيننا على التوصل الى غايات أخرى تعد هي المطلب الأساس.

ولنا أن نتساءل هنا هل يمكن تعميم كل فكرة جزئية أو رأي خاص لنقول فيه (نظرية)؟ فقد تحدث البلاغيون أيضاً _على سبيل المثال_ عن حشو الكلام والاكتفاء بالقدر المطلوب وذكروا أن "حق الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها لئلا يكون عبثاً، ولا ناقصاً عنها لئلا يخل بالعرض و هو: الإفصاح و البيان"^(١). فهل نقول أن كلامهم السابق هو مبدأ التعاون لغرايس؟ لا شك أن هذا حديث عام يختلف عن مفهوم (غرايس) للتعاون الذي جعل منه آلية ذات أسس محددة للنظر في القولات المختلفة بعد أن وسع هذا المبدأ ليشمل جميع انواع التلويح. فالهدف والمنطلق مختلف بين الاثنين وإن كانت الفكرة العامة تجمع بينهما.

من هنا يمكننا القول أن ما عرفه العرب _مع الإقرار بأهميته_ يمثل جوانب تداولية وآراءً تداولية متفرقة ولا يمكن ابدأً ان يكون نظرية تداولية متكاملة كما صرح د. هشام. وقد ذكر هو نفسه ما ينقض رأيه بقوة عندما صرح بأمرين:

الأول: أن هذه النظرية متناثرة بين دفات الكتب.

الثاني: وهو مترتب على الأول صعوبة تحديد شخص معين يقال فيه أنه مكتشف النظرية.

وهذان الأمران وحدهما يتناقضان بوضوح مع وصف النظرية المتكاملة.

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نقول أن العرب قد قلبوا كثيراً من القضايا التي لها صلة وثيقة بالتداولية، لكن بحث هذه المسائل لم يكن هو هدفهم الأول لذا لم يقدموا نظرة لغوية تداولية شاملة على نحو مما فعله الغربيون الذين كان هاجسهم وهدفهم الأساس هو اللغة.

الا أن هذه المسائل المتفرقة تؤكد أن التصور التداولي للغة المتمثل بنظرية أحداث الكلام ليس بعيداً عن اللغة العربية، و أن هذه النظرية يمكن أن تقدم للغة العربية ولدراسة الجملة العربية ولاسيما تصورات جديدة على قدر من الأهمية.

ومن ابرز الفوائد التي توصلت اليها هذه الدراسة هي ضرورة اعادة النظر في مفهومي الخبر والإنشاء _في تراثنا العربي_ وفي المقياس الذي وضع لذلك وهو (الصدق والكذب). إذ تبين مما سبق أن الإنجازيات (الإنشائيات) لا توصف بأنها غير قابلة للتصديق أو التكذيب وإنما بكونها موفقة أو غير موفقة، مع ضرورة مراعاة الأعراف والتقاليد الاجتماعية في هذا الموضوع والأخذ بعين الاعتبار الفوارق اللغوية بين لغة وأخرى.

ومن أهم ما يترتب على ذلك إعادة النظر في خبرية جمل أو بالأحرى مقولات من قبيل: أعدك بالمجيء، وسأتي غداً، وفي الحديقة حصان... وغيرها، بل ان جملة (العلم نور والجهل ظلام) إذا قيلت في ملابس معينة فإنها ستكون جملة إنجازية يراد بها: أطلب العلم وتجنب الجهل. مما يعني أن هذه الجملة بوصفها جملة قد تكون أو لا تكون خبراً. وقد تكون أو لا تكون إنشأً، وما يحتكم إليه في ذلك هو ملابس السياق^(٢).

ويعني هذا أيضاً اعادة النظر بقضايا أخرى من أهمها خبرية المدح والذم مثل (نعم وبئس) والتعجب، والنداء وغيرها من الجمل التي عدها النحاة جملاً خبرية وتكلفوا لها إعراباً ينسجم مع

(١) جواهر البلاغة ٤٨.

(٢) مثل هذا يمكن ان نقوله في جمل مثل: (في الجامعة علم) و(في المكتبة كتب) و(في المدرسة طلاب)... الخ.

﴿ الفصل الرابع ﴾ ﴿ المبحث الثاني ﴾

هذا التصور وهي مسألة تفرضها النظرة التداولية بمفهومها العام ايضاً التي تراعي ملابسات السياق كما رأينا في المبحث السابق.

ومن الفوائد التي تقدمها التداولية أيضاً أن المظهر الشكلي للجملة قد يكون خداعاً، فبعض الجمل التي تبدو لأول وهلة إنجازية (إنشائية) قد يراد بها الخبر كما في: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ التوبة ٨٠/٩، التي يراد منها في ضوء سياقها الذي وردت فيه الإخبار بعدم جدوى الإستغفار و فائدته. و مثل هذا يمكن أن نقوله في: (إذهب أو لا تذهب)، (ادرس أو لا تدرس) وغيرها.

بل حتى الجمل التي كانت تعد في التصور الأول للتداولية جملاً إنجازية قد تحتل في الحقيقة المعنيين: الإنجاز (الإنشاء) والتقرير (الخبر) كما في:

– أنا أعد حين أنوي الألتزام بكلامي.

– أنا أحتج ضد الحكم.

– أنا أشكرك اذا ساعدتني في مهمتي.

وقد تبين ذلك بوضوح في الحديث عن تفاصيل الموضوع.

وإذا راعينا هذه الحقائق و غيرها مما أشرنا إليه في موضعه يمكن أن نقول أن التداولية يمكن

أن تقدم لنا فائدة جلية في دراسة دلالة الجملة العربية.

وأقل ما يمكن قوله _ سواء قبلنا بمبدأ أحداث الكلام أم لم نقبله _ أننا بحاجة ماسة لتوسيع مفهوم

(الإنشاء) العربي الى أكثر مما هو عليه ليأخذ بنظر الإعتبار الجوانب التخاطبية أو التداولية

(العامة) للكلام.

الخاتمة

﴿ الخاتمة ﴾

بعد ما تقدم من فصول هذا البحث ومباحثه نوجز هنا أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وهي كالآتي:

١- تتفق اللسانيات على ان الجملة هي الوحدة الاساس للتحليل اللغوي وانها هي المنطلق في فهم النظام اللغوي لأي لغة كانت في العالم. وحتى علم لغة النص الذي يعتمد في تحليله منظاراً أوسع هو (النص) يعتمد في تحليله هذا على الجملة بشكل مباشر ولاسيما الكيفية التي ترتبط بها هذه الجمل داخل النص.

٢- الاعتماد على الوصف الشكلي البنيوي الذي يستبعد المعنى سيؤدي الى تقديم وصف قاصر لجمل اللغة العربية_ كما هو الحال مع الانكليزية ولغات اخرى_ لأنه سيحجب الانظار عن المعاني الجمالية الدقيقة ويؤدي الى عد بعض الجمل المختلفة المعنى جملاً مترادفة. فضلاً عن قصوره في معالجة المسائل المتعلقة بالغموض الجملي. وفي اللغة العربية سيكون هذا القصور أكبر لكونها لغة (اعرابية) يتصف نظامها بنوع من الحرية فيما يخص تأليف الكلمات وانتظامها.

٣- يشكل الغموض الجملي ظاهرة واضحة في جمل اللغة العربية فضلاً عن وجوده في لغات أخرى. وهذا بدوره يطرح تساؤلاً حول نوع المعنى الذي تحمله الجمل اللغوية، وإمكانية التوصل الى فهم المعنى الكامل بمعزل عن القرائن غير اللغوية.

٤- العلاقات العمودية والافقية هي أساس عيوب الكلام وهي أيضاً أساس بناء الجملة التي تمثل مظهر هاتين العلاقتين وهذا بدوره يعكس أهمية الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية في التحليل اللغوي.

٥- يمثل (الغموض الجملي) و(التعقيد أو الاكتناف) و(الاسناد وأركانه) و(العمدة والمكملات) جزءاً أساسياً مما بحثته النظريات اللسانية وعنت به وان اختلفت نظرتها فيما يخصها وطريقتها في التعامل معها.

٦- يمثل (الاسناد) وركناه: المسند والمسند إليه مفهوماً راسخاً في اللسانيات واشتراط وجوده مع استقلال التركيب هما قوام الجملة من المنظور اللساني. وليس هناك جمل موجزة من النظرة اللسانية طالما ان مثل هذه الجمل يجري فهمها وتحليلها قياساً على الصورة التامة الكاملة لجمل اللغة الاخرى.

٧- ضرورة الاهتمام بموضوع (الجمل المعقدة) ولاسيما ان هذا الجانب لم يلق اهتماماً كبيراً في النحو العربي القديم ما عدا ملاحظات موجزة لابن هشام_ كما تقدم_ ويمكن ان نلاحظ ان تقسيم الجمل الانكليزية الى: معقدة ومركبة وبسيطة هو تقسيم صالح للجمل العربية ايضاً وربما يصلح ان يكون تقسيماً عاماً للجمل في اللغات الاخرى لوجود جوانب تشابه واضحة بين الجمل المختلفة ولاسيما من خلال ما تعرضه المؤلفات الأجنبية.

٨- ضرورة إعادة النظر بمفهوم الجملة والكلام وبالمعايير الموضوعية لهما. ونقترح بهذا الصدد ايضاً استعمال مصطلحي: جملة وتركيب لما فيهما من الوضوح وعدم الالتباس.

٩- تنقسم الجمل العربية من وجهة نظر هذه الدراسة الى أربعة اقسام: الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والجملة الوصفية والجملة الكنائية. مع ملاحظة الارتباط الوثيق بين جمل القسم الأخير وجمل اللغة الأخرى ودورها في تحقيق التماسك بين جمل النص المختلفة وهو ما عُني به علم لغة النص.

﴿ الخاتمة ﴾

١٠- لم يلتفت النحاة العرب الى الجانب اللغوي الخلاق الذي تعكسه جمل اللغة (اللاتناهي). ومن هنا لم يعن النحاة العرب أيضاً بالصلة بين اللغة والادراك ولم ينشغلوا أيضاً بالبحث عن قواعد عمومية وليس في هذا انتقاد للعرب وإنما هو اشارة لبعض مجالات الاختلاف بين الدراستين. فلتطور العلوم والاكتشافات العلمية والنظرة الرياضية للجملته أثر كبير في هذا المجال.

١١- تبدو نظرة البلاغيين العرب الى المعنى الذين يرون الالفاظ تابعة للمعاني، قريبة جداً من نظرة الوظيفيين والداليلين التوليديين منها الى النظريات التي تعتقد باستقلال التركيب عن المعنى التي ترى ان المعنى مكون تفسيري يفسر ما يقدمه له النحو من تركيب. لكن طريقة النحاة العرب في وضع القواعد ومعالجة النحو أقرب الى نظرية استقلال التركيب عن المعنى منها الى الوظيفيين والداليلين التوليديين لأنها بنيت على اساس ملاحظات شكلية تستند الى علاقة العناصر اللغوية وطريقة انتظامها مع بعضها.

١٢- ضرورة اعادة النظر في مفهومي (العمدة) و(الفضلة) وبمعيار الاسناد المتبع في تحديدهما. إذ تقدم اللسانيات اساساً جديداً لتحديد هذين المفهومين يستند الى السمات المعجمية للفعل الذي تتضمنه الجملة يمكن ان يكون أكثر دقة في دراسة الجمل العربية لأنه مبني على ملاحظة علاقة العناصر مع بعضها من خلال المعجم والقواعد التركيبية.

١٣- ضرورة اعادة النظر في التعميم الذي وضعه العرب لدلالة الجملة الفعلية والاسمية. إذ تدل الفعلية عندهم على الحدوث والتجدد والاسمية على الثبوت والدوام. فالنظر اللساني الى هذه الجمل _ كما في النحو الوظيفي _ يشير الى وجود علاقة بين الاثنين: الإسمية والفعلية فقد تتحدث كلاهما عن وضع من الأوضاع (الثبوت) وهذه العلاقة لم ينبه لها الدارسون القدماء. كما لم ينبهوا الى المعاني الدقيقة التي تتضمنها الجمل الفعلية والإسمية مثل دلالتها على حركة أو تآثر أو وضع أو صفة وهذه الدلالات لا تعتمد على كون الجملة اسمية أو فعلية كما يعتقد القدماء. وتدل أيضاً على ان تقسيم: اسم و فعل هو تقسيم نحوي محض لا ينطبق على العالم الخارجي بالضرورة ولا يشترط ان يكون في العالم الخارجي ما يؤيده بل ان الأدلة اللغوية تشير الى غير ذلك عندما ننظر في لغات مختلفة وليس في لغة واحدة.

١٤- لا يمكن ان يكون (الإعراب) وحده كافياً في تحليل الجملة العربية وفهم المعاني التامة للجمل. فقد يكون هناك جمل عربية لها اعراب واحد ومعان متعددة، أو اعراب ظاهر ومعنى غامض. كما ان (الإعراب) وحده لا يعكس الوظائف التي تؤديها الجمل العربية المختلفة على نحو دقيق. ولا يعبر عن المعنى الكامل الذي تتضمنه هذه الجمل وهذا يعني ان نحواً اعرابياً بالدرجة الأولى مثل النحو العربي القديم لا يمكن ان يقول كل شيء عن الجملة وانه بالتأكيد سيبقى محتاجاً الى ما يكمله وان كان ملائماً لأغراض تعليمية. ولا يعني هذا اهمال الإعراب الذي يعد جزءاً أساسياً من النظام اللغوي العربي وإنما يعني ان الإعراب وحده ليس كافياً في عملية تحليل الجملة العربية.

١٥- يكشف التحليل النصي حقائق ذات صلة ببناء الجمل وإستعمالها لا يمكن التوصل اليها بمعزل عن النص. من ذلك ما يتعلق بالوظائف التواصلية التي تؤديها الجمل داخل النص والصلة بين بناء الجملة ووظيفتها وعلاقتها بالجمل الأخرى داخله. ووجود جمل موجهة شديدة الصلة بالسياق اللغوي لا يمكن ان تستعمل بمعزل عن الجمل الأخرى المحيطة بها، وجمل يمكن ان تستعمل استعمالاً مستقلاً بمعزل عن سياقها. فضلاً عن علاقة النص بالتحويلات التي يتم اجراؤها على

﴿الخاتمة﴾

الجملة وصلتها بالوظائف التي تخدمها هذه الجملة داخل النص. وكذلك ابراز دور بعض الجمل في تحقيق الربط والتماسك بين الجمل الأخرى، بعد ان كانت هذه المسألة من مهمة الروابط والأدوات فقط. ومن ذلك ما يتعلق بالإحالة وانواعها القبلية والبعدية وإحالة البناء وإحالة التعيين. والأبعاد الفلسفية والدلالية واللغوية لمسألة المرجعية.

١٦- يدلل النظر الى جمل اللغات المختلفة ومن ضمنها العربية على ان المنطق جزء من اللغة لصلة اللغة بالتفكير وتعبيرها عنه لذا لا داعي الى التخوف منه على نحو مطلق، إنما علينا التمييز بين نظرة الدرس العربي القديم التي اعتقدت ان كل ما في اللغة يقبل التعليل وما ادت إليه هذه النظرة من حديث حول العلل الثواني والعلل الثوالت، ونظرة الدرس اللساني الحديث التي تتعامل مع اللغة بوصفها اداة للتفكير والتفاهم. ولعل هذا يوضح أيضاً سبب ربط الجملة بالقضية أو الحكم وسبب ربط الجملة بركني الاسناد.

١٧- يبرز النظر التداولي الى الجمل العربية المختلفة بمفهومه السياقي العام ضرورة اعادة النظر في نظرة القدماء لبعض الجمل التي عدوها جملاً خبرية مثل جملة المدح والذم والتعجب والنداء وغيرها من الجمل إذ تشير الدلائل وقرائن الاستعمال الى ان مثل هذه الجمل جمل انشائية وان عدها جملاً خبرية يتضمن تكلفاً لا يقوم دليل عليه.

١٨- قدمت بعض النظريات اللسانية معايير جديدة فيما يخص التمييز بين الخبر والانشاء بعد ان بينت عدم صلاحية المعيار القديم المتبع في التمييز بينهما كما هو الحال مع الدراسات التداولية التي بحثت أيضاً موضوعات جديدة من خلال التركيز على الاستعمال مثل (معنى الانجاز) و(العلاقة بين الدلالة والمنطق) وبحثت أيضاً علاقة اللغة بمسئولياتها على نحو غني وواسع لم نألفه في دراسات القدماء. وقدمت مفهوماً جديداً للتواصل وحاولت ان تشرح الكيفية التي يتم من خلالها تبادل المعلومات وفهم الرسالة اللغوية على نحو محدد ودقيق كما رأينا في الحديث عن شروط الانجازية وشروط الموقفية ومبدأ التعاون. وما قدمه هذا الحقل من دراسات يوجب إعادة النظر في مفهومنا التراثي العربي للخبر والإنشاء. مع ضرورة مراعاة التقاليد والاعراف الاجتماعية وخصوصية كل لغة فيما يخص هذا الموضوع بالتحديد.

١٩- تطرح نظرية الفضاء الذهني تساؤلاً حول مفهومين كانا شائعين في علم الدلالة وهما (الصدق) و(الاحالة) بعد ان ذهبت الى عدم وجود صلة مباشرة بين اللغة والعالم ورأت ان الجملة لا ترتبط بالمعنى ارتباطاً مباشراً وإنما هناك وسيط آخر بينهما، هذا الوسيط هو (الذهن)، ومن وجهة نظر هذه النظرية (الجملة) لا تحمل المعنى ودورها هو ان تغير الموقف في الذهن من حالة الى اخرى. والارتباط المباشر يكون بين المعنى والذهن وليس بين المعنى والجملة.

٢٠- تطور المنظور اللساني للدلالة فبعد ان بدأ القرن العشرون باستبعاد الدلالة من التحليل اللغوي، انتهى بعد (الدلالة) شرطاً لا يمكن الاستغناء عنه في أي نظرية لغوية التي يتحتم عليها ان تجمع بين أمرين أحدهما (النحو) وثانيهما (الدلالة).

٢١- لا تتعارض اللسانيات دائماً مع الانحاء التقليدية ومن ضمنها (النحو العربي) فكما رأينا تؤيد النظرة اللسانية كثيراً مما تأوله النحاة وكثيراً من تقديراتهم التي انتقد بعضها منها النحاة العرب المحدثون، كما تؤيد مبدأ الاسناد الذي انطلق منه النحاة العرب واشتراطهم ركنين للجملة هما المسند والمسند إليه... الخ من المسائل الأخرى التي تقدمت في صفحات البحث لكنها أيضاً تصحح

﴿ الخاتمة ﴾

افكاراً أخرى وتقدم منظوراً جديداً لمسائل كثيرة في اللغة وتركز على جوانب في دراسة اللغة لم يعنَ بها السابقون وقد كان بعضاً من هذه الجوانب السمة الخلاقة للغة وعلاقة اللغة بالإدراك وعلم النفس والقواعد الموروثة والتعقيد والاكتناف ووصف المراحل التي تجري في الدماغ قبل نطق الجملة، بعد ان كان القدماء يتعاملون مع جمل جاهزة كما هو الحال مع البنيويين الذي اتبعوا هذا المنهج أيضاً قبل ان يتغير الحال مع النحويين التوليدي التحويلي والنحو الوظيفي.

٢٢- يبدو من خلال ما تقدم من مسائل تخص الجملة العربية ومباحثها أن آراء البصريين أكثر قرباً للنظريات اللسانية من آراء الكوفيين، إذ تنير آراؤهم مشاكل عدة وتتناقض مع مبدأ الانسجام اللغوي و(النظام) الذي تقوم عليه اللغة على نحو لا نجده في آراء البصريين الذين تبدو آراؤهم أكثر تماسكاً ومنطقية وانسجاماً.

٢٣- لا يمكن ان تدرس اللغة العربية أو الجمل العربية من وجهة نظر (نظرية لسانية واحدة) فكل نظرية تركز على جانب من جوانب اللغة لا تركز عليه النظريات الأخرى وتولي اهتماماً لقضايا تجاوزتها النظريات الأخرى، ومن هنا تكمل النظريات اللسانية بعضها ولا تتناقض فيما بينها. وتقديم وصف للغة انطلاقاً من أسس نظرية معينة دون أخرى يعني النظر الى جانب واحد من جوانب الحقيقة وغض النظر عن غيره من الجوانب.

٢٤- ليس هناك نظرية لسانية لا يمكن الافادة منها في دراسة اللغة العربية وجملها وان تفاوتت هذه النظريات فيما بينها في الطريقة والمنهج ومستوى ما تقدمه من اضافة ورؤية جديدة لدراسة الجملة العربية.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : د. محيي الدين توفيق ابراهيم ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
- ابنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسات لسانية لغوية: د. عصام نور الدين دار الفكر اللبناني. بيروت. ط١، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: يحيى احمد، مجلة عالم الفكر، العدد ٢٠، مجلد ٣، السنة ١٩٨٩.
- الاتجاهات الاساسية في علم اللغة : رومان ياكبسون ، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب: د. علي عزت، شركة ابو الهول للنشر_ القاهرة_ مصر. ط١، ١٩٩٦.
- الاختلاج اللساني سيمياء التخطيط النفسي: نعيم علوية، المركز الثقافي العربي، بيروت_ لبنان، ط١، ١٩٩٢.
- ادب الكاتب: لأبي بكر محمد بن علي بن عبد الله الصولي. ت ٣٣٦ هـ، اشرف عليه وراجعاه ابراهيم الصالح، عني بتحقيقه سميح ابراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م.
- اسئلة بيانية في القرآن الكريم: د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة، الامارات_ الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.
- اساس البلاغة: جار الله الزمخشري. ت ٥٣٨ هـ، دار احياء التراث العربي. بيروت_ لبنان، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.
- اساسيات اللغة: رومان جاكبسون، موريس هالة، ترجمة سعيد الغانمي. الناشر كلمة. والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.
- اسرار البلاغة في علم البيان: الامام عبد القاهر الجرجاني. ت ٤٧٤ هـ، علق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت_ لبنان. ط١، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.
- اسس علم اللغة: ماريوباي. ترجمة: احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة_ مصر، ط٨، ١٤١٩ = ١٩٩٨ م.
- الاسلوبية والاسلوب: د. عبد السلام المسدي. دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت_ لبنان، ط٥، ٢٠٠٦ م.
- اسهامات اساسية في العلاقة بين النص و النحو و الدلالة، مقالات لمجموعة من الباحثين الغربيين، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٨ م.

المصادر والمراجع

- اصل الانواع: تشارلز دارون، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم اسماعيل سراج الدين، سمير حنا صادق، مكتبة الاسكندرية، المركز القومي للترجمة. القاهرة_ مصر، ط٢، ٢٠٠٩م.
- الاصوات اللغوية: د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- اصول النحو العربي: د. محمد خير الحلواني، جامعة تشرين_ اللاذقية، ١٩٧٩م.
- اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب_ الكويت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.
- الاغراب في جدل الاعراب: لابي البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) و معه كتاب لمع الدلالة في اصول النحو. تحقيق سعيد الافغاني، دار الفكر، دمشق. ط٢، بيروت_ لبنان، ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.
- الاقتراح في علم اصول النحو: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق و تعليق احمد محمد قاسم، ط١، القاهرة_ مصر، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
- اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. محمد فاضل الساقى، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الالسانية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة): د. ميشال زكريا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- املاء مامناً به الرحمن: لأبي البقاء العكبري. (٥٣٨ _ ٦١٦هـ)، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر. ايران، ط٣، ١٣٧٩.
- انباه الرواة على انباه النحاة: (جمال الدين القفطي ت ٦٤٦هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م.
- الانسان واكتساب اللغة: ستيفن بنكر، ترجمة احمد خالص الشعلان، مجلة الاقلام (فصلية فكرية ثقافية)، العدد (٥)، ايلول/تشرين الاول، ٢٠٠٨ السنة الثالثة والاربعون.
- الانسان ولغته من الاصوات الى اللغة (الكلام): مارسيل لوكان، ترجمة د. ماري شهرستان، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق_ سوريا، ط١، ٢٠٠٧.
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لابي البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف تأليف د. محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- الانماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية: د. سمير شريف ستيثية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، المجلد الثامن عشر، العدد (١)، لسنة ١٩٨٩.
- اوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت_ لبنان، ٢٠٠٨م = ١٤٢٩م.
- اهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- الايضاح في علل النحو: لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت_ لبنان، ط٦، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

المصادر والمراجع

- البحث اللغوي عند العرب دراسة لقضية التأثير والتأثر: د. احمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة - مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ، ط ١ ، ١٩٩٦ .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمان_ الاردن، ط ٥ ، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .
- البلاغة والتطبيق : د. احمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .
- بناء الجملة العربية : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة-مصر ، ٢٠٠٣م .
- البناء اللغوي للنص في نظرية النحو التوليدي : عبد العزيز ابراهيم ، مجلة الاقلام (فصلية فكرية ثقافية) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، العدد (٥) ، ايلول-تشرين الاول ، ٢٠٠٨م ، السنة الثالثة والاربعون .
- البنى النحوية: نوم تشومسكي ترجمة: ديؤيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ .
- البيان قاموس انكليزي عربي: د. كمال ابو ديب، دار ماكميلان للنشر، لندن، الدار الحديثة للنشر، القاهرة، ١٩٩٠م .
- البيان والتبيين : لابي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تقديم وشرح د. علي ابو ملح ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢م .
- تجديد النحو: د. شوقي ضيف، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- تحقيقات صغرى الاطار دراسة في النظام الحسابي للغة البشرية: تأليف نعيم تشومسكي، ترجمة: رمضان مهلهل سدخان، دار السياب، لندن، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: وفي الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية : د. محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات_ مصر، ط ١ ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .
- التحليل اللغوي للنص، مدخل الى المفاهيم الاساسية والمناهج: كلاوس بريكر، ترجمة وتعليق: د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط ١ ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م .
- التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبيا: فالح حسن ، مجلة الاقلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، العدد (٥) ، ايلول -تشرين الاول ، ٢٠٠٨م ، السنة الثالثة والاربعون .
- التداولية من اوستن الى غوفمان : فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر الحباشنة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا- اللاذقية ، ط ١ ، ٢٠٠٧م .
- التداولية النشأة والمفهوم : مؤيد عبيد ، مجلة الاقلام (فصلية فكرية ثقافية) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق ، العدد (٥) ، ايلول-تشرين الاول ، ٢٠٠٨م ، السنة الثالثة والاربعون .

المصادر والمراجع

- التداولية والعلوم الانسانية: فيليب بلانشيه، ترجمة د. صابر الحباشة، مجلة الاقلام (فصلية_ فكرية_ ثقافية)، دار الشؤون الثقافية، بغداد_ العراق، عدد (٥) ايلول، تشرين الاول ٢٠٠٨، السنة الثالثة والاربعون.
- ترتيب كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، تصحيح الاستاذ اسعد الطيب. مؤسسة الميلاد، قم_ ايران، ط١.
- تركيب الصفات في اللغة العربية : نادية العميري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، ط١، ٢٠٠٨م .
- تركيب اللغة العربية مقارنة نظرية جديدة: محمد الرحالي، دار توبقال للنشر، المغرب - الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٣م.
- التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا : د. لطفي عبد البديع، الشركة المصرية العالمية للنشر_ لونجمان_ القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات: د. احمد المتوكل، مطبعة الكرامة ، الرباط – المغرب ، ط١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات القاها برجشتراسر في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩م: اخرجوه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط٤، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر.
- تفسير الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: (جار الله الزمخشري ٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ) تحقيق خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- التواصل البلاغي من المصرح به الى المسكوت عنه: د. احمد طايحي، منشورات زاوية، مطبعة امنية، المغرب_ الرباط، ط١، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- تيسيرات لغوية: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة_ مصر، ١٩٩٠.
- الجملة الاسمية، د. علي ابو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- الجملة العربية تأليفها واقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط٣، ٢٠٠٩م = ١٤٣٠هـ.
- الجملة العربية دراسة في مفهوماتها وتقسيماتها النحوية، حسين منصور الشيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. نعمة رحيم الغراوية، مجلة المورد، المجلد العاشر، العدد ٣_ ١٩٨١/٤م.
- الجملة العربية: (مكوناتها_ انواعها_ تحليلها): د. محمد ابراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة_ مصر، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- الجملة الفعلية، د. علي ابو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

المصادر والمراجع

- الجملة في الشعر العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- جوانب من نظرية النحو : نعوم تشومسكي ، ترجمة مرتضى جواد باقر ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٥ .
- جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع : السيد احمد الهاشمي ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران-ايران ، ط٢.
- جومسكي : جون لاينز، ترجمة بيداء علي العبيدي ، ونغم قحطان العزاوي ، مراجعة الدكتور سلمان داوود الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد-العراق ، ط١، ٢٠٠١م.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية بن مالك: محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) ومعه شرح شواهد العيني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- الحذف والتقدير في النحو العربي: د. علي ابو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر، ط٧، ٢٠٠٩م.
- الخصائص : لابي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة و البنية و النمط): د. احمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
- الخلاصة النحوية: د. تمام حسان، عالم الكتب. القاهرة_ مصر، ط٢، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.
- دراسات في علم اصوات العربية: د. داوود عبدة، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٧.
- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت_ لبنان، ٢٠٠٩.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي: د. احمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع_ المغرب، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- دروس في الاصوات اللغوية: جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ او ٤٧٤هـ): قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
- دلالة الالفاظ: د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين: د. عواطف كنوش مصطفى، دار السياب للنشر_ لندن، ط١، ٢٠٠٧م.
- دلالة اللغة وتصميمها: جاكندوف ، ن. تشومسكي، فندلر، ترجمة محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء_ المغرب، ط١، ٢٠٠٧م.
- ديوان امريء القيس: تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت_ لبنان، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.

المصادر والمراجع

- الرد على النحاة: لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن مضاء اللخيمي القرطبي (ت ٥٩٢هـ): تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- الرواية والاستشهاد باللغة في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة_مصر، ١٩٨٦م.
- سقط الزند : لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) رواية الاصفهاني، تحقيق د. السعيد السيد عمارة ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة-مصر ، ٢٠٠٣م.
- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط ١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
- السيمياء العربية بحث في أنظمة الاشارات عند العرب: صلاح كاظم، سلسلة الفكر العراقي الجديد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠٠٨م.
- السيمياء والتأويل :روبرت شولز ، ترجمة سعيد الغانمي ، المكتبة العربية ، بيروت-لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٤.
- السيميائيات الواصفة للمنطق السيميائي وجبر العلامات: احمد يوسف، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت_الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٥م = ١٤٢٦هـ.
- شرح ابن عقيل: بهاء الدين بن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت_لبنان.
- شرح ابن الناظم على الفية بن مالك (ت ٦٧٢هـ): لابن الناظم ابي عبد الله بدر الدين محمد ابن الامام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ) تحقيق محمد باسم عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- شرح ديوان ابي تمام: ضبط وشرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة: تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة_مصر، ١٩٦٠م.
- شرح الرضي المعروف شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستربادي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق د. اميل يعقوب ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت-لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لأبي محمد بن هشام الانصاري المصري (ت ٧٦١)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة_مصر، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ابو بكر الانباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- شرح القصائد العشر: الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت_لبنان، ط ٣، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

المصادر والمراجع

- شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات ذوي القربى_ ايران_ قم، ط٤، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠١م.
- شرح المفصل: موفق الدين ابو البقاء ابن يعيش الموصلية (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
- شروح التلخيص: وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، وبهامشه كتاب الايضاح لمؤلف التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، د.ت.
- شظايا لسانية: أ.د. مجيد عبد الحميد الماشطة، دار السياب للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨.
- الشعرية البنيوية: جوناثان كلر، ترجمة السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ٢٠٠٠.
- الصاحبى في فقه اللغة العربية وسننها: لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة ومطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر ١٩٧٧.
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: للأمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (ت ٧٠٥هـ) تحقيق د. عبد الحليم هندواوي، المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م.
- الظاهراتية وفلسفة اللغة (تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية): د. عز العرب لحكيم بناني ، الناشر افريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، ٢٠٠٣م .
- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية دراسة لغوية تأصيلية، د. اسماعيل احمد عمارة، مركز الكتاب العربي، عمان_ الاردن، ط١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.
- العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث: د. محمد حماسة عبد اللطيف، الكويت، ١٩٨٤م.
- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه: اميرتويكو، ترجمة سعيد بنكراد، مراجعة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي_الدار البيضاء_ المغرب، ط١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- العلل في النحو: لأبي الحسن محمد بن عبد الله المعروف بالوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق مها مازن المبارك ، دار الفكر، دمشق_ سوريا، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- علم الدلالة: أف. آر. بالمر: ترجمة مجيد عبد الحميد الماشطة، الناشر: الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة: جون لاينز، ترجمة د. مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح ، كاظم حسين باقر، كلية الآداب جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- علم الدلالة: احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
- علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيقية: د. فريد عوض حيدر، الناشر مكتبة الآداب_ القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

المصادر والمراجع

- علم اللغة الاجتماعي: د. هدى، ترجمة د. محمود عبد الغني عياد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، ط١، ١٩٨٧م.
- علم اللغة العام: فردينان دي سوسور، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة د. مالك يوسف المطليبي، بيت الموصل، ١٩٨٨م.
- علم اللغة المعاصر مقدمات و تطبيقات: أ. د يحيى عابنة، د. أمانة الزعبي، دار الكتاب الثقافي، إربد_ الأردن، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط٢، ١٩٩٧.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.
- علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني): د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط٢، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- العمدة في محاسن الشعر وأدابه: (لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
- الفروق في اللغة: اللغوي الاديب (ابو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ)، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- فصول في الدلالة ما بين المعجم و النحو: د. الازهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
- فصول في علم اللغة التطبيقي (علم المصطلح وعلم الاسلوب): د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- فقه اللغة المقارن: د. ابراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.
- فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر.
- الفلسفة البراغماتية اصولها ومبادئها: د. علي عبد الهادي المراهج، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- في اصول النحو: سعيد الافغاني، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.
- في التداولية اشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب: د. عيد بلبع، مجلة الاقلام (فصلية فكرية ثقافية)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، العدد (٥)، ايلول/تشرين الأول، ٢٠٠٨، السنة الثالثة والاربعون.
- في علم اللغة: د. غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٧م.
- في علم اللغة التقابلي (دراسات نظرية): د. البدر اوي زهران، دار الآفاق العربية، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م.

المصادر والمراجع

- في اللهجات العربية: د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق على النهج العلمي الحديث: د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة_ مصر، ط١، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.
- في النحو العربي نقد و توجيه مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، ط٢، ٢٠٠٥.
- القاعدة النحوية تحليل ونقد: د. محمد حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- قاموس المورد: د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٩م.
- قضايا ابستمولوجية في اللسانيات: حافظ اسماعيل علوي، إمام الملاخ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- القضايا الاساسية في علم اللغة: كلاوس هيشن، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- الكتاب: لسبويه بشر عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط٣، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- كتاب الحيوان: لأبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق ابراهيم شمس الدين، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: لأبي الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- الكلمات والمعاني من فرويد حتى تشومسكي: ستيفن فروش، ترجمة د. حسين سرمك حسن مجلة الثقافة الاجنبية العدد الاول والثاني، ٢٠٠٧م، السنة الثامنة والعشرون.
- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار المعارف، مصر_ القاهرة.
- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة (حريات النشأة و التكوين): مصطفى غلفان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء_ المغرب، ٢٠٠٨.
- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_ المغرب، ط٢، ٢٠٠٦.
- اللسانيات والدلالة: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٧.
- اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية: د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء_ المغرب، ط٤، ٢٠٠٠م.
- اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي: جورج لايفوف، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء_ المغرب، ٢٠٠٨م.
- اللغة: جوزيف فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة_ مصر، ١٩٥٠.
- اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان، عالم الكتب القاهرة-مصر، ط٤، ٢٠٠٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط٥، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

المصادر والمراجع

- اللغة العربية واللسانيات المعاصرة : أ.د. مجيد عبد الحليم الماشطة ، مطبعة النخيل ، البصرة – العراق ، ٢٠١٠ م .
- اللغة والخطاب : عمر اوكان ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء – المغرب ، ٢٠٠١ م.
- اللغة والخطاب الادبي: (مجموعة من المؤلفين الغربيين)، اختيار و ترجمة سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، بيروت_ لبنان، ط١، ١٩٩٣ م.
- اللغة والعقل واللغة والطبيعة : نعوم جومسكي ، ترجمة رمضان مهلهل سدخان ، مراجعة د. سلمان الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقيق: د. محيي الدين محسب، الشركة المصرية العالمية للنشر_ لونجمان، القاهرة_ مصر، ط١، ١٩٩٨ م.
- اللغة والمجتمع: م.م. لويس. ترجمة أ.د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة_ مصر، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣ م.
- لمسات بيانية في نصوص التنزيل: د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة و النشر، القاهرة_ مصر، ط٢، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦ م.
- لمع الأدلة في اصول النحو: لأبي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ)، مطبوع مع كتاب (الاغراب في جدل الاعراب)، تحقيق سعيد الافغاني. دار الفكر_ دمشق، ط٢، ١٣٩١هـ= ١٩٧١ م.
- اللمع في العربية : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق حامد المؤمن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .
- ما معنى نظرية المعنى عند فيرث: جون لاينز، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد، مجلة آفاق عربية، كانون الأول، ١٩٩٠ .
- ما هي السيمولوجيا: برنارتوسان، ترجمة محمد نظيف، الناشر أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء_ المغرب، ط٢، ٢٠٠٠ .
- مبادئ اللسانيات: احمد محمد قدور، دار الفكر- دمشق، دار الفكر_ بيروت، ١٩٩٦ م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ)، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١ م.
- محاضرات وذن (تأملات في اللغة): تقديم جومسكي، ترجمة د. مرتضى جواد باقر، د. عبد الجبار محمد علي، مراجعة د. عبد الباقي الصافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، ط١، ١٩٩٠ .
- مدخل الى الدلالة الحديثة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء_ المغرب، ط١، ٢٠٠٠ .
- المدخل الى علم اللغة : كارل ديتز بونتج ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط٤ ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣ م.

المصادر والمراجع

- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م .
- مدخل الى اللسانيات: د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ .
- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث: (تأليف مجموعة من اللغويين الأجانب) ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، الناشر افريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٠ م.
- مساهمة في تحديد الجملة الاسمية: عبد القادر المهيري، حويات الجامعة التونسية، العدد (٥)، سنة ١٩٦٨ م.
- معاني القرآن: ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، ود. أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت_ لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
- معاني القرآن: ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الاوسط (ت ٢١٥ هـ) تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط ١، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان_ الاردن، ط ٢، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.
- المعجم العربي وعلم الدلالة: د. محمد أحمد حماد، د. أحمد عيسى، د. أحمد كشك ، دار النشر الدولي، الرياض_ السعودية، ط ١، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م.
- المعنى النحوي مفهومه ومكوناته : د. محمد صلاح الدين بكر ، مجلة الحصاد في اللغة والادب ، كلية الآداب جامعة الكويت ، العدد الاول ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- المعنى ومكانته في الدراسات اللغوية: د. عبد القادر محمد سعيد، مجلة آفاق عربية دار الشؤون الثقافية، بغداد_ العراق، السنة الثالثة، العدد (٣)، تشرين الثاني، ١٩٧٧ م.
- مفتاح العلوم: يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، مطبوع مع (شروح التلخيص)، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان.
- مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي: د. مرتضى جواد باقر، مجلة اللسان العربي، العدد (٣٤)، لسنة ١٩٩٠ .
- مفهوم الجملة عند سيبويه: د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_ المغرب، ط ٧، ٢٠٠٨ .
- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية: نصر حامد أبو زيد، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، ١٩٨٤ م.
- المقتصد في شرح رسالة الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م.
- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، القاهرة_ مصر.

المصادر والمراجع

- من اسرار البيان القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان_ الاردن، ط١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- من اسرار اللغة: د. ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٨، ٢٠٠٣م.
- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، الدار البيضاء_ المغرب، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م.
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد_ العراق، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: برجيتة بارتشت، ترجمة د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد: د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط_ المغرب، ط١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي: د. سمير شريف ستيتية، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد (١٦)، لسنة ١٩٨٦م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
- نحو التيسير دراسة ونقد منهجي: أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج: د. عبدة الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- النحو في القديم والحديث: د. محمد محمود غالي، الشركة المصرية العالمية للنشر_ لونجمان، ط١، ٢٠٠٤م.
- نحو نظرية اسلوبية لسانية: فيلي سانديرس، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر، ٢٠٠٦.
- النزعة المنطقية في النحو العربي: د. فتحي عبد الفتاح الدجني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٢.
- النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب: جبار سويس الذهبي، مجلة الأقالام (فصلية فكرية ثقافية)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، عدد (٥)، ايلول/ تشرين الأول، ٢٠٠٨، السنة الثالثة والأربعون.
- نظرات في الجملة العربية: د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان_ الاردن، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.
- نظريات لسانية عَرَفنية: د. الازهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

المصادر والمراجع

- نظرية اللسانيات النسبية (دواعي النشأة): محمد الأوراعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
- النظرية اللسانية والبيانبة عند ابن حزم الأندلسي: د. نعمان بوقرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، ٢٠٠٤م.
- نظرية الفعل الكلامي: د. هشام عبد الله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ط١، ٢٠٠٧م.
- الوحدة الاسنادية الوظيفية دلالتها صورها : د. رابح بو معزة ، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر ، دمشق – سوريا ، ٢٠٠٨م .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .
- وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى: د. محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح. طرابلس_ ليبيا.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، د. عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

المصادر الأجنبية

- ALTERNATE GROUNDS IN THE INTERPRETATION OF DEICTIC EXPRESSIONS. FAUCONNIER. G+E. SWEETER, EDS. SPACES, WORLDS AND GRAMMAR: RUBBA. J, CHICAGO, UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, 1996.
- COHESION IN ENGLISH: HALLIDAY, R. HASSAN, LONDON, LONGMAN 1976.
- CONCEPTUAL BLENDING AND SONG: ZBIKOWSKI, LAWRENCE, MANNSCRIPT . UNIVERSITY OF CHICAGO, 1995.
- CONCEPUAL INTEGRATION AND FORMAL EXPRESSION: TURNER MARK AND GILLES FANCONNIER, JOURNAL OF METAPHOR AND SYMBOLIC ACTIVITY, VOLUME 40, NUMBER 3, PAGES 183-204, 1995.
- THE FASHION SYSTEM: RONALD BARTHES, LONDON, JONATHAN COPE, 1985.
- GRAMMAR: PALMER. F, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1971.

- AN INTRODUCTORY ENGLISH GRAMMAR: NORMAN STAGEBERG. NEW YORK, HOLT, RINEHART AND WINSTON, INC. FIRST EDITION, 1965.
- LINGUISTICS: JEAN AITCHISON. TYPESET BY TRANSET LIMITED, COVENTRY, ENGLAND, 2005.
- LANGUAGE AND LINGUISTICS (AN INTRODUCTION): JOHN LYONS, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1981.
- MENTAL SPEACES, LANGUAGE MODALITI AND CONCEPTUAL INTEGRATION. IN THE NEW PSYCHOLOGY OF LANGUAGE STRUCTURE: FAUCONNIER. G, ED. M TOMASELLO. LAWRENCE ERLBAUM, 1994.
- OXFORD AMERICAN DICTIONARY: ENGLISH, E, FLEXNER, S.B., G. JOYCE, M. HAWKINS, NEW YORK, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1980.
- SEMIOTICS, THE BASICS: DANIEL CHANDLER, LONDON, ROUTLEDGE, 2002.
- THE STUDY OF LANGUAGE: GEORGE YULE, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, SECONED EDITION, 1996.
- A UNIVERSITY GRAMMAR OF ENGLISH: RANDOLPH QUIRK, AND SIDNY GREENBAUM. LONGMANGROUP LIMITED, ENGLAND, 1983.
- WEBSTERS THIED NEW INTERNATIONAL DICTIONARY: WEBSTERS, M. VOL.III. LONGMAN, INC.LONDON, 1971.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- DEIXIS IN NARRATIVE REPRASANTING MENTAL SPACE IN HARDYS NOVELS: AL THAMERY.A, UNPUBLISHED PH.D. THESIS. UNIVERSITY OF BASRAH, 2007.
- IDENTIFICATION OF SENTENCE BOUDARIES BY ADVANCED IRAQI LEARNERS OF ENGLISH: ALYAA HADI SALIM: UNPUBLISHED, MA.D. UNIVERSITY OF BASRAH, COLLAGE OF EDUCATION, 2005.

The Arabic Sentence in the light of linguistics studies

THESIS SUBMITTED BY THE STUDENT

DHAIFER KADHEM ABDLRAZAAQ

TO THE BOARD OF
THE FACULTY OF ARTS, UNIVERSITY OF BASRAH
IT IS A PART OF THE REQUIREMENTS OF A PHD IN
ARABIC LANGUAGE AND PHILOSOPHY

UNDER THE SUPERVISION OF

**ASSIST PROF. DR.
NOORI H. ALKADHMI**

**PROF. DR.
MAJEED A. ALMASHTAA**

2011

1432

The Arabic Sentence in the light of linguistics studies

Through long history, linguistic studies presented many and different theories and curriculums based on different bases for building different opinions related to languages. But in spite of all the differences, they gathered in their aim to build linguistic studies on strong and scientific bases to avoid the personal impressions. Some of these studies become more important and cannot be ignored when trying to study whatever language, where there was many Arabic studies dealt with language according to these different theoretical studies. Some of the linguistic studies were stick to certain theory without taking in consideration the other studies while others ignored in the historical development of these theories and attempting to avoid the mistakes or points of criticism of those theories. It is possible also that knowledge and fundamental bases of some aspects of these theories were not so clear, which put noticeable number of Arab researchers in clear mistakes when they tried to study the Arabic language through them.

The current study aims at highlighting the importance of some of linguistic theories and their addition to the study of Arabic language in general and Arabic sentence in particular. Also the interest will be in showing the main aspects of differences between the traditional Arabic linguistic study and the up to date study, and what was the affects in views and opinions regarding the study of English sentence. Some of these theories opened many thoughts were not noticed previously by the old Arabic studies, and some of their aspects were neglected by the researchers , so accordingly shed lights on such points will effective and fruitful for the study of Arabic language. This study reveals what those theories presented can delete many of current bases and criterion in dealing with the sentence, and can express new scientific and logical conception in all aspects of studying the sentence: grammatically, semantically and pragmatically. Such a study need wide review to the different traditional Arabic studies in different grammatical, semantic and pragmatic fields of study and even some of religious studies which dealt with many linguistic aspects particularly in semantics and pragmatics like in the studies of Islamic laws, and this represent one of the difficulties faced the researcher.

The current study deals with the Arabic sentence from linguistic perspective, tried to be out of the previous traditional aspects in studying it; like in studying its different cases in rearrangement sentence structure , deletion, and the other rhetorical issues with different other aspects regarding the sentence. In addition, this study was not limited to the Arabic language only but dealt with in through the general realization according to other humanitarian languages. It also tried to apply what linguistic theories reached on Arabic language, which supposes to apply on it as Arabic is one of humanitarian languages and must have the same concepts. Form the other side, the researcher tried to

make use from the findings of these theories which did not mention by the previous studies, whom may be interested in different aspect with different purposes.

The study followed the linguistic perspective of the sentence within nearly 120 years of research from different resource and with difficult efforts. The study also tried to view the old phonological studies to compare them with the different studies relating to the study of the sentence

K.ABDLRAZAAQ

DHAFER